تفسير السمرقندي

المسمّى

بحر العلوم

لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي
المتوفى سنة ٣٧٥ هـ

تحقيق وتعليق

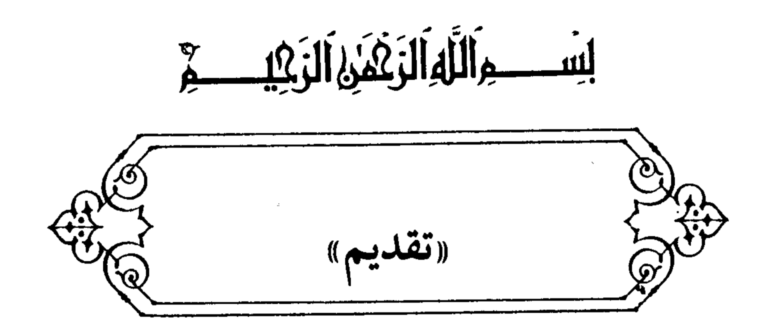
الشيخ علي محمد معوّض
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود
الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

الجزء الاول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ - تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٣٩٨ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس : ٠٠/١٢١٢/ ٤٧٨١٣٧٣



نحمدك ربنا كما علمتنا أن نحمد، حمداً يوافي نعمك ويكافىء مزيدك، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. .

أما بعد،

فعلم التفسير من أهم العلوم التي تحتاج إليها أمة الإسلام، وذلك لأن الله عز وجل أنزل القرآن ليكون منهج حياة للمسلمين، ففيه شفاء لما في الصدور، ومنه صلاحهم وفلاحهم، وبه تنجو الأمة من الأزمات.

﴿يا أيها الناس قد جآءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾.

وحتى يتحقق الهدف الذي من أجله أنزل الله القرآن لا بد من فهمه وتدبر آياته﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾. . .

وقد فهمه الرسول حق فهمه، وفهمه الصحابة وعلموا معانيه، وأدركوا أسراره، إذ كانوا عرب الألسن، لم تعكر العجمة عربيّتهم، إلا أنهم كانوا مع ذلك يلجأون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيما قد يشكل عليهم منه. . .

والحاجة تكون ماسة إلى التفسير بقدر بعد الأمة عن لغة القرآن، إذ يكون البون بينهم وبين القرآن شاسعاً ومن هنا تأتي أهمية تحقيق كتب التفسير المتقدمة ولا سيما التفسير بالمأثور.

وها نحن نقدم لك أحد هذه الكتب ألا وهو كتاب (بحر العلوم) للفقيه العلامة أبي الليث السمرقندي وقد جاء الكتاب في قسمين:

القسم الأول: الدراسة.

وجاء في ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: (حياة أبي الليث السمرقندي وآثاره).

ويشمل: اسمه، لقبه، كنيته، مولده، وفاته، أسرته، بيئته (سمرقندي)

المبحث الثاني: (التفسير قبل أبي الليث).

ـ وفيه ـ قمنا بتعريف التفسير والتأويل، والفرق بينهما.

ـ ثم بينا حاجة الناس إلى التفسير وأسبابها.

ـ وكيف فهم الصحابة القرآن الكريم.

ـ ثم ذكرنا أشهر مفسري القرآن من الصحابة وهم:

علي بن أبي طالب، عبد الله بن مسعود، أبي بن كعب، عبد الله بن عباس. وبينا قيمة التفسير المأثور عنهم وأقوال العلماء في ذلك.

ـ ثم عرضنا لأهم مدارس التفسير وهي:

١ ـ مدرسة ابن عباس في المدينة وأشهر تلاميذ ابن عباس من التابعين وهم:

* سعيد بن جبير.
* مجاهد بن جبر.
* عكرمة.
* طاوس.
* عطاء بن أبي رباح.

٢ ـ مدرسة أبي بن كعب وأشهر تلاميذه:

* أبو العالية.
* محمد بن كعب القرظي.
* زيد بن أسلم.

٣ ـ مدرسة عبد الله بن مسعود وأشهر تلاميذه:

* علقمة.
* مسروق.
* عامر الشعبي.
* الحسن البصري.
* قتادة.

وبينا قيمة التفسير المأثور عن التابعين، وكلام العلماء في ذلك.

وقد أسهبنا شيئاً ما ـ في الحديث عن هذه المدارس لأن السمرقندي قد أفاد منها جميعاً في كتابه هذا.

ـ ثم تحدثنا عن التفسير في عصر التدوين ـ وكيف سارت مسيرته إلى أن وصل إلى تابعي التابعين.

وبينا اتجاهات التفسير وهي:

ـ الاتجاه الأثري، وذكرنا من أعلام هذا الاتجاه «يحيى بن سلام»، ثم «ابن جرير الطبري».

ـ الاتجاه اللغوي، ومن أهم أعلامه: أبو عبيدة.

ـ الاتجاه البياني، وبينا جذور هذا الاتجاه وأهم أعلامه.

المبحث الثالث: تفسير أبي الليث.

وفيه أوضحنا منهجه في التفسير، وبينا أن تفسيره مزيج من التفسير الأثري والتفسير بالرأي.

فبينا كيف أنه لجأ إلى القرآن ثم إلى السنة، ثم إلى تفسير الصحابة ـ ثم إلى تفسير التابعين.

وتحدثنا عن الإسرائيليات في تفسيره، وكيف دخلت تفسيره بالمأثور.

ثم تحدثنا عن المنهج اللغوي في تفسير أبي الليث، وكذا المنهج البياني ثم علوم القرآن في تفسير بحر العلوم وهي:

* القراءات القرآنية.
* المكي والمدني.
* الناسخ والمنسوخ.
* أسباب النزول.
* الأحكام الفقهية.

ـ **أما القسم الثاني:** فهو قسم التحقيق.

وقد كان عملنا في الكتاب مرتباً على النحو التالي:

أولاً: إخراج النص سليماً خالياً من الأخطاء النحوية والإملائية، وقد اقتضى ذلك من الموازنة بين النسخ التي تحت أيدينا فآثرنا النص الأصوب والأرق دون اعتماد على نسخة بعينها.

ثانياً: إثبات فروق النسخ وتركنا الكثير منها حيث لا جدوى من ذكرها.

ثالثاً: تخريج الأحاديث الواردة في النص.

رابعاً: عزو الآثار إلى مصادرها.

خامساً: توضيح الغريب من الألفاظ الواردة في النص معتمدين في ذلك على المعاجم اللغوية.

سادساً: ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في النص.

سابعاً: عزو القراءات إلى مصادرها، والتعليق على بعضها حسبما احتاج النص مع بيان حجة كل قراءة.

ثامناً: توضيح بعض المصطلحات الفقهية والأصولية الواردة في النص.

تاسعاً: التعليق على بعض الموضوعات التي أشار إليها المصنف.

عاشراً: وضع آيات القرآن الكريم بين قوسين تيسيراً على القارىء.

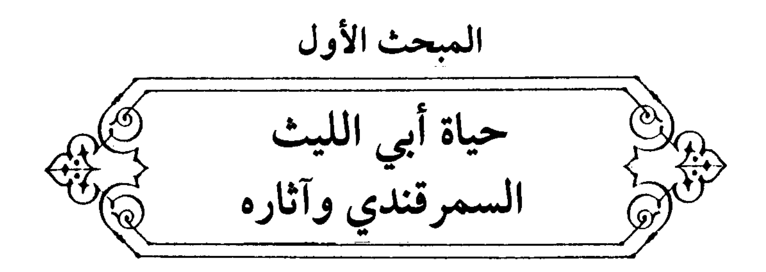
ولا يفوتنا أن نوجه الشكر إلى الشيخ عبد الحكيم وكيل لجنة المصاحف على ما أبدى من توجيه فيما يتعلق بالقراءات في الكتاب.

هذا ولقد حرصنا كل الحرص أن يخرج الكتاب على الوجه اللائق به كتفسير لكتاب الله عز وجل ونرجو أن نكون بذلك قد وفقنا فيما تصبو إليه أنفسنا فإن كان كذلك فلله الحمد والمنة وإلا فمن ذا الذي ما أساء قط.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

المحققون

المبحث الأول



أولاً:

١ ـ اسمه:

هو: نصر بن محمد بن إبراهيم الخطاب السمرقندي التوزي البلخي وقيل: نصر بن محمد بن أحمد (أو محمد) بن إبراهيم السمرقندي[١].

٢ ـ لقبه:

أ ـ الفقيه. وهو لقب اشتهر به، وهو يدل على أنه وصل من علم الفقه مرتبة عظيمة لا يدانيه فيها أحد من معاصريه، ويدل على ذلك «أل» المعرفة، فكأنه الفقيه وليس غيره.

وقد أحب أبو الليث هذا اللقب، وتبرك به، لأن النبي ﷺ لقبه به في المنام، وذلك أنه لما صنف كتابه «تنبيه الغافلين» عرضه إلى روضة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبات الليل، فرأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فناوله كتابه فقال: خذ كتابك يا فقيه، فانتبه فوجد فيه مواضع محوه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان يتبرك بهذا اللقب لذلك[٢].

ب ـ إمام الهدى. وقد شاركه في هذا اللقب أبو منصور الماتريدي[٣].

٣ ـ كنيته:

كنى بأبي الليث، وقد طغت هذه الكنية على الاسم، حتى يكاد لا يعرف إلا بها، وقد تذكر الكنية مصحوبة باللقب هكذا: (حدث الفقيه أبو الليث).

مولده:

لم يعرف على وجه التحديد العام الذي ولد فيه أبو الليث، لأنهم لم يكونوا يتوقعون أن يكون عالماً ذا شأن، وإلّا ـ وهذا غيب بحت ـ لسجلوا مولده.

---

(١) راجع/ الجواهر المضية ٣/٥٤٤ رقم ١٧٤٣، دائرة المعارف الإسلامية ١/٥٩٢، كشف الظنون ٢/١١٨٧ طبقات المفسرين للداودي ٢/٢٤٥، تاريخ التراث العربي/سزكين ٢/٩٧، معجم المؤلفين ١٣/٩١، الأعلام ٨/٣٤٨.

(٢) كتائب أعلام الأخبار (مخطوط) ورقة ١٢٦.

(٣) الجواهر المضيئة ٣/٣٦٠ رقم ١٥٣٢.

ولكنهم ذكروا ـ على وجه التقريب ـ أن مولده كان بين ٣٠١ هـ، ٣١٠.

وفاته:

وكذا اختلفت المصادر في تحديد سنة وفاته.

-ذكر الداودي في «طبقات المفسرين» أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٣٩٣ هـ[١].

- وقال صاحب الطبقات السنية في تراجم الحنفية أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء سنة ٣٨٣ هـ.

- ومن تاج التراجم أن وفاته كانت سنة ٣٧٥ هـ[٢].

- وفي الجواهر المضية أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء سنة ٣٧٣ هـ[٣].

- ومن كشف الظنون ذكر حاجي خليفة أن أبا الليث توفي سنة ٣٧٦ أو سنة ٣٨٣ أو سنة ٣٧٥.

- ومن تاريخ التراث العربي أن وفاته كانت من سنة ٣٧٣ وقيل سنة ٣٧٥، وقيل سنة ٣٩٣[٤].

ومن معجم المؤلفين أنه توفي سنة ٣٩٣[٥].

وقال السيوطي: مات في أيام الطالع[٦].

أما كتاب «النوازل» (ورقة ٢٢٣) ففيه أن وفاته كانت من جمادى الآخرة ليلة الحادي عشر فيه سنة ٣٩٦ ـ عن خمسة وخمسين عاماً ـ وهذا التحديد يدلنا أيضاً على العام الذي ولد فيه.

أسرته:

لم تذكر كتب التراجم شيئاً عن أسرته، ولعله كان من أسرة عادية، لم يبرز منها سوى أبي الليث وأبيه، الذي يعد أول شيوخه كما سنذكر فيما بعد.

فقد نقل عنه كثيراً سواء في التفسير وفي غيره.

بيئته:

سمرقند[٧]: هي إحدى مدن خراسان، ـ تتبع الاتحاد السوفيتي الآن ـ، يقال لها بالعربية سران، مبنية على جنوب وادي الصفد، ومرتفعة عليه وهي مدينة عظيمة بمناخها، قال فيها الشاعر:

للناس من أخراهم جنة وجنة الدنيا سمرقند[٨]

وكانت هذه المدينة قبلة طلاب العلم إذ رحل إليها العلماء والفقهاء والوعاظ والمتصوفة.

---

(١) ٢/٣٤٦.
(٢) ٤/٢٢٤.
(٣) الجواهر المضية ٣/١٩٦ ط الهند.
(٤) كشف الظنون ٢/١١٨٧، ١٢٢٠، ١٥٨٠.
(٥) ١٣/٩١.
(٦) تاريخ الخلفاء ٤١١.
(٧) بفتح السين والميم ـ هكذا ضبطها ياقوت، أما البكري فقد فتح السين وسكّن الميم.
(٨) راجع/ معجم البلدان ٥/١٢١.

وبذلك احتلت مكانة علمية مرموقة بين سائر البلدان الإسلامية وإلى سمرقند نسب صاحبنا أبو الليث، وشاركه في هذه النسبة كثير من العلماء منهم:

- الحكيم السمرقندي.
- محمد بن أحمد السمرقندي.
- إسحاق السمرقندي.
- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل السمرقندي.
- أبو نصر العياض السمرقندي.
- محمد بن عثمان السمرقندي.
- محمد بن عبد الجليل السمرقندي.

يقول ابن الأثير في اللباب ٢/٩٤: (بل إن الملوك أنفسهم كانوا يحبون العلم والتعلم، وكانوا أحسن الملوك سيرة، يرجعون إلى عدل ودين وعلم، فمنهم أحمد بن ساسان روى الحديث عن ابن عيينة، ويزيد بن هارون وغيرهما، وروى عنه ابنه الأمير إسماعيل).

وكانت بلاد ما وراء النهر وخراسان - في عهد الدولة السامانية - مركز إشعاع للثقافة الإسلامية، فقد اهتمت الأسرة المالكة بالعلم والعلماء، لهذا صارت تلك البلاد «من أجلّ الأقاليم، وأكثرها أجلة وعلماء، معدن الخير، ومستقر العلم، وركن الإسلام المحكم، وحصنه الأعظم.. فيه يبلغ الفقهاء درجة الملوك»[١].

وكان التأليف ثمرة لهذا النشاط العلمي الواسع من بلاد ما وراء النهر وخراسان ولذا فلا غرو أن نجد هذا القرن زاخراً بعلماء من شتى المجالات العلمية أثروا المكتبة العربية بغزير المؤلفات، وكان من أبرز هؤلاء العلماء: -

* **في مجال الحديث:**

١ - الإمام الحافظ النسائي (ت ٣٠٣ هـ) صاحب «السنن الكبرى» و «السنن الصغرى»[٢].

٢ - الإمام أبو داود (ت ٢٧٥ هـ) صاحب «السنن» أحد الكتب الستة[٣].

٣ - الإمام الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) صاحب «الجامع الصحيح» أحد الكتب الستة[٤].

٤ - الإمام ابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ) صاحب «السنن» أحد الكتب الستة[٥].

٥ - الإمام الدارمي، صاحب «المسند» و «التفسير»[٦].

---

(١) أحسن التقاسيم/ للمقدسي ٢٦٠.
(٢) الأعلام ١/١٦٤.
(٣) وفيات الأعيان ١/٢١٤، تهذيب التهذيب ٤/١٦٩، الأعلام ٣/١٨٢.
(٤) تهذيب التهذيب ٩/٣٨٧، وفيات الأعيان ١/٤٨٤، الأعلام ٧/٢١٣.
(٥) تهذيب التهذيب ٩/٥٣٠، الأعلام ٨/١٥.
(٦) طبقات المفسرين ١/٢٣٥.

في علم التفسير:

١ - أبو زيد البلخي (ت ٣٢٢ هـ) له مؤلفات عديدة في علوم شتى منها غريب القرآن، ونظم القرآن.. وغيرهما[١].

٢ - ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٦٧ هـ) صاحب معاني القرآن، إعراب القرآن وغيرهما «وفيات الأعيان ٢٥١/١».

٣ - أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣) ومن مؤلفاته تأويلات القرآن «الفوائد البهية ١٩٥، الجواهر المضية ٣٦٠/٣ الأعلام ٢٤٢/٧ وغيره».

*** وفي علم الفقه:**

برز علماء كثيرون في بلاد ما وراء النهر وخراسان كان منهم:

١ - أبو الفضل البلخي (ت ٣٤٤ هـ) «النوازل للسمرقندي».

٢ - أبو عبد الله الفقيه البلخي (ت ٣٠٥ هـ) - «النوازل».

٣ - نصير بن يحيى البلخي (ت ٢٦٨ هـ).

*** في علوم اللغة:**

وفي القرن الرابع تطالعنا أسماء الأعلام الأفذاذ مثل: ابن فارس (ت ٣٩٠ هـ)، الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) الكالي (ت ٣٥٦)، العسكري (ت ٣٨٢)، الزجاج (ت ٣١١)، ابن جني (ت ٣٩٢)، وغيرهم كثير.

تلك هي البنية - الزمانية والمكانية - التي عاش فيها مفسرنا أبو الليث السمرقندي وهي نبذ زاخرة بالعلماء الأخيار، فكان أن هيء لأبي الليث مناخ ثقافي علمي نشأ فيه فترعرع حتى نضج وأثمر ثماره العلمية في شتى الميادين.

شيوخه

١ - والده

محمد بن إبراهيم التوذي كان فقيهاً فاضلاً ورعاً. وكان شيخه في مرحلة الصغر.

فقد نقل كثيراً من أقوال والده في التفسير فكان يقول = حدثني أبي.

٢ - أبو جعفر الهندواني. (أبو جعفر البلخي)[٢].

٣ - الخليل بن أحمد القاضي السجزي - شيخ الحنفية في زمانه كان مقدماً في الفقه والحديث[٣].

٤ - محمد بن الفضل البلخي المفسر[٤].

---

(١) طبقات المفسرين ٤٢/١، الأعلام ١٣١/١.

(٢) الجواهر ١٩٢/٣ (١٣٤٥) اللباب لابن الأثير ٣/ ٢٩٥ تاج التراجم ٦٣.

(٣) انظر البداية والنهاية ٣٢٧/١١.

(٤) انظر حلية الأولياء ٢٣٣/١٠ الأعلام ٢٢١/٧.

وغير ذلك مما هو مسطر في التفسير وغيره من مصنفاته.

تلاميذه

فمن أشهر تلاميذه رحمه الله:

١ ـ لقمان بن حكيم الفرغاني راوي عنه الكتب.
٢ ـ نعيم الخطيب أبو مالك من الرواة عنه.
٣ ـ ومحمد بن عبد الرحمن الزبيري من الرواة عنه.
٤ ـ وأحمد بن محمد أبو سهل من الرواة عنه.
٥ ـ طاهر بن محمد بن أحمد بن نصر أبو عبد الله الحدادي وغير ذلك مما موته كتب السير والأعلام.

ثقافة أبي الليث

علم الفقه:

ذكرنا أن من أشهر كناه (الفقيه) وهذا ان دل فإنما يدل على تفوقه على أقرانه ومعاصريه في هذا المضمار.

علم أصول الدين:

اشتهر أبـو الليث رحمه الله بين معاصريه بعلم التوحيد والمناظرة قال السمعاني رحمه الله: «كان من أصحاب أبي حنيفة، وكان مشهوراً بالمناظرة معروفاً بالجدل».

وقد جاء في التفسير «بحر العلوم» ما يدل على تبحره في هذا العلم.

معرفة لغات العجم

اتقن الإمام العلامة المفسر الفقيه المحدث أبو الليث الفارسية فيقول رحمه الله =

(قال الحكيم بالفارسية: بكو دكي بازي، بجواني مسني، بييري سبق، حداراكي برستي).

يعني: إذا كنت شيخاً صرت ضعيفاً، فمتى تعمل لله تعالى؟ يعني لا تقدر أن تعبد ربك بعد موتك[1].

والناظر في التفسير يجد أنه يذكر بعض المعاني للكلمات التي ليست عربية الأصل مثل الفردوس. في قوله تعالى ﴿الذيـن يرثون الفردوس﴾ المؤمنون آية (١١).

قال: هي البساتين بلغة الروم.

وقال في قوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وإن كان هذا الذي ذهبنا إليه لا يدل على معرفة بتلك اللغات إذ أن سابقيه من المفسرين واللغويين والمعجميين قد ذكروا ذلك في كتبهم ولعله أفاد منها.

ويبدو من أقواله أنه تعلم اللغة العبرية ولا عجب من ذلك فقد قرأ التوراة والتقى باليهود[2] وسمع منهم. يقول

---

(١) انظر تنبيه الغافلين للمصنف رحمه الله ص ٩.
ويقال: إن بني إسرائيل سألوا موسى عن اسم الله الأعظم فقال لهم قولوا: باهيا شر اهيا. يعني يا حي يا قيوم.
(٢) وكان عدد اليهود كثيراً في سمرقند ناف عن ثلاثين ألفاً «آدم متز/ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/ ٨٣».

رحمه الله «سمعت أهل التوراة يقولون: إن أسماء أولاد يعقوب مبينة في التوراة، روبيل، وشمعون، ويهودا، ولاوي، فهؤلاء من امرأته لايا، ويوسف وابن يامين من امرأته الأخرى راحيل. والستة الأخرى الباقين من الأمتين.

الطب وأبو الليث

الناظر في التفسير يجد الثقة العدل الفقيه ينقل في تفسيره أقوالاً عن أطباء المسلمين المشاهير. .

يقول رحمه الله عند قول الله عز وجل ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾[1].

قال الطبيب الرازي: كل شهوة تقسي القلب إلا الجماع فإنه يصفي.

وانظر أيضاً قول الله تعالى من سورة الأعراف[2] ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**﴾.

الفلسفة

وكان العارفون بالطب في ذلك الحين فلاسفة والمطلع على نتاجهم العلمي فيلسوف. فكان أبو الليث مطلعاً على أقوال الفلاسفة قد جاء بعض ذلك في تفسيره ففي قوله تعالى ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً. . .**﴾ يقول أبو الليث «وقد طعنت الزنادقة في هذا وقالوا إن الجلد. . . .».

وهذا وهناك علوم أخرى تتضح من خلال كتاب التفسير.

مؤلفاته:

لقد نهل «السمرقندي ـ رحمه الله من ثقافة عصره، وأحاط علماً بكل جوانبها وأبعادها، وألمَّ بجميع أطرافها وآفاقها. فكان بذلك ذا ثقافة عالية، وأفق واسع وعلم عظيم، ولقد نضجت ثقافته أيما نضج، واكتملت شخصيته العلمية أعظم اكتمال، وكان لهذه الثقافة الناضجة ثمار، ولتلك الشخصية المكتملة نتاج.

وقد ظهرت هذه الثمار والنتاج في المجالات المختلفة في التفسير وعلومه وأصول الدين والفقه والزهد والرقائق.

التفسير

١ ـ تفسير القرآن المسمى بـ «بحر العلوم» وهو الذي نحن بصدد تحقيقه. ولم نجد له غير ذلك في مجال التفسير.

الفقه

١ ـ خزانة الفقه وهو مطبوع بتحقيق الدكتور صلاح الدين الناهي.
٢ ـ عيون المسائل وهو كتاب في فروع المذهب الحنفي وهو مطبوع بالهند.
٣ ـ مقدمة أبي الليث في الصلاة وهي من مقتنيات دار الكتب المصرية.
٤ ـ النوازل في الفتاوى وهي من مقتنيات دار الكتب المصرية.
٥ ـ تأسيس النظائر الفقهية وهو في فروع المذهب الحنفي.

---

(١) سورة النساء: الآية (٥٤).
(٢) الآية ٣١.

٦ ـ المبسوط في فروع الفقه الحنفي.
٧ ـ النوادر المقيدة جمع فيها رحمه الله نوادر فقهية.
٨ ـ شرح الجامع الكبير والجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني.
٩ ـ شرح الجامع الصغير والجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني.
١٠ ـ مقدمة في بيان الكبائر والصغائر.
١١ ـ فتاوى أبي الليث جمع فيها الفتاوى الفقهية.

الزهد والرقائق

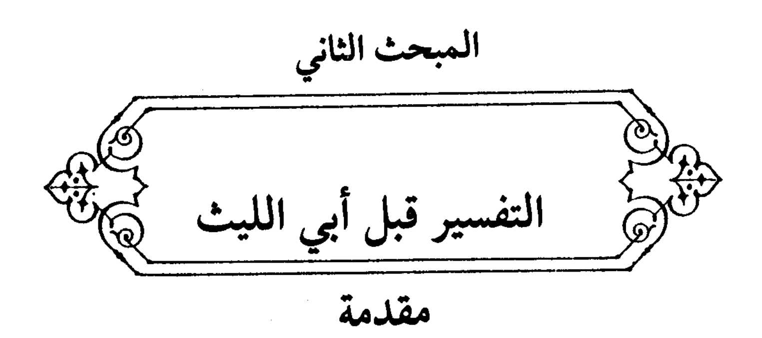
١ ـ تنبيه الغافلين وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم.
٢ ـ بستان العارفين وهو مطبوع ومتداول وهو بهامش الكتاب السابق.
٣ ـ قرة العيون ومفرح القلب المحزون وهو مطبوع على هامش كتاب مختصر التذكرة للشعراني.

أصول الدين

١ ـ أصول الدين.
٢ ـ بيان عقيدة الأصول.
٣ ـ أسرار الوحي.
٤ ـ رسالة في المعرفة والإيمان.
٥ ـ رسالة في الحكم.
٦ ـ قوت النفس في معرفة الأركان الخمس.

وغير ذلك مما حوته كتب التراجم.

المبحث الثاني



مقدمة

التفسير والتأويل

التفسير: لغة

التفسير في اللغة: الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى ﴿**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً**﴾(١) أي بياناً وتفصيلاً. وهو مأخوذ من الفسر، وهو: الإبانة والكشف.

قال الفيروزابادي(٢):

«الفَسْرُ: الإبانة وكشف المغطى كالتفسير، والفعل كضرب ونصر».

وقال ابن منظور(٣):

«الفَسْرُ: البيان، فَسَرَ الشيء يَفْسِرُه - بالكسر - ويَفْسُرُه - بالضم - فَسْراً، وفَسَّرَه: أبانه. والتفسير: مثله..... والفَسْرُ: كشف المُغَطَّى. والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المُشْكِل».

وقال «أبو حيان»(٤):

«... ويطلق التفسير أيضاً على التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول: فسرت الفرس: عريته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري».

وعلى ذلك: فالمادة تدور حول معنيين(٥):

الكشف المادي المحسوس، والكشف المعنوي المعقول..

وقيل: إن أصل الكلمة من التَّفْسِرَة، وهي الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض، كما يكشف المفسّر عن شأن الآية وقصتها(٦).

التفسير: اصطلاحاً.

عرفه السيوطي قائلاً(٧):

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٣.

(٢) القاموس المحيط «فسر».

(٣) اللسان: مادة «فسر».

(٤) البحر المحيط ١/ ١٣.

(٥) التفسير: معالم حياته - منهجه اليوم - أمين الخولي ص٥، والتفسير والمفسرون / للذهبي ج١ /١٥.

(٦) الاتقان في علوم القرآن / للسيوطي ٢/ ٢٩٤، وتفسير البغوي ١/ ١٨ ط المنار، واللسان: فسر.

(٧) الاتقان ٢/ ١٧٤.

«هو علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، وبيان محكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها، ونحو ذلك».

وعرَّفه «أبو حيان» فقال[١]:

هو «علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك. . . » وفيه قصور وغموض[٢]. .

وتعريف «الزركشي» أوضح من التعريفين السابقين إذ يقول[٣]:

«التفسير: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ».

وهناك تعريفات أخرى ـ غير ما ذكرنا[٤] ـ وكلها تتفق «على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد»[٥].

التأويل: لغة.

أصله: «من الأوْل، وهو الرجوع.

قال الفيروزابادي[٦]:

«آل إليه أَوْلاً وَمَآلاً ـ: رجع، وعنه ارتد. . . . وأوّل الكلام تأويلاً، وتأوله: دبره وقدره وفسره، والتأويل عبارة الرؤيا».

وقال ابن «منظور»[٧]:

«الأَوْلُ: الرجوع، آلَ الشَّيءُ يؤولُ أَوْلاً ومَآلاً: رجع، وَأَوَّلَ الشيءَ: رَجَعَهَ، وأُلْتُ عن الشيء: ارتددت، وفي الحديث: «من صام الدهر فلا صام ولا آل» أي لا رجع إلى خير. . . وأوّل الكلام وتأوله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره».

وعليه:

فالتأويل: إرجاع الكلام إلى ما يحتمله من المعاني.

---

(١) البحر المحيط ج١ أو ما بعدها.

(٢) راجع: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير أبـو شهبة ص ٤١.

(٣) البرهان ج١ /٣٣.

(٤) راجع مثلاً: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٤٠٦ ط أولى، ومنهج الفرقان في علوم القرآن ج٢ /٦، التفسير في قواعد التفسير / الكافياجي ص ٣، ١١ وغيرها.

(٥) التفسير والمفسرون ١/١٧.

(٦) القاموس المحيط ٣/٣٣١.

(٧) اللسان / مادة «أول» !/١٧١ وما بعدها.

وقيل: التأويل مأخوذ من الإيالة، وهي السياسة، فكأن المؤول ساس الكلام ووضعه في موضعه.. قال الزمخشري[١]:

«آلَ الرعيَّة يؤولُها إيَالَةً حَسَنَةً، وهو حسن الإيالة، وائتالها، وهو مُؤْتَالٌ لقومه مِقْتَالٌ عليهم: أي سائس محتكم، قال زياد في خطبته: قد أُلْنا وإيل علينا، أي سُسْنا وسِسْنا...».

وقد ورد لفظ التأويل في القرآن الكريم على معان مختلفة.

من ذلك قوله تعالى ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله...**﴾[٢]. بمعنى التفسير والتعيين.

وقوله تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً**﴾[٣] بمعنى العاقبة والمصير.

وقوله تعالى: ﴿**هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله..**﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله..**﴾[٥] بمعنى وقوع المخبر به.

ومن آيات سورة يوسف[٦] أريد بها: نفس مدلول الرؤيا.

ومن آيتي سورة الكهف[٧] بمعنى بيان حقيقة الأعمال التي عملها العبد الصالح، وليس تأويل الأقوال[٨].

التأويل اصطلاحاً:

التأويل عند السلف له معنيان:

- **أحدهما**: تفسير الكلام وبيان معناه، وبذلك يكون التأويل والتفسير مترادفين، وهذا ما يعنيه «ابن جرير الطبري» في تفسيره حين يقول: «القول في تأويل قوله تعالى....» وكذا قوله «اختلف أهل التأويل في هذه الآية.. فالتفسير والتأويل كلاهما بمعنى.

- **ثانيهما**: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به...

وعليه:

فالتأويل هنا نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أم مستقبلة، فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا هو نفس طلوعها، وهذا في نظر «ابن تيمية» هو لغة القرآن التي نزل بها، وعلى هذا فيمكن إرجاع كل ما جاء في القرآن من لفظ التأويل إلى هذا المعنى الثاني[٩].

---

(١) أساس البلاغة ص ٢٥ ط الشعب.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.
(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٥٣.
(٥) سورة يونس: الآية ٣٩.
(٦) الآيات: ٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ١٠٠.
(٧) الآيتان: ٧٨، ٨٢.
(٨) راجع: التفسير والمفسرون ١/١٨، ١٩.
(٩) التفسير والمفسرون ١/١٩ (بتصرف وإيجاز).

أما التأويل عند المتأخرين من الأصوليين والكلاميين وغيرهم:

فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف[١].

قال في جمع الجوامع[٢]:

«التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل عليه دليل فصحيح، أو لما يظن دليلاً من الواقع ففاسد، أو لا لشيء فلعب لا تأويل».

«الفرق بين التفسير والتأويل»

اختلف علماء «التفسير» في بيان الفرق بين التفسير والتأويل. ولعل منشأ هذا الخلاف «هو استعمال القرآن لكلمة التأويل، ثم ذهاب الأصوليين إلى اصطلاح خاص فيها، مع شيوع الكلمة على ألسنة المتكلمين من أصحاب المقالات والمذاهب»[٣].

- ومن العلماء من ذهب إلى أنهما بمعنى واحد. . ومن هؤلاء: «أبو عبيد القاسم بن سلام» وطائفة معه[٤].

- ومنهم من فرق بينهما.

يقول الراغب الأصفهاني[٥]:

«التفسير أعم من التأويل. وأكثر ما يستعمل التفسير من الألفاظ، والتأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا.

والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثره يستعمل في الجمل. فالتفسير إمَّا أن يستعمل في غريب الألفاظ «كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة»، أو في تبيين المراد وشرحه، كقوله تعالى ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾، وإما في كلام مضمن بقصة لا يمكن تصوره إلا بمعرفتها نحو قوله تعالى ﴿**إنما النسيء زيادة في الكفر**﴾ وقوله تعالى ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها**﴾.

وأما التأويل: فإنه يستعمل مرة عاماً، ومرة خاصاً، نحو «الكفر» المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصة، و«الإيمان» المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق دين الحق تارة، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة، نحو لفظ «وجد» المستعمل في الجد والوجد والوجود».

وقال «أبو طالب الثعلبي»: [٦]

«التفسير: بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والصيّب بالمطر. والتأويل: تفسير

---

(١) راجع: التفسير والمفسرون ١/١٩. (٢) ج٢ /٥٦، والتفسير والمفسرون ١/٢٠. (٣) التفسير. معالم حياة - ص ٦.

(٤) الاتقان ٢/١٧٣، التفسير والمفسرون ١/٢١ والإسرائيليات والموضوعات ٤٣.

(٥) التفسير والمفسرون ١/٢١، نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن / السيد خليل ص ٢٩، نقلاً عن: مقدمة التفسير للراغب ص ٤٠٢ - ٤٠٣ آخر كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار.

(٦) الاتقان ٢/١٧٣.

باطن اللفظ، مأخوذ من الأَوْل، وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأويل: إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير: إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ تفسيره: أنه من الرصد، يقال: رصدته إذا رقبته، والمرصاد: مفعال منه. وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الأهبة والإستعداد للعرض عليه».

وقال «البغوي»: [١]

«التأويل: هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الإستنباط.

«والتفسير: هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها».

وقيل: «التفسير: ما يتعلق بالرواية، والتأويل: ما يتعلق بالدراية»[٢] يقول الكافياجي: [٣]

«... إن علم التفسير علم يبحث فيه عن أحوال كلام الله المجيد من حيث أنه يدل على المراد بحسب الطاقة البشرية، وينقسم إلى قسمين:

تفسير: وهو ما لا يدرك إلا بالنقل أو السماع، أو بمشاهدة النزول وأسبابه، فهو ما يتعلق بالرواية، ولهذا قيل: إن التفسير للصحابة.

وتأويل: وهو ما يمكن إدراكه بقواعد العربية، فهو ما يتعلق بالدراية، ولهذا قيل: إن التأويل للفقهاء، فالقول من الأول بلا نقل أو سماع خطأ، وكذا القول من الثاني بمجرد التشهي، وأما استنباط المعاني على قانون اللغة فمما يعد فضلاً وكمالاً».

وقد رجح المرحوم الدكتور الذهبي هذا الرأي، وعلل ذلك بقوله: [٤]

«وذلك لأن التفسير معناه: الكشف والبيان. والكشف عن مراد الله تعالى لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أو عن بعض أصحابه، الذين شهدوا نزول الوحي، وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالطوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

«وأما التأويل: فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الإجتهاد، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني من كل ذلك».

وهذا هو ما نميل إليه...

«حاجة الناس إلى التفسير»

نزل القرآن الكريم لغرضين أساسيين:

أولهما: ليكون معجزة، فلا يقدر البشر على أن يأتوا بمثله ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا

---

(١) تفسير البغوي ١/١٨

(٢) الاتقان ٢/١٧٣.

(٣) التيسير في قواعد التفسير ص ٣، ١١.

(٤) التفسير والمفسرون ١/٢٣.

بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[١]. ولا بسورة من مثله **﴿قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾**[٢].

ثانيهما: ليكون منهج حياة، ودستوراً للمسلمين، فيه صلاحهم وفلاحهم، إذ تكفل بكل حاجاتهم من أمور الدين والدنيا، عقائد، وأخلاق، وعبادات، ومعاملات.. إلخ.

﴿يا أيها الناس قد جآءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[٣].

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾[٤]. ففي اتباعه الهداية، وفي الإعراض عنه الشقاء والضنك **﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى..﴾**[٥].

وبه مخرج الأمة من أزماتها، ونجاتها من الفتن.. يقول علي ـ كرم الله وجهه ـ: **قلت يا رسول الله ستكون فتن، فما المخرج منها؟**.

قال ـ ﷺ ـ: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به أفلح، ومن دعى إليه هُدي إلى صراط مستقيم».

ـ ولكي يكون معجزاً ويتأتى تحديه للبشر..

ـ ولكي يتأتى اتخاذه دستوراً ومنهج حياة..

ولكي يتدبر المؤمنون آياته..[٦].

ولكي يستطيع المسلمون العرب الانطلاق بالدعوة[٧].. لكل هذا جاء القرآن عربياً.

وكان القوم ـ «عند نزوله ـ سواء من هو حجة له: من المؤمنين الصادقين، ومن هو حجة عليه، من الكافرين الجاحدين، يفهمونه ويحيطون بمعانيه إفراداً وتركيباً فيتلقون دعوته، ويدركون مواعظه، ويعون تحديه بالإعجاز بين مذعنين، يقولون: آمنا به، ومعاندين يلحدون في آياته، ويمعنون في معارضته كيداً ولياً بألسنتهم وطعناً في الدين.

«فما كان منهم من تعذر عليه فهمه، ولا من خفيت عليه مقاصده ومعانيه، بل كان وضوح معانيه، ويسر فهمه، هو الأصل فيما قام حوله من صراع بين مؤمن يجد فيه شفاء نفسه، وانشراح صدره، وكافر ينقبض لقوارع

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٢) سورة يونس: الآية ٣٨.

(٣) سورة يونس: الآية ٥٧.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٢.

(٥) سورة طه: ١٢٣ ـ ١٢٦.

(٦) قال تعالى **﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته..﴾**.

(٧) قال تعالى: **﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع...﴾**.

آياته فلا يزال يدفعها بالإعراض والمعارضة، والدفاع والمقارعة، وكان ذلك هو الأصل أيضاً في تكون الأمة المحمدية، وتولد التاريخ الإسلامي»[١].

يقول «ابن خلدون»:[٢]

«إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه».

وقد سبقه أبو عبيدة معمر بن المثنى حين قال:[٣]

«إنما نزل القرآن بلسان عربي مبين.. فلم يحتج السلف، ولا الذين أدركوا وحيه، إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يسألوا عن معانيه، لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص».

إلا أن هذا الإطلاق يعارضه قول عمر بن الخطاب للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ:[٤]

يا رسول الله، إنك تأتينا بكلام من كلام العرب وما نعرفه ولنحن العرب حقاً؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إن ربي علمني فتعلمت، وأدبني فتأدبت».

كما يعارضه صريح القرآن إذ يقول تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾[٥].

نعم. إن هناك ألفاظاً لم تستطع بعض القبائل العربية معرفتها، ربما لعدم استعمالهم لها، أو لاحتمال اللفظ عدة معانٍ، وكذا بعض آيات أشكل عليهم فهم معناها وذلك كسؤالهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما نزل قوله تعالى: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾ فقالوا: وأينا لم يظلم؟ وفزعوا إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبيّن لهم أن المراد بالظلم الشرك، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾[٦].

ولو صح ما ذهب إليه ابن خلدون وأبو عبيدة لما كانت حاجة الصحابة إلى تفسير الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.. لكن تفسير الرسول للقرآن وقد ورد في الأحاديث الصحيحة، بياناً لمعنى لفظ، أو توضيحاً لمشكل، أو تأكيداً لحكم، أو تفصيلاً لمجمل، أو تخصيصاً لعام، أو تقييداً لمطلق... إلخ.

وكان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ حراصاً على حفظ القرآن، وفهم معانيه، وفقه أحكامه..

قال أبو عبد الرحمن السُّلمي:

حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من

---

(١) التفسير ورجاله / محمد الفاضل بن عاشور ص ٧ ـ ٨.

(٢) المقدمة ص ٣٦٧ ط الأزهرية سنة ١٩٣٠.

(٣) مجاز القرآن ـ ط ثانية ـ دار الفكر.

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٢٨٤ ط الحلبي تحقيق أبو العضل وقال الصيرفي: ولست أعرف إسناد هذا الحديث، وإن صح فقد دل على أن النبي ﷺ قد عرف ألسنة العرب.

(٥) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٦) الإتقان للسيوطي ٢/٣٣٠ والبرهان للزركشي ١/١٤.

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن، والعلم، والعمل جميعاً».

وإذا كان العرب الخلّص الذين لم تعكر عربيتهم عجمة ـ يحتاجون إلى التفسير، فنحن أولى وأحوج بل وأشد حاجة إلى تفسير القرآن الكريم، إذ صار البون بعيداً بين العرب والفصحى . .

يقول السيوطي :[(١)]

«ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه، وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد احتياجاً إلى التفسير».

والحاجة إلى التفسير «إنما هي حاجة عارضة نشأت من سببين:

السبب الأول: هو أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة، وإنما كان نزوله وتبليغه في ظرف زمني متسع جداً: قدره أكثر من عشرين عاماً، فكان ينزل منجماً على أجزاء مع فواصل زمنية متراخية بين تلك الأجزاء، وكان نزوله في تقدم بعض أجزائه وتأخر البعض الآخر، على ترتيب يختلف عن ترتيبه التعبدي، لأن ترتيب تاريخ النزول كان منظوراً فيه إلى مناسبة الظروف والوقائع، مناسبة ترجع إلى ركن من أركان مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وترتيب التلاوة أو الترتيب التعبدي، كان منظوراً فيه إلى تسلسل المعاني وتناسب أجزاء الكلام بعضها مع بعض، . . . والترتيب الأول مؤقت زائل بزوال ملابساته من الوقائع والأزمنة والأمكنة.

أما ترتيب التلاوة التعبدي فباق لأنه في ذات الكلام، يدركه كل واقف عليه وتالٍ له من الأجيال المتعاقبة، بينما الترتيب التاريخي لا يدركه إلا شاهد العيان لتلك الملابسات من الجيل الذي كان معاصراً لنزول القرآن . . . وكان انقراض تلك الملابسات الوقتية محوجاً إلى معرفتها معرفة نقلية تصورية، ليتمكن الآتون من استعمال القرائن والأحوال، التي اهتدى بها إلى معاني التراكيب القرآنية سابقوهم.

وأما السبب الثاني: فهو أن دلالات القرآن الأصلية، التي هي واضحة بوضوح ما يقتضيه من الألفاظ والتراكيب ـ تتبعها معانٍ تكون دلالة التراكيب عليها محل إجمال أو محل إبهام، إذ يكون الترتيب صالحاً على الترديد لمعان متباينة، يتصور فيها معناه الأصلي ولا يتبين المراد منها، كأن يقع التعبير عن ذات بإحدى صفاتها، أو يكنى عن حقيقة بإحدى خواصها، أو أحد لوازمها. . فينشأ عن ذلك إجمال يتطلب بياناً، أو إبهام يتطلب تعييناً . . ولما كان الذين اتصلوا أولاً بتلك المجملات أو المبهمات أو المطلقات قد رجعوا إلى المبلغ ـ صلى الله عليه وسلم ـ في طلب بيانها أو تعيينها أو تقييدها فتلقوا عندما أفادهم، فاطلعوا بأن الذين أتوا بعدهم احتاجوا إلى معرفة تلك الأمور المأثورة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتتضح لهم تلك المعاني كما اتضحت لمن قبلهم . . .»[(٢)].

وبذا تبين أن التفسير نشأ منذ بدء الوحي، إذ احتاج إليه الصحابة، ثم زادت حاجة التابعين إلى التفسير ولا سيما ما رآه الصحابة وسمعوه من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يتمكنوا هم من رؤيته ولا سماعه. . ثم اشتدت حاجة تابعي التابعين.

وهكذا كلما بعد الناس عن عصر نزوله زادت الحاجة إلى التفسير بمقدار ما زاد من غموض[(٣)]. .

(١) الإتقان ٢/٢٩٦ ـ ٢٩٧. (٢) التفسير ورجاله من ١٠ ـ ١٣. (٣) راجع التفسير والمفسرون / للذهبي ١/١٠١ ـ ١٠٢.

فهم الصحابة للقرآن الكريم

نزل القرآن عربياً على رسول عربي، وقوم عرب، «هـو الذي بعث في الأميين رسـولاً منهم يتلو عليهم آياته. .» فكانوا أخبر بلغتهم، وفهموا القرآن حق فهمه، وقد يشكل عليهم فهم آية منه فيرجعون إلى القرآن نفسه، فقد يجدون فيه توضيحاً أو تفصيلاً. وإلا رجعوا إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليفسر لهم ما أشكل عليهم. . .

وكان الصحابة يجتهدون في فهم القرآن الكريم مستعينين على ذلك بـ:[1]

١ ـ معرفة أوضاع اللغة وأسرارها.

٢ ـ معرفة عادات العرب.

٣ ـ معرفة أحوال اليهود والنصارى في الجزيرة وقت نزول القرآن.

٤ ـ قوة الفهم وسعة الإدراك.

وبدهي أن يتفاوت الصحابة في توافر هذه الأدوات عندهم، وبالتالي في فهم القرآن الكريم، فلم يكونوا جميعاً في مرتبة واحدة، ومن هنا كان الاختلاف اليسير بينهم في تفسير القرآن الكريم.

ومن ذلك:

ـ ما روي من أن الصحابة فرحوا حين نزل قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ لظنهم أنها مجرد إخبار وبُشرى بكمال الدين، ولكن عمر بكى وقال: ما بعد الكمال إلا النقص، مستشعراً نعي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقد كان مصيباً في ذلك، إذ لم يعش النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدها إلا أحد وثمانين يوماً كما روي»[2].

ـ وفيه ما رواه البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:[3]

«كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه وقال: لم يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله؟

فقال عمر: إنه من أعلمكم، فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم إلا ليريهم، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟

فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره. إذ نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟

فقلت: لا. فقال: ما تقول؟

قلت: هو أجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أعلمه الله له، قال: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول».

---

(١) راجع التفسير والمفسرون ١/٥٩ وما بعدها.

(٢) الموافقات للشاطبي ج٣ /٣٨٤، التفسير والمفسرون ١/٦١، ٦٢.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/٥١٩،/ باب التفسير، وكذا أسد الغابة.

ـ وقال ابن عباس: [١]

«كنت لا أدري «ما فاطر السموات والأرض»، حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها. يقول: أنا ابتدأتها».

أشهر مفسري القرآن من الصحابة

عد السيوطي عدداً من مفسري القرآن من الصحابة ذكر منهم:

الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبا موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

أما الخلفاء الثلاثة الأول فالرواية عنهم في التفسير قليلة جداً، وذلك بسبب تقدم وفاتهم، ولانشغالهم بمهام الخلافة[٢].

١ ـ علي بن أبي طالب:

وأما علي ـ كرم الله وجهه ـ فهو أكثرهم تفسيراً للقرآن، وذلك لأنه لم يشغل بالخلافة، وإنما كان متفرغاً للعلم حتى نهاية عصر عثمان. . .

وكثرة مرافقته للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،وسكناه معه، وزواجه من ابنته فاطمة إلى جانب ما حباه الله من الفطرة السليمة. . . . كل ذلك أورثه العلم الغزير. حتى قالت عائشة رضي الله عنها: [٣]

«أما إنه لأعلم الناس بالسنة» في زمن كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ متوافرين.

وروى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال:

«شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم: أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل».

وقيل لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟

قال: لا، والله لا أعلمه.

وقال ابن مسعود: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن»[٤].

نموذج من تفسير علي ـ رضي الله عنه ـ للقرآن:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً﴾: إن الإيمان يبدو

---

(١) الاتقان ٢/١١٣.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في التفسير ٨٤، والتفسير والمفسرون للذهبي ١/٦٤، ٦٥.

(٣) الاستيعاب ٣/١١٠٤، أسد الغابة ٤/٢٩.

(٤) راجع الاتقان ٢/٣١٩.

لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان عظماً ازداد ذلك البياض، حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب، فكلما ازداد النفاق ازداد بذلك السواد، حتى يسود القلب كله، وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود»[١].

٢ ـ عبد الله بن مسعود:

هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح، وقيل «شمخ»... ينتهي نسبه إلى مضر. يكنى بأبي عبد الرحمن، وأمه: أم عبد بنت عبد ود من هذيل، وكان يقال له: ابن أم عبد.

أسلم قديماً قبل عمر بن الخطاب، وكان سبب إسلامه: حين مر به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وهو يرعى غنماً، فسألاه لبنا فقال: إني مؤتمن، قال فأخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عناقاً لم ينز عليها الفحل، فاعتقلها، ثم حلب وشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: أقلص، فقلص، فقلت: علمني من هذا الدعاء، فقال: إنك غلام معلم... الحديث[٢].

كان عبد الله من أحفظ الصحابة لكتاب الله وأقرئهم له، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطلب منه أن يقرأه عليه، فقال له يوماً. اقرأ عليَّ سورة النساء. قال ابن مسعود: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، يقول: فقرأت عليه حتى بلغت: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ فاضت عيناه ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٣].

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:

«من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»[٤] وكان ابن مسعود حريصاً على فهم القرآن الكريم، يروي الطبري وغيره عن ابن مسعود أنه قال:

«كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن» وعن مسروق قال:[٥] قال عبد الله بن مسعود:

«والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه».

وطرق الرواية عن ابن مسعود متعددة، وأصح هذه الطرق ما جاء من:[٦]

١ ـ طريق الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود.

٢ ـ طريق مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود.

٣ ـ طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود.. وهذه الطرق الثلاثة أخرج منها البخاري في صحيحه.

---

(١) تفسير البغوي ـ ط المنار ٤/٢٧٣.

(٢) البداية والنهاية ٧/١٦٩، أسد الغابة ٣/٢٥٦ ـ ٢٦٠

(٣) البداية والنهاية ٧/١٦٩.

(٤) مسند الإمام أحمد ١/٧.

(٥) صحيح البخاري ـ كتاب الفضائل / باب مناقب عبد الله بن مسعود.

(٦) التفسير والمفسرون للذهبي ١/٨٧، ٨٨.

وهناك طرق أخرى كـ:

ـ طريق السدي الكبير عن مرة الهمذاني عن ابن مسعود. أخرج منها الحاكم في مستدركه وابن جرير في تفسيره ـ كثيراً.

ـ طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن مسعود. وهي طريق غير مرضية، أخرج منها ابن جرير في تفسيره أيضاً، وهي منقطعة، لأن الضحاك لم يلق ابن مسعود.

وكان لابن مسعود تلاميذ كثير في الكوفة، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ لما ولي عمار بن ياسر على الكوفة سير معه عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، فجلس الكوفيون إليه وتعلموا منه.

ويقول العلماء:

إن ابن مسعود هو الذي وضع الأساس لطريقة الإستدلال، وقد أثرت هذه الطريقة في مدرسة التفسير، فكثر التفسير بالرأي والاجتهاد[1]. وسوف يأتي ذكر تلاميذه عند حديثنا عن تفسير التابعين.

٣ ـ أبي بن كعب:

هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، سيد القراء[2]. كنيته: أبو المنذر أو أبو الطفيل.

شهد بيعة العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وهو أحد المشهورين. بحفظ القرآن من الصحابة، وبإقرائه. قال فيه عمر بن الخطاب: «أُبيّ أقرؤنا»[3].

وهو أحد الذين تتلمذ عليهم «ابن عباس». يقول ابن عباس: [4]

«ما حدثني أحد قط حديثاً فاستفهمته، فلقد كنت آتي باب أبي بن كعب وهو نائم فأقيل على بابه، ولو علم بمكاني لأحب أن يوقظ لمكاني من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكني أكره أن أمله».

كان أبي يكتب في مصحفه أشياء ليست من القرآن الكريم مما يعد شرحاً، أو تفسيراً، أو سبباً لنزول، أو مما نسخ، وكان يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[5] فمن ذلك مثلاً: دعاء القنوت[6].

وكان من أعلم الصحابة بكتاب الله وذلك لعدة عوامل:

* أنه كان من كتاب الوحي للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

* أنه كان حبراً من أحبار اليهود العارفين بأسرار الكتب القديمة وما ورد فيها.

وقد تعددت طرق الرواية عنه وأشهر هذه الطرق:

---

(١) المصدر السابق ١/١٢٠.

(٢) تهذيب التهذيب ١/١٨٧، غاية النهاية في طبقات القراء ١/٣١. أسد الغابة ١/٤٩ ـ ٥١.

(٣) رواه البخاري، وانظر طبقات القراء للذهبي ٦/٦٢٩ وكذا شهد له النبي ﷺ.

(٤) طبقات ابن سعد ٢/٣٧١.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ٢/٢٨.

(٦) راجع الاتقان ١/٦٦.

١ ـ طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي وهي طريق صحيحة، أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً، وأخرج الحاكم منها في مستدركه، والإمام أحمد في مسنده.

٢ ـ طريق وكيع عن سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، وهذه يخرج منها الإمام أحمد في مسنده، وهي على شرط الحسن[١].

وتلاميذ أبيّ كثير منهم: أبو العالية، زيد بن أسلم، محمد بن كعب القرظي وغيرهم. ويعد أبي بن كعب أستاذ مدرسة التفسير في المدينة.

٤ ـ عبد الله بن عباس[٢]:

هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم... يلتقي مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجد الأول (عبد المطلب)، فهو ابن عم رسول الله.

ولد إبان المقاطعة الإقتصادية التي فرضتها قريش على بني المطلب، أي قبل الهجرة بثلاث سنوات.

لازم ابن عباس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، لكن الرسول توفي ولابن عباس من العمر ثلاث عشرة سنة، وقيل خمس عشرة سنة..

وقد حظي ابن عباس بدعوة رسول الله له حين قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «اللهم علمه الكتاب والحكمة».

وفي رواية: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

واستجيبت دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فكان عبد الله بن عباس «ترجمان القرآن» يقول ابن مسعود:

«نعم ترجمان القرآن ابن عباس» وذلك لبراعته في التفسير، كما لقب بالحبر، لغزارة علمه. وبالبحر كذلك.

وإذا كان ابن عباس قد فاته طول الصحبة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد استعاض عن ذلك بملازمة كبار الصحابة، يسألهم، ويتعرف أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك.

يقول ابن عباس:[٣]

«لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللتين قال الله فيهما: ﴿إن تتوبا إلى الله﴾ولم أزل أتلطف له حتى عرفت أنهما حفصة وعائشة».

ويقول:

«وجدت عامة حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند الأنصار، فإني كنت لآتي الرجل فأجده نائماً، لو

---

(١) راجع التفسير والمفسرون ١/٩٢، ٩٣.

(٢) بعض الكتب التي تترجم للمفسرين من الصحابة تقدم ابن عباس على سائر الصحابة لتفوقه في هذا العلم، وبعضها ترجته بعد الثلاثين السابقين لتقدمهم في السن عليه وحداثته بينهم.

(٣) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي ١/٢٢.

شئت أن يوقظ لي لأوقظ، فأجلس على بابه تسفي على وجهي الريح حتى يستيقظ متى ما استيقظ، وأسأله عما أريد ثم أنصرف».

لقد تتلمذ ابن عباس على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولاً، فكان الرسول يعلمه ويربيه قال له يوماً:

«يا غلام. إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف».

وفي خلافة عمر كان لابن عباس تقدير خاص عنده، فكان يدنيه من مجلسه رغم حداثة سنه ـ كما ذكرنا.

وقد أفاد ابن عباس من هؤلاء الذين يعدون بمثابة شيوخه:

عمر بن الخطاب، أبي بن كعب، علي بن أبي طالب، زيد بن ثابت، روى عبد الرزاق عن معمر قال:(١)

«عامة علم ابن عباس من ثلاثة: عمر وعلي وأبي بن كعب».

وذكر ابن الأثير الجزري في ترجمة ابن عباس أنه(٢) «حفظ المحكم في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم عرض القرآن على أبي بن كعب وزيد بن ثابت. وقيل إنَّه قرأ على علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه».

لقد أوتي ابن عباس علماً غزيراً جعله أبرز المفسرين وأتمهم اضطلاعاً بالتفسير حتى إنه «لم يبق عند منتصف القرن الأول من الهجرة من بين الصحابة وغيرهم إلا مذعن لابن عباس، مسلم له مقدرته الموفقة، وموهبته العجيبة، وعلمه الواسع في تفسير القرآن»(٣).

لقد امتلك ابن عباس أدوات المفسر فكان عالماً بأسرار العربية يحفظ الكثير من الشعر القديم ويحث الناس على النظر فيه قائلاً:(٤)

«إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي».

وهو القائل:(٥)

«الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه».

وقد ذكر السيوطي بسنده حواراً داربين نافع بن الأزرق وابن عباس فقال:(٦)

بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر:

قم بنا إلى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه، فقالا: إنا نريد أن نسألك عن

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٤١/١.
(٢) طبقات القراء ٤٢٥.
(٣) التفسير ورجاله / ابن عاشور ص ١٦.
(٤) التفسير ورجاله / ابن عاشور ص ١٧.
(٥) الإتقان ١١٩/١، غاية النهاية في طبقات القراء ٤٢٦.
(٦) الإتقان ١٢٠/١.

أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع:

أخبرني عن قول الله تعالى ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾.

قال: العزون: حَلَق الرفاق.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم. أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال: أخبرني عن قوله: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾.

قال: الوسيلة: الحاجة.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم. أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحّلي وتخضّبي

إلى آخر المسائل وأجوبتها(١).

وهي إن دلت فإنما تدل على سعة علمه بلغة العرب، وقوة ذاكرته، مما جعله إمام التفسير في عهد الصحابة، ومرجع المفسرين في الأعصر التالية لعصره، وهو إمام مدرسة التفسير في مكة، وأول من ابتدع الطريقة اللغوية في تفسير القرآن.

طرق الرواية عن ابن عباس.

تعددت طرق الرواية عن ابن عباس، واختلفت تلك الطرق. . وأشهر هذه الطرق وأصحها:(٢)

١ - طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، وتعد هذه الطريق من السلاسل الذهبية، وقد أخرج منها ابن جرير الطبري، وعبد الرزاق في تفسيرهما.

٢ - طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء بن أبي رباح - وعن عكرمة أحياناً - عن ابن عباس، وقد أخرج منها عبد الرزاق في تفسيره.

٣ - طريق معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. . وقالوا:

إن هذه أجود الطرق عنه، وفيها قال الإمام أحمد - رضي الله عنه - «إن بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً».

وقال الحافظ ابن حجر:

«وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن

(١) راجعها في الإتقان ١/١٢٠ وما بعدها.

(٢) راجع: الإتقان ٢/١٨٨، التفسير والمفسرون ١/٧٧، ٨٨، حبر الأمة عبد الله بن عباس ص ١٨٢.

ابن عباس، وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس».

٤ ـ طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وهناك طرق أخرى تلي هذه الطرق...[١].

وكان لابن عباس مدرسة في التفسير بمكة، فكان يجلس لأصحابه من التابعين يفسر لهم كتاب الله تعالى.

يقول الإمام ابن تيمية:

«أما التفسير، فأعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم..»[٢]..

قيمة التفسير المأثور عن الصحابة

بعض المحدّثين يعطي التفسير المأثور عن الصحابي حكم المرفوع، ومن هؤلاء الإمام الحاكم في مستدركه إذ يقول:[٣]

«ليعلم طالب الحديث: أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل ـ عند الشيخين ـ حديث مسند».

ولكن قيد «ابـن الصلاح والنووي» وغيرهما هذا الإطلاق بما يرجع إلى أسباب النزول، وما لا مجال للرأي فيه.

يقول ابن الصلاح:[٤]

«ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند، فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي، أو نحو ذلك مما لا يمكن أن يؤخذ إلا عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا مدخل للرأي فيه، كقول جابر ـ رضي الله عنه ـ: كانت اليهود تقول:

من أتى امرأة من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله عز وجل:

﴿نساؤكم حرث لكم﴾ .. الآية. فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمعدودة في الموقوفات».

وذكروا أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا لم يكن للرأي فيه مجال. وأما ما يكون للرأي فيه مجال فله حكم الموقوف.

وما حكم عليه بالوقف:

قال بعض العلماء: لا يجب الأخذ به لأنه مجتهد فيه وقد يصيب وقد يخطىء.

وقال بعضهم:

يجب الأخذ به لأنه إما سمعه من الرسول، وإما فسره برأيه، وهم أدرى الناس بكتاب الله، وهم أهل اللسان،

---

(١) راجع: حبر الأمة عبد الله بن عباس ١٤٦ وما بعدها.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ١٥.

(٣) راجع: تدريب الراوي ص ٦٤، التفسير والمفسرون للذهبي ١/٩٤.

(٤) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٤.

ولما شاهدوه من القرائن والأحوال ولاسيما ما ورد عن الأئمة الأربعة وابن مسعود وابن عباس وغيرهم [١].

يقول الزركشي: [٢]

«اعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل، وقسم لم يرد. والأول: إما أن يرد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أو الصحابة، أو رؤوس التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند. والثاني ينظر فيه تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتماده، أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه...».

ويقول الحافظ ابن كثير: [٣]

«.. وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، ولا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة، والخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم».

مدرسة مكة
تلاميذ ابن عباس

١ ـ سعيد بن جبير

هو: [٤] سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، مولى بني والبة، يكنى بأبي محمد[٥] أو بأبي عبد الله[٦]. كان حبشي الأصل، أسود اللون، أبيض الخصال[٧].

هو أحد كبار التابعين، وإمام من أئمة الإسلام في التفسير، وكثرة العمل الصالح.

كان في أول أمره كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود، ثم لأبي بردة الأشعري، ثم تفرغ للعلم حتى صار إماماً علماً[٨].

أخذ العلم عن ابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن مغفل المزني وغيرهم. وتخرج من مدرسة ابن عباس[٩].

وكان ابن عباس يثق بعلمه، ويحيل عليه من يستفتيه، وكان يقول لأهل الكوفة إذا أتوه ليسألوه عن شيء: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني سعيد بن جبير[١٠].

---

(١) التفسير والمفسرون ص ٩٥ (بتصرف).

(٢) البرهان ٢//١٨٣.

(٣) مقدمة تفسير ابن كثير / الجزء الأول.

(٤) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/٢٥٦، تقريب التهذيب ١/٢٩٢، وفيات الأعيان ١/٢٠٤، تهذيب التهذيب ٤/١١، البداية والنهاية ٩/١٠٣، الأعلام ٣/١٤٥.

(٥)، (٦) طبقات ابن سعد، والبداية والنهاية وغيرهما.

(٧) التفسير والمفسرون ١/١٠٤.

(٨) الإسرائيليات والموضوعات ٩٥.

(٩) الإسرائيليات والموضوعات ٩٥.

(١٠) التفسير والمفسرون ١/١٠٥.

وكان يحب أن يسمع منه، قال له مرة: حدِّث، فقال: أحدّث وأنت هنا؟ فقال: أليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد فإن أصبت فذاك، وإن أخطأت علمتك[١].

مكانته في التفسير: كان ـ رضي الله عنه ـ من أعلم التابعين بالقراءات. يقول إسماعيل بن عبد الملك:[٢] «كان سعيد بن جبير يؤمنا في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود، وليلة بقراءة زيد بن ثابت، وليلة بقراءة غيره، وهكذا أبداً».

وساعدته معرفته بالقراءات على معرفة معاني القرآن وأسراره، ومع ذلك كان يتورع من القول في التفسير برأيه.

يروي ابن خلكان:[٣] «أن رجلاً سأل سعيداً أن يكتب له تفسير القرآن فغضب وقال: لأن يسقط شقي أحب إليَّ من ذلك».

وقد شهد له التابعون بتفوقه في العلم ولا سيما التفسير. قال قتادة:[٤] «وكان أعلم الناس [illegible]، كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بالسير، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام».

وقال سفيان الثوري:[٥] «خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة، والضحاك».
وقال خصيف:[٦]

«كان من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب، وبالحج عطاء، وبالحلال والحرام طاوس، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير».

نموذج من تفسيره: قال سعيد بن جبير: السبع المثاني هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس. قال: وسميت بذلك لأنها بينت فيها الفرائض والحدود[٧].

قتله:

قتل ـ رضي الله عنه ـ سنة أربع وتسعين من الهجرة، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي صبراً، وذلك: أن سعيد بن جبير خرج على الخليفة مع ابن الأشعث، فلما قتل ابن الأشعث وانهزم أصحابه من دير الجماجم هرب سعيد فلحق بمكة، وكان واليها خالد بن عبد الله القسري، فأخذه وبعث به إلى الحجاج. فقال له الحجاج: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير.

قال: بل أنت شقي بن كسير. قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك.
قال: شقيت أنت وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك.

قال: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/٢٥٧، ووفيات الأعيان ١/٢٠٤.
(٢) وفيات الأعيان ١/٢٠٤.
(٣) وفيات الأعيان ١/٢٠٤ ـ ٢٠٥.
(٤) الإسرائيليات والموضوعات ٩٥.
(٥) الإسرائيليات والموضوعات ص ٩٥.
(٦) وفيات الأعيان ١/٢٠٤ ـ ٢٠٥.
(٧) تفسير الطبري ١/٣٣، ٣٤.

قال: فما قولك في محمد؟. قال: نبي الرحمة وإمام الهدى.

قال: فما قولك في علي؟ أهو في الجنة أو هو في النار؟ قال لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها.

قال: فما قولك في الخلفاء؟. قال: لست عليهم بوكيل.

قال: فأيهم أعجب إليك؟. قال: أرضاهم لخالقهم.

قال: وأيهم أرضى للخالق؟. قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

قال: فما بالك لم تضحك؟. قال: وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار!!

قال: فما بالنا نضحك؟. قال: لم تستو القلوب.

ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه، فقال سعيد:

إن كنت جمعت هذا لتتقي به من فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا، ثم دعا الحجاج بالعود والناي، فلما ضرب بالعود، ونفخ بالناي بكى سعيد، فقال: ما يبكيك هو اللعب؟.

قال سعيد: هو الحزن، أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً، يوم النفخ في الصور، وأما العود فشجرة قطعت من غير حق، وأما الأوتار فمن الشاء تبعث معها يوم القيامة.

قال الحجاج: ويلك يا سعيد. قال: لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة.

قال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك.

قال: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة.

قال: أفتريد أن أعفو عنك؟. قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه، فلما خرج ضحك، فأخبر الحجاج بذلك فرده وقال: ما أضحكك؟. قال: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك.

فأمر بالنطع فبسط وقال: اقتلوه. فقال سعيد: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين.

قال: وجهوا به لغير القبلة. قال سعيد: فأينما تولوا فثم وجه الله.

قال: كبوه لوجهه. قال سعيد: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى.

قال الحجاج: اذبحوه. قال سعيد: أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة، ثم دُعيَ سعيد فقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي.

وكان الحجاج إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول: يا عدو الله فيم قتلتني؟

فيقول الحجاج: مالي ولسعيد بن جبير؟ مالي ولسعيد بن جبير؟[1]

---

(١) انظر / وفيات الأعيان ١/٢٠٥ ـ ٢٠٦، تذكرة ا لحفاظ ٧١ ـ ٧٣، البداية والنهاية ٩/١٠١ ـ ١٠٣.

ذكر عن الإمام أحمد أنه قال: [١]

قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج - أو قال مفتقر - إلى علمه..

٢ - مجاهد بن جَبْر:

هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج القرشي المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي. ولد سنة ٢١ هـ في خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي سنة ١٠٣ هـ[٢].

أحد أئمة التابعين والمفسرين، وأحد أعلام القراء، ومن خاصة أصحاب ابن عباس اشتهر بقوة حافظته، حتى قال ابن عمر وهو آخذ بركابه:

«وددت أن ابني سالماً وغلامي نافعاً يحفظان حفظك»[٣].

كان مجاهد شغوفاً بالعلم وخاصة التفسير. روى الفضل بن ميمون عن مجاهد قال: [٤] عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة.

ويقول أيضاً[٥]: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية، أسأله فيم نزلت، وكيف كانت؟

ولا تعارض بين الروايتين، فالأولى لتمام الضبط والتجويد، والثانية للعلم والتفسير.

أسند مجاهد عن أعلام الصحابة وعلمائهم، عن ابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وابن عمرو، وأبي سعيد، ورافع بن خديج... وروى عنه خلق من التابعين[٦].

مكانته في التفسير: كان مجاهد أقل أصحاب ابن عباس رواية عنه في التفسير، وكان أوثقهم.

قال سفيان الثوري: [٧] «إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به».

وقال ابن تيمية: [٨] «ولذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم» غير أن بعض العلماء كان لا يأخذ بتفسيره.. يقول أبو بكر بن عياش: قلت للأعمش، ما بال تفسير مجاهد مخالف؟ أو ما بالهم يتقون تفسير مجاهد؟

قال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب[٩].

لكن هذا لا يقدح في صدقه وعدالته، فقد «أجمعت الأمة على إمامته والاحتجاج به. وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة»[١٠].

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٦٦/٦، وفيات الأعيان ٢٠٦/١، الأعلام ١٤٥/٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٤٤٦/٥، تهذيب التهذيب ٤٢/١٠، البداية والنهاية ٢٣٢/٩.

(٣)، (٤) ميزان الاعتدال ٩/٣.

(٥) تهذيب التهذيب ٤٢/١٠.

(٦) البداية والنهاية ٢٣٢/٩.

(٧) تفسير الطبري ٣٠/١.

(٨) مقدمة في أصول التفسير ص ٧ لابن تيمية.

(٩) طبقات ابن سعد ٤٦٦/٥، ميزان الإعتدال ٣٣٩/٣.

(١٠) ميزان الاعتدال.

ثم إن سؤال أهل الكتاب أمر مباح ـ فيما لا يتعلق بحكم تشريعي ـ أباحه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ[١].

كان مجاهد ـ رضي الله عنه ـ يعطي عقله حرية واسعة في فهم بعض نصوص القرآن التي يبدو ظاهرها بعيداً، فإذا ما مر بنص قرآني من هذا القبيل وجدناه ينزله بكل صراحة ووضوح على التشبيه والتمثيل، وتلك الخطة كانت فيما بعد مبدءاً معترفاً به ومقرراً لدى المعتزلة في تفسير القرآن بالنسبة لمثل هذه النصوص»[٢].

نموذج من تفسير مجاهد: روى ابن كثير أن مجاهداً قال في قوله تعالى: ﴿**وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾ قال: أما الظاهرة فالإسلام والقرآن والرسول والرزق، وأما الباطنة فما ستر من العيوب والذنوب[٣].

وقال في قوله تعالى: ﴿**ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون**﴾ قال: من لم يتب إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين[٤].

٣ ـ عكرمة

هو: عكرمة بن عبد الله البربري المدني، مولى عبد الله بن عباس، يكنى بأبي عبد الله. أصله من البربر بالمغرب[٥].

سمع من مولاه «ابن عباس»، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وعمرو بن العاص، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وغيرهم[٦].

تتلمذ على يدي عبد الله بن عباس، وكان ابن عباس لا يـألو جهداً في تثقيفه وتعليمه، بل إنه كان يقسو عليه حتى يعلمه. روى ابن أبي شيبة عن عكرمة قال:[٧]

«كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبْل يعلمني القرآن والسنة».

وروى البخاري في صحيحه عن عكرمة أن ابن عباس قال له:[٨]

«حدّث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تملّ الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه لا يفعلون ذلك».

لقد اهتم ابن عباس بتلميذه هذا اهتماماً كبيراً، وكأنه كان يعدّه ليكون خليفته في تفسير القرآن، وكان يكافئه إذا ما أحسن فهم آية أشكلت على ابن عباس.

---

(١) يقول ـ ﷺ ـ: بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.
(٢) التفسير والمفسرون ١/١٠٨.
(٣)، (٤) البداية والنهاية ٩/٢٣٤.
(٥) طبقات ابن سعد ٥/٢٨٧، وفيات الأعيان ١/٣١٩، البداية والنهاية ٩/٢٥٤، الأعلام ٥/٤٣.
(٦) طبقات ابن سعد ٥/٢٨٧.
(٧) البداية والنهاية ٩/٢٥٥، والكبْل: القيد.
(٨) ميزان الإعتدال ٣/٩٣.

روى داود بن أبي هند عن عكرمة قال:

قرأ ابن عباس هذه الآية ﴿لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ قال ابن عباس: لم أدر أنجا القوم أم هلكوا؟. قال: فما زلت أبين له حتى عرف أنهم نجوا، فكساني حلة[١].

قال شهر بن حوشب: «عكرمة حبر هذه الأمة»[٢].

وقد شهد له الأئمة الأعلام بالثقة والعدالة:

قال المروزي: قلت لأحمد: يحتج بحديث عكرمة؟ فقال: نعم يحتج به[٣].

وقال ابن معين: إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة وفي حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام[٤].

وقال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة[٥].

وقد أخرج له: البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

علمه ومكانته في التفسير: كان عكرمة على درجة كبيرة من العلم، فهو من أعلم الناس بالسير والمغازي.

قال سفيان عن عمرو قال:[٦]

كنت إذا سمعت عكرمة يحدث عن المغازي كأنه مشرف عليهم ينظر كيف يصفون ويقتتلون وهو من علماء زمانه بالفقه والقرآن.

أما التفسير فقد شهد له الأئمة بذلك. يقول الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة[٧].

وقال حبيب بن أبي ثابت:

إجتمع عندي خمسة: طاوس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء فأقبل مجاهد وسعيد بن جبير يلقيان على عكرمة التفسير، فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهما، فلما نفد ما عندهما جعل يقول:

أنزلت آية كذا في كذا، وأنزلت آية كذا في كذا[٨].

نموذج من تفسير عكرمة: قال عكرمة من قوله تعالى ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ أي بالشهوات (وتربصتم) بالتوبة ﴿وغرتكم الأماني﴾ أي التسويف ﴿حتى جاء أمر الله﴾ الموت ﴿وغركم بالله الغرور﴾ الشيطان[٩].

وتوفي عكرمة رضي الله عنه بالمدينة سنة سبع ومائة للهجرة وقيل سنة أربع ومائة[١٠].

٤ ـ طاوس:

هو: طاوس بن كيسان الخولاني، أبو عبد الرحمن.

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/٢٨٨.
(٢) ميزان الاعتدال ٣/٩٣، مقدمة فتح الباري ص ٤٥٠.
(٣) مقدمة فتح الباري ص ٤٥٠.
(٤) معجم الأدباء ١٢/١٨٩.
(٥) مقدمة فتح الباري ص ٤٥٠.
(٦) البداية والنهاية ٩/٢٥٥، مقدمة فتح الباري ص ٤٥٠.
(٧) البداية والنهاية ٩/٢٥٥.
(٨) مقدمة فتح الباري ص ٤٥٠.
(٩) البداية والنهاية ٩/٢٥٩.
(١٠) تهذيب التهذيب ٧/٢٦٣ ـ ٢٧٣، تذكرة الحفاظ ١/٩٠، البداية والنهاية ٩/٢٥٣.

أول طبقة أهل اليمن من التابعين، وهو من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى إلى اليمن[١].

أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم، وروايته عن ابن عباس أكثر، وأخذه عنه في التفسير أكثر من غيره، ولهذا عُدّ من تلاميذ ابن عباس، وجاء ذكره في مدرسته بمكة[٢].

روى عنه خلق من التابعين، منهم: مجاهد، وعطاء، وعمر بن دينار وغيرهم[٣]. شهد له ابن عباس بالورع والتقوى فقال: «إني لأظن طاوساً من أهل الجنة»[٤]. وطاوس ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

كان طاوس ـ رضي الله عنه ـ جريئاً في الحق، لا يخشى فيه لومة لائم.

روى الزهري:[٥]

إن سليمان رأى رجلاً يطوف بالبيت، له جمال وكمال، فقال: من هذا يا زهري؟

فقلت: هذا طاوس، وقد أدرك عدة من الصحابة، فأرسل إليه سليمان، فأتاه، فقال: لو ما حدثتنا؟! فقال:

حدثني أبو موسى قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

«إن أهون الخلق على الله عز وجل من ولي أمور المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم». فتغير وجه سليمان، فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه فقال: لو ما حدثتنا!!

فقال: حدثني رجل من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ابن شهاب: ظننت أنه أراد علياً ـ قال:

دعاني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى طعام في مجلس من مجالس قريش، ثم قال:

إن لكم على قريش حقاً، ولهم على الناس حق، ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا ائتمنوا أدوا، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

قال: فتغير وجه سليمان، وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه وقال: لو ما حدثتنا!! فقال: حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾[٦].

علمه: بلغ طاوس من العلم مبلغاً عظيماً، وكان واثقاً من علمه هذا...

أنكر عليه سعيد بن جبير قوله عن ابن عباس: إن الخلع طلاق، فلقيه مرة فقال له: «لقد قرأت القرآن قبل أن تولد، ولقد سمعته وأنت إذ ذاك همك لقم الثريد».

وقال قيس بن سعد:

«كان طاوس فينا مثل ابن سيرين فيكم».

والتفسير المأثور عنه قليل جداً، ومعظمه يرويه عن ابن عباس، ولقلة التفسير المأثور عنه وطول باعه في الفقه قالوا عنه: إنه فقيه لا مفسر، وعده علماء الفقه فقيهاً.

نموذج من تفسيره: قال في قوله تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله﴾ الآية

---

(١) البداية والنهاية ٩/٢٤٤.
(٢) التفسير والمفسرون ١/١١٤.
(٣) البداية والنهاية ٩/٢٤٥.
(٤) تهذيب التهذيب ٥/٩.
(٥) البداية والنهاية ٩/٢٤٧
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٨١.

«هو الرجل يعطي العطية ويهدي الهدية ليثاب أفضل من ذلك، ليس فيه أجر ولا وزر».

وقد توفي طاوس - رضي الله عنه - يوم السابع من ذي الحجة سنة ١٠٦ هـ، ووافته منيته وهو يحج بيت الله الحرام، وصلى عليه هشام بن عبد الملك وهو خليفة.

٥ ـ عطاء بن أبي رباح:

هو: عطاء بن أبي رباح، وأبو رباح هو: أسلم بن صفوان، مولى آل أبي ميسرة بن أبي خُثيم الفهري[(١)].

سيد التابعين علماً وعملاً وإتقاناً في زمانه بمكة[(٢)].

قال ابن سعد:[(٣)]
سمعت بعض أهل العلم يقول: كان عطاء أسود، أعور، أفطس، أشل، أعرج، ثم عمى بعد ذلك.

وكان ثقة، فقيهاً، عالماً، كثير الحديث.

قال أبو جعفر الباقر وغير واحد:[(٤)]

ما بقي أحد في زمانه أعلم بالمناسك منه، وزاد بعضهم: وكان قد حج سبعين حجة، وعُمِّر مائة سنة، وكان في آخر عمره يفطر في رمضان من الكبر والضعف، ويفدي عن إفطاره.

روى عن عدد كثير من الصحابة، منهم ابن عمر، وابن عمرو، وعبد الله بن الزبير، وأبو هريرة وغيرهم.

وسمع من ابن عباس التفسير وغيره. وروى عنه من التابعين عدة منهم: الزهري، وعمرو بن دينار، وقتادة، والأعمش وغيرهم[(٥)].

مكانته في التفسير: كان ابن عباس يقول لأهل مكة إذا جلسوا إليه: تجتمعون إليّ يا أهل مكة وعندكم عطاء؟[(٦)].

وقال قتادة:[(٧)]
كان أعلمُ التابعين أربعة: كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بالسير، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام.

لم يكن عطاء مكثراً من رواية التفسير عن ابن عباس فضلاً عن تفسيره هو، ولعل إقلاله في التفسير يرجع إلى تحرجه من القول بالرأي[(٨)].

قال عبد العزيز بن رفيع:[(٩)] سئل عطاء عن مسألة فقال: لا أدري، فقيل له: ألا تقول فيها برأيك؟ قال: إني أستحي من الله أن يدان في الأرض برأيي.

لكنه كان يدلي برأيه ـ أحياناً ـ في التفسير.

---

(١) طبقات ابن سعد ٤٦٧/٥، وفيات الأعيان ٣١٨/١، البداية والنهاية ٣١٧/٩، ٣١٨.
(٢) ميزان الإعتدال ٧٠/٣
(٣) طبقات ابن سعد ٤٩٦/٥، البداية والنهاية ٣١٨/٩.
(٤) البداية والنهاية ٣١٨/٩.
(٥) البداية والنهاية ٣١٨/٩.
(٦) تذكرة الحفاظ ٩١/١.
(٧) طبقات ابن سعد ٤٦٩/٥.
(٨) التفسير والمفسرون ١١٥/١.
(٩) التفسير والمفسرون ١١٥/١.

روى الطبراني ـ بسنده ـ عن يحيى بن ربيعة الصنعاني قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في قوله تعالى: ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ قال: كانوا يقرضون الدراهم، قيل: كانوا يقصون منها ويقطعونها(١).

وقيل لعطاء: إن ها هنا قوماً يقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فقال ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ فما هذا الهدى الذي زادهم؟. قلت: ويزعمون أن الصلاة والزكاة ليستا من دين الله، فقال: قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ فجعل ذلك دينا(٢).

وتوفي رضي الله عنه سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة(٣).

وبعد. .

فهذه هي مدرسة التفسير بمكة، تلك التي أسسها حبر الأمة عبد الله بن عباس، وهؤلاء أشهر شيوخها الذين تخرجوا فيها على يدي ابن عباس، وفي نهاية مطافنا معها نرصد ما يلي:

* كان لهذه المدرسة دور ضخم في نشر التفسير، وقد هيأ لها هذا الدور: نبوغ شيوخها، بالإضافة إلى موطن المدرسة «مكة» حيث البيت الحرام الذي يأتيه الناس من كل فج عميق.

* لم يكتف شيوخ هذه المدرسة بنشر التفسير في مكة، وإنما كان لهم دور بالغ الأهمية خارج مكة. . فقد كان لسعيد بن جبير رحلة إلى الري نشر فيها الكثير من العلم(٤)، وكذلك كان لمجاهد رحلات خارج مكة، واستقر طاوس باليمن ينشر هناك علم ابن عباس وتفسيره، وأما عكرمة فقد طاف البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، إذ رحل إلى خراسان، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، والحرمين(٥).

جزى الله هؤلاء الأعلام عن القرآن والمسلمين خير الجزاء.

مدرسة المدينة

تلاميذ أبي بن كعب

قامت مدرسة المدينة في التفسير على الصحابي الجليل أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ فهو أستاذها وأشهر مفسريها.

وكان بالمدينة كثير من الصحابة، أقاموا بها، فجلسوا إلى «أبي» يعلمهم كتاب الله وسنته. . ومن أشهر هؤلاء:

١ ـ أبو العالية:

هو: زياد، وقيل: رفيع بن مهران الرياحي، مولاهم(٦).

---

(١)، (٢) البداية والنهاية ٩/٣١٨، ٣١٩.

(٣) المصدر نفسه ٩/٣١٧.

(٤) راجع: حبر الأمة عبد الله بن عباس ص ١٤٥.

(٥) راجع: وفيات الأعيان ١/٣١٩، معجم الأدباء ١٢/١٨١، البداية والنهاية ٩/٢٥٤.

(٦) راجع: تهذيب التهذيب ٣/٢٨٤ ـ ٢٨٥، ومقدمة فتح الباري ص ٤٢٢، وانظر: التفسير والمفسرون ١/١١٦، ١١٧.

مخضرم، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - بسنتين.

روى عن: علي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وأبي بن كعب، وغيرهم.

كان من ثقات التابعين، وقد أجمع عليه أصحاب الكتب الستة.

كان يحفظ القرآن ويتقنه، قال:

«قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم بعشر سنين».

وقال: «قرأت القرآن على عهد عمر ثلاث مرات».

وقال فيه ابن أبي داود:

«ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية».

رويت عنه نسخة كبيرة في التفسير، رواها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي، وهو إسناد صحيح.

توفي سنة تسعين من الهجرة على أرجح الأقوال.

٢ - محمد بن كعب القرظي:

هو: محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، المدني، أبو حمزة، أو أبو عبد الله. له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة منهم:

علي، وابن مسعود، وابن عباس، وغيرهم. وروي عن أبي بن كعب بالواسطة[١].

قال فيه ابن سعد:[٢] كان ثقة، عالماً، كثير الحديث، ورعاً. وهو من رجال الكتب الستة.

قال فيه ابن عون:[٣]

ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي.

نموذج من تفسيره:[٤] **قال في قوله تعالى: ﴿.. اصبروا وصابروا ورابطوا..﴾** اصبروا على دينكم، وصابروا لوعدكم الذي وعدتم، ورابطوا عدوكم الظاهر والباطن، واتقوا الله فيما بيني وبينكم، لعلكم تفلحون إذا لقيتموني.

توفي سنة مائة وثمان من الهجرة[٥] وقيل بعد ذلك.

٣ - زيد بن أسلم:

هو:[٦] زيد بن أسلم العدوي، المدني، الفقيه، المفسر. أبو أسامة أو أبو عبد الله.

---

(١) البداية والنهاية ٢٦٨/٩ وما بعدها.

(٢)، (٣) راجع: التفسير والمفسرون ١١٧/١، والإسرائيليات والموضوعات ٩٨.

(٤) البداية والنهاية ٢٦٨/٩.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) تهذيب التهذيب ٣٩٥/٣ - ٣٩٧، وراجع: التفسير والمفسرون ١١٨/١، ١١٩.

كان أبوه مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. . .

وكان زيد من كبار التابعين الذين عرفوا القول بالتفسير.

قال فيه الإمام أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي: ثقة، وهو عند أصحاب الكتب الستة.

عرف بغزارة العلم. كان يقرأ القرآن برأيه ولا يتحرج من ذلك، إذ يرى جواز التفسير بالرأي.

وأشهر من أخذ التفسير عن زيد بن أسلم من علماء المدينة: ابنه عبد الرحمن بن زيد، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة.

وتوفي سنة ست وثلاثين ومائة للهجرة، وقيل غير ذلك.

مدرسة العراق

تلاميذ عبد الله بن مسعود

قامت هذه المدرسة على عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وغيره، إلا أن ابن مسعود هو أشهر أساتذتها، أو هو أستاذها الأول لطول باعه في هذا الميدان، بالإضافة إلى أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين ولى عمار بن ياسر على الكوفة سيّر معه عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، فجلس إليه أهل الكوفة وأخذوا عنه أكثر من غيره.

ومن أهم سمات هذه المدرسة: شيوع طريقة الاستدلال فيها، نظراً لأن أهل العراق عرفوا بأنهم أهل الرأي، وقد وضع حجر الأساس لهذه الطريقة عبد الله بن مسعود[١].

ومن أشهر رجال هذه المدرسة:

١ ـ علقمة بن قيس:

هو: علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك، أبو شبل، النخعي، الكوفي.

كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم. وكان يشبه بابن مسعود، وكان أعلم أصحابه بعلم ابن مسعود[٢].

قال عثمان بن سعيد: «قلت لابن معين: علقمة أحب إليك أم عبيدة؟ فلم يخير، قال عثمان: كلاهما ثقة، وعلقمة أعلم بعبد الله».

وروى عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: ما أقرأ شيئاً ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه ويعلمه.

قال فيه الإمام أحمد: ثقة من أهل الخير. وهو عند أصحاب الكتب الستة.

مات سنة إحدى وستين، وقيل سنة اثنتين وستين عن تسعين سنة[٣].

---

(١) التفسير والمفسرون ١/١٢٠ (بتصرف وإيجاز).

(٢) تهذيب التهذيب ٧/٢٧٦ ـ ٢٧٨، البداية والنهاية ٨/٢١٩.

(٣) راجع المصدرين السابقين.

٢ ـ مسروق:

هو: مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني، الكوفي، العابد، أبو عائشة.

سأله عمر يوماً عن اسمه فقال له: اسمي مسروق بن الأجدع، فقال عمر: الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبد الرحمن[١].

روى عن الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرهم.

وكان أعلم أصحاب ابن مسعود، وأكثرهم أخذا منه، قال علي بن المديني: ما أُقدم على مسروق أحداً من أصحاب عبد الله، يعني ابن مسعود.

وقال الشعبي: ما رأيت أطلب للعلم منه.

وقد وثقه علماء الجرح والتعديل، فقال ابن معين:

ثقة، لا يسأل عن مثله، وقال ابن سعد: كان ثقة. وله أحاديث صالحة، وقد أخرج له الستة.

توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ثلاث وستين من الهجرة على الأشهر[٢].

٣ ـ عامر الشعبي:

هو: عامر بن شراحيل الشعبي، الحميري، الكوفي، التابعي الجليل أبو عمرو.

قاضي الكوفة[٣].

كان علّامة أهل الكوفة، إماماً حافظاً، ذا فنون.

وقد أدرك خلقاً من الصحابة وروى عنهم، ومنهم: عمر، وعلي، وابن مسعود وإن لم يسمع منهم، وروى عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم.

قال الشعبي: أدركت خمسمائة من الصحابة..

والشعبي ثقة، فهو عند أصحاب الكتب الستة، وقال ابن حبان في الثقات: كان فقيهاً شاعراً.

وعن سليمان بن أبي مجلز قال: ما رأيت أحداً أفقه من الشعبي، لا سعيد بن المسيب، ولا طاوس، ولا عطاء، ولا الحسن، ولا ابن سيرين.

وقال ابن سيرين:

قدمت الكوفة وللشعبي حلقة، وأصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يومئذ كثير[٤].

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠/١٠٩ ـ ١١١، التفسير والمفسرون ١/١٢١، ١٢٢، الإسرائيليات والموضوعات ٩٩.

(٢) تهذيب التهذيب ١٠/١٠٩ ـ ١١١، التفسير والمفسرون ١/١٢١، ١٢٢، الإسرائيليات والموضوعات ٩٩.

(٣) تهذيب التهذيب ٥/٦٥ ـ ٦٩، البداية والنهاية ٩/٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٤) راجع لهذه الأقوال: تهذيب التهذيب، البداية والنهاية، والتفسير والمفسرون.

ومع أنه قد أوتي هذا الحظ الوافر من العلم لم يكن جريئاً على كتاب الله حتى يقول فيه برأيه. قال ابن عطية:[١]

كان جلة من السلف كسعيد بن المسيب، وعامر الشعبي يعظمون تفسير القرآن، ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم وتقدمهم.

توفي سنة أربع ومائة من الهجرة[٢]، وقيل سنة تسع ومائة.

٤ ـ الحسن البصري:

هو: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، مولى الأنصار. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ربي في حجرها وأرضعته بلبانها، فعادت عليه بركة النبوة[٣].

ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب..

وهو أحد كبار التابعين الأجلاء علماً وعملاً وإخلاصاً، شهد له بالعلم خلق كثير.

قال أنس بن مالك:

«سلوا الحسن فإنه حفظ ونسينا» وقال سليمان التيمي: «الحسن شيخ أهل البصرة». وروى أبو عوانة عن قتادة أنه قال:

«ما جالست فقيهاً قط إلا رأيت فضل الحسن عليه».

وكان أبو جعفر الباقر يقول عنه: «ذلك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء»[٤].

وقد التزم الحسن البصري بمنهجه السلفي في تفسير الآيات المتعلقة بالله وصفاته، ولم يمنعه هذا الالتزام من حرية العقل حين تعرض لغيرها، يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له، وهذه هي عقيدة السلف التي بنوها على ما تعلق بالآية من سبب لنزولها، فعن أبي هزيرة قال:

جاءت مشركو قريش إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخاصمونه في القدر، فنزلت هذه الآية ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[٥].

وكان الحسن يعمل عقله وفكره في فهم القرآن وتفسيره. يقول في قوله تعالى: ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾:

---

(١) مقدمة تفسير القرطبي ١/٣٤.

(٢) البداية والنهاية ٩/٢٣٩.

(٣) تهذيب التهذيب ٢/٢٦٣ ـ ٢٧٠، البداية والنهاية ٩/٢٨٠، الحسن البصري للإمام أبي الفرج بن الجوزي ـ هدية مجلة الأزهر / محرم ١٤٠٨ هـ.

(٤) تهذيب التهذيب ٢/٢٦٣.

(٥) البغوي الفراء ٢٢١.

«إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال لابثين فيها أحقاباً، فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد فليس للأحقاب عدة إلا الخلود»[١].

وتوفي رحمه الله سنة عشر ومائة من الهجرة عن ثمان وثمانين سنة.

٥ ـ قتادة:

هو: قتادة بن دعامة السدوسي، الأكمه، أبو الخطاب، عربي الأصل، كان يسكن البصرة.

أحد علماء التابعين، والأئمة العاملين، روى عن أنس بن مالك وجماعة من التابعين منهم: سعيد بن المسيب، وأبو العالية، وزرارة بن أوفى، وعطاء، ومجاهد، وابن سيرين، ومسروق، وأبو مجلز وغيرهم[٢].

وحدث عنه جماعات من الكبار كالأعمش، وشعبة، والأوزاعي، غيرهم.

وكان قوي الحافظة، واسع الاطلاع في الشعر العربي، بصيراً بأيام العرب.

كان قتادة على مبلغ عظيم من العلم فضلاً عما اشتهر به من معرفته لتفسير كتاب الله تعالى: وقد شهد له بذلك كبار التابعين والعلماء.

قال فيه سعيد بن المسيب: «ما أتاني عراقي أحسن من قتادة».

وقد استخدم قتادة معرفته باللغة العربية في التفسير، وأعمل فكره في تفهم الآيات، بجانب روايته عن السلف.

وقد توفي رضي الله عنه سنة سبع عشرة ومائة من الهجرة عن ست وخمسين سنة على المشهور. وقيل سنة خمس عشرة ومائة[٣].

وبعد...

فهذه هي مدارس التفسير المشهورة في عصر التابعين، الذين تلقوا غالب أقوالهم في التفسير عن الصحابة، وبعضهم إستعان بأهل الكتاب، ثم اجتهدوا مستعينين على ذلك بما بلغوا من العلم ودقة الفهم، وقرب عهدهم من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعرب الخلص، فلم تفسد سليقتهم...

وهناك مدارس أخرى غير هذه المدارس الثلاث، ولكنها لم ترق لشهرة هذه الثلاث. ومن هذه: مدرسة مصر التي اشتهر من شيوخها:

يزيد بن حبيب الأزدي، وأبو الخير مرثد بن عبد الله وغيرهما.

ومدرسة اليمن التي أرسى دعائمها طاوس بن كيسان، وكان من أشهر شيوخها: وهب بن منبه الصنعاني.

وهكذا بذل هؤلاء التابعون جهداً ضخماً في حمل الأمانة عن الصحابة، ثم جاء تابعو التابعين ليكملوا

---

(١) البغوي الفراء ٢٢٢.

(٢) وفيات الأعيان ٢/١٧٩، البداية والنهاية ٩/٣٢٦، تهذيب التهذيب ٨/٣٥١.

(٣) راجع: تهذيب التهذيب ٨/٣٥١ ـ ٣٥٦، البداية والنهاية ٩/٣٢٥، ٣٢٦.

المسيرة وظلت تتوارث حتى وصلت إلينا، فجزى الله كل من أسهم في هذا العلم خير الجزاء، ونفعنا الله بالقرآن وعلومه. .

قيمة التفسير المأثور عن التابعين

تفسير التابعي إما أن يكون مأثوراً عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو عن صحابته، أو لا. فإن كان مأثوراً عن النبي يأخذ حكم تفسيره ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وكذلك إن كان مأثوراً عن الصحابة.

وإن لم يكن مأثوراً عن النبي ولا عن الصحابة فقد اختلف العلماء في الرجوع إليه والأخذ بأقوال التابعين فيه.

* فقد نقل عن أبي حنيفة أنه قال: (١)

ما جاء عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة تخيّرنا، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال.

* ونقلوا عن الإمام أحمد روايتين، إحداهما بالقبول، والأخرى بعدم القبول(٢).

وذهب بعض العلماء إلى أنه لا يؤخذ بتفسير التابعين، لأنهم لم يسمعوا من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخلاف تفسير الصحابة الذين سمعوا من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشاهدوا القرائن والأحوال.

وأكثر المفسرين على الأخذ بأقوال التابعين، لأنهم تلقوا على أيدي الصحابة كما سبق أن ذكرنا.

والرأي الذي نرجحه ونميل إليه هو ما ذكره ابن تيمية، قال: (٣)

«قال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير!! يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويُرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك».

سمات التفسير في تلك المرحلة

اتسم التفسير في تلك المرحلة بعدة سمات، من أبرزها: (٤)

* أنه اعتمد على التلقي والرواية، وغلب على التلقي والرواية طابع الاختصاص، فكان لكل بلد مدرسته وأستاذه، فمكة أستاذها ابن عباس، والمدينة أستاذها أبي بن كعب، والعراق أستاذه ابن مسعود. . . . وهكذا.

* دخول أهل الكتاب في الإسلام كان سبباً في تسلل الدخيل إلى علم التفسير، وقد تساهل التابعون في النقل عنهم ـ فيما لا يتعلق بالأحكام الشرعية ـ بدون تحرٍّ ونقد، وأكثر من رُوي عنه في ذلك من مسلمي أهل الكتاب:

---

(١) راجع: التفسير والمفسرون للذهبي ١/١٢٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مقدمة في أصول التفسير / ابن تيمية ٢٨ ـ ٢٩، الاتقان في علوم القرآن ٢/١٧٩.

(٤) راجع: التفسير والمفسرون ١/١٣١، ١٣٢.

عبد الله بن سلام، كعب الأحبار، وهب بن منبه، وغيرهم.

* كان بدهياً أن يختلف التابعون في التفسير، نظراً لتعددهم وكثرتهم واختلاف مدارسهم التي تخرجوا فيها، ولكنه خلاف ليس بالكثير إذا ما قيس بالعصور اللاحقة.

* كما ظهرت نواة الخلاف المذهبي، إذ ظهرت بعض التفسيرات تحمل في طياتها بذوراً لتلك المذاهب...

التفسير في عصر التدوين

تبدأ هذه المرحلة في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي. إذ انتشر التدوين بصورة واسعة، وعني العرب «بتدوين كل ما يتصل بدينهم الحنيف، فقد تأسست في كل بلدة إسلامية مدرسة دينية عنيت بتفسير الذكر الحكيم، ورواية الحديث النبوي، وتلقين الناس الفقه وشؤون التشريع. وكان كثير من المتعلمين في هذه المدارس يحرصون على تدوين ما يسمعونه.....»[(١)].

تدوين التفسير: اختُلف في أول من ألف تفسيراً «مكتوباً»، فبعضهم يذكر أن «عبد الملك بن جريج»[(٢)] [ت ١٤٩ هـ] هو أول من ألف تفسيراً مكتوباً..

وذكر ابن النديم: أن أبا العباس ثعلب قال: كان السبب في إملاء كتاب الفراء في المعاني أن عمر بن بكير كان من أصحابه، وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل، فكتب إلى الفراء: إن الأمير الحسن بن سهل، ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه فعلت، فقال الفراء لأصحابه: اجتمعوا حتى أملي عليكم كتاباً في القرآن..... فقال الفراء لرجل: اقرأ بفاتحة الكتاب نفسرها، ثم نوفي الكتاب كله، فقرأ الرجل وفسر الفراء، قال أبو العباس: «لم يعمل أحد قبله مثله، ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه».

وبذلك يكون ابن النديم قد عد «الفراء» أول من ألف تفسيراً للقرآن مدوّناً.

ولكن ابن حجر يذكر أن التفسير المدون كان قبل الفراء وقبل ابن جريج إذ يقول:[(٤)]

«وكان عبد الملك بن مروان [ت ٨٦ هـ] سأل سعيد بن جبير [ت ٩٥ هـ] أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير، فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير.

ويبدو أنه من الصعب تحديد أول من فسر القرآن تفسيراً مدوناً على تتابع آياته وسوره كما في المصحف.

أقسام التفسير

وظل الخلف يحمل رسالة السلف جيلاً بعد جيل حتى وصلت مسيرة التفسير إلى تابعي التابعين، وهنا تعددت إتجاهات التفسير إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية هي:

---

(١) تاريخ الأدب العربي / العصر الإسلامي د. شوقي ضيف ٤٥٢.

(٢) هو عبد الملك عبد العزيز بن جريج، أبو خالد، أو أبو الوليد، مولاهم، من علماء مكة ومحدثيها، ولد سنة ٨٠ هـ، توفي سنة ١٤٩ هـ، أول من صنف بالحجاز الكتب، نقل عنه ابن جرير في تفسيره. راجع طبقات ابن سعد.

(٣) الفهرست ص ٩٩.

(٤) تهذيب التهذيب ١٩٨/٧.

أولا ـ الإتجاه الأثري (التفسير بالمأثور).

والمأثور: اسم مفعول من أَثَرْتُ الحديثَ أثراً: نقلته، والأثَر اسم منه، وحديث مأثور: أي منقول.[١]

وعلى ذلك فهو يشمل المنقول عن الله تبارك وتعالى ـ في القرآن الكريم ـ، والمنقول عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، والمنقول عن الصحابة، والمنقول عن التابعين.

وجُلّ الذين يكتبون عن تاريخ التفسير ويتحدثون عن الإتجاه الأثري يبدأونه بالطبري «فيقطعون بذلك اتصال سلسلة التطور في الأوضاع التفسيرية بين القرن الأول والقرن الثالث بإضاعة الحلقة من تلك السلسلة التي تمثل منهج التفسير في القرن الثاني، لأن تفسير ابن جرير الطبري ألف في أواخر القرن الثالث، وصاحبه توفي في أوائل القرن الرابع.... وبالوقوف على هذه الحلقة ـ وهي إفريقية تونسية ـ يتضح كيف تطور فهم التفسير عما كان عليه في عهد ابن جريج، إلى ما أصبح عليه في تفسير الطبري، ويتضح لمن كان الطبري مديناً له بذلك المنهج الأثري النظري الذي درج عليه في تفسيره العظيم...

«ذلك التفسير هو أقدم التفاسير الموجودة اليوم على الإطلاق، ويعد صاحبه مؤسس طريقة التفسير النقدي، أو الأثري النظري الذي صار بعده «ابن جرير الطبري» واشتهر بها.

ذلك هو تفسير «يحيى بن سلام» التميمي البصري المتوفى سنة ٢٠٠ هـ، ويقع في ثلاث مجلدات ضخمة، وقد بناه على إيراد الأخبار مسندة، ثم تعقبها بالنقد والاختيار، وكان يبني اختياره على المعنى اللغوي والتخريج الإعرابي.. وتوجد من هذا التفسير نسخة بتونس[٢].

ويعد ابن جرير الطبري ربيب تلك الطريقة، طريقة يحيى بن سلام، وثمرة غرسه. وقد ذكر السيوطي عدداً من مفسري هذا الإتجاه الأثري منهم:

* يزيد بن هارون ت ١١٧ هـ.
* شعبة بن الحجاج ت ١٦٠ هـ.
* وكيع بن الجراح ت ١٩٧ هـ.
* سفيان بن عيينة ت ١٩٨ هـ، وغيرهم.

«ابن جرير الطبري»[٣]

لكن التفسير حين انتهى إلى الطبري في أوائل القرن الثالث الهجري «كان نهراً مزبداً، ذا ركام ورواسب، قد انصب إلى بحر خضَمٍّ عُبَاب، فامتزج بمائه، وتشرب من عناصره، وصفا إليه من زبده، وتطهر لديه من ركامه ورواسبه»[٤].

---

(١) المصباح المنير (أثر)، الإسرائيليات والموضوعات (أبو شهبة ص ٦٤.

(٢) التفسير ورجاله / ابن عاشور ص ٢٧.

(٣) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الإمام أبو جعفر الطبري، ولد سنة ٢٢٤ هـ، وتوفي سنة ٣١٠ هـ وقد جاوز الثمانين بخمس أو ست سنين.

(٤) التفسير ورجاله ص ٣٠.

«وابن جرير» فقيه، عالم، تبحر في فنون شتى من العلم، فهو أحد المشاهير من رجال التاريخ، ويعد كتابه «تاريخ الأمم والملوك. . » فيه مرجع المراجع، وبه صار إمام المؤرخين غير منازع.

وقد شهد له بذلك كثير من الأعلام. يقول الخطيب البغدادي:[١]

«جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات كلها، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في الأحكام، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله. . .».

لقد امتلك الطبري أدوات التفسير فاستخدمها بمهارة وحذق، ومن هنا عُدّ تفسيره «ذا أولية بين كتب التفسير، أولية زمنية، وأولية من ناحية الفنية والصياغة. . أما أوليته الزمنية فلأنه أقدم كتاب في التفسير وصل إلينا وما سبقه من المحاولات التفسيرية ذهبت بمرور الزمن، ولم يصل إلينا شيء منها، اللهم إلا ما وصل إلينا منها في ثنايا ذلك الكتاب الخالد الذي نحن بصدده.[٢]

«وأما أوليته من ناحية الفن والصياغة، فذلك أمر يرجع إلى ما يمتاز به الكتاب من الطريقة البديعة التي سلكها فيه مؤلفه، حتى أخرجه للناس كتاباً له قيمته ومكانته»[٣].

طريقة الطبري في التفسير:

حين يفسر الطبري آية يضع لها عنواناً هكذا «القول في تأويل قوله جل ثناؤه. . .» ثم يقول: يعني تعالى بذلك. . . .، ويستشهد على التفسير بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين، عارضاً المعاني الحقيقية والمجازية في استعمالات العرب، مستشهداً بالشعر العربي على ما يثبت استعمال اللفظ في المعنى الذي حمله عليه.

وقد يعرض أقوال الصحابة والتابعين إذا تعددت في الآية الواحدة، ثم لا يكتفي بمجرد العرض، وإنما يرجح رأياً على رأي بقوله:[٤]

«وأولى الأقوال عندي بالصواب. . .» أو «وقال أبو جعفر: والصواب من القول في هذه الآية. . .»، أو «وأولى التأويلات بالآية. . . .». ثم يؤيد رأيه بقوله: «وبمثل الذي قلنا قال أهل التأويل. . .» أو بعرض حجج وأدلة قائلاً: «وإنما رأينا أن ذلك أولى التأويلات بالآية لأن. . . . .» وقد عني ابن جرير بالقراءات عناية كبيرة، ولا غرو فهو من علماء القراءات المشهورين وله فيها مؤلّف، إلا أنه ضاع ضمن ما ضاع من التراث العربي القديم.

كما اهتم الطبري بالشعر القديم، يستشهد به على الغريب وهو في ذلك تابع لابن عباس. كما كانت له عناية بالمذاهب النحوية البصرية والكوفية، يورد الرأي ويوجهه.

ويورد بعض الأحكام الفقهية في تفسيره مختاراً لأحد الآراء، مؤيِّداً اختياره بالأدلة العلمية القيمة. .[٥].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٥٦.

(٢) هذا على اعتبار فقد تفسير «يحيى بن سلام» الذي أشرت إليه آنفاً، أما وقد ذكر الإمام الفاضل بن عاشور أن نسخة من الكتاب موجودة في تونس فإن تفسير الطبري لا يعد ذا أولية زمنية.

(٣) التفسير والمفسرون ١/٢٠٥.

(٤) راجع: تفسير الطبري.

(٥) راجع: التفسير والمفسرون ١/٢٠٢ ـ ٢١٨.

رحم الله الطبري وجزاه عن القرآن وتفسيره خير الجزاء . .

ثانياً: الإتجاه اللغوي:

وقد بدا هذا الإتجاه واضحاً في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث، إذ نشأ علم النحو، ونضجت علوم اللغة على أيدي الرواد أمثال أبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، والخليل بن أحمد الفراهيدي وغيرهم.

وكان الغرض الأسمى من تأصيل هذه العلوم وتقعيدها خدمة القرآن الكريم، صيانة له من اللحن، ولا سيما بعد اتصال العرب بالعجم.

وقد أثرت هذه الدراسات في تفسير القرآن تأثيراً كبيراً، إذ اشتغل اللغويون أنفسهم بالقرآن ولغته، وكان من أشهر هؤلاء العلماء «أبو عبيدة معمر بن المثنى» المتوفى سنة ٢٠٨ هـ أو ٢١٥ هـ، وقد ألف كتابه «مجاز القرآن» سنة ١٨٨ هـ[١] ويعد هذا الكتاب أقدم مؤلف في معاني القرآن وصل إلينا.

وأبو عبيدة موسوعة علمية له مؤلفات في مجالات شتى، وقد «أوتي لساناً صارماً جلب على نفسه عداوات كثيرة، ثم تنفس به العمر قرابة قرن كامل زامل فيه أعلاماً كباراً، وجادل خصوماً كثاراً، وشهد تلاميذه ومن في طبقتهم يجادلون عنه، ويجادلون فيه، فقرب وباعد، وواصل وقاطع، ولكن مخالفيه كانوا من الكثرة بحيث أرهقوه وضايقوه، حتى جاءه الأجل فلم ينهض لتشييع جنازته أحد، وعلل ذلك بما ترك من حزازات أدبية»[٢].

ويحكي أبو عبيدة سبب تأليفه كتاب «مجاز القرآن» فيقول:

«أرسل إليَّ الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه سنة ثمان وثمانين ومائة، فقدمت إلى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي، فدخلت عليه وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه، وفي صدره فرش عالية لا يرتقى إليها إلا على كرسي، وهو جالس عليها فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك إليَّ واستدناني حتى جلست إليه على فرشة ثم سألني وألطفني وباسطني، وقال: أنشدني فأنشدته فطرب وضحك وزاد نشاطه، ثم دخل رجل في زي الكتاب له هيئة فأجلسه إلى جانبي وقال له: أتعرف هذا؟ قال لا. قال هذا أبو عبيدة علّامة أهل البصرة. أقدمناه لنستفيد من علمه، فدعا له الرجل وقرّظه لفعله هذا، وقال لي: إني كنت إليك مشتاقاً، وقد سألت عن مسألة أفتأذن لي أن أعرفك إياها؟.

فقلت: هات، قال: قال الله عز وجل: «طلعها كأنه رؤوس الشياطين» وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف. فقلت: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرىء القيس:

ايقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسن السائل، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج إليه من علمه فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز، وسألت عن الرجل السائل فقيل لي: هو من كتاب الوزير وجلسائه وهو إبراهيم بن إسماعيل الكاتب»[٣].

---

(١) معجم الأدباء ١٩/١٥٨.

(٢) خطوات التفسير البياني د. رجب البيومي ص ٣٧، ٣٨، وراجع: معجم الأدباء ١٩/١٦٠.

(٣) معجم الأدباء ١٩/١٥٨.

وبعض العلماء ينكر هذه القصة لأن أبا عبيدة لم يشر إليها في مقدمة كتابه . . .[١]

ومن الذين كتبوا عن اتجاهات التفسير من يسلك أبا عبيدة ـ من خلال كتابه هذا ـ في سلك الاتجاه البياني في التفسير، وأكثرهم يعده رائداً في الاتجاه اللغوي.

على أن أبا عبيدة لم «يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنما عني بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية»[٢].

فقد يستعمل أبو عبيدة لفظ المجاز قاصداً به معنى اللفظ. فمثلاً في قوله تعالى «رب أوزعني أن أشكر نعمتك» يقول: مجازه: «شددني إليك، ومنه قولهم: وزعني الحلم عن السفاه أي منعني، ومنه الوزعة الذين يدفعون الخصوم والناس عن القضاة والأمراء» ثم يستشهد بالبيت:

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألما تصح والشيب وازع[٣]

وأما أبو زكريا الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ فكان يستعين بتفسيرات السلف مضيفاً له ما أدى إليه اجتهاده اللغوي، وكذا الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ»[٤].

لقد استلهم الفراء الحس اللغوي محكماً ذوقه وعقله، كما راعى السباق العام في الآية ولذا نجده يفضل قراءة تحقق التجانس بين الكلمات المتجاورات على غيرها[٥].

ثالثاً: الاتجاه البياني[٦].

وبذور هذا الاتجاه نجدها في تفسير ابن عباس المبثوث في ثنايا التفسير الأثري ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾. أن عمر رضي الله عنه سأل الناس عن هذه الآية فما وجد أحداً يشفيه حتى قال ابن عباس وهو خلفه يا أمير المؤمنين: إني أجد في نفسي منها شيئاً فتلفت إليه فقال تحول ها هنا لم تحقر نفسك؟ قال:
هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فَنِي عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله فحرقه أحوج ما كان إليه[٧].
«وهو من باب الاستعارة التمثيلية، وقد ألمع إليه ابن عباس بقوله المقارب هذا مثل ضربه الله عز وجل. . . الخ، وهل قال البلاغيون فيما بعد غير ذلك!»[٨].

---

(١) راجع خطوات التفسير البياني ص ٤٤، ٤٥ وقد ذكر الدكتور رجب البيومي أسباباً أخرى ومبررات لرفض هذه القصة.

(٢) فتاوى ابن تيمية كتاب الإيمان ص ٨٨.

(٣) مجاز القرآن ٢/٩٢، ٩٣.

(٤) راجع البغوي الفراء ص ٢٣٨.

(٥) راجع البغوي الفراء ص ٢٣٩، ٢٤٠ (بتصرف وإيجاز).

(٦) بعض المؤلفين في تاريخ التفسير يضعون اتجاهاً ثالثاً بدلاً من هذا الاتجاه يطلقون عليه «الاتجاه النقدي»، وبعضهم يسلك هذا الاتجاه ضمن الاتجاه الأثري. انظر: التفسير ورجاله: ابن عاشور ص ٢٦.

(٧) تفسير ابن جرير ٣/٤٧.

(٨) راجع: خطوات التفسير البياني ص ٢١ وفيه شواهد أخرى.

ونهج تلاميذ ابن عباس نهجه وكان أكثرهم نتاجاً في هذا الاتجاه «مجاهد»[١] وأما تأصيل هذا الاتجاه فقد كان على يد «أبي عبيدة» صاحب «مجاز القرآن»، ويعد صاحب الخطوة الأولى في هذا الاتجاه.

«وفضل هذا الكتاب في الدراسات البلاغية أنه حين تعرض للنصوص القرآنية أشار إلى ما تدل عليه من حقيقة أو مثل أو تشبيه أو كناية وما يتضمن من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير، فوضع بذلك اللبنة الأولى في صرح الدراسات البلاغية للقرآن. . . وإذا كان عبد القاهر أظهر من نادى من البلغاء بأن يوضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وهو ما سمي بقضية النظم، فإن بذور قضيته هذه كانت تكمن في مجاز «أبي عبيدة» حيث رأى في زمنه السابق ما رآه صاحب الدلائل في زمنه اللاحق، فكان بذلك الرائد الأول لعلم المعاني عند من يلتمسون الجذور الضاربة في الأعماق[٢].

وقد رتب «أبو عبيدة» كتابه وفق ترتيب السور القرآنية في المصحف ومن هنا صار من اليسير أن يرجع الدارس إلى ما ذكر أبو عبيدة في توجيه الآيات الكريمة من مثل قوله تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾[٣] حيث قال: إنها كناية وتشبيه[٤].

ومن مثل قوله تعالى: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم﴾[٥] حيث أتبع الآية بتحليل بياني وعدها من مجاز التمثيل حين قال:

«ومجاز الآية مجاز التمثيل لأن ما بنوه على التقوى أثبت أساساً من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق فهو على شفا جُرُفٍ وهو ما يجرف من الأودية فلا يثبت البناء عليه[٦].

تلك هي الخطوة الأولى خطاها أبو عبيدة في التفسير البياني للقرآن الكريم وإن وجهت إليه كثير من النقود والمطاعن من علماء كبار أمثال الفراء والأصمعي والطبري[٧]. .

ثم قلت هذه الخطوة خطوات الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما. . . .

هذا هو التفسير قبل أبي الليث السمرقندي صاحب كتاب «بحر العلوم» فماذا عن السمرقندي وكتابه؟

الإجابة في الفصل التالي إن شاء الله.

---

(١) راجع الأمثلة التي ذكرها الدكتور رجب البيومي في خطوات التفسير البياني ص ٣٤ وما بعدها.

(٢) خطوات التفسير البياني ص ٤٦، ٤٧.

(٣) الآية ٢٢٣ من سورة البقرة.

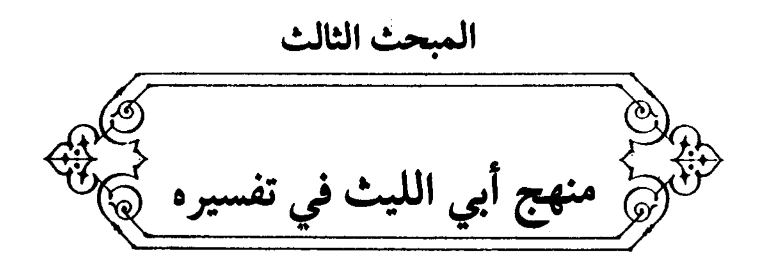
(٤) راجع: مجاز القرآن ١/٧٣.

(٥) الآية ١٠٩ من سورة التوبة.

(٦) مجاز القرآن ١/٢٦٩، وانظر: خطوات التفسير البياني ص ٥١، ٥٢.

(٧) راجع: خطوات التفسير البياني ص ٥٨ وما بعدها.

المبحث الثالث



منهج أبي الليث في تفسيره

جمع أبو الليث في تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، فجاء كتابه «بحر العلوم» مزيجاً من النوعين.

وقد عد بعض الباحثين[1] تفسير أبي الليث هذا من التفسير الأثري معتمدين على فهم خاطىء لقول أورده في مقدمة تفسيره.

وذلك أن أبا الليث قدم لتفسيره بمقدمة جعل عنوانها «باب الحث على طلب التفسير» وقال فيها[2]:

[. . . ولا يجوز لأحد أن يفسر القرآن من ذات نفسه برأيه. . .].

فهم «آدم ميتز» من ذلك أن السمرقندي يمنع كل تفسير بالرأي[3].. ولعل مما أكد هذا الفهم عنده أن أبا الليث ساق عدة آثار تحظر التفسير بالرأي.

* فقد روى قول أبي بكر الصديق ـ حين سئل عن قول الله تعالى ﴿وفاكهة وأبا﴾ قال ـ أيُّ سماءٍ تظلّني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم.

* وكذلك روي أن رجلاً قال لأبي: هذا الذي تفسر برأيك، فبكى أبي وقال: إني إذا لجريء، لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلاً من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

لكن ذلك لا يعفي «ميتز» ـ من الخطأ من الفهم، أو التقول على أبي الليث.

فنص أبي الليث ـ كاملاً ـ يناقض ما ذهب إليه «آدم ميتز» إذ يقول: «. . . ولا يجوز لأحد أن يفسر القرآن من ذات نفسه برأيه ما لم يتعلم ويعرف وجوه اللغة وأحوال التنزيل. .».

إذاً هو يضع الشروط التي ينبغي توافرها فيمن يقدم على هذا العمل، فإذا ما افتقدت هذه الشروط أو الأدوات فينبغي الابتعاد وإيثار السلامة. . وهذا ما يفهم من الأثر الذي ساقه عن أبي بكر ـ رضي الله عنه. .

فالحظر إنما هو مقصور على من لم يمتلك أدوات التفسير لأنه ـ حينئذٍ ـ سيقول دونما أساس من لغة، وفقه، وأسباب نزول ـ إلخ.

ويكون تفسيره حينئذ تابعاً لهواه. .

---

(١) انظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/٣٦٤.

(٢) راجع: مقدمة تفسير بحر العلوم.

(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/٣٦٤.

التفسير واجب عند أبي الليث

بل إن أبا الليث يعد تفسير القرآن الكريم من قبيل الواجب على من تملك أدواته، وقد استدل لذلك بما ساقه بسنده عن ابن مسعود قال: «من أراد العلم فليثر القرآن» وفي رواية: «فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين».

ويورد آثاراً أخرى عن الصحابة في ذلك، ثم يعقب عليها قائلاً: «... ولأن الله تعالى أنزل القرآن هدى للناس، وجعله حجة على جميع الخلق بقوله تعالى ﴿وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ..﴾[1] فلما كان القرآن حجة على العرب والعجم، ثم لا يكون حجة عليهم إلا بعد ما يُعلم تفسيره فدل ذلك على أن طلب تفسيره وتأويله واجب».

وفي «بستان العارفين» تفصيل لذلك إذ يقول: «لأن القرآن حجة على الخلق، فلو لم يجز التفسير لا يكون حجة بالغة، فإذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وعرف شأن النزول أن يفسره. وأما من كان من المتكلفين ولم يعرف وجوه اللغة، فلا يجوز له أن يفسره إلا بمقدار ما سمع فيكون ذلك على وجه الحكاية، لا على سبيل التفسير فلا بأس به، ولو أنه تعلم تفسيره وأراد أن يستخرج من الآية حكماً أو استدلالاً بشيء من الأحكام فلا بأس به، ولو أنه قال: المراد من الآية كذا وكذا من غير أن يسمع فيه شيئاً فلا يحل له هذا، وهذا الذي نهى عنه، ولو أنه سمع شيئاً من بعض الأئمة فلا بأس بأن يحكي عنه»[2].

ثم لماذا نستدل بالنصوص ونترك تفسير أبي الليث وهو نفسه فيه تفسير برأي مؤلفه؟؟ أليس في ذلك ما يقطع كل سبيل أمام هؤلاء الذين يكذبون على الرجل!!.

التفسير بالمأثور عند أبي الليث

قلنا ـ فيما مضى ـ إن التفسير بالمأثور: أي بالمنقول، سواء أكان متواتراً أم غير متواتر.

وعلى ذلك يشمل:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن.

٢ ـ تفسير الرسول للقرآن.

٣ ـ تفسير الصحابة للقرآن.

٤ ـ تفسير التابعين للقرآن.

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن:

يقول السيوطي[3]: «قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في مكان فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر».

وقد سار أبو الليث وفق هذا المنهج، فكان يبحث في القرآن عن تفصيل المجمل، وتوضيح المبهم، وتقييد المطلق... إلخ.

فمثلاً: يقول عند تفسير قوله تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات..﴾[4]. وهي

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٩.

(٢) بستان العارفين ٤٧.

(٣) الإتقان ٢/ ١٧٥.

(٤) سورة النساء: الآية ٥٧.

البساتين التي تجري من تحتها الأنهار، وهي أربعة: نهر من ماء غير آسن، ونهر من لبن لم يتغير طعمه، ونهر من خمر، ونهر من عسل مصفى. . وهو بذلك قد لجأ إلى القرآن الكريم من قوله سبحانه: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى. .﴾[١]. وفي تفسيره كثير من ذلك.

٢ ـ تفسير الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقرآن:

وهو المصدر الثاني لتفسير القرآن الكريم، وذلك: «أن أحسن طريق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فصل في موضع آخر. . . فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له»[٢].

قال سبحانه: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[٣].

وعن المقدام بن معديكرب: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقْروه، فإن لم يقْروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه»[٤].

وقد التزم «أبو الليث» هذا المنهج القويم، فإذا لم يجد بغيته في القرآن لجأ إلى السنة يبحث فيها عن طلبته.

وقد أورد «أبو الليث» كثيراً من أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبين بها معنى لفظ، أو يفسر بها حكماً من الأحكام القرآنية، أو يبين ما أشكل من القرآن. فالسنة زاخرة بالكثير من ذلك.

ففي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم. . . الآية﴾[٥] ساق أبو الليث ما روي عن الصديق أبي بكر أنه سئل عن هذه الآية فقال: «إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليكم بخويصة أنفسكم».

وروى عمرو بن جابر اللخمي عن أبي أمية قال: سألت ثعلبة الخشني عن هذه الآية فقال: لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا ثعلبة، ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت دنيا مؤثرة، وشحاً مطاعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك، فإن من بعدكم أيام الصبر، والمتمسك يومئذ بمثل الذي أنتم عليه له كأجر خمسين عاملاً، فقالوا: يا رسول الله، كأجر خمسين عاملاً منهم؟ قال: بل كأجر خمسين عاملاً منكم»[٦].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ قال أبو الليث: ﴿غير المغضوب عليهم﴾ غير طريق اليهود. . ﴿ولا الضالين﴾ قال: يعني ولا النصارى لم تحفظ قلوبهم. قال: وقد أجمع المفسرون أن ﴿غير المغضوب عليهم﴾ أراد به اليهود ﴿ولا الضالين﴾ ثم يقول:

---

(١) سورة محمد ـ ﷺ ـ: الآية ١٥.
(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/١٧٥.
(٣) سورة النحل: الآية ٤٤.
(٤) رواه أبو داود في السنن.
(٥) سورة المائدة: الآية ١٠٥.
(٦) راجع: تفسير سورة المائدة ـ الآية المذكورة ـ في تفسير بحر العلوم.

فإن قيل: أليس النصارى من المغضوب عليهم، واليهود أيضاً من الضالين؟ فكيف صرف المغضوب عليهم إلى اليهود، وصرف الضالين إلى النصارى؟

قيل له: إنما عرف ذلك بالخبر، واستدلالاً بالآية، فأما الخبر: فما روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن رجلاً سأله وهو بوادي القرى من المغضوب عليهم؟

قال: اليهود. قال: ومن الضالين؟ فقال: النصارى[١].

وفي قوله تعالى: ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة...﴾[٢] يقول: وروي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سئل عن الكلالة فقال: ألم تر إلى الآية التي أنزلت في سورة النساء ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد...﴾ يعني تفسير الكلالة[٣].

وبذلك أفاد أبو الليث من السنة النبوية في تفسير القرآن الكريم إفادة عظيمة.

٣ ـ تفسير الصحابة للقرآن:

وهو المصدر الثالث من مصادر التفسير، وذلك «أننا إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى الناس بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، ولا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة، والخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ»[٤].

وقد نقل «أبو الليث» في تفسيره كثيراً من أقوال الصحابة، وممن نقل عنهم: ـ علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن مسعود. وغيرهم.

ويعد «عبد الله بن عباس» صاحب النصيب الأكبر والحظ الأوفر فيمن نقل عنهم أبو الليث.

وقد روي عنه من عدة طرق: ـ

* طريق عكرمة عن ابن عباس.. أو سعيد بن جبير عن ابن عباس. وقد أثنى علماء الجرح والتعديل على هذه الطريق، وأخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً، وأخرج الطبراني منها في معجمه الكبير[٥].

* طريق الضحاك عن ابن عباس... وهي غير مرضية، لأنها منقطعة، فالضحاك لم يلق ابن عباس[٦].

* طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.. وهي أوهى الطرق، فالكلبي متهم بالوضع[٧]..

---

(١) راجع: تفسير سورة الفاتحة من تفسير بحر العلوم.

(٢) الآية الأخيرة من سورة النساء:

(٣) راجع تفسير سورة النساء من تفسير بحر العلوم.

(٤) ابن كثير في مقدمة تفسيره / الجزء الأول.

(٥) راجع: الإتقان ٢/١٨٨، التفسير والمفسرون ١/٧٩.

(٦) المصدران السابقان.

(٧) الدر المنثور ٦/٤٢٣، الإتقان ٢/١٨٩، فتح الباري ٨/٣٥٤، التفسير والمفسرون ١/٨١.

وأحياناً يذكر «أبو الليث» الرواية عن ابن عباس مجردة من السند فيقول: «وروي عن ابن عباس» أو «قال ابن عباس. . .»(١).

ابن مسعود

ويأتي «ابن مسعود» في المرتبة الثانية ـ بعد ابن عباس ـ فيمن نقل عنهم أبو الليث. وطرق روايته عنه متعددة، منها:

* طريق مجاهد، وهي طريق صحيحة، اعتمد عليها البخاري في صحيحه.
* وأحياناً يذكر الرواية عن ابن مسعود مجردة عن السند فيقول: «وروي عن ابن مسعود. . .».

وقد قصد أبو الليث إلى ترك السند قصداً، وكان يهدف من وراء ذلك التخفيف على الناس، حتى لا ينشغلوا بالسند عن التفسير نفسه(٢).

٤ ـ تفسير التابعين للقرآن:

وهؤلاء التابعون تلاميذ كبار الصحابة، وتخرجوا من مدارسهم ـ كما ذكرنا من قبل ـ. . .

وكان أبو الليث إذا لم يجد تفسيراً للصحابة رجع إلى أقوال التابعين، فنقل عنهم، ومن هؤلاء التابعين: ـ

الحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة، ووهب بن منبه، والسدي، ومقاتل، والكلبي، إلا أنه أكثر من الرواية عن مجاهد. .

الإسرائيليات في تفسير أبي الليث

تمهيد: ـ

تنبه العلماء إلى ظاهرة: غلبة الضعف على الرواية بالمأثور. . ولم يكن أبو الليث بدعا من المفسرين، وإنما جاءت الإسرائيليات ـ في تفسير بحر العلوم ـ كثيرة. . فمن أين جاء بهذه الإسرائيليات؟. .

وقبل أن نجيب على هذا التساؤل نسوق تمهيداً موجزاً في هذه القضية فنقول:

نشأ الوضع في التفسير مع نشأته في الحديث. . وكان مبدأ ظهور الوضع في سنة إحدى وأربعين من الهجرة، حين اختلف المسلمون سياسياً، وتفرقوا شيعاً وأحزاباً. . ووجد من أهل البدع والأهواء من روّجوا لبدعهم، وتعصبوا لأهوائهم، ودخل في الإسلام من تبطن الكفر والتحف الإسلام بقصد الكيد له، وتضليل أهله، فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة، ليصلوا بها إلى أغراضهم الخبيثة. .

وكان أهل الكتاب مصدراً من مصادر التفسير عند الصحابة، فكان الصحابي إذا مر على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام. .

لكن الصحابة لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كل شيء، فلم يسألوهم عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو الأحكام، إلا إذا كان على جهة الاستشهاد والتقوية لما جاء به القرآن. .

---

(١) راجع: بحر العلوم ـ تفسير الفاتحة ـ مثلاً.

(٢) راجع كلامه في ذلك في / بستان العارفين ٣.

ولم يسألوهم عن الأشياء التي يشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف وما شابه ذلك . . «وكانت الصحابة يعدون ذلك قبيحاً من قبيل تضييع الأوقات».

وكان الصحابة لا يصدقون اليهود فيما خالف الشريعة أو تنافى مع العقيدة[١].

أقسام الإسرائيليات:

وقد قسم العلماء الأخبار التي جاءت عن طريق أهل الكتاب إلى ثلاثة أقسام[٢]: -

القسم الأول: ما علمنا صحته مما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. . وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم، وذلك مثل: تعيين اسم صاحب موسى - عليه السلام - وأنه الخضر، فقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري[٣]. .

القسم الثاني: ما علمنا كذبه مما يناقض شرعنا، أو لا يتفق مع العقل، وذلك مثل ما ذكروه في قصص الأنبياء مما يطعن في عصمتهم، ومثل ما ذكر في توراتهم أن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل. وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثاني. . وهذا القسم نتوقف فيه، فلا نؤمن به ولا نكذبه لاحتمال أن يكون حقاً فنكذبه، أو باطلاً فنصدقه. .

وذلك لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»[٤].

أبو الليث والإسرائيليات:

وهذه الأقسام الثلاثة دخلت التفسير الأثري بعامة، ولم يكن أبو الليث نسيج وحده في ذلك، فساق في تفسيره من هذه الأقسام.

ولو أنه بعدما ساق هذه الإسرائيليات عقب عليها لما كان عليه ضير، إلا أنه أوردها دونما تعقيب.

* فهو ينقل عن ابن عباس حكاية عن أهل الكتاب - ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾. . . فذكر ما موجزه: أن إبليس حسد آدم على ما فيه من نعمة، فاحتال لإخراجه منها، حتى دخل في صورة الحية، ثم أتى باب الجنة ونادى آدم وحواء ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ يعني هذه شجرة الخلد، فأكلا منها. .

ويقال: إن حواء قالت لآدم تعال حتى نأكل من هذه الشجرة، وظلت به حتى أكل بعد أن سبقته بالأكل[٥].

* وأحياناً يقول: قال بعضهم، ويذكر الرواية الإسرائيلية في ذلك - وخطورة هذا تكون بالغة إذا ما كانت من القسم الثاني، ففيه طعن في عصمة الأنبياء - وفي «بحر العلوم» طائفة من هذا القسم[٦]. .

---

(١) راجع: التفسير والمفسرون للذهبي ١/١٦٩ وما بعدها.
(٢) السابق، والإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة ص ١٥٠ وما بعدها.
(٣) فتح الباري ٨/٢٩٧.
(٤) راجع: صحيح البخاري - كتاب التفسير/ سورة البقرة.
(٥) راجع تفسير أبي الليث/ سورة البقرة، وسورة الأعراف.
(٦) راجع مثلاً تفسير سورة البقرة: الآية ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين﴾.

* ومن مصادر الإسرائيليات في تفسير أبي الليث ـ إضافة إلى ما سبق ـ قراءته التوراة، وقد صرح بذلك في التفسير في عدة مواضع.

يقول في قوله تعالى ﴿وامرأته قائمة فضحكت﴾ أي حاضت، يقال: ضحكت الأرانب إذا حاضت، وغيره من المفسرين يجعله الضحك بعينه، وكذلك هو في التوراة، قرأت فيها: أنها حين بشرت بالغلام ضحكت في نفسها وقالت: من بعد أن بليت أعود شابة!!

* ومن مصادرها أيضاً: سماعه أهل التوراة، ويصرح بذلك أيضاً حين يسوق هذه العبارة «سمعت أهل التوراة يقولون. . .».

* ثم روايته عن المتهمين بالوضع والضعف كعكرمة، والضحاك، ومقاتل، ووهب بن منبه وغيرهم. .

وكان شأن أبي الليث في ذلك شأن سائر المفسرين، غير أن هذا لا يعفيهم من المسؤولية عن ذلك، وكان ينبغي عليهم ـ وأبو الليث أحدهم ـ أن يدققوا ويمحصوا. .

وقد شاء الله عز وجل أن يدرك المسلمون أخيراً هذا الخطر، فتداعى علماؤهم إلى تجريد كتب التفسير من هذه الإسرائيليات، وتطهيرها من كل دخيل[1].

المنهج اللغوي في تفسير أبي الليث

تتضح أهمية اللغة ومكانتها في تفسير القرآن الكريم في نظر أبي الليث من قوله: «ولا يجوز لأحد أن يفسر القرآن برأيه ما لم يتعلم ويعرف وجوه اللغة وأحوال التنزيل. . . .».

إنها أداة أصيلة وركن ركين ينبغي توافره فيمن يتصدى للتفسير. وبالتأمل في تفسير أبي الليث يلاحظ ما يلي: ـ

أولاً: يبحث أبو الليث عن معنى اللفظ في القرآن الكريم من خلال نظائره وسياقاته المختلفة.

ففي تفسيره لقوله سبحانه ﴿رب العالمين﴾ يقول: قال ابن عباس: سيد العالمين. . . والرب في اللغة: هو السيد، قال الله تعالى: ﴿ارجع إلى ربك. .﴾ يعني سيدك. . . .

ثانياً: إذا لم يجد في القرآن معنى للفظ يرجع إلى استعمال العرب القدماء ويستشهد بالشعر على المعنى الذي يورده

ففي تفسير اسم الجلالة «الله» في البسملة يقول:

وقيل: إنما سمي «الله» لأنه لا تدركه الأبصار، ولاه: معناه: احتجب كما قال القائل:

لَاهِ ربي عن الخلائقِ طُرًّا خالق الخلق لا يُرى وَيَرانَا

ثالثاً: أفاد أبو الليث كثيراً من علماء اللغة كابن قتيبة، والأصمعي، وقطرب، والزجاج، والفراء، والخليل بن أحمد وغيرهم فكان يذكر القول منسوباً إلى واحد منهم أو أكثر. .

(١) التفسير والمفسرون ١/١٩٩ (بتصرف وإيجاز).

رابعاً: قد يذكر القول دون ذكر قائله هكذا: «قال أهل اللغة. . .»، أو «قال بعض اللغـويين. . .»، ولم يكتف «أبو الليث» بالنقل، وإنما كان ـ في بعض الأحيان ـ يرجح رأياً على رأي.

خامساً: أفاد أبو الليث من علم الأبنية المسمى بعلم «الصرف» فكان يذكر ـ وقت الحاجة ـ وزن الكلمة، أو اشتقاقها. . . . إلخ.

سادساً: أدرك أبو الليث ما للنحو من أهمية في فهم معاني القرآن إذ «أن الإعراب يُمَيِّزُ المعاني». . . فكان يورد بعض المسائل النحوية الخفيفة، ولا يتعمق فيها، ولا يورد اختلافات النحاة حتى لا يشغل القارىء في خضم النحو ويخرجه من حيز التفسير. مثال ذلك:

ما جاء في تفسيره قول الحق سبحانه: ﴿**حذر الموت**. .﴾ إذ قال: يعني لحذر الموت، والكلام ينصب لنزع الخافض مثل قوله: ﴿**واختار موسى قومه**. . .﴾ أي من قومه فكذلك ها هنا.

المنهج البياني في تفسير أبي الليث

ذكرنا فيما مضى أن المنهج البياني هو أحد المناهج الثلاثة في تفسير القرآن الكريم. وأن جذور هذا المنهج قد وجدت منذ زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم تأصل عند ابن عباس وتلاميذه إلى أن جاء علماء كبار فقعّدوا هذا المنهج:

وقد أفاد أبو الليث في تفسيره من العلماء الأفذاذ الذين أسهموا بسهم وافر في هذا المنهج، ويأتي على رأس هؤلاء «أبو عبيدة» صاحب «مجاز القرآن» فقد نقل أبو الليث كثيراً من أقواله[١]، وتأثر بمنهجه أيضاً.

ففي تفسير قوله تعالى ﴿**ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء**. . .﴾[٢] وقف أبو الليث عند الآية وحللها تحليلاً بيانياً يدل على ذوقه وحسه المتميز.

كما نقل عن الزجاج صاحب «معاني القرآن» كثيراً، وأفاد من ابن قتيبة إفادة عظيمة من خلال كتابه «تأويل مشكل القرآن» فيقول: قال القتبي[٣]. . . . .

وأحياناً يذكر الوجه البلاغي ولا ينسبه إلى قائله، وإنما يقول: «قـال بعضهم» أو يذكر الوجه البياني الذي يراه هو بداية دون الرجوع إلى السابقين:

ففي قوله تعالى: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض**. .﴾[٤] يقول[٥]: قال بعضهم: هذا على سبيل المثل.

ثم يعقب بما يدل على ذوقه الخاص قائلاً: والعرب إذا أرادت تعظيم ملك عظيم العطية تقول: كسف القمر لفقده، وبكت الريح والسماء والأرض، وقد ذكروا ذلك في أشعارهم، فأخبر تعالى أن فرعون لم يكن ممن يجزع له جازع، ولم يوجد له فقد.

ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿**أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق**. .﴾[٦]. والمطر: هو القرآن،

---

(١) راجع: بحر العلوم ـ مواضع كثيرة.
(٢) سورة النساء: الآية ٢٢.
(٣) راجع: بحر العلوم ـ مواضع كثيرة.
(٤) سورة الدخان: الآية ٢٩.
(٥) راجع: تفسير بحر العلوم، سورة الدخان.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٩.

لأن المطر حياة الخلق وإصلاح الأرض،[١] وكذلك القرآن فيه هدى للناس، وبيان من الضلالة وإصلاح للأرض، فلهذا المعنى شبه القرآن بالمطر. والظلمات: هي المكائد والمحن التي تصيب المسلمين، والشبهات التي في القرآن. والرعد هو الوعيد الذي ذكر للكفار والمنافقين في القرآن. والبرق: ما ظهر من علامات نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودلائله.

علوم القرآن في تفسير أبي الليث

أولاً: القراءات القرآنية:

العلاقة بين القراءات القرآنية والتفسير قوية واضحة، «ورجحان قراءة من القراءتين يرجح أحد المعنيين المفروضين في تفسير الآية، ورجحان أحد المعنيين قد يرجح إحدى القراءتين على الأخرى»[٢]. هذا على الرغم من التمايز الواضح بين علمي التفسير والقراءات، وذلك برجوع علم التفسير إلى الدراية، وعلم القراءات إلى الرواية، غير أنهما متصلان من وجه بما للرواية من أثر في تحقيق الدراية والعكس[٣].

وقد اهتم أبو الليث بالقراءات القرآنية من تفسيره اهتماماً كبيراً، فهو يذكر القراءة أو القراءات، ويوجهها، ويذكر آراء العلماء فيها، ويرجح واحدة منها مورداً حجته الصرفية أو النحوية أو البلاغية. فمن ذلك في قوله تعالى ﴿**وعَبَدَ الطاغوت**. .﴾[٤] يقول: قرأ حمزة (وعَبُدَ الطاغوت) بنصب العين والدال وضم الباء، وكسر التاء من الطاغوت، يعني جماعة العبيد، أي جعلهم عبيد الشيطان. وقال أبو عبيدة: لم يصح في اللغة أن يقال لجماعة الأعبد، وإنما يقال: أعبد، ولا يقال: عبد.

وقرأ الباقون: (وعبد الطاغوت) يعني جعل منهم من عبد الطاغوت، ومعناه: خذلهم حتى عبدوا الشيطان.

وروي عن ابن عباس أنه قرأ: (وعُبَّد الطاغوت) بضم العين ونصب الباء بالتشديد، يعني جماعة عابد، يقال: عابد وعبّد، مثل: راكع وركّع، وساجد وسجَّد، وقرأ ابن مسعود: (وعبدوا الطاغوت) يعني: يعبدون الطاغوت.

وقرأ بعضهم: (وعُبُدَ الطاغوت) بضم العين والباء ونصب الدال، وهو جماعة العبيد، يقال عبيد وعبُد، على ميزان رغيف ورغُف وسرير وسرر[٥].

فواضح في هذه التوجيهات استخدام علم الصرف ولا سيما الميزان الصرفي.

ويستخدم أبو الليث علم النحو من ترجيح قراءة على أخرى، مثال ذلك ما جاء في تفسير قوله عز شأنه ﴿. . . **وقولوا حطة**﴾[٦]. يقول: قرأ بعضهم بالرفع، وبعضهم بالنصب وهي قراءة شاذة، وإنما جعله نصباً لأنه مفعول، ومن قرأ بالرفع معناه: قولوا قولاً فيه حطة[٧].

ومن ذلك: قوله في تفسير قول الحق سبحانه ﴿. . . **أن تضل إحداهما**﴾[٨] قرأ حمزة «إن تَضل ـ» بكسر

(١) راجع: تفسير بحر العلوم، الآية المذكورة.
(٢) التفسير ورجاله: ابن عاشور ص ٢٥.
(٣) نفسه (بتصرف قليل).
(٤) سورة المائدة: الآية ٦٠.
(٥) راجع: بحر العلوم تفسير الآية المذكورة.
(٦) سورة البقرة: الآية ٥٩.
(٧) راجع: تفسير بحر العلوم: الآية المذكورة.
(٨) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

الألف ونصب التاء وجزم اللام، وإنما كسر الألف على معنى الابتداء والشرط، وجزم اللام على جواب الشرط «فتذكر» بضم الراء، وقرأ الباقون بالنصب، ومعناه: لأن تضل[١].

وقد يرجع القراءات ويوجهها توجيهاً بلاغياً كما جاء في تفسير قوله سبحانه ﴿مالك يوم الدين﴾[٢] حيث قال:

قرأ نافع وابن كثير وحمزة وأبو عمرو بن العلاء وابن عامر: «مَلِك» بغير ألف.

وقرأ عاصم والكسائي بالألف (مالك).

فأما من قرأ: «مالك» قال: لأن المالك أبلغ في الوصف لأنه يقال: مالك الدار، ومالك الدابة، ولا يقال: ملك إلا لملك من الملوك، وأما الذي قرأ: «ملك» لأن الملك أبلغ في الوصف، لأنك إذا قلت: فلان ملك هذه البلدة يكون ذلك كناية عن الولاية دون الملك، وإذا قلت فلان مالك هذه البلدة كان ذلك عبارة عن ملك الحقيقة...

ومن خلال عرضه لهذه القراءات، وبيان وجه كل منها، وتذوقه لها يتضح أنه كان عالماً بالقراءات صحيحها وشاذها، وقد وظفها توظيفاً جيداً في خدمة التفسير.

ثانياً: المكي والمدني:

في بداية تفسير كل سورة يذكر أبو الليث عدد آياتها، ويذكر إن كانت السورة مكية أو مدنية.

وهذا أمر مهم ينبغي معرفته إذ يتوقف عليه بيان الناسخ والمنسوخ من الآيات..

فيقول ـ مثلاً ـ في بدء تفسيره سورة المائدة: «كلها مدنية وهي مائة وعشرون آية».

ثالثاً: الناسخ والمنسوخ:

وتلك قضية اختلف فيها العلماء اختلافاً كثيراً، وقد بين المهتمون بعلوم القرآن أهمية هذا العلم لمن يقدم على تفسير القرآن الكريم، ورووا في ذلك قول علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لأحد القضاة: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت[٣]. وقالوا:

«لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ».

وأبو الليث كان ممتلكاً لتلك الأداة، وبدهي أن نجد حديثاً له في ذلك إبان تفسيره لآية النسخ في سورة البقرة.

يقول أبو الليث:[٤]

قال الزجاج: النسخ في اللغة: هو إبطال شيء وإقامة شيء آخر مقامه، والعرب تقول: نسخت الشمس الظل، إذا أزالته «أو ننسها» أي نتركها، بمعنى فأمركم بتركها.... ثم يورد أقسام النسخ ناقلاً عن أبي عبيد

---

(١) راجع: تفسير بحر العلوم: الآية المذكورة.
(٢) فاتحة الكتاب.
(٣) انظر: البرهان ٢/٢٩، الإتقان ٢/٣٣.
(٤) المصدران السابقان.

القاسم بن سلام. . . ثم أجاز النسخ في الأمر والوعد والوعيد ولم يجوزه في القصص والأخبار لأنه لو جاز ذلك يكون كذباً والكذب في القرآن لا يجوز.

وقد رد أبو الليث على اليهود المنكرين للنسخ من الشرائع، وحجتهم في ذلك أنه حال البداء والندامة، ولا يجوز ذلك على الله تعالى(١).

ويرد أبو الليث على المنكرين للنسخ في قوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾**. قال:

قال كثير من المفسرين: إن هذه الآية منسوخة، وقال بعضهم: لا يجوز أن يقال منسوخة لأنه لا يجوز أن يأمرهم بشيء لا يطيقونه. فرد عليهم بأن هذا بيان لهم، أنهم يطيقونه، ولكن تلحقهم مشقة شديدة، ولأن ذلك مجهود الطاقة ولا يستطيعون الدوام عليه، والله تعالى لا يكلف عباده إلا دون ما يطيقون فخفف عنهم بقوله: **﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾**(٢).

هذا عن نسخ القرآن للقرآن، أما نسخ السنة للقرآن فيجيزه أبو الليث وقد جاء ذلك ـ مثلاً ـ في تفسير قوله تعالى: **﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم. . . . الآية﴾**(٣).

إذ ذكر أبو الليث أن هذا الحد قد نسخ وصار حد مثل تلك المرأة الرجم إذ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

«خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر، جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم بالحجارة»(٤).

رابعاً: أسباب النزول:

وهو من الأدوات المهمة للمفسر في «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصَّل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا»(٥).

كما أن «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»(٦) وكانت بعض آيات القرآن الكريم يشكل فهمها على المسلمين، ولم يعرفوا معناها حتى يعرفوا سبب نزولها.

من ذلك مثلاً: ما حكاه الزركشي من أن عثمان بن مظعون وعمرو بن معديكرب كانا يقولان: الخمر مباحة ويحتجان بقول الله تعالى **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا. .﴾** وخفي عليهما سبب نزولها وهو ما قاله الحسن وغيره لما نزل تحريم الخمر قالوا: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم، وقد أخبر الله أنها رجس فأنزل الله تعالى هذه الآية(٧).

وقد كان أبو الليث ملماً بهذا العلم إلماماً واسعاً، فيذكر سبب نزول الآية، أو أسبابها إذا تعددت الأقوال فيها، ويبين ما إذا كان حكمها عاماً أم خاصاً.

---

(١) راجع: بحر العلوم، تفسير سورة البقرة أول الجزء الثاني.
(٢) سورة التغابن: الآية ١٦، وراجع تفسير سورة آل عمران: الآية ١٠٢.
(٣) سورة النساء: الآية ١٥.
(٤) راجع تفسير سورة النساء الآية المذكورة.
(٥) البرهان ١/٢٢.
(٦) الإتقان ١/١٠٨.
(٧) البرهان ١/٢٨.

من ذلك ما ذكره في سبب نزول قوله سبحانه: **﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا. . .﴾**[1] قال أبو الليث: يعني كلامه وحديثه، وهو أخنس بن شريق، كان حلو الكلام، حلو المنظر، فاجر السريرة.

وروى أسباط عن السدي قال:

أقبل أخنس بن شريق إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة، وقال: إنما جئت أريد الإسلام، وقال: الله يعلم إني صادق، فأعجب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله، ثم خرج من عنده، فمر بزرع للمسلمين فأحرقه، ومر بحمار للمسلمين فعقره فنزلت الآية[2].

ويذكر سبب نزول الآية ثم يعقب بقوله «ثم صارت هذه الآية عامة لجميع المسلمين».

خامساً: الأحكام الفقهية:

ذكرنا فيما مضى أن أشهر ألقاب أبي الليث «الفقيه» وذلك لأنه كان مبرزاً في هذا العلم، وكان حنفيّ المذهب.

وعلى الرغم من تخصصه فيه ـ إن صح التعبير ـ إلا أنه لم يغرق قارىء التفسير في الفقه ومذاهبه. وكان ذلك منهجاً واضحاً لأبي الليث في تفسيره، إذ كان يؤثر الإيجاز في النحو والبلاغة والفقه حتى لا يبعد بذهن القارىء عن مواصلة قراءة تفسير الآيات ـ ومن هنا كان يورد الأحكام الفقهية بقدر ما يحتاج التفسير. من ذلك ـ مثلاً ـ ما جاء في تفسيره لقول الحق سبحانه:

﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم﴾[3] يقول أبو الليث في تفسيرها والآية التي تليها:

﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ يعني الذين يحلفون أن لا يجامعوا نساءهم **﴿تربص أربعة أشهر﴾** يعني لهم أجل أربعة أشهر بعد اليمين **﴿فإن فاءوا﴾** يعني رجعوا عن اليمين، وجامعوا قبل أن تمضي أربعة أشهر بعد اليمين وكفروا عن أيمانهم **﴿فإن الله غفور رحيم﴾** ولا تبين المرأة عن الزوج.

﴿وإن عزموا الطلاق﴾ يعني: أوجبوا الطلاق بترك الجماع حتى مضت أربعة أشهر، وقعت عليها تطليقة بمضي أربعة أشهر.

وقال بعضهم: لا يقع الطلاق، ولكن يؤمر الزوج بعد مضي أربعة أشهر أن يجامعها، أو يطلقها.

وقال بعضهم: وقع الطلاق بعد مضي أربعة أشهر، وهو قول علمائنا.

وقال ابن عباس وابن مسعود: عزيمة الطلاق انقضاء الأربعة الأشهر، وذلك قوله تعالى: **﴿وإن عزموا الطلاق﴾** يعني: أوجبوا الطلاق بترك الجماع. . .

وفي تفسير قوله تعالى **﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم. . الآية﴾**[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٤.

(٢) راجع: بحر العلوم تفسير الآية المذكورة.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٦.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤.

يقول:

وفي هذه الآية دليل: أن الكلب إذا كان أكل لا يؤكل، لأنه أمسك لنفسه، وفيها دليل: أنه لا يجوز إلا بالتسمية، لأنه قد أباح على شرط التسمية، وعلى شرط أن يمسك لصاحبه، وفيها دليل أيضاً أن الكلب إذا كان غير معلم لا يجوز أكل صيده، وفيها دليل أيضاً أن العالم له من الفضيلة ما ليس للجاهل، لأن الكلب إذا عُلّم تكون له فضيلة على سائر الكلاب، فإن الإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له فضل على سائر الناس، وهذا كما روي عن علي ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: لكل شيء قيمة، وقيمة المرء ما يحسن. .

وصف المخطوط

اعتمدنا في ضبط نص الكتاب على ثلاث نسخ. الأولى: وهي المحفوظة في جامعة أدينبرج رقم ٣٦٨٨ (EDINBURGH) مكتبة تشيستربتي وهي ناقصة أربع سور وهي الحجر والنحل والإسراء والكهف.

وهذه النسخة مقسمة إلى أربع مجلدات في جزئين الجزء الأول من فاتحة الكتاب إلى نهاية سورة إبراهيم.

والجزء الثاني من سورة مريم إلى آخر الكتاب مكتوب على غلافها الأول وهي مكتوبة بخط واضح جميل عدد أوراقها (٣٥٢) ورقة مسطرتها (٢٤) سطراً وعليها تملك ونصه: تملكه الحقير الفقير بالشراء الشرعي ـ يونس بن إبراهيم عفا عنهما.

ووقع في آخرها قوله (تم المجلد الرابع عند الضحى يوم الجمعة. . .) وقد رمزنا لها بالرمز (ظ).

الثانية: هي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦ تفسير وهي كاملة لا نقص فيها.

مكتوبة بخط واضح جداً وفيها آيات كتاب الله تعالى مكتوبة بالأحمر عدد أوراقها (٥٤٣) ورقة مسطرتها (٢٩) سطراً ووقع في نهايتها قوله والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة والمقربين وأهل طاعتك أجمعين ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابعي التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

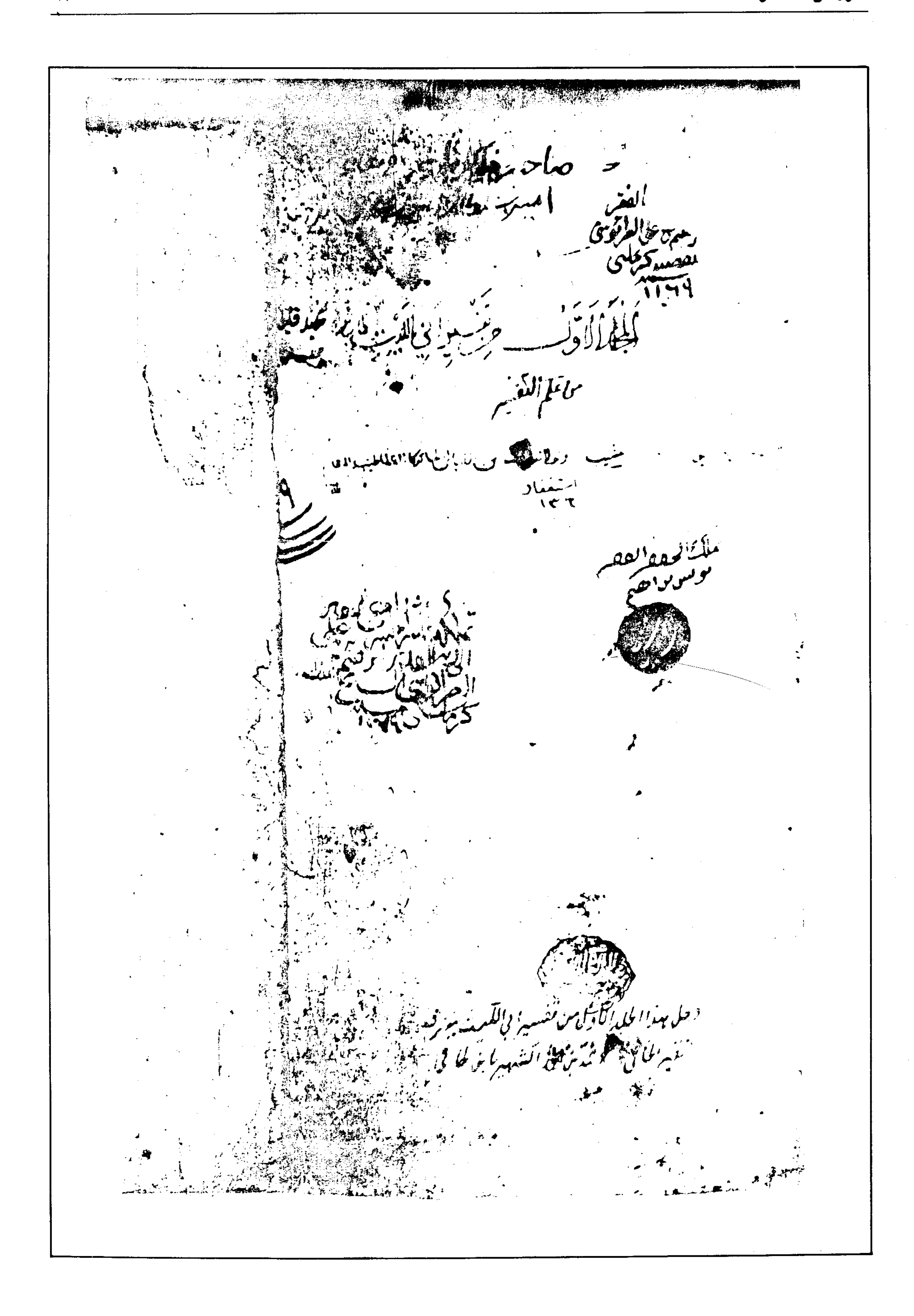
ووافق الفراغ من كتابة هذا التفسير المبارك لمولانا الإمام العلامة أبي الليث نصر بن إبراهيم السمرقندي ـ رضي الله عنه آمين وأرضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه ونفعنا بعلومه ومدده وأسراره في الدارين. آمين في يوم الأحد المبارك مستهل محرم الحرام افتتاح سنة إثنين وتسعين وتسعمائة المباركة.

أحسن الله عاقبتها بمحمد وآله.

وقد رمزنا لها بالرمز (أ)

الثالثة: وهي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ تفسير عدد أوراقها (٥٤٢) مسطرتها (٢٩) سطراً مكتوبة بخط واضح جيد كتب في نهايتها ما كتب في النسخة (أ) وقد استعنا بها كثيراً في ضبط النص وقلما نشير فيها لفرق ورمزنا لها بالرمز (ب).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم [illegible] الطاهرين

باب في الحث على طلب [illegible] القرآن

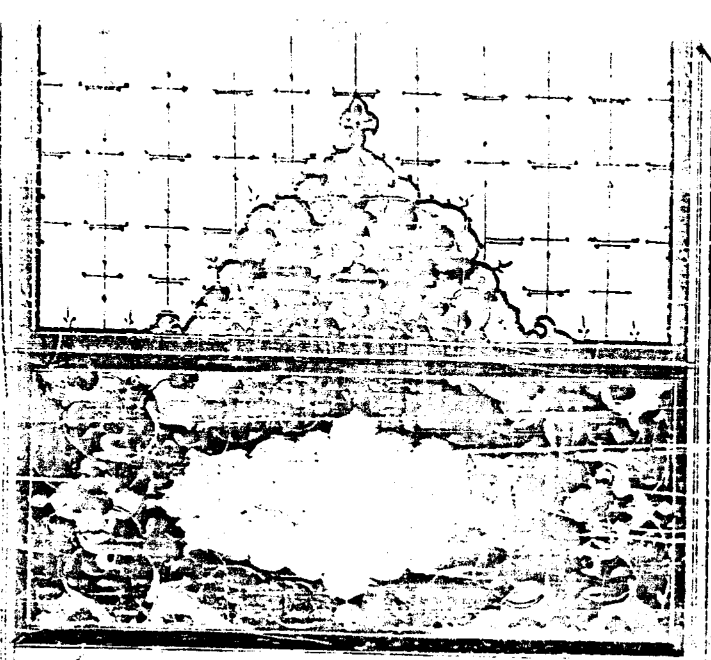
قال الفقيه أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي رحمه الله أخبرنا أبو جعفر محمد بن الفضل قال أخبرنا محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا وكيع عن سفيان الثوري عن [illegible] عن مرة الهمداني قال قال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد العلم فليثور القرآن وفي رواية أخرى فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ما من شيء إلا وعلمه في القرآن [illegible] الرجال تعجز عنه قال الفقيه رحمه الله حدثنا أبو جعفر قال حدثنا محمد بن [illegible] قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا محمد بن [illegible] قال حدثنا محمد بن جعفر [illegible] عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي [illegible] أنه [illegible] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يقرؤون على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قال الفقيه رحمه الله حدثنا [illegible] قال حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد [illegible] قال حدثنا [illegible] قال حدثنا [illegible] عن [illegible] عن [illegible] قال حدثنا [illegible] قال حدثنا [illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الله [illegible] محكم كتابه [illegible] وما حرم عليكم فأحلوا حلاله وحرموا حرامه [illegible] واعتبروا بأمثاله [illegible] قال [illegible] عليه السلام [illegible] ثم لا [illegible]

[illegible] القرآن [illegible] ومن لم [illegible] حجة على [illegible] العجم ثم لا [illegible]

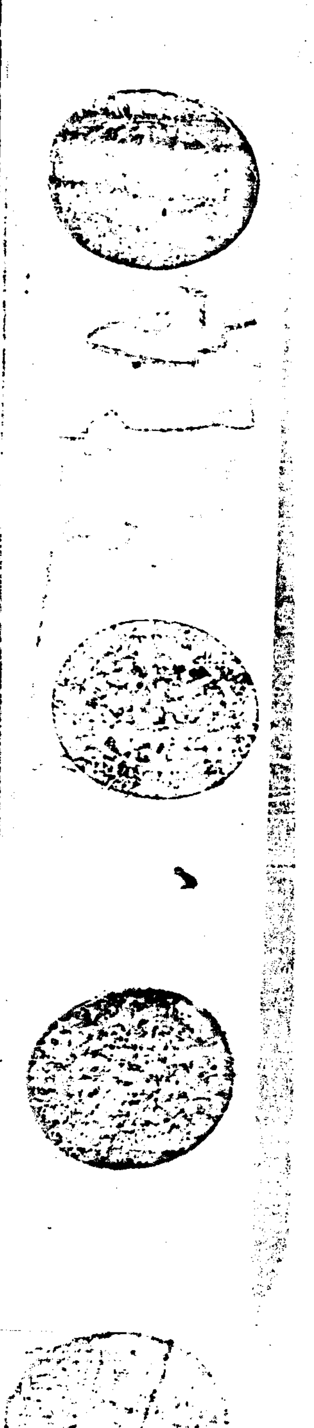
[illegible] وجوه اللغة وأحوال التنزيل [illegible] ما حدثنا محمد بن الفضل [illegible] قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا وكيع عن سفيان [illegible] في القرآن [illegible]

النسخة الأولى (ظ) الصفحة الأولى

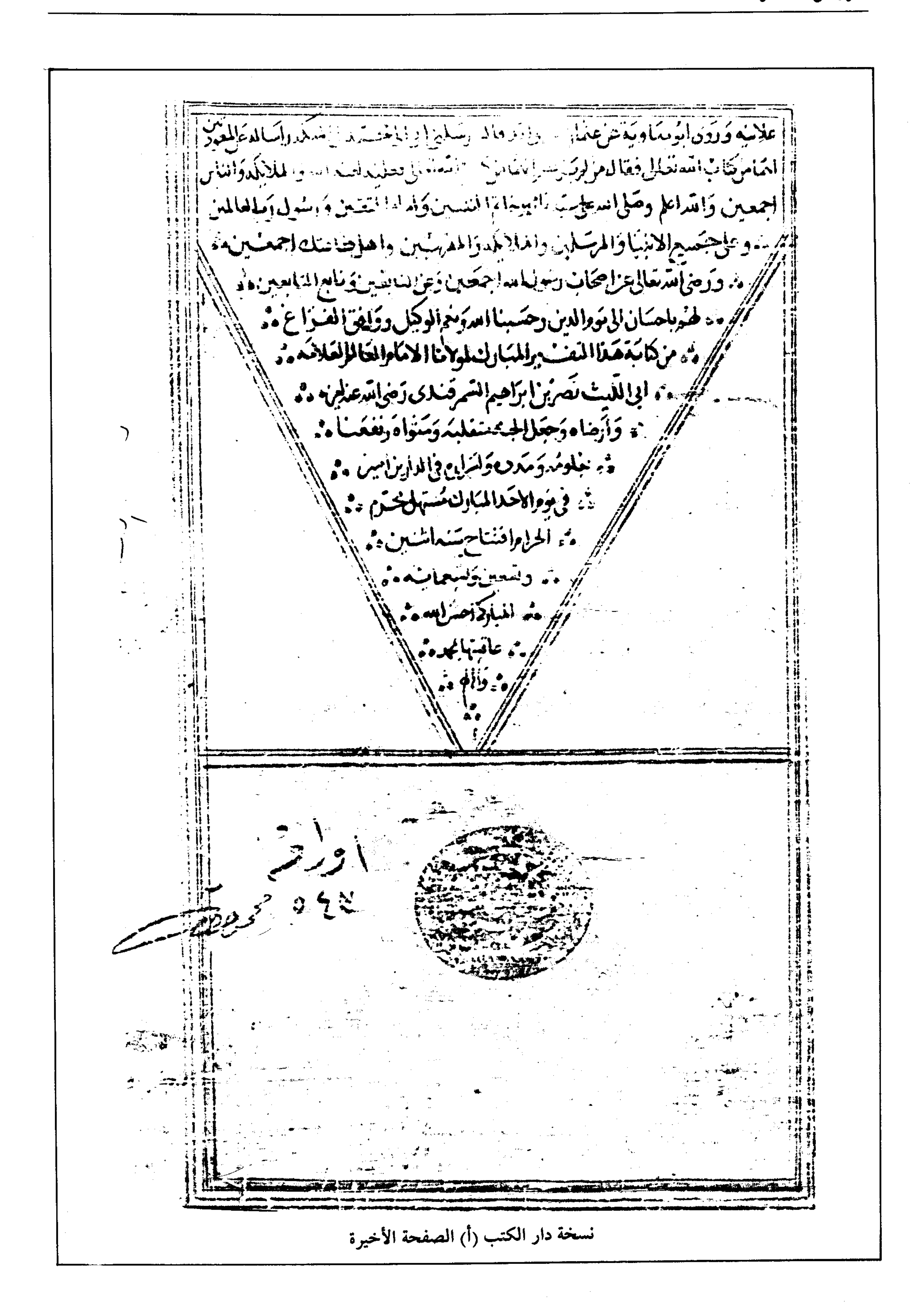
النسخة الأولى (ظ) الورقة الأخيرة



قال اخبرنا ابو الفضل جبريل بن احمد اليونانى قال انبانا ابو محمد لقمان بن حكيم بن
ابن خلف الفرغانى باوزكند قال حدثنا الفقيه ابو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندى
رحمة الله عليه قال اخبرنا ابو جعفر الكرابيسى قال حدثنا ابراهيم بن يوسف قال حدثنا
وكيع عن سفيان الثورى عن ابى اسحاق عن مرة الهمدانى قال قال ابن مسعود رضى الله عنه
من اراد العلم فليثر القران وفى رواية اخرى فليثور القران فان فيه علم الاولين
والاخرين وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال ما من شى الا وعلمه فى القران
غير ان اراء الرجال تعجز عنه حدثنا ابو جعفر محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر
قال حدثنا ابراهيم بن يوسف قال حدثنا محمد بن الفضيل عن عطاء بن السايب عن ابى عبد الرحمن
السلمى قال حدثنا من كان يقرئنا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم كانوا
يقترون على النبى صلى الله عليه وسلم عشر ايات فلا ياخذون فى العشر الاخرى حتى يعلموا
ما فيها من العلم والعمل قال حدثنا الفقيه ابو الليث رحمه الله قال حدثنا ابى قال حدثنا
ابو بكر محمد بن احمد المعلم قال حدثنا ابو عمران الفريابى قال حدثنا عبد الرحمن بن حبر قال
حدثنا داود بن المحبر قال حدثنا عباد بن كثير عن عبد خير عن على بن ابى طالب رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته ايها الناس قد بين لكم فى محكم كتابه ما احل لكم وما
حرم عليكم فاحلوا حلاله وحرموا حرامه وامنوا بمتشابهه واعملوا بمحكمه واعتبروا
بامثاله فلما امر النبى صلى الله عليه وسلم بان يحل حلاله ويحرم حرامه ثم لا يمكن ان يحل حلاله
ويحرم حرامه الا بعد ان يعلم تفسيره ولان النبى صلى الله عليه وسلم الله تعالى انزل القران
هدى للناس وجعله حجة على جميع الخلق لقوله تعالى واوحى الى هذا القران لانذركم به ومن
بلغ فلما كان القران حجة على العرب والعجم ثم لا يكون حجة عليهما الا بعد ان يعلموا تفسيره
وتاويله فدل ذلك على ان طلب تفسيره وتاويله واجب ولكن لا يجوز لاحد ان يفسر القران براية



نسخة دار الكتب (أ) الصفحة الأولى



علانيه وروى ابو معاويه عن عثمان [illegible] قال رسول الله [illegible]
[illegible] الملائكة والناس
اجمعين والله اعلم وصلى الله على [illegible] رسول رب العالمين
وعلى جميع الانبيا والمرسلين والملائكة المقربين واهل طاعتك اجمعين
ورضي الله تعالى عن اصحاب رسول الله اجمعين وعن التابعين وتابع التابعين
لهم باحسان الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل ووافق الفراغ
من كتابة هذا التفسير المبارك لمولانا الامام العالم العلامه
ابي الليث نصر بن ابراهيم السمرقندي رضي الله عنه
وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه ونفعنا
بعلومه ومدده ولسائر في الدارين امين
في يوم الاحد المبارك مستهل محرم
الحرام افتتاح سنة اثنين
وتسعين وتسعمائه
المباركة احسن الله
عاقبتها بالخير
والحمد

نسخة دار الكتب (أ) الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

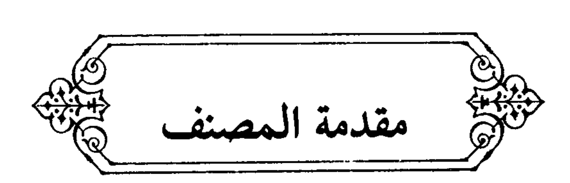
نسخة دار الكتب (ب) الصفحة قبل الأخيرة

علانيه وروى ابو معاوية عن عمار ... واسأل الله المعوذ من
امام كتاب الله تعالى فقال من ... للملائكة والناس
اجمعين والسلام وصلى الله على ... رب العالمين
وعلى جميع الانبيا والمرسلين ... اجمعين
ورضي الله تعالى عن اصحاب ... ابعين
لهم باحسان الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل ووافق الفراغ
من كتابة هذا التفسير المبارك لمولانا الامام العالم العلامة
ابي الليث نصر بن ابراهيم السمرقندي رضي الله عنه
وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه ونفعنا
بعلومه ومدده واسراره في الدارين امين
في يوم الاحد المبارك مستهل محرم
الحرام افتتاح سنة اثنين
وتسعين وتسعمائة
المبارك احسن الله
عاقبتها بمحمد
وآله

نسخة دار الكتب (ب) الصفحة الأخيرة



بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة المصنف

باب الحث على طلب التفسير[١]

[الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين وعترته الطاهرين][٢]قال: أخبرنا أبو الفضل جبريل بن أحمد اليوناني قال: أنبأنا أبو محمد لقمان بن حكيم بن خلف الفرغاني باوزكندة قال: حدثنا الفقيه أبو الليث[٣] نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي رحمة الله عليه قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن الفضل، قال أخبرنا محمد بن جعفر الكرابيسي[٤]، قال: حدثنا ابراهيم بن يوسف قال: حدثنا وكيع عن سفيان الثوري، عن [أبي][٥]اسحاق عن مرة الهمذاني قال: قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: من أراد العلم فليثر القرآن. وفي رواية أخرى فليؤثر[٦]القرآن، فإن فيه علم الأولين والأخرين. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما من شيء إلا وعلمه في القرآن غير أن آراء الرجال تعجز عنه. [قال الفقيه][٧]: حدثنا أبو جعفر محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا ابراهيم بن يوسف قال: حدثنا محمد بن الفضل الضبي عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنهم كانوا يقرأون على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل. قال الفقيه: [حدثنا][٨]أبي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المعلم قال: حدثنا أبو عمران الفريابي، قال: حدثنا[عبد الرحمن][٩]بن جبير بن حبيب قال: حدثنا داود بن المخبر قال: حدثنا عباد بن كثير عن عبد خير عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال في خطبته: (أيها الناس قد بين الله لكم في محكم كتابه ما أحل لكم وما حرم عليكم، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وآمنوا بمتشابهه، واعملوا بمحكمه واعتبروا بأمثاله) قال: [فلما أمر][١٠]النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يحل حلاله ويحرم حرامه، ثم لا يمكن أن يحل حلاله، ويحرم حرامه الا بعد ما يعلم تفسيره. ولأن الله تعالى أنزل القرآن هدى للناس، وجعله حجة على جميع الخلق لقوله[١١] (وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم

---

(١) في ظ (تفسير القرآن).

(٢) سقط في أ.

(٣) في ظ قال أبو الليث.

(٤) في أ أبو جعفر الكرابيسي.

(٥) في ظ ابن.

(٦) ثَوَّرَ القرآن: بحث عن معانيه وعن علمه وقيل: تَثْوير القرآن: قراءته ومناقشة العلماء به في تفسيره ومعانيه. اللسان، الصحاح: ثور.

(٧) سقط في أ.

(٨) في ظ حدثني.

(٩) في ظ أبو عبد الرحمن.

(١٠) في ظ فأمر.

(١١) في ظ بقوله

بـه ومن بلغ) فلمـا كـان القـرآن حجـة على العـرب والعجم، ثم لا يكـون حجـة عليهم الا بعـد [أن يعلموا][(١)] [وتأويله][(٢)] تفسيره برأيه، فدل ذلك على أن طلب تفسيره وتأويله واجب. ولكن: لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن من ذات نفسه[(٣)] برأيه، ما لم يتعلم ويعرف[(٤)] وجوه اللغة وأحوال التنزيل[(٥)] لانه روي في الخبر ما حدثنا به محمد بن (الفضيل)[(٦)] قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثناابراهيم بن يوسف قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير[(٧)] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: من

---

(١) في ظ ما يعلم. (٢) من أ

(٣) من أ. (٤) في أ أو يعرف.

(٥) اختلف الناس في تفسير القرآن: هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟ فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً، أديباً، متسعاً في معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار والآثار وليس له إلّا أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها، وهي خمسة عشر علماً.

أحدها: اللغة: لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

الثاني: النحو: لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بد من اعتباره.

الثالث: علم التصريف: لأن به تعرف الأبنية والصيغ.

الرابع: علم الاشتقاق: لأن الإسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما، كالمسيح: أهو من السياحة أو من المسح.

الخامس والسادس والسابع: علوم المعاني والبيان والبديع: لأنه يُعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعاني وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالةوخفائها. وبالثالث وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر، لأنه لا بد له أن يعلم ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم.

الثامن: علم القراءات: لأنه به يعرف كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: علم أصول الدين: ليعرف وهو يفسر القرآن ما يجب لله وما يستحيل عليه وما يجوز له، ويعرف الفرق بين العقائد والشرائع، وما هو من أصول الدين، وما هو من فروعه.

العاشر: علم أصول اللغة: لأن به يعرف وجه الإستدلال على الأحكام، وطريقة استنباطها من النصوص.

الحادي عشر: أسباب النزول والقصص: إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزَّلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره.

الثالث عشر: علم الفقه إذ به يعرف مذاهب الفقهاء.

الرابع عشر: علم الأحاديث والسنن والآثار المبينة لتفصيل المجمل، وتوضيح المبهم وتخصيص العام، وتقييد المطلق، إلى غير ذلك من وجه بيان السنة للقرآن.

الخامس عشر: علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى من عمل بما علم. وإليه الإشارة بحديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من عَمِلَ بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسر إلا بتحصيلها فمن فسر القرآن بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه. والله أعلم. انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣/١٨٤ ـ ١٨٨. والإسرائيليات والموضوعات للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ص (٤٨ ـ ٥٣) بتصرف.

(٦) في ظ الفضل.

(٧) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه من الثالثة وروايته عن عائشة.

قال [١] في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار. وروى أبو صالح [٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار. قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا ابراهيم بن يوسف قال: حدثنا أبو حفص [٣] عن ابن مجاهد [٤] قال: قال رجل لابي: أنت [٥] الذي تفسر القرآن [٦] برأيك؟ فبكى أبي ثم قال: اني اذا لجرىء. لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - رضي الله عنهم. وروي عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبا﴾ فقال: لا أدري ما الأب. فقيل له: قل من ذات نفسك يا خليفة رسول الله. قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في القرآن بما لا أعلم. فإذا لم يعلم الرجل وجوه اللغة وأحوال التنزيل، فتعلم التفسير وتكلف حفظه فلا بأس بذلك، ويكون ذلك على سبيل الحكاية. والله أعلم.

---

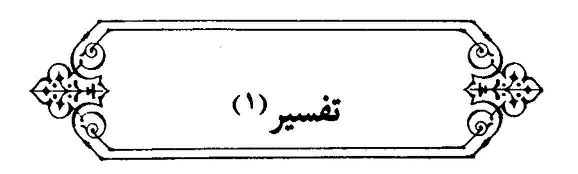
(١) وأبي موسى ونحوهما مرسلة ٢٩٢/١ . في أ قال قولاً.

(٢) باذام ويقال آخره نون أبو صالح مولى أم هانىء ضعيف مدلس تقريب التهذيب ٩٣/١.

(٣) عبد الله بن حفص بن عمر الزهري المدني كان من أهل العلم والثقة أجمعوا على توثيقه تهذيب التهذيب ١٨٩/٥ الجرح والتعديل ٣٩/٥.

(٤) عبد الوهاب بن مجاهد بن جبير المكي كان يروي عن أبيه ضعيف الحديث تهذيب التهذيب ٤٥٣/٦٠.

(٥) في ظ هذا. (٦) من أ.



بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا القاضي[٢] الخليل بن أحمد[٣]، قال: حدثنا السراج[٤]، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد[٥]، قال: حدثنا خالد[٦]، [عن][٧]داود[٨]عن عامر[٩]، قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكتب: باسمك اللهم، فلما[نزل ـ في][١٠]سورة هود ﴿بسم الله مجريها و [مرسيها]﴾[١١]كتب: بسم الله. فلما[نزل ـ في][١٢]سورة بني اسرائيل ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ كتب بسم الله الرحمن، فلما [نزل ـ في][١٣]سورة النمل ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ كتب: بسم الله الرحمن الرحيم[١٤]، ففي هذا الخبر دليل على أنه ليس من أول كل سورة، ولكنه [بعض] [١٥] آية من كتاب الله تعالى من [١٦] سورة النمل. فأما تفسير قوله (بسم الله) يعني بدأت باسم الله ولكن لم يذكر بدأت، لان الحال ينبىء: أنك مبتدىء فيستغني عن ذكره وأصله: باسم (الله) [١٧] بالالف ولكن حذفت من الاسم لكثرة الاستعمال، لانها ألف وصل، وليست بأصلية، بدليل أنها تسقط عند التصغير، فتقول سمي، وقال

---

(١) في أ قوله. (٢) من أ.

(٣) الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدي، نحوي لغوي واضع علم العروض صدوق. ت ١٧٠ هـ. انظر / أنباه الرواة ١/٣٤١، النجوم الزاهرة ١/٣١١، تهذيب التهذيب ٣/١٦٣.

(٤) محمد بن إسحاق السراج محدث خراسان وشيخها في عصره صدوق ثقة له المسند أربعة عشر جزءاً. توفي سنة ٣١٣هـ. الأعلام ٦/٢٩ تذكرة الحفاظ ٢/١٦٨.

(٥) قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي أبو رجاء البغلاني ثقة ثبت من العاشرة مات سنة أربعين. تقريب التهذيب ٢/١٢٣.

(٦) خالد بن سليمان البلخي أبو معاذ كان إماماً معروفاً ببلخ من أصحاب أبي حنيفة الجواهر المضيئة ٢/١٦٢.

(٧) في ظ بن.

(٨) هو داود بن نصير الطائي من أصحاب أبي حنيفة كان زاهداً وورعاً ت ١٦٠هـ. انظر تهذيب التهذيب ٣/٣٠٣.

(٩) عامر بن شراحيل الحميري الشعبي أبو عمرو ثقة فقيه فاضل. تهذيب التهذيب ١/٣٨٧.

(١٠) في ظ نزلتا. (١١) في ظ مرساها.

(١٢) في ظ نزلت. (١٣) في ظ نزلت.

(١٤) ذكره القرطبي ١/٦٦ قال: روى الشعبي والأعمش أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يكتب باسمك اللهم «حتى أمر أن يكتب بسم الله» فكتبها فلما نزلت «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن» كتب بسم الله الرحمن» فلما نزلت [إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم] كتبها.

وفي مصنف أبي داود: قال الشعبي وأبو مالك وقتادة وثابت بن عمارة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل.

معالم التنزيل للبغوي (١/٣٩) القرطبي (١/٦٦).

العلوم المستودعة في السبع المثاني للنجيبي (١/١٥).

(١٥) من (أ). (١٦) في ظ (في). (١٧) من أ.

بعضهم: معنى قوله «بسم الله» يعني بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته وهذا تعليم من الله تعالى لعباده، ليذكروا اسم الله تعالى عند افتتاح القراءة وغيرها حتى يكون الافتتاح ببركة اسم الله تعالى [١]. وقوله (الله) هو اسم موضوع ليس له اشتقاق، وهو أجَلّ من أن يذكر له الاشتقاق. وهو قول الكسائي [٢]. قال أبو الليث رحمه الله: هكذا سمعت أبا جعفر يقول: روي عن محمد بن الحسن [٣] أنه قال: هو اسم موضوع ليس له اشتقاق. وروي عن الضحاك أنه قال: انما سمى الله إلهاً [٤]، لأن الخلق يولهون إليه في قضاء حوائجهم، ويتضرعون إليه عند شدائدهم وذكر عن الخليل بن أحمد البصري أنه قال: لأن الخلق يألهون إليه [٥]، بنصب اللام ويألهون بكسر اللام أيضاً، وهما لغتان، وقيل أيضاً: أنه اشتق من الارتفاع، وكانت العرب تقول للشيء المرتفع «لاه» وكانوا يقولون اذا طلعت الشمس: طلعت لاهة وغربت لاهة وقيل أيضاً: إنما سمي﴿الله﴾ لأنه لا تدركه الأبصار «ولاه» معناه احتجب كما قال القائل:

لاه ربي عن الخلائق طرا خالق [٦] الخلق [لا يرى ويرانا] [٧]

وقيل أيضا: سمي (الله) لأنه يوله قلوب العباد بحبه.

وأما (الرحمن) فالعاطف على جميع خلقه بالرزق لهم، ولا يزيد في رزق التقي لأجل تقاه ولا ينقص من رزق

---

(١) ندب الشرع إلى ذكر البسملة في أول كل فعل، كالأكل والشرب والنحر، والجماع والطهارة وركوب البحر، إلى غير ذلك من الأفعال، قال تعالى: «فكلوا مما ذكر اسم الله عليه» (الأنعام: ١١٨) «وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها». (هود: ٤١)
وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أغلق بابك واذكر اسم الله وأطفىء مصباحك واذكر اسم الله وخمر إناءك واذكر اسم الله وأوك سقاءك واذكر اسم الله».
وقال: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: «بسم الله اللهم جَنِّبْنَا الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا» فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً».
وقال لعمر بن أبي سلمة: «يا غلام سَمِّ الله وكُلْ بيمينك وكُلْ مما يليك» وقال «إن الشيطان ليستحل الطعام إلا بذكر اسم الله».
وقال: «من لم يذبح فليذبح باسم الله» وشكا إليه عثمان بن أبي العاصي وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل «بسم الله ثلاثاً» وقل سبع مرات «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر».
هذا كله ثابت في الصحيح. وروى ابن ماجه والترمذي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال «ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول بسم الله».
وروى الدارقطني عن عائشة قالت: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إذا مس طهوره سمى الله تعالى ثم يفرغ الماء على يديه».
انظر في كل ما تقدم تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٤ والجامع لأحكام القرآن ١/ ٦٩.

(٢) علي بن حمزة الإمام أبو الحسن الكسائي ولد بالكوفة واستوطن بغداد وهو من القراء السبعة المشهورين ومن النحاة الكوفيين من مصنفاته معاني القرآن وغير ذلك. بغية الوعاء ٢/ ١٦٢ وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٥.

(٣) محمد بن الحسن الرؤاسي النحوي أبو جعفر استاذ الكسائي والفراء وكان رجلاً صالحاً بغية الوعاة ٢/ ٨٢.

(٤) قال ابن منظور: قال أبو الهيثم: وأصل إله ولِاَه فقلبت الواو همزة كما قالوا للوِشَاح إشاح، وللوِجاح ـ وهو الستر ـ اجاح، ومعنى ولِاَه: أن الخلق يَوْلَهُون إليه في حوائجهم، ويضرعون لله فيما يصيبهم، ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم، كما يَوْله كل طفل إلى أمه. اللسان: أله.

(٥) والتأله: التنسك والتعبد (اللسان: أله).

(٦) في (أ) لا يرى خالق.

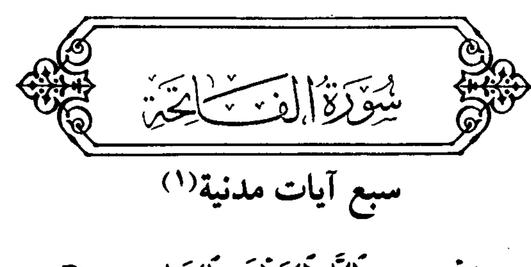
(٧) في (أ) ويرى وفي (ظ) لا يرى والصواب ما أثبتناه فقد ورد البيت في تفسير الطبري هامش ٢١٢/١ نقلاً عن الأغاني وهو للوليد بن عقبة والشطرة الأولى في اللسان لا وله.

الفاجر لأجل فجوره، وما كان في لغة العرب على ميزان «فعلان» يراد به المبالغة في وصفه كما يقال: شبعان [وشقيان][(١)]، وغضبان، اذا امتلأ غضباً. فلهذا سمى نفسه رحماناً لأن رحمته وسعت كل شيء فلا يجوز أن يقال لغير الله تعالى «الرحمن» لأن هذا الوصف لا يوجد [في غيره][(٢)]. وأما الرحيم فالرفيق بالمؤمنين خاصة، يستر عليهم ذنوبهم في الدنيا ويرحمهم في الآخرة، ويدخلهم الجنة.

وقيل أيضاً: إنما سمى نفسه (رحيما) لأنه لا يكلف عباده جميع ما يطيقون[(٣)] وكل ملك يكلف عباده[(٤)]، جميع ما يطيقون[(٥)] فليس برحيم. وروي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: في قوله تعالى (بسم الله) قال: اسمه شفاء من كل داء، وعون على كل دواء [لأنه اسمه][(٦)]. وأما الرحمن فهو عون لمن[(٧)] آمن به، وهو اسم لم يسم به غيره، وأما (الرحيم) فلمن تاب وآمن وعمل صالحاً. وقد فسره بعضهم على الحروف، وروى عبد الرحمن [المديني][(٨)] عن عبد الله بن عمر أن عثمان بن عفان رضي الله عنهم سأل صلى الله عليه وسلم عن تفسير (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال: أما الباء: فبلاء الله وروحه، ونصره وبهاؤه، وأما السين: فسناء الله، وأما الميم: فملك الله، وأما الله فلا إله غيره، وأما الرحمن: فالعاطف على البر والفاجر من خلقه، وأما الرحيم، فالرفيق بالمؤمنين خاصة[(٩)]. وروي عن كعب الأحبار[(١٠)] أنه قال: الباء بهاؤه والسين سناؤه ولا شيء أعلى منه، والميم: ملكه، وهو على كل شيء قدير، فلا شيء يعازه[(١١)]. وقد قيل: إن كل حرف هو افتتاح اسم من أسمائه. فالباء: مفتاح اسمه بصير، والسين: مفتاح اسمه سميع، والميم: مفتاح اسمه ملك [وقيل مجيد][(١٢)]، والألف: مفتاح اسمه الله، واللام: مفتاح اسمه لطيف، والهاء: مفتاح اسمه هادي، والراء: مفتاح اسمه رزاق، والحاء: مفتاح اسمه حليم، والنون: مفتاح اسمه نور. ومعنى هذا كله: دعاء [الله عند الافتتاح][(١٣)].

---

(١) في ظ وشعبان.
(٢) في ظ [لغيره].
(٣) في أ [لا يطيقون].
(٤) من أ.
(٥) في أ [لا يطيقون].
(٦) من أ.
(٧) في ظ [لكل].
(٨) عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث القرشي المدني نزيل البصرة صدوق وفي بالقدر التهذيب ١/٤٧٢.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور ١/٩.
(١٠) كعب بن ماني بن ذي هجن الحمدي تابعي أسلم في زمن أبي بكر أخذ عنه الصحابة كثيراً من أخبار الأمم الغابرة وأخذ هو من الكتاب والسنّة عن الصحابة توفي سنة ٣٢ هـ. الإصابة ٥/٣٢٢ الأعلام ٥/٢٢٨.
(١١) أخرجه الطبري في التفسير مجزءاً ١/١٢١ (١٤٠) (١٤٥) (١٤٧) وقال العلامة أحمد شاكر هذا حديث موضوع وعزاه لابن حبان في كتاب المجروحين في ترجمة إسماعيل بن يحيى بن عبد الله التيمي (٤٤) ص (٨٥) وقال في إسماعيل هذا «كان ممن يروي الموضوعات من الثقات وما لا أهل له عن الإثبات لا تحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به بحال ثم ضرب مثلاً من أكاذيبه فروى الحديث بطوله عن محمد بن يحيى بن زين العطار عن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك وذكره ابن كثير في التفسير ١/٣٣ نقلاً عن ابن مردويه من حديث أبي سعيد وحده وأشار إلى رواية الطبري ثم قال: «وهذا غريب جداً وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات ولم يذكر الحافظ ابن كثير أن في إسناده كذاباً وعزاه السيوطي في الدر ١/٨ لابن جرير وابن عدي في كامله وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخ دمشق والثعلبي وقال سند ضعيف جداً.
(١٢) ساقطة في ظ.
(١٣) في ظ الله تعالى عند افتتاح كل شيء والله أعلم.



سبع آيات مدنية[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾

روي عن مجاهد[٢] أنه قال: سورة فاتحة الكتاب مدنية، وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: هي مكية. ويقال: [نصفها نزل بمكة ونصفها نزل بالمدينة][٣]. [حدثنا][٤] الحاكم أبو الفضل، محمد بن [الحسين][٥] الحدادي قال: حدثنا أبو حامد المروزي[٦] قال: حدثنا إبراهيم بن مرزوق[٧] قال: حدثنا عمر بن يونس[٨] قال:

---

(١) ساقطة في ظ. قال الشوكاني في فتح القدير (١/١٤) أخرج الواحدي في أسباب النزول والثعلبي في تفسيره عن علي رضي الله عنه قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة والثعلبي والواحدي من حديث عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شكا إلى خديجة ما يجده عند أوائل الوحي فذهبت به إلى ورقة فأخبره فقال له إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فأنطلق هارباً في الأرض فقال لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم حتى بلغ ولا الضالين الحديث وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن رجل من بني سلمة قال لما أسلمت فتيان بني سلمة وأسلم ولد عمرو بن الجموح قالت امرأة عمرو له هل لك أن تسمع من أبيك ما روي عنه فسأل فقرأ عليه: الحمد لله رب العالمين وكان ذلك قبل الهجرة وأخرج أبو بكر بن الأنباري في المصاحف عن عبادة قال: فاتحة الكتاب نزلت بمكة فهذا جملة ما استدل به من قال إنها نزلت بمكة واستدل من قال إنها نزلت بالمدينة بما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وأبو سعيد بن الأعرابي في معجمه والطبراني في الأوسط من طريق مجاهد عن أبي هريرة «رن إبليس حين أنزلت فاتحة الكتاب» وأنزلت بالمدينة وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو نعيم في الحلية وغيرهم من طرق عن مجاهد قال: نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة وقيل إنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة جمعا بين هذه الروايات.

(٢) مجاهد بن جبير أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم مات سنة واحد ومائة وقيل غير ذلك. التقريب ٢/٢٢٩.

(٣) في ظ بعضها نزلت بالمدينة وبعضها بمكة. (٤) في ظ قال الفقيه رحمه الله حدثنا. (٥) في ظ الحسن.

(٦) أحمد بن الحسين بن علي المرزوي قاضي خراسان المعروف بابن الطبري الجواهر المضيئة ١/١٦١.

(٧) إبراهيم بن مرزوق الثقفي البصري مقبول. التقريب ١/٤٣.

(٨) عمر بن يونس اليماني الجرشي من الثقات. الجرح والتعديل ٦/١٤٢. التقريب ٢/٦٤.

حدثنا جهضم[١] بن عبد الله عن العلاء بن عبد الرحمن[٢] عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في كتاب الله لسورة ما أنزل الله على نبي مثلها فسأله أبي بن كعب عنها فقال: إني لأرجو أن لا تخرج من الباب حتى تعلمها، فجعلت أتبطأ، ثم سأله أبي عنها فقال: كيف تقرأ في صلاتك؟ قال: بأم الكتاب. فقال: والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها، وإنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته [٣]» وقال بعضهم: السبع المثاني، هي السبع الطوال سورة: البقرة، وآل عمران والخمس التي بعدها [وسماها مثاني لذكر القصص فيها مرتين] [٤]. وقال أكثر أهل العلم: هي سورة [الفاتحة] [٥]، وإنما سميت السبع لأنها سبع آيات، وإنما سميت المثاني لأنها تثنى بقراءتها في كل صلاة [٦]. وقال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن حامد الخزعوني، قال: حدثنا علي بن إسحاق [٧]، قال: حدثنا محمد بن مروان [٨] عن محمد بن السائب الكلبي [٩] عن أبي صالح ـ مولى أم هانىء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال: الشكر لله[١٠]. ومعنى قول ابن عباس: الشكر لله، يعني الشكر لله على نعمائه كلها، وقد قيل: (الحمد لله) يعني الوحدانية لله. وقد قيل: الألوهية لله، وروي عن قتادة[١١] أنه قال: معناه الحمد لله الذي لم يجعلنا من المغضوب عليهم ولا الضالين. ثم معنى قوله (الحمد لله) قال بعضهم: (قل) فيه مضمر يعني: قل الحمد لله. وقال بعضهم: حمد الرب نفسه، ليعلم عباده فيحمدوه. وقال أهل اللغة: الحمد هو الثناء الجميل، وحمد الله تعالى هو: الثناء عليه بصفاته الحسنى، وبما أنعم على عباده، ويكون في الحمد معنى الشكر وفيه معنى المدح وهو أعم من الشكر، لأن الحمد يوضع موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع الحمد. وقال بعضهم: الشكر أعم لأنه باللسان وبالجوارح وبالقلب، والحمد يكون باللسان خاصة. [كما قال اعملوا آل داود شكراً][١٢] وروي عن ابن عباس أنه قال: الحمد لله كلمة كل شاكر[١٣]، وذلك أن آدم عليه السلام قال حين عطس: الحمد لله: فقال الله تعالى (يرحمك الله) فسبقت رحمته غضبه[١٤]. وقال الله تعالى لنوح (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين)

---

(١) و(٢) جهضم بن عبد الله بن الفضل وأصله من خراسان روي عنه الثوري وعمر بن يونس صدوق. التقريب ١/١٣٥ الجرح والتعديل ٢/٥٣٤.

(٣) أخرجه الترمذي ٥/١٤٣ في كتاب فضائل القرآن (٢٨٧٥) وأخرجه البخاري بنحوه ٨/١٥٦ في التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب (٤٤٧٤) وفي ٨/٣٨١ (٤٧٠٣) وفي ٩/٥٤ (٥٠٠٦).

(٤) في ظ فاتحة الكتاب. (٥) سقط في ظ.

(٦) في ظ وقيل إنما سماها مثاني لذكر القصص فيها مرتين. قال ابن منظور المثاني من القرآن ماثُنِّي مرة بعد مرة وقيل: فاتحة الكتاب قيل لها مثاني لأنها يثنى بها من كل ركعة من ركعات الصلاة وتعاد في كل ركعة.

(٧) علي بن إسحاق بن إبراهيم السمرقندي ثقة صدوق الجرح والتعديل ٦/١٧٥.

(٨) محمد بن مروان السدي الصغير مولى الخطابيين ليس بثقة.

الجرح والتعديل ٨/٨٦. تهذيب التهذيب ٩/٤٣٦.

(٩) محمد بن السائب بن بشر بن عمر بن الحارث الكلبي كان عالماً بالتفسير والأخبار وأيام العرب من أهل الكوفة ورضوه في التفسير. التقريب ١٢/١٦٣.

(١٠) السيوطي في الدر المنثور ١/١١ لابن جرير ـ وهو فيه (١/١٣٥) وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١١) قتادة بن دعامة السدوسي البصري كان تابعياً عالماً كبيراً توفي ١١٧ هـ وفيات الأعيان ٤/٨٥ أنباه الرواة ٣/٥٣.

(١٢) ساقطة في ظ.

(١٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/١٣٥).

(١٤) أخرجه أحمد في المسند ٢/٣٩٧ وأخرجه الترمذي أيضاً ٩/٣٠٤ كما في التحفة والحاكم في المستدرك ٢/٢٦١ والحميدي =

وقال إبراهيم عليه السلام (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق) وقال في قصة داود وسليمان (وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) وقال لمحمد عليه السلام (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) وقال أهل الجنة: (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) فهي كلمة كل شاكر. وقوله تعالى ﴿رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: سيد العالمين. وهو رب كل ذي روح [تدب][1] على وجه الارض. ويقال: معنى قوله (رب العالمين) خالق الخلق ورازقهم ومربيهم ومحولهم من حال الى حال، من نطفة الى علقة، [ومن علقة][2] الى مضغة. والرب في اللغة: هو السيد قال الله تعالى (ارجع الى ربك) يعني إلى سيدك. والرب: هو المالك، يقال: رب الدار، ورب الدابة والرب هو المربي من قولك: ربى يربي [3]. وقوله (العالمين) كل ذي روح، ويقال: كل من كان له عقل يخاطب مثل بني آدم والملائكة والجن ولا يقع على البهائم ولا على غيرها. وروي [4] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم، وإن دنياكم منها عالم واحد[5]» ويقال: كل صنف [من الحيوان][6] عالم على حده. قوله عز وجل ﴿ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال في رواية الكلبي هما إسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر. وقال بعض أهل اللغة: هذا اللفظ شنيع فلو قال: هما إسمان لطيفان لكان أحسن ولكن معناه عندنا ـ والله أعلم ـ أنه أراد بالرقة الرحمة يقال: رق فلان [لفلان][7] إذا رحمه. يقال: رق يرق[8] إذا رحم وقوله: أحدهما أرق من الآخر. قال بعضهم: الرحمن أرق لأنه أبلغ في الرحمة لأنه يقع على المؤمنين والكافرين. وقال بعضهم: الرحيم أرق لأنه في الدنيا وفي الآخرة. وقال بعضهم: كل واحد منهما أرق من الآخر من وجه، فلهذا المعنى لم يبين، وقال أحدهما أرق من الآخر، يعني كل واحد منهما أرق من الآخر[9]. قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَومِ ٱلدِّينِ﴾ قرأ نافع وابن كثير وحمزة وأبو عمرو بن العلاء وابن عامر: ملك بغير الألف وقرأ عاصم والكسائي بالألف[10] فأما من قرأ[11] بالألف [12] قال: لأن [المالك][13] أبلغ في الوصف، لأنه يقال: مالك الدار، ومالك الدابة، ولا يقال ملك، إلا لملك من ملوك، وأما الذي قرأ: ملك [بغير ألف قال][14] «لأن [الملك][15] أبلغ في الوصف لأنك إذا قلت: فلان ملك هذه البلدة يكون ذلك كناية عن الولاية دون الملك، وإذا قلت فلان مالك هذه البلدة كان ذلك عبارة عن ملك الحقيقة، وروى مالك بن دينار[16] [عن][17] [أنس بن مالك][18] قال:

= (١١٢٦) كما في مسنده وابن أبي عاصم في السنة ١/٢٧٠ وابن أبي الدنيا في حسن الظن (١٣) والسيوطي في الدر المنثور (٩٦).

(١) في ظ [د ب]. (٢) ساقطة في ظ.

(٣) في ظ (تربية). (٤) في ظ (أبي كعب عن).

(٥) أخرجه الطبري في التفسير بنحوه ١/١٤٦ وابن كثير ١/٤٥ والسيوطي في الدر المنثور ١/١٣ ونسباه لابن أبي حاتم وقال ابن كثير وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح.

(٦) في ظ [منها]. (٧) في ظ [فلاناً]. (٨) في ظ [رقة].

(٩) في ظ [ويقال كل واحد منها أرق من الآخر]. (١٠) في ظ [مالك]. (١١) في ظ [ملك].

(١٢) ساقطة في ظ. من قرأ «مالك» بالمد فعلى وزن «سامع» اسم فاعل، ومن قرأ «ملك» بدون ألف فعلى وزن «فَعِلَ» صفة مشبهة، بمعنى قاضي يوم الدين والقراءتان حسنتان متواترتان عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأصح الطرق.

(١٣) في ظ «الملك». (١٤) ساقطة في ظ. (١٥) في ظ مالك.

(١٦) مالك بن دينار السلمي الناجي مولاهم أبو يحيى البصري الزاهد يكتب المصاحف بالأجرة كان ورعاً توفي في البصرة سنة (١٣١) هـ. الأعلام ٥/٢٦٠ ـ ٢٦١ وفيات الأعيان ١/٤٤٠.

(١٧) في ظ عن. (١٨) من مصادر الحديث وهو مروي من غير وجه.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتتحون الصلاة بـ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ وكلهم يقرأون (مالك يوم الدين) بالألف[١]. قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: سمعت أبي يحكي [بإسناده][٢] عن أبي عبد الله محمد بن شجاع البلخي يقول: كنت أقرأ [بقراءة][٣] الكسائي مالك يوم الدين بالألف فقال لي بعض أهل اللغة: الملك أبلغ في الوصف فأخذت بقراءة حمزة (وكنت أقرأ)[٤]﴿ملك يوم الدين﴾فرأيت في المنام كأنه أتاني آت فقال لي: لم حذفت الألف من مالك؟ أما بلغك الخبر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «اقرأوا القرآن فخما مفخماً»[٥] [فلم أترك القراءة بـ: «ملك» حتى أتاني بعد ذلك آت في المنام فقال لي:][٦] لم حذفت الألف من مالك؟ أما بلغك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات. فلم نقصت من حسناتك عشراً في كل قراءة؟ فلما أصبحت أتيت قطرباً وكان إماماً في اللغة ـ فقلت له: ما الفرق بين ملك ومالك؟ فقال: بينهما فرق كثير. فأما ملك فهو ملك من الملوك، وأما مالك فهو مالك الملوك. فرجعت إلى قراءة الكسائي[٧]. ثم معنى قوله «مالك» يعني قاضي وحاكم (يوم الدين) يعني يوم الحساب كما قال تعالى (ذلك الدين القيم) [يعني الحساب القيم. وقيل أيضاً: معنى يوم الدين يعني يوم القضاء. كما قال الله تعالى (وما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يعني في قضائه][٨] وقيل أيضاً: يوم الدين أي يوم الجزاء[٩]، كما يقال: كما تدين تدان[١٠]. يعني كما تجازي تجازى به. فإن قيل: ما معنى تخصيص يوم الدين؟ وهو مالك يوم الدين وغيره. قيل له: لأن في الدنيا، كانوا منازعين له في الملك. مثل فرعون ونمرود وغيرهما. وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد في ملكه، وكلهم خضعوا له. كما قال تعالى: (لمن الملك

---

(١) البخاري ٢/٢٢٦ ـ ٢٢٧ في كتاب الأذان باب ما يقول بعد التكبير (٧٤٣) ومسلم ١/٢٩٩، ٣٠٠ في الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة (٣٩٩/٥٢) وأخرجه الترمذي من حديث ابن عبد الله بن مغفل ٢/١٣ في أبواب الصلاة باب ما جاء في ترك بسم الله الرحمن الرحيم (٢٤٤) وقال حديث حسن وقال الزيلعي وأخرجه النسائي وابن ماجه وقال النووي في الخلاصة وقد ضعف الحفاظ هذا الحديث وأنكروا على الترمذي تحسينه كابن خزيمة وابن عبد البر والخطيب البغدادي وقالوا أن مداره على ابن عبد الله بن مغفل وهو مجهول ثم نقله من معجم الطبراني من طريق أبي سفيان طريف بن شهاب عن يزيد بن عبد الله بن مغفل عن أبيه وهو أيضاً في مسند أحمد ٤/٨٥ بإسناد صحيح.

(٢) ساقطة في ظ. (٣) في ظ [بحرف]. (٤) في أ [حمزة وكنت أقرأ].

(٥) ولذلك كره قوم الإمالة لحديث نزل القرآن بالتفخيم والحديث في الحاكم ١/٢٣١ وأجيب عنه بأوجه: ذكرها السيوطي في الإتقان ١/٢٦١ ـ ٢٦٢ أحدها.

(٦) في ظ [فلم أترك القراءة بملك حتى أتاني بعد ذلك آت فقال لي].

(٧) لا ينبغي تفضيل قراءة على أخرى استناداً إلى رؤية منامية، فالقراءة تثبت بالسند الصحيح المتواتر ـ قال ابن الجزري:

فكل ما وافق وَجْه نحو ... وكان للرسم احتمالاً لا يحوي
وصَحّ إسناداً هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يخْتَل ركن أثبتِ ... شذوذه، لو أنّه في السَبْعَةِ

انظر / طيبة النشر «المقدمة». والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ١.

(٨) في ظ [وقيل أيضاً معنى الدين يعني يوم القضاء كما قال الله تعالى ﴿ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ يعني: في قضائه].

(٩) اللسان: دين.

(١٠) جزء بيت نسبه ابن منظور إلى خويلد بن نوفل الكلابي ونصه:

يا حَارِ أيقن أن ملكك زائل ... واعلمْ بأنّ كما تدينُ تُدَان

(اللسان: دين)

اليوم) فأجاب جميع الخلق (لله الواحد القهار) فكذلك ههنا. قال: (مالك يوم الدين) يعني في ذلك اليوم لا يكون مالك، ولا قاض ولا مجاز غيره. قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هو تعليم، علم المؤمنين كيف يقولون إذا قاموا بين يديه في الصلاة فأمرهم بأن يذكروا عبوديتهم وضعفهم حتى يوفقهم ويعينهم فقال (إياك نعبد) أي نوحد ونطيع. وقال بعضهم (إياك نعبد) يعني إياك نطيع طاعة، نخضع فيها لك. وقوله تعالى (واياك نستعين) يقول: [بك نستوثق][1] على عبادتك وقضاء الحقوق. وفي هذا دليل على أن الكلام قد يكون بعضه على وجه المغايبة وبعضه على وجه المخاطبة، لأنه افتتح السورة بلفظ المغايبة وهو قوله (الحمد لله) ثم ذكر بلفظ المخاطبة، فقال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهذا كما قال في آية أخرى (وهو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك) فذكر بلفظ المخاطبة، ثم قال (وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها) [هذا ذكر][2]على المغايبة. ومثل هذا في القرآن كثير. قوله تعالى﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ رويت القراءتان عن ابن كثير أنه قرأ «السراط» بالسين وروي عن حمزة أنه قرأ بالزاي وقرأ الباقون بالصاد[3] وكل ذلك جائز، لأن مخرج السين والصاد واحد وكذلك الزاي مخرجه منهما قريب، والقراءة المعروفة بالصاد [اهدنا الصراط المستقيم]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: [اهدنا][4] يعني أرشدنا «الصراط المستقيم» وهو الإسلام [فإن قيل: أليس هو الطريق المستقيم؟ وهو الإسلام فما][5]معنى السؤال؟ قيل له: الصراط المستقيم، هو الذي ينتهي بصاحبه إلى المقصود. فانما يسأل العبد ربه أن يرشده إلى الثبات على الطريق الذي ينتهي به إلى المقصود، ويعصمه من السبل المتفرقة. وقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: خط لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطاً مستقيماً، وخط بجنبه خطوطاً، ثم قال: إن هذا الصراط المستقيم وهذه السبل، وعلى رأس كل طريق شيطان يدعو إليه ويقول: هلم إلى الطريق[6] وفي هذا نزلت هذه الآية (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) فلهذا قال: اهدنا الصراط المستقيم واعصمنا من السبل المتفرقة قال الكلبي: أمتنا على دين الإسلام. وروي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: (اهدنا [الصراط المستقيم])[7] يعني ثبتنا عليه. ومعنى قول علي: ثبتنا عليه. يعنى احفظ قلوبنا على ذلك، ولا تقلبها بمعصيتنا[8]. وهذا موافق لقول الله تعالى (ويهديك صراطا مستقيما)[9] فكذلك ههنا. قوله تعالى ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني طريق الذين مننت عليهم، فحفظت قلوبهم على الإسلام حتى ماتوا عليه. وهم أنبياؤه وأصفياؤه وأولياؤه. فامنن علينا كما مننت عليهم. اخبرنا الفقيه: أبو جعفر قال: حدثنا أبو بكر

---

(١) في ظ بل نستوفق.

(٢) في ظ [جاءتها].

(٣) قرأ قنبل ـ وهو الراوي الثاني ـ عن ابن كثير (السراط)، (سراط) بالسين. وقرأ خلف عن حمزة باشمام الزاي، ووافقه خلاد في (اهدنا الصراط).
انظر إتحاف فضلاء البشر، ونهاية القول المفيد.

(٤) سقط في ظ. (٥) ما بين المعقوفين ساقط في أ.

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٤٣٥، ٤٦٥ في مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأخرجه الدارمي في السنن ١/ ٦٧ في المقدمة باب في كراهية أخذ الرأي والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف ٧/ ٢٥ (٩٢١٥) و٧/ ٤٩ (٩٢٨١) وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٥٥ لأحمد وعبد بن حميد والنسائي والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه.

(٧) ما بين المعقوفين من ظ.

(٨) في أ [بمعصيتك].

(٩) في ظ [يعني ثبتك عليه وقال في آية أخرى «ويهديكم صراطاً مستقيماً»].

أحمد بن محمد بن سهل[١] القاضي قال: حدثنا أحمد بن جرير[٢]، قال: حدثنا عمر بن اسماعيل بن مجالد[٣] قال: حدثنا هشام بن القاسم قال: حدثنا حمزة بن المغيرة[٤] عن عاصم[٥] عن أبي العالية[٦] في قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) قال: هو النبي ـ عليه السلام ـ وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. قال عاصم: فذكرت ذلك للحسن البصري فقال: صدق والله أبو العالية ونصح[٧]. وقوله تعالى ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي غير طريق اليهود. يقول: لا تخذلنا بمعصيتنا، كما خذلت اليهود فلم تحفظ قلوبهم، حتى تركوا الإسلام ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ يعني ولا النصارى، لم تحفظ قلوبهم وخذلتهم بمعصيتهم حتى تنصروا. وقد أجمع المفسرون أن المغضوب عليهم أراد به اليهود، والضالين أراد به النصارى. فإن قيل: أليس النصارى من المغضوب عليهم؟ واليهود أيضاً من الضالين؟ فكيف صرف المغضوب[٨] إلى اليهود، وصرف الضالين إلى النصارى؟ قيل له: إنما عرف ذلك بالخبر واستدلالا بالآية: فأما الخبر فما روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن رجلا سأله وهو بوادي القرى من المغضوب عليهم؟ قال: اليهود، قال: ومن الضالين؟ فقال: النصارى وأما الآية فلأن الله تعالى قال في قصة اليهود: (فباؤا بغضب على غضب) وقال تعالى في قصة النصارى (قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)[٩] (آمين) ليس من السورة. ولكن روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يقوله، ويأمر به[١٠]، ومعناه ما قال ابن عباس: يعني كذلك يكون، وروي عن مجاهد أنه قال: هو

---

(١) أحمد بن محمد بن سهل المزكي كان شيخ أصحاب أبي حنيفة توفي سنة ٣٥٢ هـ. الجواهر المضية ١/٢٧٠.

(٢) أحمد بن جرير البلخي أبو حامد وهو ابن جرير بن المسيب صدوق. الجرح والتعديل ٢/٤٥.

(٣) في أ [ابن مجاهد. وهو عمر بن إسماعيل بن مجالد بن سعيد الكوفي الهمداني نزيل بغداد قال يحيى بن معين أنه ليس بشيء كذاب رجل سوء وذلك لأنه حدّث بأحاديث لا أصل لها. تهذيب التهذيب ٧/٤٢٧. الجرح والتعديل ٦/ ٩٩.

(٤) حمزة بن المغيرة بن نشيط الكوفي من الثقات. تهذيب التهذيب ٦/٢٧٠.

(٥) عاصم بن سليمان الأصولي أبو عبد الرحمن من حفاظ البصرة التابعي ثقة اشتهر بالزهد والعبادة /تهذيب التهذيب ٥/٤٢. الجرح والتعديل ٦/٣٤٣.

(٦) رفيع بن مهران الرياحي مولاهم البصري أسلم بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسنتين من كبار التابعين مجمع على توثيقه. تهذيب التهذيب ٣/٨٤.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٥٩ في كتاب التفسير / باب شرح الصراط المستقيم وانظر الدر المنثور ١/١٥.

(٨) في ظ [عليهم].

(٩) في ظ [وقوله آمين].

(١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إذا أَمَّن الإمام فأَمِّنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِر له ما تقدم من ذنبه» أخرجه البخاري ٢/٢٦٢ كتاب الأذان باب جهر الإمام بالتأمين ٧٨٠، أخرجه مسلم ١/٣٠٧ كتاب الصلاة باب التسميع والتحميد والتأمين ٧٢/٤١٠.

وفي رواية إذا أمن القارىء فأمنوا فإن الملائكة تؤمّن فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه.

أخرجه البخاري ١١/٢٠٠ كتاب الدعوات باب التأمين ٦٤٠٢.

وفي رواية إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين وإن الإمام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه.

أخرجه البخاري ٢/٢٦٦ كتاب الأذان باب جهر المأموم بالتأمين ٧٨٢ دون قوله فإن الملائكة تقول آمين وإن الإمام يقول آمين، أخرجه بلفظه أحمد ٢/٢٣٣، ٢٧٠ في مسند أبي هريرة، النسائي في المجتبى ٢/١٤٤ كتاب الافتتاح باب جهر الإمام باالتأمين ٣٣.

اسم من أسماء الله تعالى ويكون معناه: يا الله استجب دعاءنا. وقال بعضهم: هي لغة بالسريانية. وروي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: ما حسدتكم اليهود في شيء، كحسدهم في (آمين)يعني: أنهم يعرفون ما فيه من الفضيلة[١]. وروي عن كعب الأحبار أنه قال: (آمين) خاتم رب العالمين، يختم به دعاء عباده المؤمنين. وقال مقاتل: هو قوة للدعاء واستنزال للرحمة. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معنى آمين؟ قال: رب افعل[٢]. ويقال: فيه لغتان (أمين) بغير مد، و(آمين) بالمد[٣]، ومعناهما واحد وقد جاء في أشعارهم/ كلا الوجهين. قال القائل[٤]:

تباعد عني فُطْحُل[٥]اذ دَعَوْته آمين فزاد الله ما بيننا بعدا

وقال الآخر[٦]:

يا ربِّ لا تَسْلُبَنِّي حُبَّها أبدا ويرحم الله عبدا قال: آمينا

وصلى الله على سيدنا محمد

(١) أخرجه ابن ماجه ١/٢٧٨ في كتاب إقامة الصلاة / باب الجهر بآمين (٨٥٦) وقال البوصيري في الزوائد ١/٢٩٧ هذا إسناد صحيح احتج مسلم بجميع رواته ورواه أحمد في مسنده وابن خزيمة في صحيحه والطبراني في معجمه الكبير ورواه البيهقي في السنن ومن طريق محمد بن الأشعث عن عائشة رضي الله عنها والبخاري أيضاً في الأدب المفرد (٩٨٨) وذكره المنذري في الترغيب ١/٣٣٠ والسيوطي في الدر المنثور ١/٢١٧، ٢/١٨٩ وابن حجر في الفتح ١١/٢٠٠٢٤ وعبد الرزاق في المصنف (٢٦٤٩) وابن عبد البر في التمهيد (١٥/٧).

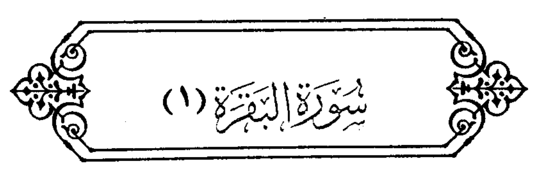
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١/١٧.

(٣) قال ابن منظور وآمين وأمين: كلمة تقال في إثر الدعاء، قال الفارسي: هي جملة مركبة من فعل واسم، معناه: اللهم استجب لي. (اللسان: أمن)

(٤) البيت في اللسان غير منسوب (أمن) وفيه (سألته) بدل (دعوته).

(٥) في أ [مخطب].

(٦) البيت نسبه ابن منظور لعمرو بن ربيعة انظر لسان العرب مادة (أمن).



سورة البقرة (١)

مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

قال الفقيه: حدثني أبي رحمه الله، قال: حدثني محمد بن حامد، قال: حدثنا علي بن اسحاق قال: حدثنا محمد بن مروان عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ يعني: أنا الله أعلم.

---

(١) وهذه السورة مترامية أطرافها وأساليبها ذات أفنان قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقاً لتلقيبها فسطاط القرآن. فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسان وعلى الناظر أن يترقب تفاصيل منها فيما يأتي لنا من تفسيرها ولكن هذا لا يحجم بنا عن التعرض إلى لائحات منها وقد حيكت بنسج المناسبات والاعتبارات البلاغية من لُحمة محكمة في نظم الكلام وسدى متين من فصاحة الكلمات.

ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم.

وكان أسلوبها أحسن ما يأتي عليه أسلوب جامع لمحاسن الأساليب الخطابية وأساليب الكتب التشريعية وأساليب التذكير والموعظة. يتجدد بمثله نشاط السامعين بتفنن الافانين ويحضر لنا من أغراضها أنها ابتدئت بالرمز إلى تحدي العرب المعاندين تحدياً إجمالياً بحروف التهجي المفتتح بها رمزاً يقتضي إستشرافهم لما يرد بعده وانتظارهم لبيان مقصده فأعقب بالتنويه بشأن القرآن فتحول الرمز إيماء إلى بعض المقصود من ذلك الرمز له أشد وقعاً على نفوسهم فتبقى في انتظار ما يتعقبه من صريح التعجيز الذي سيأتي بعد قوله ﴿**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله**﴾ الآيات.

فعدل بهم إلى ذات جهة التنويه بفائق صدق هذا الكتاب وهديه وتخلص إلى تصنيف الناس تجاه تلقيهم هذا الكتاب وانتفاعهم بهديه أصنافاً أربعة ﴿**وكانوا قبل الهجرة صنفين**﴾ بحسب اختلاف أحوالهم في ذلك التلقي وإذ قد كان أخص الأصناف انتفاعاً بهديه هم المؤمنين بالغيب المقيمين الصلاة يعني المسلمين ـ ابتدىء بذكرهم ولما كان أشد الأصناف عناداً وحقداً صنفي المشركين الصرحاء والمنافقين لف الفريقان لفاً واحداً فقورعوا بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة ثم خص بالإطناب صنف أهل النفاق تشويهاً لنفاقهم وإعلاناً لدخائلهم ورد مطاعنهم، ثم كان خاتمة ما قرعت من أنوفهم صريح التحدي الذي رمز إليه بدءاً تحدياً يلجئهم إلى الاستكانة ويخرس ألسنتهم عن التطاول والإبانة ويلقي في قرارات أنفسهم مذلة الهزيمة وصدق الرسول الذي تحداهم فكان ذلك من رد العجز على الصدر فاتسع المجال لدعوة المنصفين إلى عبادة الرب الحق الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض وأنعم عليهم بما في الأرض جميعاً، وتخلص إلى صفة بدء خلق الإنسان فإن في ذلك تذكيراً لهم بالخلق الأول قبل أن توجد أصنامهم التي يزعمونها من صالحي قوم نوح ومن بعدهم، ومنّه على النوع بتفضيل أصلهم على مخلوقات هذا العالم وبمزيته بعلم ما لم يعلمه أهل الملأ الأعلى وكيف نشأت عداوة الشيطان له ولنسله لتهيئة نفوس السامعين لاتهام شهواتها ولمحاسبتها على دعواتها فهذه المنة التي شملت كل الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها كانت مناسبة للتخلص إلى منة عظمى تخص الفريق الرابع وهم أهل الكتاب الذين هم أشد الناس مقاومة لهدي القرآن وأنفذ الفرق قولاً في عامة العرب لأن أهل الكتاب يومئذ هم أهل العلم ومظنة=

[ومعنى قول ابن عباس (أنا الله أعلم)(١) يعني](٢) الألف: أنا، واللام: الله، والميم: أعلم، لأن القرآن نزل بلغة

= اقتداء العامة لهم من قوله ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي﴾ الآيات فأطنب في تذكيرهم بنعم الله وأيامه لهم ووصف ما لاقوا به نعمه الجمة من الانحراف عن الصراط السوي انحرافاً بلغ بهم حد الكفر وذلك جامع لخلاصة تكوين أمة إسرائيل وجامعتهم في عهد موسى ثم ما كان من أهم أحداثهم مع الأنبياء الذين قفوا موسى إلى أن تلقوا دعوة الإسلام بالحسد والعداوة حتى على الملك جبريل وبيان أخطائهم لأن ذلك يلقي في النفوس شكا في تأهلهم للاقتداء بهم. وذكر من ذلك نموذجاً من اخلاقهم في تعلق الحياة ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ ومحاولة العمل بالسحر ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ الخ وأذى النبي بموجة الكلام ﴿لا تقولوا راعنا﴾.

ثم قرن اليهود والنصارى والمشركين في قرن حسدهم المسلمين والسخط على الشريعة الجديدة ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين - إلى قوله - ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ثم ما أثير من الخلاف بين اليهود والنصارى وادعاء كل فريق أنه هو المحق ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء - إلى - يختلفون﴾ ثم خص المشركين بأنهم أظلم هؤلاء الأصناف الثلاثة لأنهم منعوا المسلمين من ذكر الله في المسجد الحرام وسمحوا بذلك في خرابه وأنهم تشابهوا في ذلك هم واليهود والنصارى واتحدوا في كراهية الإسلام.

والاحتراز عن إجابتها في الذين كفروا منهم وأن الإسلام على أساس ملة إبراهيم وهو التوحيد وأن اليهودية والنصرانية ليستا ملة إبراهيم وأن من ذلك الرجوع إلى استقبال الكعبة ادخره الله للمسلمين أية على أن الإسلام هو القائم على أساس الحنيفية وذكر شعائر الله بمكة وإبكات أهل الكتاب في طعنهم على تحويل القبلة وإن العناية بتزكية النفوس أجدر من العناية باستقبال الجهات ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ وذكروا بنسخ الشرائع لصلاح الأمم وأنه لا بدع في نسخ شريعة التوراة أو الإنجيل بما هو خير منهما. ثم عاد إلى محاجة المشركين بآثار صنعة الله ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك الخ﴾ ومحاجة المشركين في يوم يتبرأون فيه من قادتهم وإبطال مزاعم دين الفريقين في محرمات من الأكل ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ وقد كمل ذلك بذكر صنف من الناس قليل وهم المشركون الذين لم يظهروا الإسلام ولكنهم أظهروا مودة المسلمين ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾.

ولما قضى حق ذلك كله بأبدع بيان وأوضح برهان انتقل إلى قسم تشريعات الإسلام إجمالاً بقوله ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ ثم تفصيلاً: القصاص الوصية الصيام الاعتكاف، الحج الجهاد ونظام المعاشرة والعائلة والمعاملات المالية والإنفاق في سبيل الله والصدقات والمسكرات واليتامى والمواريث والبيوع والربا والديون والإشهاد والرهن والنكاح وأحكام النساء والعدة والطلاق والرضاع والنفقات والأيمان.

وختمت السورة بالدعاء المتضمن لخصائص الشريعة الإسلامية وذلك من جوامع الكلم فكان هذا الختام تذليلاً وفذلكة ﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ الآيات.

وكانت في خلال ذلك كله أغراض شتى سيقت في معرض الاستطراد في متفرق المناسبات تجديداً لنشاط القارىء والسامع كما يسفر وجه الشمس إثر نزول الغيوث الهوامع وتخرج بوادر الزهر عقب الرعود القوارع من تمجيد الله وصفاته ﴿الله لا إله إلّا هو﴾ ورحمته وسماحة الإسلام وضرب أمثال ﴿أوكَصَيِّب﴾ واستحضار نظائر ﴿وإنَّ من الحجارة﴾ ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم﴾ وعلم وحكمة ومعاني الإيمان والإسلام وتثبيت المسلمين ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر﴾ والكمالات الأصلية والمزايا التحسينية وأخذ الأعمال والمعاني من حقائقها وفوائدها لا من هيئاتها وعدم الاعتداد بالمصطلحات إذا لم ترم إلى غايات ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾ ﴿وإخراج أهله منه أكبر عند الله﴾ والنظر والاستدلال ونظام المحاجة وأخبار الأمم الماضية والرسل وتفاضلهم واختلاف الشرائع.

انظر التحرير ١/٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦.

(١) أخرجه الطبري عن شيخه عن وكيع: عن أبي كريب القاضي وعن سفيان بن وكيع كلاهما عن وكيع عن شريك وهو ابن عبد الله النخعي القاضي ١/٢٠٧ (٢٣٨).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من أ.

العرب، والعرب قد كانت تذكر حرفاً وتريد به تمام الكلمة. ألا ترى إلى قول القائل[١]:

قـلت لهـا قـفي لـنـا قـالـت قـاف   لا تـحسبي أنـا نـسينـا الإيـجـاف[٢]

يعني بالقاف: قد وقفت. وقال الكلبي: هذا قسم، أقسم الله تعالى بالقرآن، أن[٣] هذا الكتاب الذي أنزل على (قلب)[٤] محمد صلى الله عليه وسلم هو الكتاب الذي نزل من عند الله تعالى لا ريب فيه. وقال بعض أهل اللغة إن هذا الذي قال الكلبي لا يصح، لأن جواب القسم معقود على حروف مثل (ان، وقد، ولقد، وما، واللام) وهنا لم نجد حرفاً من هذه الحروف فلا يجوز أن يكون يمينا. ولكن الجواب أن يقال: موضع القسم قوله (لا ريب فيه) فلو أن انساناً[٥]حلف فقال: والله هذا الكتاب لا ريب فيه لكان الكلام سديداً[٦] وتكون لا جوابا للقسم، فثبت أن قول الكلبي صحيح سديد. فإن قيل: ايش الحكمة في القسم من الله تعالى، وكان القوم في ذلك الزمان على صنفين، مصدق ومكذب، فالمصدق يصدق بغير قسم، والمكذب لا يصدق مع القسم. قيل له القرآن نزل بلغة العرب، والعرب اذا أراد بعضهم أن يؤكد كلامه أقسم على كلامه فالله تعالى أراد أن يؤكد عليهم الحجة فأقسم أن القرآن من عنده[٧]. وقد قيل الٓمٓ: الألف الله تعالى، واللام: جبريل، والميم: محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويكون معناه: الله الذي أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه. وقال بعضهم: كل حرف هو افتتاح اسم من أسماء الله تعالى. فالألف مفتاح اسمه: الله، واللام مفتاح اسمه اللطيف، والميم مفتاح اسمه: مجيد، ويكون معناه: الله اللطيف المجيد أنزل الكتاب[٨]. وروي عن محمد بن كعب[٩] بن علي الترمذي[١٠] أنه قال: إن الله تعالى أودع جميع ما في تلك السورة من الأحكام والقصص في الحروف التي ذكرها في أول السورة، ولا يعرف ذلك الا نبي أو ولي، ثم بين ذلك في جميع السور ليفقه الناس. وروي عن الشعبي أنه قال: إن لله تعالى سراً جعله في كتبه،وإن سره في القرآن هو الحروف المقطعة[١١] وروي عن عمر وعثمان وابن مسعود رضي الله عنهم أنهم قالوا: الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر وعن علي رضي الله عنه: هو اسم من أسماء الله تعالى، فرقت حروفه في السور. يعني أن ههنا قد ذكر (الم) وذكر: (آلر) في موضع آخر، وذكرٍ (حم) في موضع آخـر (نون) في موضع .فاذا جمعت يكون (الرحمن) وكذلك سائر الحروف اذا جمع يصير اسما من أسماء الله[١٢] وذكر قطرب أن المشركين كانوا لا يستمعون القرآن كما قال الله تعالى (والغوا فيه لعلكم تغلبون) فأراد أن يسمعهم شيئاً لم يكونوا سمعوه ليحملهم ذلك إلى الاستماع حتى تلزمهم الحجة وقال بعضهم: إن المشركين كانوا يقولون: لا

---

(١) البيت للوليد بن عقبة انظر تفسير الطبري ـ تحقيق محمود شاكر ١/٢١٢ والشطرة الأولى في اللسان / وقف.

(٢) في أ

[لا تحسبن أنت أنـا نسينـا الإيجـاف   قـلت لهـا قـفـي فـقـالـت قـاف]

(٣) في أ [لأن].

(٤) ساقطة في ظ.

(٥) في ظ [حالفاً].

(٦) ذكر ذلك القرطبي نقلاً عن مصنِّفنا رحمه الله تعالى (١/١٥٦).

(٧) انظر القرطبي نقلاً عن المصنِّف المصدر السابق.

(٨) في ظ [على محمد].

(٩) ساقطة في ظ.

(١٠) محمد بن علي بن الحسن بن بشير أبو عبد الله الحكيم الترمذي باحث صوفي عالم بالحديث وأصول الدين من أهل (ترمذ) من تصانيفه الرياضة، وأدب النفس،الصلاة ومقاصدها. توفي سنة ٣٢٠ هـ. الأعلام ٦/٢٧٢.

(١١) الدر المنثور ١/٣٢.

(١٢) ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور ١/٢٢.

نفقه هذا القرآن، لأنهم قالوا: (قلوبنا في أكنة) فأراد الله أن يبين لهم أن القرآن مركب على الحروف التي ركبت [عليها][١] السنتكم [يعني هو على لغتكم][٢]، ما لكم لا تفقهون؟ وانما أراد بذكر الحروف تمام الحروف، كما أن الرجل يقول: علمت ولدي: أ، ب، ت، ث، وانما يريد جميع الحروف ولم يرد به الحروف الأربعة خاصة. وقال بعضهم: هو من شعار السور وكان اليهود أعداء الله فسروه على حروف الجمل، لأنه ذكر أن جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب، وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف دخلوا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالوا: بلغنا أنك قرأت: (آلٓمٓ ذلك الكتاب) فإن كنت صادقا، فيكون بقاء أمتك احدى وسبعين سنة، لأن الألف: واحد، واللام: ثلاثون، والميم: أربعون، فضحك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قالوا له: وهل غير هذا؟ قال: نعم. (المصٓ) فقالوا: هذا اكثر لأن (ص)[٣] تسعون. فقالوا: هل غير هذا؟ قال: نعم. (آلر) فقالوا: هذا أكثر، لأن (الراء): مائتان. ثم ذكر (آلٓمٓر) فقالوا: خلطت علينا [يا محمد][٤] لا ندري أبالقليل نأخذ أم بالكثير؟ وانما أدركوا من القرآن مقدار عقولهم وكل انسان يدرك العلم بمقدار عقله. وكل ما ذكر في القرآن من الحروف المقطعة، فتفسيره نحو ما ذكرنا ها هنا[٥] [والله أعلم

(١) ساقطة في ظ.
(٢) ساقطة في ظ.
(٣) في أ [الصلاة].
(٤) ساقط في ظ.
(٥) يلاحظ على الحروف المقطعة في أوائل السور ما يلي: ـ

أولاً: أن عدد السور التي ابتدئت بها تسع وعشرون سورة، ومعظمها من السور المكية عدا البقرة وآل عمران، ومجموع ما وقع من حروف الهجاء في أوائل السور أربعة عشر حرفاً وهي نصف حروف الهجاء بعضها تكرر في سور وبعضها لم يتكرر، وهي من القرآن لا محالة، ومن المتشابه في تأويلها.

ثانياً: لا خلاف أن هذه الفواتح أسماء لحروف التهجي التي ينطق في الكلام بمسمياتها وأن مسمياتها الأصوات المكيفة بكيفيات خاصة تحصل في مخارج الحروف.

ثالثاً: اختلف العلماء في المعنى المقصود من حروف التهجي التي افتتحت بها بعض السور القرآنية وقد سردها المؤلف رحمه الله ونحن نوجزها كلها في رأيين.

الرأي الأول: أن المعنى المقصود منها غير معروف، خص من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه. وإلى هذا الرأي ذهب ابن عباس في إحدى الروايات عنه ـ كما ذهب إليه الشعبي، وسفيان الثوري، وغيرهما من العلماء فقد أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور فقال «إن لكل كتاب سراً، وإن سر هذا القرآن فواتح السور» وروي عن ابن عباس أنه قال: عجزت العلماء عن إدراكها العلماء عن إدراكها. وعن علي رضي الله عنه أنه قال: «إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي» وفي رواية أخرى للشعبي أنه قال: سر الله فلا تطلبوه.

ومن الاعتراضات التي وجهت إلى هذا الرأي أنه إذا كان الخطاب بهذه الفواتح غير مفهوم للناس لأنه من المتشابه فإنه يترتب على ذلك أنه كالخطاب بالمهمل، أو مثل ذلك كمثل التكلم بلغة أعجمية مع أناس عرب لا يفهمونها.

وقد أجيب عن ذلك بأن هذه الألفاظ لم ينتف الإفهام عنها عند كل الناس فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يفهم المراد منها، وكذلك بعض أصحابه المقربين، ولكن الذي ننفيه أن يكون الناس جميعاً فاهمين لمعنى هذه الحروف المقطعة في أوائل بعض السور. وهناك مناقشات للعلماء حول هذا الرأي لا مجال لذكرها هنا.

أما الرأي الثاني: فيرى أصحابه أن المعنى المقصود منها معلوم، وأنها ليست من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وأصحاب هذا الرأي قد اختلفوا فيما بينهم في تعيين هذا المعنى المقصود على أقوال كثيرة من أهمها ما يأتي: ـ

١ ـ أن هذه الحروف أسماء للسور، بدليل قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من قرأ حم السجدة حفظ إلى أن يصبح». وبدليل اشتهار بعض السور بالتسمية بها، كسورة (ص) وسورة (يس) الخ.

بالصواب][1]. قوله عز وجل ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي هذا الكتاب[2]﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك فيه أنه مني، لم يختلقه محمد من تلقاء نفسه. وقد يوضع ذلك بمعنى هذا كما قال القائل:

أقول له والرمح يأْطِرُ مَتْنَهُ تأمل خفافاً انني أنا ذلكا[3]

يعني هذا. وقال بعضهم: معناه ذلك الكتاب الذي [كنت وعدتك يوم الميثاق أن أوحيه اليك، وقال بعضهم: معناه ذلك الكتاب الذي][4] وعدت في التوراة والإنجيل أن أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وروي عن زيد بن أسلم[5] أنه قال: أراد بالكتاب اللوح المحفوظ، يعني الكتاب ثبت في اللوح المحفوظ. وقوله

= ولا يخلو هذا القول عن الضعف، لأن كثيراً من السور قد افتتحت بلفظ واحد من هذه الفواتح، فلو كانت أسماء للسور لم تتكرر لمعان مختلفة، لأن الغرض من التسمية رفع الاشتباه وأيضاً فالتسمية بها أمر عارض لا يتنافى مع المراد منها في ذاتها.

٢ـ وقيل إن هذه الحروف قد جاءت هكذا فاصلة للدلالة على انقضاء سورة وابتداء أخرى.

٣ـ وقيل إنها حروف مقطعة بعضها من أسماء الله تعالى، وبعضها من صفاته، فمثلاً «الم» أصلها أنا الله أعلم.

٤ـ وقيل إنها اسم الله الأعظم، إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تخلو من مقال والتي أوصلها الفخر الرازي في تفسيره والسيوطي في الإتقان وغيرهما إلى أكثر من عشرين قولاً.

٥ـ ولعل أقرب الأقوال إلى الصواب أن هذه الحروف المقطعة قد وردت في افتتاح بعض سور القرآن على سبيل الإيقاظ والتنبيه للذين تحداهم القرآن فكأنَّ الله تعالى يقول لأولئك المعارضين في أن القرآن من عند الله: هاكم القرآن ترونه مؤلفاً من كلام هو من جنس ما تؤلفون منه كلامكم ومنظوماً من حروف هو من جنس الحروف الهجائية التي تنظمون منها حروفكم فإن كنتم في شك من كونه منزلاً من عند الله فهاتوا مثله، وادعوا من شئتم من الخلق لكي يعاونكم في ذلك.

ومما يشهد بصحة هذا الرأي أن الآيات التي تلي هذه الأحرف المقطعة تتحدث عن الكتاب وكونه معجزة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكثيراً ما تبدأ هذه الآيات باسم الإشارة صراحة، مثل قوله تعالى: ﴿آلمّ. ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ أو ضمناً مثل قوله تعالى في أول سورة الأعراف ﴿ألمصّ، كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به...﴾ وأيضاً فإن هذه السور تجعل هدفها الأول منذ بدئها إلى نهايتها إثبات الرسالة عن طريق هذا الكتاب المنزل.

هذه خلاصة موجزة لآراء العلماء في الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض السور القرآنية، ومن أراد مزيداً لذلك فليرجع إلى تفسير الفخر الرازي ٢/٣ ـ ١٣، والجامع لأحكام القرآن ١/١٠٨ ـ ١١٠ والكشاف ١/١٣، ١٤ والبرهان في علوم القرآن ١/٢١٤ ـ ٢٢٦ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣/٢١ ـ ٣٠ وروح المعاني ١/٩٨ ـ ١٠٤ وتفسير سورة الأعراف للدكتور أحمد السيد الكومي ط دار الجيل للطباعة بمصر.

(١) من ظ.

(٢) في أ الذي.

(٣) هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد، من بني سليم بن منصور و «نُدْبَة» أمه وهو ابن عم صخر والخنساء، شاعر فارس، أحد أغربة العرب، مخضرم، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم، ولم يرتد حين ارتدت بنو سليم بل لاَمَهُم على ردتهم في شعر له.. ترجمته في الاستيعاب ٢/٤٥٠ تحقيق البجاوي ط نهضة مصر، والإصابة ٣٢٦٩، وأسد الغابة ٢/١٣٨، ١٣٩ ط الشعب، المعارف لابن قتيبة ٣٢٥ تحقيق د/ ثروت عكاشة، الخزانة ٤/١٥، الأغاني ١٨/٧٤ وما بعدها ط دار الكتب، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٤١.

والبيت في ديوانه ـ برقم ٩ ص (٦٤). وفي الخزانة وغيرهما يَأْطِرُ: يثني ويلوي ـ والمخاطب هنا: مالك بن حمار، سيد بني شمخ الذي طعنه خفاف فقتله ثائراً لابن عمه معاوية بن الشريد السلمي.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من أ.

(٥) زيد بن أسلم العدوي أبو عبد الله مولاهم أبو أسامة من أهل المدينة ثقة كثير الحديث وله كتاب في التفسير تهذيب التهذيب ٣/٣٩٥. الجرح والتعديل ٣/٥٥٥.

﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك فيه أنه من الله تعالى ولم يختلقه محمد من تلقاء نفسه. فإن قيل: كيف يجوز أن يقال: لا شك فيه؟ وقد شك فيه كثير من الناس وهم الكفار والمنافقون؟ قيل له: معناه لا شك فيه عند المؤمنين وعند العقلاء. وقيل: معناه لا شك فيه أي لا ينبغي أن يشك فيه، لأن القرآن معجز فلا ينبغي أن يشك فيه أنه من الله تعالى. قوله عز وجل ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي بيانا لهم من الضلالة (للمتقين) الذين يتقون الشرك والكبائر والفواحش. فهذا القرآن بيان لهم من الضلالة وبيان لهم من الشبهات، وبيان الحلال من الحرام. فإن قيل: فيه بيان لجميع الناس. فكيف أضاف إلى المتقين خاصة؟ قيل له: لأن المتقين هم الذين ينتفعون بالبيان، ويعملون[١] به، فإذا كانوا هم الذين ينتفعون [بالبيان][٢]، صار في [الحقيقة حاصل][٣] البيان لهم. روي عن أبي روق[٤] أنه قال: ﴿هدى للمتقين﴾ أي كرامة لهم. يعني إنما أضاف إليهم إجلالاً وكرامة لهم، وبياناً لفضلهم.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي يصدقون بالغيب. والغيب: هو ما غاب عن العين، وهو محضر في القلب، وإنما أراد به أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن تابعهم إلى يوم القيامة أنهم يصدقون بغيب القرآن أنه من الله تعالى فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه. ويقال: يؤمنون بالغيب يعني بالله تعالى حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا الديبلي[٥] قال: حدثنا أبو [عبيد][٦] الله، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا أصحابنا عن الحارث بن قيس أنه قال لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحتسب [بكم يا][٧] أصحاب محمد ما سبقتمونا به من رؤية محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبته، فقال عبد الله بن مسعود: ونحن نحتسب (لكم)[٨] إيمانكم به ولم تروه، وأن أفضل الإيمان الإيمان بالغيب، ثم قرأ عبد الله ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ وقد قيل: (يؤمنون بالغيب) يعني يصدقون بالبعث بعد الموت. وقوله تعالى ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ [أي يديمون الصلاة وقد قيل أيضاً إن العبد يديم الصلاة وقد قيل][٩] يحافظون على الصلوات الخمس بمواقيتها وركوعها وسجودها والتضرع بعدها. وقد قيل إن العبد إذا صلى صلاة تقبل منه خلق الله تعالى منها ملكاً يقوم ويصلي لله إلى يوم القيامة، وثوابه لصاحب الصلاة. فهذا معنى قوله ﴿ويقيمون الصلاة﴾ وقوله عز وجل ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي يتصدقون، قال الكلبي: وهو زكاة المال. وروى أسباط[١٠] عن السدي[١١] عن أصحابه قال: هي نفقة الرجل على أهله وهذا قبل نزول آية الزكاة. ويقال [ينفقون أي][١٢] يتصدقون صدقة التطوع. ويقال: هي عليهم جميعاً التطوع والفريضة.

---

(١) في أ و [يعلمون].

(٢) في ظ [به].

(٣) في ظ [الحاصل].

(٤) من ظ.

(٥) بفتح الدال المهملة وسكون اليـاء المعجمة وضم الباء نسبة إلى دَيْبُل وهي بلدة من بلاد ساحل البحر من بلاد الهند قريبة من السند وهو أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبد الله الديبلي سكن مكة يروي كتاب التفسير لابن عيينة. الأنساب ٢/٥٢٣، ٥٢٤.

(٦) سعيد بن عبد الرحمن المخزومي ثقة. تهذيب التهذيب ٤/٥٥.

(٧) ساقطة في ظ.

(٨) ساقطة في ظ.

(٩) ساقطة في ظ.

(١٠) أسباط بن نصر الهمداني أبو يوسف ثقة روى التفسير عن السدي. تهذيب التهذيب ٢/٢١١ الجرح والتعديل ٢/٣٣٢.

(١١) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد قرشي بالولاء وهو السدي الكبير عالم بالتفسير راوية له تهذيب التهذيب ١/٣١٣. الجرح والتعديل ٢/١٨٤.

(١٢) في ظ [يعني].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني بالقرآن قوله ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني التوراة والإنجيل وسائر الكتب، ويقال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ قالت اليهود والنصارى: نحن آمنا بالغيب. فلما قال ﴿ويقيمون الصلاة﴾ قالوا: نحن نقيم الصلاة. فلما قال: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ قالوا: نحن ننفق ونتصدق. فلما قال: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ نفروا من ذلك. وقوله ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُونَ﴾ أي يقرون [يوم][1] القيامة والجنة والنار، والبعث، والحساب، والميزان. واليقين على ثلاثة أوجه: يقين عيان، ويقين خبر، ويقين دلالة. فأما يقين العيان: إذا رأى شيئاً زال عنه الشك في ذلك الشيء وأما يقين الدلالة: هو أن يرى دخاناً يرتفع من موضع يعلم باليقين أن هناك ناراً وإن لم يرها. وأما يقين الخبر: فإن الرجل يعلم باليقين أن في الدنيا مدينة يقال لها بغداد، وإن لم يكن يعاينها[2]. فههنا يقين خبر، ويقين دلالة، أن الآخرة حق ولكن تصير معاينة عند الرؤية. ثم قال عز وجل ﴿أُوْلَئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعني أهل هذه الصفة الذين سبق ذكرهم على بيان من الله تعالى أي أكرمهم الله تعالى في الدنيا حيث هداهم، وبين لهم طريقهم. ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ في الآخرة، أي الناجون. يعني أن الله تعالى أكرمهم في الدنيا بالبيان، وفي الآخرة بالنجاة وقد قيل: الفلاح هو البقاء في النعمة. وقد قيل: الفلاح إذا بلغ الإنسان نهاية ما يأمل. ويقال: معناه قد وجدوا ما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا. وكل ما في القرآن المفلحون فتفسيره هكذا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إن ههنا للتأكيد وهو حرف من حروف القسم. والكفر في اللغة: هو الستر، يقال: ليلة كافرة إذا كانت شديدة الظلمة، وإنما سمي الكافر كافراً، لأنه يستر نعم الله تعالى[3]. وقوله عز وجل ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ قرأ أهل الكوفة وعاصم وحمزة والكسائي أأنذرتهم بهمزتين وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو[4] في رواية هشام بهمزة واحدة مع المد (آنذرتهم) وتفسير القراءتين لا يختلف[5]. قال مقاتل: نزلت هذه الآية في مشركي قريش، منهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل وغيرهم. وقال الكلبي: نزلت في رؤساء

---

(١) في ظ [بيوم].

(٢) في أ [ينته إليها].

(٣) قال في اللسان: وكل من ستر شيئاً فقد كفره وكفَّره، وسُمِّي الزارع كافراً لستره البذور بالتراب قال تعالى «كمثل غيث أعجب الكفار نباته» قال: ويطلق على الليل «كافر» لأنه يستر بظلمته كل شي . . . (اللسان، والصحاح: كفر).

(٤) قرأ أهل الكوفة وابن عامر (أأنذرتهم) بهمزتين حجتهم في ذلك أن الهمزة حرف من حروف المعجم تغيره من سائر الحروف فيصح الجمع بينهما. وقرأ نافع وأبو عمرو (آنذرتهم) (آنت) يهمز أن ثم يمدان بعد الهمزة والأصل (أأنذرتهم) ثم تلين الهمزة في أنذرتهم.

وقرأ ورش عن نافع وابن كثير «أنذرتهم» بهمزة واحدة غير مطولة، ومذهبه: أن يحقق الأول ويخفف الثانية.

راجع / حجة القراءات ـ ابن زنجلة ص (٨٦) تحقيق سعيد الأفغاني وإتحاف فضلاء البشر، إرشاد المريد (باب الهمزتين).

(٥) في ظ وابن عامر في رواية هشام وأنذرتهم.

اليهود: منهم كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب. قال الكلبي: وليس هو بأخي حيي. وقال بعضهم هو أخو حيي، دخلوا على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث سألوه عن (الم) و «المص» ثم خرجوا من عنده فنزل قوله ﴿إن الذين كفروا﴾ أي جحدوا بالقرآن سواء عليهم أأنذرتهم ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ يعني خوفتهم أو لم تخوفهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يصدقون. فإن قيل: إذا علم أنهم لا يؤمنون، فما معنى دعوتهم إلى الإسلام؟ قيل له: لأن في الدعوة زيادة الحجة عليهم، كما أن الله تعالى بعث موسى إلى فرعون ليدعوه إلى الإسلام وعلم أنه لا يؤمن. وجواب آخر: إن الآية خاصة، وليست بعامة، وإنما أراد به بعض الكفار الذين ثبتوا على كفرهم، كما روي عن صفية بنت حيي بن أخطب قالت: رجع أبي وعمي من عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال أحدهما لصاحبه: ما ترى في هذا الرجل؟ فقال: إنه نبي، فقال: ما رأيك في اتباعه؟ فقال: رأيي أن لا أتبعه، وأن أظهر له العداوة إلى الموت. فلما نزلت الآية في شأن مثل هؤلاء الذين قد ظهر لهم الحق وكانوا لا يؤمنون. فقال: (أأنذرتهم). وأصل الإنذار هو الإعلام. يعني خوفتهم بالنار، وأعلمتهم بالعذاب أو لم تعلمهم[1] فهو سواء ولا يصدقونه.

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

قوله تعالى ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي طبع الله، ومعنى الختم على قلوبهم أي[2]، ليس أنه يذهب بعقولهم ولكنهم لا يتفكرون فيعتبرون بعلامات نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيؤمنون[3]

(١) في أ [تعلمهم لا يتفكرون].

(٢) في ظ [القلوب].

(٣) في أ [فلا يؤمنون]. ظاهر قوله تعالى: ﴿ختم الله﴾ أنه أخبار من الله تعالى بختمه وحمله بعضهم على أنه دعاء عليهم وكنى بالختم على القلوب عن كونها لا تقبل شيئاً من الحق ولا تعيه لإعراضها عنه فاستعار الشيء المحسوس للشيء المعقول أو مثل القلب بالوعاء الذي ختم عليه صوناً لما فيه ومنعاً لغيره من الدخول إليه. والأول مجاز الاستعارة، والثاني مجاز التمثيل ونقل عمن مضى أن الختم حقيقة وهو انضمام القلب وانكماشه.

قال مجاهد: إذا أذنبت ضم من القلب هكذا وضم مجاهد الخنصر ثم إذا أذنبت ضم هكذا وضم البنصر ثم هكذا إلى الإبهام وهذا هو الختم والطبع والرَّيْن.

وقيل الختم سمة تكون فيهم تعرفهم الملائكة بها من المؤمنين وقيل حفظ ما في قلوبهم من الكفر ليجازيهم. وقيل الشهادة على قلوبهم بما فيها من الكفر ونسبة الختم إلى الله تعالى بأي معنى فسر إسناد صحيح إذ هو إسناد إلى الفاعل الحقيقي إذ الله تعالى خالق كل شيء وقد تأول الزمخشري وغيره من المعتزلة هذا الإسناد إذ مذهبهم أن الله تعالى لا يخلق الكفر ولا يمنع من قبول الحق والوصول إليه إذ ذاك قبيح والله تعالى يتعالى عن فعل القبيح وذكر أنواعاً من التأويل عشرة (ملخصها).

الأول: أن الختم كنى به عن الوصف الذي صار كالخلقي وكأنهم جبلوا عليه وصار كأن الله هو الذي فعل بهم ذلك.

الثاني: أنه من باب التمثيل كقولهم: طارت به العنقاء إذا أطال الغيبة وكأنهم مثلت حال قلوبهم بحال قلوب ختم الله عليها.

الثالث: أنه نسبه إلى السبب لما كان الله هو الذي أقدر الشيطان ومكنه أسند إليه الختم.

الرابع: أنهم لما كانوا مقطوعاً بهم أنهم لا يؤمنون طوعاً ولم يبق طريق إيمانهم إلا بإلجاء وفسر وترك القسر عبر عن تركه بالختم.

الخامس: أن يكون حكاية لما يقوله الكفار تهكماً كقولهم قلوبنا في أكنة.

السادس: أن الختم منه على قلوبهم هو الشهادة منه بأنهم لا يؤمنون.

السابع: أنها في قوم مخصوصين فعل ذلك بهم في الدنيا عقاباً عاجلاً كما عجل لكثير من الكفار عقوبات في الدنيا. =

﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ فهم [1] لا يسمعون الحق ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ أي غطاء فلا يبصرون الهدى. واتفقت الأئمة السبعة رحمهم الله على القراءة برفع الهاء (غشاوة) وقرأ بعضهم بنصبها وهي قراءة شاذة[2]. فأما من قرأ برفع الهاء، فهو على معنى الإبتداء أي: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، ثم ابتدأ فقال (وعلى أبصارهم غشاوة) وأما من قرأ بالنصب فيكون الجعل فيه مضمراً، يعني: جعل على أبصارهم غشاوة. فقد ذكر في شأن المؤمنين ثوابهم في الدنيا الهدى، وفي الآخرة الفلاح، وذكر في شأن الكفار عقوبتهم في الدنيا الختم، وفي الآخرة ﴿وَلَهُمْ[3] عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني عذاباً وجيعاً[4]، يخلص الوجع إلى قلوبهم. قال [الفقيه رحمه الله][5] وفي الآية إشكال في موضعين: أحدهما في اللفظ والآخر في المعنى: فأما الذي في اللفظ ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ ذكر جماعة القلوب ثم قال: ﴿وعلى سمعهم﴾ ذكر بلفظ الوحدان، ثم قال: ﴿وعلى أبصارهم﴾ ذكر بلفظ الجمع، فجوابه: [عن هذا: أن يقال][6] أن السمع مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع فلهذا المعنى والله أعلم ذكر بلفظ الوحدان[7]. وقد قيل: معنى ﴿وعلى سمعهم﴾ أي: موضع سمعهم لأن السمع لا يختم وإنما يختم موضع السمع. وقد قيل: إن الإضافة إلى الجماعة تغني عن لفظ الجماعة، لأنه قال ﴿وعلى سمعهم﴾ فقد أضاف إلى الجماعة، والشيء إذا أضيف إلى الجماعة مرة يذكر بلفظ الجماعة، ومرة يذكر بلفظ الوحدان. فلو ذكر القلوب والأبصار بلفظ الوحدان لكان سديداً في اللغة. فذكر البعض بلفظ الوحدان، والبعض بلفظ الجماعة، وهذه علامة الفصاحة لأن كتاب الله تعالى أفصح الكلام. وأما الإشكال الذي في المعنى أن يقال: إذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم، فمنعهم عن الهدى فكيف يستحقون العقوبة؟ والجواب عن هذا: أن يقال: أنه ختم مجازاة لكفرهم. كما قال في آية أخرى: (بل طبع الله عليها بكفرهم) لأن الله تعالى قد يسر عليهم سبيل الهدى، فلو جاهدوا لوفقهم، كما قال [تعالى][8] (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فلما لم يجاهدوا واختاروا الكفر عاقبهم الله تعالى في الدنيا بالختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم وفي الآخرة بالعذاب العظيم. وروي عن مجاهد أنه قال: من أول سورة البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في

= **الثامن**: أن يكون ذلك فعله بهم من غير أن يحول بينهم وبين الإيمان لضيق صدورهم عقوبة غير مانعة من الإيمان.

التاسع: أن يفعل بهم ذلك في الآخرة لقوله تعالى: ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً﴾.

العاشر: ما حُكي عن الحسن البصري وهو اختيار أبي علي الجبائي والقاضي أن ذلك سمة وعلامة يجعلها الله تعالى في قلب الكافر وسمعه تستدل بذلك الملائكة على أنهم كفار وأنهم لا يؤمنون انتهى ما قاله المعتزلة.

والمسألة يبحث عنها في أصول الدين. انظر تفسير الفخر الرازي ٢/٥٤، ٥٧ والبحر المحيط ١/٤٨.

(١) في ظ [معنى].

(٢) الأصح أن يقول «بنصب التاء» وليس الهاء، والقراءة شاذة لم تصح عن أحد من القراء السبعة بل قرأوا برفع التاء هكذا «غشاوةٌ» على أنها مبتدأ مؤخر والخبر «على أبصارهم».. ولم ينسب ابن خالويه القراءة لأحد وإنما قال: يقرأ بالرفع والنصب انظر الحجة في القراءات السبع / سورة البقرة ص (٦٧).

(٣) في أ [كما قال تعالى لهم].

(٤) في ظ [موجعاً].

(٥) في ظ [الخليل].

(٦) ساقطة في ظ.

(٧) قال ابن منظور: قوله «على سمعهم» المراد منه على أسماعهم، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها أن السمع بمعنى المصدر يوحد ويراد به الجمع لأن المصادر لا تجمع والثاني: أن يكون المعنى على مواضع سمعهم فحذفت المواضع، كما تقول هم عدل أي ذوو عدل والثالث: أن يكون إضافته السمع إليهم دالاً على أسماعهم... ومثل هذا كثير في كلام في العرب. (اللسان: سمع).

(٨) سقط في ظ.

نعت المنافقين. وروي عن مقاتل أنه قال: آيتان من أول السورة في نعت المؤمنين المهاجرين [وآيتان في نعت المؤمنين غير المهاجرين][١]، وآيتان في نعت مؤمني أهل الكتاب، وآيتان في نعت الكفار، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين من قوله: ﴿ومن الناس﴾ إلى قوله ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾: (من) للتبعيض فإنه أراد به بعض الناس ولم يرد به جميع الناس، فكأنه قال: بعض الناس يقولون: آمنا بالله. وقد قيل: معناه، ومن الناس ناس يقولون: آمنا بالله، يعني صدقنا بالله ﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وبالبعث [بعد الموت][٢] ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ يعني ليسوا بمصدقين، بل هم منافقون، منهم: عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي، ومعتب بن قشير، وجد بن قيس، ومن تابعهم من المنافقين وفي هذه الآية دليل على أن القول بغير تصديق القلب لا يكون إيماناً لأن المنافقين كانوا يقولون بألسنتهم، ولم يكن لهم تصديق القلب، فنفى الله الإيمان عنهم فقال: ﴿وما هم بمؤمنين﴾.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾

قوله تعالى ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ﴾ وأصل الخداع في اللغة هو الستر[٣]. يقال للبيت الذي يخزن فيه المال: مخدع، والعرب تقول: [انخدعت][٤] الضب في جحرها. فكان المنافقون يظهرون الإيمان ويسترون نفاقهم وكفرهم. فقال: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي يكذبون ويخالفون الله والذين آمنوا [ويقال يظنون أنهم يخادعون الله والذين آمنوا][٥] لأنه قد بين في سياق الآية حيث قال تعالى ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ روي عن الأخفش[٦] أنه قال: اجترأوا على الله حتى ظنوا أنهم يخادعون الله. [وقال بكر بن جريج يظهرون لا إله إلا الله يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم وأنفسهم][٧] ويقال: يظهرون غير ما في أنفسهم. وهذا موافق لما روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: علامة المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف وإذا أوتمن خان، وإذا حدث كذب[٨]. وقوله ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة الكسائي (وما يخدعون) بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف «وما يخادعون». وتفسير القراءتين واحد يعني: وبال الخداع يرجع إليهم ويضر بأنفسهم[٩]. قوله

---

(١) ساقطة في ظ. (٢) ساقطة في ظ.

(٣) انظر اللسان / خدع. . . وقال ابن منظور: والخداع: الحيلة، والمراوغة.

يقال: خدع الثعلب: إذا أخذ في الروغان، وفلان خادع الرأي إذا كان متلوناً لا يثبت على رأي واحد. . . (بتصرف قليل وإيجاز).

(٤) في ظ انخدع.

(٥) سقط في د. انظر تفسير الطبري ١/٢٥١ والسيوطي في الدر المنثور ١/٢٩.

(٦) سعيد بن سعدة أبو الحسن المعروف بالأخفش، قرأ النحو على سيبويه وكان أسن منه من تصانيفه معاني القرآن والمقياس في النحو توفي سنة ٢١٥ هـ انباه الرواة ٢/٣٦ شذرات الذهب ٢/٣٦.

(٧) سقط في ظ.

(٨) أخرجه البخاري ١/٨٩ في الإيمان باب علامة المنافق (٣٢) وأخرجه البخاري ٥/٢٨٩ في كتاب الشهادات ومسلم ١/٧٨ في كتاب الإيمان / باب بيان خصال النفاق (١٠٧ / ٥٩) (١٠٨/٥٩).

(٩) فأما من قرأ بالألف فلمناسبة اللفظ الأول وليشاكل بين اللفظين. وأما من قرأ بدون ألف فقد جعل خادع بمعنى خدع فهما متحدان =

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾. قال الكلبي: يعني وما يعلمون أن الله يطلع نبيه على كذبهم. وقال بعضهم: معناه وما يشعرون أن وبال الخداع يرجع إليهم.

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني شكاً ونفاقاً وظلمة وضعفاً، لأن المريض فيه فترة ووهن، والشاك أيضاً في أمره فترة وضعف. فعبر بالمرض عن الشك لأن المنافقين فيهم ضعف ووهن، ألا ترى إلى قوله تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو) ويقال: إن المريض تعرض للهلاك، فسمى النفاق مرضاً، لأن النفاق قد يهلك صاحبه [لأن الخلق على مراتب ثلاث، ميت في الأحوال كلها كالكافر وحي في الأحوال كلها كالمؤمن لقوله تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه) ومريض كالمنافق] [١] ثم قال تعالى ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً﴾ وهذا اللفظ يحتمل معنين: يحتمل الخبر عن الماضي، ويحتمل الدعاء، فإن كان المراد به الخبر فمعناه: في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً إلى مرضهم كما قال في آية أخرى (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) لأن كل سورة نزلت يشكون فيها، فكان ذلك[٢] المرض [لهم][٣]، وللمؤمنين زيادة اليقين. وإن كان المراد به الدعاء، فمعناه: فزادهم الله مرضاً على مرضهم[٤]، على وجه الذم والطرد لهم كما قال في آية أخرى (قاتلهم الله) أو لعنهم الله فإن قيل: كيف يجوز أن يحمل على وجه الدعاء، وإنما يحتاج إلى الدعاء عند العجز قيل له: هذا تعليم من الله تعالى أنه يجوز الدعاء على المنافقين والطرد لهم لأنهم شر خلق الله تعالى، لأنه وعد لهم يوم القيامة الدرك الأسفل من النار. ثم قال ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني مؤلم، أي عذاب وجيع الذي يخلص وجعه إلى قلوبهم. قوله ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ أي مجازاة لهم بتكذيبهم. قرأ حمزة وابن عامر ﴿فزادهم الله﴾ بكسر الزاي[٥]، وهي لغة بعض العرب [وقرأ عاصم وأبو عمرو][٦] (بالفتح) وهي اللغة الظاهرة، وقرأ أهل الكوفة، عاصم وحمزة والكسائي (يكذبون) بتحفيف الذال، وقرأ الباقون بالتشديد. فمن قرأ بالتخفيف فمعناه: بما كانوا يكذبون بقولهم أنهم مؤمنون، وجحدوا في السر لأنهم كفروا بالله، وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في السر. ومن قرأ بالتشديد فمعناه بما كانوا يكذبون، يعني ينسبون محمداً إلى الكذب، ويجحدون نبوته[٧].

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ قرأ الكسائي برفع القاف وكذلك كل ما ذكر في القرآن مثل قيل، وحيل،

= لفظاً ومعنى، وأما بإبقاء المفاعلة على بابها بمعنى يخادعون أنفسهم أي يمنّونها الأباطيل وأنفسهم تمنيهم ذلك قال ابن خالويه: ألا ترى قوله تعالى: ﴿قاتلهم الله﴾ أي قتلهم.

انظر / الحجة لابن خالويه، وإتحاف فضلاء البشر (سورة البقرة).

(١) سقط في ظ.

(٢) في ظ [زيادة].

(٣) في د [بهم].

(٤) من ظ.

(٥) اي بإمالة الألف بعد الزاي، وذلك لأن الألف أصلها ياء، والياء من أسباب الإمالة انظر / إتحاف فضلاء البشر.

(٦) في ظ [قرأ حمزة وابن عامر فزاد هم بكسر الزاي وهي لغة لبعض العرب وقرأ أبو عمرو وعاصم].

(٧) انظر إبراز المعاني، إتحاف فضلاء البشر. (سورة البقرة).

وسيق. وقرأ حمزة وعاصم وغيرهما بكسر القاف[١]، وأصله في اللغة قول مع الواو، فحذفت الواو للتخفيف. فجعل الكسائي الرفع مكان الواو وغيره، وقرأ بالكسر للتخفيف. والآية نزلت في شأن المنافقين ﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني المنافقين ﴿لَا تُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي [وهو الفساد][٢] لأن الأرض كانت قبل أن يبعث النبي ـ عليه السلام ـ فيها الفساد، وكان يعمل فيها بالمعاصي فلما بعث الله النبي ـ عليه السلام ـ ارتفع الفساد وصلحت الأرض، فإذا عملوا بالمعاصي فقد أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، كما قال في آية أخرى (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) ﴿قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أي نعمل بالطاعة، ولا نعمل بالمعاصي وقد قيل: معنى لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها أي لا تداهنوا بين الناس ولا تعملوا بالمداهنة ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ يعني لا نعادي الكفار ولا المؤمنين حتى لو كانت الغلبة للمؤمنين أو للكفار، لا يصيبنا من دائرتهم شيء.

أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

قال الله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ في الأرض وليسوا بمصلحين لأن عداوتهم مع الفريقين لأن كل فريق منهم يعلم أنهم ليسوا معهم. وقد قيل: معناه لا تفسدوا في الأرض [بتفريق][٣] الناس عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي لا تصرفوا الناس عن دينه، قالوا: إنما نحن مصلحون [بتفريقنا][٤] عن دينه. ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ ألا: كلمة تنبيه فنبه المؤمنين وأعلمهم نفاقهم، فكأنه قال: ألا أيها المؤمنون: اعلموا أنهم هم المفسدون العاصون ويكون تكرار كلمة هم على وجه التأكيد، والعرب إذا كررت الكلام تريد به التأكيد قال تعالى ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم مفسدون.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ قال في رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في شأن اليهود ﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني اليهود ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ يعني عبد الله بن سلام وأصحابه. ﴿قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ آمَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يعني الجهال الخرقى[٥] قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يعني الجهال الخرقى بتركهم الإيمان بمحمد ـ عليه السلام ـ ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم سفهاء. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في شأن المنافقين، وهكذا قال مجاهد ومعناه ﴿وإذا قيل لهم آمنوا﴾ يعني صدقوا بقلوبكم كما صدق أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورضي عنهم ﴿قالوا: أنؤمن﴾ يعني المنافقين أنصدق كما صدق الجهال. قال الله تعالى ﴿ألا أنهم هم السفهاء﴾ يعني الجهال بتركهم التصديق في السر، ولكن لا يعلمون أنهم جهال.

---

(١) أي بالإشمام وهو لغة قيس وعقيل ومن جاورهم.
انظر / إبراز المعاني، وإتحاف فضلاء البشر (سورة البقرة).

(٢) سقط في ظ. (٣) في ظ [بتعويق]. (٤) في ظ [بتعويقنا].

(٥) الخرق: الحمق وعدم إحسان العمل، والرجل أخرق والأنثى خرقاء.
(اللسان: خرق).

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾

ثم قال تعالى ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَآمَنُواْ قَالُواْ ءَامَنَّا﴾ نزلت هذه الآية في ذكر المنافقين منهم عبد الله بن أبي بن سلول وجد بن قيس، ومعتب بن قشير وغيرهم وذلك أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب][1] ـ رضي الله عنهم ـ مروا بقوم من المنافقين. فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: انظروا كيف أرد هؤلاء الجهال عنكم فتعلموا مني كيف أكلمهم، فأخذ بيد أبي بكر، وقال: مرحباً بسيد بني تميم، وثاني اثنين وصاحبه في الغار، وصفيه من أمته، الباذل نفسه وماله لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم أخذ بيد عمر قال: مرحباً بسيد بني عدي القوي في أمر الله تعالى، الباذل نفسه وماله لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بسيد بني هاشم ـ ما خلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الباذل نفسه ودمه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والسابق إلى الهجرة. فقال له علي: اتق الله يا عبد الله ولا تنافق، فإن المنافقين شر خليقة الله. قال: فلم تقول هكذا وإيماني كإيمانكم وتصديقي كتصديقكم، ثـم افترقوا، فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتم ردي هؤلاء عنكم؟ فقالوا: لا نزال بخير ما عشت لنا، فنزلت الآية ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾[2] يعني إيماننا كإيمانكم، وتصديقنا كتصديقكم قوله تعالى ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ قال الكلبي: يعني إلى كهنتهم وهم خمسة رهط من اليهود، ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان، منهم كعب بن الأشرف بـالمدينـة وأبو بـردة الأسلمي في بني [سليم][3]، [وأبو السـوداء][4] بالشـام، وعبد الدار من جهينة، وعوف بن مالك من بني أسد. ويقال: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ يعني إلى رؤسائهم في الضلالة. وقال أبو عبيدة[5]: كل عات متمرد فهو شيطان ثم قال تعالى ﴿قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي على دينكم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه رضي الله عنهم.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾

قال الله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِءُ بهمْ﴾ أي يجازيهم جزاء الاستهزاء. وذكر في رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما الاستهزاء أن يفتح لهم وهم في جهنم، باب من الجنة فيهللون[6] ويصيحون في النار (فيهلكون)[7]، والمؤمنون على الأرائك ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى الباب سد عليهم، وفتح لهم باب آخر في مكان آخر والمؤمنون ينظرون إليهم ويضحكون كما قال في آية أخرى (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) الآية وقال مقاتل: الاستهزاء ما ذكره الله تعالى في سورة الحديد «يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً» فهذا استهزاء بهم، ثم قال تعالى ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يعنـي يتركهم في ضلالتهم يتحيرون ويترددون عقوبة لهم لاستهزائهم.

---

(١) في ظ وعلياً رضي الله عنه.

(٢) أخرجها الواحدي في أسباب النزول (١٣) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس والسيوطي في لباب النقول (٧) من طريق محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وقال هذا إسناد واهٍ جداً.

(٣) في ظ [أسلم]. (٤) في ظ [وابن السواد].

(٥) معمر بن المثنى التيمي كان عالماً بجميع العلوم قال الجاحظ لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه كان من حفاظ الحديث له نحو مائتي مصنف منها مجاز القرآن ومآثر العرب. الأعلام ٧/٢٧٢. تاريخ بغداد ١٣/٢٥٤.

(٦) في ظ [فينقلبون]. (٧) ساقط في ظ.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾

قوله عز وجل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ يعني اختاروا الكفر على الإيمان. وفي الآية دليل أن الشراء قد يكون بالمعنى دون اللفظ وهو المبادلة لأن الله تعالى سمى استبدالهم الضلالة بالهدى شراء، ولم يكن هنالك لفظ شراء. قوله تعالى ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ فقد أضاف الربح إلى التجارة على وجه المجاز. والعرب تقول: ربحت تجارة فلان، وخسرت تجارة فلان، وإنما يريدون به أنه ربح في تجارته، والله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب على ما يتعارفون فيما بينهم فلذلك قال ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي فما ربحوا في تجارتهم. قوله تعالى ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ قال بعضهم: معناه وما هم بمهتدين في الحال. كقوله تعالى «كيف نكلم من كان في المهد صبيا» أي من هو في المهد [صبي][1] في الحال. وقال بعضهم: معناه (وما كانوا مهتدين) من قبل لأنهم لو كانوا مهتدين من قبل لوفقهم الله تعالى في الحال ولكن لما لم يكونوا مهتدين من قبل خذلهم الله تعالى مجازاة لأفعالهم الخبيثة.

مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾ روى معاوية بن طلح [2] عن علي بن أبي طلحة[3] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في شأن اليهود الذين هم حوالي المدينة فقال: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت﴾ يعني كمثل من كان في المفازة في الليلة المظلمة، وهو يخاف السباع فأوقد ناراً فآمن بها من السباع ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾ طفئت ناره وبقي في الظلمة كذلك اليهود الذين كانوا حوالي المدينة كانوا يقرون بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يخرج وكانوا إذا حاربوا أعداءهم من المشركين يستنصرون باسمه فيقولون بحق نبيك أن تنصرنا فلما أخرج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقدم المدينة حسدوه وكذبوه وكفروا به فطفئت نارهم وبقوا في ظلمات الكفر، وقال مقاتل: نزلت في المنافقين يقول مثل المنافق مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كمثل رجل في مفازة فأوقد ناراً (فأمن)[4] بها على نفسه وعياله وماله فكذلك المنافق يتكلم بلا إله إلا الله مرآة الناس ليأمن بها على نفسه (وأهله)[5] وعياله وماله ويناكح مع المسلمين وكان له نور بمنزلة المستوقد النار يمشي في شوءها ما دامت ناره تتقد، فلما أضاءت النار أبصر ما حوله بنورها وذهب نورها فبقي في ظلمة. قوله تعالى ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ أي يذهب الله بنور الإيمان الذي يتكلم به ﴿وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾ الهدى[6] فكذلك المنافق إذا بلغ آخر عمره بقي في ظلمة كفره. وهكذا فسره قتادة والقتبي[7] وغيرهما.

---

(١) ساقطة في ظ.

(٢) معاوية بن طلح بن حدير الحضرمي أبو عمرو أحد الأعلام وقاضي الأندلس كان ثقة كثير الحديث روى التفسير عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
تهذيب التهذيب ١٠/٢٠٩.

(٣) علي بن أبي طلحة سالم مولى ابن عباس سكن حمص، أرسل عن ابن عباس ولم يره صدوق قد يخطىء مات سنة ثلاث وأربعين.
التقريب ٢/٣٩.

(٤) في ظ [ليأمن]. (٥) ساقطة في ظ. (٦) ساقطة في ظ.

(٧) عبد الله بن مسلم الدينوري القتبي النحوي الدنيوري أبو محمد من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين من كتب تأويل مختلف الحديث. وأدب الكاتب توفي سنة ٢٧٦ هـ. الأعلام ٤/١٣٧ تبصير المنتبه ٣/١١٦٠.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾

ثم قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُميٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (صماً بكماً عميا) [وإنما جعلها نصباً لوقوع الفعل عليها يعني وتركهم صماً بكماً عمياً][٢]. وقرأ غيره: صم بكم عمي [ومعناه هم صم بكم عمي][٣]. وتفسير الآية أنهم يتصاممون حيث لم يسمعوا الحق ولم يتكلموا به ولم يبصروا العبرة والهدى فكأنهم صم بكم عمي ولأن الله تعالى خلق السمع والبصر واللسان لينتفعوا بهذه الأشياء فإذا لم ينتفعوا بالسمع والبصر صار كأن السمع والبصر لم يكن لهم. كما أن الله تعالى سمى الكفرة موتى حيث قال تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه) يعني كافراً فهديناه. وإنما سماهم موتى ـ والله أعلم ـ لأنه لا منفعة لهم في حياتهم، فكأن تلك الحياة لم تكن لهم، فكذلك السمع والبصر واللسان، إذا لم ينتفعوا بها فكأنها لم تكن لهم، فكأنهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون، يعني لا يرجعون إلى الهدى. وقال القتبي: معنى قوله تعالى: ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ قال: الظلمة الأولى كانت ظلمة الكفر واستيقادهم النار قول: لا إله إلا الله، وإذا خلوا إلى شياطينهم فنافقوا. وقالوا ﴿إنا معكم إنما نحن مستهزؤون﴾ فسلبهم نور الإيمان ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾[٥].

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝١٩﴾

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ يعني كمطر نزل من السماء فضرب لهم الله تعالى مثلاً آخر لأن العرب كانوا يوضحون الكلام بذكر الأمثال فالله ضرب لهم الأمثال ليوضح عليهم الحجة، فضرب لهم مثلاً بالمستوقد النار، ثم ضرب لهم مثلاً آخر بالمطر. فإن قيل كلمة (أو) إنما تستعمل للشك فما معنى (أو) ها هنا فقيل له: (أو) قد تكون للتخيير [فكأنه قال إن شئتم فاضربوا لهم مثلاً بالمستوقد النار وإن شئتم فاضربوا لهم المثل بالمطر فأنتم مصيبون في ضرب المثل في الوجهين جميعاً. وهذا كما قال في آية أخرى: (أو كظلمات في بحر لجي) فكذلك ها هنا أو للتخيير][٦] لا للشك. وقد قيل: أو بمعنى الواو يعني، وكصيب من السماء، معناه: مثلهم كرجل في مفازة في ليلة مظلمة فنزل مطر من السماء، وفي المطر ظلمات ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ والمطر هو القرآن لأن في المطر

---

(١) انظر البحر المحيط ١/٨٢ قال أبو حيان: وقرأ عبد الله بن مسعود وحفصة أم المؤمنين «صماً بكماً عمياً» بالنصب، وذكروا في نصبه وجوهاً: أحدها أن يكون مفعولاً ثانياً لترك.

الثاني: على الحالية من المفعول في تركهم.

الثالث: منصوب بفعل محذوف من الضمير في يبصرون.

الخامس: أن يكون منصوباً على الذم... (البحر. بتصرف وإيجاز) وانظر /الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي وفيه الوجه الخامس فقط ١/١٤٩ دار الكتب العلمية.

(٢) ما بين المعقوفين من ظ. (٣) سقط في ظ. (٤) من ظ.

(٥) وجمع الظلمات في الآية إشارة إلى أحوال من أحوال المنافقين كل حالة منها تصلح لأن تشبه بالظلمة وتلك هي: حالة الكفر، وحالة الكذب، وحالة الاستهزاء بالمؤمنين، وما يتبع تلك الأحوال من آثار النفاق.

انظر تفسير التحرير والتنوير ١/٣١٢.

(٦) ما بين المعقوفين من ظ.

حياة الخلق وإصلاح الأرض وكذلك القرآن [حياة القلوب][١]، فيه هدى للناس، وبيان من الضلالة وإصلاح، فلهذا المعنى شبه القرآن بالمطر. والظلمات هي الشدائد والمحن التي تصيب المسلمين، والشبهات التي في القرآن، والرعد: هو الوعيد الذي ذكر للمنافقين والكفار في القرآن، والبرق: ما ظهر من علامات نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودلائله. قوله تعالى ﴿وَيَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾ أي يتصاممون عن سماع الحق ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ أي لحذر الموت، [إنما] نصب[٢] لنزع الخافض. مثل قوله (واختار موسى قومه) أي من قومه. فكذلك ههنا ﴿حذر الموت﴾، أي لحذر الموت، ومعناه: مخافة أن ينزل في القرآن شيء يظهر حالهم كما قال في آية أخرى (نظر بعضهم إلى بعض،هل يراكم من أحد ثم انصرفوا) قال بعضهم: في الآية مضمر، ومعناها يجعلون أصابعهم في آذانهم من الرعد، ويغمضون أعينهم من الصواعق. وقال أهل اللغة: الصاعقة صوت ينزل من السماء فيه نار[٣]. فمن قال بهذا القول لا يحتاج إلى الإضمار في الآية: يجعلون أصابعهم في آذانهم من خوف الصاعقة: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي عالم بأعمالهم والإحاطة: هي إدراك الشيء بكماله.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ أي ضوء البرق يذهب ويختلس بأبصارهم من شدة ضوء البرق فكذلك نور إيمان المنافق يكاد يغطي على الناس كفره في سره حتى لا يعلموا كفره. وقد قيل: معناه يكاد أن يظهر عليهم نور الإسلام[٤]، فيثبتون على ذلك. ثم قال: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ أي كلما لمع البرق في الليلة المظلمة مضوا فيه ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا ذهب ضوء البرق ﴿قَامُوا﴾ متحيرين فكذلك المنافق، إذا تكلم بلا إله إلا الله، يمضي مع المؤمنين، [ويمنع بها][٥] من السيف، فإذا مات بقي متحيراً نادماً. ويقال: معناه كلما أضاء لهم مشوا فيه، أي كلما ظهر لهم دليل نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وظهر لهم علاماته مالوا إليه، وإذا أظلم عليهم، أي إذا أصاب المسلمين محنة، كما أصابتهم يوم أحد، وكما أصابتهم يوم بئر[٦] معونة قاموا، أي: ثبتوا على كفرهم. وروى أسباط عن السدى أنه قال: كان رجلان من المنافقين هربا من المدينة إلى المشركين،

(١) ساقط في ظ. (٢) من ظ.

(٣) انظر (اللسان / صعق) قال: والصاعقة نار تسقط من السماء في رعد شديد وهي صيحة العذاب. وقيل: هي قطعة من نار تسقط بأثر الرعد لا تأتي على شيء إلا أحرقته.

(٤) في أ [الإيمان].

(٥) من ظ.

(٦) والبئر مؤنثة مهموزة يجوز تخفيفها وجمعها في القلة آبار وأبار بالمد على القلب وفي الكثرة بئار وبأرت بئراً أي حفرتها وأبارت الرجل جعلت له بئراً.

وبئر معونة بالنون وهي قبل نجد بين أرض بني عامر وحرة بني سليم وكانت غزوتها في أول سنة أربع من الهجرة بعد أحد بأشهر وقتل بها خلق من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم وكان الجيش الذي حفرها أربعين من خيار المسلمين منهم المنذر بن عمرو بن خنيس المعينق للموت ويقال المعتنق ليموت والحارث بن الصحة وحرام بن ملحان وعروة بن شماس بن أبي الصلت السلمي ورافع بن زيد بن ورقاء وعامر فهيرة فقتلوا كلهم إلا كعب بن زيد وعمرو بن أمية الضمري ذكره ابن الأثير في ترجمة المنذر بن عمرو وانظر تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١ (٣٦).

فأصابهما من المطر الذي ذكر الله فيه ظلمات ورعد وبرق، كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما فإذا لمع البرق مشيا في ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا شيئاً، فقاما مكانهما فجعلا يقولان يا ليتنا لو أصبحنا فنأتي محمداً - صلى الله عليه وسلم - فنضع أيدينا في يده، فأصبحا فأتياه فأسلما وحسن إسلامهما فضرب الله في شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين كانوا بالمدينة[١]. ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ قال بعضهم بسمعهم الظاهر الذي في الرأس وأبصارهم][٢] التي في الأعين كما ذهب بسمع قلوبهم، وأبصار قلوبهم عقوبة لهم. قيل: معناه ولو شاء لجعلهم صماً وعمياً في الحقيقة كما جعلهم صماً وعمياً في الحكم. قد قيل: معناه، ولو شاء الله لجعلهم صماً وعمياً في الآخرة كما جعلهم في الدنيا. وروي في إحدى الروايتين عن ابن عباس أنه قال: هذا من المكتوم الذي لا يفسر. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من العقوبة وغيرها.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أي أطيعوا ربكم. ويقال: وحدوا ربكم. وهذه الآية عامة، وقد تكون كلمة يا أيها الناس خاصة لأهل مكة وقد تكون عامة لجميع الخلق فههنا ﴿يا أيها الناس﴾ لجميع الخلق. يقول للكفار: وحدوا ربكم، ويقول للعصاة: أطيعوا ربكم، ويقول للمنافقين: أخلصوا بالتوحيد معرفة ربكم، ويقول للمطيعين: اثبتوا على طاعة ربكم. واللفظ يحتمل هذه الوجوه كلها، وهو من جوامع الكلم. واعلم أن النداء في القرآن على ست مراتب: نداء مدح، ونداء ذم، ونداء تنبيه، ونداء إضافة، ونداء نسبة، ونداء تسمية. فأما نداء المدح فمثل قوله تعالى (يا أيها النبي) (يا أيها الرسل) (يا أيها الذين آمنوا) ونداء الذم مثل قوله تعالى: (يا أيها الذين كفروا) (يا أيها الذين هادوا) ونداء التنبيه مثل قوله تعالى (يا أيها الإنسان) (يا أيها الناس) ونداء الإضافة مثل قوله تعالى (يا عبادي) ونداء النسبة مثل قوله (يا بني آدم) (يا بني إسرائيل) ونـداء التسمية مثل قوله تعالى (يا داود) (يا إبراهيم) فههنا ذكر نداء التنبيه فقال (يا أيها الناس) أخبر بالنداء أنه يريد أن يأمر أمراً أو ينهى عن شيء. ثم بين الأمر فقال: ﴿اعبدوا ربكم﴾ يعني وحدوا وأطيعوا ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ معناه: أطيعوا ربكم الذي هو خالقكم، فخلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني وخلق الذين من قبلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعصية وتنجون من العقوبة.

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشاً﴾ معناه: اعبدوا ربكم الذي خلقكم وجعل لكم الأرض فراشاً، يعني مهاداً وقراراً. وقال أهل اللغة: الأرض بساط العالم[٣]. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إنما سميت

---

(١) أخرجه ابن جرير بأتم منه ١/٣٤٧ (٤٥٢) وقال الطبري ١/٣٥٤ ولست أعلمه صحيحاً إذا كتب بإسناده مرتاباً وقال العلامة أحمد شاكر وحق لأبي جعفر أن يرتاب في إسناده فإن هذا الإسناد فيه تساهل كبير من جهة جمع مفرق التفاسير عن الصحابة في سياق واحد.

(٢) ما بين المعقوفين من أ.

(٣) قال ابن منظور: والإراض: البساط لأنه يلي الأرض (اللسان: أرض).

الأرض أرضاً لأنها تأرض ما في بطنها أي تأكل ما فيها. وقال بعضهم: لأنها تتأرض بالحوافر والأقدام ﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾ في اللغة: ما علاك وأظلك[١]. يعني اذكروا رب هذه النعم واعبدوه واعرفوا شكر هذه النعم حيث جعل لكم الأرض فراشاً، والسماء ﴿بِنَآءً﴾ أي سقفا. قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي: كل سماء مطبقة على الأخرى مثل القبة وسماء الدنيا ملتزقة على الأرض أطرافها ويقال: ﴿والسماء بناء﴾ أي مرتفعا. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني المطر ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾ يعني أنبت بالمطر ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ يعني من ألوان الثمرات)[٢] طعاماً لكم قوله ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي لا تقولوا له شركاء ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خالق هذه الأشياء وغيره لا يستطيع أن يخلق شيئاً من هذه الأشياء. ويقال: كل شيء في هذه الدنيا فيه دلالة على كونه الخالق من أربعة أوجه: فوجود هذه الأشياء وكونها يدل على وجود الصانع واستقامتها تدل على توحيده، وهو استقامة الليل والنهار، والشتاء والصيف وخروج الثمرات وحدوث كل شيء في وقته، لأن المدبر لو كان اثنين لم يكن على الاستقامة كما قال في آية أخرى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وتجانسها يدل على أن الخالق واحد عالم حيث خلق الأشياء أجناساً مختلفة وتمام الأشياء يدل على أن خالقها واحد قائم قادر.

وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ قال بعضهم: هذا الخطاب لليهود وان كنتم في ريب: أي في شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن أنه ليس من الله تعالى ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي من مثل هذا القرآن من التوراة، [يعني فاتوا بسورة من التوراة][٣]وقابلوها بالقرآن، [فتجدوها موافقة لما في التوراة][٤] فتعلموا به أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يختلقه من تلقاء نفسه وأنه من الله تعالى. ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي استعينوا بأحباركم ورهبانكم يعني عبّادكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تشكون فيه. وقال بعضهم: نزلت في شأن المشركين ﴿وإن كنتم في ريب﴾ أي في شك ﴿مما نزلنا على عبدنا﴾ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن وتقولون: إنه اختلقه من تلقاء نفسه ﴿فأتوا بسورة﴾ أي، فاختلقوا سورة من مثل هذا القرآن لأنكم شعراء وفصحاء ﴿وادعوا شهداءكم﴾ أي إستعينوا بآلهتكم. ويقال: استعينوا بخطبائكم وشعرائكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن محمداً يقوله من تلقاء نفسه. وقال قتادة: معناه فأتوا بسورة فيها حق وصدق لا باطل فيها وكان الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله ـ يقول: (الهاء) اشارة الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكأنه قال: فأتوا بسورة من مثل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لانه لم يكن قرأ الكتب ولا درس فأتوا بسورة من رجل لم يقرأ الكتب، كما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ. [ويقال: هذه الايات أصل لجميع ما تكلم به المتكلمون لان في أول الآيه اثبات الصانع ثم في الآية الاخرى: اثبات نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ][٥]فالله تعالى أمرهم بأن يأتوا بعشر سور فعجزوا عنها، ثم أمرهم بسورة من مثله، فعجزوا عنها، فنزلت هذه الآية (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) الآية.

---

(١) زاد ابن منظور: ومنه قيل لسقف البيت سماء (اللسان: سما).

(٢) في ظ [الثمار رزقاً لكم أي].

(٣) ما بين المعقوفين من ظ.

(٤) في المخطوط: فتجدوها موافقاً لما التوراة والصواب ما أثبتناه.

(٥) ما بين المعقوفين من ظ.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

ثم قال عز وجل ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَنْ تَفْعَلُواْ﴾ (لم) تستعمل للماضي (ولن) تستعمل للمستقبل، فكأنه قال: فإن لم تفعلوا أي لم تأتوا في الماضي ولن تفعلوا أي لن تأتوا في المستقبل، وتجحدون بغير حجة ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ﴾ قال قتادة: معناه، فإن لم تفعلوا، ولن تقدروا أن تفعلوا ولن تطيقوا ﴿فاتقوا النار﴾ أي: احذروا النار ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ﴾ يعني حطبها الناس اذا صاروا اليها، والحجارة قبل ان يصيروا اليها. ويقال معناه: ان مع كل انسان من أهل النار حجراً معلقاً في عنقه حتى اذا طفئت النار، [رسبه به][1] الحجر الى أسفل. ويقال: وقودها الناس والحجارة، أي حجارة الكبريت، وانما جعل حطبها من حجارة الكبريت لان لها خمسة أشياء ليست لغيرها: أحدها: أنها [2] أسرع وقوداً، والثاني: انها أبطأ خموداً، والثالث: أنها أنتن رائحة، والرابع: أنها أشد حراً، والخامس أنها ألصق بالبدن. قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي خلقت وهيئت للكافرين وقدرت لهم.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

ثم قال ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فقد ذكر في أول الآية إثبات الصانع وذكر حجته، ثم ذكر إثبات الكتاب والنبوة، ثم ذكر الوعيد للكفار، [لمن لم][3] يؤمن بالله، ثم ذكر الثواب للمؤمنين، وهكذا في جميع القرآن في كل موضع ذكر عقوبة الكفار، ثم ذكر على أثره ثواب المؤمنين لتسكن قلوبهم الى ذلك، وتزول عنهم [الوحشة][4] لكي يثبتوا على إيمانهم ولكي يرغبوا في ثوابه فقال ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ أي فرح قلوب الذين آمنوا. يعني صدقوا بوحدانية الله تعالى، وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبما جاء به جبريل ـ عليه السلام ـ ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ أي بأن لهم ﴿جَنَّاتٍ﴾ وهي البساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهارُ﴾ أي من تحت شجرها ومساكنها وغرفها الأنهار [يعني أنهار الخمر واللبن والماء والعسل][5] ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾ أي أطعموا من الجنة ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِزْقاً﴾ أي طعاما ﴿قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي اطعمنا من الجنة من قبل. قال بعضهم: معناه اذا أتي بطعام وثمار في أول النهار فأكلوا منها، ثم اذا أتي بها في آخر النهار ﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ [يعني][6] الذي أطعمنا في أول النهار لأن لونه يشبه لون ذلك، فإذا أكلوا منه وجدوا لها طعماً غير طعم الأول. قال بعضهم: معناه ﴿كلما رزقوا من ثمرة رزقا][7] قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ أي في الدنيا، لأن لونها يشبه لون ثمار الدنيا، فاذا أكلوا وجدوا طعمها غير ذلك. ثم قال تعالى ﴿وأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ قال بعضهم: معناه، متشابهاً في المنظر مختلفاً في الطعم. وقال بعضهم: متشابهاً، يعني يشبه بعضها بعضاً في الجودة، ولا يكون فيها رديء، حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا ابراهيم بن

---

(١) في أ [رسبه].
(٢) في أ [إن حجارة الكبريت]
(٣) في ظ [لمن لا].
(٤) في ظ [الخشية].
(٥) ما بين المعقوفين من ظ.
(٦) في ظ [يعني منها].
(٧) ما بين المعقوفين من أ.

يوسف قال: حدثنا أبو معاوية[١] عن الأعمش[٢] عن أبي ظبيان[٣] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا الا الاسماء[٤] يعني أسماء الثمار. ثم قال تعالى ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي مهذبة في الخلق ويقال: مطهرة في الخلق والخلق، فأما الخلق فانهن لا يحضن ولا يبلن ولا يتمخطن ولا يأتين الخلاء. وأما الخلق، فهن لا يحسدن ولا يغرن ولاينظرن إلى غير أزواجهن. قوله تعالى ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي دائمون لا يموتون ولا يخرجون منها أبدا.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ الله لاَ يَسْتَحْيِي[٥] أَن يَضْرِبَ مَثَلاً﴾ وذلك أنه لما نزل قول الله تعالى (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا) وقال في آية أخرى: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت) قالت اليهود والمشركون: إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فنزلت هذه الآية. ﴿إِنَّ الله لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّـا بَعُوضَةً فَمَا فَوقَهَا﴾ أي لا يمتنع من ضرب المثل وبيان الحق بذكر البعوضة وبما فوقها. ويقال: لا يمنعه الحياء أن يضرب المثل ويبين ويصف للحق شبهاً ﴿ما بعوضة فما فوقها﴾، يعني بالذباب والعنكبوت. وقال بعضهم: فما فوقها أي بما دونها في الصغر، وهذا من أسماء الأضداد يذكر الفوق، ويراد به دونه، كما يذكر الوراء ويراد به الأمام مثل قوله (ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً) أي أمامهم فكذلك الفوق يذكر ويراد به ما دونه أي يضرب المثل بالبعوضة وبما دونها، بعد أن يكون فيه إظهار الحق، وإرشاد الى الهدى فكيف يمتنع من ضرب المثل بالبعوضة، ولو اجتمعت الانس والجن على أن يخلقوا بعوضة لا يقدرون عليه. ويقال: إنما ذكر المثل بالبعوضة، لأن خلقة البعوضة أعجب لأن خلقتها خلقة الفيل. ويقال: لأن البعوضة ما دامت جائعة عاشت فاذا شبعت ماتت فكذلك الآدمي إذا استغنى، فانه يطغى. فضرب الله المثل للآدمي. ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي صدقوا وأقروا بتوحيد الله تعالى ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعني المثل بالذباب والعنكبوت، فيؤمنون به ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني اليهود والمشركين ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾ أي بذكر البعوضة والذباب. قال الله تعالى

---

(١) محمد بن خازم التميمي السعدي أبو معاوية الضرير الكوفي الحافظ ثقة، تهذيب التهذيب ٩/١٣٧.

(٢) سليمان بن مهران الأسدي أبو محمد الكاهلي تابعي مشهور، تهذيب التهذيب ٤/٢٢٢.

(٣) حصين بن جندب بن الحارث الجني الكوفي ثقة، تهذيب التهذيب ١/٣٧٩.

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير ١/٣٦٧ (٤٧٨) من حديث ابن مسعود والسيوطي في الدر المنثور (١/٣٤).

(٥) أصل الإستحياء: انقباض عن الشيء وامتناع منه خوفاً من مواقعة القبيح.

المفردات في غريب القرآن مادة حيي ص (١٩٩) والجامع لأحكام القرآن ١/١٦٨ وهذا محال على الله تعالى. إذاً فما المراد بالاستحياء المنسوب إليه عز وجل في هذه الآية الكريمة؟

للناس في ذلك مذهبان فبعض يقول بالتأويل إذا الانقباض النفساني مما لا يحوم حول حظائر قدسه سبحانه، فالمراد بالحياء عنده الترك اللازم للانقباض، وجوز جعل ما هنا بخصوصه من باب المقابلة لما وقع في كلام الكفرة بناء على ما روي أنهم قالوا: ما يستحي رب محمد أن يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت. وبعض لا يقول بالتأويل بل يكل علمها هي وأمثالها مما جاء عنه سبحانه في الآيات والأحاديث إلى علمه سبحانه وتعالى. انظر روح المعاني للألوسي ١/٢٠٦ بتصرف.

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ أي إنما ضرب المثل ليضل به كثيرا من الناس، يعني يخذلهم ولا يوفقهم ﴿(وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً)﴾ [يعني يوفق][1] به على معرفة ذلك المثل كثيراً من الناس وهم المؤمنون. وقال بعضهم: معنى قوله ﴿يضل به كثيراً﴾، أي يسميه ضالا، كما يقال: فسّقت فلانا، أي سميته فاسقاً، لأن الله تعالى لا يضل به أحدا، وهذا طريق المعتزلة، وهو خلاف جميع أقاويل المفسرين، وهو غير مستعمل[2] في اللغة أيضاً، لأنه يقال: ضلله إذا سماه ضالا [ولا يقال: أضله إذا سماه ضالاً][3]، ولكن معناه ما ذكره المفسرون أنه يخذل به كثيراً من الناس مجازاة لكفرهم[4]. ثم قال تعالى ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ أي وما يهلك به وأصل الضلالة[5] الهلاك يقال: ضل الماء في اللبن إذا صار مستهلكاً، وما يهلك، وما يخذل به، يعني بالمثل إلا الفاسقين، وأصل الفسق في اللغة[6] هو: الخروج عن الطاعة، والعرب تقول: فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ويقال للفأرة فويسقة لأنها تخرج من الحُجْر، وقال الله تعالى (ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن طاعة ربه.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

ثم نعت الفاسقين فقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أي يتركون أمر الله ووصيته من بعد ميثاقه، أي من بعد تغليظه وتأكيده، وذلك أن الله تعالى أمر موسى في التوراة: بأن يأمر قومه ليقروا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويصدقون إذا خرج. وكان موسى عليه السلام عاهدهم على ذلك فلما خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كذبوه ولم يصدقوه ونقضوا العهد. ويقال: انه أراد به العهد الذي أخذه من بني آدم من ظهورهم حيث قال تعالى (ألست بربكم؟ قالوا: بلى) فنقضوا ذلك العهد والميثاق[7]. فإن قيل: كيف يجوز هذا؟ واليهود كانوا مقربين بالله تعالى فكيف يكون نقض العهد وهم مقرون؟ قيل له: إنهم إذا لم يصدقوا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أشركوا بالله، لأنهم لم يصدقوا بأن القرآن من عند الله، ومن زعم أن القرآن قول البشر فقد أشرك بالله تعالى، وصار ناقضاً للعهد. ويقال: الميثاق الذي يعرف كل واحد[ربه][8] إذا تفكر في نفسه، فكان ذلك بمنزلة أخذ الميثاق عليه، وجميع ما في القرآن من ذكر الميثاق فهو على هذه الأوجه الثلاثة. وقوله تعالى ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ روى الضحاك وعطاء عن ابن عباس أنه قال: (إنهم أمروا أن يؤمنوا بجميع الأنبياء فآمنوا ببعضهم ولم يؤمنوا ببعضهم. فهذا معنى قوله ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ ويقال: أمروا بصلة القرابات فقطعوا الأرحام فيما بينهم ويقال: كانت بين اليهود والعرب قرابة من وجه، لأن العرب كانت من أولاد إسماعيل واليهود من أولاد إسحاق، فإذا لم يؤمنوا بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد قطعوا ذلك الرحم الذي كان بينهم. وقوله تعالى

---

(١) في أ [أي يهدي كثيراً]. (٢) في النسختين (محتمل) والأدق (مستعمل). (٣) من ظ.

(٤) إسناد الإضلال إلى الله تعالى مراعى فيه أنه الذي مكن الضالين من الكسب والإختيار بما خلق لهم من العقول وما فصّل لهم من أسباب الخير وضده. وفي اختيار إسناده إلى الله تعالى مع صحة إسناده لفعل الضال إشارة إلى أنه ضلال متمكن من نفوسهم حتى صار كالجبلة فيهم فهم ميئوس من هدايتهم كما قال تعالى ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ فإسناد الإضلال إلى الله تعالى منظور فيه إلى خلق أسبابه القريبة والبعيدة وإلا فإن أمر الله للناس كلهم بالهدى وهي مسألة مفروغ منها في علم الكلام.

انظر تفسير التحرير والتنوير ١/٣٠٨.

(٥) اللسان: ضلل. (٧) في أ [ويقال أنه أراد به العهد فنقضوا].

(٦) اللسان: فسق. (٨) من ظ.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ لأنهم يكفرون ويأمرون غيرهم بالكفر فذلك فسادهم في الأرض ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي المغبونون في العقوبة. وقال الكلبي: ليس من مؤمن ولا كافر الا وله منزل وأهل وخدم في الجنة فإن أطاع الله أتى ومنزله وأهله وخدمه في الجنة، وإن عصى الله ورثه الله تعالى المؤمنين، فقد غبن أي بعد عن أهله وخدمه. كما قال في آية أخرى (قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) وقال بعضهم: هذا التفسير لا يصح لأنه لا يجوز أن يقال: للكافر[1] منزل في الجنة وخدم، إلا أن الكلبي لم يقل ذلك من ذات نفسه، وإنما رواه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وكنتم﴾ قال ابن عباس: هو على وجه التعجب[2]. وقال الفراء[3]: هو على وجه التوبيخ والتعجب لا على وجه الاستفهام فكأنه قال: ويحكم كيف تكفرون وتجحدون بوحدانية الله تعالى. فإن قيل: كيف يجوز التعجب من الله تعالى؟ وإنما يجوز التعجب ممن رأى شيئا لم يكن رآه أو سمع شيئاً لم يكن سمعه فيتعجب لذلك والله تعالى قد علم الأشياء قبل كونها. قيل له: التعجب من الله تعالى يكون على وجه التعجيب، والتعجيب هو أن يدعو إلى التعجب فكأنه يقول: ألا تتعجبون أنهم يكفرون بالله. وهذا كما قال في آية أخرى (وإن تعجب فعجب قولهم) ثم قال ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي كنتم نطفة في أصلاب آبائكم فأحياكم في أرحام أمهاتكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقطاع آجالكم ﴿ثُمَّ يُحييكم﴾ للبعث يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة فتثابون بأعمالكم. قال الكلبي: فلما ذكر البعث عرف[4] اليهود فسكتوا وأنكر ذلك المشركون فقالوا: ومن يستطيع أن يحيينا بعد الموت فنزل قوله تعالى ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ فإن قيل: كيف يجوز أن يكون هذا الخطاب لليهود وهم لم يكفروا بالله تعالى. فالجواب: ما سبق ذكره، أنهم لما أنكروا نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أنكروا وحدانية الله تعالى لأنهم أخبروا أن القرآن قول البشر.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ أي قدر خلقها لأن الأشياء كلها لم تخلق في ذلك الوقت، لأن الدواب وغيرها من الثمار التي في الأرض تخلق وقتاً بعد وقت. ولكن معناه قدر خلق الأشياء التي في الأرض. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ هذه الآية من المشكلات والناس في هذه الآية وما شاكلها على ثلاثة أوجه: قال بعضهم: نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسرها، وهذا كما روي عن مالك بن أنس رحمه الله أن رجلاً سأل

---

(١) ساقطة من أ.
(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١/٢٣.
(٣) يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي إمام العربية أبو زكريا ولد بالكوفة كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي كان أكثر مقامه في بغداد من مصنفاته. معاني القرآن توفي سنة ٢٠٧ هـ. شذرات الذهب ٢/١٩ وفيات الأعيان ٦/١٧٦.
(٤) في أ [عرفت].

عن قوله (الرحمن على العرش استوى) فقال مالك: الإستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً[1] فأخرجوه فطردوه، فإذا هو جهم بن صفوان. وقال بعضهم: نقرؤها ونفسرها على ما يحتمله ظاهر اللغة وهذا قول المشبهة. وللتأويل في هذه الآية وجهان: أحدهما: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ أي صعد أمره إلى السماء، وهو قوله: (كن فكان). وتأويل آخر وهو قوله: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ أي أقبل إلى خلق السماء. فإن قيل: قد قال في آيةٍ أخرى (أم السماء بناها رفع سمكها فسواها.. إلى قوله والأرض بعد ذلك دحاها) فذكر في تلك الآية أن الأرض خلقت بعد السماء، وذكر في هذه الآية أن [الأرض خلقت قبل السماء][2]. الجواب عن عن هذا أن يقال: خلق الأرض قبل السماء وهي ربوة حمراء في موضع الكعبة، فلما خلق السماء بسط الأرض بعد خلق السماء فذلك قوله تعالى: (والأرض بعد ذلك دحاها) أي بسطها. ثم قال تعالى: ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ أي خلقهن ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ وهن أعظم من خلقكم ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي بخلق كل شيء عليم ومعناه: أن الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً وخلق السماوات قادر على أن يحييكم بعد الممات. قرأ نافع والكسائي[3] وأبو عمرو (وهو) بجزم الهاء[4]. وقرأ الباقون بضم الهاء (وهو) في جميع القرآن وهما لغتان ومعناهما واحد.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ روي عن أبي عبيدة أنه قال: معناه وقال ربك للملائكة وإذ زيادة. وروي عن الفراء أنه قال[5]: واذكر معناه إذ قال ربك وقال مقاتل: معناه، وقد قال ربك للملائكة. والملائكة: جماعة الملك. وهذا اللفظ على غير القياس لأنه يقال: ملائكة بالهمز ويقال للواحد: ملك بغير همز. وإنما قيل ذلك لأنه في الأصل كان مألك بالهمز فأسقط الهمز للتخفيف. وأصله من: ألك يألك (ألوكا)[6] وهو الرسالة[7]. كما قال القائل[8]:

وغلام أرسلته أمه[9] بألوك، فبذلنا ما سأل

وإنما سميت الملائكة ملائكة لأنهم رسل الله تعالى وإنما أراد ههنا بعض الملائكة. وهم الملائكة الذين كانوا في الأرض. وذلك أن الله تعالى لما خلق الأرض، خلق الجان من مارج من نار، أي من لهب من نار لا دخان لها، فكثر نسله، وهم الجان بنو الجان، فعملوا في الأرض بالمعاصي وسفكوا الدماء، فبعث الله تعالى ملائكة سماء الدنيا، وأمر عليهم إبليس وكان اسمه عزازيل، حتى هزموا الجن، وأخرجوهم من الأرض إلى جزائر البحار، وسكنوا الأرض فصار الأمر عليهم في العبادة أخف لأن كل صنف من الملائكة يكون أرفع في السماوات فيكون خوفهم أشد وملائكة سماء الدنيا يكون أمرهم أيسر من الذين فوقهم، فلما سكنوا الأرض صار الأمر عليهم أخف

---

(١) وهذا هو الذي نؤمن به ونلقى الله تعالى عليه يوم التناد يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وانظر في هذا مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية تفسير ابن كثير ٣/٤٤٢ ج ٢، ٣، وانظر معالم التنزيل للبغوي ٢/١٦٥.

(٢) في ظ[السماء خلقت بعد الأرض]. (٣) في أ [والكسائي وابن عامر].

(٤) انظر حرز الأماني، وإتحاف فضلاء البشر من سورة البقرة.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١/٣٥. (٦) من أ. (٧) اللسان: ألك.

(٨) هو لبيد بن ربيعة العامري انظر ديوانه القصيدة رقم ٤٦ ط دار صادر بيروت. (٩) في أ [ألوكه].

مما كانوا، وسكنوا الأرض واطمأنوا إليها، وكل من اطمأن إلى الدنيا أمر بالتحول عنها. فأخبرهم الله تعالى أنه يريد أن يخلق في الأرض خليفة [فذلك قوله تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾ يعني الذي هم في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعني أريد أن أخلق في الأرض خليفة][1] سواكم. فشق ذلك عليهم وكرهوا ذلك ﴿فَقَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ يعني أتخلق فيها ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ كما أفسدت الجن ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ كما سفكت الجن ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ أي نصلي لك بأمرك. ويقال معناه: نحن نسبح بحمدك ونحمدك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال بعضهم: نقدس أنفسنا لك، يعني نطهر أنفسنا بالعبادة عن المعصية. وقال بعضهم: نقدس لك، أي ننسك إلى الطهارة ونقدس أنفسنا لك: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال مجاهد: علم من إبليس المعصية وعلم من آدم الخدمة والطاعة ولم تعلم الملائكة بذلك[2]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قد علم أنه سيكون من بني آدم من يسبح بحمده ويقدس له ويطيعه. ويقال: قد علم الله تعالى أنه سيكون في ولد آدم من الأنبياء والصالحين والأبرار. وذكر في الخبر[3] أنه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم بعث جبريل ليجمع التراب من وجه الأرض، فلما نزل جبريل وأراد أن يجمع التراب قالت له الأرض: بحق الله عليك لا تفعل فإني أخشى أن يخلق من ذلك خلقاً يعصي الله تعالى فأستحي من ربي. فصعد جبريل وقال: لو أمرني ربي بالرجوع إليها لفعلت. فلما صعد جبريل بعث الله تعالى ميكائيل فتضرعت إليه الأرض بمثل ذلك، فرجع ميكائيل، فبعث الله تعالى عزرائيل، فتضرعت إليه الأرض. فقال عزرائيل أمر الله أولى من قولك. فجمع التراب من وجه الأرض الطيب والسبخة، والأحمر والأصفر، وغير ذلك. ثم صعد إلى السماء. فقال له تعالى: أما رحمت الأرض حين تضرعت إليك؟ فقال: رأيت أمرك أوجب من قولها فقال: أنت تصلح لقبض أرواح أولاده. فصار ذلك التراب طيناً، وكان طيناً أربعين سنة، ثم صار صلصالاً كما قال في آية أخرى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) فكان إبليس إذا مر عليه مع الملائكة قال: أرأيتم هذا الذي لم تروا شيئاً من الخلائق يشبهه إن فضل عليكم وأمرتم بطاعته ما أنتم فاعلون؟ فقالوا: نطيع أمر ربنا. فأسر إبليس في نفسه، وقال لئن فضل عليّ لا أطيعه ولئن فضلت عليه لأهلكنه. فلما سواه ونفخ فيه من روحه وعلمه أسماء الأشياء التي في الأرض. يعني ألهمه.

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

فذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يعني ألهمه أسماء الدواب وغيرها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ﴾ هكذا مكتوب في مصحف الإمام عثمان ـ رضي الله عنه ـ وأما في مصحف ابن مسعود، وأبي بن كعب. ففي أحدهما (ثم عرضها) وفي الآخر (ثم عرضهن) فأما من قرأ (ثم عرضهن) يعني به جماعة الدواب، ومن قرأ (ثم عرضها) يعني به جميع الأسماء. وأما من قرأ ﴿ثم عرضهم﴾ يعني به جماعة الأشخاص. والأشخاص يصلح أن

(١) ما بين المعقوفين من أ. (٢) انظر ابن جرير الطبري ١/٤٧٩.

(٣) من خبر طويل بسنده ساقه الطبري في تفسيره ١/٤٥٨ وما بعدها وابن كثير في تفسيره كذلك ١/١٠٩ وما بعدها ثم قال (فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم، والحاكم روى في المستدرك بهذا الإسناد بعينه أشياء ويقول على شرط البخاري) والصواب والله أعلم في كيفية ابتداء خلق آدم ما جاء في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي.. أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك تأتي بنوه أخيافاً ـ أي مختلفين.

يكون عبارة عن المذكر والمؤنث. وإن[1] اجتمع المذكر والمؤنث غلب [المذكر على المؤنث][2]. قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنْبِؤنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ أي أخبروني عن أسماء هذه الأشياء التي في الأرض ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ قال مقاتل: معناه كيف تقولون فيما لم أخلق بعد أنهم يفسدون وأنتم لا تعرفون ما ترونه وتنظرون إليه. ويقال: في هذه الآية دليل على أن أولى الأشياء بعد علم التوحيد ينبغي أن يتعلم علم اللغة لأنه ـ عز وجل ـ أراهم فضل آدم بعلم اللغة، وقال بعضهم: إنما علمه الأسماء وما فيها من الحكمة فظهر فضله بعلم الأسماء وما فيها من الحكمة.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ نزهوه وتابوا إليه من مقالتهم، ومعناه سبحانك تبنا إليك من مقالتنا فاغفر لنا ﴿لا علم لنا إلا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ أي ألهمتنا. وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: سبحان الله، تنزيه الله عن كل ما لا يليق به[3]. وقال بعض أهل اللغة: اشتقاقه من السباحة لأن الذي يسبح يباعد ما بين طرفيه، فيكون فيه معنى التبعيد[4]. وقال بعضهم: هذه لفظة جمعت بين كلمتي تعجب لأن العرب إذا تعجبت من شيء قالت: حان، والعجم إذا تعجبت من شيء قالت: سب. فجمع بينهما فصار: سبحان[5]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يعني أنت العليم بما يكون في السموات والأرض، الحكيم في أمرك إذا حكمت أن تجعل في الأرض خليفة غيرنا. ويقال: معناه (العليم الحكيم) على وجه الحكمة التي تدرك الأشياء بحقائقها وكان حكمه موافقاً للعلم.

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾[6] يعني أخبرهم ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ يعني أسماء الدواب[7] وما فيها من الحكمة وما يحل أكله وما لا يحل أكله ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ﴾ يعني أخبرهم ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ قال الله تعالى لهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يعني سر أهل السماوات وسر أهل الأرض، وما يكون فيهما. ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ أي ما أظهرتم من الطاعة يعني الملائكة ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني ما أسر إبليس في نفسه حين قال: لئن فضل علي لا أطيعه ولئن فضلت عليه لأهلكنه. وقال بعضهم: إنهم كانوا يقولون حين أراد الله أن يخلق آدم أنه لا يخلق أحداً أفضل منهم، فهذا الذي كانوا يكتمون. وهذا التفسير ذكر عن قتادة. وقد قيل: أنه لما خلق آدم أشكل عليهم

---

(١) من أ [وإذا]. (٢) في أ [الذكور والإناث].

(٣) أخرجه ابن جرير ١/٤٩٥ (٦٧٤) وذكره مطولاً ١/٤٥٤ (٦٠٦).

(٤) قال ابن شميل: رأيت في المنام كأن إنساناً فسر لي سبحان الله فقال: أما ترى الفرس يسبح في سرعته؟ وقال: سبحان الله: السرعية إليه والخفة في طاعته وجماع معناه بعده تبارك وتعالى عن أن يكون له مثل أو شريك أو ند أو ضد . . (اللسان / سبح).

(٥) جاء في اللسان (والعرب تقول: سبحان من كذا إذا تعجبت منه . .) وكذا في تاج العروس ج ٢ /١٥٧ مادة (سبح) ومجمل اللغة لابن فارس ج ٣ /١١٢ (سبح)، نشر معهد المخطوطات الكويت.

(٦) في أ [أنبئهم بأسمائهم]. (٧) في أ [بأسماء الذوات].

أن آدم أعلم أم هم؟ فسألهم عن الأسماء، فلم يعرفوها وسأل آدم عن الأسماء فأخبرهم بها فظهر لهم أن آدم أعلم منهم. ثم أشكل عليهم أنه أفضل أم هم؟ فأمرهم ـ سبحانه وتعالى ـ بالسجود له، فظهر لهم فضله.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لآدَمَ﴾ فأصل السجود في اللغة: هو الميلان والخضوع، والعرب تقول: سجدت النخلة إذا مالت، وسجدت الناقة إذا طأطأت رأسها ومالت[١]. وإنما كانت تلك سجدة التحيه لا سجدة العبادة، وكانت السجدة تحية لآدم عليه السلام وطاعة لله عز وجل ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ كلهم ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ يقال: إبليس: اسم أعجمي ولذلك لا ينصرف وهو قول أبي عبيدة[٢]. وقال غيره: هو من أبلس يبلس إذا يئس من رحمة الله. وكذا قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أنه أيئسه من رجسته[٣]. وكان اسمه (عزازيل) ويقال (عزاييل) وإنما لم ينصرف لأنه لا سمي له فلا يستثقل فاشتُقّ. وقال ابن عباس رضي الله عنه: إنما سمي آدم لأنه خلقه من أديم الأرض[٤]. وروي عن قطرب أنه قال: هذا الخبر لا يصح لأن العربية لا توافقه[٥]. وقال بعض أهل اللغة: مأخوذ من الأدمة، وهو الذي يكون من لونه سمرة[٦] إلا إبليس ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ أي امتنع عن السجود تكبراً: معناه أن كبره منعه من السجود. وقوله ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ أي وصار من الكافرين (كما قال في آية أخرى (فكان من المغرقين) أي صار من المغرقين. وقال بعضهم: كان من الكافرين أي كان في علم الله من الكافرين. يعني أنه يكفر. وبعضهم قال: بظاهر الآية: كان كافراً في الأصل. وهذا قول أهل الجبر. وقالوا: كل كافر أسلم ظهر أنه كان مسلماً في الأصل، وكل مسلم كفر ظهر أنه كان كافراً في الأصل ـ لأنه كان كافراً يوم الميثاق. ألا ترى أن الله تعالى قال في قصة بلقيس (إنها كانت من قوم كافرين) ولم يقل إنها كانت كافرة، وقال في قصة إبليس ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ وقال أهل السنة والجماعة: الكافر إذا أسلم كان كافراً إلى وقت إسلامه وإنما صار مسلماً بإسلامه إلا أنه غفر له ما قد سلف. والمسلم إذا كفر كان مسلماً إلى ذلك الوقت إلا أنه حبط عمله.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ روي عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أمر الله تعالى ملائكته أن يحملوا آدم على سرير من ذهب إلى السماء فأدخلوه الجنة ثم خلق منه زوجه حواء، يعني من ضلعه الأيسر، وكان آدم بين النائم واليقظان. وقال ابن عباس [سميت حواء لأنها خلقت من الحي[٧].

---

(١) راجع مجمل اللغة ٣/١٢٠ (سجد) وتاج العروس ٢/٣٧١ (سجد)، واللسان (سجد).

(٢) إعجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣٨ / تحقيق د / محمد فؤاد سزكين ط / مؤسسة الرسالة.

(٣) انظر تفسير ابن جرير ١/٥١٠.

(٤) أخرجه الطبري ١/٤٨١ (٦٤٢) (٦٤٣) في التفسير ورواهما في التاريخ ١/٤٦ وذكره بنحوه السيوطي في الدر ١/٤٩ والشوكاني في التفسير ١/٥٢.

(٥) بل العربية توافقه لأنه خلق من تراب فكأنه اشتق من أديم الأرض.

(٦) راجع اللسان / آدم وتاج العروس ج ٨ /١٨٢ (أدم) أضاف / وقال الزجاج: يقول أهل اللغة لأنه خلق من تراب.

(٧) أخرجه الطبري في التفسير ١/٩٣ (٧١٠) وفي التاريخ ١/٥٢ وذكره ابن كثير ١/١٤٢ والشوكاني في الفتح ١٠/٥٦.

ويقال](١) إنما سميت حواء لأنه كان في شفتها حوة(٢)، يعني حمرة فقال عز وجل ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك﴾ أي حواء. يقال للمرأة زوجة وزوج، والزوج أفصح(٣). وقوله عز وجل ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ أي من الجنة ﴿رَغَداً﴾ أي موسعاً عليكما بلا موت ولا هنداز(٤) ـ بالزاي المعجمة ـ هكذا قال في رواية الكلبي يعني بغير تقتير. وقال أهل اللغة(٥): الرغد هو السعة في الرزق من غير(٦) تقتير. قوله تعالى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي ولا تأكلا من هذه الشجرة. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها كانت شجرة القمح(٧). وروى السدي عمن حدثه عن ابن عباس أنه قال: هي شجرة الكرم(٨). وروى الشعبي عن جعدة بن هبيرة مثله(٩). وروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ مثله. وروي عن قتادة أنه قال: وذكر لنا أنها شجرة التين(١٠) ويقال: إنما كان النهي عن الأكل من الشجرة للمحنة، لأن الدنيا دار محنة، وقد خلقه من الأرض ليسكن فيها، فامتحن بذلك، كما امتحن أولاده في الدنيا بالحلال والحرام. فذلك قوله عز وجل ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ أي فتصيرا من الضالين بأنفسكما.

فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ قرأ حمزة (فأزالهما) بالألف. وقرأ غيره بغير ألف، وأصله في اللغة: من أزل يزل. ومعناه فأغراهما الشيطان واستزلهما. وأما من قرأ (فأزالهما) بالألف فأصله من أزال يزيل إذا أزال الشيء عن موضعه(١١). قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ أي مما كانا فيه من النعم. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: مكث آدم في الجنة كما بين الظهر والعصر، من أيام الآخرة، لأن كل يوم من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا. وروي عن ابن عباس أنه قال: لما رأى إبليس آدم في النعمة حسده، واحتال لإخراجه منها. فعرض نفسه على كل دابة من دواب الجنة أن يدخل في صورتها فأبت عليه حتى أتى الحية. وكانت أعظم وأحسن دابة في الجنة خلقاً وكانت لها أربعة قوائم، فلم يزل يستدرجها حتى أطاعته فدخل ما بين لحييها وأقام في رأسها، ثم أتى باب الجنة وناداهما وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، يعني أن هذه الشجرة

---

(١) ما بين المعقوفين من ظ.

(٢) الحوة: الحمرة تضرب إلى السواد ثم سموا كل أسود أحوى (اللسان: حوى).

(٣) راجع تاج العروس ٢/٥٤ (زوج) قال: وأباها الأصمعي بالهاء أي (زوجه)، واللسان: زوج.

(٤) الهنداز: معرب، لأنه ليس في كلام «العرب زاي قبلها دال».

يقال: أعطاه بلا حساب ولا هنداز... اللسان: هنذز. انظر اللسان /رغد والرَّغْد والرَّغَد: الكثير الغزير.

(٥) وقال ابن فارس: عيش رَغْد ورَغَد: أي طيب واسع / مجمل اللغة ٢/٤٠٠.

(٦) في ظ [أن يتغنى] ويقال من غير أن يقتر لا عناء فيه.

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١/٥٣.

(٨) أخرجه ابن جرير في التفسير ١/٥١٩ (٧٣٢).

(٩) المصدر السابق (٧٣٣). (١٠) السيوطي الدر المنثور (١/٥٣).

(١١) وأزال بمعنى صرف أو نحى، أما (أزلّهما) فمعناها: أوقعهما في الزلل ويحتمل أن يكون زل عن المكان إذا تنحى فيتحدان في المعنى.

انظر / الحجة لابن خالويه، والإتحاف، وأبي شامة (سورة البقرة).

شجرة الخلد، فمن أكل منها يبقى في الجنة أبداً. ويقال: إن حواء قالت لآدم: تعال حتى نأكل من هذه الشجرة فقال آدم: قد نهانا ربنا عن أكل هذه الشجرة فأخذت حواء بيده حتى جاءت به إلى الشجرة، وكان يحب حواء فكره أن يخالفها لحبه إياها وكان آدم يقول لها: لا تفعلي فأني أخاف العقوبة. وكانت حواء تقول: إن رحمة الله واسعة فأخذت من ثمرها وأكلت. ثم قالت لآدم: هل أصابني شيء بأكلها؟ وإنما لم يصبها شيء بأكلها لأنها كانت تابعة، وآدم متبوعاً فما دام المتبوع على الصلاح يتجاوز عن التابع، فاذا فسد المتبوع فسد التابع. ثم أخذت ثمرة أخرى ودفعتها إلى آدم. فلما أكل آدم لم تصل إلى جوفه حتى أخذتهما الرعدة، وسقط عنهما ما كان عليهما من [الحلي والحلل][1] وغيرهما وعريا عن الثياب حتى بدت عوراتهما فاستحيا وهربا. قال الله تعالى: يا آدم أمني تهرب؟ قال: لا ولكن حياء من ذنبي فأخذا من أوراق التين، وألصقا على عوراتهما. ثم أمرهما الله تعالى بأن يهبطا منها إلى الأرض، فوقع آدم بأرض الهند، وحواء بجدة. وروي عن ابن عباس أنه قال: إنما سمي الإنسان إنساناً، لأن الله عهد إليه فنسي أي ترك. وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي آدم وحواء وابليس والحية فبقي بين إبليس وبين أولاد آدم العداوة إلى يوم القيامة. وكذلك بين الحية وبين أولاد آدم عداوة إلى يوم القيامة. ثم قال: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي موضع القرار ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: الحياة والعيش إلى الموت.

فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِهِ كَلِمَاتٍ﴾ قرأ ابن كثير (فتلقى آدم) بنصب آدم ورفع كلمات. وقرأ غيره برفع آدم وكسر كلمات. فأما من قرأ ﴿فتلقى آدم﴾ بالرفع فمعناه أخذ، وقيل من ربه ومن قرأ ينصب آدم يعني استقبلته كلمات من ربه[2]. يقال: تلقيت فلاناً بمعنى استقبلته. ومعنى ذلك كله: أن الله تعالى ألهمه كلمات، فاعتذر بتلك الكلمات وتضرع إليه، فتاب الله عليه. وروي عن مجاهد أنه قال: تلك الكلمات هي قوله عز وجل (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية. وقال بعضهم: قال: بحق محمد أن تقبل توبتي، قال الله له: ومن أين عرفت محمداً؟ قال: رأيت في كل موضع من الجنة مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله. فعلمت أنه أكرم خلقك عليك. فتاب الله عليه[3]. وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: الكلمات هي قوله سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ وارحمني، إنك أنت التواب الرحيم[4]. [سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا إنت رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وأنت خير الغافرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الراحمين][5] قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يعني قبل الله توبته. يقال: تاب العبد إلى ربه وتاب الله على عبده، فهذا اللفظ مشترك إلا أنه إذا ذكر من العبد يقال:

---

(١) في أ (الحلل والحلي).

(٢) وما بين المعقوفين سقط من ظ.
انظر / حرز الأماني في سورة البقرة إذ يقول:
وآدم فارفع ناصباً كلماته — بكسرة وللمكي عكس تحولا
وكذا أبو شامة، والاتحاف.

(٣) انظر الدر المنثور ١/٦٠.

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير ١/٥٤٥ (٧٨٨) وذكره ابن كثير ١/١٤٧ وانظر الدر المنثور ١/٦٠.

(٥) في ظ «الثاني فاغفر لي إنك خير الغافرين. الثالث: فارحمني إنك خير الراحمين.

تاب إلى الله، وإذا ذكر من الله تعالى يقال: تاب الله على عبده. إذا رجع العبد عن ذنبه، وتاب الله على عبده، إذا قبل توبته قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يعني المتجاوز عن الذنوب الرحيم بعباده.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً﴾ يعني آدم وحواء وإبليس والحية وفي الآية دليل على أن المعصية تزيل النعمة عن صاحبها لأن آدم قد أخرج من الجنة بمعصيته. وهذا كما قال القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله ... فإن الأله شديد النقم

وقال تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الآية. وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ وأصله (فان ما) ألا أن النون أدغمت في الميم، وإن لتأكيد الكلام، وما للصلة، ومعناه فإما يأتينكم مني هدى يعني البيان، وهو الكتاب والرسل. خاطب به آدم وعنى به ذريته ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ يعني اتبع كتابي وأطاع رسلي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا من أمر الدنيا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ أي جحدوا رسلي وكذبوا كتابي ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي دائمون.

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يا أولاد يعقوب. وإنما سمي إسرائيل لأن (الإسرا) بلغتهم عبد، و (الايل) هو الله فكأنه قال: يا بني عبد الله. وقال بعضهم: إنما سمي إسرائيل لأنه أسره ملك يقال له (ايل) وذلك أنه كان في سفر مع أولاده، وكان يسير خلف القافلة، وكان له قوة فدخل في نفسه شيء من العجب، فابتلاه الله تعالى: أن جاءه ملك على هيئة اللص وأراد أن يضرب على القافلة، فأراد يعقوب أن يضربه على الأرض فلم يقدر على ذلك فكانا في تلك المنازعة إلى طلوع الفجر[1]، ثم إن الملك أخذ بعرق يعقوب أي عرق من عروقه فمده فسقط في ذلك الموضع ثلاثة أيام. وقال بعضهم: لأنه أسره جني يقال له (ايل) وروي عن السدي: أنه وقعت بينه وبين أخيه (عيصوا) عداوة فحلف (عيصوا) أن يقتله، فكان يعقوب يختفي بالنهار، ويخرج بالليل فسمي إسرائيل لسيره

(١) بياض في أ.

بالليل. وأصله من إسراء الليل بدليل قوله عز وجل ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ [الإسراء: ١] والله أعلم بالصواب. ويقال: إنما سمي بيعقوب لأنه ولد مع عيصو في بطن واحد فخرج على عقب عيصو فسمي لذلك بيعقوب. فقال الله تعالى ﴿يا بني إسرائيل﴾ وإنما أراد بهم اليهود الذين كانوا حوالي المدينة من بني قريظة والنضير وغيرهم، وكانوا من أولاد يعقوب وقال تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني احفظوا منتي التي مننت عليكم في التيه من المن والسلوى، يعني اذكروا تلك النعم [التي أنعمت عليكم][١] واشكروا لي ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أبي صالح: قد كان الله تعالى عهد إلى بني إسرائيل في التوراة أني باعث من بني إسماعيل نبياً أمياً فمن تبعه وصدق به غفرت له ذنوبه، وأدخلته الجنة، وجعلت له أجرين أجراً باتباعه ما جاء به موسى، وأجراً باتباعه ما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ [فلما جاءهم محمد ـ عليه الصلاة والسلام][٢] وعرفوه كذبوه فذكرهم الله تعالى في هذه الآية فقال ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ قال الحسن البصري ﴿أوفوا بعهدي﴾ أدوا ما افترضت عليكم أوف بعهدكم مما وعدت لكم[٣]. وقال الضحاك: أوفوا بطاعتي أوف لكم بالجنة[٤]. وقال الصادق[٥]: أوفوا بعهدي في دار محنتي على بساط خدمتي في حفظ حرمتي أوف بعهدكم في دار نعمتي على بساط قربتي بسني رؤيتي. وقال قتادة: العهد ما ذكر في سورة المائدة في قوله: (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) إلى قوله تعالى: (وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً) [أوف بعهدكم] وهو قوله: ﴿لأكفرن عنكم سيئاتكم﴾ [المائدة: ١٢] الآية. ويقال: ﴿أوفوا بعهدي﴾ الذي قبلتم يوم الميثاق ﴿أوف بعهدكم﴾ الذي قلت لكم، يعني به الجنة. قوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ﴾ يعني: فاخشون. وأصله فارهبوني بالياء لكن حذفت الياء وأقيم الكسر مقامها. ثم قال: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي صدقوا بهذا القرآن الذي أنزلت على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مصدقاً [أي موافقاً][٦] لما معكم، [من التوحيد][٧] وفي بعض الشرائع [أنزلت][٨] يعني التوراة والإنجيل ﴿وَلَا تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يعني أول من يكفر بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقال: (به) يعني بالقرآن. وإنما يريد بني قريظة والنضير. فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ وقد كفر به قبلهم مشركو العرب. قيل له: معناه (ولا تكونوا أول كافر به) في وقت هذا الخطاب. ويقال: إن أحبار اليهود كان لهم أتباع، فلو أسلموا أسلم أتباعهم [ولو كفروا كفر أتباعهم كلهم][٩]، فهذا معنى قوله ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ من قومكم. ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ أي بكتمان صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عرضاً يسيراً لأنهم كانوا عرفوا صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت لهم مأكلة ووظائف من سفلة اليهود، وكانت لهم رئاسة، فكانوا يخافون أن تذهب وظائفهم ورئاستهم. فقال: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ أي عرض الدنيا وإنما سماه قليلاً، لأن الدنيا كلها قليل. ثم خوفهم فقال: ﴿وَإِيَّايَ فَٱتَّقُونِ﴾ في صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن جحد به أدخلته النار. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ﴾ يقال في اللغة: لبس يلبس لبساً إذا لبس الثياب[١٠]. ومعناه لا تخلطوا الحق بالباطل، فتكتمون صفته، وذلك أنهم كانوا يخبرون عن بعض صفته، ويكتمون

---

(١) ما بين المعقوفين من أ. (٢) ما بين المعقوفين من أ.

(٣) نسبه السيوطي لعبد بن حميد كما في الدر ١/٦٤.

(٤) وقال السيوطي في المصدر السابق: أخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ في العظمة عن الضحاك.

(٥) ـ صلى الله عليه وسلم ـ. (٦) من أ. (٧) في ظ [يعني به موافقاً لما معكم في التوحيد].

(٨) من أ. (٩) من ظ.

(١٠) اللسان: لبس، مجمل اللغة ٤/٢٦٢ لبس. ترتيب القاموس ٤/١١٧ لبس.

البعض ليصدقوا بذلك فيلبسون عليهم بذلك. وقال قتادة (ولا تلبسوا) اليهودية والنصرانية بالإسلام، وقد علمتم أن دين الله، الذي لا يقبل غيره هو الإسلام. ويقال: معناه ولا تؤمنوا ببعض أمره وتكفروا ببعض أمره. ثم قال تعالى: ﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾ يقول: ولا تكتموا الحق ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم تكتمون الحق. ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ﴾ أي أقيموا الصلوات الخمس بركوعها وسجودها في مواقيتها، ﴿وَآتُواْ ٱلزَّكَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾ أي صلوا مع المصلين، مع أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - في الجماعات. ويقال: صلوا مع المصلين إلى الكعبة. وقال قتادة: وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وهما فريضتان واجبتان ليس لأحد فيهما رخصة، فأدوهما إلى الله عز وجل.

أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ نزلت هذه الآية في شأن اليهود الذين كانوا حوالي المدينة، وهم بنو قريظة والنضير، وكانوا ينتظرون خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانوا يدعون الأوس والخزرج إلى الإيمان به، فلما خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - آمن به الأوس والخزرج وكفر اليهود وجحدوا فنزلت هذه الآية[1] ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: كانت اليهود إذا جاءهم حليف منهم - الذي قد أسلم - وسأل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السر فتقول له: إنه نبي صادق فاتبعه، وتكتم ذلك عن السفلة مخافة أن تذهب منافعه فنزلت هذه الآية ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾][2] وقال قتادة: في هذه الآية دليل على أن من أمر بخير فليكن أشد الناس تسارعاً إليه، ومن نهى عن شر فليكن أشد الناس انتهاء عنه. ويقال: تنزلت في شأن القصاص. قال الفقيه: أخبرنا القاضي الخليل بن أحمد، قال: حدثنا ابن أبي حاتم الرازي[3] قال: أخبرنا الحجاج بن يوسف عن سهل بن حماد[4] عن ابن غياث[5] عن هشام الدستوائي[6] عن المغيرة وهو ختن مالك بن دينار عن مالك بن دينار عن ثمامة[7] عن أنس قال: لما عرج بالنبي - صلى الله عليه وسلم - مر على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقال يا جبريل من هؤلاء فقال: هؤلاء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم[8]. ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يعني أفلا تعقلون أن صفته في التوراة. ويقال ﴿وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ أن ذلك حجة عليكم.

وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَاةِ﴾ أي استعينوا بالصبر على أداء الفرائض وبكثرة الصلاة على تمحيص الذنوب. ويقال: استعينوا بالصبر على نصرة محمد - صلى الله عليه وسلم - وقال مجاهد: استعينوا بالصبر والصلاة يعني

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (١٥) ولباب النقول للسيوطي (١٠). (٢) ما بين المعقوفين من ظ.
(٣) عبد الرحمن بن محمد الرازي، كان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال، توفي سنة ٣٢٧ هـ. لسان الميزان ١/٢٦٥.
(٤) هو أبو عناب الدلاله، صالح الحديث، الجرح والتعديل ٤/١٩٦.
(٥) حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي، أبو عمر الكوفي القاضي، ثقة فقيه تغير حفظه قليلاً في الآخر، مات سنة أربع أو خمس وتسعين، التقريب ١/١٨٩.
(٦) هشام بن أبي عبد الله الدستوائي، كان عالماً بالحديث ثبتاً، وقد رُمي بالقدر، التقريب ٢/٣١٩.
(٧) ثمامة بن عبد الله بن أنس، قاضي البصرة، ثقة قليل الحديث، الجرح والتعديل ٢/٤٦٦.
(٨) أخرجه أحمد في المسند بنحوه ٣/٢٣١ والسيوطي في الدر المنثور ١/٦٤.

بالصوم والصلاة، وإنما سمي الصوم صبراً لأن في الصوم حبس النفس عن الطعام والشراب والرفث[١]. وقد قيل الصبر على ثلاثة أوجه: صبر على الشدة والمصيبة، وصبر على الطاعة وهو أشد من الأول وأكثر أجراً، وصبر عن المعصية وهو أشد من الأول والثاني، وأجره أكثر من الأول. وفي هذا الموضع أراد الصبر على الطاعة. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي الاستعانة ويقال: الصلاة (لكبيرة) أي ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَاشِعِينَ﴾ أي المتواضعين. ويقال: الذليلة قلوبهم.

ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلَاقُواْ رَبِّهِمْ﴾ أي يستيقنون أنهم يبعثون يوم القيامة بعد الموت. [وإنما سمي اليقين ظناً، لأن في الظن طرفا من اليقين، فيعبر بالظن عن اليقين. وقوله ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يعني في الآخرة بعد البعث][٢] للحساب.

يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾ أي على عالمي زمانهم. وقال بعضهم: من آمن من أهل الكتاب بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت له فضيلة على غيره وكان له أجران أجر إيمانه بنبيه عليه السلام وأجر إيمانه بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: ثلاثة يعطيهم الله الأجر مرتين، من اشترى جارية فأحسن تأديبها فاعتقها وتزوجها، وعبد أطاع سيده وأطاع الله تعالى، ورجل من أهل الكتاب أدرك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فآمن به[٣]. وقال بعضهم: معنى قوله ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾ بإنزال المن والسلوى وغيره، ولم يكن ذلك لأحد من العالمين غيرهم.

وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْماً﴾ أي واخشوا عذاب يوم ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾ يعني لا تغني في ذلك اليوم لا تجزي نفس مؤمنة عن نفس كافرة وذلك أنهم كانوا يقولون نحن من أولاد إبراهيم خليل الله، ومن أولاد إسحاق والله تعالى يقبل شفاعتها فينا، فنزلت هذه الآية ﴿لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ أي لا تغني نفس مؤمنة عن نفس مؤمنة[ولا نفس كافرة عن نفس كافرة][٤] ﴿ولا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ أي من نفس كافرة [يعني لا ينفع فيها شافع ولا ملك ولا رسول لغير أهل القبلة][٥] قرأ ابن كثير وأبو عمرو (ولا تقبل) بالتاء لأن الشفاعة مؤنثة وقرأ الباقون

---

(١) انظر في معنى الصوم لغة وشرعاً، المغرب ١/٤٨٧، والتعريفات شرح الحدود (٨٠) والمطلع (١٤٥) ودر الحكام ١/١٩٦.

(٢) ما بين المعقوفين من ظ.

(٣) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري أخرجه البخاري ١/١٩٠ في العلم باب تعليم الرجل أمته وأهله (٩٧) ومسلم ١/١٣٤ الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جميع الناس (٢٤١ / ١٥٤).

(٤) ما بين المعقوفين من أ. (٥) ما بين المعقوفين من أ.

بالياء لأن تأنيثه ليس بحقيقي وما لم يكن تأنيثه حقيقياً جاز تذكيره[١]. وكقوله عز وجل: (فمن جاءه موعظة من ربه) ثم قال تعالى ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ أي لا يقبل الفداء من نفس كافرة كما قال في موضع آخر (فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا) ويقال: لو جاءت بعدل نفسها رجلاً مكانها لا يقبل منها ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يقول: ولا هم يمنعون من العذاب.

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ إنما خاطبهم وأراد به آباءهم لأنهم يتبعون آباءهم فأضاف إليهم. ومعناه واذكروا إذ نجيناكم من قوم فرعون ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي يعذبونكم بأشد العذاب وأقبح العذاب، ويقال في اللغة[٢]: سامه الخسف إذا أولاه الهوان يعني يولونكم بأشد العذاب. ثم بين العذاب فقال تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ﴾ الصغار ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾ أي ويستخدمون نساءكم. وأصله في اللغة: من الحياة، يقال: إستحيا، يستحيي إذا تركه حياً. وكانوا يذبحون الأولاد، ويتركون النساء أحياء للخدمة وذلك لأن فرعون قالت له كهنته: يولد في بني إسرائيل مولود ينازعك في ملكك. فأمر بأن يذبح كل مولود يولد في بني إسرائيل وتترك البنات. قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أي نعمة من ربكم عظيمة والبلاء: يكون عبارة عن النعمة، ويكون أيضاً عبارة عن البلية والشدة وأصله من الابتلاء والاختيار يكون بهما جميعاً. فإن أراد به النعمة فمعناه][٣]﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم﴾ أي أنجاه الله من ذبح الأولاد واستخدام النساء نعمة لكم من ربكم (عظيم) وإن أراد به العذاب، فمعنى (وفي ذلكم بلاء) أن في ذبح الأبناء واستخدام النساء بلاء لكم من ربكم عظيم.

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ أي فرق الماء يميناً وشمالاً حين خرج موسى مع بني إسرائيل من مصر، فخرج فرعون وقومه[٤] في طلبهم، فلما انتهوا إلى البحر ضرب موسى عصاه على البحر فانفلق فصار اثني عشر طريقاً يبساً، لكل سبط منهم طريق فلما جاوز موسى البحر ودخل فيه فرعون مع قومه غشيهم من اليم ما غشيهم. أي غشيهم الماء فغرقوا في اليم فذلك قوله تعالى: (وإذْ فرقنا بكم البحر) يقول: واذكروا نعمة الله عليكم إذ فلقنا بكم البحر ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني فرعون وآله قال بعض أهل اللغة[٥] الآل أتباع الرجل

(١) انظر شرح الضباع على الشاطبية، والحجة لابن خالويه وأبو شامة.

(٢) قال ابن منظور: سامه الأمر سوماً: كلفه إياه وقال الزجاج: أولاه إياه، وأكثر ما يستعمل في العذاب والشر والظلم. اللسان: سوم.

(٣) ما بين المعقوفين من أ.

(٤) في ظ [من مصر وقومه].

(٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/٥٥. كذا في الفيض وعزاه للطبراني في الأوسط من حديث أنس ورمز له بالضعف بلفظ «آل محمد كل تقي وعزاه المناوي للطبراني في الأوسط والصغير ولابن لال وتمام والعقيلي والحاكم في تاريخه والبيهقي من أنس قال: سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من آل محمد؟ فذكره».

قال الهيثمي: وفيه نوح بن أبي مريم وهو ضعيف جداً، وقال البيهقي: هو حديث لا يحل الاحتجاج به. وقال ابن حجر: رواه الطبراني عن أنس وسنده واه جداً. وأخرجه البيهقي عن جابر من قوله وإسناده واه ضعيف. وقال السخاوي: أسانيده كلها ضعيفة. =

قريبه كان أو غيره وأهله قريبه أتبعه أو لم يتبعه. ويقال: الآل والأهل بمعنى واحد، إلا أن الآل يستعمل لاتباع رئيس من الرؤساء. يقال: آل فرعون وآل موسى، وآل هارون ولا يقال: آل زيد، وآل عمرو. وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قيل له: من آلك؟ قال: آلي كل تقي إلى يوم القيامة[1] قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي تنظرون إليهم حين لفظهم البحر بعدما غرقوا يعني آباءهم. وقال بعضهم: معناه أنكم تعلمون ذلك كأنكم تنظرون إليهم. قال الفقيه: وكان في قصة فرعون وغيره علامة نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه لا يعرف ذلك إلا بالوحي، فلما أخبرهم بذلك من غير أن يقرأ كتاباً، كان ذلك دليلاً أنه قاله بالوحي وفيه أيضاً تهديد للكفار ليؤمنوا حتى لا يصيبهم مثل ما يصاب أولئك. وفيه أيضاً تنبيه للمؤمنين وعظة لهم ليزجرهم ذلك عن المعاصي.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ قرأ أبو عمرو ﴿وإذ وعدنا موسى﴾ بغير ألف وقرأ غيره ﴿واعدنا﴾ بالألف، فمن قرأ بغير ألف فمعناه ظاهر، يعني أن الله تعالى وعد موسى عليه السلام ومن قرأ بالألف بالمواعدة تجري بين اثنين، وإنما كان الوعد من الله تعالى ومن موسى الوفاء. ومن الله الأمر، ومن موسى الائتمار. فكأنما جرت المواعدة بين الله تعالى وبين موسى. وقد يجوز أن تكون المفاعلة من واحد كما يقال سافر ونافق. ويقال: أربعين ليلة كانت ثلاثين ليلة منها من ذي القعدة وعشراً من ذي الحجة. وقال بعضهم: ثلاثين كانت من ذي الحجة وعشراً من المحرم وكانت مناجاته يوم عاشوراء. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: لما وعدهم موسى أربعين ليلة عدت بنو إسرائيل عشرين يوماً وعشرين ليلة، وقالوا: قد تمت أربعون ولم يرجع موسى، فقد خالفنا[2]. وذكر أن السامري قال لهم: إنكم استعرتم من نساء آل فرعون حليهم ولم تردوه عليهم، فلعل الله تعالى لم يرد علينا موسى لهذا المعنى فهاتوا ما عندكم من الحلي حتى نحرقه، فلعل الله يرد إلينا موسى فجمعوا ذلك

= قال الحليمي في تفسير الآل: هم قرابته لقيام الأدلة على أن آله من حرمت عليهم الصدقة أو المراد آله بالنسبة لمقام نحو الدعاء، ورجحه النووي رحمه الله في شرح مسلم فالإضافة للإختصاص أي هم مختصون به اختصاص أهل الرجل به، وعليه فيدخل أهل البيت دخولاً أولياً كذا حرره بعض المتأخرين أخذاً من قول الراغب: آل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقاربه وقيل المختصون به من حيث العلم، وذلك أنَّ أهل الدين ضربان: ضرب مختص بالعلم المتقن والعمل النافع المحكم فيقال لهم: آل النبي وأمته، وضرب يختصون بالعلم على سبيل التقليد ويقال لهم أمة محمد ولا يقال: آله وكل آل النبي أمته ولا عكس.

وقيل لجعفر الصادق: الناس يقولون: المسلمون كلهم آل النبي ـ قال: صدقوا وكذبوا. قيل: كيف؟ قال: كذبوا في أن الأمة كافتهم آله وصدقوا أنهم إذا قاموا بشرائط شريعته آله، والمتقي من يقي نفسه عما يضره في العقبى أو من سلك سبيل المصطفى ونبذ الدنيا وراء القفا وكلف نفسه الإخلاص والوفاء واجتنب الحرام والجفاء ولو لم يكن له فضل إلا قوله تقدس: هدى للمتقين لكفى لأنه تعالى بين في غير موضع أن القرآن هدى للناس. وقال: هدى للمتقين فكأنه قال: المتقون هم الناس وغير المتقي ليس من الناس وقال الحراني: المتقي المتوقف عن الاقدام على كل أمر لشعوره بتقصيره عن الاستبداد. وعلمه بأنه غير بنفسه فهو متق لوصفه وحسن فطرته، والتقوى تجنب القبيح خوفاً من الله وهي أصل كل عبادة ووصية الله لأهل الكتاب بأسرها.

(١) قال أبو العباس أحمد بن يحيى: اختلف الناس في إلا فقالت طائفة: آل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من اتبعه قرابة كانت أو غير قرابة، وآله ذو قرابته متبعاً أو غير متتبع وقالت طائفة: الال والأهل واحد. اللسان: أول.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ١/ ٦٥ مطولاً بنحوه (٩١٩).

الحلي، وكان السامري صائغاً فاتخذ من ذلك عجلاً، وقد كان قبل ذلك رأى جبريل ـ عليه السلام ـ على فرس الحياة، فكلما وضع حافره أخضر ذلك الموضع فرفع من تحت سنبكه[١] قبضة من التراب، ونفخ ذلك التراب في العجل فصار ذلك عجلاً جسداً له خوار. وروي عن ابن عباس أنه قال: صار عجلاً له لحم ودم وفيه حياة له خوار. وروي عن علي أنه قال: اتخذ عجلاً جسداً مشبكاً من ذهب له خوار، فدخل الريح في جوفه وخرج من فيه كهيئة الخوار فقال للقوم (هذا إلهكم وإله موسى فنسي) يعني أن موسى أخطأ الطريق. وقال بعضهم: كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة، فتم ميقات ربه أربعين ليلة لأنه قد أفطر من الصيام في تلك العشرة لأنه ظهر لهم الخلاف في تلك العشرة وهذا الطريق أوضح. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي عبدتم العجل من بعد انطلاق موسى إلى الجبل ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي كافرون بعبادتكم العجل. ويقال: وأنتم ضارون أنفسكم بعبادتكم العجل: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي تركناكم من بعد عبادتكم العجل، فلم نستأصلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي لكي تشكروا الله تعالى على العفو والنعمة. قوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ﴾ أي أعطينا موسى التوراة ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ أي الفارق بين الحلال والحرام ويقال: الفرقان هو النصرة بدليل قوله تعالى: (يوم الفرقان) أي يوم النصرة. ويقال: الفرقان هو المخرج من الشبهات ويقال: هو انفلاق البحر بدليل قوله (وإذ فرقنا بكم البحر) وقال الفراء: في الآية مضمر، ومعناه: وآتينا موسى الكتاب يعني التوراة وأعطينا محمداً الفرقان، فكأنه خاطبهم فقال: قد أعطيناكم علم موسى وعلم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلم سائر الأنبياء قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي لكي تهتدوا من الضلالة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ﴾ وأصله يا قومي بالياء. ولكن حذف الياء وترك الكسر بدلاً عن الياء وتكون في الإضافة إلى نفسه معنى الشفقة. يا قوم ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ يعني أضررتم بأنفسكم ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾[٢] [يعني إلى خالقكم][٣] يقول: فارجعوا عن عبادة العجل إلى عبادة خالقكم، وتوبوا إليه فقالوا له: وكيف التوبة؟ قال لهم موسى: ﴿فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ يعني يقتل بعضكم بعضاً، يقتل من لم يعبد العجل الذين عبدوا العجل، وإنما ذكر قتل الأنفس وأراد به الإخوان. وهذا كما قال في آية أخرى (ولا تلمزوا أنفسكم) أي لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين يعني لا تغتابوا إخوانكم. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ يعني التوبة خير لكم عند خالقكم ومعناه قتل إخوانكم مع رضا الله خير لكم عند الله تعالى من ترككم إلى عذاب الله قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي المتجاوز عن الذنوب الرحيم حيث جعل القتل كفارة لذنوبكم. وروي في الخبر أن الذين عبدوا العجل جلسوا على أبواب دورهم وأتاهم هارون والذين لم يعبدوا العجل شاهرين سيوفهم، فكان موسى عليه السلام يتقدم ويقول: إن هؤلاء إخوانكم قد أتوا شاهرين سيوفهم،

---

(١) السنبك: طرف الحافر وجانباه من قدم وجمعه سنابك. اللسان: سنب.

(٢) لم يذكر المؤلف قراءة أبي عمرو في «بارئكم» وقد قرأها أبو عمرو بإسكان الهمزة وهي لغة بني أسد وتميم وبعض نجد للتخفيف من توالي ثلاث حركات فقال: من نوع واحد. انظر الحرز، وأبو شامة، والبحر المحيط.

(٣) ما بين المعقوفتين من أ.

فاتقوا الله واصبروا له فلعن الله رجلاً قام من مجلسه أو حل حبوته[١]، أو مد بطرفه إليهم أو اتقاهم بيد أو برجل. فيقولون: آمين وذكر في رواية أبي صالح: أن هارون كان يتقدم ويقول ذلك. فجعلوا يقتلونهم إلى المساء فكانت القتلى سبعين ألفا فكان موسى عليه السلام يدعو ربه لما شق عليه من كثرة الدماء حتى نزلت التوبة. فقيل لموسى: ارفع السيف عنهم، فإني قبلت توبتهم جميعاً من قتل ومن لم يقتل[٢].

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ أي لن نصدقك ﴿حَتَّى نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي عيانا، وذلك أن موسى عليه السلام حين انطلق إلى طور سيناء للمناجاة اختار موسى من قومه سبعين رجلاً، فلما انتهوا إلى الجبل أمرهم موسى بأن يمكثوا في أسفل الجبل وصعد موسى عليه السلام فناجى ربه فأعطاه الله الألواح، فلما رجع إليهم قالوا له: إنك قد رأيت الله فأرناه حتى ننظر إليه، فقال لهم: إني لم أره، وقد سألته أن أنظر إليه، فتجلى للجبل، فدك الجبل، فلم يصدقوه. وقالوا: لن نصدقك حتى نرى الله جهرة. فأخذتهم الصاعقة فماتوا كلهم فدعا موسى ربه فأحياهم الله تعالى، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى الصاعقة. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ يقول أحييناكم من بعد هلاككم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ للحياة بعد الموت.

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ إنما خاطبهم وأراد به آباءهم وهم قوم موسى عليه السلام، حيث أمروا بأن يدخلوا مدينة الجبارين فأبوا ذلك وقالوا لموسى: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) فعاقبهم الله عز وجل فبقوا في التيه أربعين سنة، وكانت المفازة اثني عشر فرسخاً، وكان يؤذيهم حر الشمس فظلل عليهم الغمام فذلك قوله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ وهو السحاب الأبيض، يقيكم حر الشمس في التيه، وكان لهم في التيه عمود من نور مد لهم من السماء فيسير معهم من الليل مكان القمر فأصابهم الجوع فسألوا موسى فدعا الله فأنزل عليهم المن[٣] وهو (الترنجبين) كان يتساقط عليهم كل غداة فيأخذ كل إنسان منهم ما يكفيه يومه وليلته، فإن أخذ أكثر من ذلك دود ذلك الزايد وفسد وإذا كان يوم الجمعة أخذ كل إنسان منهم مقدار ما يكفيه يومين لأنه لا يأتيهم يوم

---

(١) ـ الحبوة بكسر الحاء وضمها ـ: الثوب الذي يحتبى به، وفي الحديث: أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن الاحتباء في ثوب واحد.

قال ابن الأثير: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعها به في ظهره ويشده عليها. وقال الجوهري: احتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته وقد يحتبى بيديه. اللسان: حبا، الصحاح: حبا.

(٢) ذكره السيوطي في الدر عن الزهري ١/ ٦٩.

(٣) المن. قال ابن سيده: هو طل ينزل من السماء، وقيل: هو شبه العسل كان ينزل على بني إسرائيل من السماء إذ هم في التيه، وقيل: كان ينزل عليهم إذ هم بأفنيتهم اللسان: منن.

السبت، وكان ذلك مثل الشهد المعجون بالسمن فأجموا[١] من المن، أي ملوا من أكله. فقالوا لموسى عليه السلام: قتلنا هذا المن بحلاوته وأحرق بطوننا فادع لنا ربك أن يطعمنا لحماً. فدعا لهم موسى ـ عليه السلام ـ فبعث الله لهم طيراً كثيراً فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ وهو السماني وهو طير يضرب إلى الحمرة. وقال بعضهم: كان طيراً يأتيهم مشوياً. قال عامة المفسرين إنهم كانوا يأخذونها ويذبحونها. ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ أي قيل لهم كلوا من طيبات، وهذا من المضمرات، وفي كلام العرب يضمر الشيء إذا كان يستغنى عن إظهاره، كما قال في آية أخرى (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم) يعني يقال لهم أكفرتم. وكما قال في آية أخرى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله) يعني قالوا: ما نعبدهم ومثل هذا في القرآن كثير. وكذلك قوله ههنا ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ أي من حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي أعطيناكم من المن والسلوى ولا ترفعوا منها شيئاً كما قال في آية أخرى (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه) أي ولا تعصوا فيه فلا ترفعوا إلى الغد فرفعوا وجعلوا اللحم قديداً مخافة أن ينفد فرجع ذلك عنهم ولو لم يرفعوا لدام ذلك عليهم. قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ يقول وما أضرونا ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي أضروا بأنفسهم حيث رفعوا [إلى الغد حتى][٢] منع ذلك عنهم. وروى خلاس[٣] عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام، ولم (ينتن)[٤] اللحم، ولولا حواء لم تخن امرأة زوجها[٥].

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ قال الكلبي: يعني أريحا. وقال مقاتل: إيليا. ويقال هذا: كان بعد موت موسى عليه السلام، وبعد مضي أربعين سنة حيث أمر الله تعالى يوشع بن نون وكان خليفة موسى ـ عليهما السلام ـ بأن يدخل مع قومه المدينة فقال لهم يوشع بن نون: ادخلوا الباب سجداً يعني إذا دخلتم من باب المدينة فادخلوا ركعاً منحنين ناكسي رؤوسكم متواضعين فيقوم ذلك منكم مقام السجود وذلك قوله تعالى: (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) يعني أريحا أو إيليا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ موسعاً عليكم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي ركعاً منحنين ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قرأ بعضهم بالرفع وبعضهم بالنصب وهي قراءة شاذة، وإنما جعله نصباً لأنه مفعول. ومن قرأ بالرفع معناه وقولوا حطة[٦]. وروي عن قتادة أنه قال: تفسير (حطة) يعني حط عنا خطايانا. وقال بعضهم[٧]: معناه لا إله إلا الله. وقال بعضهم بسم الله. وقال بعضهم أمروا بأن يقولوا بهذا اللفظ ولا ندري ما

---

(١) أجمت الطعام ـ بالكسر عند الجوهري، وبالكسر والفتح عند ابن منظور أي كرهته من المداومة عليه اللسان الصحاح: أجم.

(٢) ما بين المعقوفتين من أ.

(٣) خلاس بن عمرو الهجري البصري، تابعي ثقة، توفي قبل المائة. تهذيب التهذيب ٣/١٧٦.

(٤) في ظ «يخنز» ومعناها ينتن ويفسد. اللسان: خنز.

(٥) متفق عليه من رواية أبي هريرة: أخرجه البخاري ٦/٤٣٠ في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة» (٣٣٩٩). ومسلم ٢/١٠٩٢ في كتاب الرضاع باب لولا حواء (٦٣/١٤٧٠)

(٦) وقراءة الرفع هي المتواترة عن السبعة.

(٧) ذكره ابن جرير عن عكرمة ٢/١٠٦ (١٠١٥).

معناه. ثم قال: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام (تغفر) بالتاء والضمة لأن لفظ الخطايا مؤنث. وقرأ نافع ومن تابعه من أهل المدينة (يغفر) بالياء والضمة بلفظ التذكير لأن تأنيثه ليس بحقيقي ولأن الفعل مقدم. وقرأ الباقون بالنون وكسر الفاء على معنى الإضافة[١] إلى نفسه وذلك كله يرجع إلى معنى واحد، ومعناه نغفر لكم خطايا الذين عبدوا العجل ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي سنزيد في إحسان من لم يعبد العجل. ويقال: نغفر خطايا من رفع المن والسلوى للغد، وسنزيد في إحسان من لم يرفع إلى الغد. ويقال: نرفع خطايا من هو عاصي، وسنزيد في إحسان من هو محسن. فلما دخلوا الباب خالفوا أمره. وروى أبو هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أنهم دخلوا الباب يزحفون»[٢] وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: دخلوا على أستاههم[٣]. ويقال: دخلوا منحرفين على شق وجوههم. وقالوا: (احنطا سمفانا) يعني حنطة حمراء. بلغة القبط استهزاء وتبديلاً. وإنما قال ذلك سفهاؤهم فذلك قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ أي غيروا ذلك القول وقالوا: بخلاف ما قيل لهم قال الله تعالى ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي غيروا ﴿رِجْزاً﴾ أي عذاباً[٤] ﴿مِّنَ ٱلسَّمَاءِ﴾ وهو موت الفجاءة. [وقال أبو روق (الرجز) الطاعون ويقال مات منهم بالطاعون سبعون ألفاً ويقال: نزلت بهم نار فاحترقوا. ويقال: وقع بينهم قتال فاقتتلوا فقتل بعضهم بعضاً][٥]. ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ أي جزاء لفسقهم وعصيانهم. ثم رجع إلى قصة موسى حين كانوا في التيه وأصابهم العطش فاستغاثوا بموسى، فدعا موسى ربه، فأوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه الحجر فأخذ موسى حجراً مربعاً مثل رأس الإنسان، ووضعه في المخلاة بين يدي قومه (ضرب عصاه عليه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ماءً عذباً وكانت بنو إسرائيل اثني عشر سبطاً لكل سبط منهم عين على حدة. قال الفقيه: حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مندوسة قال: حدثنا أبو القاسم أحمد ابن حمزة الصفار قال: حدثنا عيسى بن أحمد[٦] قال: حدثنا يزيد بن هارون[٧] عن فضيل بن مرزوق[٨] عن عطية العوفي[٩] قال: تاه بنو إسرائيل في اثني عشر فرسخاً أربعين عاماً على غير ماء، وجعل لهم حجراً مثل رأس الثور، فإذا نزلوا منزلاً وضعوه فضربه موسى بعصاه.

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنْفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾

---

(١) انظر/ الحرز، والحجة في هذه الآية.

(٢) أخرجه البخاري ٢٢٨/٨ في كتاب التفسير ومسلم ٣١٢/٤ في كتاب التفسير باب (٥٤) (١/ ٣٠١٥).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٦٢/٢ في التفسير باب كانت الرسل ثلاث مائة وخمس عشرة وقال: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي واستاهم جمع است وهي الدبر.

(٤) راجع: اللسان: رجز.

قال ابن منظور: قال ابن إسحاق: ومعنى الرجز في القرآن هو العذاب المقلقل لشدته وله قلقلة شديدة متتابعة.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من ظ.

(٦) عيسى بن أحمد العسقلاني البلخي، صدوق، ثقة. تهذيب التهذيب ٢٠٥/٨.

(٧) يزيد بن هارون بن وادي أبو خالد السلمي، مولى لهم ثقة، إمام صدوق في الحديث. تهذيب التهذيب ٣٦٦/١١.

(٨) فضيل بن مرزوق الأغر الرؤاس الكوفي، وَثَّقَهُ سفيان، صدوق. الجرح والتعديل ٥٧/٧.

(٩) عطية بن سعد العوفي الجدلي الكوفي. الجرح والتعديل ٣٨٢/٦.

فإذا ساروا حملوه فاستمسك. وقال بعضهم: كان يخرج عينا واحدة ثم تتفرق على اثنتي عشرة فرقة، وتصير اثني عشر نهراً. وقال بعضهم: كان للحجر اثنا عشر ثقبا (يخرج منها اثنتا عشرة عينا لا يختلط بعضها ببعض. قال مقاتل: كان الحجر مربعاً وكان جبريل عليه السلام أمر موسى بحمله معه يوم جاوز البحر ببني إسرائيل، وإنما انفجرت اثنتا عشرة عينا لأنه أخذ من مكان فيه اثنا عشر طريقا. ثم قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ أي قد عرف كل سبط مشربهم][1]. أي موردهم وموضع شربهم من العيون لا يخالطهم فيها غيرهم. والحكمة في ذلك أن الأسباط كانت بينهم عصبية ومباهاة، وكل سبط منهم لا يتزوج من سبط آخر، وأراد كل سبط تكثير نفسه، فجعل لكل سبط منهم نهراً على حدة ليستقوا منها، ويسقوا دوابهم لكيلا يقع بينهم جدال ومخاصمة. وقال بعضهم: كان الحجر من الجنة. وقال بعضهم: رفعه موسى من أسفل البحر حيث مر فيه مع قومه. وقال بعضهم: كان حجراً من أحجار الأرض. قوله عز وجل: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُوا مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ أي قيل لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من ماء العيون ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي لا تعملوا فيها بالمعاصي يقال: عثا يعثو عثواً إذا أظهر الفساد[2] [وعَثِي ـ وعاث ـ لغتان ـ الذئب في الغنم أي أسرع بالفساد][3] ثم أنهم أجمعوا من المن والسلوى.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ أي من جنس واحد ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي سل لنا ربك ﴿يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ أي مما تخرج الأرض ﴿مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا﴾ وقوله (بقلها) أراد به البقول كلها وقوله (وقثائها) أراد به جميع ما يخرج من الفاكهة مثل القثاء والبطيخ ونحو ذلك. وقوله ﴿وَفُومِهَا﴾[4] أي طعامها وهي الحبوب كلها. ويقال: هي الحنطة خاصة. وقال مجاهد: الفوم الخبز. وقال الفراء: فومي لنا يا جارية يعني اخبزي لنا. ويقال: الفوم هو الثوم والعرب تبدل الفاء بالثاء لقرب مخرجهما. وفي قراءة عبد الله بن مسعود ﴿وَثُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ فغضب عليهم موسى ـ عليه السلام ـ ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ يعني أتستبدلون الرديء من الطعام بالذي هو خير أي بالشريف الأعلى. ويقال: معناه تسألون الدنيء من الطعام وقد أعطاكم الله الشريف منه وهو المن والسلوى، ويقال: أتختارون الدنيء الخسيس وهو الثوم والبصل على الذي هو أعلى وأشرف وهو المن والسلوى فقال الله تعالى لهم ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْراً﴾ قرأ بعضهم بلا تنوين[5] أي المصر الذي

---

(١) ما بين المعقوفين من أ. (٢) ما بين المعقوفتين من أ.

(٣) قال ابن سيدة: عثا عثواً وعثى عثواً: أفسد أشد الافساد.

ولا تعثوا: من عيثي يعثى عثوا وهو الفساد، وفيه لغتان اخريان لم يقرأ بواحدة منهما، أحدهما: عثا يعثو مثل سما يسمو، ولو قرىء بها لقرىء «ولا تعثوا». واللغة الثانية: عاث يعيث. اللسان: عثا.

(٤) الفوم: الزرع أو الحنطة، وقيل: هو الحمص، وقيل: هو الخبز.

(٥) وهذه القراءة شاذة لم ترد عن أي إمام من الأئمة السبعة، وإن كانت قراءة لأبي بن كعب وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ إلا أنها لم =

خرجتم منه، وهو مصر فرعون، ومن قرأ مصراً بالتنوين يعني: ادخلوا مصراً من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ فيه ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ تزرعون وتحصدون ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ قال الحسن وقتادة: جعلت عليهم الجزية يعني على ذريتهم[١]. ويقال: جعل عليهم كد العمل، يعني أولئك القوم حتى كانوا ينقلون السرقين[٢]. ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ يعني زي الفقراء. وقال الكلبي: يعني الرجل من اليهود وإن كان غنياً يكون عليه زي الفقراء. وقوله تعالى: ﴿وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ﴾ يعني استوجبوا الغضب ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال بعضهم: أصله من الرجوع، يعني رجعوا باللعنة في أثر اللعنة. ويقال: باءوا أي احتملوا كما يقال: بوئت بهذا الذنب أي احتملته. ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي ما أصابهم من الذلة والمسكنة ـ وهم اليهود ـ بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، يعني كذبوا عيسى وزكريا ويحيى ومحمداً ـ عليهم وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام ـ ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي بغير جرم منهم، وهم زكريا ويحيى. قرأ نافع (النبيين) بالهمزة وكذلك جميع ما في القرآن إلا في سورة الأحزاب: (يا أيها النبي) وقرأ الباقون: بغير همز[٣]. وروي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن رجلاً قال له: يا نبيء الله فقال: لست بنبيء الله ولكن نبي الله[٤]. (والنبيين) جماعة النبي. وأما من قرأ بالهمز قال أصله من النبأ وهو الخبر لأنه أنبأ عن الله تعالى، وأما من قرأ بغير همز فأصله مهموز، ولكن قريشاً لا تهمز. وقال بعضهم: هو مأخوذ من النبأة وهو الارتفاع لأنه شرف على جميع خلقه. وقال بعضهم: النبيء هو الطريق الواضح، سمي بذلك لأنه طريق الخلق إلى الله تعالى. قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ أي ذلك الغضب على اليهود بما عصوا أي بسبب عصيانهم أمر الله تعالى فخذلهم الله تعالى حين كفروا فلو أنهم لم يعصوا الله تعالى كانوا معصومين من ذلك. ﴿وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ يعني بقتلهم الأنبياء وركوبهم المعاصي.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلصَّابِئِينَ﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن الذين آمنوا وهم قوم كانوا مؤمنين بموسى والتوراة ولم يتهودوا ولم يتنصروا. والنصارى: الذين تركوا دين عيسى وتسموا بالنصرانية. واليهود الذين تركوا دين موسى وتسموا باليهودية. والصابئين: هم قوم من النصارى ألين قولاً منهم ﴿مَنْ

= تصل إلينا عن طريق التواتر ولذلك لم يذكرها الشاطبي ولا ابن الجزري.

(١) انظر الدر المنثور ١/٧٣.

(٢) قال ابن منظور: السِّرجين والسَّرجين: ما تدمل به الأرض.
وقال الجوهري: هو بالكسر معرب لأنه ليس في الكلام فعليل بالفتح. ويقال: سرقين. انظر اللسان: سرح، الصحاح: سرحن ٥/٢١٣٥.

(٣) انظر الحرز، والاتحاف، والبحر المحيط (سورة البقرة).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/١٣١ في كتاب التفسير باب قراءات النهي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
قال: وله شاهد مفسر بإسناد ليس من شرط هذا الكتاب وتعقبه الذهبي فقال: بل منكر لم يصح. قال النسائي: حمران ليس بثقة.
وقال أبو داود: رافضي روى عن موسى بن عبيدة وهو واه ولم يثبت أيضاً عنه عن نافع عن ابن عمر قال: ما همز رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا أبو بكر ولا عمر ولا الخلفاء وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم.

ءامَنَ﴾ من هؤلاء ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي ثوابهم. قال مقاتل: (إن الذين آمنوا) أي صدقوا بتوحيد الله ومن آمن من الذين هادوا، ومن النصارى والصابئين فلهم أجرهم عند ربهم. وقال القتبي: قوله (إن الذين آمنوا) هم قوم آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم[١]. فكأنه قال: إن المنافقين والذين هادوا والنصارى والصابئين ويقال: اليهود سموا يهوداً يقول موسى ـ عليه السلام ـ (إنا هدنا إليك) ويقال: اشتقاقه من الميل من هاد، يهود إذا مال عن الطريق[٢]. وأما النصارى قال بعضهم: سموا أنفسهم نصارى بقول عيسى عليه السلام: (من أنصاري إلى الله) ويقال: لأنهم نزلوا إلى قرية يقال لها ناصرة، فتواثقوا[٣] على دينهم فسموا نصارى. وأما الصابي فهو من صبا يصبو إذا مال[٤]. ويقال: من صبأ يصبأ إذا رفع رأسه إلى السماء لأنهم يعبدون الملائكة. قرأ نافع و (الصابيين) بغير همز من صبا يصبو إذا[٥] خرج من دين إلى دين. وقرأ الباقون بالهمز من صبأ يصبأ إذا رفع رأسه إلى السماء، واختلف العلماء في حكم الصابئين. فقال بعضهم: حكمهم كحكم أهل الكتاب في أكل ذبائحهم ومناكحة نسائهم وهو قول أبي حنيفة لأنهم قوم بين النصرانية واليهودية يقرأون الزبور. وقال بعضهم: هم بمنزلة المجوس لا يجوز أكل ذبائحهم ولا مناكحة نسائهم وهو قول أبي يوسف ومحمد رحمهما الله لأنهم يعبدون الملائكة فصار حكمهم حكم عبدة النيران. ولم يذكر في الآية الإيمان بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه لما ذكر الإيمان بالله تعالى فقد دخل فيه الإيمان بالنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه لا يكون مؤمناً بالله تعالى ما لم يؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى على محمد وعلى جميع الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فكأنه قال: من آمن بالله وبما أنزل على جميع أنبيائه وصدق باليوم الآخر [(وعمل صالحاً) أي أدى الفرائض][٦] فلهم أجرهم عند ربهم: يعني لهم ثواب أعمالهم في الآخرة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا من الدنيا. ويقال: ليس عليهم خوف النار ولا حزن الفزع الأكبر. فإن قيل: فيه ذكر من آمن بالله بلفظ الوحدان، ثم قال فلهم أجرهم ولم يقل: فله أجره. قيل له: لأنه انصرف إلى ما سبق ذكره وهو الجماعة فمرة يذكر بلفظ الوحدان لاعتبار اللفظ ومرة بلفظ الجمع لاعتبار المعنى.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ قال ابن عباس: هما ميثاقان: الميثاق الأول: حين أخرجهم من صلب آدم ـ عليه السلام ـ والميثاق والثاني: الذي أخذ في التوراة وسائر الكتب ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ وذلك أن موسى «عليه السلام» لما أتاهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التغليظ والأمر والنهي شق ذلك عليهم فأبوا أن يقبلوها وإن الله

---

(١) في أ «بالقلب».

(٢) قال ابن منظور: الهود التوبة: ، هاد يهود هودا وتهود: تاب ورجع إلى الحق. وقال ابن الأعرابي: هاد إذا رجع من خير إلى شر أو من شر إلى خير. وسميت اليهود: اشتقاقاً من هادوا أي تابوا. اللسان: هود.

(٣) في أ «فتوافقوا».

(٤) قال ابن منظور: الصابئون: قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام بكذبهم وقال الليث: الصابئون قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح، وهم كاذبون. اللسان: صبا وقال في مادة: صبا أي مال.

(٥) في أ «إذا مال قرأ الباقون بالهمز من صبا يصبو إذا خرج».

(٦) ما بين المعقوفين من أ.

تعالى قد من على هذه الأمة حيث فرض عليهم الفرائض واحداً بعد واحد، ولم يفرض عليهم جملة، فإذا استقر الواحد في قلوبهم فرض الآخر. وأما بنو إسرائيل فقد فرض عليهم دفعة واحدة فشق ذلك عليهم ولم يقبلوا، فأمر الله تعالى الملائكة فرفعوا جبلاً من جبال فلسطين فوق رؤوسهم، وكان عسكر موسى فرسخاً في فرسخ، والجبل مثل ذلك فلما رأوا أنه لا مهرب لهم منه، قبلوا التوراة وسجدوا من المهابة والفزع، وهم يلاحظون في سجودهم الجبل، فمن ذلك يسجد بعض اليهود على أنصاف وجوههم فذلك قوله تعالى: (ورفعنا فوقكم الطور) والطور: اسم جبل بالسريانية. ويقال: هو جبل ذو أشجار. ثم قال تعالى: ﴿خُذُواْ مَا آتَيْنَاكم بِقُوَّةٍ﴾ أي قيل لهم اعملوا بما آتيناكم بجد ومواظبة واعملوا في طاعة الله ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ قال بعضهم: اعملوا بما فيه وقال بعضهم: اذكروا[١] ما فيه من الثواب والعقاب لكي يسهل عليكم القبول ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي لكي تتقوا عقوبته في المعصية فتمتنعوا عنها ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي أعرضتم من بعد ذلك الإقرار. (يعني: من بعد ما رفع عنكم الجبل عنكم. ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي من الله عليكم ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بتأخير العذاب[٢] ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بالعقوبة. ويقال: فلولا فضل الله عليكم ورحمته بإرسال الرسل إليكم لكيلا تقيموا على الكفر لكنتم من الخاسرين بالعقوبة.

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

ثم قال تعالى] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ أي اصطادوا. ويقال: استحلوا أخذ الحيتان يوم السبت. والسبت في اللغة[٣] هو الراحة. كما قال في آية أخرى (وجعلنا نومكم سباتا) أي راحة. فيوم السبت كان راحة لليهود عن أشغال الدنيا وهذه الآية على معنى التحذير والتهديد، فكأنه يقول: إنكم تعلمون ما أصاب الذين استحلوا أخذ السمك في يوم السبت من العقوبة، فاحذروا كيلا يصيبكم مثل ما أصابهم وذلك أن مدينة يقال لها (آيلة) على ساحل البحر كان يجتمع فيها السمك يوم السبت حتى يأخذ وجه الماء وفي سائر الأيام لا يأتيهم إلا قليل. وقال بعض أهل القصص: إنما كانت الحيتان تجتمع هناك لزيارة السمكة التي كان في بطنها يونس - عليه السلام - ففي كل سبت يجتمعون لزيارتها[٤]. وقال بعضهم: لم يكن لهذا المعنى، ولكن كانت محنة أولئك القوم فاحتالوا وحبسوا ذلك السمك في يوم السبت وأخذوه يوم الأحد فلما لم تصبهم العقوبة لفعلهم ذلك أمنوا، واستحلوا أخذها فمسخهم الله قردة. وقد بين قصتهم في سورة الأعراف في قوله تعالى: (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) ثم قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يعني مبعدين من رحمة الله. وأصله في اللغة من البعد. يقال: خسأ الكلب إذا بعد[٥]. ويقال: (خاسئين) أي صاغرين ذليلين. قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً﴾

---

(١) في أ «اعملوا». (٢) في أ «وقيل من بعد البيان في كتابهم بتأخير العذاب».

(٣) قال ابن منظور: سبت يسبت سبتاً: استراح ويسكن. اللسان: سبت.

(٤) هذا الكلام من اختلاق القصاص والصواب أن يقال: إن هذا الاتيان من الحيتان قد يكون بإرسال من الله كارسال السحاب أو بوحي إلهام كما أوحى إلى النحل أو بإشعار في ذلك اليوم على نحو ما يشعر الله الدواب يوم الجمعة بأمر الساعة حسبما جاء، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة حتى تطلع الشمس فرقاً من الساعة، ويحتمل أن يكون ذلك من الحيتان شعوراً بالسلامة. انظر البحر المحيط ٤/٤١١.

(٥) الخاسىء من الكلب والخنازير والشياطين: البعيد الذي لا يترك أن يدنو من الإنسان. والخاسىء المطرود. اللسان: خسأ.

[لما بين يديها وما خلفها](١) [يعني جعلنا تلك العقوبة [نكالا) يعني عقوبة ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ يعني لما سبق منهم من الذنب](٢) ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي عبرة لمن بعدهم. ويقال: فجعلناها يعني القرية، نكالا لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى ليعتبروا بها ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعني نهيا لأمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعبرة لهم [لكي لا يستحلوا ما حرم الله عليهم](٣) قال الفقيه حدثنا أبو القاسم عمر بن محمد(٤) قال: حدثنا أبو بكر الواسطي(٥) قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا كثير بن هشام(٦) عن المسعودي(٧) عن علقمة بن مرثد(٨) عن المستورد بن الأحنف قال: قيل لعبد الله بن مسعود أرأيت القردة والخنازير أمن نسل القرود والخنازير التي قد مسخت؟ قال عبد الله بن مسعود: إن الله تعالى لم يمسخ أمة فجعل(٩) لها(١٠) نسلاً ولكنها من نسل قرود وخنازير كانت قبل ذلك(١١).

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قال ابن عباس: وذلك أن بني إسرائيل قيل لهم في التوراة: أيما قتيل وجد بين قريتين لا يدرى قاتله فليقس إلى أيتهما أقرب، فعمد رجلان أخوان من بني إسرائيل إلى ابن عم لهما واسمه عاميل فقتلاه لكي يرثاه وكانت ابنة عم لهما شابة جميلة حسناء فخشيا أن ينكحها ابن عمها عاميل، ثم حملاه إلى جانب قرية، فأصبح أهل القرية والقتيل بين أظهرهم، فأخذ أهل القرية بالقتيل وجاءوا به إلى موسى. وروى ابن سيرين عن عبيدة السلماني أن رجلاً كان له قرابة فقتله ليرثه ثم ألقاه على باب رجل، ثم جاء يطلب بدمه، فهموا أن يقتتلوا ولبس الفريقان السلاح، فقال رجل: أتقتتلون وفيكم نبي الله؟ فجاءوا إلى موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأخبروه بذلك، فدعا الله تعالى في ذلك أن يبين لهم المخرج من ذلك، فأوحى الله تعالى إليه، فأخبرهم بذلك وقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فتضربوه ببعضها، يعني ببعض أعضاء تلك

---

(١) ما بين المعقوفين من أ. (٢) ما بين المعقوفين ساقط من أ. (٣) ما بين المعقوفين من أ.

(٤) عمر بن محمد بن بجير الهمداني الجدلي الكوفي. الجرح والتعديل ٦/٣٨٢.

(٥) محمد بن موسى أبو بكر الواسطي كان عالماً بأصول الدين، ومن المتصوفة. الطبقات للشعراني ١/٨٥.

(٦) كثير بن هشام الكلابي، أبو سهل الرقي، نزيل بغداد، ثقة. التقريب ٢/١٣٤.

(٧) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الكوفي، كان ثقة كثير الحديث. طبقات ابن سعد ٦/٣٦٦.

(٨) علقمة بن مرثد الحضرمي، أبو الحارث الكوفي ثقة. التقريب ٢/٣١.

(٩) في أ «أن يجعل». (١٠) سقط من ظ.

(١١) أخرجه مسلم بنحوه مرفوعاً ٤/٢٠٥١ في كتاب القدر باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص (٢٣/٢٦٦٣).

البقرة فيحيا، فيخبركم من قتله[(١)] ﴿قَالُوٓاْ﴾ يا موسى ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗا﴾ قرأ عاصم في رواية حفص[(٢)] برفع الزاي بغير همز، وقرأ حمزة بسكون الزاي مع الهمزة، وقرأ الباقون بالهمز[(٣)] ورفع الزاي. ومعناه. اتتخذنا سخرية يعني أتسخر بنا يا موسى؟ فإن قيل: ألم يكن هذا القول منهم كفراً؟ حيث نسبوه إلى السخرية. قلنا الجواب أن يقال قد ظهر عندهم علامات نبوته وعلموا أن قوله حق ولكنهم أرادوا بهذا الكشف والبيان ولم يريدوا به الحقيقة. فـ ﴿قَالَ﴾ لهم موسى ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ يعني أمتنع بالله. ويقال: معاذ الله أن أكون من المستهزئين. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: فلو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم بالمسألة فشدد الله عليهم بالمنع لما ﴿قَالُواْ﴾. يا موسى ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي سل لنا ربك أن ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أي يبين لنا كيفية البقرة، إنها صغيرة أو كبيرة ﴿قَالَ﴾ لهم موسى ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ﴾ يعني لا كبيرة هرمة، ولا صغيرة ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ وسطا ونصفا بين ذلك يعني بين الصغيرة والكبيرة. وقد قيل في المثل (العوان لا تعلم الخَمْرة) يعني أن المرأة البالغة ليست بمنزلة الصغيرة التي لا تحسن أن تختمر[(٤)]. وقوله تعالى: ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾ ولا تسألوا فسألوا وشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم. ﴿قَالُواْ﴾ يا موسى ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي سل لنا ربك ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَا﴾ قال لهم موسى ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ يعني شديد الصفرة كما يقال: أصفر فاقع إذا كان شديد الصفرة كما يقال: أسود حالك، وأبيض يقق، وأحمر قاني، وأخضر ناصع إذا وصف بالشدة. وقال بعضهم: أراد به بقرة صفراء الظلف والقرن أي شعرها وظلفها وقرنها وكل شيء منها أصفر ويقال: أراد به البقرة السوداء، لأن السواد الشديد يضرب إلى الصفرة كما قال تعالى (.. كالقصر كأنه جِمَالَةٌ صفر) وكما قال القائل: [(٥)]

تلك خيلي منه[(٦)]، وتلك[(٧)] ركابي هن صفر أولادها كالزبيب

أراد[(٨)] بالصفر السود. ولكن هذا خلاف أقاويل المفسرين، وكلهم اتفقوا أن المراد به صفراء اللون إلا قولا روي عن الحسن البصري[(٩)]. قوله عز وجل: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ يعني تعجب من نظر إليها لحسن لونها فشددوا على أنفسهم و ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ يعني إنها من العوامل أو من غيرها ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ أي تشاكل علينا في أسنانها وألوانها ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ يعني نهتدي للقاتل. ويقال: نهتدي إلى البقرة أي ندركها بمشيئة الله تعالى. وروي عن ابن عباس أنه قال: لولا أنهم استثنوا لم يدركوها. وروي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: لو أن بني إسرائيل أخذوا

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره بنحوه ٢/ ١٨٤.

(٢) حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، راوي عاصم، توفي سنة ثمانين ومائة، وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته. النشر في القراءات العشر ١/ ١٥٦. ميزان الاعتدال ١/ ٢٦١، الأعلام ٢/ ٢٦٤.

(٣) انظر/ الحرز بشرح ابن الفاصح، والاتحاف (سورة البقرة).

(٤) في المثل: لا تعلم العوان الخمرة. قال ابن بري: أي المجرب عارف بأمره كما أن المرأة التي تزوجت تحسن القناع بالخمار. اللسان: عون.

(٥) هو الأعشى، والبيت في اللسان: صفر.

(٦) من ظ.

(٧) في ظ «وتلك منه».

(٨) في أ «وكما قال الله تعالى جمالات صفر أراد».

(٩) روى ابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ١٥٠ عن الحسن البصري في قوله تعالى «صفراء فاقع لونها «قال: سوداء شديدة السواد. ثم قال الطبري: ولعله مستعار من صفة الإبل لأن سوادها تعلوه صفرة.

أدنى بقرة لأجزأت عنهم، ولولا أنهم قالوا وإنا إن شاء الله لمهتدون ما وجدوها[١]. ﴿قَالَ إِنَّه﴾ لهم موسى أن ربكم ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ذَلُولٌ﴾ يقول لم يذللها العمل. وقال أهل اللغة: الذلول في الدواب مثل الذليل في الناس، يقال: رجل ذليل، ودابة ذليلة بينة الذل. ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي تقلبها للزارعة. ويقال: للبقرة المثيرة ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ يعني لا يسقى عليها الحرث، أي لا يستسقى عليها الماء لتسقي الزرع ومعناه أن هذه البقرة لم تكن تعمل شيئاً من هذه الأعمال ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ يقال: مهذبة سليمة من العيوب. ويقال: مسلمة من الألوان ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ قال بعضهم لا عيب فيها ـ وقال بعضهم: لا وضح فيها ولا بياض ولا سواد ولا لون سوى لون الصفرة وقال أهل اللغة[٢]: أصله من وشى الثوب، وأصله في اللغة لا وشية فيها ولكن حذفت منها الواو للخفة مثل عدة وزنة. فلما وصف لهم موسى ذلك ﴿قَالُواْ: الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ يعني الآن أتمت الصفة. ويقال: الآن جئت بالصفة التي كنا نطلب ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ يعني البقرة ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ أي كادوا أن لا يذبحوها. وقد قيل: إنما أرادوا أن لا يذبحوها، لأن كل واحد منهم خشي أن يظهر القاتل من قبيلته. وقال بعضهم: وما كادوا يفعلون لغلاء ثمن البقرة لأنهم كانوا لا يدركون بقرة بتلك الصفة. وروي عن وهب بن منبه أنه قال: لم توجد تلك البقرة إلا عند فتى من بني اسرائيل، كان باراً بوالديه وكان يصلي ثلث الليل، وينام ثلث الليل، ويجلس ثلث الليل عند رأس أمه ويقول لها: إن لم تقدري على القيام فسبحي الله وهللي، وكان ورث عن أبيه بقرة فلم يجد أهل تلك القرية على تلك الصفة إلا هذه البقرة، فاشتروها بملىء مسكها دنانير. وقال بعضهم: كان رجل يبيع الجوهر، فجاءه إبليس يوماً بجراب من لؤلؤ فعرض عليه. وأراد أن يبيع منه بمائة ألف، وكان ذلك يساوي مائتي ألف، فلما أراد أن يشتري فإذا مفتاح الصندوق كان تحت رأس أبيه وهو نائم فذهب ليوقظه ويرفع المفتاح ويدفع الثمن. ثم قال في نفسه: كيف أوقظ أبي لأجل ربح مائة ألف ولم يحتمل قلبه فرجع، فقال: إن أبي نائم فقال له إبليس: إذهب فأيقظه فإني أبيع منك بخمسين ألفاً، فذهب ليوقظه فلم يحتمل قلبه فرجع فلا زال إبليس يحط من الثمن حتى بلغ عشرة دراهم فلم يوقظ أباه وترك الشراء ذلك. فجعل الله في ماله البركة حتى اشتروا بقرته بملىء مسكها ذهباً.

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُم فِيهَا﴾ أي تدافعتم. يعني ألقى بعضكم على بعض، يقال: أدارأ القوم أي تدافعوا[٣] وقال القتبي: أصله تدارأتم، فأدغمت التاء في الدال وأدخل الألف ليسلم السكون للدال، ويقال: هذا ابتداء القصة، ومعناه وإذ قتلتم نفساً فأتيتم موسى وسألتموه أن يدعو الله تعالى فقال موسى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة إلى آخره ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُم تَكْتُمُونَ﴾ أي مظهر ما كنتم تكتمون من قتل عاميل. ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ أي اضربوا الميت ببعض أعضاء البقرة. قال بعضهم: بفخذها الأيمن. وقال بعضهم: بلسانها. وقال بعضهم [بعجب ذنبها][٤] وهو عظم في أصل ذنبها، ويقال عليه [تركيب][٥] الخلق، فأول شيء يخلق ذلك

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٧٧/١ ونسبه للبزار وابن جرير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وابن جرير في التفسير ٢٠٤/١ (١٢٣٦) والظاهر أنه من كلام سيدنا وأبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) اللسان: وشى. قال والهاء عوض من الواو والذاهبة من أوله كالزلة الوزن ١.

(٣) قال ابن منظور: تدارأتم: أي اختلفتم وتدافعتم. اللسان: درأ.

(٤) في ظ «بعجزها». (٥) في ظ «يتركب».

الموضع، ثم يركب عليه سائر البدن، وهو آخر الأعضاء فساداً بعد الموت وقال بعضهم، فلما ضربوا الميت جلس وأوداجه تشخب دماً. وقال: قتلني ابنا عمي، فأخذا وقتلا، ولم يعط لهما من ميراثه شيئاً. وقال عبيدة السلماني: لم يورث قاتل بعد صاحب البقرة. ثم قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كان في ذلك دليل لأولئك القوم أن البعث كائن لا محالة لأنهم رأوا الإحياء بعد الموت معاينة، وكان في ذلك دليل لهذه الأمة ولمشركي العرب وغيرهم. لأن الله لما أخبر محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك. فأخبرهم فصدقوه في ذلك أهل الكتاب ولم يكونوا على دينه، فكان ذلك من أدل الدليل عليهم بالبعث. قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي عجائبه مثل إحياء الموتى وغيره. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي تفهمون أن الذي يخبركم به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ قال الزجاج: تأويل قست في اللغة أي غلظت ويبست، فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع. وقوله (من بعد ذلك) قد قيل: من بعد إحياء الميت، ويحتمل بعد الآيات التي ذكرت، نحو مسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وتفجير الأنهار من الحجر وغير ذلك. وقال بعض الحكماء: معنى قوله (ثم قست قلوبكم) أي يبست وييبس القلب أن ييبس عن ماءين: أحدهما: ماء خشية الله. والثاني: ماء شفقة الخلق. [ثم قال تعالى: ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾][1] وكل قلب لا يكون فيه خشية الله تعالى فهو كالحجارة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ قال بعضهم: بل أشد قسوة. مثل قوله تعالى: (إلى مائة ألف أو يزيدون) [بمعنى بل يزيدون وكقوله][2] (كلمح البصر أو هو أقرب) أي [بل هو أدنى][3] وقال بعضهم: معناه وأشد قسوة الألف زائدة. وقال الزجاج: أو للتخيير يعني إن شئتم شبهتم قسوتها بالحجارة أو بما هو أشد قسوة فأنتم مصيبون[4] كقوله تعالى (كصيب من السماء) ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَارُ﴾ فأعذر الحجارة وعاب قلوبهم حين لم تلن بذكر الله ولا بالموعظة فقال (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) يعني الحجر الذي منه العيون في الجبل. ويقال أراد به حجر موسى ـ عليه السلام ـ الذي كان يخرج منه العيون ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ أي من الحجارة ما يتصدع ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ ويقال: كل حجر يتردى من رأس الجبل إلى الأرض فهو من خشية الله ويقال: أراد به الجبل الذي صار دكاً حين كلم الله موسى ـ عليه السلام ـ ويقال: هو جميع الجبال وما يزول الحجر من مكانه إلا من خشية الله تعالى. وقال بعضهم: هو على وجه المثال يعني لو كان له عقل لهبط من خشية الله تعالى وهو قول المعتزلة وهو خلاف أقاويل أهل التفسير. قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ظ.
(٢) ما بين المعقوفين من ظ. (٣) ما بين المعقوفين ساقط من ظ.
(٤) وقال أبو حيان: أو هنا بمعنى الواو. . . أو للتنويع وكأن قلوبهم على قسمين قلوب كالحجارة قسوة، وقلوب أشد قسوة من الحجارة فأجمل ذلك في قوله «ثم قست قلوبكم، ثم فصل ونوع إلى شبه بالحجارة وإلى أشد منها». انظر البحر المحيط ١/٢٦٢.

﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر (يعملون) بالياء والباقون بالتاء[١]. واختلفوا في مواضع أخرى[٢] قرأ حمزة والكسائي في كل موضع (وما الله بغافل عما تعملون) بالياء. وفي كل موضع (وما ربك بغافل عما تعملون) بالتاء. واختلفت الروايات عن غيرهما. وهذا كلام التهديد، يعني أن الله تعالى يجازيكم بما تعملون فيحذركم بذلك. ثم ذكر التعزية للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكيلا يحزن على تكذيبهم إياه، وأخبره أنهم من أهل السوء الذين مضوا فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يعني النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة. وقال بعضهم: أراد به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه أفتطمعون أن يصدقوكم[٣] ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾ فأن أراد به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة، فمعناه أفتطمع أن يصدقوك، وقد يذكر لفظ الجماعة ويراد به الواحد، كما قال في آية أخرى (من فرعون وملأهم) وقال تعالى: (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) وقال تعالى: (فإن لم يستجيبوا لكم) أراد به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة كذلك ههنا. ثم قال: (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) قال في رواية الكلبي: يعني السبعين الذين ساروا مع موسى ـ عليه السلام ـ إلى طور سيناء فسمعوا هناك كلام الله تعالى فلما رجعوا قال سفهاؤهم. إن الله أمر بكذا بخلاف ما أمرهم فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي غيروه من بعد ما حفظوه وفهموه. وقال بعضهم: إنما أراد به الذين يغيرون التوراة. وقال بعضهم: يغيرون تأويله وهم يعلمون.

وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذا لَقُواْ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ﴾ يعني المنافقين منهم ﴿قَالُوٓاْ﴾ للمؤمنين ﴿آمَنَّا﴾ أي أقررنا بالذي أقررتم به. وهم منافقوا أهل الكتاب ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني إذا رجعوا إلى رؤسائهم ﴿قَالُوٓاْ﴾ لبعضهم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي أتخبرونهم بأن ذكر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتابكم فيكون ذلك حجة عليكم (أفلا تعقلون) أن ذلك حجة لهم عليكم ﴿لِيُحَاجُّوكُم بِهِ﴾ أي ليخاصموكم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ باعترافكم أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبي لا تتبعوه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي أفليس لكم ذهن الإنسانية لا ينبغي لكم هذا فيما بينكم. ﴿أَوَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ قال بعضهم: ما يسرون فيما بينهم وما يعلنون مع أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ﴾ أي من أهل الكتاب وهم السفلة أميون لا يقرأون الكتاب: لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته، وقال الزجاج: الأمي المنسوب إلى ما عليه جبلة الأمة يعني هو على الخلقة التي خلق عليها لأن الإنسان في الأصل لا يعلم شيئاً ما لم يتعلم ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ قال بعضهم: إلا التلاوة، وهذا كما قال في آية أخرى (إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) أي في تلاوته، يقول إن السفلة منهم كانوا لا يعرفون من التوراة شيئاً سوى تلاوته. وقال بعضهم: إلا أماني: إلا أباطيل. وروي

(١) قرأ ابن كثير فقط «يعملون» بالياء والباقون بالتاء. انظر: الحرز بشرح الفاصح.

(٢) هي مواضع في سورة مخصوصة، منصوص عليها في كتب القراءات وستأتي في مواضعهما إن شاء الله.

(٣) في آ «يؤمنوا لكم».

عن عثمان بن عفان أنه قال: منذ أسلمت ما تغنيت ولا تمنيت أي ما تكلمت بالباطل. وروي في الخبر أن الإنسان إذا ركب دابته ولم يذكر الله تعالى صكه الشيطان في قفاه ويقول له: تغن فإن لم يحسن الغناء يقول له: تمن أي تكلم بالباطل. ﴿وَإِنْ هُمْ﴾ أي وما هم. ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ لأنه قد ظهر لهم الكذب من رؤسائهم فكانوا يشكون في أحاديثهم وكانوا يظنون من غير يقين. وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «إياكم والظن فإنه من أكذب الحديث»[1].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الويل: الشدة من العذاب. ويقال: الويل كلمة تستعمل عند الشدة ويقال: يا ويلاه. ويقال: الويل واد في جهنم[2]. قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر أنه قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا وكيع بن سفيان عن زياد[3] عن أبي عياض[4] قال: الويل واد في أصل جهنم يسيل فيه صديدهم[5]. وإنما صار رفعاً بالابتداء. وقال الزجاج: ولو كان هذا في غير القرآن لجاز (فويلاً) على معنى جعل الله ويلاً للذين يكتبون الكتاب إلا أنه لم يقرأ. وذلك أن رؤساء اليهود محوا نعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم كتبوا غير نعته، ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ﴾ للسفلة ﴿هَذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ أي عرضا يسيراً من مال الدنيا. وروي عن إبراهيم النخعي أنه كره أن يكتب المصحف بالأجر وتأول هذه الآية (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم. إلى قوله: ليشتروا به ثمنا قليلا) وغيره من العلماء أباحه ثم قال ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي مما يصيبهم من العذاب ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ أي مما يصيبون فجعل الويل لهم ثلاث مرات.

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ روي عن الضحاك أنه قال: لم يكن أحد من الكفار أجرأ على الله تعالى من اليهود حين قالوا: (عزير ابن الله) وقالوا: إن الله فقير وقالوا أيضاً (لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) أي مقدار الأيام التي عبد فيها العجل آباؤنا. وهي أربعون يوماً. وقال مجاهد: (إلا أياماً معدودة) أي عدد أيام الدنيا وهي سبعة أيام. وهكذا روي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: وقال بعضهم كان مذهبهم مذهب جهم[6] في أنهم

---

(١) جزء من حديث متفق عليه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه البخاري ١٠/٤٨٤ كتاب الأدب باب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن (٦٠٦٦) ومسلم ٤/١٩٨٥ في كتاب البر باب تحريم الظن (٢٨/٢٥٦٣) ومالك في الموطأ (٩٠٨) والترمذي في السنن رقم (١٩٨٨) وأبو داود في الأدب باب (٥٥) وأحمد في المسند ٢/٣١٢، ٤٣٢، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٨٠، ٤٩٢، ٥٠٤، والبيهقي في السنن ٦/٨٥، ٨/٣٣٣، ١٠/٢٣١.

(٢) اللسان: ويل. (٣) زياد بن فياض الخزاعي، ثقة، توفي سنة ١٢٩ هـ. تهذيب التهذيب ٣/٣٨١.

(٤) هو عمرو بن الأسود العنسي، كان من عباد أهل الشام، تابعي، ثقة. تهذيب التهذيب ٨/٤.

(٥) أخرجه ابن جرير ٢/٢٦٧ (١٣٨٢) (١٣٨٣).

(٦) جهم بن صفوان. ذكره السيوطي في الدر عن ابن عباس رضي الله عنهما ١/٨٤.

لا يرون الخلود في النار. قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْداً﴾ قال الزجاج: معناه أعهد إليكم ألا يعذبكم إلا هذا المقدار إن كان لكم عهد ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُ﴾ أي وعده. ويقال: أعقدتم عند الله عقداً وهو عقد التوحيد فلن يخلف الله عهده أي وعده. وقد قيل: هل أنزل عليكم بذلك آية ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي بل تقولون على الله ما لا تعلمون. وروي في الخبر أنهم إذا مضت عليهم في النار تلك المدة قالت لهم الخزنة: يا أعداء الله ذهب الأجل وبقي الأبد، فأيقنوا بالخلود.

بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

قال الله تعالى ﴿بَلَىٰ﴾ أي يخلد فيها ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ يعني الشرك ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ أي مات على الشرك. وقال بعضهم: السيئة الشرك والخطيئة الكبائر. وهو قول المعتزلة إن أصحاب الكبائر يخلدون في النار. وقال الربيع بن خثيم: ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ الذين يموتون على الشرك. قرأ نافع (خطاياه)[1] وهو جمع خطيئة. والباقون (خطيئته)[2] وهي خطيئة واحدة والمراد به الشرك. ﴿فَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي دائمون لا يخرجون منها أبداً. ﴿وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ﴾ معناه والذين صدقوا بالله وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعملوا الصالحات أي الطاعات فيما بينهم وبين ربهم، يعني أدوا الفرائض وانتهوا عن المعاصي ﴿أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي دائمون لا يموتون ولا يخرجون.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ أي وقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل في التوراة، يعني بمجيء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقال: الميثاق الأول حين أخرجهم من صلب آدم ـ عليه السلام ـ قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وابن كثير (لا تعبدون) بالياء، وقرأ الباقـون بالتاء بلفظ المخاطبة[3]، فمن قرأ بالياء معناه وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأن لا يعبدوا إلا الله ومن قرأ بالتاء فمعناه: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل وقلنا لهم: لا تعبدوا إلا الله، يعني أخذنا عليهم الميثاق بأن لا يعبدوا إلا الله يعني لا توحدوا إلا الله. ﴿وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ نصب إحساناً على معنى أحسنوا إحساناً فيكون إحساناً بدلاً من اللفظ، أي أحسنوا إلى الوالدين براً بهما وعطفاً عليهما وفي هذه الآية بيان حرمة الوالدين لأنه قرن حق الوالدين بعبادة نفسه. ويقال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا يقبل إحداها بغير قرينتها. إحداهما: قوله عز وجل (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) والثانية: (أن أشكر لي ولوالديك) والثالثة:

---

(١) هذا خطأ، فقراءة نافع «خطيئاته» وليس «خطاياه».
راجع: الحرز بشرح أبي شامة، والبحر المحيط ١/ ٢٧٩.
(٢) راجع الحرز والبحر المحيط ١/ ٢٧٩.
(٣) البحر المحيط ١/ ٢٨٢، وزاد أبو حيان: وقرأ أبي وابن مسعود «لا تعبدوا». على النهي.

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقوله تعالى: ﴿وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يعني أحسنوا إلى ذي القربى ﴿وَٱلْيَتَامَىٰ﴾ [يعني أحسنوا إلى اليتامى][1] ﴿وَ﴾ إلى ﴿ٱلْمَسَاكِينِ﴾ .والاحسان إلى اليتامى والمساكين أن يحسن إليهم بالصدقة وحسن القول. ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ قرأ حمزة والكسائي بنصب الحاء والسين، وقرأ الباقون برفع الحاء وسكون السين[2]. فمن قرأ بالنصب فمعناه: قولوا للناس حسناً يعني قولوا لهم قولاً صدقاً في نعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفته كما بين في كتابكم. ونظيرها في سورة طه ﴿ألم يعدكم وعداً حسناً﴾ أي وعداً صدقاً. ومن قرأ بالرفع فمعناه قولوا لجميع الناس حسناً يعني: خالقوا الناس بالخلق الحسن فكأنه يأمر بحسن المعاشرة وحسن الخلق مع الناس ﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ﴾ يعني أقروا بها وأدوها في مواقيتها. ﴿وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ﴾ المفروضة ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ يعني أعرضتم عن الإيمان والميثاق ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ﴾ وهو عبد الله بن سلام وأصحابه. ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ أي تاركون لما أخذ عليكم من المواثيق.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

ثم قال عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي إقراركم ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ أي بأن لا تسفكوا دماءكم يعني لا يهرق بعضكم دماء بعض. ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا يخرج بعضكم بعضاً ﴿مِّن دِيَارِكُمْ﴾ فجملة ما أخذ عليهم من الميثاق ألا يعبدوا إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ويقولوا للناس حسناً ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة [ولا يسفكوا دماءهم][3] ولا [يخرج بعضهم بعضاً][4] من ديارهم وأن يفادوا أسراهم[5]. فذكر المفاداة بعد هذا حيث قال تعالى: (وإن يأتوكم أسارى تفادوهم) على وجه التقديم والتأخير ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يعني بني قريظة والنضير يعني أقررتم بهذا كله، وأنتم تشهدون: أن هذا في التوراة فنقضوا العهد فعيرهم الله تعالى بذلك حيث قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني يا هؤلاء ويقال معناه ثم أنتم هؤلاء يا معشر اليهود تقتلون أنفسكم أي يقتل بعضكم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ﴾ أي بعضكم بعضاً، لأنه كان بين الأوس والخزرج عداوة وكان بنو النضير وقريظة: إحدى القبيلتين كانت معينة للأوس، والأخرى كانت معينة للخزرج، فإذا غلبت إحداهما على الأخرى كانت تقتلهم وتخرجهم من ديارهم. وفي الآية دليل أن الإخراج من الدار ينزل منزلة القتل لأن الله تعالى قرن الإخراج من الديار بالقتل حيث قال تعالى ﴿تقتلون

---

(١) ما بين المعقوفين من أ. (٢) انظر الحرز بشرح أبي شامة، والبحر المحيط ٢٨٤، ٢٨٥.
(٣) ما بين المعقوفين سقط من أ. (٤) في أ «تخرجون بعضكم». (٥) في أ «أساراكم».

أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم﴾ ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ قرأ أهل الكوفة وحمزة والكسائي بالتخفيف، وقرأ الباقون: بالتشديد لأن أصله تتظاهرون، فأدغم إحدى التاءين في الظاء وأقيم التشديد مقامه[1] معناه: تتعاونون عليهم ﴿بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يعني بالمعصية والظلم. قال الزجاج: العدوان هو الإفراط في الظلم. ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ قرأ عاصم والكسائي ونافع (أسارى تفادوهم) كلاهما بالألف، [وقرأ حمزة (أسرى تفدوهم) بغير ألف فيهما وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (أسارى تفدوهم) الأول بالألف][2] والثاني بغير ألف. وهذا من الميثاق الذي أخذ عليهم بأن يفادوا الأسارى ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ هذا انصرف إلى ما سبق ذكره من الإخراج. فكأنه يقول: وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم وهو محرم عليكم إخراجهم. [يعني ذلك الإخراج كان محرماً، ثم بين الإخراج مرة أخرى لتراخي الكلام فقال وهو محرم عليكم إخراجهم. ثم قال][4] ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ لأنهم كانوا إذا أسروا من غيرهم قتلوا الأسرى ولا يفادوهم، وإن أسر منهم أحد يأخذوهم بالفداء فهذا معنى قوله ـ تعالى ـ ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي عقوبة من يفعل ذلك منكم خزي في الحياة الدنيا وهو إخراج بني النضير إلى الشام وقتل بني قريظة، وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم. ثم أخبر بأن الذي أصابهم في الدنيا من الخزي والعقوبة لم يكن كفارة لذنوبهم (و) لكنهم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ﴾ أي في الآخرة﴿إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ ويقال: الخزي في الدنيا الجزية. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي لا يخفى على الله تعالى من أعمالهم شيء فيجازون بأعمالهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ [يعني اختاروا الدنيا على الآخرة][4] ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ أي ليس لهم مانع يمنعهم من [عذاب الله تعالى في الآخرة][5].

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي أعطينا موسى التوراة جملة واحدة ويقال: الألواح ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي أتبعنا وأردفنا معناه: أرسلنا رسولاً على أثر رسول. يقال: قفوت الرجل إذا ذهبت في أثره[6]. ﴿وَآتَيْنَا﴾ أي أعطينا ﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي الآيات والعلامات مثل: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ قرأ ابن كثير (القدس) بسكون الدال وقرأ الباقون (القدس) برفع الدال[7] ومعناهما واحد. أي إغاثة بجبريل حين أرادوا قتله فرفعه إلى السماء. وقال بعضهم: أيدناه أي قويناه وأعناه باسم

---

(١) فيه خمس قراءات، هاتان المذكورتان والثالثة قراءة أبي حيوة «تظاهرون» بضم التاء وكسر الهاء، والرابعة: قراءة مجاهد وقتادة باختلاف عنهما «تظهرون» بفتح التاء والظاء والهاء مشددين دون ألف ورويت عن أبي عمرو، الخامسة: قرأ بعضهم تتظاهرون على الأصل.

قال أبو حيان: فهذه قراءات ومعناها كلها التعاون والتناصر. البحر المحيط ١/٢٩١.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من أ.

(٣) ما بين المعقوفتين من ظ.

(٤) ما بين المعقوفتين من ظ.

(٥) في ظ العذاب.

(٦) اللسان: قفا.

(٧) راجع البحر المحيط ١/٢٩٩ وأضاف «وقرأ أبو حيوة القدوس بواو».

الله الأعظم الذي كان يحيي به الموتى. ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾[1] يقول: بما لا يوافق هواكم ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾[2] تعظمتم عن الإيمان. قال الزجاج: معناه أنفتم أن تكونوا له أتباعاً لأنهم كانت لهم رياسة وكانوا متبوعين فلم يؤمنوا مخافة أن تذهب عنهم الرياسة. فقال تعالى ﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ﴾ مثل عيسى ابن مريم ومحمد ـ صلى الله عليهم وعلى جميع الأنبياء وسلم ـ ﴿وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ مثل يحيى وزكريا عليهما السلام.

وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلُفٌ﴾ قرأ ابن عباس (غلفٌ) بضم اللام وهي قراءة شاذة. والباقون[3] بسكون اللام أي ذو (غلْف) يعني ذو غلاف، والواحد أغلف مثل: أحمر وحمر. ومعناه: أنهم يقولون قلوبنا في غطاء. من قولك ولا نفقه حديثك وهذا كما قال في آية أخرى (وقالوا قلوبنا في أكنة) وأما من قرأ (غلُف)[4] فهو جماعة الغلاف على ميزان حمار وحمر. يعنون أن قلوبنا أوعية لكل علم ولا نفقه حديثك، فلو كنت نبياً لفهمنا قولك. قال الله تعالى رداً لقولهم ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي خذلهم الله وطردهم مجازاة لكفرهم ﴿فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾ صار نصباً لأنه قدم المفعول. وقال بعضهم: معناه لا يؤمنون إلا القليل منهم: مثل عبد الله بن سلام وأصحابه. وقال بعضهم: إيمانهم بالله قليلاً لأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض. وقال بعضهم: معناه أنهم لا يؤمنون كما قال: فلان قليل الخير يعني لا خير فيه. ثم قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي حين جاءهم القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ أي موافقاً للتوراة في التوحيد، وفي بعض الشرائع. ويقال: مصدق لما معهم، يعني يدعوهم إلى تصديق ما معهم، لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بالتوراة ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي من قبل مجيء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا يستنصرون على المشركين لأن بني قريظة والنضير، قد وجدوا نعته في كتبهم فخرجوا من الشام إلى المدينة، ونزلوا بقربها ينتظرون خروجه. وكانوا إذا قاتلوا من يلونهم من المشركين مشركي العرب يستفتحون عليهم، أي يستنصرون ويقولون: اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك وبكتابك الذي تنزل عليه الذي وعدتنا ـ وكانوا يرجون أن يكون منهم ـ فينصروا على عدوهم فذلك قوله تعالى ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ أي باسم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ أي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعرفوه ﴿كَفَرُواْ بِهِ﴾ وغيروا نعته مخافة أن تزول عنهم منفعة الدنيا. كما قال تعالى ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ﴾ أي سخط الله وعذابه على الجاحدين محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ قال الكلبي: بئسما باعوا به أنفسهم من الهدايا بكتمان صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ. ويقال: بئسما صنعوا بأنفسهم حيث كفروا بما أنزل الله عليهم بعد ما كانوا خرجوا من الشام على أن ينصروا محمداً ـ صلى الله عليه

(١) في أ «أنفسكم العذاب».
(٢) ساقطة من أ.
(٣) انظر البحر المحيط ١/٣٠١.
(٤) بالضم.

وسلم ـ ويقال بئس ما صنعوا بأنفسهم حيث حسدا منهم فذلك قوله تعالى ﴿أَنْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنْزَلَ ٱللَّهُ بَغْياً﴾ أي حسداً منهم. ومعنى قوله ﴿أَنْ يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ أي كفروا مما ينزل الله. ﴿مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ﴾ أي لم يؤمنوا لأجل أن الله تعالى ينزل من فضله النبوة والكتاب على من يشاء ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ من كان أهلاً لذلك وهو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ [قرأ ابن كثير وأبو عمرو (أن ينزل الله) بالتخفيف، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر بالتشديد أن ينزل، ونزل ينزل بمعنى واحد][1] ﴿فَبَآؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ أي استوجبوا اللعنة على أثر اللعنة. قال مقاتل: الغضب الأول حين كفروا بعيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم استوجبوا الغضب الآخر حين كفروا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ. ويقال: الغضب الأول حين عبدوا العجل والغضب الثاني حين استحلوا السمك في يوم السبت[2].

قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي يهانون فيه.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ﴾ أيّ صدقوا بالقرآن الذي أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم يهود أهل المدينة ومن حولها. ﴿قَالُوْا: نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ في التوراة وبموسى عليه السلام ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ﴾ يعني بما سواه وهو القرآن ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ﴾، أي القرآن هو الصدق، وهو منزل من الله تعالى موافق لما معهم، يعني أنهم إذا جحدوا بالقرآن صار جحوداً لما معهم لأنهم جحدوا بما هو مصدق لما معهم فقالوا له: إنك لم تأتنا بمثل الذي أتانا به أنبياؤنا، ولم يكن لنا نبي إلا كان يأتينا بقربان تأكله النار. قال الله تعالى ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ ٱللَّهِ مِنَ قَبْلُ﴾ وقد جاؤوا بالقربان والبينات أي بالعلامات ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مصدقين بالأنبياء. فهذا اللفظ للمستأنف وهو قوله (فلم تقتلون) ولكن المراد منه الماضي وإنما خاطبهم وأراد به آباءهم. وفي الآية دليل: أن من رضي بالمعصية فكأنه فاعل لها، لأنهم كانوا راضين بقتل آباءهم الأنبياء[3] فسماهم الله تعالى قاتلين. وفي الآية دليل: أن من ادعى أنه مؤمن ينبغي أن تكون أفعاله مصدقة لقوله، لأنهم كانوا يدعون أنهم مؤمنون بما معهم. قال الله تعالى ﴿فلم تقتلون أنبياء الله﴾ يعني أي كتاب (يجوز)[4] قتل نبي من الأنبياء عليهم السلام وأي دين وإيمان جوز فيه ذلك يعني قتل الأنبياء.

وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ مُوسَى بِٱلْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالآيات والعلامات. ويقال: بالحلال والحرام والحدود والفرائض. ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُم ٱلعِجْلَ من بَعْدِهِ﴾ أي عبدتم العجل ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ يعني بعد انطلاق موسى إلى الجبل ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي كافرون بعبادتكم العجل.

---

(١) ما بين المعقوفتين من أ.

(٢) في ظ السبت.

(٣) من ظ.

(٤) في ظ «جوز فيه».

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أي بجد ومواظبة [في طاعة الله تعالى][(١)] ﴿وَٱسْمَعُوا﴾ أي قيل لهم اسمعوا ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال في رواية الكلبي: قالوا: سمعنا قولك وعصينا أمرك ولولا مخافة الجبل ما قبلنا. ويقال: إنهم يقولون في الظاهر سمعنا، ويضمرون في أنفسهم وعصينا أمرك. ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي جعل حلاوة عبادة العجل في قلوبهم مجازاة لكفرهم. ويقال: حب عبادة العجل فحذف الحب، وأقيم العجل مقامه، ومثل هذا يجري في كلام العرب. كما قال في آية أخرى (واسأل القرية): أي أهل القرية ثم قال تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ أي بئس الإيمان الذي يأمركم بالكفر. وقال مقاتل: معناه إن كان حب عبادة العجل في قلوبكم يعدل حب عبادة خالقكم فبئس ما يأمركم به إيمانكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ كما تزعمون.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ أي الجنة. وذلك أن اليهود كانوا يقولون: إن الجنة لنا خاصة من دون سائر الناس. قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لهم إن كان الأمر كما يقولون أن الجنة لكم خالصة خاصة. ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ أي سلوا الله الموت[(٢)] ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن الجنة لكم فقال لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم: قولوا إن كنتم صادقين: اللهم أمتنا، فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه[(٣)]، يعني يموت مكانه، فأبوا أن يقولوا ذلك، فنزل قوله تعالى ﴿وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [يعني بما عملوا من المعاصي. قال الزجاج: في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه قال لهم: فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبداً فلم يتمنه واحد منهم][(٤)]. [وفي هذه الآية دليل أن «لن» لا تدل على التأبيد لأنهم يتمنون الموت في الآخرة خلافاً لقوله المعتزلة في قولهم لن تراني][(٥)] ويقال: إن قوله (لن) إنما يقع على الحياة الدنيا خاصة، ولم يقع على الآخرة لأنهم يتمنون الموت في النار إذا كانوا[(٦)] في

---

(١) ساقطة من ظ.

(٢) في أ «يعني الموت بما عملوا من المعاصي وقال الزجاج: في هذه الآية أعظم حجة وأشهر دلالة على صحة رسالة النبي لأنه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبداً فلم يتمنه واحد منهم.

(٣) عزاه السيوطي للبيهقي في الدلائل كما في الدر المنثور.

(٤) ما بين المعقوفين من ظ.

(٥) مؤخر في ظ إلى ما بعد قوله «إذا كانوا في جهنم».

(٦) في أ «صاروا».

جهنم ولو أنهم سألوا الموت في الدنيا ولم يموتوا، وكان (في)[1] ذلك تكذيباً لقول النبي صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك أيضاً ذهاب معجزته. فلما لم يتمنوا الموت ثبت بذلك عندهم أنه رسول الله وظهر عندهم معجزته، وظهر أن الأمر كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ﴾ فهو عليم بهم وبغيرهم من الظالمين وإنما الفائدة ههنا أنه عليم بمجازاتهم.

ثم قال عز وجل ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ يعني أن اليهود أحرص الناس على البقاء ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني أحرص من الذين أشركوا. قال الكلبي: الذين أشركوا يعني المجوس. وقال مقاتل: أحرص الناس على حياة، وأحرص من الذين أشركوا يعني مشركي العرب. فإن قيل: كيف يصح تفسير الكلبي والمجوس لا يسمون مشركين؟ قيل له: المجوس مشركون في الحقيقة، لأنهم قالوا بإلهين اثنين: النور والظلمة: قوله تعالى ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ (يعني المجوس) يقولون لملوكهم في تحيتهم: عش عشرة آلاف سنة وكل ألف نيروز. وقال مقاتل: يود أحدهم يعني اليهود ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ثم قال ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ يعني طول حياته لا يبعده ولا يمنعه من العذاب وإن عاش ألف سنة كما تمنى ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي عالم بمجازاتهم بأعمالهم.

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّه نَزَّلَهُ﴾ وذلك أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال لليهود: ما لكم لا تؤمنون بمحمد - صلى الله عليه وسلم - قالوا: لأن جبريل هو الذي ينزل عليه بالوحي، فلو نزل عليه ميكائيل بالوحي لآمنا به، لأن ميكائيل ملك الرحمة وجبريل ملك العذاب. وهو عدونا فأطلع محمداً على سرنا، فنزلت هذه الآية. ويقال: إنهم يقولون: إن النبوة كانت فينا فجبريل صرف النبوة عنا إلى غيرنا لعداوته معنا فنزلت هذه الآية (قل من كان عدواً لجبريل) قال بعضهم: في الآية مضمر، ومعناه: قل من كان عدواً لجبريل ويبغضه[2] جبريل هو الذي ﴿نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ ينزل بالقرآن فيقرأه عليك فتحفظه [في قلبك][3] ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من التوراة. ويقال: هذا على وجه الترغيم، فكأنه يقول: قل من كان عدواً لجبريل فإن جبريل هو الذي ينزل عليك رغماً لهم بهذا القرآن عليك ليثبت به فؤادك ﴿وَهُدًى﴾ وهذا القرآن هدى من الضلالة ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي لمن آمن به من المؤمنين ﴿مَن كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ﴾ معناه من كان عدواً لجبريل فإنه عدو الله ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يعني اليهود. ويقال: إن عبد الله بن صوريا هو الذي قال لعمر: إن جبريل عدونا لأنه ينزل بالشدة والخوف، وميكائيل ينزل بالرخاء فنزلت هذه الآية (من كان عدواً لله إلى آخره) قرأ حمزة وعاصم والكسائي في رواية أبي بكر (جبرئيل) بفتح الجيم والراء والهمزة (وميكائيل) بالياء مع الهمزة. وقرأ نافع (جبريل) بكسر الجيم والراء بغير همزة (ومكال) بالهمزة بغير ياء[4]. وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية حفص بغير همزة بكسر

---

(١) من أ.

(٢) في ظ «فلا يبغضه».

(٣) في أ «على قلبك».

(٤) حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٠٧.

الجيم والراء ميكال بغير همز وياء وقرأ ابن كثير جبريل بنصب الجيم بغير همزة وميكايل بهمز مع الياء وقرأ ابن عامر جبريل بكسر الجيم مثل قراءة نافع (وميكائيل) بالياء مع المد والهمز مثل حمزة[1] وإنما لا ينصرف لأنه اسم أعجمي، فوقع ذلك في لسان العرب واختلفوا فيه لاختلاف ألفاظهم ولغاتهم. ويقال إن (جبريل) و (ميكائيل) معناه عبد الله وعبد الرحمن أي بلغتهم سوى[2] العربية.

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾

ثم قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آياتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي واضحات. ويقال: مبينات للحلال والحرام. ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إلا الفاسقون﴾ يعني وما يجحد بالآيات إلَّا الكَافِرُونَ وَٱلْفَاسِقُونَ واليهود ومشركو العرب.

أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً﴾ وهو العهد الذي بين لهم في التوراة ويوم الميثاق ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ أي تركه ولم يعمل به فريق منهم، أي طائفة منهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقد ذكرناه. ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ أي يدعوهم إلى تصديق ما معهم ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ﴾، أي طرح فريق ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ كِتَابَ ٱللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يؤمنوا به ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في كتابهم بأن محمداً رسول الله.

وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُو ٱلشَّيَاطِينُ﴾ أي ما كتبت الشياطين. ويقال: ما ألقت الشياطين. ويقال ما افتعلته الشياطين ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أي على عهد ملك سليمان. ويقال: على بمعنى في، أي في ملك سليمان. ويقال: في وقت ذهاب ملك سليمان. ويقال: هذا منسوق على الأول. فكأنّه قال: نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلو الشياطين. أي تركوا سنة أنبياء الله واتبعوا السحر. ويقال: تركوا شيئين واتبعوا شيئين: تركوا اتباع الكتب واتباع

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٨

(٢) في أ «غير لغة».

الرسل والعمل بذلك، واتبعوا ما تتلـو الشياطين أي ترويه الشياطين (وما أنزل على الملكين) ببابل هاروت وماروت واختلفوا في سبب ذلك. فقال بعضهم إن سليمان عليه السلام أمر بأن لا يتزوج المرأة من غير بني إسرائيل فتزوج امرأة من غير بني إسرائيل يقال لها: ضبنة بنت صابورا، فعاقبه الله تعالى بأن أجلس مكانه شيطاناً وكان الناس يظنون أنه سليمان وأشكل عليهم أمره فجاؤوا إلى آصف بن برخيا وكان معلم سليمان بن داود في حال صغره وكان وزيره في حال كبره وملكه فقالوا له: إن قضاياه لا تشبه قضايا سليمان فقال آصف ودخل على نساء سليمان فسألهن عن ذلك فقلن: إن كان هذا سليمان فقد هلكتم والله ما يعتزل منا حائضاً، وما يغتسل من جنابة. هكذا ذكر في رواية الكلبي [(١)]. وقال بعضهم: هذا خطأ لأن نساء الأنبياء معافات معصومات عن الفواحش، فلا يجوز أن يظن بهن أن الشيطان يقربهن. وقال بعضهم: كان هذا على وجه الخيال لا على وجه الحقيقة لأن الشيطان روحاني وليس له جسم، فلا يجوز أن تقع بينه وبين آدمي شهوة ولكن كان يريهن ذلك على وجه الخيال فلما عرف الشيطان أن الناس علموا بحاله كتب سحراً كثيراً وجعله تحت كرسيه وألقى خاتم سليمان في البحر وهرب، وكان سليمان عليه السلام خرج إلى ساحل البحر وأجر نفسه للملاحين كل يوم بسمكتين فلما أعطوه أجره باع إحداهما واشترى به الخبز وشق بطن الأخرى فوجد الخاتم في بطنها فرجع إلى ملكه ـ فلما توفي سليمان جاء الشيطان على صورة آدمي وقال: إن أردتم أن تعلموا علم سليمان بن داود عليهما السلام فانظروا تحت كرسيه [فنظروا وحفروا][(٢)] ذلك الموضع

(١) هذه الرواية وغيرها من الروايات التي ذكرت في فتنة سيدنا سليمان النبي لم ترد في القرآن الكريم أو في السنّة الصحيحة بل كل ذلك مروي عمن اشتهر بمثل تلك التفاصيل الدخيلة وهو «وهب بن منبه» والسدي فضلاً عما فيها من تناقضات ومخالفات تدل على عدم صحتها، ومن هنا فإننا لا نسلم بها بل نكررها ونبطلها.

يقول الإمام الفخر الرازي: واعلم أن أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه:

الأول: أن الشيطان لو قدر على أن يشتبه بالصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذٍ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع، فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس في صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل الإغراء والإضلال، ومعلوم أن ذلك يبطل الدين بالكلية.

الثاني: أن الشيطان لو قدر على أن يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدره على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذٍ وجب أن يقتلهم وأن يخرب ديارهم، ولما بطل ذلك في حق آحاد الناس فلأن يبطل مثله في حق أكابر الأنبياء أولى.

الثالث: كيف يليق بحكمة الله وسلطانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان؟ ولا شك أنه قبيح. تفسير الفخر الرازي ٢٦/ ٢٠٨.

ويقول الشيخ أبو شهبة: ونحن لا نشك في أن الخرافات من أكاذيب بني إسرائيل وأباطيلهم وأن ابن عباس وغيره تلقوها عن مسلمة أهل الكتاب لكن بعض الكذبة من بني إسرائيل كان أحرص وأبعد غوراً من البعض الآخر فلم يتورط فيما تورط فيه البعض من ذكر تسلط الشيطان على نساء سليمان عليه السلام، وذلك حتى يكون لما لفقه وافتراه بعض القبول عند الناس، أما عند البعض الآخر فكان ساذجاً في كذبه مغفلاً في تلفيقه فترك آثار الجريمة بينة واضحة، وبذلك اشتمل ما لفقه على دليل كذبه، والحق أن نسج القصة مهلهل عليه أثر الصنعة والاختلاف ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح في هذا وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله سليمان عليه السلام فأي ثقة بالشرائع بعد هذا؟ وكيف يسلط الله الشيطان على نساء نبيه وهو أكرم على الله من ذلك؟ وأي ملك أو نبوة يتوقف أمرها على خاتم يدومان بدوامه ويزولان بزواله؟ وما عهدنا في التاريخ البشري شيئاً من ذلك. وإذا كان خاتم سليمان عليه السلام بهذه المثابة فكيف يفعل الله شأنه؟ في كتابه الشاهد على الكتب السماوية ولم يذكره بكلمة؟ وهل غير الله خلقة سليمان في لحظة حتى أنكرته أعرف الناس به وهي زوجاته؟؟

الحق أن نسج هذه القصة وما شابهها من القصص اللواحق لها مهلهل لا يصمد أمام النقد وإن آثار الكذب والاختلاق بادية عليها.

انظر الإسرائيليات والموضوعات للشيخ أبو شهبة ص ٣٨٠ ـ ٣٨٣ بتصرف.

(٢) في ظ «فحفروا».

[وأخرجوا][(١)] كتباً كثيرة فوجدوا فيها السحر والكفر فقال العلماء منهم: لا يجوز أن يكون هذا من علم سليمان. وقال السفهاء منهم: بل هذا من علم سليمان واتبعوه فنزلت هذه الآية على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى جميع الأنبياء عذراً لسليمان عليه السلام ثم قال تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان﴾ أي ما كان ساحراً وفي الآية دليل أن الساحر كافر لأنه سمى السحر كفراً[(٢)]. وروي عن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى جزء بن معاوية وهو عم الأحنف بن قيس أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. ثم قال تعالى: ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ أي هم الذين كتبوا السحر. قرأ حمزة والكسائي[(٣)] (ولكن الشياطين) بكسر النون من غير تشديد ورفع (الشياطين) وقرأ الباقون[(٤)] بتشديد النون مع النصب وبفتح النون في (الشياطين) وهذا هو الأصل في اللغة أن كلمتي إن ولكن إذا كانا مشددين ينصب ما بعدهما وإن لم يكونا مشددين يرفع ما بعدهما. وقال بعضهم لنزول هذه الآية سبب آخر وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ويعلمون الناس السحر والنيرنجات[(٥)]، فكان سليمان يأخذ ذلك منهم ويدفنه تحت الأرض، فلما مات سليمان قالت الشياطين للناس إن علم سليمان مدفون في موضع كذا وكذا، فحفروا ذلك الموضع وأخرجوا منه كتباً كثيرة. وقال بعضهم: معناه أن سليمان كان إذا أصبح كل يوم رأى نباتاً بين يديه فيقول له: لأي دواء أنت؟ فيقول: إني دواء لكذا وكذا وإن اسمي كذا كذا فكان سليمان يكتب

---

(١) في ظ «فخرج منه».

(٢) اعلم أن السحر أنواع منها:

الأول: سحر الكلوانيين الذين كانوا في قديم الدهر قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها المدبرة لهذا العالم. ومنها: تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام لإبطال مقالتهم وهم ثلاث فرق: ففرقة منهم يزعمون أن الأفلاك والنجوم واجبة الوجود لذاتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بآلهية الأفلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلاً ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الأوثان وفرقة اثبتوا للأفلاك وللكواكب فاعلاً مختاراً لكنهم قالوا إنه أعطاها قوة عالية نافذة في العالم وفوض تدبيره إليها.

ثانياً: ومنها سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية فإنهم يزعمون أن الإنسان تبلغ روحه بالتصفية في القوة والتأثير إلى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والإحياء والإماتة وتغيير البنية والشكل.

ثالثاً: ومنها سحر من يستعين بالأرواح الأرضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن. ومنها: التخييلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة، ولا خلاف بين الأمة في أن من اعتقد الأول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية. وأما من اعتقد أن الإنسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى إلى حيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على أنه كافر لأنه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الأنبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق أن ذلك الإنسان إن كان خيراً متشرعاً في كل ما يأتي ويذر وكان من يستعين به من الأرواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لأحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما يظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لأحد فليس ذلك من قبيل السحر وإن كان شريراً غير متمسك بالشريعة الشريفة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضامن والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافراً قطعاً.

وأما الشعوذة وما يجري مجراها من إظهار الأمور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الأدوية والأحجار فاطلاق السحر بطريق التجوز أو لما فيها من الدقة لأنه في الأصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه أو من الصرف عن الجهة المعتادة لما أنه في أصل اللغة الصرف على ما حكاه الأزهري عن الفراء ويونس.

انظر تفسير أبو السعود ١/١٣٧ ـ ١٣٨، ومن أراد الاستزادة في ذلك فليرجع إلى تفاسير الفخر الرازي ٣/٣١٤ وما بعدها والقرطبي ٢/٤٥ والألوسي ١/٣٣٩ وما بعدها وغير ذلك.

(٣) وكذلك ابن عامر.

(٤) انظر ابراز المعاني، والإتحاف.

(٥) قال الفيروزآبادي: النيرنج ـ بالكسر ـ أخذ كالسحر وليس به. ترتيب القاموس ٤/٤٦٨.

ذلك ويدفنه فنبت يوماً من الأيام نبات بين يديه فقال له سليمان: ما اسمك؟ فقال: خرنوب. فقال له: لأي دواء أنت؟ فقال: إني لخراب المسجد، فعلم سليمان أنه قد جاء أجله لأنه علم أن المسجد لا يخرب في حياته، وكان له صحيفة فيها يكتب أسماء الأدوية ويضعها في الخزانة فكتبت الشياطين سحراً ووضعوه في ذلك الموضع، فلما مات سليمان وجدوا ذلك في كتبه فاتبعه بعض الناس فذلك قوله ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ ثم قال ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ أي واتبعوا الذي أنزل على الملكين ﴿بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ وقال القاضي الخليل بن أحمد قال حدثنا الماسرجي[١]، فقال: حدثنا إسحاق[٢] قال: حدثنا حكام بن سلم الرازي[٣] قال: حدثنا أبو جعفر الرازي[٤] عن الربيع بن أنس[٥] عن قيس بن عباد عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى (وما أنزل على الملكين) قال: إن الناس بعد آدم وقعوا في الشرك واتخذوا هذه الأصنام وعبدوا غير الله تعالى فجعلت الملائكة يدعون عليهم، ويقولون: ربنا خلقت عبادك فأحسنت خلقهم ورزقتهم فأحسنت رزقهم فعصوك وعبدوا غيرك فقال لهم الرب عز وجل: إنهم في عذر. وقيل: في عيب، فجعلوا لا يعذرونهم ولا يقبلون ويدعون عليهم. فقال لهم الرب: اختاروا منكم اثنين فأهبطهما إلى الأرض فآمرهما وأنهاهما فاختاروا هاروت وماروت فأهبطهما الله تعالى إلى الأرض فأمرهما ونهاهما عن الزنا وقتل النفس وشرب الخمر، فمكثا زماناً في الأرض يحكمان بالحق، وكان في ذلك الزمان امرأة فضلت بالحسن على سائر النساء فأتيا عليها فخضعا لها بالقول وراوداها عن نفسها فقالت: لا حتى تصليا لهذا الصنم أو تقتلا هذه النفس أو تشربا هذه الخمر فقالا: أهون الثلاثة شرب الخمر [فلما شربا][٦] الخمر سجدا للصنم وفعلا بالمرأة وقتلا النفس فكشف الغطاء فيما بينهما وبين الملائكة، فنظروا إليهما وما يفعلان، فجعلت الملائكة يعذرون بني آدم أهل الأرض ويستغفرون لمن فيها)[٧] فقيل لهاروت وماروت: اختارا إما عذاب الدنيا وإما عذاب الآخرة. فقالا: عذاب الدنيا يذهب وينقطع وعذاب الآخرة لا انقطاع له [ثم اختاروا][٨] عذاب الدنيا. فهما يعذبان إلى يوم القيامة. وروي في الخبر أن المرأة تعلمت منهما اسم الله الأعظم فصعدت به إلى السماء فمسخها الله تعالى كوكباً. ويقال: هو الكوكب الذي يقال له الزهرة. وروي عن ابن عمر ـ أنه كان إذا نظر إلى الزهرة لعنها ويقول: هي التي فتنت هاروت وماروت. وروي عن علي رضي الله عنه هذا[٩]. وقال بعضهم: هذا لا يصح لأن هذا الكوكب قد كان خلقه في الأصل حين خلق النجوم وجعل مقادير الأشياء على سبع من الكواكب وجعل لكل كوكب سلطاناً وجعل سلطان الزهرة الرطوبة. وقال بعضهم: إن كوكب الزهرة قد كان، ولكن الله تعالى مسخ هذه المرأة على شبه الكوكب فهي تعذب هناك. وقال بعضهم: قد صارت إلى النار كما أن سائر الأشياء التي مسخت لم يبق منها أثر[١٠] فذلك قوله تعالى ﴿وما أنزل على

---

(١) الحسن بن عيسى بن ماسرجس، أبو علي النيسابوري، مولى ابن المبارك توفي سنة ٢٤٠ هـ تهذيب التهذيب ٢/٣١٣.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بابن راهويه المروزي، روى عنه الجماعة سوى ابن ماجه. تهذيب التهذيب ١/٢١٦.

(٣) حكام بن سلم، أبو عبد الرحمن الرازي الكناني، ثقة له غرائب. التقريب ١/١٨٩ ـ ١٩٠.

(٤) عيسى بن أبي عيسى، كان عالماً بتفسير القرآن، ثقة. تهذيب التهذيب ١٢/٥٦.

(٥) الربيع بن انس الخراساني البكري سكن خراسان، صدوق ثقة. تهذيب التهذيب ٣/٢٣٨.

(٦) في ظ [فشربا]. (٧) في ظ [في الأرض]. (٨) في أ [ثم اختارا].

(٩) أخرجه الحاكم من حديث علي ٢/٢٢٦ ونسبه السيوطي لابن مردويه من حديث علي ١/٩٧.

(١٠) هذه الآثار وغيرها التي بلغت طرقها نيفاً وعشرين أنكرها جماعة من العلماء منهم القاضي عياض، الذي ذكر أن ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت ولم يرد منه شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس هو شيئاً يؤخذ بالقياس، وذكر في البحر أن جميع ذلك لا يصح منه شيء ولم يصح أن ابن عمر كان يلعن الزهرة خلافاً لمن رواه. =

الملكين﴾، [يعني اليهود اتبعوا ما أنزل على الملكين][1] ببابل هاروت وماروت. ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى﴾ قال بعضهم: هذا الحرف أعني (ما) للنفي فكأنه يقول: ولم ينزل على الملكين السحر. وقال بعضهم: إن إبليس[2] لعنه الله قد جاء بالسحر ووضعه عند أقدامهما، وهما معلقان بالسلة فتذهب اليهود تتعلم السحر من تلك الكتب والملكين ﴿يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي فلا تتعلم السحر لأنه لا يجوز للملكين أن يعلما[3] الكفر. وقال بعضهم: ويبينان أن عمل السحر كفر وينهيان عن التعلم ويبينان كيفية السحر وهو بمنزلة رجل قال لآخر: علمني ما الزنا أو علمني ما السرقة فيقول: إن الزنا كذا وكذا، وهو حرام فلا تفعل وإن السرقة كذا وكذا هي حرام فلا تفعل. كذلك ههنا. الملكان يقولان: السحر كذا وكذا، وهو كفر فلا تكفر. وقرأ بعضهم[4] (وما أنزل على الملكين) بكسر اللام وهي قراءة شاذة، يعني كانا ملكين في بني إسرائيل فمسخهما الله تعالى. وقوله (إنما نحن فتنة) أي اختبار وابتلاء. وأصل الفتنة الاختبار قوله ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ أي من الملكين (مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ أي فيتعلمون منهما من السحر ما يفرقون به بين الرجل وزوجته، يؤخذ الرجل عن المرأة حتى لا يقدر على الجماع. ثم قال تعالى ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بإرادة الله تعالى ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [أي ما يضر في الدنيا ولا ينفعهم في الآخرة، يعني السحر][5] ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ يعني اليهود علموا في التوراة أن من اختار السحر ما له في الآخرة من خلاق يعني نصيب. والخلاق في اللغة[6]: هو النصيب الوافر. ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي باعوا به يعني بئسما باعوا به أنفسهم ويقال: بئس ما اختاروا لأنفسهم السحر على كتاب الله تعالى وسنن أنبيائه لو كانوا يعلمون، ولكنهم لا يعلمون. فإن قيل: ذكر في الآية الأولى (ولقد علموا لمن اشتراه) وفي هذه الآية يقول: (لو كانوا يعلمون) فمرة يقول: يعلمون، ومرة يقول: لا يعلمون. فالجواب: أن يقال: إنهم يعلمون ولكن لا منفعة لهم في علمهم، وكل عالم لا يعمل بعلمه فليس بعالم لأنه يتعلم العلم لكي ينتفع به فإذا لم ينتفع به فكأنه لم يتعلم، فكذلك ها هنا (لو كانوا يعلمون) [لو كانوا يعرفون][7] للعلم حقه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَٱتَّقَوْا﴾ يعني اليهود لو صدقوا بثواب الله واتقوا السحر ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ يعني كان

= وقال الإمام الرازي بعد أن ذكر الراوية في ذلك ـ: إن هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة، ونص الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر بالله تعالى العظيم فإن الملائكة معصومون «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون «يسبحون الليل والنهار لا يفترون» والزهرة كانت يوم خلق الله تعالى السماوات والأرض، والقول بأنها تمثلت لهما فكان له ما كان وردت إلى مكانها غير معقول ولا مقبول. هذا والله أعلم انظر تفسير الألوسي ١/٢٤١. والفخر الرازي ٣/٢١٩ ـ ٢٢٠.

(١) ما بين المعقوفين سقط من أ.

(٢) هذا القول كذلك مردود وغير مقبول ولا أساس له من الصحة لأنه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا فيما تناقلته الأخبار الصحيحة ما يدل على صدقه والله أعلم.

(٣) في أ [يتعلما].

(٤) ابن عباس والحسن وأبو الأسود الدؤلي والضحاك وابن أبزى. انظر البحر المحيط ١/٣٢٩.

(٥) ما بين المعقوفين من ظ.

(٦) قال ابن منظور: الخلاق: الحظ والنصيب من الخير والصلاح والخلاق: الدين.

(٧) في ظ [لكانوا يوفون].

ثواب الله تعالى خيراً لهم من السحر والمثوبة والثواب بمعنى واحد[١] وهو الجزاء على العمل وكذلك الأجر ﴿لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهذا نداء المدح، يقول (يا أيها الذين آمنوا) صدقوا بتوحيد الله تعالى وبمحمد ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ وذلك أن المسلمين كانوا يأتون رسول الله ـ عليه السلام ـ ويقولون: يارسول الله راعنا، وهو بلغة العرب: أرعنى سمعك. وأصله في اللغة: راعيت الرجل إذا تأملته وتعرفت أحواله. وكان هذا اللفظ بلغة اليهود سباً لرعونـة[٢]. فلما سمعت اليهود ذلك من المسلمين أعجبهم ذلك وقالوا فيما بينهم: كنا نسب محمد سراً فالآن نسبه علانية، فكانوا يأتونه ويقولون له: راعنا يا محمد، ويريدون به السب[٣]. وقال بعضهم: كان في لغتهم معناه إسمع لا سمعت، فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) نهى المسلمين أن لا يقولوا: بهذا اللفظ، وأمرهم أن يقولوا بلفظ أحسن منه. قال الله تعالى ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به. ثم ذكر الوعيد للكفار فقال تعالى ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني اليهود. وقرأ الحسن[٤] (راعناً) بالتنوين[٥]. وقـال القتبي: من قرأ (راعناً) بالتنوين جعله اسماً منه. مثاله: أن تقول: لا تقولوا حمقاً.

مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني يهود أهل المدينة ونصارى أهـل نجران ﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ يعني مشركي العرب ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني أن ينزل على رسولكم من الوحي وشرائع الإسلام لأنهم كانوا كفاراً، فيحبون أن يكون الناس كلهم كفاراً مثلهم. وهذا كما قال في آية أخرى (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) فأخبر الله تعالى أن الأمر ليس على مرادهم حيث قال ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي يختار للنبوة من يشاء من كان أهلاً لذلك ويكرم بدينه الإسلام من يشاء ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي ذو المن العظيم لمن اختصه بالنبوة والإسلام. وقال مقاتل: كان قوم من الأنصار يدعون حلفاءهم ومواليهم من اليهود إلى الإسلام. فقالوا للمسلمين: [إن الذين تدعوننا][٦] إليه[٧] هو خير مما نحن فيه[٨] وعليه[٩] وددنا لو أنكم على هذا فنزل قوله (والله يختص برحمته من يشاء) أي بدينه ـ الإسلام ـ من يشاء. ونظيرهما في سورة هل أتى (يـدخـل من يشاء في رحمته). أي في دين الإسلام.

مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾

ثم قال تعالى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أو نُنسِهَا﴾ قرأ ابن عامر (ما نُنْسِخْ) برفع النون وكسر السين وقرأ الباقون (ما نَنْسَخ) بالنصـب ومعناهما واحد[١٠]. وقرأ أبو عمرو وابن كثير (أو ننسأها) بنصب النون والسين والهمزة، وقرأ الباقون

---

(١) في اللسان: وأعطاه ثوابه ومَثُوبته ومَثْوبته أي جزاء ما عمله. مادة: ثوب.

(٢) في أ [يرعونه].

(٣) اللسان: رعن.

(٤) وابن أبي ليلى وأبو حيوة وابن محيصن.

(٥) في مصحف عبد الله وقراءته أبي «راعونا» على اسناد الفعل لضمير الجمع، وذكر أيضاً أن في مصحف عبد الله «ارعونا» خاطبوه بذلك اكباراً وتعظيماً إذا قاموا مقام الجمع. البحر المحيط ٣٣٨/١.

(٦) في أ [ما تدعون].

(٧) من ظ.

(٨) من ظ.

(٩) من أ.

(١٠) انظر/ الإتحاف، وحجة القراءات لابن زنجيلة ١٠٩ والبحر المحيط ٣٤٢/١.

(أو نُنْسِهَا) برفع النون وكسر السين بغير همز[(١)]. فمن قرأ (ننسأها) أي نؤخرها، ومنه النسيئة في البيع وهو التأخير. ومن قرأ (ننسها) أي نتركها مثل قوله تعالى (نسوا الله فنسيهم) أي تركهم في النار وقال ابن عباس ـ في رواية أبي صالح في قوله تعالى [(ما ننسخ من آية أو ننسها) يقول][(٢)] ما ننسخ من آية فلا نعمل بها (أو ننسها)[(٣)] ندعها غير منسوخة [والنسخ رفع الشيء وإقامة غيره مقامه وفي الشرع رفع كل حكم قبل فعله أو بعده إذا كان مؤقتاً ثم قال تعالى][(٤)] ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ يعني أهون وألين منها على الناس ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ في المنفعة. وقال الزجاج: النسخ في اللغة[(٥)]،

---

(١) حجة القراءات ١٠٩، البحر المحيط ٣٤٣/١. وأضاف أبو حيان: وقرأ سعد بن أبي وقاص تنساها «بتاء ونون من غير همز».

(٢) ما بين المعقوفين من أ. (٣) في أ (ننسيها). (٤) ما بين المعقوفين من أ.

(٥) يطلق النسخ في اللغة على معنين: الأول: الإزالة أي الإعدام وهذا المعنى قسمان:

أ ـ إبطال الشيء وزواله وإقامة آخر مقامه فيقال: نسخت الشمس الظل إذا أزالته وحلت مكانه وهذا على حد قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾.

ب ـ إبطال الشيء وزواله دون أن يقوم آخر مقامه فيقال: نسخت الريح آثار القوم أي أزالتها وأعدمتها، ومن هذا قوله تعالى: ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾. أي يزيله فلا يبقي له أثراً.

الثاني: نقل الشيء وتحويله:

أ ـ من حال إلى حال مع بقائه كناسخ المواريث أي انتقالها من واحد إلى آخر مع بقاء المواريث في نفسها.

ب ـ أو من مكان إلى مكان آخر مع بقائه في نفيه تقول: نسخت النحل أي نقلته من خلية إلى أخرى.

ومن النسخ بمعنى النقل قوله تعالى ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ أي ننقله في صحف الملائكة.

وقد اختلف في أي المعنيين يكون لفظ النسخ حقيقة وفي أيهما يكون مجازاً على ثلاثة آراء:

الأول: أنه حقيقة في الإزالة مجاز في النقل وإليه ذهب أكثر الشافعية والإمام الرازي والغزالي في أحد النقول عنه، ودليلهم أن الإزالة عبارة عن مطلق الإعدام أي سواء حديث بعده أمراً ضر أم لا أما النقل فهو اعدام صفة وإحداث أخرى، فيكون أخص من الإزالة.

الثاني: أنه حقيقة في النقل مجاز في الإزالة وإلى ذلك ذهب القفال الشاشي ـ من الشافعية ـ وأكثر الحنفية ودليلهم أن لفظ النسخ كثر استعماله في النقل وقل في الإزالة فيكون حقيقة في النقل فقط مجازاً في الإزالة، ولا يكون حقيقة فيهما أيضاً لما يترتب على ذلك من لزوم الاشتراك اللفظي والأصل خلافه.

الثالث: أنه مشترك بينهما وإليه ذهب القاضي والغزالي في أحد النقول عنه، وهذا الاشتراك يحتمل أمرين:

الأول: أنه مشترك اشتراكاً لفظياً بحيث يكون موضوعاً لكل منهما بوضع خاص.

الثاني: أنه مشترك بينهما اشتراكاً معنوياً بحيث يكون موضوعاً للقدر المشترك بينهما وهو مطلق الرفع. وهذا أولى من الأول لأن الاصل عدم تعدد الوضع، ودليلهم أن النسخ في اللغة أطلق على كل من الإزالة والنقل والأصل في الإطلاق الحقيقة فيكون حقيقة فيهما ومهما كانت حقيقة النسخ في اللغة فإنه نزاع لفظي لا تتعلق به غرض أصولي.

تعريف النسخ اصطلاحاً: عرف العلماء النسخ بقولهم النسخ عبارة عن بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه، وقالوا أيضاً: هو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخ عنه، وإذا نظرنا إلى التعريفين ووجدنا الفارق بينهما يتحقق في كلمة رفع في أحدهما وكلمة بيان في الآخر مع اتفاقهما في باقي القيود ولعل الملاحظ في هذا الفارق أن النسخ فيه جهتان:

إحداهما: بالنسبة إلى الله فمن راعى هذه الجهة عبر بالبيان لأن النسخ في حقه تعالى بيان محض لانتهاء مدة الحكم الأول وليس فيه معنى الرفع لأنه كان معلوماً عند الله تعالى أنه ينتهي في وقت كذا بالناسخ فكان الناسخ بالنسبة لعلم الله مبيناً للمدة لا رافعاً لأن الرفع يقتضي الثبوت والبقاء لولاه والبقاء هنا بالنسبة إلى علم الله محال لأنه خلاف معلومه.

ثانيتهما: بالنسبة إلى البشر فمن راعى هذه الجهة عبر بالرفع لأنه زال ما كان ظاهر الثبوت وخلفه شيء آخر نوضح ما تقدم بالمثال =

هو إبطال شيء وإقامة شيء آخر مقامه، والعرب تقول: نسخت الشمس الظل إذا أزالته [١]. (أو ننسها)[٢] أي نتركها، بمعناه أي نأمركم بتركها. وقال أبو عبيد[٣] القاسم بن سلام[٤]: النسخ له ثلاثة مواضع ولكل منها شواهد ودلائل، فأحدها: ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: (ما ننسخ من آية) أي نبدلها ونوضحها، وما روي عن مجاهد أنه قال: نثبت خطها، ونبدل حكمها. فهذا هو المعروف عند الناس. الثاني: أن ترفع الآية المنسوخة بعد نزولها ولهذا دلائل جاءت فيه، من ذلك ما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ [أنه صلى][٥] ذات يوم صلاة الغداة، فترك آية، فلما فرغ من صلاته قال: هل فيكم أبي قالوا: نعم (قال: [٦] هل تركت من آية؟ قالوا: نعم] [٧] تركت آية كذا، أنسخت أم نسيت، قال: لا، ولكن نسيت[٨]. وجاءت الآثار في نحو هذا لأن الآية قد تنسخ بعد نزولها وترفع. والنسخ الثالث: تحويله من كتاب إلى كتاب، وهو ما نسخ من أم الكتاب فأنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أو ننساها)[٩] أي نتركها في اللوح المحفوظ[١٠]. وقال بعضهم: لا يجوز النسخ فيما يرفع كله بعد نزوله لأن الله تعالى قال (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقال (إن علينا جمعه وقرآنه) ولكن أكثر أهل العلم قالوا: يجوز ذلك والنسخ يجوز في الأمر والنهي والوعد والوعيد ولا يجوز في القصص والأخبار[١١] لأنه لو جاز ذلك يكون كذباً، والكذب في القرآن لا يجوز. ثم قال تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الناسخ والمنسوخ.

= فنقول: لم تكن الخمر في أول الإسلام محرمة وكان الله سبحانه وتعالى يعلم أنه سيحرمها علينا بعد مدة ولم يخبرنا سبحانه وتعالى بذلك بل أطلق حكم الإباحة فظننا نحن معاشر المسلمين بقاء هذا الإطلاق إلى يوم الدين، فلما جاء التحريم بعد ذلك كان رفعاً في حقنا للإباحة التي ظننا بقاءها وكان ذلك التحريم بالنسبة إلى الله تعالى بياناً لميعاد انتهاء الإباحة الذي كان في علمه، واتفق المسلمون وأهل الشرائع على جواز النسخ عقلاً ولم يخالف في ذلك من أرباب الشرائع إلا الشمعونية وهم فرقة من اليهود ويقولون: بامتناعه عقلاً وسمعاً، واتفق المسلمون على وقوعه أيضاً ولم يخالف في ذلك إلا أبو مسلم الأصفهاني على ما نقل وأهل الشرائع سوى الشمعونية والعنانية ـ فرقتان من اليهود ـ تقولان بامتناعه. أما العيسوية منهم فيعترفون بالنسخ جوازاً ووقوعاً وبرسالة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكن يقولون رسالة إلى العرب خاصة فلا تنسخ شريعته شريعة موسى وأدلة هؤلاء تبحث في المطولات.

(١) انظر اللسان: نسخ. (٢) في أ [ننسيها]. (٣) في أ [أبو عبيدة].

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، ومن مصنفاته «غريب القرآن». تهذيب التهذيب ٧/٣١٥، تذكرة الحفاظ ٢/٥.

(٥) ما بين المعقوفين من أ. (٦) في ظ [نعم فقال]. (٧) ما بين المعقوفين من ظ.

(٨) نسبه السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٢ لابن الأنباري في المصاحف عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف.

(٩) في ظ [نسيها]. (١٠) سقط من ظ.

(١١) ومحل النسخ هو الحكم الشرعي الذي لم يلحقه تأبيد ولا تأنيث وذلك كسائر الأحكام التكليفية من الوجوب وأخواته ويؤخذ مما تقدم ما يأتي:

أولاً: الأحكام العقلية والاعتقادية كوحدانية الله ووجوب الايمان به ليست محلاً للنسخ.

ثانياً: الأحكام الحسية كاحراق الناس ليست محلاً للنسخ.

ثالثاً: الأحكام المؤبدة بالنص أو بدلالته ليست محلاً للنسخ لأن رفعها بعد تأبيدها من الشارع الحكيم يؤدي إلى البداء أي الظهور بعد الخفاء وهو محال على الله تعالى فمثال المؤبد بالنص قوله تعالى ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ وقوله في بيان حكم قاذف المحصنات ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾ فإن لفظ أبداً يدل على أن هذا حكم دائم لا يزول، وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «الجهاد ماض إلى يوم القيامة» ومثال المؤبد بالدلالة الشريعة التي توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنها فإنها مؤبدة إلى يوم القيامة بدلالة أنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

=

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يحكم فيهما ما يشاء بأمره [١] ثم يأمر بغيره. قال الزجاج: الملك في اللغة: هو تمام القدرة وأصل هذا من قولهم ملكت العجين إذا بالغت في عجنه، ومعنى الآية: إن الله يملك السموات والأرض وما فيهما، فهو أعلم [٢] لما يصلحهم فيما يتعبدهم به من ناسخ ومنسوخ ومتروك وغير متروك. وكان اليهود أعداء الله ينكرون النسخ، وكانوا يقولون حين تحولت القبلة إلى الكعبة: لو كنتم على الحق فلم رجعتم؟ ولو كان هذا الثاني حقاً فقد كنتم على الباطل وكانوا لا يرون النسخ في الشرائع، لأن ذلك حال البداء[٣] والندامة. ولا يجوز ذلك على الله. ولكن الجواب أن يقال: إن الله تعالى يدبر في أمره ما يشاء كما أنه خلق الخلق ولم يكونوا، ثم يميتهم بعد ذلك، ثم يحييهم كذلك يجوز أن يأمر بأمر ثم يأمر بغير ذلك الأمر، كما أن شريعة موسى عليه السلام لم تكن من قبل، فأمره بذلك، والمعنى في ذلك: أنه حين أمرهم بالأمر الأول كان الصلاح في ذلك [الوقت في هذا الأمر][٤] ثم إذا أمر بأمر آخر كان الصلاح في ذلك الوقت في الأمر الثاني، وهذا المعنى قوله ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ يعني هو أعلم بأمر الخلق، وبما يصلحهم في كل وقت. ثم بين الوعيد لمن لم يؤمن بالناسخ والمنسوخ فقال ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: أي من قريب ينفعكم ولا نصير: أي ولا مانع يمنعكم من عذاب الله تعالى.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ قال مقاتل: معناه أتريدون أن تسألوا رسولكم (كما سئل موسى من قبل) أي كما سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام حيث قالوا: (أرنا الله جهرة) ويقال: إن اليهود سألوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن يطلبوا القربان كما كان لموسى عليه السلام. وروي [٥] عن الضحاك أنه قال: دخل جماعة من كفار قريش فيهم أبو جهل وغيره، فقالوا لرسول الله: إن كنت نبياً فاكشف عنا الغطاء حتى نرى الله جهرة فنزلت الآية [﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ حيث قالوا: (أرنا الله جهرة) ثم قال][٦] ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَانِ﴾ أي يختار الكفر على الإيمان ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (أي أخطأ قصد السبيل وهو الطريق)[٧] الهدى.

= رابعاً: الأحكام المؤقتة بوقت لا تكون محلاً للنسخ قبل تمام وقتها لأن النسخ قبل تمام الوقت بداء وجهل وهما محالان على الله تعالى وذلك كقوله تعالى ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾.

خامساً: الإخبار عن الأمور الماضية أو المستقبلة أو الحاضرة لا يكون محلاً للنسخ لأن نسخه يؤدي إلى الجهل أو الكذب مثال ذلك: قول الله تعالى ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ و«قوله» ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ وأما الأخبار التي تتضمن حكماً شرعياً فهي محل النسخ باعتبار ما تضمنته من حكم شرعي وذلك كقوله تعالى ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ فهذا خبر تضمن حكماً شرعياً هو وجوب العدة على المطلقة ذات الحيض وتكون بالاقراء ثلاثاً.

(١) في ظ [بالأمر]. (٢) في ظ [أعرف].

(٣) البداء: استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم.. قال الفراء: بدا لي أي ظهر لي رأي آخر.. ويقال بدا لي بداء: أي تغير رأيي على ما كان عليه. اللسان: بدا.

(٤) ما بين المعقوفين من أ. (٥) سقط من أ. (٦) ما بين المعقوفين من ظ. (٧) في ظ [يعني قصد الطريق].

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

[قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ﴾ وذلك أن المسلمين لما أصابتهم المحنة يوم أحد قالت اليهود لعمار بن ياسر(١) وحذيفة بن اليمان: قد أصابكم ما أصابكم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم، فنزلت هذه الآية](٢) (ود كثير من أهل الكتاب) أي يريد ويتمنى كثير من أهل الكتاب ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ أي [يصدونكم ويردونكم](٣) عن التوحيد ﴿مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾ إلى الكفر. ثم أخبر أن هذا القول لم يكن منهم على وجه النصيحة، ولكن ذلك القول كان﴿حَسَداً [مَنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ](٤) مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾(٥)ما في التوراة أنه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ يعني أن دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾ أي: اتركوهم وأعرضوا عنهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ يعني الأمر بالقتال، وكان ذلك قبل أن يؤمر بقتال أهل الكتاب، ثم أمرهم بعد ذلك بالقتال، وهو قوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله... إلى قوله من الذين أوتوا الكتاب) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النصرة للمسلمين على الكفار. ويقال: هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير.

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ﴾ أي أقروا بالصلاة وأدوها في مواقيتها بركوعها وسجودها وخشوعها ﴿وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ﴾ أي وأعطوا الزكاة المفروضة ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي ما تصدقتم من [صدقة وعملتم](٦) من العمل الصالح تجدوه عند الله محفوظاً يجزيكم به. ونظير هذا ما قال في آية أخرى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) وقال في آية أخرى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) وروي أنه مكتوب في بعض الكتب: يا بني آدم ضع كنزك عندي لا سرق ولا حرق ولا فساد، تجده حين تكون أحوج إليه، ثم قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يعني عالم بأعمالكم يجازيكم خيراً وبالشر شراً.

وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

﴿وَقَالُوا﴾ يعني اليهود والنصارى وهم يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران ﴿لَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ

---

(١) عمار بن ياسر ين عامر بن مالك العنسي أبو اليقظان، صحابي جليل مشهور قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين. التقريب ٤٨/٢.

(٢) ما بين المعقوفين من ظ. (٣) في ظ [يصرفونك]. (٤) في ظ [منهم].

(٥) من ظ. (٦) في ظ [الصدقة وتعملون].

﴿هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ﴾ واليهود جماعة الهائد، وإنما أراد به اليهود[١]. وهذا من جوامع الكلم وهذا كلام على وجه الاختصار، فكأنه يقول: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً. وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً. قال الله تعالى رداً لقولهم **﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾** أي ظنهم وأباطيلهم. وهذا كما يقال للذي يدعى مالاً يبرهن عليه، إنما أنت متمن وإنما يراد به: إنك مبطل في قولك، ثم قال تعالى **﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾** أي حجتكم من التوراة أو من الإنجيل **﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** أي بأن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً أو نصرانياً **﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾** معناه بل يدخل الجنة غيركم، من أسلم وجهه لله، أي من أخلص دينه لله وآمن بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ **﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾** في عمله **﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾** أي ثوابه في الجنة[٢] **﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** من العذاب حين يخاف أهل النار [**﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** حين يحزن أهل النار. ويقال][٣]: ولا هم يحزنون على ما (فاتهم)[٤] من أمر الدنيا. ويقال: الخوف إنما يستعمل في المستأنف، والحزن في الماضي، كما قال الله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) ويقال: الخوف ثلاثة: خوف الأبد، [وخوف العذاب على الانقطاع][٥] وخوف الحشر والحساب. فأما خوف الأبد فيكون أمناً للمسلمين، وخوف العذاب على الانقطاع يكون أمناً للتائبين، وخوف الحشر والحساب يكون أمناً للمحسنين (والمحسنون)[٦] يكونون آمنين من ذلك.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى **﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ، وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾** من أمر الدين وروي عن ابن عباس أنه قال: صدقوا ولو حلفوا على ذلك ما حنثوا لأن كل فريق منهم ليس[٨] على شيء. **﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ﴾** أي عندهم ما يخرجهم من ذلك الاختلاف أن لو نظروا فيه وقال الزجاج: معناه، كلا الفريقين يتلون الكتاب وبينهم هذا الاختلاف. فدل ذلك على ضلالتهم **﴿كَـذَلِكَ قَالَ ٱلَّـذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْـلَ قَوْلِهِم﴾** أي الذين ليسوا من أهل الكتاب قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان[٩] على ديننا **﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾** يعني أنه يريهم من يدخل الجنة عياناً ومن يدخل النار عياناً ويبين لهم الصواب **﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** أي في الدنيا.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ﴾ قال في رواية الكلبي معناه ومن أكفر. وقال بعضهم: هذا التفسير غير

---

(١) قال الفراء: يريد يهودا فحذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية قال: وقد يجوز أن يجعل جمعاً واحده هائد. اللسان: هود.

(٢) في ظ [الجنة]. (٣) ما بين المعقوفين من ظ. (٤) في ظ [خلفوا].

(٥) ما بين المعقوفين من أ. (٦) سقط من ظ. (٧) من ظ.

(٨) في أ [ليسوا]. (٩) في أ و ظ [كان هودا].

سديد، لأن الكفر كله سواء. ولكن معنى قول الكلبي ومن أكفر يعني من أشد في كفره، لأن الكفار وإن كانوا كلهم في الكفر سواء فربما يكون بعضهم في كفره[١] أشد شراً من غيره. قال الكلبي: نزلت هذه الآية في شأن ططوس بن أسفيانوس[٢] الرومي حيث خرب بيت المقدس وألقى فيه الجيفة، فكان خراباً إلى زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وذلك قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ فلم يدخلها[٣] بعد عمارتها رومي إلا خائفاً ومستخفياً لو علم أنه رومي قتل. [قال قتادة هم النصارى. وقال مجاهد: هم اليهود والنصارى][٤] ويقال: من أراد أن يكون ملكاً عليهم لا يمكنه ذلك ما لم يكن دخل مسجد[٥] بيت المقدس، فيجيء ويدخله مستخفياً. ثم قال عز وجل ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي بفتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينة وعمورية وأرمينية[٦]. وقال بعضهم: لنزول هذه الآية سبب آخر، وذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما خرج عام الحديبية إلى مكة، ومنعه أهل مكة فرجع، ولم يدخلها في تلك السنة، فنزلت هذه الآية: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾ أي سعى ومنع المسلمين عن الصلاة، وذكر الله فيها لأن عمارة المسجد بالصلاة، وذكر الله فيها وخرابها في ترك ذلك. (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) بعد فتح مكة فلا يقربوا[٧] المسجد الحرام بعد عامهم هذا إلا [خائفين][٨]، (لهم في الدنيا خزي) وهو فتح مكة ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لمن مات على كفره وقتل. وروى الزجاج عن بعض أهل العلم قال: نزلت في شأن جميع الكفار لأن الكفار كانوا يقاتلون المسلمين ويمنعونهم من الصلاة فقد منعوا المسلمين [من الصلاة في][٩] جميع المساجد لأن الأرض كلها جعلت مسجداً وطهوراً[١٠]. ومعناه ومن أظلم ممن خالف ملة الإسلام. قال: ومعنى قوله (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) يعني دار الإسلام [ولهم في الدنيا خزي) وظهور][١١] الإسلام على سائر الأديان لقوله تعالى (ليظهره على الدين كله).

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ١١٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ قد اختلفوا في سبب نزول هذه الآية. روي عن ابن عباس أنه قال: خرج رهط في سفر من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأصابهم الضباب، فمنهم من صلى إلى المشرق، ومنهم من صلى إلى المغرب، فلما طلعت الشمس وذهب الضباب، استبان لهم ذلك، فلما قدموا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سألوه عن ذلك، فنزلت هذه الآية ﴿ولله المشرق والمغرب، فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ يعني أينما تولوا وجوهكم في الصلاة فثم وجه الله يعني [قال بعضهم:

---

(١) في أ [الكفرة]. (٢) في ظ [استيانوس]. (٣) في أ [يدخل].
(٤) ما بين المعقوفين من ظ. (٥) في أ. (٦) في أ [وررومية].
(٧) في أ [يقربون]. (٨) في ظ [خائفاً]. (٩) سقط من ظ.
(١٠) وهذا من خصائص أمة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي وذكر منها «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» فالبخاري ١/٤٣٥ ـ ٤٣٦ في كتاب التيمم باب (١) (٣٣٥) ومسلم ١/٣٧٠ في كتاب المساجد حديث (٣/٥٢١) وأحمد في المسند ٤/٤١٦، ٥/١٦١ وابن حبان رقم (٢٠٠) (٢١٢٥) والسيوطي في الدر المنثور ٢/٨٣ والحميدي (٩٤٥) وابن الجارود في المنتقى (١٢٣) والترمذي (٣١٧) وأبو داود في الصلاة باب (٢٤) والنسائي في السنن ٢/٥٦ وابن ماجه في إقامة الصلاة (٥٦٧).
(١١) في ظ [يعني يظهر].

فثم قبلة الله]. "[1] ويقال يعني: فثم رضا الله. ويقال: فثم ملك الله. وروي عبد الله [بن عامر][2] بن ربيعة[3] عن أبيه أن قوماً خرجوا إلى السفر وذكر القصة نحو هذا. وقال بعضهم: المراد به الصلاة على الدابة. [قال الفقيه][4]: حدثنا محمد بن سعيد المروزي قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: حدثنا علي بن شيبة قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي على راحلته التطوع[5] حيث ما توجهت به وهو جاءٍ من مكة، ثم قرأ ابن عمر ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولو فثم وجه الله﴾ قال ابن عمر: في هذا نزلت هذه الآية[6]. وقال بعضهم: لنزول هذه الآية سبب آخر، وذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يصلي إلى بيت المقدس فلما أمر بالتحول إلى الكعبة، قالت اليهود: مرة تصلون هكذا، ومرة تصلون هكذا، فنزلت هذه الآية: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ ثم قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي الواسع الجواد المحسن الذي يقبل اليسير، ويعطي الجزيل عليم بصلواتكم. [ويقال: الواسع الغني عن صلاة الخلق، وإنما يطلب منهم النية الخالصة][7] عليم بنياتكم. ويقال: واسع يعني يوسع عليكم أمر الشرائع، ولم يضيق عليكم الأمر. ويقال: واسع، يعني واسع الفضل. وقال الزجاج[8]: معنى قوله (فثم وجه الله) أي اقصدوا وجه الله بنيتكم القبلة كقوله (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره).

وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

قوله ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام (قالوا) بغير واو. وقرأ[9] الباقون بالواو، ومعناهما واحد [إلا أن][10] الواو للعطف وذلك أن اليهود قالوا: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله. وقال بعض المشركين: الملائكة بنات الله. [قال الله تعالى][11] ﴿سُبْحَانَهُ﴾ نزه نفسه عن الولد ﴿بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كلهم عبيده ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [يعني به المؤمنين خاصة أي مطيعين مقرين بالعبودية له موحدين مجيبين للطاعة][12]. وقد قيل: إن لفظ الآية عام والمراد به الخاص. قوله تعالى (كل له قانتون) يعني به

---

(١) ما بين المعقوفين من ظ. (٢) سقط من ظ.

(٣) عامر بن ربيعة، من كبار التابعين، ثقة، ولد في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان قليل الحديث. تهذيب التهذيب ٥/ ٢٧٠.

(٤) ما بين المعقوفين من أ. (٥) في ظ [تطوعاً].

(٦) أخرجه البخاري ١/ ٦٩١ في كتاب الصلاة باب الصلاة إلى الراحلة والبعير (٥٠٧) ومسلم ١/ ٣٥٩ كتاب الصلاة باب سترة المصلي (٥٠٢/٢٤٧)، (٥٠٢/٢٤٨) وأحمد في المسند ٢/ ٢٠ والنسائي في السنن ٢/ ٤٨.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من ظ ومؤخر في أ إلى ما بعد القول الذي يليه.

(٨) ١/ ١٧٥.

(٩) القراءة بدون واو على الاستئناف وبالواو عطف جملة على مثلها، وفي المصحف الذي أرسله سيدنا عثمان إلى أهل الشام بدون واو، وهي من القراءات المتواترة التي لا طعن فيها.

انظر: حرز الأماني وعقيلة أتراب القصائد في علم الرسم للإمام الشاطبي، ومتن الذيل لابن عاشر وهو ذيل على كتاب مورد الظمآن في رسم القرآن.

(١٠) في ظ [لان]. (١١) في ظ [فالله]. (١٢) في أ [يعني به المؤمنين خاصة، أي مطيعين مقرين بالعبودية له موحدين مجيبين.

المؤمنين خاصة. ويقال معناه: أثر صنعه وشواهد توحيده ودلائل ربوبيته في جميع ما في السموات والأرض موجود[١]. ويقال (كل له قانتون) أي لا يستطيع كل خلق أن يغير نفسه عن خلقته، فأخبر الله تعالى أن جميع ما في السموات والأرض له وهو خالق الأشياء وهو المستغني عن الولد سبحانه وتعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي خالقهما. والإبداع في اللغة[٢]: إنشاء شيء لم يسبق إليه على غير مثال ولا مشورة. وإنما قيل لمن خالف السنة: مبتدع، لأنه أتى بشيء لم يسبقه إليه الصحابة ولا التابعون[٣]. ومعناه هو خالق السموات والأرض ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ يعني إذا أراد أن يخلق خلقاً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ويقال: هذه الآية نزلت في شأن وفد نجران السيد والعاقب وغيرهما. وكانوا يقولون للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: هل رأيت خلقاً من غير أب؟ فنزلت هذه الآية: (وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) كما كان آدم من غير أب وأم، كذا عيسى ابن مريم خلقه بغير أب.

فإن قيل: قوله (كن) هذا الخطاب للموجود أو للمعدوم؟ فإن قال: للمعدوم. قيل له: كيف يصح الخطاب لشيء معدوم؟ وكيف يصح الإشارة إليه بقوله (كن)؟ فإن قال: الخطاب للموجود. قيل له: كيف يأمر الشيء الكائن بالكون: فالجواب عن هذا من وجهين: أحدهما: إن الأشياء كلها كانت موجودة في علم الله تعالى قبل كونها فكان الخطاب للموجود في علمه[٤] ـ. وجواب آخر: إن معناه إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون يعني إذا أراد أن يخلق خلقاً يخلقه، والقول فيه على وجه المجاز. قرأ ابن عامر (فيكون) بالنصب لأنه[٥] جواب الأمر بالفاء[٦]، وقرأ الباقون بالرفع على معنى الاستئناف بمعنى فهو يكون.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون توحيد الله تعالى، ومعناه: وقال الجهال من الناس ـ وهم الكفار ـ ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ أي هلا يكلمنا الله فيخبرنا بأنك رسوله ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ أي علامة لنبوتك. قال الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ أي قال اليهود لموسى عليه السلام: (أرنا الله جهرة) ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي في القسوة والكفر. ويقال: تشابهت كلمتهم كما تشابهت قلوبهم [في القسوة والكفر][٧] ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ﴾ يعني أمرك في التوراة[أي العلامات لنبوتك][٨] إنك نبي مرسل الصفة والنعت ويقال: قد بينا العلامات لنبوتك. ويقال: لم يكن لنبي من الأنبياء معجزة وعلامة إلّا وقد كان للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثلها ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يعني مؤمني أهل التوراة. ويقال: من كان له عقل وتمييز.

---

(١) ساقطة من ظ. (٢) لسان العرب: بدع ١/٢٣٠.

(٣) قال ابن منظور: والبدعة: الحدث وما ابتدع من الدين بعد الاكمال. وقال ابن السكيت: البدعة كل محدثة، وقال ابن الأثير: البدعة بدعتان: بدعة هدى وبدعة ضلال، فما كان من خلاف ما أمر الله به ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو في حيز الإنكار والذم، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه ورسوله فهو في حيز المدح. . .» اللسان: بدع.

(٤) في أ [علم الله تعالى]. (٥) في أ [فيكون لأن].

(٦) في أ [يكون نصبا].

قال أبو حيان: لا يصح نصبه على جواب الأمر الحقيقي لأن ذلك إنما يكون على فعلين ينتظم منهما شرط وجزاء نحو ائتني فأكرمك، وهنا لا ينتظم ذلك إذ يصير المعنى إن يكن يكن. . البحر المحيط ١/٣٦٦. وانظر: الاتحاف وأبو شامة على الحرز.

(٧) ما بين المعقوفين من أ. (٨) ما بين المعقوفين من ظ.

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ أي بالقرآن [ويقال بالحق يعني بالدعوة إلى الحق][١] ويقال: بالحق أي لأجل الحق[٢]. ويقال: أي بالدعوة إلى الحق. ويقال: ببيان الحق ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ قرأ نافع (ولا تسأل) بنصب التاء وجزم اللام، والباقون بضم التاء واللام[٣]. فمن قرأ بالرفع فمعناه أنك إذا بلغت الرسالة فإنك قد فعلت ما عليك ولا تسأل عن أصحاب الجحيم فيما[٤] فعلوا وهذا كما قال في آية أخرى (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وأما ومن قرأ بالنصب فهو على معنى النهي أي لا تسأل عن أصحاب الجحيم أي عما فعلوا. قال القاضي الخليل بن أحمد: أخبرنا الديلمي قال أخبرنا أبو عبيد الله قال: حدثنا سفيان عن موسى بن عبيدة الربذي[٥] عن محمد بن كعب القرظي[٦] أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ليت شعري ما فعل بأبوي. فنزلت هذه الآية ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ الآية[٧]. قوله تعالى ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾ يعني أهل المدينة ونصارى أهل نجران ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ أي تصلي إلى قبلتهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ يعني إن قبلة الله هي الكعبة ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي صليت إلى قبلتهم ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [أي من بعد ما ظهر لك: أن القبلة هي الكعبة][٨] ﴿مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ينفعك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي مانعاً يمنعك. ويقال: معناه (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم). أي حتى تدخل في دينهم، وذلك أن الكفار كانوا يطلبون الصلح، [وكان يرى][٩] أنهم يسلمون فأخبره[١٠] الله تعالى. [أنهم لا يسلمون، ولن يرضوا][١١] عنه حتى يتبع ملتهم، فنهاه الله عن الركون إلى شيء مما يدعونه إليه. فقال تعالى (قل إن هدى الله هو الهدى) يعني دين الله هو دين الإسلام. (ولئن اتبعت أهواءهم) وهذا الخطاب للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمراد منه أمته. أي لئن اتبعت دينهم بعد ما جاءك من

(١) ما بين المعقوفين من أ.

(٢) في ظ [الحق ويقال أي بالدعوة إلى الحق].

(٣) زاد ابن حيان في البحر وقرأ أبي «وما تسأل» وقرأ ابن مسعود: «ولن تسأل» وهذا كله خبر، وقراءة الجمهور وقراءة أبي يحتمل أن تكون الجملة مستأنفة وهو الأظهر، ويحتمل أن تكون في موضع الحال. وأما قراءة ابن مسعود فيتعين فيها الاستئناف». البحر المحيط ٣٦٧/١، وانظر حرز الأماني بشرح أبي شامة.

(٤) في ظ [عما].

(٥) موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي ضعيف. قال أحمد: منكر الحديث. تهذيب التهذيب ٣٥٦/١٠، الجرح والتعديل ١٥١/٨.

(٦) محمد بن كعب بن سليم القرظي، من التابعين الثقات، روى الحديث مرسلاً كان عالماً بتأويل القرآن. التهذيب ٤٢٠/٩.

(٧) أخرجه الطبري في التفسير ٥٥٨/١ (١٨٧٥)، (١٨٧٦)، (١٨٧٧). ومحمد بن كعب بن سليم القرظي تابعي فهو مرسل والمرسل لا تقوم به حجة، ثم إن موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي ضعيف جداً كما في التاريخ الكبير للبخاري ٤/١ (٢٩١) والصغير (١٧٢) والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/١ (١٥١) وقال البخاري: منكر الحديث وقال ابن معين: لا يحتج بحديثه، وقال أبو حاتم: منكر الحديث.

(٨) في ظ [يعني ما ظهر أن الكعبة هي القبلة]. (٩) في أ [وكانوا يرون]. (١٠) في أ [فأعلمه].

(١١) في ظ [أنهم لن يرضوا].

العلم، أي بعد ما ظهر أن دين الإسلام هو الحق (مالك من الله) أي من عذاب الله (من ولي) ينفعك (ولا نصير) أي مانع يمنعك منه.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم. قال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه. وقال قتادة: ذكر لنا أن ابن مسعود قال: والله إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأ حق قراءته كما أنزل الله تعالى: ولا يحرف عن مواضعه. ويقال: يقرأونه حق قراءته. ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ويصدقونه ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي بمحمد - صلى الله عليه وسلم -. ويقال: بالقرآن ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾ وهو كعب الاشراف وأصحابه ويقال نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب وهم اثنان وثلاثون رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب[1] من أرض الحبشة وكانوا يتبعون القرآن حق اتباعه.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ. وَٱتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ قد ذكرناها من قبل.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ٱبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ قرأ ابن عامر (أبراهـام)[2] وروي عنه أنه قرأ (أبرهم)[3] وهي لغة بعض العرب وقرأ غيره (إبراهيم) في جميع القرآن [وهي اللغة المعروفة][4] وهو اسم أعجمي ولهذا لا ينصرف. وروي عن ابن عباس أنه قال: أمر الله تعالى إبراهيم بعشر خصال من السنن خمس في الرأس، وخمس في الجسد[5]، وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحو هذا[6]. حدثنا أبي قال: حدثنا محمد بن الفضل

(١) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ذو الجناحين، الصحابي الجليل ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة. التقريب ١/١٣١.

(٢) في ظ [ابراهم].

(٣) في ظ [إبراهـم]. لم تصح هذه القراءة عن ابن عامر، ولم تتواتر عنه، وإنما ورد عنه قراءة بلفظ «ابراهام»... راجع الحرز بشرح الفاصح وبشرح أبي شامة، والإتحاف، وحجة القراءات لابن زنجلة ص ١١٣.

(٤) ساقطة من ظ.

(٥) في أ [أبيكم]. أخرجه ابن جرير بإسناد صحيح ٣/٩ (١٩١٠) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٦٦ وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٦) انظر صحيح مسلم ١/٢٢٣ في كتاب الطهارة باب خصال الفطرة (٥٦/٢٦١) وانظر شرحه للإمام النووي رحمه الله (٣/١٥٠).

البلخي قال: حدثنا أبو بشر محمود بن مهدي، قال: حدثنا يزيد بن هارون عن الحجاج بن أرطأة[(١)] عن عطاء قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: عشر مما علمهن وعمل بهن أبوكم إبراهيم عليه السلام: خمس في الرأس، وخمس في الجسد، فأما التي في الرأس: فالسواك، والمضمضة والاستنشاق وقص الشارب وإعفاء اللحية، وأما التي في الجسد فالختان والاستحداد والاستنجاء ونتف الإبط، وقص الأظفار[(٢)]، ويقال: وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات أي اختبره والاختبار من الله تعالى أن يظهر حاله ليستوجب الثواب[(٣)] لأن الله تعالى لا يعطي الثواب والعقاب [بما يعلم][(٤)] ما لم يظهر منه ما يستوجب الثواب [(٥)] والعقاب، كما علم من إبليس [الكفر] [(٦)]، ولم يلعنه ما لم يختبره ويظهر منه ما يستوجب به اللعنة والعقوبة ـ وقوله عز وجل ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يعني عمل بهن. ويقال: كان إبراهيم أفضل الناس في زمانه وكرم على الله تعالى فابتلاه الله عز وجل بخصال لم يبتل بها غيره، فكان من الابتلاء أن أمه ولدته في غار. ومن الابتلاء حيث [(٧)] نظر إلى الكوكب فقال: هذا ربي. وروى الحسن أنه قال: كان الابتلاء بثلاثة أشياء: أولها: الابتلاء بالكوكب والشمس والقمر، والثاني: بالنار، والثالث: بأمر سارة. ويقال: كل من كان أكرم على الله كان [ابتلاؤه أشد][(٨)]، لكي يتبين فضله ويستوجب الثواب. كما روي عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار، والمؤمن يختبر بالبلايا ﴿فأتمهن﴾ أيّ عمل بهن. ويقال: (فأتمهن) أي وفي بهن، فلما وفىّ الأمر جعله الله تعالى إماماً للناس [ليقتدوا][(٩)] به. وفي هذا دليل: أن الإنسان لا يبلغ درجة الأخيار إلا بالتعب وجهد النفس، فلما جعله الله تعالى إماماً ﴿قَالَ﴾ له ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ والإمام الذي يؤتم به فأعجبه ذلك، وتمنى أن يكون ذلك لذريته بعده مثل ذلك، فـ ﴿قَالَ﴾: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ يعني اجعلهم أئمة يقتدى بهم ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ﴾ يعني الكافرين، يعني لا يصلح أن يكون الكافر إماماً للناس. ويقال: لا تصيب رحمتي الكافرين. فالله تعالى أخبره أنه يكون في ذريته كفار وأخبره أنه لا ينال عهده من كان كافراً. قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: (لا ينال عهدي الظالمين) [أي الكافرين يعني لا يصلح أن يكون الكافر إماماً للناس ويقال لا تصيب الرحمة الكافر فالله تعالى أخبره أنه يكون في ذنبه وأخبره أنه لا ينال عهده من كفر وكان كافراً قرأ حمزة وعاصم رواية حفص (لا ينال عهدي)[(١٠)] بسكون الياء. وقرأ الباقون بنصب الياء [عهدي الظالمين][(١١)] وهما لغتان ومعناهما واحد.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ يقول: وضعنا البيت، يعني الكعبة معاداً لهم يعودون إليه مرة بعد مرة. وقال قتادة: مجمعاً للناس يثوبون إليه من كل جهة وفي كل سنة فلا يقضون منها وطراً. (وأمناً) أي جعلناه

---

(١) الحجاج بن أرطأة بن ثور بن هبيرة بن شراحبيل النخعي، كان حافظاً مدلساً ومعجباً بنفسه لا يحتج به. تهذيب التهذيب ٢/١٩٦.

(٢) أخرجه بألفاظ متقاربة مسلم في الحديث السابق والنسائي ١/١٧، ٨/١٢٦ ـ ١٢٨ والترمذي رقم (٢٧٥٧) وابن ماجه ١/١٠٧ في الطهارة (٢٩٣) وأحمد في المسند (١٣٧) والبيهقي في السنن ١/٣٦، ٥٢، ٥٣، ٣٠٠ ٣٠٠ وأبو عوانة ١/١٩١ وابن أبي شيبة ١/١٩٥ والدارقطني في السنن ١/٩٥، وذكر السيوطي في الدر المنثور ١/١١٢ وابن كثير في التفسير ١/٢٣٨.

(٣) في ظ [أو العقاب].
(٤) سقط من ظ.
(٥) في ظ [أو]
(٦) في ظ «الحسد».
(٧) في أ [أنه].
(٨) في أ [ابتلاء الله أشد].
(٩) في ظ [ليقتدى].
(١٠) ما بين المعقوفين من أ.
(١١) ما بين المعقوفين من ظ.

أمناً لمن التجأ إليه. [يعني من وجب عليه القصاص](١). ولهذا قالوا لو أن رجلاً وجب عليه القصاص فدخل الحرم لا يقتص منه في الحرم. وهكذا روي عن ابن عمر أنه قال: لو وجدت قاتل عمر في الحرم ما هيجته أي ما أزعجته ولكن يمنع منه المنافع حتى يضطر ويخرج فيقتص منه. ويقال: آمناً لغير الممتحنين، وهي الصيود إذا دخلت الحرم أمنت. ويقال: آمناً من الجذام، ثم قال تعالى ﴿وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قرأ نافع وابن عامر (واتخَذوا) بفتح الخاء على وجه الخبر معناه: جعلنا البيت مثابة للناس فاتخذه مصلى. وقرأ الباقون بكسر الخاء على معنى الأمر(٢) قال: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا الديلمي قال: حدثنا أبو عبيد الله قال: حدثنا سفيان عن زكريا بن أبي زائدة(٣) عمن حدثه عن عمر بن الخطاب قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطوف بالبيت يوم الفتح، فلما فرغ من طوافه أتى المقام فقال: هذا مقام أبينا إبراهيم، فقال عمر: أفلا تتخذه مصلى يا رسول الله، فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) ويقال: المسجد الحرام كله مقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ هكذا روي عن مجاهد وعطاء. وقوله تعالى ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أي أمرنا إبراهيم وإسماعيل ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أي مسجدي من الأوثان، ويقال: من جميع النجاسات ثم قال ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ أي [طهرا المسجد من الأوثان والنجاسات](٤) لأجل الطائفين الذين يطوفون بالبيت وهم الغرباء ﴿وَٱلْعَاكِفِينَ﴾ وهم أهل الحرم المقيمون بمكة من أهله وغيرهم ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أي أهل الصلاة من كل جهة من الآفاق. قرأ نافع وعاصم في رواية حفص (طهرا بيتي) بنصب الياء وقرأ الباقون بسكون الياء.(٥)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً آمِناً﴾ يعني الحرم ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ﴾ فاستجاب الله تعالى دعاءه فتحمل الثمار إلى مكة من كل جهة، فيوجد فيها في كل وقت من [كل نوع](٦) واشترط إبراهيم في دعائه فقال ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ﴾ وإنما اشترط هذا الشرط، لأنه قد سأل ربه الإمامة لذريته، فلم يستجب له في الظالمين، فخشي إبراهيم أن يكون أمر الرزق هكذا، فسأل الرزق للمؤمنين خاصة، فأخبره الله تعالى: أنه يرزق الكافر والمؤمن، وأن أمر الرزق ليس كأمر الإمامة، قالوا: لأن الأمامة فضل، والرزق عدل، فالله تعالى يعطي [بفضله](٧) من يشاء [من عباده](٨) من كان أهلاً لذلك وعد له لجميع الناس لأنهم عباده، وإن كانوا كفاراً. فذلك قوله تعالى ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً﴾ قرأ ابن عامر ومن تابعه [من أهل الشام](٩) (فأمتعه) بالتخفيف من أمتعت وقرأوالباقون بالتشديد(١٠) من متعت. يعني سأرزقه في الدنيا يسيراً ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ أي مصيره، ويقال: ملجأه ﴿إِلَى عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ صاروا إليه.

---

(١) ما بين المعقوفين من أ.

(٢) واختلف من المواجه بهذا الأمر: فقيل: إبراهيم وذريته، أي وقال الله لإبراهيم وذريته اتخذوا. وقيل: النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته، أي وقلنا اتخذوا، ويؤيده ما رُوي عن عمر أنه قال: وافقت ربي في ثلاث فذكر منها وقلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى. البحر المحيط ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٣) زكريا بن أبي زائدة خالد بن ميمون بن فيروز، ثقة كثير الحديث، كان قاضياً بالكوفة. التهذيب ٣/ ٣٢٩.

(٤) ما بين المعقوفين من أ. (٥) انظر باب ياءات الإضافة من الشاطبية. (٦) في ظ [أنواع الثمار].

(٧) في ظ [فضله]. (٨) سقط في ظ. (٩) ما بين المعقوفين من أ. (١٠) راجع: البحر المحيط ١/ ٣٨٤.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يعني يبني إبراهيم القواعد، يعني أساس البيت، أي الكعبة. والقواعد جماعة واحدها قاعدة ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ يعني إسماعيل يعينه. قال مقاتل: وفي الآية تقديم وتأخير، معناه وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت. ويقال: إن إبراهيم كان يبني البيت وإسماعيل يعينه، والملائكة يناولون الحجر من إسماعيل، وكانوا ينقلون الحجر من خمسة أجبل: طور سيناء وطور زيتاء، والجودي، ولبنان، وحراء. فلما فرغا من البناء، قالا ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [يعني أعمالنا][1] ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي السميع لدعائنا بنياتنا[2]. وفي الآية دليل: أن الإنسان إذا عمل خيراً ينبغي أن يدعو الله بالقبول ويقال: ينبغي أن يكون خوف الإنسان على قبول العمل بعد الفراغ أشد من شغله بالعمل لأن الله تعالى قال (إنما يتقبل الله من المتقين) وروي في الخبر أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لما فرغا من البناء جثيا على الركب وتضرعا وسألا القبول فقال جبريل لإبراهيم: قد أجيب لك، فاسأل شيئاً آخر فقالا ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي مخلصين لك. ويقال: واجعلنا مثبتين على الإسلام ويقال مطيعين لك ويقال أمتنا على الإسلام ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ أي اجعل بعض ذريتنا من يخلص لك، ويثبت على الإسلام ثم قال ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي علمنا أمور مناسكنا. وقال القتبي: الرؤية المعاينة كقوله عز وجل: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) وقوله (وإذا رأيت ثم رأيت) ويقال تذكر الرؤية ويراد بها العلم. كقوله تعالى (أو لم يـر الذين كفروا) وكقوله (أرنا مناسكنا): أي [علمنا][3]. وكقوله (لتحكم بين الناس بما أراك الله). قرأ ابن كثير ومن تابعه من أهل مكة (وأرنا) بجزم الراء في جميع القرآن، والباقون بكسر الراء، وهما لغتان والكسر أظهر وأفصح[4]. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح (ربنا واجعلنا مسلمين لك) أي مطيعين وموحدين (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)[5] أي جماعة موحدة مطيعة لك. ويقال: أشكل عليهما موضع البيت، فبعث الله تعالى سحابة فقالت له: ابن بحيالي، فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت بحيال السحابة. ثم قال تعالى [وأرنا مناسكنا][6] ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ أي تجاوز عنا الزلة ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بعبادك. ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ قال مقاتل: لأن إبراهيم علم أن في ذريته من يكون كفاراً، فسأل الله تعالى أن يبعث فيهم رسولاً فقال (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك) [يعني القرآن][7] ﴿وَيُعَلِّمُهُـمُ ٱلْكِتَابَ﴾ أي القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي مواعظ القرآن من الحلال والحرام. ويقال: علم التفسير. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهرهم من الكفر والشرك. ويقال: يأمرهم بالزكاة ليطهر أموالهم. قال مقاتل: استجاب الله دعاءه في سورة الجمعة. وهو قوله تعالى (هـو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وروي عن

---

(١) ما بين المعقوفين من ظ.

(٢) أخرجه ابن جرير بنحوه ١/٥٨ (٢٠٣٧)، (٢٠٣٩) والسيوطي في الدر المنثور ١/١٢٧.

(٣) في ظ [أعملنا]. (٤) راجع: البحر المحيط ١/٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٥) سقط في ظ. (٦) سقط في ظ. (٧) من ظ.

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم[١] ـ أنه قال: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ـ عليهما السلام ـ. وهي قوله (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ثم قال تعالى ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي المنيع الذي لا يغلبه شيء ويقال: العزيز الذي لا يعجزه شيء عما أراد. ويقال: العزيز بالنقمة، ينتقم ممن عصاه متى شاء، الحكيم في أمره الذي يكون عمله موافقاً للعلم.

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾

قوله تعالى ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يقول: عن سنته ودينه وهو الإسلام. ويقال لفظه[٢] لفظ الاستفهام، ومعناه التقريع والتوبيخ، (ومن) ها هنا بمعنى (ما) فكأنه يقول: وما يرغب عن دين إبراهيم ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ قال أبو عبيدة: إلا من أهلك نفسه. وقال الأخفش[٣]: معناه إلا من سفه من نفسه. وهذا كما قال في آية أخرى (ولا تعزموا عقدة النكاح) أي على عقدة النكاح. ويقال: إلا من جهل أمر نفسه، فلا يتفكر فيه كما قال في آية أخرى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) قال الكلبي ومن يرغب عن دين إبراهيم الإسلام والحج والطواف إلا من خسر نفسه. ثم: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ يقول: اخترناه في الدنيا للنبوة والرسالة والإسلام والخلة ﴿وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾ أي في الجنة. ويقال: مع الصالحين في الجنة وهو أفضل الصالحين ما خلا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ قال ابن عباس: يعنى أخلص. ويقال: معناه قل لا اله الا الله. ويقال: معناه استقم على ما أنت عليه. ويقال: حين خرج من السرب[٤]، نظر الى الكوكب والقمر والشمس فابتلي بذلك فألهمه الله تعالى الاخلاص فقال (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) الآية. فهذا معنى قوله (اسلم) أي أخلص دينك لله فـ ﴿قَالَ﴾ ابراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ أي أخلصت ديني لرب العالمين ويقال: فوض امرك الى الله فقال فوضت أمري الى الله (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب) أي بشهادة أن لا اله الا الله. قرأ نافع وابن عامر (وأوصى) وقرأ الباقون (وَوَصَّىٰ) وهو أبلغ من أوصى لأنه لا يكون إلا لمرات كثيرة[٥].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٦٠٠، والطبري ٣/٨٢، والسيوطي في الدر المنثور ١/١٣٩، ٥/٢٠٧ والبغوي في المعالم ١/١١١ وابن سعد في الطبقات ١/١ (١٩٦) والقرطبي في التفسير ٢/١٣١ والحديث في كنز العمال (٣١٨٣٣)، (٣١٨٣٤)، (٣١٨٣٥)، (٣١٨٩) والبيهقي في دلائل النبوة ١/٦٩.

(٢) في ظ [من]. (٣) في ظ [معناه إلا من سفه نفسه].

(٤) السَّرَب ـ بفتحتين ـ بيت في الأرض، وهو حجر الثعلب والأسد والضبع والذئب. الصحاح (سرب). وقال ابن منظور: هو حفير أو بيت تحت الأرض (اللسان: سرب).

(٥) انظر/ إبراز المعاني لأبي شامة، العقيلة للإمام الشاطبي. ذيل مورد الظمآن لابن عاشر، وشرح المورد للمارغني التونسي.

وقوله [بهَا يرجع] (١) الى الملة، والملة هي السنة والمذهب(٢). ويقال: انه جمع بنيه عند موته لأنه خشي عليهم كيد ابليس فجمعهم وأوصاهم بأن يثبتوا على الاسلام. قال مقاتل: (وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْراهِيمُ بَنِيهِ) الأربعة: اسماعيل واسحاق ومدين ومداين، ثم أوصى بها يعقوب بنيه، وهم اثني عشر ابناً وذلك حين دخل مصر فرآهم يعبدون الاصنام، فأوصى بنيه بأن يثبتوا على الاسلام وكان اثنا عشر ابناً: روبيل، وشمعون، يهوذا، ولاوى، ونفتال، وريالون، ويشجر، ودان، [واشترفياحان، وحان](٣)، ويوسف، وبنيامين. قال الله تعالى ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَى لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي اختار لكم دين الاسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ يعني اثبتوا على الإسلام وكونوا بحال لو أدرككم الموت يدرككم على الاسلام، وأنتم مخلصون بالتوحيد. فقالت اليهود للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ألست تعلم أن يعقوب ـ عليه السلام ـ يوم مات أوصى بنيه بدين اليهودية؟

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾

فأنزل الله تعالى ﴿أَمْ كُنتُم شُهَدَآءَ﴾ يقول: أكنتم حضورا ﴿إِذْ﴾ حين(٤) ﴿حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ معناه إنكم تدعون ذلك كأنكم كنتم حضورا في ذلك الوقت يعني أنكم تقولون ما لا علم لكم بذلك، والله تعالى يخبر ويبين أن وصيته كانت بخلاف ما قالت اليهود وإنما لم ينصرف (شهداء) لمكان ألف التأنيث في آخره(٥)، واذا دخلت ألف التأنيث أو هاء التأنيث في آخر الكلام فانه لا ينصرف. ثم قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ أي من تعبدون بعد موتي. ﴿قَالُواْ: نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وإِلَـٰهَ آبَآئِكَ إِبْرَاهِيمَ﴾ روي عن الحسن البصري(٦) أنه قرأ (قالوا نعبد الهك واله أبيك ابراهيم). وقرأ غيرة(٧) (قَالُواْ نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَآئِكَ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيـلَ وَإِسْحَاقَ) واسماعيل كان عم يعقوب، ولكن العم بمنزلة الاب بدليل ما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: عم الرجل صنو أبيه(٨). ثم قال: ﴿إِلٰهاً وَاحِداً﴾ أي نعبد الها واحدا ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي مخلصون له بالتوحيد.

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي جماعة قد مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي جزاء ما عملت من خير أو شر ﴿وَلَا تُسْئَلُونَ

---

(١) في أ [وقوله يرجع بها].

(٢) قال الجوهري وابن منظور: الملة: الشريعة والدين. وقال أبو إسحاق: الملة في اللغة: السنة والطريقة. (الصحاح واللسان: ملل).

(٣) في ظ [واشترقغا وجاذو]. (٤) من ظ. (٥) ودخلت ألف التأنيث هنا لتأنيث الجماعة كما تدخل الهاء.

(٦) وكذا ابن عباس وابن يعمر والجحدري. البحر المحيط ١/٤٠٢.

(٧) قال أبو حيان: وهي قراءة الجمهور، وعليها فإبراهيم وما بعده بدل من آبائك أو عطف بيان، وإذا كان بدلاً فهو من البدل التفصيلي. البحر المحيط ١/٤٠٢.

(٨) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٦٥ الترمذي ٥/٦٥٢ في المناقب باب مناقب العباس (٣٧٥٨) وقال: حسن صحيح من حديث عبد المطلب بن ربيعة. ومن حديث علي. أخرجه أحمد في المسند ١/٩٤ والترمذي في المصدر السابق (٣٧٦٠) وقال: حسن صحيح وعزاه في الكنز لابن جرير ولابن عساكر.

﴿عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون : نحن على دينهم فقال لهم (تلك أمة قد خلت) لا تقدرون عليهم فيشهدوا (لكم)[١]، فلهم ما عملوا وانما لكم ما تعملون، وانما ينظر اليوم الى أعمالكم، ولا ينفعكم من أعمالهم شيء.

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ وذلك أن يهود المدينة ونصارى أهل نجران اختصموا فقال كل فريق: ديننا أصوب، ونبينا أفضل فسألوا عن ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا أينا أفضل؟ فقال لهم: كلكم على الباطل، فأعرضوا عنه [فنزلت هذه الآية][٢] (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) [يعني اليهود قالوا: كونوا على دين اليهود والنصارى قالوا: كونوا على دين النصرانية][٣] تهتدوا من الضلالة. قال الله تعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿(قُلْ) لهم(بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وانما نصب الملة على معنى: بل نتبع ملة ابراهيم حنيفا[٤] ويقال: معناه واتبعوا ملة ابراهيم وقال مقاتل: بل الدين ملة ابراهيم حنيفا أي مخلصا. وقال القتبي: حنيفا أي مستقيما. ويقال للأعرج حنيف [نظراً الى السلامة][٥]، كما يقال للديغ: سليم، وللجبانة مفازة، وان كانت مهلكة. وقال الزجاج[٦]: أصل [الحنف][٧] اذا كان أصابع الرجل مقبلا بعضها الى بعض اقبالا لا تنصرف عن ذلك أبداً، فكذلك كان ابراهيم عليه السلام مقبلاً على دين الاسلام، [مائلا عن الاديان كلها (وما كان من المشركين) ولكن كان على دين الاسلام][٨]. فقال أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كيف نقول حتى لا نكذب أحدا من الانبياء.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

فعلمهم الله عز وجل بقوله: ﴿قُولُوٓا آمَنَّا بِٱللَّهِ﴾ أي صدقنا بأنه واحد لا شريك له ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ يقول: صدقنا بما أنزل الينا، أي بما أنزل على نبينا من القرآن﴿وَمَآ أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ يقول صدقنا بما أنزل على ابراهيم من الصحف. ﴿وَ﴾ ما أنزل إلى ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وهم أولاد يعقوب، كان له اثنا عشر ابناً، فصار أولاد كل واحد منهم سبطاً، والسبط بلغتهم بمنزلة القبيلة للعرب، وانما أنزل على أنبيائهم وكانوا

---

(١) سقط في ظ. (٢) في أ [فنزل قوله تعالى]. (٣) ما بين المعقوفين من أ.

(٤) قال الزجاج/ نصب على أنه خبر كان، أي: بل تكون ملة إبراهيم، وقال أبو عبيد: منصوب على الاغراء أي الزموا ملة إبراهيم أو نصب على نزع الخافض أي مقتدي ملة، أي بملة. وهو يحتمل أن يكون خطاباً للكفار فيكون المضمر اتبعوا أو كونوا، ويحتمل أن يكون من كلام المؤمنين فيقدر بـ «متبع» أو تكون، نقتدي. البحر المحيط ١/٤٠٦.

(٥) في ظ [تطير إلى السلامة]. (٦) معاني القرآن وإعرابه ١/١٩٥. (٧) في ظ [الخفيف].

(٨) ما بين المعقوفين من أ.

يعملون به، فأضاف اليهم، كما أنه أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأضاف الى أمته [فقال (وَمَا أنزل إلينا) فكذلك الاسباط أنزل على أنبيائهم فأضاف اليهم لأنهم كانوا يعملون به][1]. ثم قال تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ يعني التوراة والإنجيل ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِم﴾ يعني وما أنزل على الانبياء من الله تعالى وقد آمنا بجميع الأنبياء وبجميع الكتب ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ أي من رسله كما فرقت اليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ مسلمون﴾ أي مخلصون له بالتوحيد. ثم قال تعالى للمؤمنين ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِ﴾ يعني به يا أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ من الضلالة ﴿وإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أي: أعرضوا عن الايمان بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبجميع الأنبياء عليهم السلام ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ يقول لهم في خلاف من الدين. ويقال: في ضلال. [والشقاق في اللغة: له ثلاثة معان[2]:][3] أحدها: العداوة مثل قوله تعالى (ولا يجرمنكم شقاقي) والثاني: الخلاف مثل قوله (وان خفتم شقاق بينهما) والثالث: الضلالة مثل قوله (وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي يدفع الله عنكم مؤنتهم. وقال الزجاج[4]: هذا ضمان من الله تعالى: النصر لنبيه، أنه سيكفيه إياهم باظهاره على كل دين سواه، كقوله تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) يعني أن عاقبة الأمر كانت لهم. قال مقاتل: يعني قتل بني قريظة واجلاء بني النضير. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ بقولهم للمؤمنين حيث قالوا: كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، العليم بعقوبتهم. ثم فضل دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على كل دين فقال تعالى:

صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: اتبعوا دين الله والزموه لا دين اليهود والنصارى﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ يعني، أي دين أحسن من دين الله تعالى، وهو دين الاسلام ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ أي موحدون مقرون، وذلك[5] أن النصارى اذا ولد لأحدهم ولد غمروه في اليوم السابع في ماء لهم، ليطهروه بذلك ويقولون: هذا طهور مكان الختان، وهم صنف من النصارى يقال لهم: المعمودية. قال الله تعالى (ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) أي مطيعون، ولنا الختان طهور طهر الله به ابراهيم عليه السلام وروى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ختن إبراهيم [عليه السلام نفسه بالقدوم][6] وهو ابن مائة وعشرين سنة [والقدوم موضع بالشام][7] ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة[8]. وقال القتبي: هذا من الاستعارة حيث سمى الختان صبغة لأنهم كانوا يصبغون أولادهم في ماء. قال الله تعالى: صبغة الله لا صبغة النصارى يعني اتبعوا دين الله والزموا [دين الله][9]

---

(١) ما بين المعقوفين من أ.

(٢) ورد في اللسان: للشقاق معنيان هما: العداوة والخلاف. (اللسان: شقق).

(٣) في أ [والشقاق له ثلاث معان في اللغة].

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/١٩٥.

(٥) راجع: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٠٥ نشر الانجلو المصرية.

(٦) في ظ [بالقدوم].

(٧) سقط في ظ.

(٨) أخرجه البخاري ٦/٣٨٨ في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ (٣٣٥٦) وفي ١١/٨٨ في الاستئذان باب الختان بعد الكبر ونتف الابط (٦٢٩٨) ومسلم ٤/١٨٣٩ في الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل (١٥١/ ٢٣٧٠) ولفظ المصنف رحمه الله عند البخاري في الأدب المفرد (١٢٥٠) وذكره المنتقى الهندي في الكنز رقم (٣٢٢٩٣).

(٩) من ظ.

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

ثم قال الله تعالى ﴿قُلْ﴾ يا محمد ليهود أهل المدينة والنصارى أهل نجران ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ يعني أتخاصموننا في دين الله ونحن نوحد الله وقال الزجاج[1]: نزلت [هذه الآية][2] في اليهود [والذين][3] [كانوا][4] يظاهرون المشركين فقال: أنتم تقولون: أنكم توحدون الله ونحن نوحد الله تعالى، فلم تظاهرون علينا من لا يوحد الله تعالى ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَالُنَا﴾ أي ثواب أعمالنا ﴿وَلَكُمْ﴾ ثواب ﴿أَعْمَالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ أي مقرون له بالوحدانية مخلصون له بالعبادة.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ قرأ الكسائي وعاصم وحمزة في رواية حفص[5] (أم تقولون) بالتاء على معنى المخاطبة وقرأ الباقون: بالياء (أم يقولون) [على معنى المغايبة][6]. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ﴾ يعني إن تعلقتم أيضا بدين الأنبياء فنحن على دينهم، وقد آمنا بجميع الأنبياء، فان ادعيتم أن الأنبياء كانوا على دين اليهودية أو النصرانية [وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى][7] ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ فالله تعالى أخبر أنهم كانوا على دين الاسلام، وقد بين ذلك في كتبهم حيث قال ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ لان الله تعالى قد أخذ عليهم الميثاق بأن يبينوه فكتموه قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي لا يخفى على الله من عملهم شيء فيجازيهم بذلك. ويقال: هذ القول وعيد للظالم وتعزية للمظلوم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

ثم قال تعالى ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقد ذكرنا تفسيرها.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾

قوله ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني الجهال وهم اليهود والمنافقون. ويقال: هم أهل مكة ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي يقولوا: ما الذي صرفهم ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ يعني التي صلوا إليها من قبل، وذلك أن الأنصار قبل قدوم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسنتين كانوا يصلون الى بيت المقدس، فلما قدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/١٩٨.
(٢) من ظ.
(٣) في ظ [الذين].
(٤) سقط من ظ.
(٥) وكذا ابن عامر. انظر/ البحر المحيط ١/٤١٤.
(٦) ساقطة من ظ.
(٧) في أ [النصرانية وإسحاق ويعقوب والإسباط كانوا هوداً أو نصارى].

المدينة صلى الى بيت المقدس ثمانية عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، [ثم أمر بالتحويل إلى مكة][1]. فقال أهل مكة[2]: رجع محمد الى قبلتنا، فعن قريب يرجع إلى ديننا فأنزل الله تعالى ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ يقول: إن الصلاة الى بيت المقدس والصلاة الى الكعبة لله اذا كان بأمر الله ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ أي يرشد من يشاء الى قبلة الكعبة ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي ديناً يرضاه. روي عن أبي العالية الرياحي أنه قال: رأيت مسجد صالح النبي - صلى الله عليه وسلم - وقبلته إلى الكعبة. قال: وكان موسى - عليه السلام - يصلي من الصخرة الى الكعبة، وهي قبلة الأنبياء كلهم صلوات الله عليهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ [والوسط[3] هو العدل][4] كما قال تعالى في آية أخرى: (قال أوسطهم) أي أخيرهم وأعدلهم والعرب تقول[5]: فلان من أوسط قومه أي خيارهم وأعدلهم ومنه قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم -: هو أوسطقريش حسبا. أي جعلناكم عدلاً للخلائق. ﴿لِتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعني للنبيين ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ بالتصديق لكم وذلك أن الله تعالى إذا جمع الخلق يوم القيامة فيسأل الأنبياء - عليهم السلام - عن تبليغ الرسالة كقوله تعالى: (ليسأل الصادقين عن صدقهم) فيقولون: قد بلغنا الرسالة فتنكر أممهم تبليغ رسالته فتشهد لهم أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - بتبليغ الرسالة فتطعن الأمم في شهادتهم [فيزكيهم][6] النبي - صلى الله عليه وسلم - فذلك معنى[7] قوله تعالى: [(لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ومعنى قوله][8](وكذلك) أي وكما[هديناكم][9] للإسلام [والقبلة][10] الكعبة فكذلك جعلناكم أمة عدلاً لتكونوا شهداء على الناس. وللآية تأويل آخر: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ أي عدلاً، لتكونوا شهداء على الناس). يقول: إنكم حجة على جميع من خلقنا ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجة عليكم. والشهادة في اللغة[11]: هي البيان فلهذا يسمى الشاهد بينة لأنه بين حق المدعي يعني أنكم تبينون لمن بعدكم)،والنبي - صلى الله عليه وسلم - يبين لكم. قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ أي ما أمرناك بالصلاة إلى القبلة الأولى ويقال: ما حولنا القبلة التي كنت عليها ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ يقول: إلا لنختبر ونبين ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ يطيع الرسول في تحويل القبلة ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي يرجع إلى دينه بعد تحويل الله القبلة ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أي وقد كانت لثقيلة وهو صرف القبلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي حفظ الله قلوبهم على الإسلام وأكرمهم باتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - في تحويل القبلة وهم أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - قالوا: يا رسول الله فإخواننا الذين ماتوا ما صنع الله بصلاتهم التي صلوا إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ

---

(١) في ظ [فلما صرفت قبلته إلى الكعبة].
(٢) في ظ [مكة إذا حركت القبلة إلى الكعبة].
(٣) من ظ.
(٤) انظر المفردات في غريب القرآن (٨٢٠).
(٥) راجع اللسان: وسط ٤٨٣٣ - ٤٨٣٤.
(٦) في ظ [فزكاهم].
(٧) من ظ.
(٨) ما بين المعقوفين ساقط من ظ.
(٩) في ظ [هديتكم].
(١٠) في ظ [ولقبلة].
(١١) انظر: الصحاح ٢/٤٩٤ المغرب ١/٤٥٩، القاموس المحيط ١/٣١٦ والمصباح المنير ١/٤٩٧.

﴿إِيمَانَكُمْ﴾ يعني لم يبطل إيمانكم وإنما تحولت قبلتكم. ويقال: يعني صلاتهم إلى بيت المقدس التي صلوا إليها وماتوا عليها لأن اليهود قالوا: قد بطل إيمانكم حين تركتم القبلة، فنزل (وما كان الله ليضيع إيمانكم) يعني يبطل إيمانكم. قال الضحاك: يعني لم يبطل تصديقكم بالقبلتين. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني بالمؤمنين رحيم حين قبلها منهم ولم يضيع إيمانهم. قرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: (لرؤف) بالهمزة على وزن (رعف) وقرأ الباقون: (رؤوف) على وزن فعول في جميع القرآن وهما لغتان ومعناهما واحد[١].

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ﴾ أي رفع بصرك إلى السماء وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل: وددت لو أن الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، وإنما أراد الكعبة لأنها قبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء - عليهم السلام - وذلك لأنها كانت أدعى للعرب إلى الإسلام فقال له جبريل: إنما أنا عبد مثلك لا أملك شيئاً (فاسأل)[٢] ربك فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يديم النظر إلى السماء فأنزل الله تعالى ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ أي رفع بصرك إلى السماء ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ أي فلنحولنك ولنوجهنك في الصلاة ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ يعني تهواها أي تميل نفسك إليها. فأمره الله تعالى بالتوجه فقال: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني نحوه وتلقاءه [﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ أي إلى الكعبة][٣] ثم قال: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوْتُواْ ٱلْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعني أن القبلة إلى الكعبة هي الحق وهي قبلة إبراهيم - عليه السلام - ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[٤] يعني جحودهم القبلة إلى الكعبة فقالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - : ائتنا بعلامة على تصديق مقالتك وهم اليهود والنصارى، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوْتُوا ٱلْكِتَابَ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿بِكُلِّ آيَةٍ﴾ أي بكل علامة ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾ أي ما صلوا إلى قبلتك ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ أي بمصل إلى قبلتهم ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يقال: معناه كيف ترجوا أن يتبعوك ويصلوا إلى قبلتك وهم لا يتبعون بعضهم بعضاً. ثم قال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَائَهُم﴾ هذا الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - والمراد [منه][٥] أمته يعني لئن صليت إلى قبلتهم أو اتبعت مذهبهم ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي البيان أن دين الإسلام هو الحق والكعبة هي القبلة ﴿إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ أي الضارين بنفسك.

---

(١) راجع/ شرح الحرز، إرشاد المريد للضباع، وكذا أبو شامة على الحرز والبحر المحيط ١/٤٢٦.

(٢) في ظ [فسل].

(٣) ما بين المعقوفين من ظ.

(٤) اغفل المؤلف القراءة في «يعملون» وقد قرأها ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب، والباقون بالياء والظاهر أنه عائد على أهل الكتاب. البحر المحيط ١/٤٣٠.

(٥) في ظ [به].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ﴾ وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ يعني محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنعته وصفته ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ بين الغلمان. قال عبد الله بن سلام والله إني لأنا كنت أشد معرفة برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مني بإبني فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ : وكيف ذلك يا ابن سلام؟ فقال: لأني أشهد أنه رسول الله حقاً وصدقاً ويقيناً وأنا لا أشهد بذلك على ابني لأني لا أدري ما أحدثت النساء بعدي [فقال له: والله يا ابن سلام لقد صدقت أو أصبت][1] ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ﴾ يعني طائفة من اليهود ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ في كتابهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنه نبي مرسل. قال مقاتل: إن اليهود قالوا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لم تطوفون بالبيت المبني بالحجارة فقال لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن الطواف بالبيت حق وإنه هو القبلة مكتوب في التوراة، فجحدوا ذلك فنزل قوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب) يعني التوراة يعرفون أن البيت قبلة كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ذلك في أمر القبلة. ثم قال تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ يا محمد إن الكعبة قبلة إبراهيم ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أي من الشاكين. إنهم يعرفون أنها قبلة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ أي قبلة والوجهة [والجهة][2] والوجه بمعنى واحد أي لكل ذي ملة قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ (أي مستقبلها)[3]. [وقيل: لكل دين وملة قبلة هو مولها][4]. قرأ ابن عامر[5]: (هو مولاها) والباقون[6] بالكسر أي هو بنفسه موليها [يعني الله مولاها][7] وقال مقاتل: لكل أهل ملة قبلة هم مستقبلوها يريدون بها [وجه][8] الله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَاتِ﴾ أي قال لهذه الأمة استبقوا بالطاعات وهذا كما قال في آية أخرى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) أي جعلنا لكل قوم شريعة وسبيلاً فإذا أخذوا بالسنة والمنهاج [رضي عنهم][9] فأمر الله تعالى أهل هذه الشرائع أن يستبقوا الخيرات في الأعمال الصالحة فقال تعالى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ﴾ في الأرض ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً﴾ يعني يقبض أرواحكم ويجمعكم يوم القيامة. وقال مجاهد (ولكل وجهة هو موليها) أمر كل قوم بأن يحولوا وجوههم إلى الكعبة. ويقال: ولكل أمة قبلكم قبلة أمرتهم بأن يستقبلوها فاستبقوا الخيرات، يقول: بادروا الأمم [بالطاعات][10]. ثم قال تعالى [(أينما تكونوا) (يأت بكم الله) يعني يقبض أرواحكم ويجمعكم يوم القيامة][11] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي هو قادر على جمعكم يوم القيامة.

---

(١) ما بين المعقوفين من أ. (٢) ساقطة من ظ. (٣) سقط من ظ. (٤) ما بين المعقوفين ساقطة من ظ.

(٥) بفتح اللام أي هو موجهها، اسم مفعول، وهي قراءة ابن عباس. والتقدير: «ولكل ذي ملة قبلة الله موليها وجهه»، ثم رد إلى ما لم يسم فاعله راجع/ حجة القراءات لابن زنجلة ص ١١٧، والبحر المحيط ١/٤٣٧، والاتحاف.

(٦) حجة القراءات لابن زنجلة ص ١١٧، والبحر المحيط ١/٤٣٧، والإتحاف. (٧) ما بين المعقوفين من ظ.

(٨) سقط في ظ. (٩) من ظ. (١٠) في ظ [بالطاعة]. (١١) ما بين المعقوفين من ظ.

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

ثم قال عز وجل: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ [يقول: حيث صليت][1] ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ بالصلاة ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي نحوه وتلقاءه، ﴿وَإِنَّ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني التوجه إلى الكعبة بالصلاة هو الحق من ربك ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي يجازيكم بأعمالكم ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ أي لكي لا يكون لليهود ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ لأنهم يعلمون أن الكعبة هي القبلة فلا حجة لهم عليكم ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي إلا من ظلم باحتجاجه فيما وضح له كما يقول الرجل لصاحبه: مالك على الحجة إلا أن تظلمني. وقال بعضهم: (إلا الذين ظلموا) يعني ولا الذين ظلموا لا حجة لهم عليكم وذكر عن أبي عبيدة أنه قال: (إلا الذين ظلموا) أي ولا الذين ظلموا فهذا موضع واو العطف فكأنه قال: ليس للناس عليكم حجة ولا الذين ظلموا منهم أي لا حجة لهم عليكم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أي بانصرافكم إلى الكعبة ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ في تركها قرأ نافع في رواية ورش: (ليلا) بغير همز[2]. والباقون: (لئلا) بالهمز لأن أصله (لأن لا) وإنما أسقط نافع الهمزة للتخفيف ثم قال تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بتحويل القبلة وبإرسال الرسول ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي لكي تهتدوا من الضلالة.

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنْكُم﴾ يعني محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ أي القرآن وقوله (منكم) أي من العرب. ويقال: آدمي مثلكم لأنه لو كان من الملائكة لا يستطيعون النظر إليه فأرسل آدمياً مثلكم يتلو عليكم القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ قال الكلبي: ويصلحكم بالزكاة. وقال مقاتل: يطهركم من الشرك والكفر[3]. وقال الزجاج[4]: خاطب به العرب أنه بعث رسولاً منكم وأنتم كنتم أهل الجاهلية لا تعلمون [الكتاب][5] والحكمة فكما أنعمت عليكم بالرسالة فأذكروني بالتوحيد. ويقال قوله: (كما) وصل بما قبله ومعناه ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم. ويقال: وصل بما بعده ومعناه كما أرسلنا فيكم رسولاً مِنكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم. ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ فاعرفوا هذه النعمة[6].

---

(١) ما بين المعقوفين من ظ.

(٢) راجع البحر المحيط ١/ ٤٤٠، ٤٤١.

(٣) في ظ [والكفر ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون].

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢١٠.

(٥) سقط في ظ.

(٦) في ظ [النعمة واذكروني بالتوحيد].

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [بالتوحيد][(١)] (أذكركم) [يقول: اذكروني بالطاعة أذكركم بالمغفرة][(٢)] فحق على الله أن يذكر [من ذكره فمن ذكره في طاعته ذكره الله تعالى بخير من ذكر الله من أهل المعصية في معصية][(٣)] ذكره الله باللعنة وسوء الدار. ويقال: اذكروني في الرخاء أذكركم عند البلاء. ويقال: اذكروني في [الضيق][(٤)] أذكركم بالمخرج. ويقال: اذكروني في الخلاء أذكركم في الملأ. ويقال: اذكروني في ملأ من الناس أذكركم في ملأ من الملائكة قال الفقيه: [حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال][(٥)]: حدثنا محمد بن الفضيل الضبي عن الحصين[(٦)] عن مجاهد[(٧)] عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ما اجتمع قوم يذكرون الله تعالى إلا ذكرهم الله في ملأ أعز منهم وأكرم وما تفرق قوم من مجلس لا يذكرون الله في مجلسهم إلا كانت حسرة عليهم يوم القيامة[(٨)] ويقال: اذكروني بالشكر، أذكركم بالزيادة. ويقال: اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة ويقال: اذكروني في الدنيا بالإخلاص أذكركم في الآخرة بالخلاص. ثم قال تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [يعني اشكروا][(٩)] نعمتي التي أرسلنا[(١٠)] فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ولا تجحدوا هذه النعمة. ويقال: النعمة في الحقيقة هي العلم وما سوى ذلك فهو تحويل من راحة إلى راحة وليس بنعمة لأن الطعام إذا أكله الإنسان فبعد ساعة يطلب منه الفرج والثوب الحسن ربما يمل منه إذا كان يؤذيه الحر أو البرد والعلم لا يمل منه صاحبه، بل ربما يطلب له الزيادة فأمر الله تعالى بشكر هذه النعمة التي بعث رسولاً ليعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني صدقوا بتوحيد الله تعالى وهذا نداء المدح وقد ذكرنا[(١١)] قبل هذا أن النداء على ست مراتب. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إذا سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فارع له بسمعك فإنه أمر تؤمر به أو نهي تنهى عنه ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يقول استعينوا بالصبر على أداء الفرائض وبالصلاة خاصة. قال الزجاج[(١٢)]: استعينوا بالصبر على ما أنتم عليه وإن أصابكم مكروه. وقال مجاهد: استعينوا بالصبر أي بالصوم والصلاة. وقال الضحاك: استعينوا بالصبر على صوم شهر رمضان وعلى الصلوات الخمس. ويقال: الصبر هو الصبر بعينه. ذكر في هذه الآية الطاعة الظاهرة والطاعة الباطنة فأمر بالصبر والصلاة لأنه ليس شيء من الطاعة الظاهرة أشد من الصلاة على البدن لأنه يجتمع فيها أنواع الطاعات: الخضوع والإقبال

---

(١) ساقطة من ظ. (٢) ما بين المعقوفين من ظ.
(٣) ما بين المعقوفين من ظ. (٤) في ظ [الضر]. (٥) ما بين المعقوفين من ظ.
(٦) الحصين بن عبد الرحمن الكوفي من كبار أصحاب الحديث، ثقة. تهذيب التهذيب ٢/٣٨١.
(٧) من ظ.
(٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١/١٥١، وأخرجه أحمد بنحوه ٣/٩٤، وعبد الرزاق في المصنف رقم (٢٠٥٧٧) وذكره البغوي في شرح السنة ٤/٦٥ والبخاري في التاريخ ١/٣٨٣.
(٩) من ظ. (١٠) في أ [أرسلت]. (١١) في ظ [ذكرنا أمر النداء]. (١٢) معاني القرآن وإعرابه ١/٢١١.

والسكون والتسبيح والقراءة فإذا تيسر عليه الصلاة تيسر عليه ما سوى ذلك وليس شيء من الطاعات الباطنة أشد من الصبر على البدن فأمر الله بالصبر والصلاة لأنه حسن. ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾ فالله تعالى مع كل أحد ولكن خص الصابرين لكي يعلموا أن الله سبحانه وتعالى يفرج عنهم. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ قال الضحاك: هم النفر الذين قتلوا عند بئر معونة. وقال الكلبي: هم الذين قتلوا ببدر قتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً [ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين][1] وكان الناس يقولون: مات فلان ومات فلان، فأنزل الله تعالى: (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله: أموات بل أحياء) [لأنهم][2] في الحكم: كالأحياء لأنه يجري ثوابهم إلى يوم القيامة ولأنهم يسرحون في الجنة حيث شاءوا. كما قال في آية أخرى: (عند ربهم يرزقون فرحين ولكن لا تشعرون).

وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ يعني المؤمنين ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ يقول: لنختبرنكم بخوف العدو وهو الخوف الذي أصابهم يوم الخندق حتى بلغت القلوب الحناجر (والجوع) وهو القحط الذي أصابهم فكان يمضي على أخذهم أياماً لا يجد طعاماً ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَالِ﴾ يعني ذهاب أموالهم، ويقال موت الماشية ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ يعني الموت والقتل والأمراض ﴿وَٱلثَّمَرَاتِ﴾ نقصان الثمرات فلا تخرج الثمرات كما كانت تخرج أو تصيبها الآفة. ويقال: الثمرات هو موت الولد وهو ثمرة القلب. ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ﴾ يعني الذين يصبرون على هذه المصائب والشدائد التي ذكرنا. ثم وصفهم فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ صبروا ولم يجزعوا ﴿وَقَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يعني يقولون: نحن عبيد الله وفي ملكه إن عشنا فعليه أرزاقنا وإن متنا فإليه مردنا وإليه راجعون بعد الموت[3] ونحن راضون بحكمه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني أهل هذه الصفة ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ والصلاة من الله تعالى على ثلاثة أشياء: توفيق الطاعة والعصمة عن المعصية، ومغفرة الذنوب جميعاً فبالصلاة الواحدة تتكون لهم هذه الأشياء الثلاثة فقد وعد لهم الصلوات الكثيرة، ومقدار ذلك لا يعلمه إلا الله ثم قال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ أي الموفقون للاسترجاع. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال لم يكن الاسترجاع إلا لهذه الأمة ألا ترى أن يعقوب ـ عليه السلام ـ قال (يا أسفى على يوسف) فلو كان له الاسترجاع لقال ذلك وروي عن عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: من ذكر مصيبة أو ذكرت عنده فاسترجع جدد الله [ثوابه][4] كيوم أصيب بها[5]. وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أصابته مصيبة [فليتذكر][6] مصيبته فيّ، فإنها من أعظم المصائب[7]. وروى هذان الحديثان عن علي بن أبي طالب

---

(١) سقط في ظ. (٢) في ظ [يعني هم]. (٣) من ظ. (٤) في ظ [ثوابها].

(٥) أخرجه ابن ماجه ١/٥١٠ في كتاب الجنائز باب ما جاء في الصبر على المصيبة (١٦٠٠) وقال الشهاب البوصيري: في إسناده ضعف لضعف هشام بن زياد، وقد اختلف الشيخ هل هو روي عن أبيه أو عن أمه ولا يعرف لهما حال، قيل: ضعفه أحمد، وقال ابن حبان: روى الموضوعات عن الثقات.

(٦) في ظ [فليذكر].

(٧) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٧٦) وابن عدي في الكامل ٢٠٥٦/٦ والحديث في كنز العمال (٦٦٥٣) وأخرجه بنحوه=

عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضاً وروي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: [نعم العدلان][١] ونعم العلاوة [(فالعدلان قوله تعالى: (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) والعلاوة قوله تعالى][٢]: (وأولئك هم المهتدون).

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ قال أهل اللغة[٣]: الصفا: الحجارة الصلبة (التي لا تنبت [بها شيء][٤] والواحدة: صفاة يقال: حصى وحصاة) والمروة[٥]: الحجارة اللينة والشعائر: [علامة][٦] متعبداته [واحدها][٧] شعيرة. يعني أن الطواف بالصفا والمروة من أمور المناسك ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ روي عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما. وروي عن ابن عباس، وأنس بن مالك أنهما كانا يقرآن كذلك ومعنى ذلك أن من حج البيت أو اعتمر فترك السعي لا يفسد حجه ولا عمرته ولكن يجب عليه جبر النقصان وهو إراقة الدم وفي مصحف الإمام (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) بحذف كلمة (لا) وذلك أن أهل الجاهلية كان لهم صنمان على الصفا والمروة: أحدهما يقال له (اساف) والآخر (نائلة) وكان المشركون يطوفون بين الصفا والمروة ويستلمون الصنمين فلما قدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعمرة القضاء كان الأنصار لا يسعون فيما بين الصفا والمروة ويقولون: السعي فيما بينهما من أمر المشركين فنزلت هذه الآية. ويقال: إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما فتح مكة، طاف بالبيت، والمسلمون معه فلما سعى بين الصفا والمروة رفع المسلمون أزرهم وشمروا قمصهم كيلا يصيب ثيابهم ذينك الصنمين فنزل قوله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ يعني من أمور المناسك ﴿فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ يعني لو أصاب ثيابه من ذلك لا يضره ولا إثم عليه فخرج عمر فتناول المعول وكسر الصنمين. قال الفقيه: حدثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا علي بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الفضل عن يعلى بن منبه[٨] عن صالح بن حيان[٩] عن أبي بريدة[١٠] عن أبيه قال: دخل جبريل عليه السلام المسجد فبصر بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نائماً في ظل الكعبة فأيقظه فقام وهو

= ابن ماجه ١/٥١٠ (١٥٩٩) وفي اسناده موسى بن عبيدة الريذي ضعيف مما لا يحتج بحديثه.

(١) ساقطة من ظ. (٢) سقط في أ.

(٣) في اللسان: قال الأصمعي: الصفواء والصفوان كله واحد.. وقال ابن السكيت: الصفا العريض من الحجارة الأملس، جمع صفاه. اللسان مادة صفا، وراجع معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٢١٦.

(٤) في ظ [شيئاً].

(٥) قال ابن منظور: المَرْو: حجارة بيض براقة تكون فيها النار، وتقدح منها النار. واحدتها مروة، وبها سميت المروة بمكة.. (اللسان: مرا).

(٦) في ظ [علامات]. (٧) في ظ [والواحدة].

(٨) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي، حليف قريش، وهو يعلى بن منبه، وهي أمه، صحابي مشهور، مات سنة بضع وأربعين. التقريب ٢/٣٧٧.

(٩) في ظ حسان. وهو صالح بن حيان القرشي، ويقال الفراس الكوفي. ضعيف الحديث. التهذيب ٤/٣٨٦.

(١٠) في أ [بردة].

ينفض رأسه ولحيته من التراب فانطلق به نحو باب بني شيبة فلقيهما ميكائيل فقال جبريل لميكائيل: ما يمنعك أن تصافح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: أجد من يده ريح نحاس فقال جبريل للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفعلت ذلك؟ وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نسي ذلك ثم ذكر فقال: صدق أخي مررت أول أمس على (أساف ونائلة) فوضعت يدي على أحدهما وقلت: إن قوماً رضوا بكما آلهة مع الله هم قوم سوء قال صالح: قلت [لأبي بريدة][1] وما أساف ونائلة؟ قال: كانا إنسانين من قريش يطوفان بالكعبة [فوجدا فيها][2] خلوة فراود أحدهما صاحبه (فمسخهما)[3] الله تعالى نحاساً [فجاءت بهما][4] قريش وقالوا: لولا أن الله رضي بأن نعبد هذين الإنسانين ما مسخهما نحاساً. (وأساف) كان رجلاً ونائلة كانت امرأة. قال الزجاج[5]: الجناح في اللغة: أخذ من جنح إذا مال وعدل عن المقصد وأصل ذلك من جناح الطير. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً﴾. قرأ حمزة والكسائي (يطوع) بالياء وجزم العين[6] لأن الأصل يتطوع فأدغمت التاء في الطاء وشددت. وقرأ الباقون[7] (تطوع) على معنى الماضي والمراد به الإستقبال يعني إذا زاد في الطواف حول البيت على ما هو واجب عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ يقبل منهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [بنياتهم وبما نووا][8] وقال القتبي: يطوف أصله يتطوف فأدغمت التاء في الطاء ويقال: الجناح: الإثم ويقال إن الله شاكر عليم يقبل اليسير ويعطي الجزيل ـ ويقال: إن الله شاكر بقبول أعمالكم عليم بالثواب ويقال: الطواف للغرباء أفضل من الصلاة لأنهم يقدرون على الصلاة إذا رجعوا إلى منازلهم ولا يمكنهم الطواف إلا في ذلك الوقت فالله تعالى قد حث على الطواف. بقوله ﴿ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ﴾ نزلت في شأن رؤساء اليهود منهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وابن صوريا يقول: يكتمون ما أنزلنا في التوراة من البينات: الحلال والحرام وآية الرجم ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾ يعني أمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَابِ﴾ أي في التوراة ويقال: في القرآن (أُوْلَٰئِكَ يَلْعَنُهُمْ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ ٱللاَّعِنُونَ﴾ [أي يخذلهم الله ويلعنهم اللاعنون][9] قال ابن عباس: وذلك أن الكافر إذا وضع في قبره سئل من ربك وما دينك؟ فيقول: لا أدري فيقال له: ما دريت فهكذا كنت في الدنيا ثم يضربه ضربة [يصيح منها صيحة يسمعها][10] كل شيء إلا الثقلان فلا يسمع صوته شيء إلا يلعنه فذلك قوله تعالى: (ويلعنهم اللاعنون) وروي عن ابن مسعود أنه قال إذا تلاعن اثنان فإن كان أحدهما مستحقاً[11] للعنة رجعت اللعنة إليه وإن لم يكن يستحق أحدهما اللعنة ارتفعت اللعنة إلى السماء فلم تجد هناك موضعاً فتنحدر فترجع إلى الذي تكلم بها إن كان أهلاً لذلك وإن لم يكن أهلاً لذلك رجعت إلى الكفار. وفي بعض الروايات إلى اليهود فذلك قوله تعالى: (ويلعنهم اللاعنون) ثم استثنى التائبين من اليهود فقال تعالى: ﴿إِلاَّ ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من الكفر واليهودية ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾

---

(١) في أ [لابن بريوة].　(٢) في ظ [فوجداها خلوة].　(٣) في ظ [فمسخهما].
(٤) في ظ [فجاءتهما].　(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢١٨.　(٦) على الجزم بمعنى الشرطية.
(٧) راجع / البحر المحيط ١/ ٤٥٨، وحجة القراءات لابن زنجلة ص ١١٨.　(٨) في أ [بما نووا].
(٩) سقط من ظ.　(١٠) في [illegible]　(١١) في أ [مستحقاً].

أعمالهم فيما بينهم وبين ربهم. ويقال: معناه وأصلحوا لمن أفسد من السفلة (وبينوا) صفته في كتبهم قوله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أي أتجاوز عنهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ المتجاوز لمن تاب ورجع فتقبل توبته.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي ثبتوا على كفرهم حتى ماتوا على ذلك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ [وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ]﴾[١] قال الكلبي: يعني لعنة المؤمنين خاصة. وقال بعضهم: [يلعنهم][٢] لعنة جميع الناس لأن من يخالف دينهم يلعنهم في الدنيا وأهل دينهم [يلعنونهم][٣] في الآخرة كما قال في آية أخرى: (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً) ثم قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي في اللعنة ولعنته[٤]: عذاب النار أي ما توجبه اللعنة. ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني لا يهون عليهم طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يعني لا يؤجلون.

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

(والهكم إله واحد) قال مقاتل: يعني ربكم رب واحد وقال الضحاك: كان لمشركي العرب ثلاثمائة وستون صنماً يعبدونها من دون الله تعالى فدعاهم الله إلى [التوحيد][٥] والإخلاص لعبادته فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ويقال: نزلت هذه الآية في صنف من المجوس يقال لهم: المانوية[٦] فكان رئيسهم يقال له: (ماني) فقال لهم أرى الأشياء زوجين وضدين مثل الليل والنهار والنور والظلمة والحر والبرد والخير والشر والسرور والحزن والذي يصلح للشيء لا يصلح لضده فمن كان خالق النور والخيرات لا يكون خالق الشر والظلمات فهما اثنان: أحدهما يخلق الشر والآخر يخلق الخير فنزلت هذه الآية (وإلهكم إله واحد) أي خالقكم خالق واحد (هو خالق الأشياء كلها. وقوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قال بعض الناس: هذا الكلام نصفه كفر [وهو قوله: (لا إله) ونصفه إيمان وهو قوله: (إلا هو). ولكن هذا الكلام][٧] ليس بسديد: لأن الله تعالى أمر رسوله: بأن يأمرهم حتى يقولوا: لا إله إلا الله فلا يجوز أن يأمرهم بالكفر. وقال بعضهم: النصف الأول منسوخ والنصف الثاني ناسخ. وهذا أيضاً لا يصح لأن المنسوخ هو الذي كان مباحاً [قبل النسخ والكفر لم يكن مباحاً][٨] أبداً وأحسن ما قيل فيه: إن قوله: (لا إله) نفي معبود الكفار، وقوله: (إلا هو)[٩] إثبات معبود المؤمنين. أو نقول: [لا إله][١٠]: نفي الألوهية [عمن لا يستحق الألوهية][١١]. وقوله (إلا الله) اثبات الألوهية لمن يستحق الألوهية.

---

(١) في ظ [ولعنة الملائكة ولعنة الناس أجمعين].
(٢) في ظ [لعنة].
(٣) في ظ [يلعنهم].
(٤) في أ [واللعْنة].
(٥) في ظ [توحيده].
(٦) فرقة من المجوس أصحاب ماني بن فاتك الحكيم، ظهر في زمان سابور بن أردشير وأحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، زعم أن العالم مصنوع من أصلين قديمين النور والظلمة. انظر الملل والنحل ١/٢٤٤.
(٧) ما بين المعقوفين من ظ.
(٨) ما بين المعقوفين من ظ.
(٩) في ظ [الله].
(١٠) ساقطة من أ.
(١١) ساقطة في ظ.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

لمـا نزلت هذه الآية أنكر المشركون توحيد الله تعالى وطلبوا منه دليلاً على إثبات وحدانيته فنزلت هذه الآية **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ﴾** يعني في خلق السموات والأرض دليل على وحدانية الله في أنه خلقها بغير عمد ترونها وزينها بمصابيح والأرض بسطها أيضاً وجعل لها أوتاداً وهي الجبال وفجر فيهـا الأنهار وجعـل فيها البحار[1] **﴿وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾** يعني في مجيء الليل وذهاب النهار ومجيء النهار وذهاب الليل. [ويقال اختلافهما في الكون][2] ويقال: نقصان الليل، وتمام[3] النهار ونقصان النهار وتمـام[4] الليل. **﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾** يعني السفن. ويقال للسفينة الواحدة: (الفلك) ولجماعة السفن (الفلك)[5] يعني السفن التي تسير في البحر فتقبل مرة وتدبر مرة بريح واحدة فتسير في البحر **﴿بِمَا يَنْفَعُ ٱلنَّاسَ﴾** من الكسب والتجارة وغير ذلك وقوله: **﴿وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن مَّاءٍ﴾** يعني المطر الذي ينزل من السماء **﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾** أي اخضرت الأرض بعد يبسها **﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾** يقول: خلق في الأرض **﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ﴾** قرأ حمزة والكسائي: (الريح) بغير ألف والباقون: [6] (الرياح) بالألف واختار أبو عبيدة في قراءته: أن كل ما في القرآن من ذكر العذاب (الريح) بغير ألف وكل ما في القرآن من ذكر الرحمة: (الرياح) بالألف واحتج بما روى أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان إذا هاجت الريح قال: اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً[7]. ومعنى قوله تعالى وتصريف الرياح أي هبوب الريح مرة جنوباً ومرة شمالاً ومرة صباً ومـرة دبوراً. قوله تعالـى: **﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾** أي المذلل والمطوع. **﴿بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** أي في هذه الأشياء التي ذكر في هذه الآية آيات[8] لوحدانيته[9] لمن كان له عقل وتمييز. ويقال: هذه الآية تجمع أصول التوحيد وقد بين فيها[10] دلائل وحدانيته لأن الأمر لو كان بتدبير اثنين مختلفين في التدبير لفسد[11] الأمر باختلافهما. كما قال تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا).

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

---

(١) في أ [الاشجار]. (٢) من أ. (٣) في أ ظ [في تمام]. (٤) سقط في ظ.

(٥) قال ابن منظور: والفُلك ـ بالضم ـ السفينة تذكر وتؤنث وتقع على الواحد والاثنين والجمع، فإن شئت جعلته من باب جنب، وإن شئت من باب دلاص وهجان وهذا المذهب الأخير هو مذهب سيبويه «وفيه خلاف بين اللغويين». راجع اللسان: فلك.

(٦) راجع/ حجة القراءات لابن زنجلة ص ١١٨، ١١٩، والبحر المحيط ١/٤٦٧.

(٧) راجع / حجة القراءات لابن زنجلة ص ١١٩.

(٨) في أ [اثبات]. (٩) في أ [لواحدانية الله]. (١٠) في ظ [ههنا]. (١١) في أ [فنحيل].

ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَاداً﴾ يعني بعض الناس وصفوا لله شركاء وأعداداً وهي الأوثان ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ قال بعضهم: معناه يحبون الأوثان كحبهم لله تعالى لأنهم كانوا يقرون بالله تعالى. وقال بعضهم: معناه، يحبون الأوثان كحب المؤمنين لله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ﴾ لأن الكفار يعبدون أوثانهم في حال الرخاء فإذا أصابتهم شدة تركوا عبادتها والمؤمنون يعبدون الله تعالى في حال الرخاء والشدة فهذا معنى قوله تعالى: (والذين آمنوا أشد حباً لله) فإن قيل إذا كان المؤمنون أشد حباً لله [فما معنى][1] قوله: يحبونهم كحب الله؟ قيل له: يحتمل أن بعض المؤمنين حبهم مثل حبهم وبعضهم أشد حباً[2] وفي أول الآية: ذكر بعض المؤمنين[3] وفي آخر الآية ذكر المؤمنين الذين هم أشد حباً لله. والحب لله أن يطيعوه في أمره وينتهوا عن نهيه فكل من كان أطوع [لله][4] فهو أشد حباً له. كما قال القائل:

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

ثم قال لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ يعني حين يرون العذاب ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ وفي الآية مضمر[5] ومعناه يا محمد لو رأيت الذين ظلموا في العذاب لرأيت أمراً عظيماً كما تقول: لو رأيت فلاناً تحت السياط فيستغني عن الجواب لأن معناه مفهوم فكذلك ههنا لم يذكر الجواب لأن المعنى معلوم. قرأ نافع وابن عامر: [(ولو ترى) بالتاء على معنى المخاطب للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقرأ الباقون[6]: (بالياء ومعناه)][7] ولو يرى عبدة الأوثان اليوم ما يرون يوم القيامة أن الأوثان لا تنفعهم شيئاً وأن القوة لله جميعاً تركوا عبادتها. وقرأ ابن عامر (إذ يرون العذاب) بضم الياء على معنى فعل ما لم يسم فاعله وقرأ الباقون بنصب الياء على معنى الخبر عنهم[8]. وقرأ الحسن وقتادة[9]: (أن القوة لله جميعاً) على معنى الابتداء وقرأ العامة [(أن القوة لله)][10] بالنصب على معنى البناء[11] يعني بأن القوة لله جميعاً[12] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ يعني للرؤساء والاتباع من أهل الأوثان ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ يعني القادة ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ وهم السفلة ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ يقال حين يروا العذاب ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ أي العهود والحلف التي كانت بينهم في الدنيا وقال القتبي: الأسباب يعني الأسباب التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا. وقال بعضهم وتقطعت بهم الأسباب، أي الخلة والمواصلة كما قال في آية أخرى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) ويقال:

---

(١) في ظ [فايش معنى]. (٢) في ظ [حيا الله].
(٣) في ظ [المؤمنين الذين حبهم مثل حب الكفار]. (٤) في ظ [له]. (٥) في أ [اضمار].
(٦) انظر/ شرح الحرز لأبي شامة، والاتحاف (تفسير سورة البقرة). وحجة القراءات ١١٩، ١٢٠ والبحر المحيط ١/ ٤٧١ وما بعدها.
(٧) سقط في ظ.
(٨) انظر/ حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٢٠.
(٩) هذه القراءة ليست شاذة ولكنها صحيحة متواترة مقرؤ بها عن أبي جعفر شيخ نافع والإمام يعقوب البصري فقد قرأها هكذا «أن القوة وإن الله». انظر: الدرة للقراءات العشر بشرح السمانودي وشرح القاضي، وطيبة النشر عند هذه الآية، وقد كسراها على الابتداء.
(١٠) من أ. (١١) في أ [الابتداء]. (١٢) من ظ.

الأرحام والمودة التي كانوا يتواصلون بها فيما بينهم قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا﴾ أي السفلة ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي رجعة إلى الدنيا وذلك أن الرؤساء لما تبرؤوا منهم ولا ينفعونهم شيئاً ندمت السفلة على اتباعهم في الدنيا ويقولون في أنفسهم لو أن لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي من القادة ﴿كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا﴾ من القادة قال الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [لأنهم يرون أعمالهم][١] غير مقبولة لأنها كانت لغير وجه الله تعالى فيكون ذلك حسرة عليهم. وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ يعني التابع والمتبوع والعابد والمعبود.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً﴾ وذلك أن قوماً من العرب مثل بني عامر وبني مدلج وخزاعة وغيرهم حرموا على أنفسهم أشياء مما أحل الله [لهم][٢] من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة وغير ذلك فنهاهم الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً﴾ من الحرث والأنعام [وحلالاً نصب على الحال][٣] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ﴾ يعني طاعات الشيطان. وقال مقاتل[٤]: يعني تزيين الشيطان. ويقال: وساوس الشيطان. وقال القتبي: الخطوات جمع الخطوة. وقال الزجاج: خطواته أي طرقه ومعناه لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي ظاهر العداوة ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِٱلسُّوءِ وَٱلْفَحْشَاءِ﴾ يعني بالإثم والقبيح من العمل. ويقال: السوء الذي يجب به الحبس والحساب والفحشاء: التي يستوجب بها العقوبة في النار. ويقال: السوء الذي يجب به التعزير في الدنيا والفحشاء التي يجب بها الحد. ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. يعني أن الشيطان يأمركم بأن تكذبوا على الله لأنهم كانوا يقولون هذه الأشياء حرم الله علينا.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي اعملوا بما أنزل الله في القرآن من تحليل ما أحل الله وتحريم ما حرم الله ﴿قَالُوا: بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾. يعني ما وجدنا عليه آباءنا قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ معناه، أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالاً فيتابعوهم بغير حجة. فكأنه نهاهم عن التقليد وأمرهم بالتمسك بالحجة وهذه الواو مفتوحة وهي واو: (أولو) لأنها واو العطف أدخلت عليها ألف التوبيخ وهي ألف الاستفهام. قرأ أبو عمرو ومن تابعه من أهل البصرة: (كذلك يريهم الله بكسر الهاء والميم وكذلك في كل موضع تكون الهاء والميم بعدهما ألف ولام. مثل قوله تعالى (وضربت عليهم الذلة) (ويلههم الأمل) وكان عاصم وابن عامر ونافع: يقرأون بكسر الهاء وضم الميم وكان حمزة والكسائي يقرآن: بضم الهاء والميم وكان ابن كثير يقرأ: (إنه لكم عدو مبين) يضم الميم وكذلك إنما يأمركم وكذلك كل ميم نحو هذا مثل: (أنعمت عليهم غير المغضوب

---

(١) ما بين المعقوفين من ظ.
(٢) ما بين المعقوفين من ظ.
(٣) في ظ [عليهم].
(٤) في أ [قتادة].

عليهم). (وعلى قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم) وكان نافع في رواية ورش عنه يقرأ: بسكون الميم. [(إلا أن يستقبله ألف أصلية فيضم الميم مثل قوله: (سواء عليهم أنذرتهم) (إذ يتنازعون بينهم أمرهم). (وقد خلقكم أطواراً) وكان حمزة والكسائي يقرأون بسكون الميم][1]. إلا أن يستقبله ألف ولام مثل قوله: (وضربت عليهم الذلة)[2]. وأما قوله: (خطوات الشيطان) كان نافع وأبو عمرو وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر [يقرأون][3] (خطوات) بجزم الطاء وقرأ الكسائي وابن كثير وعاصم في رواية حفص: (خطوات) بضم الطاء وهما لغتان ومعناهما واحد[4].

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

ثم قال تعالى ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾. فهذا مثل ضربه الله تعالى لأهل الكفر، إنهم مثل البهائم لا يعقلون شيئاً سوى ما يسمعون من النداء. وفي الآية إضمار ومعناه مثلك يا محمد مع الكفار كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً. وهذا قول الزجاج[5]. وقال القتبي: قال الفراء[6]: ومثل واعظ الذين كفروا فحذف ذكر الواعظ. كما قال تعالى (واسأل القرية) وقال القتبي أيضاً: (مثل الذين كفروا) يعني ومثلنا في وعظهم فحذف اختصاراً إذ كان في الكلام [ما يدل][7] عليه (كمثل الذي ينعق) يعني الراعي إذا صاح في الغنم لا يسمع إلا دعاءً ونداءً فحسب ولا تفهم قولاً ولا تحسن جواباً فكذلك الكافر لا يعقل المواعظ. ﴿صُمٌّ﴾ عن الخبر فهم لا يسمعون ﴿بُكْمٌ﴾ أي خرس لا يتكلمون بالحق ﴿عُمْيٌ﴾ لا يبصرون الهدى. ويقال: كأنّهم صم لأنهم يتصاممون عن سماع الحق. ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الهدى.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ يعني من الحلال من الحرث والأنعام ﴿وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ يعني إن كنتم [إياه تعبدون أي][8] تريدون بترك أكله رضاء الله تعالى فكلوه فإن رضي الله تعالى أن تحلوا حلاله وتحرموا حرامه. ويقال: إن محرم ما أحل الله مثل محل ما حرم الله. ويقال: في هذه الآية بيان

---

(١) ما بين المعقوفين من ظ.

(٢) ميم الجمع في (عليهم - إليهم - فيهم) إما أن يكون بعدها متحرك، وإما أن يكون بعدها ساكن فأما ما بعدها متحرك فقد قرأه ابن كثير بضم الميم في حالة الوصل مثل «عليهمو غير المغضوب عليهمو» وقالوا: عن نافع له وجهان: الإسكان كالجماعة والصلة كابن كثير. وقرأها ورش بالصلة بواو بشرط أن يكون بعده همزة قطع فقط هكذا «سواء عليهمو ءانذرتهم أم» والباقون بالإسكان. وأما ميم الجمع التي بعدها ساكن فأبو عمرو بكسر الهاء هكذا «عليهم القتال بهم» وأما حمزة والكسائي فيضمان الهاء ويكسران الميم هكذا «يريهم الله» والباقون بضم الميم وكسر الهاء هكذا «عليهم القتال» انظر/ الحرز سورة الفاتحة وابن الفاصح والإتحاف.

(٣) ساقطة من ظ.

(٤) حرز الأماني بشرح أبي شامة، وارشاد المريد للضباع.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٢٦

(٦) معاني القرآن ١/٩٩.

(٧) في أ [دليلاً].

(٨) سقط في ظ.

فضل هذه الأمة لأنه تعالى خاطبهم بما خاطب به أنبياءه عليهم الصلاة والسلام ـ لأنه قال لأنبيائه: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات). وقال لهذه الأمة[(١)] (كلوا من طيبات ما رزقناكم) وقال في أول الآية: (كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً). فلما أمر الله تعالى بأكل هذه الأشياء التي كانوا يحرمونها على أنفسهم قالوا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن لم يكن هذه الأشياء محرمة فالمحرمات ما هي؟ فبين الله تعالى المحرمات. فقال: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ والميتة سوى السمك والجراد و (والدم) يعني الدم المسفوح أي الجاري. كما قال في آية أخرى: (أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير) يعني حرم عليكم (ولحم الخنزير) فذكر اللحم خاصة والمراد به اللحم والشحم وجميع أجزائه وهذا شيء قد أجمع المسلمون [على تحريمه][(٢)] فقد ذكر الميتة وإنما انصرف إلى بعض منها وأحل البعض منها وهو السمك والجراد وذكر الدم [وإنما المراد به][(٣)] بعض الدم لأنه لم يدخل فيه الكبد والطحال وذكر لحم الخنزير فانصرف النهي إلى اللحم وغيره ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ يعني ما ذبح بغير اسم الله تعالى. والإهلال في اللغة[(٤)]: هو رفع الصوت وكان أهل الجاهلية إذا ذبحوا رفعوا الصوت بذكر آلهتهم فحرم الله تعالى على المؤمنين أكل ما ذبح لغير اسم الله تعالى وفي الآية دليل: أنه إذا ترك التسمية عمداً لا يؤكل لأنه قد ذبح بغير اسم الله تعالى ثم إن الله تعالى علم أن بعض الناس يبتلون بأكل الميتة عند الضرورة فرخص لهم في ذلك بقوله تعالى (فمن اضطر). قرأ حمزة وعاصم وأبو عمرو: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ بكسر النون وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان ومعناهما واحد[(٥)]. يقول: فمن أجهد إلى شيء مما حرم الله إلى أكل الميتة ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾. يعني غير مفارق الجماعة ولا عاد على المسلمين بالسيف فمن خرج لقطع الطريق، أو خرج على إمام المسلمين فلا رخصة له عند بعضهم[(٦)]. وقال بعضهم: من خرج في معصية فلا رخصة له. وقال بعضهم: كل من اضطر إلى أكل الميتة رخص له أن يأكل سواء أخرج للمعصية أو غيرها. وهذا قول أصحابنا. ومعنى قوله (غير باغ) أي غير طالب [للحرام][(٧)] ولا راض بأكله. (ولا عاد) يعني لا يعود إلى أكله بعد[(٨)] أكل مقدار ما يسد به الرمق. وروي عن ابن عباس نحو هذا. قال: حدثنا محمد بن سعيد الترمذي قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي[(٩)] قال: حدثنا عبد الله بن صالح[(١٠)] [عن معاوية بن صالح][(١١)] عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) قال: من أكل شيئاً من هذه الأشياء وهو مضطر فلا حرج[(١٢)] عليه ومن أكله وهو غير مضطر فقد بغى واعتدى[(١٣)] وهو قوله: (فمن اضطر غير باغ ولا عاد). ثم اختلفوا في حد الاضطرار الذي يحل له أكل الميتة. قال بعضهم: إذا كان بحال يخاف على نفسه التلف [وهو قول الشافعي][(١٤)].

---

(١) سقط في ظ. (٢) في ظ [عليه]. (٣) في أ [والمراد به].

(٤) انظر اللسان/ هلل. (٥) حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٢٢.

(٦) عند الإمام الشافعي رضي الله عنه لأن الرخص لا تناط بالمعاصي، ومعنى ذلك أن فعل وجود شيء، نظر في ذلك الشيء، فإن كان تعاطيه في نفسه حراما امتنع معه فعل الرخصة، وإلا فلا وبهذا يظهر الفرق بين المعصية بالسفر والمعصية فيه. انظر الأشباه والنظائر للسيوطي (١٤٠).

(٧) في ظ [شبعا]. (٨) في ظ [بعدما].

(٩) هو محمد بن الحجاج الحضرمي المصري، صدوق ثقة. الجرح والتعديل ٧/٢٣٥.

(١٠) عبد الله صالح المصري، ثقة. التهذيب ٥/٢٥٦.

(١١) من ظ. (١٢) في أ [جناح].

(١٣) نسبه السيوطي في الدر المنثور ١/١٦٨ لابن أبي حاتم.

(١٤) انظر: قليوبي وعميرة ٤/٢٦٢، والأشباه والنظائر للسيوطي (٨٤). ابن عابدين ٦/٣٣٨.

وروي عن ابن المبارك أنه قال: إذا كان بحال لو دخل السوق لا ينظر إلى شيء سوى الخبز. وقال بعضهم: إذا كان بحال يضعفه عن أداء الفرائض. وقد اختلفوا أيضاً في أكله: قال بعضهم: أكله حرام إلا أنه لا إثم عليه، ألا ترى أنه قال في سياق الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وقال بعضهم: هو حلال ولا يسعه تركه لأنه قال في آية أخرى: (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه) فلما استثني منه ثبت أنه حلال. وروي عن مسروق أنه قال: من اضطر إلى ميتة فلم يأكل حتى مات دخل النار.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ﴾ نزلت في رؤساء اليهود كانوا يرجون أن يكون النبي ـ عليه السلام ـ منهم فلما كان من غيرهم خشوا بأن تذهب منافعهم من السفلة فعمدوا إلى صفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فغيروها. ويقال: غيروا تأويلها فنزلت هذه الآية ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ يعني في التوراة بكتمان صفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ يعني يختارون به عرضاً يسيراً[1] من [منافع][2] الدنيا ﴿أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ ٱلنَّارَ﴾ يعني يأكلون[3] الحرام وإنما سمي الحرام ناراً لأنه يستوجب به النار. كما قال في آية أخرى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً). ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾ أي لا يكلمهم بكلام الخير لأنه يكلمهم بكلام العذاب حيث قال تعالى: (اخسئوا فيها ولا تكلمون) ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾ أي ولا يطهرهم من الأعمال الخبيثة السيئة. وقال الزجاج[4]: ولا يزكيهم أي لا يثني عليهم خيراً ومن لا يثنى عليه فهو معذب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي وجيع يعني الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب وكذلك كل من كان عنده علم فاحتاج الناس إلى ذلك فكتمه فهو من أهل هذه الآية. وهذا كما روى أبو هريرة عن النبي: صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: [من كتم علماً ألجمه الله تعالى يوم القيامة بلجام من نار[5]][6]. ثم قال: ﴿أُوْلَئِكَ الذين﴾ يعني رؤساء اليهود ﴿ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلاَلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ يعني اختاروا الكفر على الإيمان ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ يعني اختاروا النار على الجنة ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يقول: فما الذي أجرأهم على فعل أهل النار. ويقال: معناه فما أبقاهم في النار كما يقال: فما أصبر فلاناً على الحبس: أي أبقاه: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك العذاب ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي القرآن ﴿بالحق﴾ أي بالعدل ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَابِ﴾

---

(١) في أ [قليلاً]. (٢) في ظ [متاع].

(٣) من ظ. (٤) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٣٠.

(٥) أخرجه ابن حبان. كذا في الموارد (٩٦٢٩٥) والطبراني في الكبير ١١/ ٥ والخطيب في التاريخ ٥/ ٣٩، ٩/ ٩٢، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٥ وابن عدي ٣/ ١٠٦٢، ٦/ ٢١٧٤، والعقيلي ٣/ ٧٤ وذكره الهيثمي في المجمع ١/ ١٦٣ والحديث في الدر المنثور ١/ ١٦٢! وفي الكنز (٢٩٠٣١). وفي رواية «من سئل عن علم يعلمه فكتمه» فعند أبي داود والترمذي وابن ماجه.

(٦) في ظ [من كتم علماً أعطاه الله تعالى أُلْجِمَ بلجام من نار].

أي في القرآن ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾. أي في ضلالة بينة ويقال: معناه أن الله تعالى أنزل القرآن على محمد - عليه السلام - بالعدل فتركوا أتباعه وخالفوه فاستوجبوا بذلك العذاب ويقال: لفي شقاق بعيد أي في خلاف بعيد من الحق وذكر عن قتادة أنه قال: (فما أصبرهم على النار) أي فما أجرأهم على العمل الذي يقرب إلى النار[١] وروي عن مجاهد أنه قال: ما أعلمهم بعمل أهل النار ويريد ما أدومهم على عمل أهل النار[٢] وقال أبو عبيدة[٣]: ما الذي صيرهم ودعاهم إلى النار.

لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

ثم قال ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾. قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: (ليس البر) بنصب الراء على معنى خبر ليس. وقرأ الباقون: بالرفع على معنى اسم ليس. من قرأ بالرفع فهو الظاهر في العربية لأن ليس يرفع الاسم الذي بعده بمنزلة كان وأما من قرأ بالنصب فإنه يجعل الاسم ما بعده ويجعل (البر)[٤] خبره. وتفسير الآية: قال مقاتل: في قوله ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾ أي ليس البر أن تحولوا وجوهكم في الصلاة. ﴿قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ لا تعملوا غير ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ﴾ يعني صدق بالله بأنه واحد لا شريك له. (قرأ نافع وابن عامر (ولكن البر) بكسر النون وضم الراء. . وقرأ الباقون: (ولكن البر) بنصب النون مشددة وبنصب الراء[٥]. ويقال: معناه ليس البر كله في الصلاة ولكن البر ما ذكر في هذه الآية من العبادات. ثم اختلفوا في معنى قوله: ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ [قال بعضهم معناه ولكن ذو البر من آمن بالله][٦]. وقال بعضهم: معناه ولكن البر بر من آمن بالله وكلا المعنيين[٧] ذكرها[٨] الزجاج في كتابه[٩]. وقال بعضهم[١٠] ليس البار من يولي وجهه إلى المشرق والمغرب ولكن البار من آمن بالله [وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ][١١]. ثم ذكر في هذه الآية خمسة أشياء من الإيمان فمن لم يقر بواحدة منها فقد كفر. أحدها: الإيمان بالله تعالى أنه واحد لا شريك له [والتصديق][١٢] باليوم الآخر وبالبعث الذي فيه جزاء الأعمال وأنه كائن وأن أهل الثواب يصلون إلى الثواب وأهل العقاب يصلون إلى العقاب (والتصديق)[١٣] بالكتاب أنه منزل من الله تعالى القرآن وسائر الكتب: التوراة والإنجيل والزبور ويقر بالملائكة أنهم عبيده ويقر بالنبيين أنهم رسله وأنبياؤه فهذه الخمس من الإيمان فمن جحد واحدة منها فقد كفر. ثم ذكر الفضائل فقال تعالى ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ يعني يعطي المال على شهوته وجوعه وهو شحيح يخشى الفقر، ويأمل العيش. ويقال: على حبه الإعطاء بطيبة من نفسه يعطي ﴿ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني الضيف النازل[١٤]

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير ٣/٣٣١.
(٢) ابن جرير في المصدر السابق ٣/٣٣٣.
(٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٦٤.
(٤) انظر الحرز بشرح أبي شامة، والإتحاف.
(٥) حجة القراءات لابن زنجله ص ١٢٣.
(٦) ما بين المعقوفين من ظ.
(٧) في أ [التفسيرين].
(٨) في أ [وذكرها].
(٩) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٣٢.
(١٠) في ظ [ليس البراى].
(١١) سقط في ظ.
(١٢) في ظ [وصدق].
(١٣) في ظ [صدوق].
(١٤) ساقطة من ظ.

﴿وَٱلسَّائِلِينَ﴾ الذين يسألون الناس ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ يعني المكاتبين. وقد قيل: (ابن السبيل) هو المنقطع من ماله. ثم ذكر الفرائض فقال تعالى ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ﴾ المكتوبة ﴿وَآتَى ٱلزَّكَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا۟﴾ فيما عاهدوا فيما بينهم وبين الله تعالى وفيما بينهم وبين الناس ﴿وَٱلصَّابِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [أي بالبأساء وهي شدة الفقر][1] [البأس][2]قال القتبي: يعني الفقر وهو من البؤس والضراء المرض والزمانة ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ يعني يصبرون عند الحرب. وقال القتبي: البأس: الشدة ومنه يقال: لا بأس عليك يعني لا شدة عليك (فلهذا سمي [الحرب البأس][3] لأن فيه شدة. ثم قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا﴾ [يعني صدقوا][4] في إيمانهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ عن نقض العهد. فإن قيل: أيش معنى قوله: ﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾ وموضعه موضع رفع ولم يقل: (والصابرون) قيل له: قد قال بعض من تعسف في كلامه: إن هذا غلط الكاتب حين كتبوا مصحف الإمام والدليل على ذلك ما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ أنه نظر في المصحف وقال: أرى فيه لحناً وستقيمه العرب بألسنتها وهكذا قال في سورة النساء (والمقيمين الصلاة) وفي سورة المائدة (والصابئون). لكن الجواب عند أهل العلم أن يقال: إنما صار نصباً للمدح وللكلام يصير نصباً للمدح أو للذم ألا ترى إلى قول القائل:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل.

وإنما جعله نصباً للمدح وروي عن قتادة أنه قال: ذكر لنا أن رجلاً سأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن البر فنزلت هذه الآية: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾ الآية وقال الضحاك (أولئك الذين صدقوا) يعني صدقت نياتهم فاستقامت قلوبهم بأعمالهم. (وأولئك هم المتقون) يعني المطيعون لله تعالى ثم قال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ يعني فرض عليكم وأوجب عليكم القصاص. فإن قيل: الفرض على من يكون؟ على الولي أو على غيره؟ قيل له: الفرض على القاضي إذا اختصموا إليه بأن يقضي على القاتل بالقصاص إذا طلب الولي لأن الله تعالى قد خاطب جميع المؤمنين بالقصاص ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعاً أن يجتمعوا على القصاص فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص فخاطب الولي بالقصاص وخاطب غيره بأن يعين الولي على ذلك وهو قوله ﴿كتب عليكم القصاص﴾ أي فرض عليكم إذا كان (في)[5] القتل عمداً. ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَى بِٱلْأُنثَى﴾ قال بعضهم: كان في أول الشريعة أن الحر يقتل بالحر والعبد بالعبد ولا يقتل الحر بالعبد ولا العبد بالحر ولا الذكر بالأنثى ثم نسخ بقوله تعالى: (النفس بالنفس) وقال بعضهم هي غير منسوخة لأنه قد ذكر هذه الآية: ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ولم يذكر في هذه الآية: أن العبد

(١) سقط في ظ.
(٢) في ظ [البأساء].
(٣) في أ [البأس الحرب].
(٤) سقط من أ.
(٥) من أ.

لو قتل حراً ما حكمه فبين في آية أخرى وهو قوله: (النفس بالنفس). وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية فكان بينهم قتلى وجراحات وكان لأحدهما طول على الأخرى فقالوا: لنقتلن بالعبد منا الحر منكم وبالمرأة الرجل منكم وبالرجل منا الرجلين منكم فلما جاء الإسلام طلب بعضهم من بعض ذلك فنزلت هذه الآية: ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾. ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي ترك ولي المقتول من أخيه: أي القاتل ولم يقتله وأخذ الدية. ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يعني يطلب الدية بالرفق ولا يعسر عليه وأمر بالمطلوب بأن يؤدي الدية إلى الطالب لقوله: ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾. وقال القتبي (فمن عفي له من أخيه شيء) قال: قبول الدية في العمد والعفو عن الدم (فاتباع بالمعروف) أي مطالبة جميلة (وأداء إليه بإحسان) لا يبخسه ولا يمطله معناه (ولا يدفعه)[١] إذا عفى أحد [ولي القصاص][٢] صار نصيب الآخر مـلأ فيتبعه بالمعروف والقاتل يؤدي إليه نصيبه بإحسان. ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ لأن أهل التوراة كان لهم القتل ولم يكن لهم غير ذلك وأهل الإنجيل كان لهم العفو وليس لهم قود ولا دية فجعل الله تعالى القصاص والدية والعفو تخفيفاً لهذه الأمة فمن شاء قتل ومن شاء أخذ الدية ومن شاء عفا. وقال بعض الناس: إن الولي إن شاء قتل وإن شاء أخذ الدية وإن لم يرض القاتل [وهو قول الشافعي][٣]. وقال أصحابنا: [ليس له أن يأخذ الدية إلا برضا القاتل[٤]. وليس في هذه الآية دليل: أن له أن يأخـذ[٥] [الدية بكره منه][٦] وفيها دليل أن لـه أن يقبل الـدية[٧] وإذا رضي القـاتل واصطلحنا على ذلك. ثم قال تعالى ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ يعني أن يقتل بعد ما يأخذ الدية (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي وجع. وقال قتادة: يقتل ولا يتقبل منه الدية إذا اعتدى واحتج بما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: لا أعفي عن أحد قتل بعد أخذ الدية[٨]. ولكن معناه عندنا: أنه إذا طلب الولي القتل فأما إذا عفا عنه الثاني وتركه جاز عفوه لأنه قتل بغير حق فصار حكمه حكم القاتل الأول لأنه لو عفي عنه لجاز ذلك فكذلك الثاني ثم قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ بقاء لأن الناس يعتبرون بالقصاص فيمتنعون عن القتل وهذا كما قال القائل:

أبـلغ أبـا مـالـك عـنـي مـغـلغـلة ... وفـي الـعـقـاب حـيـاة بـيـن أقـوام

وهذا معنى قوله: ولكم في القصاص حياة ﴿يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾ يعني يا ذوي العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتل مخافة القصاص.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي فرض عليكم ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [أي][٩] مـالاً والخير في القرآن على وجوه: أحدها: المال كقوله تعالى: (إن ترك خيراً) وقوله: (وما أنفقتم من خير) (وما تنفقوا من خير) أي

(١) سقط في ظ. (٢) في أ [الوليين]. (٣) من أ. (٤) ما بين المعقوفين من ظ.
(٥) في أ [يأخذ منه]. (٦) ما بين المعقوفين من أ. (٧) في أ [ومعناه عند أصحابنا أن له أن يقبل الدية].
(٨) أخرجه أبو داود في السنن رقم (٤٥٠٧) وأحمد في المسند ٣/٣٦٣ وذكره الحافظ في الفتح ١٢/٢٠٩ والحديث في المشكاة (٣٤٧٩).
(٩) في ظ [يقول ان ترك].

المال. والثاني: الإيمان كقوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً) أي إيماناً وكقوله تعالى: (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً). والثالث الخير: الفضل كقوله تعالى: (وأنت خير الراحمين) والرابع: الخير: العافية كقوله: (وإن يمسسك الله بخير) (وإن يردك بخير) والخامس: الأجر كقوله: (لكم فيها خير) أي أجر. وقال بعضهم: الوصية واجبة على كل مسلم لأن الله تعالى قال: (كتب عليكم) أي فرض علكيم الوصية. وروي عن ابن عمر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: ما حق امرىء [مسلم][1] يبيت ليلة [وعنده][2] مال يوصي به إلا ووصيته مكتوبة عنده[3]. وقال بعضهم: هي مباحة وليست بواجبة[4]. وقد روي عن الشعبي أنه قال: الوصية ليست بواجبة فمن شاء أوصى ومن شاء لم يوص. وقال إبراهيم النخعي: مات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يوص وقد أوصى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فإن أوصى فحسن وإن لم يوص فليس عليه شيء وقال بعضهم: إن كان عليه حج أو كفارة أي شيء من [الكفارات][5] فالوصية واجبة وإن لم يكن عليه شيء من الواجبات فهو بالخيار إن شاء أوصى وإن شاء لم يوص وبهذا القول نأخذ. ثم بين مواضع الوصية فقال تعالى: ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قال مجاهد: كان الميراث للولد والوصية للوالدين والأقربين فصارت الوصية للوالدين منسوخة وروى جويبر عن الضحاك أنه قال: نسخت الوصية للوالدين والأقربين ممن يرث وثبتت الوصية[6] لمن لا يرث من القرابة. ويقال: في الآية تقديم وتأخير معناه كتب عليكم الوصية للوالدين والأقربين [(إذا حضر أحدكم الموت) وكانوا يوصون للأجنبيين ولم يوصوا للقرابة شيئاً فأمرهم الله تعالى بالوصية للوالدين والأقربين)][7]. ثم نسخت الوصية للوالدين بآية الميراث قوله ﴿بالمعروف حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي واجباً عليهم. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ أي غيره بعدما سمع الوصية ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ أي وزره على الذين يبدلونه ويغيرونه لا على الموصي لأن الموصي قد فعل ما عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ بالوصية ﴿عَلِيمٌ﴾ بثوابها وبجزاء من غير الوصية: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ أي علم من الموصي الجنف وهو الميل عن الحق (فلا إثم عليه) إذا غير وصيته فردها إلى الحق لأن تبديله كان للإصلاح ولم يكن للجور. وقال الكلبي: (فمن خاف من موص جنفاً) أي علم من الميت الخطأ في الوصية ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ يعني تعمداً للجور في وصيته فزاد على الثلث ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ أي رد ما زاد على الثلث ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. هكذا قال مقاتل. وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: الإضرار في الوصية من الكبائر. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: (فمن خاف من موص)[8] بنصب الواو وتشديد الصاد وقرأ الباقون: بسكون الواو وتخفيف الصاد فمن قرأ بالنصب والتشديد فهو من وصى يوصي ومن قرأ بالتخفيف فهو من أوصى يوصي وهما لغتان ومعناهما واحد [«فإن الله غفور رحيم» معناه غفور لمن جنف رحيم لمن أصلح].

---

(١) سقط في ظ. (٢) في ظ [وغير].

(٣) أخرجه البخاري ٥/٣٥٥ في الوصايا باب الوصايا (٢٧٣٨). ومسلم ٣/١٢٤٩ في الوصية (١/١٦٢٧).

(٤) قال البغوي: قال قوم كانت الوصية للوالدين والأقربين فرضاً فنسخت الوصية للذين يرثون منهم بآية الميراث وبقيت فريضة للذين لا يرثون من الوالدين والأقارب وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن وطاوس وقتادة وحكاه البيهقي عن الشافعي في القديم وبه قال إسحاق وداود واختاره أبو عوانة الاسفراييني وابن جرير وآخرون. وفي الحديث دليل على أن الوصية مستحبة غير واجبة لأنه فوض إلى ارادته فقال: له شيء يوصي فيه «يعني يريد أن يوصي فيه وهو قول عامة أهل العلم. انظر شرح السنة ٥/٢٧٨، فتح الباري ٥/٢٦٥.

(٥) في ظ [الواجبات]. (٦) في ظ [وبقيت]. (٧) ما بين المعقوفين من ظ.

(٨) في أ [موصي جنفا أي علم من الميت خطأ في الوصية].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ يعني فرض عليكم صيام رمضان ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي فرض على الذين من قبلكم من أهل الملل كلها. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأكل والشرب والجماع بعد صلاة العشاء الآخرة وبعد النوم. ويقال: كما كتب في الذين من قبلكم في الفرض. [ويقال: كما كتب على الذين من قبلكم في[1] العدد][2] ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي معلومات وإنما صارت الأيام نصباً لنزع الخافض ومعناه في أيام معدودات. وقال مقاتل: كل شيء في القرآن معدودة أو معدودات فهو دون الأربعين وما زاد على ذلك لا يقال معدودة. ثم قال تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَّرِيضاً﴾ فلم يقدر على الصوم ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ فلم يصم ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي فعليه أن يقضيها بعد مضي الشهر مثل عدد الأيام التي فاتته ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي يطيقون الصوم ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي يدفع لكل مسكين مقدار نصف صاع من حنطة ويفطر ذلك اليوم ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً﴾ أي تصدق على مسكينين مكان كل يوم أفطره ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ من أن يطعم مسكيناً واحداً والصيام خير له من الإفطار وهو قوله: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من أن تفطروا وتطعموا قال الكلبي: كان هذا في أول الإسلام ثم نسخت هذه الآية بالآية التي بعدها. وهكذا قال القتبي: وهكذا روي عن

---

(١) في أ [في العدد ويقال في].

(٢) ما بين المعقوفين من ظ.

سلمة بن الأكوع[١] أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ كان[٢] من أراد أن يفطر ويفدي فعل حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها [وهو قوله][٣] ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾[٤] وقال الشعبي: لما نزلت هذه الآية: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ كان الأغنياء يطعمون ويفطرون ويفتدون ولا يصومون فصار الصوم على الفقراء فنسختها هذه الآية ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ فوجب الصوم على الغني والفقير وقال بعضهم: ليست بمنسوخة وإنما [نزلت في الشيخ الكبير. وروي عن عائشة أنها كانت تقرأ: (وعلى الذين يطوقونه) يعني يكلفونه فلا يطيقونه. وروي عن عطاء عن ابن عباس أنه قال: ليست بمنسوخة وإنما هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة اللذين][٥] لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان كل يوم مسكيناً. قرأ نافع وابن عامر (فدية طعام مسكين) بضم الهاء وكسر الميم بالألف على الإضافة وقرأ الباقون بتنوين الهاء (فدية طعام) بضم الميم (مسكين) بغير ألف. قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ قرأ عاصم في رواية حفص: (شهر) بفتح الراء والباقون: بالضم. وإنما صار رفعاً لمعنيين: أحدهما أنه مفعول ما لم يسم فاعله يقول: كتب عليكم شهر رمضان ومعنى آخر: أنه خبر مبتدأ يعني هذا شهر رمضان. ومن قرأ بالنصب احتمل أنه صار نصباً لوقوع الفعل عليه أي صوموا شهر رمضان ويقال: صار نصباً لنزع الخافض أي: في شهر رمضان. ويحتمل: عليكم شهر رمضان. كقوله: (صبغة الله) يعني الزموا. قوله: ﴿ٱلَّذِي أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ﴾ قرأ ابن كثير (القرآن) بالتخفيف وقرأ الباقون: بالهمز. وقال ابن عباس في معنى قوله: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ يعني أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى الكتبة في السماء الدنيا ثم أنزل به جبريل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نجوماً نجوماً أي الآية والآيتين في أوقات مختلفة أنزل عليه في إحدى وعشرين سنة. وقال مقاتل: أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ كل عام في ليلة القدر إلى سماء الدنيا نزل إلى السفرة من اللوح المحفوظ في عشرين شهراً ونزل به جبريل في عشرين سنة. حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضيل العابد حدثنا الفضل بن دكين[٦] عن سفيان الثوري عن خالد الحذاء[٧] عن أبي قلابة قال[٨]: أنزلت التوراة في ثنتي عشرة ليلة مضت من رمضان والإنجيل في ثمانية عشرة ليلة والقرآن في أربعة وعشرين ليلة. قال الفقيه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم القطان قال: حدثنا محمد بن صالح الترمذي قال: حدثنا سويد بن نصر[٩] قال: حدثنا عبد الله بن المبارك عن ابن جريج قال: قال ابن عباس في قوله ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ قال: أنزل القرآن: جملة واحدة على جبريل في ليلة القدر. وقال ابن جريج[١٠]: كان ينزل من القرآن في ليلة القدر كل شيء ينزل في تلك السنة فينزل ذلك من السماء السابعة على جبريل في السماء الدنيا ولا ينزل جبريل من ذلك على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا كلما أمر به تعالى. قوله عز وجل ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ أي القرآن هدى للناس من الضلالة وبياناً لهم ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ يعني بيان الحلال

---

(١) سلمة بن عمرو بن الاكوع. كان شجاعاً رامياً، توفي سنة ٧٤ هـ. التهذيب ٤/١٥٠، الإصابة ٣/١٥١.

(٢) سقط من ظ. (٣) سقط من ظ. (٤) أخرجه البخاري ٨/١٨١ في كتاب التفسير.

(٥) سقط في أ.

(٦) الفضل بن دكين الكوفي، واسم دكين عمرو بن حماد بن زهير التيمي مولاهم الأحول أبو نعيم الملائي، ثقة ثبت. التقريب ٢/١١٠.

(٧) خالد بن مهران الحذاء ثقة. والحذاء نسبة إلى بيع الحذاء، وتوفي سنة ١٤٣ هـ. التهذيب ٢/١٢٠.

(٨) عبد الله بن زيد الجرمي، ثقة فاضل كثير الإرسال، توفي سنة ١٠٧ هـ التهذيب ٥/٢٢٤.

(٩) سويد بن نصر بن سويد المروزي الطوساني، ثقة، توفي سنة ٢٤٠ هـ التهذيب ٤/٢٨٠.

(١٠) ابن جرير في التفسير ٣/٤٤٧.

والحرام ﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾ أي المخرج من الشبهات (فمن شَهِدَ مِنكُم الشَّهْر فَلْيَصمْهُ) أي من كان منكم شاهداً ولم يكن مريضاً ولا مسافراً فليصم الشهر ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يقضيه بعد ذلك. روي عن عبد الله بن عمر: أنه كان يكره قضاء رمضان متفرقاً. وعن علي بن أبي طالب مثله، وقال معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح وجماعة من الصحابة: أحصِ العدد وصم كيف شئت. واختلفوا في حد المريض الذي يجوز له الإفطار: قال بعضهم: إذا كان بحال يخاف على نفسه التلف. وقال بعضهم: إذا استحق اسم المريض جاز له [أن يفطر][1] وقال بعضهم: إذا كان بحال يخاف أن يزيد الصوم في مرضه جاز له أن يفطر. وهو قول أصحابنا. ثم قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ في الإفطار في حال المرض والسفر ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ بالصوم في المرض والسفر ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾. قال الكلبي: يعني لتتموا [عدة ما][2] أفطرتم من الصوم في السفر أو في المرض. وقال الضحاك: (ولتكملوا العدة) يعني إذا غم عليكم هلال شوال فأكملوا الشهر ثلاثين يوماً. قرأ عاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو في رواية هارون: (ولتكملوا) بنصب الكاف وتشديد الميم وقرأ الباقون بالتخفيف وسكون الكاف وهما لغتان[3] يقال: كملت الشيء وأكملته مثل وصيت وأوصيت ثم قال ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ أي لتعظموا الله على ما هداكم لشرائعه وسننه وأمر دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. أي لتشكروا الله تعالى على هذه النعمة[4] حيث رخص لكم الفطر في المرض والسفر. وقال مقاتل: لعلكم تشكرون في هذه النعم أن هداكم لأمر دينه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾. وذلك أنه لما نزلت هذه الآية (ادعوني أستجب لكم) قال أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا رسول الله في أي وقت ندعوا الله حتى يستجاب دعاؤنا؟ فنزلت هذه الآية (وإذا سألك عبادي عني) ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ يعني أجيبكم في أي وقت تدعونني وقال بعضهم: سأله بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية: (وإذا سألت عبادي عني فإني قريب). وقال مقاتل: إن عمر واقع امرأته بعدما صلى العشاء فندم على ذلك وبكى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره بذلك ورجع من عنده مغتماً وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) قرأ أبو عمرو ونافع وعاصم في إحدى الروايتين: (دعوة الداعي إذا دعاني) بالياء والباقون كلهم: بحذف الياء[5]. وأصله بالياء إلا أن الكسر يقوم مقام الياء. ويقال فإني قريب في الإجابة أجيب دعوة الداعي إذا دعاني: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ وليصدقوا بوعدي. قال ابن عباس في رواية الكلبي: فليستجيبوا لي الاستجابة أن تقولوا بعد صلاتكم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. (وليؤمنوا بي) والإيمان أن تقول: آمنت بالله وكفرت بالطاغوت وأن وعدك حق وأن لقاءك حق وأشهد أنك أحد فرد صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنك باعث من في القبور. وروي عن ابن عباس أنه قال: ما تركت هذه الكلمات دبر[6] كل صلاة منذ نزلت هذه الآية وروي عن الكلبي أنه قال: ما تركتها منذ أربعين سنة ويقال: معناه أجيبوا لي بالطاعة إذا دعاكم [رسول الله][7] ـ (وليؤمنوا بي) أي ليصدقوا بتوحيدي. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي يهتدون من الضلالة. قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ يعني الجماع. وروى بكر عن عبد الله المزني عن ابن عباس أنه قال: الغشيان واللمس والإفضاء والمباشرة والرفث هو الجماع ولكن الله حيي كريم يكني بما شاء: وسبب نزول هذه الآية أن عمر بن الخطاب ـ

---

(١) في ظ [الإفطار]. (٢) في أ [العدة ما].
(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٢٦. في أ [النعم]. (٥) حجة القراءات لابن زنجلة ١٢٦ ـ ١٢٧.
(٦) في أ [بعد]. (٧) سقط من ظ.

رضي الله عنه ـ واقع امرأته بعد صلاة العشاء في شهر رمضان بعد النوم فأخبر بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما كنت جديراً بذلك فرجع مغتماً فنزلت هذه الآية ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ أي رخص لكم الجماع مع نسائكم. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ أي هن سكن لكم وأنتم سكن لهن. ويقال: هن ستر لكم من النار وأنتم ستر لهن من النار ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي تظلمون أنفسكم قال القتبي: أصل الخيانة: أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي الأمانة فيه وقد سمي الله تعالى هذا الفعل خيانة لأن الإنسان قد اؤتمن على دينه فإذا فعل بخلاف ما أمر الله به ولم يؤد الأمانة فيه فقد خانه [بمعصيته][1]. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي فتجاوز عنكم ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ ولم يعاقبكم بما فعلتم ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ أي جامعوهن ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد الصالح. وقال الزجاج[2]: ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ أي اتبعوا القرآن فيما أبيح لكم فيه وأمرتم به. ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ نزلت في شأن صرمة بن قيس[3] عمل في النخيل بالنهار فلما رجع منزله غلب عليه النوم قبل أن يأكل شيئاً فأصبح صائماً فأجهده الصوم فرآه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في آخر النهار فقال له: مالك يا ابن قيس أمسيت طليحاً[4] فقال ظللت أمس في النخيل نهاري كله أجر بالجرين حتى أمسيت فأتيت أهلي فأرادت أن تطعمني شيئاً سخناً فأبطأت علي [فنمت][5] فأيقظوني وقد حرم علي الطعام والشراب فلم آكل فأصبحت صائماً فأمسيت وقد أجهدني الصوم. فنزلت هذه الآية (وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا) ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾ وهذا أمر أباحه الله وليس بأمر حتم. كقوله: (وإذا حللتم فاصطادوا) وكقوله: (فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) [فلفظه][6] لفظ الأمر والمراد به الإباحة وقد أباح الله الأكل والشرب والجماع إلى وقت طلوع الفجر بقوله: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ أي يستبين لكم بياض النهار من سواد الليل. ويقال: في الابتداء (لما)[7] نزل قوله تعالى: (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ كان بعضهم يأخذ خيطين [أحدهما أبيض والآخر أسود][8] يجعل ينظر إليهما ويأكل ويشرب[9] حتى يتبين له الأسود من الأبيض. وذكر عن عدي بن حاتم الطائي أنه قال: أخذت خيطين فجعلت أنظر إليهما فلم يتبين الأسود من الأبيض ما لم يسفر الفجر فأتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته فتبسم وقال: إنك لعريض القفا إنما هو سواد الليل وبياض النهار فنزل قوله: (من الفجر) فارتفع الاشتباه[10]. ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي إلى أول الليل وهو غروب الشمس. ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ﴾ يقول: ولا تجامعوهن ﴿وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾ يقول ولا تجامعوهن وأنتم معتكفون فيها وذلك

---

(١) في ظ [بالمعصية].

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٤٤.

(٣) صرمة بن أنس، ويقال: ابن قيس بن مالك بن عدي، مشهور بكنيته. الإصابة ٣/٤٤٢.

(٤) الطليح: هو المتعب المجهد، حكى عن الأعرابي: أنه لطليح سفر، وطلح سفر، ورجع سفر، وردية سفر بمعنى واحد. اللسان: طلح.

(٥) سقط من ظ. (٦) في ظ [اللفظ]. (٧) في ظ [حين].

(٨) ما بين المعقوفين من ظ. (٩) من ظ.

(١٠) أخرجه البخاري ٨/١٨٢ في التفسير، ومسلم ٢/٧٦٦ في الصوم (٣٣/١٠٩٠) وقال القاضي عياض: إنما أخذ الخيطين وجعلهما تحت رأسه وتأول الآية لكونه سبق إلى فهمه أن المراد بها هذا وكذا وقع لغيره ممن فعل فعله حتى نزل قوله تعالى «من الفجر» فعلموا أن المراد به بياض النهار وسواد الليل. وقال: معناه أن جعلت تحت وسادك الخيطين اللذين أرادهما الله تعالى وهما الليل والنهار فوسادك يعلوها ويغطيها، وحينئذ يكون عريضاً.

أنه لما رخص لهم الجماع في ليلة الصيام فكان الرجل إذا كان [معتكفاً][١] فإذا بدا له خرج بالليل إلى أهله فتغشاها ثم يغسل ويرجع إلى المسجد فنزلت هذه الآية: (ولا تباشروهن) [أي لا تجامعوهن][٢] ليلاً ولا نهاراً (وأنتم عاكفون[٣] في المساجد) ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ قال الكلبي: يعني المباشرة في الاعتكاف معصية الله ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ في الاعتكاف. وقال الزجاج[٤]: الحد في اللغة هو المنع فكل من منع فهو حداد ولهذا سمي حد الدار حداً لأنه يمنع [الغير عن][٥] دخولها. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾ يعني النهي عن الجماع ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. الجماع حتى يفرغوا من الاعتكاف. ويقال (تلك حدود الله) أي جميع ما ذكر الله تعالى من أول الآية إلى آخرها في أمر الصيام وغيره ونبين لهم الآيات لعلهم يتقون فينتهون عما نهاهم ويتبعون ما أمرهم.

وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي بالظلم وشهادة الزور ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ يقول تلجأوا بالخصومة إلى الحكام. وقال الزجاج[٦]: تعملون بما يوجبه ظاهر الحكم وتتركون ما علمتم أنه الحق. ﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا﴾ يعني طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ أي باليمين الكاذبة وشهادة الزور. ويقال: بالإثم أي بالجور. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه جور ويقال: إنكم تعلمون أنكم تأخذون بالباطل. وهذه الآية نزلت في شأن امرىء القيس بن عباس الكندي[٧] وعيدان بن أشوع الحضرمي اختصما إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فادعى أحدهما على صاحبه شيئاً فأراد الآخر أن يحلف بالكذب فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه وأرى أنه من حقه وأنه لا يرى أنه من حقه فإنما أقضي له بقطعة من النار[٨] فنزلت هذه الآية فيهما وصارت عامة لجميع الناس وروى سعيد بن المسيب عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: شاهد الزور إذا شهد لا يرفع قدميه من مكانهما حتى يلعنه الله من فوق عرشه.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ الأهلة: [جمع هلال][٩] واشتقاقه من قولهم: استهل الصبي إذا صاح

---

(١) في ظ [في اعتكافه]. (٢) سقط من ظ. (٣) في أ [معتكفون].

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٤٤. (٥) في ظ [غيرها نحن». (٦) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٤٦.

(٧) امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية الأكرمين الكندي، كان من ا لصحابة الذين حضروا حصار حصن النجير باليمن، وقتل عمه المرتد عن الاسلام. الإصابة ١/١١٢.

(٨) أخرجه مسلم ١٣٣٧/٣ كتاب الأقضية باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة (١٧١٣/٤) وأحمد في المسند ٢٠٣/٦ والشافعي في المسند (١٠٥) والدارقطني في السنن ٢٣٩/٤ والبيهقي في السنن ١٤٩/١٠ والبغوي في التفسير ١٤/٦ وفي الشرح ٣٦٤/١٢ والنسائي ٢٤٧/٨ وابن أبي شيبة ٢٣٣/٧، ٢٣٤، ١٦٨/١٠، ٢٦٨/١٤ والترمذي في السنن رقم (١٣٣٩) والطحاوي في معاني الآثار ١١٥/٤.

(٩) في ظ [جماعة الهلال].

وأهل بالحج: أي رفع صوته بالتلبية وكذلك الهلال يسمى هلالاً لأنه يهل الناس بذكره أي يرفعون الصوت عند رؤيته وإنما سمي الشهر شهراً لشهرته[١]. وقال الضحاك في معنى الآية: إن المسلمين سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم عن خرص النخيل والتصرف في زيادة الشهر ونقصانه فنزلت هذه الآية: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ أي التصرف في حال زيادته ونقصانه سواء. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: نزلت هذه الآية في شأن معاذ بن جبل وثعلبة بن غمة الأنصاري: لأنهما قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم ينقص [فنزلت هذه الآية][٢] (يسألونك عن الأهلة: قل هي مواقيت للناس والحج) أي هي: علامات للناس في حل ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم ووقت الحج.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَى﴾[٣] قال الضحاك: وذلك أن الكفار كانوا لا يدخلون البيت في أشهر الحج من بابه وكانوا يدخلونه من أعلاه فنزلت هذه الآية: وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: وذلك أن الناس كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم رجل منهم قبل الحج فإن كان من أهل المدن يعني من أهل البيوت ثقب في ظهر بيته فمنه يدخل ومنه يخرج أو يضع سلماً فيصعد منه وينحدر عليه وإن كان من أهل الوبر يعني من أهل الخيام يدخل من خلف الخيمة إلا من الحمس وإنما سموا الحمس لأنهم يحمسون في دينهم أي شددوا على أنفسهم فحرموا أشياء أحلها الله لهم وحللوا أشياء كانت حراماً على غيرهم وهو الدخول من الباب. فنزلت هذه الآية: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ يعني ليس التقوى بأن تأتوا البيوت من خلفها إذا أحرمتم. (ولكن البر) يعني التقوى (من اتقى) أي أطاع الله واتبع أمره ويقال: ولكن ذو البر من اتقى الشرك والمعاصي. ثم قال تعالى: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ يعني أدخلوها محلين ومحرمين ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ ولا تقتلوا الصيد في إحرامكم وهذا قول الكلبي وقال مقاتل: واتقوا الله ولا تعصوه. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي تنجون من العقوبة.

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج مع أصحابه إلى مكة للعمرة فنزل بالحديبية بقرب مكة والحديبية: اسم بئر فسمي ذلك الموضع باسم تلك البئر فصده المشركون عن البيت فأقام بالحديبية شهراً فصالحه المشركون على أن يرجع من عامه كما جاء على أن تخلى له مكة في العام المقبل ثلاثة أيام وصالحوه على أن لا يكون بينهم قتال إلى عشر سنين فرجع إلى المدينة

(١) راجع اللسان: هلل ٤٦٨٩، شهر/ ٢٣٥١.
(٢) في ظ [فيدق فنزل].
(٣) انظر أسباب النزول للواحدي (٣٦).

وخرج في العام الثاني للقضاء فخاف أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقاتلهم المشركون وكرهوا القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي في طاعة الله ﴿الذين يقاتلونكم﴾ يعني في الحرم أو في الشهر الحرام ﴿ولا تعتدوا﴾ بأن تنقضوا العهد وتبدءوهم بالقتال في الشهر الحرام أو في الحرم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ يعني من يبدأ بالظلم. ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي حيث وجدتموهم في الحل والحرم، والشهر الحرام. فأمرهم الله تعالى: بقتل المشركين الذين ينقضون العهد وقوله ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ من مكة ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ أي الشرك بالله ﴿أَشَدُّ﴾ أي أعظم عند الله ﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ في الشهر الحرام. ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي في الحرم ﴿حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ أي يبدؤكم بالقتال ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ﴾ أي بدأوكم بالقتال ﴿فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ ٱلْكَافِرِينَ﴾ أي هكذا جزاؤهم القتل في الحرم وغيره. قرأ حمزة والكسائي[1]: (ولا تقتلوهم) بغير ألف (حتى يقتلوكم) (فإن قاتلوكم) وقرأ الباقون في هذه المواضع الثلاثة: بالألف. فمن قرأ بالألف فهو من المقاتلة ومن قرأ بغير ألف فمعناه لا تقتلوهم حتى يقتلوا منكم. ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عن قتالكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي إذا أسلموا وهذا كقوله: (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يعني الشرك بالله ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ كله ﴿لِلَّهِ﴾ يعني الإسلام ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عن قتالكم وتركوا الشرك ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ يقول لا سبيل ولا حجة عليهم في القتل ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّالِمِينَ﴾ الذين بدأوكم بالقتال.
وقال القتبي: أصل العدوان الظلم يعني لا جزاء للظلم إلا على الظالمين فسار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه حتى دخلوا مكة وطافوا بالبيت ونحروا الهدي وأقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم انصرفوا [فنزلت هذه الآية][2]﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني الشهر الحرام الذي دخلت فيه الحرم بالشهر الحرام الذي صدوكم عنه العام الأول وهو ذو العقدة ﴿وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ (أي ما اقتصصت لكم في ذي القعدة كما صدوكم. ويقال: إذا قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في الشهر الحرام والحرمات قصاص) يعني قتالكم يكون لقتالهم قصاصاً فكما تركوا الحرمة فأنتم تتركون [أيضاً][3]ذلك. ويقال: إن سبب نزول هذه الآية أن المشركين سألوا المسلمين فقالوا: في أي شهر يحرم عليكم القتال؟ وأرادوا أن يقفوا على ذلك حتى يقاتلوهم في الشهر الذي حرم القتال على المؤمنين فنزل قوله: (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوهم فيه) أي في وقت قاتلكم المشركون حل لكم قتالهم. ثم قال تعالى ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي قاتلكم في الشهر الحرام ﴿فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ أي قاتلوهم فيه وإنما سمي الثاني اعتداء لأنه مجازاة الاعتداء فسمي بمثل اسمه[4] وهذا كقوله عز وجل: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) ثم صارت هذه الآية حكماً في جميع الجنايات إن من جنى على انسان أو في ماله فله أن يجازيه بمثل ذلك بظاهر هذه الآية:﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾﴿بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ثم قال (وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ) عن الاعتداء قبل أن يعتدوا عليكم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني يعين من اتقى الاعتداء.

---

(١) راجع/ طلائع البشر في توجيه القراءات العشر للقمحاوي، والإتحاف والمهذب في القراءات العشر للدكتور محيسن، حجة القراءات لابن زنجلة ١٢٧، ١٢٨.

(٢) في ظ [فنزل قوله تعالى].

(٣) سقط في ظ.

(٤) ومثل هذا يسميه البلاغيون «المشاكلة» وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً. تحقيقاً: نحو قوله تعالى ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل اعتدى عليكم﴾ وتقديراً: مثل قوله تعالى ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ ولعل أبا علي الفارسي كان أول من أطلق عليه اسم المشاكلة. راجع معجم المصطلحات البلاغية. د/ أحمد مطلوب ٢٥٨/٣.

وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي في طاعة الله. قال ابن عباس وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أمر الناس بالخروج إلى الجهاد قام اليه ناس من الأعراب حاضري المدينة فقالوا: بماذا نجهز؟ فوالله ما لنا زاد ولا يطعمنا أحد فنزل قوله تعالى (وانفقوا [في سبيل الله(يعني تصدقوا][1] يا أهل الميسرة (في سبيل الله) أي في طاعة الله ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ يعني ولا تمسكوا بأيديكم عند الصدقة فتهلكوا وهكذا قال مقاتل. ومعنى قول ابن عباس ولا تمسكوا عن الصدقة فتهلكوا أي لاتمسكوا عن النفقة والعون للضعفاء فإنهم إذا تخلفوا عنكم غلب عليكم العدو فتهلكوا ومعنى آخر: ولاتمسكوا فيرث منكم غيركم فتهلكوا بحرمان منفعة أموالكم. معنى آخر: ولا تمسكوا فيذهب عنكم الخلف في الدنيا والثواب في الآخرة. ويقال:(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) يعني لا تنفقوا من حرام فيرد عليكم فتهلكوا. وقال الزجاج[2]: التهلكة: معناه الهلاك يقال: هلك يهلك هلاكا وتهلكة: معناه إن لم تنفقوا عصيتم الله فهلكتم وروي عن البراء بن عازب أن رجلا سأله عن التهلكة فقال: أهو الرجل إذا التقى الجمعان فحمل فيقاتل حتى يقتل؟ قال: لا ولكن الرجل يذنب ثم لا يتوب. وقال قتادة قيل لأبي هريرة: ألم تر سعد[3]بن هشام[4] لما التقى الصفان حمل فقاتل حتى قتل ألقى بيده إلى التهلكة؟ فقال أبو هريرة: كلا والله ولكنه تأويل[5] آية من كتاب الله: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله)[6] وقال أبو عبيدة السلماني: التهلكة أن يذنب (الرجل)[7] فيقنط من رحمة الله فيهلك. وروي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار إنا لما أعز الله دينه وكثرنا قلنا فيما بيننا: إن أموالنا قد ضاعت فلو أقمنا فيها وأصلحنا منها ما ضاع فأنزل الله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فكانت التهلكة: في الإقامة التي أردنا أن نقيم في أموالنا ونصلحها فأمرنا بالغزو ثم قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾أي أحسنوا النفقة من الصدقة﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في النفقة ويقال: وأحسنوا في النفقة أي أخلصوا النية في النفقة. ويقال: أحسنوا الظن بالله تعالى فيما أنفقتم أنه يخلف عليكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة.

وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ

(١) ما بين المعقوفين من ظ. (٢) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٥٥. (٣) في ظ [سعيد].
(٤) سعد بن هشام بن عامر الانصاري، ابن عم أنس بن مالك، ثقة. التهذيب ٣/ ٤٨٣.
(٥) في ظ [تأويل]. (٦) ذكره ابن جرير في التفسير ٣/ ٥٨٨. (٧) سقط من ظ.

فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

قوله تعالى: (وأتمو الحج والعمرة لله.) قرأ الشعبي[١]: (والعمرة لله) بالضم على معنى الابتداء وقرأ العامة (والعمرة)[٢] بالنصب على معنى البناء. قال ابن عباس: تمام العمرة إلى البيت وتمام الحج إلى آخر الحج. وقال مقاتل: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ من المواقيت ولا تستحلوا فيهما ما لا ينبغي لكم وذلك أنهم كانوا يشركون في إحرامهم ومعنى قول مقاتل أنهم كانوا يشركون فيقولون: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فقال: وأتموها ولا تخلطوا بهما شيئا آخر. ثم خوفهم فقال:﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ فيما تعديتم ثم قال عز وجل ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أي حبستم عن البيت بعدما أحرمتم. وقال القتبي: الإحصار هو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر أو عدو. وقال الفراء[٣]: الإحصار ما ابتلي به الرجل في إحرامه من المرض أو العدو وغيره. وقال بعضهم: لا يكون الإحصار إلا من العدو[٤] وقال بعضهم: يكون من العدو [وغيره][٥] وبه قال علماؤنا ـ رحمهم الله ـ. ثم قال: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي ابعثوا [إلى البيت ما استيسر][٦] من الهدي والله تعالى رخص لمن عجز عن الوصول إلى البيت بالعدو أن يبعث الهدي فينزع عنه بمكة ويحل الرجل من إحرامه إذا ذبح هديه ويرجع إلى أهله ثم يقضي حجه وعمرته بعد ذلك. ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ يعني المحصر إذا بعث بالهدي لا يجوز له أن يحل من إحرامه ما لم يذبح هدية يقول: لا يحلق رأسه حتى يكون اليوم الذي واعده فيه ويعلم أن هديه قد ذبح ثم صار هذا أصلاً لجميع الحجاج من كان قارناً أو متمتعاً لايجوز له أن يحلق رأسه إلا بعد أن يذبح هديه وإن لم يكن محصراً. ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ يعني إذا حلق رأسه على وجه الإضمار مثل قوله تعالى (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) يعني إذا كان[٧] أفطر. وروي عن كعب بن

---

(١) قراءة الشعبي هذه لم تتواتر وكذا قراءة الحسن «والعمرة» بالرفع شاذة والصحيح هو إسكان الميم ونصب التاء.

(٢) سقط من ظ. (٣) معاني القرآن ١/١١٧.

(٤) والإحصار يطلق في اللغة على المنع من أحصره وحصره، والأول في المرض أشهر والثاني في العدو أشهر، ووقوع الأول في القرآن للعدو ولا يخرجه عن الفصاحة وعرفه علماء الشافعية بأنه المنع من النسك ابتداءً أو دواماً أما كلاً أو بعضاً وأسباب الحصر ستة عندهم: العدو والمرض والسيادة والزوجية والأصلية، والدينية، فيندب للفرع وأن سفل استئذان جميع أصوله ولو كفاراً أو ارقاء في أداء النسك ولو فرضاً ولكل منهم منعه منه إحراماً وسفراً وتحليله بعد إحرامه إن كان تطوعاً إلا إن كان مسافراً معه أو كان سفره دون مرحلتين ويجب التحلل بأمره. انظر تفصيل هذا في: قليوبي وعميرة ٢/١٤٦. مغني المحتاج ١/٥٣٢.

(٥) في ظ [ومن المرض]. (٦) ما بين المعقوفين من ظ. (٧) من ظ.

عجرة[١] أنه قال فيَّ نزلت [هذه الآية][٢]. وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مر بي والقمل يتناثر على وجهي فقال: أيؤذيك هوام رأسك فقلت نعم فأمر بي بأن احلق [رأسي فقال: احلق رأسك][٣] وأطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة أو صم ثلاثة أيام أوانسك نسيكة يعني اذبح شاة فنزلت هذه الآية: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام﴾[٤] ﴿أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ أي شاة يذبحها حتى يبلغ الهدي محله. ويروى عن عبد الرحمن الأعرج[٥] أنه قرأها: بتشديد الياء[٦]. وواحدها هدية. وقرأ الباقون: بالتخفيف يقال للواحدة: هدي وهدية. ثم قال ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ وهذا على سبيل الاختصار والإضمار. ومعناه فاذا أمنتم من العدو فاقضوا ما وجب عليكم من الحج والعمرة. ويقال: إذا أمنتم من العدو وبرأتم من المرض فحجوا واعتمروا. ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ يعني فعليه ما تيسر من الهدي وللمتمتع أن يحج ويعتمر في سفرة واحدة من أشهر الحج. والمحرمون أربعة: مفرد بالحج ومفرد بالعمرة والمتمتع والقارن فأما المفرد بالحج أن يحج ويعتمر والمفرد بالعمرة أن يعتمر ولا يحج وأما المتمتع أن يعتمر في أشهر الحج ويمكث بمكة حتى يحج بعدما فرغ من عمرته وأما القارن فهو الذي يحرم بالحج والعمرة جميعاً: فمن كان مفردا بالحج أو بالعمرة فلا يجب عليه الهدي ومن كان متمتعاً أو قارناً فعليه الهدي. وقال عبد الله بن عمر أنه قال: الهدي: الجزور[٧] وقال ابن عباس: أقله شاة[٨] وبه قال علماؤنا ثم قال ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾. قال ابن عباس: آخرها يوم عرفة. ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾. قال بعضهم: إذا رجعتم[٩] إلى أهليكم. وقال بعضهم: إذا رجعتم من منى: وقال بعضهم: إذا رجعتم إلى الأمر الأول يعني إذا فرغتم من أمر الحج وبهذا القول نقول[١٠] ثم قال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ في البدل يعني العشرة (الكاملة)[١١] كلها بدل عن الهدي يعني ﴿ذَٰلِكَ﴾ الفداء[١٢] ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ [حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي ذلك الفداء][١٣] لمن لم يكن منزله في الحرم. وقال قتادة ومقاتل: ذلك يعني التمتع لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام يعني الحرم. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ إن خالفتم. ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ أي وقت الحج أشهر معلومات وهو: شوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجة ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾. قال القتبي: الفرض وجوب الشيء يقال: فرضت عليك كذا أي أوجبته[١٤] قال الله تعالى (فنصف ما فرضتم) أي ما ألزمتم أنفسكم. وقال: (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) وقال تعالى ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ أي فمن أحرم في هذه الأشهر بالحج ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (فلا رفث ولا فسوق) بالرفع مع التنوين والباقون بالنصب بغير تنوين[١٥]. واتفقوا في قوله: (ولا جدال) بالنصب غير أبي جعفر المدني فانه قرأ بالرفع وهذا يقال له: لا التبرية فكل

---

(١) كعب بن عجرة بن أمية بن عدي القضاعي المدني، حليف الأنصار. الإصابة ٥/٥٩٩.

(٢) من ظ. (٣) ما بين المعقوفين من ظ.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري ٤/١٢ في المحصر باب قول الله تعالى ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ البقرة: ١٩٦) (١٨١٤) وفي ٤/١٦ (١٨١٥) ومسلم ٢/٨٦١ في الحجر باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى (٨٣/١٢٠١).

(٥) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود المدني تابعي جليل، شذرات الذهب ١/١٥٣.

(٦) وهي قرآءة شاذة غير متواترة، والصحيحة «الهدي» بإجماع السبعة. (٧) انظر الدر المنثور ١/٢١٣

(٨) المصدر السابق ١/٢١٢. (٩) ما بين المعقوفين من ظ. (١٠) في أ [نأخذ]. (١١) من أ.

(١٢) من ظ. (١٣) سقط في ظ. (١٤) الصحاح ٣/١٠٩٧، المغرب ٢/١٣٣، المصباح المنير ٢/٧١٩.

(١٥) أما قراءة الرفع فعلى اعتبار أن «رفث» اسم لا العاملة عمل ليس «ولا فسوق» عطف عليه، و «لا» مكررة للتأكيد ونفي الاجتماع وبناء=

موضع يدخل فيه لا التبرية فصاحبه بالخيار إن شاء نصبه بغير تنوين وإن شاء ضمه بالتنوين مثل قوله (ولا خلة) (ولا شفاعة). وتفسير الرفث هو الجماع كقوله: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) وقال بعضهم: الرفث: التعرض بذكر النساء والفسوق: هو السباب، والجدال: أن تماري صاحبك حتى تغيظه[١]. أي من كان محرماً لا يجامع في إحرامه ولا يسب ولا يماري ويقال: الفسوق الذبح للأصنام. كقوله تعالى: (أو فسقاً أهل لغير الله به) والجدال هو أن قريشاً كانت تقف بالمزدلفة وكانوا يجادلون[٢]كل فريق يقولون: نحن أصوب سبيلاً. وروي عن مجاهد أنه قال قد استقر الحج في ذي الحجة فلا جدال فيه وذلك أن المشركين كانوا يحجون عامين في ذي العقدة وعامين في ذي الحجة فلما فتح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة بعث أبا بكر ليحج بالناس فوافق ذلك آخر عام ذي القعدة فلما حج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجة الوداع وافق ذلك (أول)[٣] عام في ذي الحجة فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا إن الزمان قد إستدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض[٤]. يعني رجع أمر الحج [إلى ذي الحجة][٥]كما كان فنزل (وَلَا جِدالَ)﴿فِي ٱلْحَجِّ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ يعني من ترك الفسوق والمرأة والجدال ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ أي يقبله الله فيجازيكم به. ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ في سفركم للحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم عن المسألة. ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال مقاتل وذلك أن أناساً من أهل اليمن[٦] كانوا يخرجون بغير زاد ويصيبون من أهل الطريق[٧] ظلماً فنزلت في شأنهم (وتزودوا [فإن خير الزاد التقوى][٨]. وقال بعضهم: تزودوا لسفر الدنيا بالطعام وتزودوا لسفر الآخرة بالتقوى، فإن خير الزاد التقوى. ويقال خير الزاد التقوى هو التوكل على الله وأن لا يؤذي أحداً لأجل الزاد والطعام. ثم قال: ﴿وَاتَّقُون يَا أُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ﴾ يعني اطيعوني يا ذوي [الألباب][٩] أي العقول فيما أمرتكم به. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وذلك أنهم كانوا إذا حجوا كفوا عن التجارة وطلب المعيشة في الحج فلم يشتروا ولم يبيعوا حتى تمضي أيام حجهم فجعل الله تعالى لهم رخصة في ذلك فقال تعالى ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ (أي مأثم عليكم)[١٠] أن تطلبوا رزقاً من ربكم من التجارة في أيام الحج. وقال مقاتل: سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:عن سوق عكاظ وسوق منى وذي المجاز في الجاهلية كنا نقوم في [التجارة][١١] قبل الحج وبعد الحج فهل يصلح لنا البيع والشراء في أيام حجنا؟ فنزلت هذه الآية. ومعنى آخر: ما روي عن عبد الله بن عمر: أن رجلا سأله فقال إني رجل أكري الإبل إلى مكة أفيجزيني عن حجي: فقال أولست تلبي؟ وتقف بعرفات وترمي الجمار؟ فقال: [بلى][١٢] فقال: [سأل رجل][١٣] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن مثل ما سألتني فلم يجبه حتى نزلت هذه

= الثالث على الفتح وهو «جدال» على معنى الإخبار بانتفاء الخلاف في الحج، ويقدر الرفع أيضاً على معنى «لا يكونن رفث ولا فسوق.

أما قراءة الباقين بالنصب فعلى جعل «لا» للتبرئة، وانفرد أبو جعفر برفع الكلمات الثلاث وهي قراءة صحيحة متواترة أيضاً.

انظر: الدرة المتممة للعشر بشرح السمانودي والقاضي من سورة البقرة، وكذا أبو شامة والإتحاف والمهذب في القراءات العشر للدكتور محيسن.

(١) انظر لهذه المعاني: اللسان: رفث. (٢) في ظ [يجادلون في] (٣) في ظ [أوله].

(٤) أخرجه البخاري ٣/٥٧٣ في الحج باب الخطبة أيام منى (١٣٢) وفي ٨/١٠٨ (٤٤٠٦) وفي ١٠/٧ في الأضاحي (٥٥٥٠) وفي ١٣/٤٢٤ (٧٤٤٧) ومسلم ٣/١٣٠٥ في القسامة (٢٩، ١٦٧٩/٣١).

(٥) من ظ. (٦) من ظ. (٧) في ظ [الطريق يعني عن النكدي وقال بعضهم معناه يصيبون].

(٨) من ظ. (٩) في ظ [العقول]. (١٠) في ظ [أي لا مأثم].

(١١) من ظ. (١٢) في ظ [نعم]. (١٣) في أ [سئل].

الآية: ﴿ليس عليكم جناح [أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾][(١)] وروي عن ابن عباس نحوه[(٢)]. ثم قال تعالى ﴿فإذا أفضتم مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾ يقول إذا رجعتم من عرفات بعد غروب الشمس﴿ فَاذْكُرُواْ اللهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ يعني بالمزدلفة. وقال عطاء: إنما سميت عرفات لأن جبريل كان يعلم إبراهيم ـ عليه السلام ـ أمور المناسك فكان يقول له: عرفت فيقول عرفت فسميت عرفات. وقال ابن عباس: إنما سميت منى لأن جبريل قال لآدم عليهما السلام: تمن قال: أتمنى الجنة فسميت منى قال: وإنما [سمي الجمع جمعاً][(٣)] لأنه آجتمع فيه آدم وحواء والجمع أيضاً: هو المزدلفة وهو المشعر الحرام. ثم قال: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ يقول: (اشكروا الله)[(٤)] كما هداكم لدين الإسلام ﴿وَإِن كُنتُم﴾ أي وقد كنتم ﴿مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ عن الهدى وكانت قريش لا تخرج من الحرم إلى عرفات وكان الناس يقفون خارج الحرم من كان من أهل اليمن وغيرهم بعرفات ويفيضون منها فأمر الله تعالى قريشاً أن يقفوا من حيث وقف الناس ويفيضوا من حيث أفاض الناس فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ تعالى لذنوبكم في الموقف ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ متجاوز عن ذنوبكم. فأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يخرج بالناس جميعاً إلى عرفات فيقف بها. وروي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: إن الله تعالى يباهي ملائكته بأهل عرفات ويقول: انظروا إلى عبادي جاءوا من كل فج عميق شعثاً غبراً اشهدوا: أني قد غفرت لهم. ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ أي فرغتم من أمر حجكم. ﴿فَاذْكُرُواْ اللَّهَ﴾ باللسان ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ في ذلك الموقف ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾ يقول: أو أكثر ذكراً وذلك أن العرب كانوا إذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد الذي بمنى وبين الجبل ثم ذكر كل واحد منهم أباه بما كان يعلم منه من الخير ثم يتفرقون قال الله تعالى: (فاذكروني) بالخير (كذكركم آباءكم) بالخير فإن ذلك الخير مني وقال عطاء بن أبي رباح: قوله (كذكركم آباءكم) هو كقول الصبي: أبه أبه يعني أن الصبي إذا كان أول ما يتكلم فإن أكثر قوله: أب أب ويقال فاذكروا الله كذكركم آباءكم لأبيكم آدم لأنه لا أب له بل أشد ذكراً لأني خلقته من غير أب ولا أم وخلقتكم من الآباء والأمهات ثم قال تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ وهم المشركون كانوا يقولون إذا وقفوا: اللهم ارزقنا إبلاً وبقراً وغنماً وعبيداً[(٥)] وإماءً وأموالاً ولم يكونوا يسألون لأنفسهم التوبة ولا المغفرة فأنزل الله تعالى: (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾ أي من نصيب. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قال ابن عباس: يعني الشهادة والمغفرة والغنيمة ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ أي الجنة. وقال القتبي: الحسنة النعمة كقوله: (إن تصبك حسنة تسوءهم) أي نعمة وقال الحسن البصري: (آتنا في الدنيا حسنة) أي العلم والعبادة (وفي الآخرة حسنة) أي الجنة [قال الإمام: حسنة الدنيا ثوابك وقوت من الحلال يكفيك وزوجة صالحة ترضيك وعلم إلى الحق يهديك وعمل صالح ينجيك. وأما حسنة الآخرة فارضاء الخصومات وعفو السيئات وقبول الطاعات والنجاة من الدركات والفوز بالدرجات] ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي ادفع عنا عذاب النار. ﴿أُوْلَئِكَ﴾ يعني المؤمنين][(٦)] الذين يدعون بهذا الدعاء ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ أي حظ ﴿مِّمَّا كَسَبُوا﴾ من حجهم ويقال: لهم ثواب مما عملوا. وقال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً كان على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: اللهم ما كنت (معاقبني)[(٧)] به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فأضني الرجل في مرضه حتى نحل

---

(١) ما بين المعقوفين من ظ.
أخرجه أبو داود ٢/١٤٢ في المناسك باب الكري (١٧٣٣).
(٢) أخرجه أبو داود المصدر السابق (١٧٣٤).
(٣) في ظ [سميت جمع].
(٤) في ظ [اشكروه].
(٥) سقط في أ.
(٦) ما بين المعقوفين من أ.
(٧) في ظ [تعاقبني].

جسمه فأخبر بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأتاه فأخبر بأنه كان يدعوا بكذا وكذا فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا ابن آدم إنك لا تستطيع أن تقوم بعقوبة الله تعالى ولكن قل: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. فدعا بها الرجل فبرأ[1]. ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ قال الكلبي: إذا حاسب فحسابه[2] سريع ويقال: والله سريع الحفظ. وقال الضحاك: يعني لا يخالطه العباد في الحساب يوم القيامة ولا يشغله ذلك. ويقال: يحاسب كل انسان فيظن كل واحد منهم[3] أنه يحاسبه خاصة. وقوله تعالى:

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي معروفات وهي أيام التشريق. وقال القتبي: أيام التشريق (والمعلومات أيام العشر)[4]. [وقال يحيى بن سعيد: سألت عطاء عن الأيام المعدودات وعن المعلومات قال: الأيام المعدودة: أيام النحر والمعلومات أيام العشر. وقال بعضهم الأيام المعدودات أيام التشريق بدليل ما سبق في سياق الآية: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ والمعلومات أيام النحر][5] بدليل قوله: (في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) فذكر النحر في تلك الأيام. وقال الضحاك: معنى قوله: (واذكروا الله في أيام معدودات) [أي معروفات وهي أيام التشريق][6] أي كبروا دبر كل صلاة من يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق ويقال: (واذكروا الله في أيام معدودات) يعني التكبير عند رمي الجمار. قوله: (فمن تعجل في يومين) أي رجع إلى أهله، بعدما رمى في يومين وترك الرمي في اليوم الثالث (فلا إثم عليه) [في تعجيله ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ إلى آخر النفر ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تأخيره][7] ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ يعني قتل الصيد في الإحرام وفي الحرم. وقال قتادة: ذكر لنا أن ابن مسعود قال: إنما جعلت المغفرة لمن اتقى في حجه. ويقال: لمن اتقى بعد انصرافه من حجه عن جميع المعاصي وإنما حذرهم الله تعالى لأنهم إذا رجعوا من حجهم يجترؤون على الله تعالى بالمعاصي فحذرهم عن ذلك فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ يعني كلامه وحديثه وهو أخنس بن شريق[8] كان حلو الكلام حلو المنظر فاجر السريرة. وروى أسباط عن السدي قال: أقبل أخنس بن شريق إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة فقال: إنما جئت أريد الإسلام وقال: الله يعلم أني صادق فأعجب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله ثم خرج من

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/١٠٧ (٢) في ظ [فحاسبه].
(٣) في أ [إنسان]. (٤) في أ [النحر]. (٥) ما بين المعقوفين من ظ.
(٦) سقط من ظ. (٧) ما بين المعقوفين من ظ.
(٨) الأخنس بن شريق الثقفي، أبو ثعلبة واسمه أبي، الإصابة ١/٣٨.

عنده فمر بزرع للمسلمين فأحرقه ومر [بحمار للمسلمين فعقره][1] فنزلت هذه الآية[2] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي يعجبك كلامه وحديثه ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ من الضمير أنه يحبه وهو يريد الإسلام ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ أي شديد الخصومة. قال القتبي[3] أي أشدهم خصومة. يقال: رجل ألد بين اللد واللدد[4]، وقوم لد كما قال في آية أخرى: (وتنذر به قوماً لُدّاً) ثم قال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يقول إذا فارقك رجع عنك سعى في الأرض) [أي مضى في الأرض بالمعاصي][5] ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ أي يعصي الله في الأرض ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ أي يحرق الكدس ويعقر الدواب ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ أي لا يرضى بعمل المعاصي. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في صنعك ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾ أي الحمية ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ يعني الحمية في الإثم يعني تكبراً يقول الله تعالى: ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي ولبئس الفراش ولبئس القرار. [فهذه الآية نزلت في شأن][6] أخنس بن شريق ولكنها صارت عامة لجميع الناس فمن عمل مثل عمله استوجب تلك العقوبة. وقال بعض الحكماء أن من يقتل حماراً ويحرق كدساً استوجب الملامة ولحقه الشين إلى يوم القيامة فالذي يسعى بقتل مسلم كيف يكون حاله وذكر أن يهودياً كانت له حاجة إلى هارون الرشيد فاختلف إلى بابه سنة فلم تنقض حاجته فوقف يوماً على الباب فلما خرج هارون الرشيد سعى ووقف بين يديه وقال: اتق الله يا أمير المؤمنين فنزل هارون عن دابته وخر ساجداً لله تعالى فلما رفع رأسه أمر [به][7] فقضيت حاجته فلما رجع قيل: يا أمير المؤمنين نزلت عن دابتك بقول يهودي؟ قال: لا ولكن تذكرت قول الله تعالى (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) إلى آخره وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: إذا دعيتم إلى الله فأجيبوا وإذا سئلتم بالله فأعطوا فإن المؤمنين كانوا كذلك.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في شأن صهيب بن سنان الرومي[8] مولى عبد الله بن جدعان وفي نفر من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم [ياسر أبو][9] عمار بن ياسر وسمية أم عمار وخباب بن الأرت[10] وغيرهم أخذهم المشركون فعذبوهم فأما صهيب فإنه كان شيخاً كبيراً وله مال ومتاع فقال لأهل مكة: إني شيخ كبير وإني لا أضركم إن كنت معكم أو مع عدوكم فأنا أعطيكم مالي ومتاعي وذروني وديني أشتريه منكم بمالي ففعلوا ذلك فأعطاهم ماله إلا مقدار راحلته وتوجه إلى المدينة فلما دخل المدينة لقيه أبو بكر فقال له: ربح البيع يا صهيب فقال له: وبيعك فلا يخسر فقال: وما ذلك يا أبا بكر فيخبره بما نزل فيه ففرح بذلك صهيب. وقتل ياسر أبو عمار وأم عمار سمية فنزلت هذه الآية في شأن صهيب (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) أي يشري نفسه ودينه وهذا من أسماء الأضداد يقال: شرى واشترى

(١) في ظ [بحمُرُ للمسلمين فعقرها]. (٢) انظر الطبري ٤/٢٢٩. (٣) تفسير غريب القرآن (٨٠).
(٤) ساقطة من أ. (٥) ما بين المعقوفين من ظ. (٦) ما بين المعقوفين من ظ.
(٧) في ظ [بحاجته.]
(٨) صهيب بن سنان بن مالك الرومي أبو يحيى، شهد بدراً والمشاهد بعدها توفي سنة ٣٩ هـ الإصابة ٣/٤٤٩.
(٩) سقط من أ.
(١٠) خباب بن الأرتّ بن جندلة التميمي، أبو عبد الله، كان من السابقين الأولين في الإسلام، شهد بدراً، توفي سنة ٣٧ هـ. الإصابة ٢/٦٥٨.

وباع وابتاع. (ابتغاء مرضاة الله) أي طلب [يشتري نفسه ودينه][(١)] رضاء الله ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أي رحيم بهم ثم صارت هذه الآية عامة لجميع الناس من بذل ماله ليصون به نفسه ودينه فهو من أهل هذه الآية.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾. قرأ[(٢)] نافع وابن كثير والكسائي: (السلم) بنصب السين وقرأ الباقون: بالكسر (والسلم) بالكسر هو الإسلام والسلم بالنصب هو المسالمة والصلح ويقال: السلم والسلم في اللغة[(٣)]: هو الصلح قال ابن عباس: نزلت هذه الآية فيمن أسلم من أهل الكتاب كانوا يتقون السبت ويحرمون أكل لحوم الجمال فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة). أي في شرائع دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني طاعات الشيطان. قال مقاتل: استأذن عبد الله بن سلام وأصحابه بأن يقرءوا التوراة في الصلاة وأن يعملوا ببعض ما في التوراة [فنزل قوله][(٤)]: ﴿ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ فإن اتباع السنة الأولى ـ بعدما بعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خطوات الشيطان. وقال بعضهم ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾ أي اثبتوا على شرائع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا تخرجوا منها وقوله: (كافة) أي عبارة عن الجميع فيجوز أن يكون معناه ادخلوا جميعاً ويجوز أن يكون معناه: ادخلوا في جميع شرائعه ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي لا تسلكوا الطريق التي يدعوكم إليها الشيطان ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي ظاهر العداوة ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ أي ملتم عن شرائع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ يعني محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشرائعه ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ عزيز بالنعمة حكيم في أمره وقال مقاتل أي حكيم حكم عليهم بالعذاب الشديد.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ هل في القرآن على سبعة أوجه[(٥)]. في موضع يراد بها (قد) كقوله: (هل أتاك) أي قد أتاك. ومرة يراد بها (الاستفهام) كقوله (هل إلى مرد من سبيل) ومرة يراد بها (السؤال) كقوله (فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً) ومرة يراد بها (التفهيم) كقوله: (هل أدلكم على تجارة) ومرة يراد بها (التوبيخ) كقوله (هل أنبؤكم على من تنزل الشياطين) [ومرة][(٦)] يراد بها (الأمر) كقوله (فهل أنتم منتهون) أي انتهوا ومرة يراد بها (الجحد) كقوله في هذا الموضع: (هَلْ يَنْظُرُونَ ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي ما ينظرون. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: هذا من

---

(١) من ظ.
(٢) راجع حجة القراءات لابن زنجلة (٦٠٨).
(٣) راجع اللسان: سلم.
(٤) سقط من ظ.
(٥) راجع ذلك في البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤/٤٥٧، ٤٥٨.
(٦) في ظ [وقد يذكر].

المكتوم الذي لا يفسر. . . وروى عبد الرزاق[(١)] عن سفيان الثوري[(٢)] قال: قال ابن عباس تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير يعلمه العلماء وتفسير تعرفه العرب وتفسير لا [يقدر][(٣)] أحد عليه لجهالته وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل ومن ادعى علمه فهو كاذب وهذا موافق لقوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) [(وكذلك هذه الآيـة سكت بعضهم عن تأويلها وقالوا: لا يعلم تأويله إلا الله)][(٤)] وبعضهم تأولها فقال: هذا وعيد للكفار فقال: (هل ينظرون) أي ما ينتظرون ولا يؤمنون (إلا أن يأتيهم الله) يعني أمر الله تعالى كما قال في موضع آخر (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) يعني أمر الله وقال بعضهم: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) يعني بما وعد لهم من العذاب ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ يعني في غمام فيه ظلمة [وقيل في ظلل يعني بظلل][(٥)] وقال: على غمام فيه ظلمة. ﴿وَٱلْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ أبو جعفر بكسر الهاء يعني في ظلل من الغمام وفي الملائكة قال قتادة وهي قراءة شاذة والقراءة المعروفة بالضم يعني تأتيهم الملائكة[(٦)]. وقال قتادة (والملائكة) يعني تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ويقال: يوم القيـامة ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي فرغ مما يوعدون يعني دخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ يعني عواقب الأمور. قرأ حمزة والكسائي وابن عامر (ترجع) بنصب التاء ويكون الفعل للأمور وقرأ الباقون: بضم التاء على فعل ما لم يسم فاعله[(٧)].

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾

قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيَ إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم﴾ قال مقاتل: معناه سل علماء بني إسرائيل كم أعطيناهم ﴿مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ حين فرق لهم البحر وأغرق عدوهم وأنزل عليهم المن والسلوى. ويقال: (كم آتيناهم من آية بينة) يعني نعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي يغير نعمة الله تعالى ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ يعني يقول إذا لم يشكر نعمة الله تزول عنهم النعم ويستوجبوا العقوبة.

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا﴾ قال الكلبي: نزلت في شأن رؤساء[(٨)] قريش زين لهم ما بسط لهم [في الدنيا][(٩)] من الخير ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ﴾ في أمر المعيشة لأنهم كانوا فقراء ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ أي

---

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم أبو بكر الصنعاني، ثقة، حافظ، مصنف، مات سنة إحدى عشرة، التقريب ١/٥٠٥.

(٢) من ظ. (٣) في ظ [يعذر]. (٤) ما بين المعقوفين من ظ.

(٥) في ظ [ويقال على غمام فيه ظلمة].

(٦) هي بكسر التاء عطفاً على الغمام، وقوله «قراءة شاذة» ليس صواباً، بل هي قراءة صحيحة متواترة، وقراءة الرفع عطفاً على لفظ الجلالة.

انظر: الدرة المتممة والإتحاف والنشر لابن الجزري «سورة البقرة».

(٧) راجع حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٣٠، ١٣١. (٨) من ظ. (٩) في أ [فيها].

أطاعوا الله وهم فقراء المؤمنين ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾ أي فوق المشركين في الجنة والحجة في الدنيا. وقد اختلفوا في قوله: (زين للذين كفروا) قال بعضهم: يعني زينها لهم إبليس لأن الله تعالى قد زهد فيها وأعلم أنها متاع الغرور ولكن الشيطان زين لهم الأشياء كما قال في آية أخرى (وزين لهم الشيطان أعمالهم [وقال في آية أخرى (وزينا لهم أعمالهم) فكان ذلك مجازاة لكفرهم][1] [وقال بعضهم: معناه أن الله تعالى زين لهم لأنه خلق فيهم الأشياء العجيبة][2] فنظر إليها الذين كفروا فاغتروا بها وروي عن ابن عباس عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: يقول الله تعالى لملائكته: لولا أن يحزن عبدي المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من ذهب ولصببت عليه الدنيا صباً[3] ومصداق ذلك في القرآن (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) الآية وقال عليه الصلاة والسلام: لو كانت الدنيا تزن عند الله[4] جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء[5] ثم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي يرزق (من يشاء رزقاً كثيراً لا يعرف حسابه). ويقال (بغير حساب) أي يرزقه ولا يطلب منه حسابه بما يرزقه ويقال: بغير حساب أي ليس له أحد يحاسبه منه بما يرزقه ويقال: بغير حساب أي بغير احتساب. كما قال في آية أخرى (ويرزقه من حيث لا يحتسب) وكل ما في القرآن: (يرزق من يشاء بغير حساب) فهو على هذه الوجوه الأربعة.

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. قال الزجاج[6]: الأمة على وجوه منها القرن من الناس كما يقال: مضت أمم أي قرون والأمة: الرجل الذي لا نظير له ومنه قوله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة) والأمة: الدين وهو الذي قال هاهنا: (كان الناس أمة واحدة) أي على دين واحد وعلى ملة واحدة. وقال بعضهم: كان الناس كلهم على دين الإسلام جميع من كان مع نوح في السفينة ثم تفرقوا. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ﴾ وقال بعضهم: كان الناس كلهم كفاراً في عهد نوح وعهد إبراهيم عليهما السلام فبعث الله للناس النبيين إبراهيم وإسماعيل، ولوطاً وموسى ومن بعدهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة لمن أطاع الله، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ بالنار لمن عصى الله ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ﴾ يقول: بالعدل ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي يقضي بينهم ﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ من[7] [أمور] الدين ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي في الدين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ يعين أعطوا الكتاب ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ﴾ أي البيان من الله ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ يعني اختلفوا فيه حسداً بينهم ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ أي هداهم ووفقهم حتى أبصروا

---

(١) ما بين المعقوفين من أ.
(٢) ما بين المعقوفين من ظ.
(٣) نسبه السيوطي في الدر المنثور ٦/١٧ لابن مردويه عن ابن عباس.
(٤) في ظ [الله قدر].
(٥) أخرجه الترمذي. كذا في التحفة ٦/٦١١ وابن ماجه في الزهد ٢/١٣٧٧ (٤١١٠) والسيوطي في الدر المنثور ٦/١٧ وابن حجر في المطالب (٣١٧٢) والخطيب في التاريخ ٤/٩٢ والقرطبي ٦/٤١٥، ١٦/٨٨، وذكره الهيثمي في المجمع بنحوه ١٠/٢٨٨.
(٦) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٧٤.
(٧) سقط من ظ.

الحق من الباطل (بأذنه) بتوفيقه ويقال: برحمته ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يعني الإسلام [وقال بعضهم فهدى][1] الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق [بإذنه][2] أي بعصمته والله [يعصم][3] من يشاء إلى دين الإسلام ويقال: يوفق الله بتوفيقه إذا جهدوا في طلب الحق (والله يهدي) أي يوفق من يشاء إلى صراط مستقيم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَاءُ وَٱلضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ﴾ يقول: ظننتم ـ أن تدخلوا الجنة ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم﴾ من أتباع الرسل من قبلكم أي لم يأتكم صفة الذين مضوا من قبلكم يعني لم يصبكم مثل الذي أصاب من قبلكم. ويقال لم تبتلوا بمثل الذي ابتلي من قبلكم. ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَاءُ وَٱلضَّرَّاءُ﴾. البأساء: الشدة والبؤس والضراء: الأمراض والبلاء ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ /أي حركوا وأجهدوا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾. قال مقاتل: يعني شعيب النبي صلى الله عليه وسلم وهو اليسع. وقال الكلبي: هذا في كل رسول بعث إلى أمته واجتهد في ذلك حتى قال: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾؟ قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ روي عن الضحاك أنه قال: يعني محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ[4] ومعنى ذلك أظننتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا كما ابتلي الذين من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا فيصيبكم مثل ذلك حتى يقول: محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) يعني فتح الله تعالى قريب أي فتح الله تعالى إلى مكة عاجلاً. وإنما ظهر لهم ذلك في يوم الأحزاب فأصابهم خوف شديد وكانوا كما قال الله تعالى (وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) فصدق الله وعده وأرسل عليهم[5] ريحاً وجنوداً[6] وهزم[7] الكفار فذلك قوله تعالى: (ألا إن نصر الله قريب) قرأ نافع: (حتى يقول الرسول) بالرفع على معنى المستأنف[8]. وقرأ الباقون: بالنصب على معنى الماضي[9].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ وذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما حثهم على الصدقة قال عمرو بن الجموح: يا رسول الله: كم ننفق وعلى من ننفق؟ فنزلت هذه الآية: (يسألونك ماذا ينفقون) أي ماذا يتصدقون من أموالهم. ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ أي من مال ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني أنفقوا على الوالدين والقرابة وعلى جميع المساكين فهذا جواب لقولهم: على من ننفق؟ ونزل في جواب قولهم: ماذا ننفق؟ قوله تعالى: (قل العفو) أي الفضل من المال ثم نسخ ذلك بآية الزكاة. وقال بعضهم:

---

(١) في ظ [ويقال فعصم]. (٢) من أ.
(٣) في ظ [يهدي]. (٤) ذكره ذلك القرطبي عنه ٣/٣٥. (٥) في أ [رسلاً ريحاً].
(٦) في ظ [وجنود لم تروها]. (٧) في ظ [وهزموا].
(٨) وحجته: إنها بمعنى قال الرسول على الماضي وليست على المستقبل، وإنما ينصب من هذا الباب ما كان مستقبلاً مثل قوله «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» «حتى يأتي وعد الله»، فرفع «يقول» ليعلم أنه ماض. ، انظر حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٣١.
(٩) وحجتهم: أنها بمعنى الانتظار وهو حكاية حال. ابن زنجلة ١٣١.

آية الزكاة نسخت كل صدقة كانت قبلها. وقال بعضهم: هذه الآية ليست بمنسوخة وإنما فيها بر الوالدين وصلة الأرحام. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾. أي يجازيكم به.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ أي فرض عليكم القتال ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ أي شاق عليكم وذلك أن الله تعالى لما أمرهم بالجهاد كرهوا الخروج وإنما كانت كراهيتهم له لأنه كان في الخروج عليهم مشقة لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى. ثم قال ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ يعني الجهاد ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن فيه فتحاً وغنيمة وشهادة وفيه إظهار الإسلام ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ وهو الجلوس عن الجهاد لأنه يسلط عليكم عدوكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الجهاد خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [أن ذلك خير][(١)] حين أحببتم القعود عن الجهاد [ويقال: والله يعلم ما كان فيه صلاحكم وأنتم لا تعلمون ذلك قوله تعالى][(٢)]: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾. وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث عبد الله بن جحش[(٣)] مع تسعة رهط في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين إلى عير لقريش فلقوا العير وكان ذلك في آخر الشهر فأمر عبد الله بن جحش بعض أصحابه فحلق رأسه فلما رآهم المشركون آمنوا وظنوا أنه دخل رجب فقاتلهم المسلمون وأخذوا أموالهم فعيرهم المشركون بذلك فنزلت هذه الآية: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) قال الزجاج[(٤)]: معناه يسألونك عن القتال في الشهر الحرام. وقال القتبي يسألونك عن القتال في الشهر الحرام هل يجوز؟ فأبدل قتالاً من الشهر الحرام ﴿قُلْ: قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي عظيم عند الله وتم الكلام ثم قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقول منع الناس عن الكعبة أن يطاف بها ﴿وكفر به﴾ أي بالله تعالى ويقال: ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ أي بالحج قوله ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وإنما صار خفضاً لأنه عطف على سبيل الله كأنه قال: وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفر بالله تعالى ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ أي من المسجد ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي أعظم عقوبة عند الله من القتال في الشهر الحرام ﴿والفتنة﴾ يعني الشرك ﴿أكبر من القتل﴾ أعظم عقوبة من القتل في الشهر الحرام ثم قال ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ الإسلام إلى دينهم الكفر ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ يعني إن قدروا على ذلك ولكنهم لا يقدرون عليه ثم هدد المسلمين ليثبتوا على دينهم الإسلام فقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الإسلام ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ بالله

---

(١) في ظ [ذلك]. (٢) ما بين المعقوفين من ظ.

(٣) عبد الله بن جحش بن دياب الأسدي، أول أمير في الإسلام عقدت له الراية، استشهد بأحد الإصابة ٤/٣٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٨١.

تعالى ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي بطلت حسناتهم ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ يعني لا يكون لأعمالهم التي عملوا ثواب كما قال في آية أخرى: (فجعلناه هباءً منثوراً) وقال تعالى (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) ﴿وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي دائمون. قال الفقيه: حدثنا أبو إبراهيم محمد بن سعيد قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: حدثنا إبراهيم بن داود قال: حدثنا المقدمي[١] عن المعتمر بن سليمان[٢] عن أبيه قال: حدثنا الحضرمي عن أبي السوار[٣] عن جندب بن عبد الله[٤] أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث رهطاً وبعث عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال: لا تكره أحداً من أصحابك على المسير فلما بلغ المكان قرأ الكتاب فاسترجع ثم قال: [السمع والطاعة][٦] لله ولرسوله فرجع رجلان ومضى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب فقال المشركون: [قتلهم محمد في الشهر الحرام فأنزل الله تعالى الآية (يسألونك عن الشهر الحرام. . .) إلى آخر الآية][٧] فقال المشركون: إن لم يكن عليهم وزر فليس لهم أجر[٧].

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

فنزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوْا﴾ من مكة ﴿وَجَاهَدُوْا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي في طاعة الله بقتل ابن الحضرمي ﴿أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي ينالون جنة الله ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بقتالهم في الشهر الحرام ثم نسخ تحريم القتال في الشهر الحرام وصار مباحاً بقوله تعالى: (فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة) فنهاهم الله[٨] عن ظلم أنفسهم بالسيئات والخطايا وأمرهم بالقتال عاماً وروى أبو يوسف عن الكلبي أن القتال في الشهر الحرام لا يجوز. وقال أبو جعفر الطحاوي: لا نعلم أن أهل العلم اختلفوا أن قتال المشركين في الشهر الحرام غير جائز. وروي عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن قتال الكفار في الشهر الحرام فقال لا بأس به وكذلك قال سليمان بن يسار[٩] وغيره.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ

---

(١) محمد بن أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم المقدمي، أبو عبد الله الثقفي مولاهم البصري، توفي سنة ٧٣٤ هـ، التهذيب ٧٩/٩.

(٢) أبو محمد البصري التيمي، ثقة صدوق، التهذيب ٢٢٧/١٠.

(٣) حسان بن حريث العدوي البصري، من الثقات، التهذيب ١٢٣/١٢ ـ ٢٤٨/٢.

(٤) أبو عبد الله جندب بن عبد الله بن شعبان، التهذيب ١١٧/٢.

(٥) في أ [سمعاً وطاعةً]. (٦) ما بين المعقوفين من ظ. (٧) ذكره ابن جرير في التفسير ٣٠٦/٤.

(٨) في أ [الله ثم نسخ تحريم القتال في الشهر الحرام].

(٩) سليمان بن يسار الهلالي، أبو أيوب مولى ميمونة، ثقة مأمون، فقيهاً، كثير الحديث، التهذيب ٢٢٩/٤.

يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

ثم قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ قال بعض المفسرين: إن الله لم يدع شيئاً من الكرامة والبر إلا وقد أعطى هذه الأمة ومن كرامته وإحسانه أنه لم يوجب لهم الشرائع دفعة واحدة ولكن أوجب عليهم مرة بعد مرة فكذلك في تحريم الخمر كانوا مولعين على شربها فنزلت هذه الآية (يسألونك عن الخمر والميسر) أي عن شرب الخمر والميسر هو القمار ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في تجارتهم ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ فلما نزلت هذه الآية تركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير ولم يتركها بعض الناس وقالوا[1]: نأخذ منفعتها ونترك إثمها ثم نزلت هذه الآية: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فتركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما يمنعنا عن الصلاة وشربها بعض الناس في غير أوقات الصلاة حتى نزل قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا: إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) الآية فصارت حراماً عليهم حتى كان بعضهم يقول: ما حرم علينا شيء أشد من الخمر. وقيل: إثم كبير في أخذها ومنافع في تركها. وروي أن الأعشى توجه إلى المدينة ليسلم فلقيه بعض المشركين في الطريق فقالوا له: أين تذهب؟ فأخبرهم أنه يريد محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا لا تصل[2] إليه فإنه يأمرك بالصلاة فقال: إن خدمة الرب واجبة فقالوا له: إنه يأمرك بإعطاء المال إلى الفقراء فقال إن اصطناع المعروف واجب فقيل له إنه ينهي عن الزنا فقال: إن الزنا فحش قبيح في العقل وقد صرت شيخاً فلا أحتاج إليه فقيل له: إنه ينهى عن شرب الخمر قال: أما هذا فإني لا أصبر عنه فرجع. وقال: أشرب الخمر سنة ثم ارجع إليه فلم (يبلغ)[3] إلى منزله حتى سقط عن البعير فانكسر عنقه فمات. وقال بعضهم في هذه الآية ما يدل على تحريمه لأنه سماها إثماً وقد حرم الإثم في آية أخرى وهي قوله تعالى: (قل: إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي) وقال بعضهم أراد [بالإثم][4] الخمر بدليل قول الشاعر[5]:

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم يذهب بالعقول

وروي عن جعفر الطيار أنه كان لا يشرب الخمر في الجاهلية وكان يقول: الناس [يطلبون][6] زيادة العقل فأنا لا أنقص عقلي. وأما الميسر فكانوا يشترون جزوراً ويضربون سهامهم فمن خرج سهمه أولاً يأخذ نصيبه من اللحم ولا يكون عليه من الثمن شيء ومن بقي سهمه آخراً فكان عليه ثمن الجزور كله [وليس][7] له من اللحم شيئاً. وقال عطاء ومجاهد: الميسر القمار (كله)[8] حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب. قرأ حمزة [والكسائي][9]: (قل فيهما إثم كبير) بالثاء من الكثرة والباقون (بالباء)[10] كبير[11] أي ذنب عظيم. قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي ماذا يتصدقون. ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي الفضل من المال يريد أن يعطي ما فضل من قوته وقوت عياله ثم نسخ بآية الزكاة. وقرأ أبو عمرو: (قل العفو) بالرفع يعني الإنفاق وهو الزكاة هو العفو وقرأ الباقون: بالنصب يعني أنفقوا الفضل[12]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ يعني أمره ونهيه كما يبين لكم أمر الصدقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ يعني في الدنيا أنها لا تبقى ولا تدوم ولا يدوم إلا العمل الصالح وفي الآخرة أنها تدوم وتبقى ولا

---

(١) سقط في ظ. (٢) في ظ [لا تقصد]. (٣) في ظ [يصل]. (٤) في ظ [به].
(٥) البيت في اللسان: اثم. غير منسوب. (٦) في ظ [يظلمون]. (٧) في ظ [ولم يكن]. (٨) سقط من ظ.
(٩) سقط من أ. (١٠) انظر / حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٣٢ ـ ١٣٣.
(١١) من ظ. (١٢) حجة القراءات ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

تزول. وقال بعضهم: معناه كذلك يبين الله لكم الآيات في الدنيا لعلكم تتفكرون في الآخرة قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَامَىٰ﴾ يقول: عن مخالطة اليتامى وذلك أنه لما نزلت هذه الآية (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً). تركوا مخالطتهم فشق عليهم ذلك وكان عند الرجل منهم يتيم فجعل له بيتاً على حدة وطعاماً على حدة ولا يخالطه بشيء من ماله فقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، قد أنزل الله آية في أموال اليتامى ما قد أنزل من الشدة فعزلناهم على حدة أفيصلح لنا أن نخالطهم؟ فنزلت هذه الآية (يسألونك عن اليتامى) [أي عن مخالطة اليتامى][1] ﴿قُلْ: إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ يقول: (أي لما لهم)[2] خير من ترك مخالطتهم ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي تشاركوهم في النفقة والخدمة والدابة ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ في الدين. ويقال: الامتناع منه خير وإن تخالطوهم فهم إخوانكم. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ﴾ لمال اليتيم ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [بماله][3] يعني لا بأس بالخلطة، وإذا قصدت به الإصلاح ولم تقصد به الإضرار به [ثم قال][4] ﴿ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم﴾. قال القتبي: ولو شاء الله لضيق عليكم ولشدد عليكم ولكنه لم يشأ إلا التسهيل عليكم وقال الزجاج[5]: (لأعنتكم) [معناه][6] لأهلككم: وأصل العنت في اللغة من [قول العرب][7] عنت البعير إذا انكسرت رجله وحقيقته ولو شاء الله لكلفكم ما يشتد عليكم. وقال الكلبي (وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ) في مخالطتهم فجعلها حراماً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقد ذكرناها.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾. نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يأتي مكة ويخرج منها أناساً من المسلمين [كانوا بها][8] سراً من أهل مكة فلما قدم مكة جاءته امرأة يقال لها عناق كانت بينهما خلة في الجاهلية فقالت له هل لك أن تخلو بي فقال لها: يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك وقد حرمت علينا ولكني أسأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم أتزوجك إن شئت فلما رجع إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سأله عن ذلك فنزلت هذه الآية: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ يقول: نكاح أمة مؤمنة ﴿خَيْرٌ مِّن﴾ نكاح حرة ﴿مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ أي أعجبكم نكاحها ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: لا تنكحوا نساءكم المشركين ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن﴾ تزويج ﴿مُّشْرِكٍ﴾ حر ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ يعني إلى عمل أهل النار ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُواْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ يعني إلى التوحيد والتوبة (بإذنه) أي بأمره ويقال: يدعوكم إلى مخالطة المؤمنين لأن ذلك أوصل إلى الجنة والمغفرة بإذنه أي بعلمه الذي يعلم أنه أوصل لكم إليها ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾ أي أمره ونهيه في أمر التزويج ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ينتهون عن المعاصي والنكاح الحرام. ويقال: أن رجلاً من الأنصار أعتق جارية له فأراد رجل من قريش أن يتزوجها فعيروه بذلك فنزلت هذه الآية (ولأمة مؤمنة خير من مشركة).

---

(١) ما بين المعقوفين من ظ. (٢) سقط من ظ. (٣) في ظ [لما له]. (٤) من ظ.
(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٨٧، ومجاز القرآن ١/٧٣.
(٦) من ظ. (٧) من ظ. (٨) من ظ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)﴾

ثم قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ قال ابن عباس: نزلت الآية في رجل من الأنصار يقال له: عمرو بن الدحداح سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله كيف نصنع بالنساء إذا حضن؟ أنقربهن أم لا؟ فنزل[١] (قوله تعالى) (ويسألونك عن المحيض) يقول عن النساء إذا حضن ويقال: ويسألونك عن مجامعة النساء في المحيض. ﴿قُلْ: هُوَ أَذًى﴾ يعني الدم هو قذر نجس ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَاءَ فِي ٱلْمَحِيضِ﴾ أي لا تجامعوهن [في حال][٢] الحيض ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ [يعني لا تجامعوهن وهن حيض ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾][٣]. قرأ حمزة وعاصم والكسائي في رواية أبي بكر: (حتى يطهرن) بتشديد الطاء والهاء والنصب والباقون: بالتخفيف أي يغتسلن وأصله (يتطهرون) فادغمت التاء في الطاء فصار (يطهرن) فمن قرأ (يطهرن) أي يغتسلن ومن قرأ (يطهرن) أي حتى يطهرن من الحيض[٤] قال الفقيه الزاهد نعمل بالقراءتين جميعاً فإن كانت المرأة أيام حيضها أقل من عشرة أيام فلا يجوز أن يقربها ما لم تغتسل أو يمضي عليهاوقت صلاة وإن كانت أيام حيضها عشرة فإذا انقطع عنها الدم وتمت العشرة جاز له أن يقربها بغير غسل. ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ يعني أي اغتسلن من الحيض ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي جامعوهن من حيث رخص لكم الله في موضع الجماع. ويقال: لما نزلت هذه الآية (فاعتزلوا النساء في المحيض) اعتزلوا النساء في أيام الحيض وأخرجوهن من البيوت فقدم أناس من الأعراب وقالوا: يا رسول الله البرد (شديد)[٥] وقد اعتزلنا النساء وليس كلنا يجد سعة لذلك فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما أمركم أن تعتزلوا (النساء عن)[٦] مجامعتهن ولم يأمركم أن تخرجوهن من البيوت كما تفعل الأعاجم. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ﴾ (يعني التوابين من الشرك)[٧] والذنوب ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي من الجنابة والأحداث. ويقال: ويحب المتطهرين من إتيانهن في المحيض في أدبارهن يتنزهون عن ذلك ويقال: (ويحب التوابين من الذنوب والمتطهرين) الذين لم يذنبوا. فإن قيل: كيف قدم بالذكر الذي تاب من الذنوب على الذي لم يذنب؟ قيل له: إنما قدمهم لكيلا يقنط التائب من الرحمة ولا يعجب المتطهر بنفسه كما ذكر في آية أخرى: (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) ثم قال عز وجل: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ يقول: مزرعة لكم للولد ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾ والحرث في اللغة هو الزرع فسمى النساء حرثاً على وجه الكناية أي هن للولد كالأرض للزراعة قوله ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي كيف شئتم إن شئتم مستقبلين وإن شئتم مستدبرين [إذا كان في صمام واحد وذلك أن اليهود كانوا][٨] يقولون: لا يجوز إتيان النساء إلا مستلقياً وكانوا يقولون إذا أتاها من خلفها يكون الولد أحول [فنزل قوله تعالى][٩] (فاتوا حرثكم أنى شئتم)[١٠] [قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا ينظر الله عز

---

(١) في ظ [فنزلت]. (٢) في أ [وهن]. (٣) في أ [حتى يطهرن].
(٤) راجع حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٣٤، ١٣٥. (٥) من ظ. (٦) سقط من ظ. (٧) سقط من ظ.
(٨) ما بين المعقوفين من ظ. (٩) في ظ [فنزلت هذه الآية].
(١٠) أخرجه البخاري ٨/١٨٩ في التفسير والترمذي ٨/٣٢١ كما في تحفة الأحوذي

وجل إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في دبرها. وعن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: ملعون من أتى امرأة في دبرها][1] ثم قال تعالى: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ من الولد الصالح. ويقال قدموا لأنفسكم من العمل الصالح. ويقال: سموا الله أي قولوا بسم الله الرحمن الرحيم عند[2] ذلك. ثم قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي اخشوا الله ولا تقربوهن في حال الحيض ولا في أدبارهن ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ أي تصيرون إليه يوم القيامة. فيجزيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يحافظون على حدود الله ويصدقون بوعده.

وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾

ثم قال عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي علة وأصل العرضة في اللغة[3]: هو الإعتراض فكأنه يعترض باليمين في كل وقت فيكون كناية عن العلة. وقيل: العرضة أن يحلف (الرجل)[4] في كل شيء فمنعوا من ذلك ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ﴾ يعني لكي تبروا وتتقوا لأنهم إذا أكثروا اليمين لم يبروا وبهذا أمر أهل الإيمان [وقال الفراء (ولا تجعلوا الله عرضة) الحلف بالله متعرضاً أي مانعاً لكم دون البر والمتعرض بين الشيئين المانع][5] وقال القتبي: لا تجعلوا الله بالحلف مانعاً لكم أن تبروا وتتقوا ولكن إذا حلفتم على أن لا تصلوا رحماً ولا تتصدقوا ولا تصلحوا أو على (شبه)[6] ذلك من أبواب البر فكفروا اليمين وقال الكلبي: هذه الآية نزلت في عبد الله [بن رواحة الأنصاري][7] حين حلف أن لا يدخل على ختنه بشير بن النعمان ولا يكلمه فجعل يقول: قد حلفت بالله أن لا أفعل ولا يحل لي (أن لا أبر)[8] في يميني فنزل قوله تعالى: (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) يقول: علة لأيمانكم (أن تبروا) يعني تصلوا قرابتكم وتتقوا اليمين في المعصية وترجعوا إلى ما هو خير لكم منها ﴿وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي بين إخوانكم وروي عن عكرمة عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول: لا تحلفوا أن لا تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فمن حلف على شيء[9] منه فعلى الذي حلف عليه أن يفعل ويكفر عن يمينه. وقال الزجاج[10]: معنى الآية بأنهم كانوا يقبلون في البر بأنهم قد حلفوا فأعلم الله تعالى أن الإثم إنما هو في الإقامة في ترك البر واليمين إذا كفرت فالذنب فيها مغفور. ثم قال: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي بالإثم في الحلف إذا كفرتم ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بعزمكم على أن لا تبروا ولا تتقوا قال ابن عباس (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ وهو أن يحلف الرجل بالله في شيء يرى أنه فيه صادق ويرى أنه كذلك وليس كذلك فيكذب فيها ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم يعني هو أن يحلف على شيء ويعلم أنه فيها كاذب. ويقال: لا يؤاخذكم الله باللغو في اليمين إذا حلفتم وكفرتم إذا كان الحنث خيراً ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

---

(١) ما بين المعقوفين من أ. (٢) في ظ [سموا الله تعالى عند ذلك].

(٣) قال ابن منظور) عرضة «في الآية أي: نصباً لأيمانكم».

وقال الفراء: لا تجعلوا الحلف بالله معترضاً مانعاً لكم أن تبروا، فجعل العرضة بمعنى المعترض ونحو ذلك. وقال الزجاج: المعنى: لا تعترضوا باليمين بالله في أن تبروا. . .، اللسان: عرض ص ٢٨٩٢.

(٤) في ظ [الإنسان]. (٥) سقط من ظ. (٦) في ظ [أشباه].

(٧) من ظ. (٨) في ظ [إلا أن أبر]. (٩) في أ [ذلك]. (١٠) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٩٢.

أي أثمتم بغير كفارة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن حنث وكفر بيمينه ﴿حَلِيمٌ﴾ حيث رخص لكم في ذلك ولم يعاقبكم. ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِم﴾ يعني الذين يحلفون أن لا يجامعوا نساءهم ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ يعني لهم أجل أربعة أشهر بعد اليمين ﴿فَإِن فَاءُوا﴾ يعني إن رجعوا[1] عن اليمين وجامعوا نساءهم)[2] من قبل أن تمضي أربعة أشهر بعد اليمين وكفروا عن أيمانهم ولا تبين المرأة عن الزوج ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ يعني أوجبوا الطلاق بترك الجماع حتى مضت أربعة أشهر وقعت عليها تطليقة بمضي أربعة أشهر. وقال بعضهم: لا يقع الطلاق ولكن يؤمر الزوج بعد مضي أربعة أشهر أن يجامعها أو يطلقها. وقال بعضهم يقع الطلاق بمضي أربعة أشهر وهو قول علمائنا. وروي عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود أنهما قالا عزيمة الطلاق انقضاء أربعة أشهر وذلك قوله تعالى (وإن عزموا الطلاق) أي أوجبوا الطلاق بترك الجماع ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم بكلمة الإيلاء ﴿عَلِيمٌ﴾ بهم. ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ يعني وجب عليهن العدة ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ أي ثلاث حيض وقال بعضهم: ثلاثة أطهار وقال أكثر أهل العلم: المراد به الحيض وأصل القرء: الوقت وظاهر الآية عام في إيجاب العدة على جميع المطلقات ولكن المراد به الخصوص لأنه لم يدخل في الآية خمس من المطلقات الأمة والصغيرة والآيسة والحامل وغير المدخولة. ثم قال: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن

---

(١) في أ [رجعوا قال القتبي آليت من امرأتي أولى إيلاء والإسم الألية].

(٢) سقط من ظ.

﴿يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ يعني الحمل والحيض لا يحل لها أن تقول إني حامل وليست بحامل أو إني حائض وليست بحائض ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ﴾ يقول إن كن يصدقن بالله واليوم الآخر ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَاحاً﴾ يعني للنساء على الأزواج من الحقوق مثل ما للرجال على النساء يعني في حال التربص إذا كان الطلاق رجعياً ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الذي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يقول بما عرف شرعاً ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي فضيلة في النفقة والمهر ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فيما حكم من الرجعة في الطلاق الذي يملك فيه الرجعة. ثم بين الطلاق الذي يملك فيه الرجعة فقال تعالى ﴿ٱلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ يعني يقول الطلاق الذي يملك فيه الرجعة تطليقتان. ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ يعني إذا راجعها يمسكها بمعروف ينفق عليها ويكسوها ولا يؤذيها ويحسن معاشرتها ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ يعني يؤدي حقها ويخلي سبيلها. ويقال: (أو تسريح بإحسان) يعني يطلقها التطليقة الثالثة ويعطي مهرها ويقال: يتركها حتى تنقضي عدتها (ويقال يؤتي حقها ويخلي سبيلها ويقال أو تسرح بإحسان)[١] قال ابن عباس: كان أهل[٢] الجاهلية إذا طلق (امرأته)[٣] تطليقة أو تطليقتين كان الزوج[٤] أحق بها وإذا طلقها الثالثة كانت المرأة أحق بنفسها واحتج بقول الأعشمي وكانت امرأته من بني مروان[٥] فأخذه بنو مروان حتى يطلق امرأته فلما طلقها واحدة قالوا له: عد فطلقها الثانية قالوا له: عد فطلقها الثالثة فعرف أنها بانت منه ولا تحل له فقال عند ذلك:[٦]

أَيَـا جَـارتِي بِيـنِي فـإنَّـكِ طـالـقـه ... كـذاك أمـورُ الـنـاس غـادٍ وطـارقَـهْ

[وبيني فـإنَّ البَيْنَ خَيْـرٌ من الـعَـصَـا ... وأن لا تـزالُ فَـوْقَ رَأسِـك بـارقـهْ

وذوقـي قـنـى الـحـي إنـي ذائـق ... قـنـاة أنـاس مـثـل مـا أنـت ذائـقـهْ

لـقـد كـان في شـأن قـومِـك منكـحٌ ... وفتيـان هـزان الـطوال الـعـرايضـه][٧]

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾ نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول وزوجها ثابت بن قيس وكانت تبغضه فأتت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: لا أنا ولا ثابت فقال لها: أتردين عليه حديقته فقالت: نعم وزيادة فقال: أما الزيادة فلا فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زوجها وخلعها من زوجها[٨] فذلك قوله تعالى: (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) من المهر ﴿إِلَّا أَن يَخَافَا﴾ يعني: يعلما ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي أمر الله فيما أمر ونهى. قرأ حمزة (يخافا) بضم الياء على فعل ما لم يسم فاعله والباقون: بالنصب وقرأ ابن مسعود:[٩] (إلا أن يخافوا) ثم قال ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ يقول: إن علمتم أن لا يكون بينهما صلاح في المقام ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِ﴾ أي لا حرج على الزوج أن يأخذ مما افتدت به المرأة إن كان النشوز من قبل المرأة فأما إذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له أن يأخذ بدليل ما قاله في آية أخرى: (وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً) ثم قال تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي أحكامه وفرائضه ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ أي لا تجاوزوها ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي يتجاوز أحكام الله وفرائضه بترك ما أمر الله تعالى أو

(١) سقط من ظ. (٢) في أ [الرجل].
(٣) سقط من ظ. (٤) في أ [الرجل]. (٥) في أ [مزان].
(٦) راجع ديوان الأعشى ص ٤٤٨. (٧) ما بين المعقوفين من أ.
(٨) أخرجه البخاري ٩/٣٩٥ في الطلاق باب الخلع (٥٢٧٣).
(٩) قراءة ابن مسعود هذه لم تتواتر ولم يقرأ بها أحد من الأئمة السبعة.
انظر: شرح الحرز لأبي شامة، والمهذب للدكتور محيسن.

بعمل ما نهاه](١) ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ﴾ يقول: الضارون [الشاقون](٢) بأنفسهم. ويقال: (تلك حدود الله) يعني الطلاق مرتان فلا تجاوزوهما إلى الثالثة ومن يتعد حدود الله بالتطليقة الثالثة فأولئك هم الظالمون ﴿فإنْ طَلَّقَهَا﴾ الثالثة ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ الثالثة ﴿حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ أي تتزوج بزوج آخر ويدخل بها وإنما عرف الدخول بالسنة وهو ما روي عن ابن عباس أن رفاعة القرظي طلق امرأته ثلاثاً (وكانت تدعى تميمة بنت وهب)(٣) فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير [(فأتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالت: إن رفاعة طلقني فبت طلاقي فتزوجني عبد الرحمن](٤) ولم يكن عنده إلا كهدبة الثوب فقال لها: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة فقالت نعم قال: ليس ذلك ما لم تذوقي من عسيلته ويذوق من عسيلتك(٥). فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ يعني إذا طلقها الثالثة. قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعني واحدة أو اثنتين ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ يعني المرأة والزوج ﴿أَن يَتَرَاجَعَا﴾ ويقال: فإن طلقها الزوج الثاني بعدما دخل عليها فلا جناح عليهما يعني المرأة والزوج الأول (أن يتراجعا) يعني أن يتزوجها مرة أخرى ﴿إِن ظَنَّا﴾ يعني إن علما ﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي فرائض الله يقول إذا علما أنه يكون بينهما الصلاح بالنكاح الثاني. قوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي فرائض الله وأمره ونهيه وأحكامه ﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ويقال: إنما قال لقوم يعلمون لأن الجاهل إذا بين له فإنه لا يحفظ ولا يتعاهد والعالم يحفظ ويتعاهد فلهذا المعنى خاطب العلماء ولم يخاطب الجهال. ثم وقوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي مضى عليهن ثلاث حيض قبل أن (يغتسلن)(٦) وقبل أن (يخرجن)(٧) من العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يعني يراجعها ويمسكها بالإحسان(٨) قوله ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (أولا)(٩) يراجعها ويتركها حتى تخرج من العدة ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً﴾ والضرار في ذلك أن يدعها حتى إذا حاضت ثلاث حيض وأرادت أن تغتسل راجعها ثم طلقها يريد بذلك أن يطول عليها [عدتها](١٠) فنهى الله عن ذلك فقال تعالى: (ولا تمسكوهن ضراراً) ﴿لِّتَعْتَدُواْ﴾ أي لتظلموهن ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الإضرار ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ يقول: أضر بنفسه بمعصيته في الإضرار. وقال الزجاج: (فقد ظلم نفسه) يعني عرض نفسه للعذاب لأن إتيان ما نهى الله عنه تعرض لعذاب الله لأن أصل الظلم وضع الشيء في غير [موضعه]. ثم قال: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ ٱللَّهِ هُزُواً﴾ يعني القرآن لعباً ويقال إنهم كانوا يطلقون ولا يعدون ذلك طلاقاً ويجعلونه لعباً فنزل (ولا تتخذوا آيات الله هزوا). قرأ عاصم في رواية حفص: (هزواً) بغير همز وكذلك قوله: (كفواً أحد) والباقون: بالهمز. وهما لغتان، ومعناهما واحد. ثم قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يقول احفظوا نعمة الله عليكم بالإسلام ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ ٱلْكِتَابِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ يقول احفظوا ما ينزل الله عليكم في القرآن من المواعظ (والحكمة) يعني الفقه في القرآن ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ يقول: ينهاكم عن الضرار ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الضرار ﴿وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من أعمالكم فيجازيكم به. ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يقول: انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ يقول: لا تحبسوهن ولا تمنعوهن ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بمهر ونكاح جديد وذلك أن معقل بن يسار(١١) كانت أخته

---

(١) ما بين المعقوفين من أ. (٢) من أ. (٣) من أ. (٤) ما بين المعقوفين من ظ.

(٥) أخرجه البخاري ٥/٤٥٩ في الشهادات باب شهادة المختبىء (٢٦٣٩)، ومسلم ٢/١٠٥٥ في النكاح باب لا تحل المطلقة ثلاثاً (١٤٣٣/١١١).

(٦) في ظ [تغتسل]. (٧) في ظ [تخرج]. (٨) في أ [بإحسان].

(٩) في ظ [أي ولا]. (١٠) في ظ [العدة].

(١١) معقل بن يسار المزني، أسلم قبل الحديبية، وشهد بيعة الرضوان، التهذيب ١٠/٢٣٥.

تحت أبي الدحداح فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها ثم ندم فخطبها فرضيت وأبى أخوها أن يزوجها له وقال لها: وجهي من وجهك حرام إن تزوجتيه فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾ أي يؤمر به ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي يصدق بالله واليوم الآخر ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ يعني خير لكم ويقال: أصلح لكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ من الريبة (أي الزنا)[1] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ من حب كل واحد منهما لصاحبه ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك. ويقال: ذلكم أطهر لقلوبكم من العداوة لأن المرأة تأتي الحاكم فيزوجها فتدخل في قلوبهم العداوة والبغضاء. وقال الضحاك: والله يعلم أن الخير في الوفاء والعدل وأنتم لا تعلمون ما عليكم بالتفريق من العقوبة ومن العذاب. وقال مقاتل: فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معقلاً وقال: إن كنت مؤمناً فلا تمنع أختك عن أبي الدحداح فقال آمنت بالله وزوجتها منه وفي هذه الآية دليل: أن الولي إذا منع المرأة عن النكاح كان للحاكم أن يزوجها.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ يعني سنتين كاملتين ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ يعني أن يكمل الرضاعة. فإن قيل: لما ذكر الحولين [فما الحاجة إلى][2] الكاملين؟ قيل له هذا للتأكيد لأن بعض الحولين يسمى حولين كما قال في آية أخرى: (الحج أشهر معلومات) وإنما هي (شهران وعشرة أيام فهها لما ذكر الحولين[3] الكاملين علم أنه أراد الحولين بغير نقصان. ثم قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾ أي على الأب أجر الرضاع ونفقة الأم ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي على قدر طاقته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني لا يجب على الأب من النفقة والكسوة إلا مقدار طاقته. ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ يقول: لا ينزع الولد من الأم لكونها أحق بولدها من غيرها. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (ولا تضار) بضم الراء على معنى الخبر تبعاً لقوله (لا تكلف نفس إلا وسعها) ولفظه لفظ الخبر والمراد به النهي وقرأ الباقون: بالنصب على صريح النهي[4]. ويقال [أصله لا تضارر ثم أدغمت الراء في الراء][5] ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ يعني الأب لا يضار بالولد فتطرح الأم الولد [إليه][6] بعدما عرفت أنه لا يقبل ثدي غيرها فلا يجوز لها أن تفعل ذلك. ويقال: (ولا مولود له بولده) يعني إذا كان الأب يجد ظئراً أرخص من الأم والأم أبت أن ترضع إلا بأجر كثير فإن الأب لا يجبر على ذلك وله أن يدفع إلى ظئر أخرى. قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ يعني إذا (مات الأب)[7] وله وارث سوى الأب فعلى وارث الصبي مثل ما على الأب. ويقال على وارث الأب لا يضارها ولا تضاره ويقال مثل ذلك يعني الكسوة الرزق في رضاع الصبي ونفقته

---

(١) سقط من ظ. (٢) في أ [انشى معنى]. (٣) سقط من أ.

(٤) أما قراءة الرفع فلأن الفعل مضارع لم يسبقه ناصب ولا جازم، واعتبرت «لا» هنا ناهية ومعناه النهي، وذلك لأن الأمر قد يجيء على لفظ الخبر في التنزيل، ألا ترى قوله تعالى ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن﴾ ﴿لا تظلمون ولا تظلمون﴾.

(٥) سقط من ظ. (٦) في ظ [على الأب]. (٧) في ظ [لم يكن للصبي أب وله ورثه].

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً﴾ أي فطاماً ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ يعني الأب والأم دون الحولين. ويقال: بعد الحولين ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [إن لم يرضعاه سنتين) أي لا حرج عليهما][1] ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلَادَكُمْ﴾ يعني أن تأخذوا ظئراً لأولادكم إذا أرادت الأم النكاح ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ ما أتيتم بالمعروف يعني لا إثم عليكم إذا أعطيتم الظئر[2] ﴿مَّا أَتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ (ما أعطيتم)[3] بما تعرفونه. ويقال: أعطيتم ما شرطتم لهن. ثم خوفهما في الإضرار فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ يعني الأبوين فلا يضار واحد منهما لصاحبه ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ من الإضرار فيجازيكم به. قرأ ابن كثير: (ما أتيتم) بغير مد يعني ما جئتم وفعلتم وقرأ الباقون بالمد يعني ما أعطيتم[4].

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ أي يموتون ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً﴾ أي يتركون نساء من بعدهم ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ يعني ينتظرن بأنفسهن ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾ لا يتزوجن ولا يتزين ولا يخرجن [من بيوتهن ولا يتزين][5] ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يعني انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي فلا إثم عليكم ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من الزينة والكحل والخضاب. وذلك أن المرأة إذا انقضت عدتها فكان أولياؤها يمنعونها من الزينة فأباح الله تعالى لهن الزينة بعد العدة. ويقال: فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعني إذا تزوجن بزوج آخر إذا كان الزوج كفواً لها فلا يمنع من نكاحها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ من الزينة والمنع من نكاحها وغير ذلك وهذه الآية عامة يستوي فيها المدخولة وغير المدخولة (ويستوي فيها)[6] الصغيرة والكبيرة في وجوب العدة من الزينة والمنع وغير ذلك.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ فقد أباح للخاطب أن يتعرض للنكاح ونهاه عن الخطبة والعقد فقال: (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به) يقول: لا بأس بأن يأتي الرجل المرأة المتوفى عنها زوجها فيعرض لها ويقول: إنك لتعجبيني وإنك لموافقة لي فأرجو أن يكون بيننا اجتماع ونحو ذلك من الكلام فهذا هو التعريض من خطبة النساء[7] ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني أضمرتم في أنفسكم. قال الزجاج[8]: كل شيء سترته فقد أكننته [وكننته][9] فهو مكنون فلذلك أباح الله تعالى التعريض. ثم قال: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ يعني خافوا الله

---

(١) من أ. (٢) في ظ [للظئر ما آتيتم بالمعروف]. (٣) سقط من ظ.
(٤) راجع / حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٣٧. (٥) من أ. (٦) سقط من ظ.
(٧) سقط من ظ. (٨) معاني القرآن وإعرابه ٣١٢/١. (٩) سقط من ظ.

في العدة من تزويجهن ﴿وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ يعني نكاحاً ويقال: جماعاً. وقال القتبي[١]: سمي الجماع سراً[٢] لأنه يكون في السر فيكنى عنه ﴿إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ يعني عدة حسنة نحو أنك لجميلة وإني فيك لراغب وقوله تعالى ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ يقول: ولا تحققوا عقدة النكاح يعني لا تتزوجوهن في العدة ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ يعني حتى تنقضي عدتها ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ يعني ما في قلوبكم من الوفاء وغيره ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ يعني أن تخالفوه فيما (أوجب عليكم)[٣] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي غفور ذو تجاوز حليم حيث لم يعجل عليكم بالعقوبة.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)﴾

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي (لا)[٤] حرج عليكم ﴿إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ قرأ حمزة والكسائي (تماسوهن) بالألف من المفاعلة وهو فعل بين اثنين وقرأ الباقون بغير ألف لأن الفعل للرجال خاصة[٥] وقال بعضهم: المس هو الجماع خاصة فما لم يجامعها لا يجب عليه تمام (المهر)[٦] وقال بعضهم: إذا جامعها أو خلا بها وجب عليه جميع الصداق إذا كان سمى لها مهراً [وإن لم يكن سمى لها مهراً][٧] فلها مهر مثلها إن دخل بها وإن لم يدخل بها فلها المتعة فذلك قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ يعني إذا تزوج الرجل امرأة ثم لم يعجبه المقام معها فلا بأس بأن يطلقها قبل أن يمسها قوله ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ يعني لا حرج عليكم أن تتزوجوا النساء ولم تسموا لهن مهراً ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ يعني إذا طلقها قبل أن يدخل بها فعلى الزوج أن يمتعها ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾. قرأ حمزة والكسائي وعاصم[٨] في رواية حفص: (قَدَره) بنصب الدال وقرأ الباقون بالجزم ومعناهما واحد قوله: ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي: أدنى ما يكون من المتعة ثلاثة أثواب درع وخمار وملحفة وهكذا قال في رواية الضحاك: ﴿حَقًّا﴾ [أي واجباً][٩] ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ أن يمتعوا النساء على قدر طاقتهم ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ يعني من قبل أن تجامعوهن وقبل أن تخلوا بهن هكذا قال في رواية الضحاك ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يعني على الزوج نصف ما فرض لها من المهر ﴿إِلَّا أَن يَعْفُونَ﴾ يعني إلا أن تترك المرأة فلا تأخذ شيئاً ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ يعني الزوج يكمل لها جميع الصداق ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ يقول: أن تعفوا بعضكم بعضاً كان أقرب إلى البر فأيهما ترك لصاحبه فقد أخذ بالفضل ويقال: إن الله تعالى ندب إلى الإنسانية فأمر كل واحد منهما بالعفو ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ يعني لا تتركوا الفضل والإنسانية فيما بينكم في إتمام المهر أو في الترك ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم بذلك.

(١) تفسير غريب القرآن ص ٩٠. (٢) من ظ. (٣) سقط من ظ.
(٤) سقط من ظ. (٥) راجع حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٣٧ - ١٣٨. (٦) في ظ [الصداق].
(٧) من ظ.
(٨) وكذا ابن عامر، وراجع القراءتين في حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٣٧. (٩) في ظ [أي واجباً].

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

﴿حَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ قال ابن عباس أي (حافظوا على الصلوات المكتوبات الخمس في مواقيتها بوضوئها وركوعها وسجودها ﴿وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَى﴾ يعني الصلاة الوسطى خاصة حافظوا عليها. ويقال: هي صلاة العصر. ويقال هي صلاة الصبح ويقال: هي صلاة الظهر. حدثنا القاسم بن محمد بن روزية قال: حدثنا عيسى بن خشنام قال حدثنا سويد بن سعيد[1] عن مالك بن أنس عن داود بن الحصين[2] أنه بلغه عن رجل عن زيد بن ثابت أنه بلغه عن علي وابن عباس أنهما كان يقولان: صلاة الوسطى صلاة الصبح قال مالك وذلك رأيي[3].
أخبرني القاسم بن محمد قال: حدثنا عيسى بن خنشام قال: حدثنا سويد بن سعيد بن مالك بن أنس عن داود بن الحصين عن رجل عن زيد بن ثابت أنه قال: صلاة الوسطى: صلاة الظهر[4] وبهذا الإسناد عن مالك عن زيد بن أسلم[5] عن القعقاع بن الحكم[6] عن أبي يونس مولى عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني فلما بلغتها آذنتها فأملت علي: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى: صلاة العصر[7]. قال الفقيه: حدثنا أبو إبراهيم الترمذي [عن أبي إسحاق عن أبي جعفر الطحاوي قال: حدثنا علي بن معبد[8] قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم[9] عن أبي إسحاق][10] عن أبي جعفر محمد بن علي عن (عمرو بن رافع) مولى عمر وكان يكتب المصاحف أنه قال: اكتتبتني حفصة ابنة عمر مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى تأتيني فأمليها عليك كما حفظتها من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما بلغتها أتيتها بالورقة فقالت: اكتب حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر[11]. ويقال: هي قراءة عبد الله بن مسعود. [وروي عن أبي هريرة وابن عمر أنهما قالا: صلاة الوسطى العصر][12] وروي عن عاصم بن أبي النجود

---

(١) سويد بن سعيد بن سهل الهروي، أبو محمد، الحدثاني الأنباري، التهذيب ٤/٢٧٢.

(٢) داود بن الحصين، أبو سليمان، التهذيب ٣/١٨١

(٣) في ظ [أخرجه مالك بلاغاً ١/١٣٩ في كتاب صلاة الجماعة باب الصلاة الوسطى]، (٢٧) ورواه أبو داود مرفوعاً في كتاب الصلاة باب وقت صلاة الظهر.

(٤) رواه مالك بلاغاً في ١/١٣٩ في كتاب صلاة الجماعة باب الصلاة الوسطى (٢٨) وقال مالك: وقول علي وابن عباس أحب ما سمعت إليَّ في ذلك.

(٥) زيد بن أسلم العدوي، أبو عبد الله المدني، ثقة، كان عالماً بالتفسير، التهذيب ٣/٣٥٣.

(٦) القعقاع بن حكيم الكناني المدني، ثقة، التهذيب ٨/٣٧٣.

(٧) أخرجه مسلم ١/٤٣٧ ـ ٤٣٨ في كتاب المساجد باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي العصر (٢٠٧/٦٢٩) وأخرجه أبو داود في الصلاة باب في وقت العصر والترمذي ٥/٢٠٢ في كتاب التفسير باب من سورة البقرة (٢٩٨٢) والنسائي في الصلاة باب المحافظة على صلاة العصر.

(٨) علي بن معبد بن نوح المصري الصغير، أبو الحسن البغدادي، التهذيب ٧/٣٨٥.

(٩) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، أبو يوسف المدني، التهذيب ١١/٣٨٠.

(١٠) ما بين المعقوفين من ظ.

(١١) أخرجه مالك موقوفاً في الموطأ ١/١٣٩ في صلاة الجماعة باب الصلاة الوسطى (٢٦).

(١٢) سقط من ظ.

أخرجه البخاري ٨/١٩٥ في التفسير باب «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى»(٤٥٣٢)، وفي ٧/٤٠٥ في المغازي باب غزوة الخندق (٤١١١) وفي ١١/١٩٤ في الدعوات باب الدعاء على المشركين (٦٣٩٦).
ومسلم ١/٤٣٧ في المساجد باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر (٦٢٧/٢٠٥).

عن زر بن حبيش عن علي أنه قال: كنت [ظننت][١] أنها صلاة الفجر حتى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول يوم الخندق وقد شغلوه عن صلاة العصر قال: ملأ الله بطونهم وقبورهم ناراً أشغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر [وإنما كان فائدة التخصيص بصلاة العصر لأن ذلك وقت الشغل][٢] ويخاف فوتها ما لا يخاف لسائر الصلوات وقد أكد بالذكر قال: [(والصلاة الوسطى)][٣] خاصة [ومن طريق][٤] المعقول [يدل أيضاً على أن صلاة الوسطى هي صلاة العصر][٥] لأن قبلها صلاتي النهار وبعدها صلاتي الليل. ثم قال تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ أي قوموا [لله طائعين][٦] في الصلاة مطيعين. ويقال: صلوا لله قائمين فكأنه أمر بطول القيام في الصلاة. كما قال في آية أخرى: (يا مريم اقنتي لربك) وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سئل عن أفضل الصلاة فقال: التي يطيل القنوت فيها[٧]. يعني القيام. ويقال: قانتين يعني ساكتين كما روي عن زيد بن أرقم أنه قال: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت هذه الآية: (وقوموا لله قانتين) فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام[٨]. وقال الزجاج[٩]: المشهور في اللغة الدعاء في القيام وحقيقة القانت القائم بأمر الله تعالى. ثم قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾ يعني إذا خفتم العدو فصلوا قياماً فإن لم تستطيعوا فصلوا ركباناً على الدواب حيث ما توجهت بكم بالإيماء وهذا موافق لما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه ذكر صلاة الخوف ثم قال في آخره فإن كان الخوف أشد من ذلك صلوا على أقدامكم أو ركباناً مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها[١٠] ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ يعني العدو والخوف ﴿فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ﴾ يعني صلوا كما علمكم أربعاً أو اثنتين وعلمكم ﴿مَا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني علمكم الصلاة ولم تكونوا تعلمون من قبل.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

ثم قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً﴾ أي يموتون ويتركون نساءهم من بعدهم ﴿وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم﴾ أي يوصون لنسائهم. قرأ ابن كثير ونافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم (وصية) بالضم يعني عليهم وصية وقرأ الباقون: بالنصب يعني يوصون وصية لأزواجهم ﴿مَّتَاعاً﴾ أي نفقة وكسوة ﴿إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾

---

(١) سقط من ظ. (٢) ما بين المعقوفين من ظ. (٣) من ظ.

(٤) ما بين المعقوفين من ظ. (٥) سقط من ظ.

(٦) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ٢/٥٢٠ في صلاة المسافرين باب أفضل الصلاة طول القنوت (١٦٤/٧٥٦).

(٧) أخرجه مسلم ١/٣٨٣ في كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة (٣٥/٥٣٩).

(٨) معاني القرآن وإعرابه ١/٣١٦.

(٩) انظر حديث صلاة الخوف أخرجه البخاري في التفسير ٨/١٩٩ وفي ٧/٤٢١ في المغازي باب غزوة ذات الرقاع، وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين ٢/٥٧٥.

(١٠) راجع الإتحاف وأبو شامة، والمهذب وحجة القراءات لابن زنجلة ١٣٨.

يقول: لا يخرجن من بيوت أزواجهن وهذا في أول الشريعة كانت العدة حولاً وهكذا كان في الجاهلية. ألا ترى إلى قول لبيد:(١)

وهُمُ ربيعٌ للمُجَاوِرِ فيهمُ والمُرْمِلاتِ إذا تَطَاوَلَ عَامُها

ثم نسخ ما زاد على الأربعة أشهر وعشراً ونسخت الوصية للأزواج بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - لا وصية لوارث ويقال(٢): نسخ بآية الميراث(٣). ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ يعني من الزينة يحتمل أنه أراد به الخروج بعد مضي السنة ويحتمل الخروج في السنة إذا خرجت بعذر في أمر لا بد لها منه ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقد ذكرناها ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ والمطلقات أربع: مطلقة يسمي لها مهراً [ومطلقة لم يسم لها مهراً](٤) ومطلقة دخل بها ومطلقة لم يدخل بها فالمتعة لا تكون واجبة إلا لمطلقة واحدة وهي التي لم يسم لها مهراً وطلقها قبل الدخول كما ذكر في الآية التي سبق ذكرها وفي سائر المطلقات المتعة مستحبة وليست بواجبة ﴿حَقاً عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي واجباً على المتقين وذلك فيما بينه وبين الله تعالى فلا يجبر عليه إلا في المطلقة التي ذكرنا. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ يعني أمره ونهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما أمرتم به. ويقال: آياته يعني دلائله. ويقال: آيات القرآن.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ﴾ يقول: ألم تخبر: وهذا على سبيل التعجب كما يقال. ألا ترى إلى ما صنع فلان. ويقال ألم تر يعني ألم تعلم؟ ويقال: ألم ينته إليك خبرهم؟ يعني الآن نخبرك عنهم - قال ابن عباس: وذلك أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمر الناس بالخروج إلى الغزو فخرجوا فبلغهم أن في ذلك الموضع طاعوناً فامتنعوا عن الخروج إلى هناك ونزلوا في موضعهم فهلكوا كلهم فبلغ خبرهم إلى بني إسرائيل فخرجوا ليدفنوهم فعجزوا عن ذلك لكثرتهم فحظروا عليهم الحظائر ثم أحياهم الله بعد ثمانية أيام وبقيت منهم بقايا من البحر ومعهم النتن إلى اليوم(٥) وقال بعضهم: بلغهم أن هناك للعدو شوكة وقسوة فامتنعوا عن الخروج إليهم فأهلكهم الله تعالى. وقال بعضهم: إن أرضاً وقع بها الوباء فخرج الناس منها هاربين فنزلوا منزلاً فماتوا كلهم فمر بهم نبي يقال له حزقيل - عليه السلام - فقال: الحمد لله القادر الذي يحيي هذه النفوس البالية ليعبدوه فدعا لهم فأحياهم الله تعالى فذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي [وفي رواية الضحاك]:(٦) ثمانية آلاف ويقال: سبعون ألفاً ويقال: ثمانية عشر ألفاً. وقال بعضهم: هم ألوف كما قال الله تعالى ولا يعرف كم عددهم [إلا الله](٧) ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي خرجوا من ديارهم مخافة الموت ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ: مُوتُواْ﴾ أي أماتهم الله ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعني على أولئك الكفار حين أحياهم. يقال: هو ذو من على جميع الناس ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ رب هذه النعمة يعني الكفار ويقال: على الذي

(١) انظر ديوان لبيد بن ربيعة ص ٤٢.

(٢) من حديث أبي أمامة أخرجه ابن ماجة ٢/٩١٣ وأحمد في المسند ٤/١٨٧ والبيهقي في السنن الكبرى ٦/٢١٩.

(٣) في ظ [المواريث].

(٤) سقط من ظ.

(٥) انظر هذا في الدر المنثور ١/٣١١.

(٦) ما بين المعقوفين من ظ.

(٧) سقط من ظ.

أحياهم. وفي هذه الآية: دلالة نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث أخبر عمن قبله [ولم يكن قرأ][1] الكتب فظهر ذلك عند اليهود والنصارى وعرفوا أنه حق. وفي هذه الآية: إبطال قول من يقول: إن الإحياء بعد الموت لا يجوز وينكر عذاب القبر لأن الله تعالى يخبر أنه قد أماتهم ثم أحياهم.

وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾

قوله: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: لما أحياهم الله قال لهم (قاتلوا في سبيل الله). ويقال: هذا أمر بالجهاد لأمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لهم: قاتلوا في سبيل الله. ﴿وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي سميع لمقالتهم عليم بالأرض التي وقع فيها الوباء.

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ نزلت في شأن أبي الدحداح قال: يا رسول الله إن لي حديقتين لو تصدقت بواحدة منهما أيكون لي مثلها في الجنة؟ قال نعم قال وأم الدحداح معي؟ يعني امرأته قال نعم قال: والدحداح معي يعني ابنه فقال: نعم. قال: أشهدك أني قد جعلت حديقتي لله تعالى: ثم جاء إلى الحديقة فقام على الباب وتحرج الدخول فيها بعدما جعلها لله تعالى ونادى: يا أم الدحداح اخرجي فإني جعلت حديقتي لله تعالى فخرجت وتحولت إلى حديقة أخرى، وقالت له: هنيئاً لك بما فعلت أو كما فعلت فنزل قوله تعالى: (فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) يعني ألفي ألف ضعف. قال الفقيه: حدثنا عبد الرحمن بن محمد قال: حدثنا فارس ابن مردويه قال: حدثنا محمد بن الفضيل قال: حدثنا المعلى بن منصور قال: حدثنا جعفر قال حدثنا علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي[2] قال: بلغني عن أبي هريرة حديث أنه قال إن الله تعالى يكتب [للعبد][3] المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فحججت ذلك العام لألقى أبا هريرة (فأكلمه)[4] في هذا الحديث فلقيته فأخبرته فقال: ليس كذا قلت ولم يحفظ الذي حدثك عني وإنما قلت: ألفي ألف حسنة ثم قال أبو هريرة أولستم تجدون في كتاب الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ فقوله (كثيرة) أكثر من ألف ألف ومن ألفي ألف[5]. ثم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾ أي يقتر الرزق على من يشاء ﴿وَيَبْصُطُ﴾ أي يوسع على من يشاء من عباده. ويقال: يقبض الصدقات ويخلفها الثواب في الدنيا والآخرة وقال بعضهم يسلب قوماً ما أنعم عليهم ويوسع على آخرين. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة قرأ حمزة والكسائي ونافع وأبو عمرو: (فيضاعفه) بالألف وبضم الفاء[6] وقرأ عاصم (فيضاعفه) بالألف وبنصب الفاء وقرأ ابن كثير (فيضعفه) بغير ألف وبضم الفاء وقرأ ابن عامر:

---

(١) من ظ.

(٢) عبد الرحمن بن معقل بن عمرو بن عدي بن وهب النهدي، سكن الكوفة ثم البصرة توفي سنة ٧٥ هـ، التهذيب ٦/٢٧٧.

(٣) من ظ.

(٤) سقط من ظ.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١/٣١٣ عن ابي عثمان النهدي.

(٦) مع تشديد العين. حجة القرءات لابن زنجلة ١٣٨ ـ ١٣٩.

(فيضعفه) بغير ألف وبنصب الفاء[1] فأما من قرأ: (فيضاعفه) [بالألف والضم][2]، (يضعفه) فهما لغتان بمعنى[3] واحد يقال: ضاعفت الشيء وضعفته[4] ومن قرأ بضم الفاء عطفه على قوله (يقرض الله) ومن نصبه فعلى جواب الاستفهام وقرأ نافع (يبصط) بالصاد وقرأ الباقون: بالسين[5] وهو أظهر عند أهل اللغة وفي كل موضع يكون الصاد قريباً من الطاء جاز أن يقرأ بالسين وبالصاد مثل المصيطرون ومثل: الصراط لأنه يشتد فرق الصاد عند ذلك فيجوز القراءة بالسين.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ

---

(١) مع تشديد العين. حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٣٨ ـ ١٣٩، وراجع القراءات جميعاً. الحرز بشرح الفاصح، والمهذب والإتحاف. فمن رفع عطف على «يُقْرض الله» ومن نصب نصب على جواب الاستفهام باعتبار الفاء للسببية. وأما حجتهم في التشديد: ففيه تكرير الفعل وزيادة الضعف على الواحد إلى ما لا نهاية له. وحجة التخفيف: قالوا: إن أمر الله أسرع من تكرير الفعل إنما هو كـن فكان. قال الكسائي: المعنى فيهما واحد. حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٣٩.

(٢) سقط من ظ. (٣) في أ [ومعناهما]. (٤) في أ [وضاعفته].

(٥) حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٣٩.

ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ يعني الرؤساء والقادة. وقال بعضهم: اشتقاق الملأ في اللغة[١] من الملأ وهم الجماعة التي تملأ باديتهم. وقال بعضهم: الناظر إذا نظر إليهم امتلأ عينه هيبة منهم وذلك أن كفار بني إسرائيل قهروا مؤمنيهم فقتلوهم. وسبوهم وأخرجوهم من ديارهم وكان رئيسهم جالوت فلما اضطر المسلمون في ذلك جاءوا إلى نبي لهم يقال له: اشمويل بن هلقانا ـ عليه السلام ـ بلغة العبرانية وبالعربية إسماعيل بن هلقان ﴿إِذْ قَالُواْ: لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ يعني أشمويل ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً﴾ يعني ادع لنا الله تعالى أن يجعل لنا ملكاً يعني رجلاً ينتظم به أمرنا ﴿نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فـ ﴿قَالَ﴾ لهم أشمويل ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ قرأ نافع: (هل عسِيتم) بكسر السين وقرأ الباقون: بالنصب وهي اللغة المعروفة والأول لغة لبعض العرب: (هل عسيتم) ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُواْ﴾ يعني إذا بعث الله لكم ملكاً وفرض عليكم القتال لعلكم لا تقاتلون وتجبنون عن القتال ﴿قَالُواْ: وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقول كيف لا نقاتل في سبيل الله ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ يعني أخذوا ديارنا وسبوا أبنائنا ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ أي فرض عليهم القتال ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ وتركوا القتال ولم يثبتوا (إلا قليلاً منهم)[٢] وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ﴾ [يعني أن الله تعالى يعلم جزاء من تولى عن القتال)[٣] ثم بين لهم القصة بقوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً﴾ يعني قال: أجابكم ربكم إلى ما سألتم من بعث ملك تقاتلون في سبيل الله معه وقد جعل لكم طالوت ملكاً وكان طالوت فيهم حقير الشأن وكانت النبوة في بني لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أهل بيت النبوة ولا من أهل بيت الملك. ويقال: كان رجلاً يبيع الخمر ويقال: كان بقاراً. ويقال: كان دباغاً ولكنه كان عالماً فرفعه الله بعلمه ﴿قَالُواْ: أَنَّى يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ يعني المسلمون قالوا لنبيهم: من أين يكون له الملك ﴿عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأن منا الملوك ﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾ طالوت ﴿سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ [ينفق علينا][٤] والملك يحتاج إلى (مال)[٥] ينفق على جنوده وأعوانه ﴿قَالَ﴾ لهم نبيهم ـ عليه السلام ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني اختاره عليكم ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ أي فضيلة ﴿فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ وكان رجلاً جسيماً وكان عالماً. [ويقال: كان عالماً][٦] بأمر الحرب. ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ والواسع في اللغة[٧]: هو الغني. ويقال: واسع بعطية الملك عالم لمن يعطيه. ويقال: واسع يعني باسط الرزق عليم بمن يصلح له الملك. فظنوا أنه يقول لهم من ذات نفسه وقالوا له إن كان الله تعالى أمرك بذلك فأتنا بآية قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ وذلك أن الكفار كانوا أخذوا التابوت وكان التابوت للمسلمين فإذا خرجوا للغزو والتابوت معهم كانوا يرجون الظفر فأخذ

---

(١) راجع اللسان: ملأ. (٢) في أ [والله عليم بالظالمين].

(٣) ما بين المعقوفين من ظ. (٤) من ظ. (٥) في ظ [ما].

(٦) سقط من ظ.

(٧) قال ابن منظور: في أسمائه سبحانه وتعالى الواسع: هو الذي وَسِعَ رزقُه جميع خلقه ووسعت رحمته كل شيء وغناه كل فقر، اللسان: وسع.

الكفار التابوت ووضعوه في [مزبلة أي في][١] مخرأة لهم فابتلاهم الله تعالى بالباسور[٢]. ويقال إن أصل الباسور من ذلك الوقت وأصل الجزام من وقت أيوب ـ عليه السلام ـ وتغير الطعام من قبل بني إسرائيل. فجعل الله تعالى آية ملك طالوت رد التابوت إليهم فذلك قوله تعالى: (إن آية ملكة) [يعني علامة ملكه][٣] (أن يأتيكم التابوت) ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾. قال الكلبي: سكينة أي: طمأنينة [من ربكم][٤] إذا كان التابوت في مكان اطمأنت قلوبهم [بالظفر][٥]. وقال مقاتل: السكينة كانت دابة ورأسها كرأس الهرة ولها جناحان فإذا صوتت عرفوا أن النصر لهم. ويقال: كانت جوهراً أحمر يسمع منه الصوت. ويقال: كانت ريحاً تهب فيها لها صوت يعرفون أن النصرة لهم عند الصوت قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾ يعني الرضاض[٦] من الألواح وقفيز من منّ في طست من ذهب وعصا موسى وعمامة هارون قال الكلبي: وكان التابوت من [عود الشمشار][٧] الذي يتخذ منه الأمشاط فلما ابتلاهم الله تعالى بالباسور عرفوا أن ذلك من التابوت فقالوا: لعل اله بني إسرائيل الذي فينا يعنون التابوت هو الذي يفعل بنا هذا الفعل فأخرجوا بقرتين من المدينة وتركوا أولادها في المدينة وربطوا التابوت على عجلة ثم ربطوا العجلة بالبقرتين ثم وجهوهما[٨] نحو بني إسرائيل فضربت الملائكة جنوبهما وساقوهما حتى هجموا بهما على أرض بني إسرائيل فأصبحوا والتابوت بين أظهرهم. وذلك قوله تعالى: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني الملائكة ساقوا العجلة. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾ يعني إن في رد التابوت علامة لملك طالوت ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي مصدقين بأن ملكه من الله تعالى فعرفوا وأطاعوه. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ يعني فتجهز طالوت وخرج بالجنود وهم سبعون ألفاً فصاروا في حر شديد فأصابهم عطش شديد فسألوا طالوت الماء. فـ ﴿قَالَ﴾ لهم طالوت ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ وهو بين الأردن، وفلسطين وإنما كان الابتلاء ليظهر عند طالوت من كان مخلصاً في نيته من غيره وأراد أن يميز عنهم من لا يريد القتال لأن من لا يريد القتال إذا خالط العسكر يدخل الضعف والوهن في العسكر لأنه إذا انهزم وهرب ضعف الباقون. ويقال: إن أشمويل هو الذي أخبر طالوت بالوحي حتى أخبر طالوت قومه حيث قال: (إن الله مبتليكم بنهر)[٩] ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ يعني ليس معي على عدوي إذا شرب بغير غرفة ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ يعني لم يشرب منه [يعني][١٠] غرفة ﴿فإنه مني﴾ أي معي على عدوي ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾. قرأ نافع [وابن كثير][١١] وأبو عمرو: (غرفة بنصب الغين وقرأ الباقون برفع الغين فمن قرأ بالنصب يكون مصدر غرفة أي مرة واحدة باليد. ومن قرأ بالضم هو ملء الكف وهو اسم الماء مثل: الخطوة والخطوة قال بعض المفسرين الغرفة بكف واحدة والغرفة بالكفين[١٢] وقال بعضهم كلاهما لغتان ومعناهما واحد[١٣]. فلما خرجوا من المفازة وقد أصابهم العطش [وقفوا][١٤] في النهر ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ بغير غرفة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً[١٥]. وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال لأصحابه يوم بدر: أنتم على عدد المرسلين وعدد قوم طالوت ثلاثمائة وثلاثة عشر فأمر من شرب بغير غرفة أن يرجعوا. ويقال: قد ظهر على

---

(١) ساقطة في ظ.

(٢) الباسور كالناسور، أعجمي: داء معروف، قال الجوهري: هي علة تحدث في المقعدة وفي داخل الأنف أيضاً. راجع / الصحاح واللسان / بسر.

(٣) ما بين المعقوفين من ظ.

(٤) من ظ.

(٥) من ظ.

(٦) في أ [الرضراض].

(٧) في ظ [عمود الشمشاذ].

(٨) في أ [ولّوا وجوههما].

(٩) من أ.

(١٠) في ظ [بغير].

(١١) سقط من ظ.

(١٢) في أ [بكفين].

(١٣) راجع: حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٤٠.

(١٤) في ظ [وقعوا].

(١٥) من أ.

شفاههم علامة عرف بها من شرب من الذي لم يشرب فردهم وأمسك المخلصين منهم. ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ يعني جاوز النهر ﴿هُوَ﴾ يعني طالوت ﴿وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾ ودنوا إلى عسكر جالوت وكان معه مائة ألف فارس كلهم شاكون في السلاح. ﴿قَالُواْ﴾ أي المؤمنون ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ لما رأوا من كثرتهم ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله﴾ يعني أيقنوا بالموت لما رأوا من كثرة العدو فأيقنوا بهلاك أنفسهم. ويقال: أيقنوا بالبعث بعد الموت وهو قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُواْ ٱللَّهِ﴾ وهم أهل العلم منهم ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ يعني كم من جند قليل ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ عدتهم ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بنصر الله وأمره إذا خلصت نيتهم وطابت أنفسهم بالموت في طاعة الله ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾ بالنصرة على عدوهم أي معينهم ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ يقول: خرجوا واصطفوا لجالوت دعوا الله تعالى: ﴿قَالُواْ: رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾ أي اصبب علينا صبراً معناه ارزقنا الصبر على القتال ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ عند القتال ﴿وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ﴾ قال وكان داود - عليه السلام - راعياً وكان له سبعة أخوة مع طالوت فلما أبطأ خبر إخوته على أبيهم وكان اسمه إيشا أرسل إليهم ابنه داود ينظر إليهم ما أمرهم ويأتيه بخبرهم فلما خرج مر على حجر فقال له الحجر: خذني فإني حجر إبراهيم قتل بي عدوه فأخذه وجعله في مخلاته ثم مر بآخر فقال له: خذني فإني حجر موسى الذي قتل بي كذا وكذا، ثم مر بثالث فقال له: خذني فأنا الذي أقتل جالوت فأخذه وجعله في مخلاته فأتاهم وهم بالصفوف وقد برز جالوت وقال: من يبارزني؟ فلم يخرج إليه أحد ثم قال: يا بني إسرائيل لو كنتم على حق لخرج إلي بعضكم فقال داود [لإخوته](١): أما فيكم أحد يخرج إلى هذا الأقلف؟(٢) فقالوا له: اسكت فذهب داود إلى ناحية من الصف ليس فيها [أحد من اخوته](٣) فمر طالوت به وهو يحرض الناس فقال له داود: وما تصنعون بمن يقتل هذا الأقلف؟ قال [طالوت](٤) أنكحه ابنتي [واجعل له](٥) نصف ملكي. قال داود: فأنا أخرج إليه فأعطاه طالوت درعه وسيفه فلما خرج في الدرع جرها لأن طالوت كان أطول الناس فرجع (داود)(٦) إلى طالوت وقال: إني لم أتعود القتال في الدرع فرد الدرع إليه فقال له طالوت: فهل جربت نفسك؟ قال: نعم وقع ذئب في غنمي فضربته بالسيف فقطعته نصفين فقال له طالوت: إن الذئب ضعيف فهل جربت نفسك في غير هذا؟ قال: نعم دخل أسد في غنمي فضربته ثم أخذت بلحييه فشققتها فقال له: هذا أشد [ثم قال له](٧) ما اسمك؟ قال داود بن إيشا فعرفه فرأى أنه أجلد إخوته فأخذ قذافته وخرج فلما رآه جالوت قال: خرجت إليّ لتقتلني بالقذافة كما تقتل الكلاب؟ فقال له داود: وهل أنت إلا مثل الكلاب قال الكلبي: وكان على رأس جالوت بيضة ثلاثمائة رطل فقال له جالوت: إما أن ترميني وإما أن أرميك. فقال له داود: بل أنا أرميك ثم أخذ واحداً من الأحجار الثلاثة فرماه فوقع في صدره ونفذ من صدره فقتل خلفه خلقاً كثيراً. وقال بعضهم: صارت الأحجار كلها واحداً فلما رماها تفرقت في عسكره فقتلت خلقاً كثيراً. وقال بعضهم: رمى واحداً بعد واحد فقتل جالوت وخلقاً كثيراً وهزمهم الله بإذنه فذلك قوله عز وجل: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ ثم إن طالوت زوج داود ابنته وأراد أن يدفع إليه نصف ملكه فقال له وزراؤه: إن دفعت إليه نصف ملكك فيصير منازعاً لك في ملكك ويفسد عليك الملك فامتنع من ذلك وأراد قتل داود - عليه السلام - وكان في ذلك ما شاء الله حتى دفع إليه النصف ثم خرج طالوت إلى بعض المغازي فقتل هناك فتحول الملك كله إلى داود ولم يجتمع بنو إسرائيل كلهم على ملك واحد إلا على داود. فذلك قوله عز وجل: ﴿وَآتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ يعني ملك اثني عشر سبطاً

---

(٢) الأقْلَف - هو الذي لم يختن. انظر اللسان: قلف وترتيب القاموس: قلف.

(٣) في ظ [أخوته]. (٤) سقط من ظ. (٥) في أ [وأعطيته].

(٦) سقط من ظ. (٧) سقط من ظ.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني النبوة وأنزل عليه الزبور أربعمائة وعشرين سورة ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ أي علم داود من صنع الدروع وكلام الطيور وتسبيح الجبال معه وكلام الدواب ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي يدفع البلاء عن المؤمنين بالنبيين ـ عليهم السلام ـ ويدفع بالمؤمنين عن الكفار ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي هلك أهلها. ويقال: ولولا دفع الله جالوت بطالوت لهلكت بنـو إسرائيل كلهم. ويقال: ولولا دفع الله البلايا بسبب المطيعين لهلك الناس كما جاء في الأثر: (لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رتع لصببت عليكم العذاب صباً[1]) وروي عن الحسن أنه قال: لولا الصالحون لهلك الطالحون. ويقال: لولا ما أمر الله [المؤمنين][2] بحرب الكفار لفسدت الأرض بغلبة الكفار. ويقال لولا ما ينتفع بعض الناس ببعض لأن في كل أرض بلدة يتولد [فيها][3] شيء لا يوجد ذلك في سائر البلدان فينتفع بها أهل سائر البلدان وينتفع بعضهم ببعض فيكون في ذلك صلاح أهل الأرض. قرأ نافع ههنا (ولولا دفاع الله) وفي الحج: (إن الله يدافع) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بغير ألف في كلا الموضعين وقرأ حمزة والكسائي وعـاصم وابن عامـر: (ولولا دفـع الله) بغير ألف (إن الله يـدافع) بـالألف وتفسير القـراءتين واحد وهمـا لغتان معروفتان[4]. ثم قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي ذو من عليهم بالدفع عنهم ﴿تِلْكَ آيَاتُ ٱللَّهِ﴾ وهو ما قص عليه من أخبار الأمم ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ أي ننزلها بقراءة جبريل عليك ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يعني إنك لمن جملة المرسلين الذين ذكرناهم. وقال الزجاج[5] تلك آيات الله أي هذه الآيات التي أنبئت أي العلامات التي تدل على توحيده وتثبت رسالته إذ كان يعجز عن إتيان مثلها المخلوقون وإنك من هؤلاء المرسلين لأنك قد أتيتهم بالعلامات.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ الذين أنزلنا عليك خبرهم في القرآن ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الدنيـا. ويقال: التفضيل يكون على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون دلالة نبوته أكثر. والثاني: أن تكون أمته أكثر. والثالث: أن يكون بنفسه أفضل ثم بين تفضيلهم فقـال: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [مثل][6] مـوسى ـ عليه السـلام ـ ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ يعني إدريس ـ عليه السلام ـ كما قال تعالى: (ورفعناه مكاناً علياً) وقال الزجاج[7]: جاء في التفسير أنه أراد محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه أرسله إلى الناس كافة وليس شيء من الآيات التي أعطاها الله الأنبياء ـ

---

(١) حديث ضعيف. انظر كشف الخفاء ٢/ ٢٣٠. (٢) في ظ [المسلمين]. (٣) في ظ [منها].

(٤) قراءة نافع في هذا الموضوع وفي سورة الحج واحدة «ولولا دِفَاع» وحجة نافع: أن الدفاع مصدر لـ «فاعل» تقول: دَافَعَ الله عنك الشيء يُدافع مُدَافَعَةً ودفاعاً والعرب تقول: أحسن الله عنك الدفاع.

وأما قراءة الباقين. بغير ألف فحجتهم: أن الله عز وجل لا مدافع له وأنه هو المنفرد بالدفع من خلقه، وكان أبو عمرو يقول: إنما الدفاع من الناس والدفع من الله. راجع حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٤٠ ـ ١٤١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٢٩ (٦) سقط من ظ. (٧) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٣٠.

عليهم السلام ـ إلا والذي أعطى محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكثر لأنه قد كلمته الشجرة وأطعم من كف من التمر خلقاً كثيراً وأمر يده على شاة أم معبد فدرت لبناً كثيراً بعد الجفاف ومنها انشقاق القمر فذلك قوله (ورفع بعضهم فوق بعض درجات) يعني محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ. ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ﴾ يعني العجائب والدلائل وهو: أن يحيي الموتى بإذنه ويبرىء الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ يعني أعناه بجبريل حين أرادوا قتله: ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ﴾ أي ما اختلف الذين ﴿مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ﴾ التي أتاهم بها موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ وقال الزجاج[1]: يحتمل وجهين: ولو شاء الله ما أمر بالقتال بعد وضوح الحجة ويحتمل ولو شاء الله اضطرهم إلى أن يكونوا مؤمنين كما قال تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) (ولكن اختلفوا) في الدين فصاروا فريقين: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَـنَ وَمِنْهُم مَن كَفَرَ﴾ بالكتاب والرسل ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ﴾ وجعلهم على أمر واحد ﴿وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي يعصم من يشاء من الاختلاف ويخذل من يشاء فلا مرد لأمره ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَنْفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي تصدقوا قال بعضهم: أراد به الزكاة المفروضة. وقال بعضهم: صدقة التطوع. ثم بين لهم أن الدنيا فانية [وأنه في الآخرة][2] لا ينفعهم شيء[3] إلا ما قدموه قال تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ يقول: لا فداء فيه ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ يعني [الصدقة][4] وهذا كما قال في آية أخرى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ للكافرين كما يكون في الدنيا. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) بالنصب وكذلك في سورة إبراهيم: (لا بيع فيه ولا خلال) وقرأ الباقون: بالضم مع التنوين[5]. ثم قال تعالى عز وجل: ﴿وَٱلْكَافِرُونَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ﴾ أنفسهم. والظلم في اللغة[6]: وضع الشيء في غير موضعه وكان المشركون يقولون الأصنام شركاؤه وهم شفعاؤنا عند الله فوحد الله نفسه.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

فقال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ يقول: لا خالق ولا رازق ولا معبود إلا هو. ويقال: الإثبات إذا كان بعد النفي فإنه يكون أبلغ في الإثبات فلهذا قال: (الله لا إله إلا هو) فبدأ بالنفي ثم استثنى الإثبات فيكون ذلك أبلغ في الإثبات﴿الحي القيوم﴾ يقول: الحي الذي لا يموت ويقال: الحي الذي لا بدىء له يعني لا ابتداء له﴿القيوم﴾ يعني القائم على كل نفس بما كسبت ويقال: القائم بتدبير أمر الخلق في إنشائهم ورزقهم ومعنى القائم: هو الدائم. ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ روي عن علي ابن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال السنة والنوم

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٣١. (٢) من ظ. (٣) من ظ.
(٤) في ظ [لا صداقة]. (٥) راجع: حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٤٠. (٦) اللسان: ظلم، ترتيب القاموس: ظلم.

كلاهما واحد ولكنه أول ما يدخل في الرأس يقال له سنة ويكون بين النائم واليقظان فإذا وصل إلى القلب صار نوماً ويقال: معناه(١): أنه ليس بغافل عن أمور الخلق فيكون النوم على وجه الكناية. وقال بعضهم هو على ظاهره أنه مستغن عن النوم. وروي في بعض الأخبار أن موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ حين رفع إلى السماء سأل بعض الملائكة أينام ربنا؟ وقال بعضهم خطر ذلك بقلبه، ولم يتكلم به فأمره الله تعالى أن يأخذ زجاجتين [وأمره بأن يحفظهما ثم ألقى عليه النوم فلم يملك نفسه حتى نام فانكسرت الزجاجتان](٢) في يده فقال له: يا موسى لو كان لي نوم لهلكت السموات والأرض أسرع من كسر الزجاجتين في يدك(٣) فذلك قوله تعالى: (لا تأخذه سنة ولا نوم) ﴿لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كلهم عبيده وإماؤه وهو مستغن عن الشريك ويقال: معناه أن كل ما في السموات والأرض يدل على وحدانيته ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾ يقول: من ذا الذي يجترىء أن يشفع عنده ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ دون أمره رداً لقولهم حيث قالوا: هم شفعاؤنا عند الله. وفي الآية دليل على إثبات الشفاعة لأنه قال: (إلا بإذنه) ففيه دليل على أن الشفاعة قد تكون بإذنه للأنبياء والصالحين ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني الله لا إله إلا هو الحي القيوم هو الذي يعلم ما بين أيديهم من أمر الدنيا يعني يعلم أن الأصنام لا يدعون الألوهية ﴿وَما خلفهم﴾ يعني يعلم أنه لا شفاعة لهم. وقال مقاتل: (يعلم ما بين أيديهم) يعني ما كان قبل خلق الملائكة (وَمَا خَلْفَهُمْ) [أي ما يكون بعد خلقهم](٤) وقال الزجاج(٥): يعني يعلم(٦) الغيب الذي [تقدمهم والغيب الذي يأتي من بعدهم. وقال الكلبي: يعلم ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما](٧) خلفهم من أمر الدنيا. ثم قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ يعني الملائكة لا يعلمون الغيب لأن بعض الناس يعبدون الملائكة ويرجون شفاعتهم فأخبر أنهم لا يملكون شيئاً ولا يعلمون مما تقدمهم ولا مما بعدهم إلا بما أنبأهم الله تعالى. ويقال: لا يدركون جميع علمه والإحاطة في اللغة(٨): إدراك الشيء بكماله (إلا بما شاء) فيعلمهم. ثم أخبر عن عظمته فقال تعالى: ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي ملأ كرسيه السموات والأرض وروي عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: السموات السبع والأرضون السبع تحت [جنب](٩) الكرسي كحلقة بأرض فلاة وهكذا قال الكلبي ومقاتل. وقال بعضهم: الكرسي هو المكان الذي خلق الله فيه السموات والأرض وقال بعضهم: الكرسي والعرش واحد ولكنه مرة ذكر بلفظ العرش ومرة ذكر بلفظ الكرسي. وقال بعضهم: الكرسي غير العرش. قال الفقيه حدثنا عبد الرحمن بن محمد قال: [حدثنا فارس بن مردويه قال](١٠) حدثنا محمد بن الفضيل: قال: حدثنا أبو مطيع عن حماد بن سلمة(١١) عن عاصم بن بهدلة وهو عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: [بين كل سماءين](١٢) مسيرة خمسمائة عام وبين الكرسي [وبين العرش](١٣) مسيرة خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش ـ أي بالعلو والقدرة يعلم ما أنتم عليه. وقال الزجاج(١٤): قال ابن عباس: (وسع كرسيه السموات والأرض) يعني علمه وقال قوم: كرسيه

---

(١) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ١/٣٣٣. (٢) ما بين المعقوفين من أ.
(٣) قال القرطبي: لا يصح، وهو ضعيف. انظر تفسير القرطبي ٣/٢٧٣.
(٤) سقط من ظ. (٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٣٤. (٦) سقط من ظ.
(٧) ما بين المعقوفين من ظ.
(٨) قال ابن منظور: وكل من بلغ أقصى شيء وأحصى علمه فقد أحاط به، وأحاط بالأمر إذا أحدق به من جوانبه كله. اللسان: حوط. وكذا ترتيب القاموس/ حوط ١/٧٤٠.
(٩) سقط من ظ. (١٠) سقط من ظ.
(١١) حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة مولى تميم من الثقات، فقيهاً فصيحاً. التهذيب ٣/١١.
(١٢) في ظ [وبين المساء السابعة]. (١٣) في ظ [وبين الماء]. (١٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٣٤.

قدرته التي يمسك بها السموات والأرض وهذا قريب من قول ابن عباس ثم أخبر عن قدرته فقال: ﴿وَلَا يَؤُوده حِفْظُهُمَا﴾ يقول: ولا يثقله حفظهما أي حفظ السموات والأرض. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ أي الرفيع تعالى فوق خلقه العظيم يعني أعلا وأعظم من أن يتخذ شريكاً ويقال: يحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة أوجه: وجه إنسان وجه ثور ووجه أسد ووجه نسر أقدامهم في الصخرة التي تحت الأرضين هكذا قال الكلبي ومقاتل. ويقال: يدعو بالوجه الذي كوجه الإنسان لنبي آدم ويسأل الله تعالى لهم الرزق والرحمة والمغفرة وبالوجه الذي كوجه الثور يدعو للأنعام [والرزق][1] وبالوجه الذي كوجه الأسد يدعو للوحوش وبالوجه الذي كوجه النسر يدعو [للطيور][2].
وروي عن محمد ابن الحنفية أنه قال لما نزلت آية الكرسي: خر كل صنم في دار الدنيا[3] وخر كل ملك في الدنيا على وجهه وسقطت التيجان [عن رؤوسهم][4] وهربت الشياطين فضرب بعضهم بعضاً فاجتمعوا إلى إبليس وأخبروه بذلك فأمرهم أن يبحثوا عن ذلك فجاءوا إلى المدينة فبلغهم أن آية الكرسي قد نزلت [وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: من قرأ آية الكرسي خلف كل صلاة أعطاه الله تعالى صلاة الشاكرين وصلاة المطيعين وصلاة الصابرين ولا يمنعهم دخول الجنة إلا الموت][5].

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ يعني لا تكرهوا في الدين أحداً بعد فتح مكة وبعد إسلام العرب ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي قد تبين الهدى من الضلالة. ويقال: قد تبين الإسلام من الكفر فمن أسلم وإلا وضعت عليه الجزية ولا يكره على الإسلام ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ يعني بالشيطان [ويقال: الصنم][6] ويقال: هو كعب بن الأشرف ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [يقول: بالثقة يعني بالإسلام ويقال: فقد تمسك بلا إله إلا الله][7] ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ يعني لا انقطاع لها ولا زوال لها ولا هلاك لها. ويقال: قد استمسك بالدين الذي لا انقطاع له من الجنة ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [بقولهم][8] ﴿عَلِيمٌ﴾ بهم.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي حافظهم ومعينهم وناصرهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يعني من الكفر إلى الإيمان واللفظ لفظ المستقبل والمراد به الماضي يعني أخرجهم ويقال: ثبتهم على الاستقامة كما أخرجهم من الظلمات. ويقال: يخرجهم من الظلمات أي من ظلمة الدنيا[9] ومن ظلمة القبر ومن ظلمة الصراط إلى الجنة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ يعني اليهود أولياؤهم كعب بن الأشرف وأصحابه. ويقال: المشركون أولياؤهم الشياطين ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ يعني يدعونهم إلى الكفر كما قال في آية أخرى: (أن

---

(١) في ظ [بالرزق].
(٢) في ظ [للطير].
(٣) وعلى وجهه].
(٤) سقط في ظ.
(٥) ما بين المعقوفين من أ.
(٦) ما بين المعقوفين من أ.
(٧) ما بين المعقوفين من أ.
(٨) في ظ [لقولهم].
(٩) من ظ.

أخرج قومك) يعني ادع قومك ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني أهل النار هم فيها خالدون أي دائمون.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ يقول: ألم تخبر بقصة الذي خاصم إبراهيم في توحيد ربه ﴿أَنْ آتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ وهو النمرود بن كنعان وهو أول من ملك الدنيا كلها وكانوا خرجوا إلى عيد لهم فدخل إبراهيم ـ عليه السلام ـ على أصنامهم فكسرها فلما رجعوا قال لهم: أتعبدون ما تنحتون؟ فقالوا له من تعبد أنت؟ قال: أعبد ربي الذي يحيي ويميت. وقال بعضهم: كان النمرود يحتكر الطعام وكانوا إذا احتاجوا إلى الطعام[١] يشترون منه وإذا دخلوا عليه سجدوا له فدخل عليه إبراهيم ولم يسجد له فقال له النمرود: مالك لم تسجد؟ فقال: أنا لا أسجد إلا لربي. فقال النمرود من ربك؟ (فقال [له إبراهيم][٢]: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ﴾ له [النمرود][٣]: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ قال إبراهيم كيف تحيي وتميت؟ فجاءه برجلين فقتل أحدهما وخلى سبيل الآخر ثم قال: قد أمت أحدهما وأحييت الآخر. ﴿قَالَ﴾ له ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ إنك أحييت الحي ولم تحيي الميت وإن ربي يحيي الميت فخشي إبراهيم أن يلبس النمرود على قومه فيظنون أنه أحيا الميت كما وصف لهم النمرود فجاءه بحجة أظهر من ذلك حيث قال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ فإن قيل: لِمَ لَمْ يثبت إبراهيم على الحجة الأولى؟ وانتقل إلى حجة أخرى والانتقال في المناظرة من حجة إلى حجة غير محمود. قيل له: الانتقال على ضربين: انتقال محمود إذا كان بعد الإلزام وانتقال مذموم إذا كان قبل الإلزام وإبراهيم ـ عليه السلام ـ انتقل [بعد][٤] الإلزام لأنه قد تبين له فساد قوله حيث قال له: إنك قد أحييت الحي ولم تحيي الميت. وجواب آخر: إن قصد إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يكن للمناظرة وإنما كان قصده إظهار الحجة فترك [مناظرته][٥] في الإحياء والإماتة على ترك الإطالة وأخذ [بالاحتجاج][٦] بالحجة المسكتة ولأن الكافر هو الذي ترك حد النظر حيث لم يسأل [ـ عما قال له][٧] إبراهيم ـ (دللا)[٨] ولكنه اشتغل بالجواب عن ذات نفسه حيث قال: أنا أحيي وأميت. وقوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ أي انقطع وسكت متحيراً. يقال: بهت الرجل إذا تحير. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ أي لا يرشدهم إلى الحجة والبيان. وروي في الخبر أن الله عز وجل قال: وعزتي وجلالي لا تقوم الساعة حتى آتي بالشمس من المغرب ليعلم أني أنا القادر على ذلك ثم أمر النمرود بإبراهيم فألقي في النار وهكذا عادة الجبابرة أنهم إذا عورضوا بشيء وعجزوا عن الحجة اشتغلوا بالعقوبة فأنجاه الله من النار وسنذكر قصة ذلك في موضعها إن شاء الله تعالى.

---

(١) في ظ [الطعام كانوا].
(٢) من ظ.
(٣) في ظ [غرود].
(٤) في أ [قبل].
(٥) في ظ [مناقضته].
(٦) في ظ [الاحتجاج].
(٧) في ظ [مما قاله].
(٨) ساقطة من ظ.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قال بعضهم: معناه إحيائي ليس كإحياء النمرود ولكن إحيائي كإحياء عزير ـ عليه السلام ـ أحييته بعد مائة عام. وقال بعضهم هو معطوف على ما سبق من قوله: (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم و(إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) (أو كالذي مر على قرية). قال مقاتل: والذي مر على قرية هو عزير بن شرخيا وكان من علماء بني إسرائيل فمر بدير هرقل بين واسط والمدائن على حمار فمر بها (وهي خاوية على عروشها). وقال الضحاك بن مزاحم: هو عزير النبي ـ عليه السلام ـ مر ببيت المقدس وقد خربها بخت نصر وقتل منهم سبعين ألفاً وأسر منهم سبعين ألفاً أي من بني إسرائيل فمر عزير فقال: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن بخت نصر غزا بني إسرائيل فسبى منهم ناساً كثيرة فجاء بهم وفيهم عزير بن شرخيا وكان من علماء بني إسرائيل فجاء بهم إلى بابل فخرج ذات يوم لحاجة له إلى دير هرقل على شاطىء دجلة فنزل تحت ظل شجرة وهو على حمار له فربط حماره تحت ظل شجرة ثم طاف بالقرية فلم ير بها ساكناً. (وهي خاوية على عروشها) يقول ساقطة على سقوفها وذلك أن السقف يقع قبل الحيطان ثم الحيطان على السقف فهي خاوية على عروشها. قال بعض أهل اللغة[١]: الخاوية الخالية. وقال بعضهم: بقيت حيطانها لا سقوف عليها. [وقال الزجاج[٢]: عروشها هي الخيام وهي بيوت الأعراب][٣]. فتناول من الفاكهة والتين والعنب ثم رجع إلى حماره فجلس يأكل من تلك الفاكهة ثم عصر من العنب فشربه ثم جعل فضل التين [والعنب][٤] في سلة وفضل العصير في الزق ثم نظر إلى القرى فتعجب من كثرة ثمرها وفناء أهلها فـ(قال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها) فلم يشك في البعث ولكن أحب أن يريه الله كيف يحيي الموتى فلما تكلم عزير بذلك نام في ذلك الموضع ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ في منامه ﴿مِائَةَ عَامٍ﴾ وأمات حماره ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ الله تعالى في آخر النهار ومنعه الله تعالى في حال موته عن أبصار الناس والسباع والطير فلما بعثه الله تعالى سمع صوتاً ﴿قَالَ﴾ له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ (أي)[٥] كم مكثت في نومك يا عزير ﴿قَالَ: لَبِثْتُ يَوْماً﴾ ثم نظر إلى الشمس وقد بقي منها شيء لم تغرب فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ﴿قَالَ﴾: له ﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ يعني كنت ميتاً مائة عام ثم أخبره ليعتبر فقال: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ يعني الفاكهة ﴿وَشَرَابِكَ﴾ يعني العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يعني لم يتغير كقوله: (من ماء غير آسن) أي غير متغير ويقال: لم يتسنه كأنه لم تأت عليه السنون. قرأ حمزة وابن عامر وأبو عمرو: (كم لبثت) بإدغام (الثاء)[٦] والتاء. وقرأ الباقون: بإظهارها وقرأ الكسائي: (لم يتسن) بغير هاء عند الوصل [وأثبتت][٧] عند القطع. وقرأ حمزة: بحذف الهاء عند

---

(١) انظر اللسان: خوا.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٣٩.
(٣) ما بين المعقوفين من أ.
(٤) سقط في ظ.
(٥) في ظ [يا عزير هي].
(٦) سقط في ظ.
(٧) في ظ [وأثبت].

الوصل والقطع[١] جميعاً وقرأ الباقون بإثبات الهاء عند الوصل والقطع وقرأ نافع: (أنا أحيي) بمد الألف وكذلك في جميع القرآن نحو هذا إلا في قوله: (إن أنا إلا نذير) وقرأ الباقون بغير مد ومعنى القراءتين في هذا كله واحد[٢] ثم نظر عزير ـ عليه السلام ـ إلى حماره وقد بلي فنودي: أن انظر إلى حمارك فإذا هو عظم [أبيض يلوح][٣] وقد تفرقت أوصاله ثم سمع صوتاً قال: أيتها العظام البالية إني جاعل فيكن روحاً فاجتمعن فسعى بعضها إلى بعض حتى استقر كل شيء في موضعه ثم بسط عليه الجلد ونفخ فيه الروح فإذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجداً [لله تعالى][٤] وقال عند ذلك: أعلم أن الله على كل شيء قدير فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي عبرة للناس لأن أولاده قد[٥] صاروا شيوخاً وقد كان شاباً. ﴿وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحماً﴾. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو [بالزاي][٦] وقرأ الباقون [بالراء][٧] فمن قرأ بالراء فمعناه كيف نحييها ونظيرها (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) أي يبعثون الموتى ومن قرأ بالزاي: أي كيف يضم بعضها إلى بعض النشز: ما ارتفع من الأرض وهذا كما جاءفي الأثر: الرضاع ما أنبت اللحم، وأنشز العظم. وقال أهل اللغة[٨]: أصل النشز الحركة يقال: نشز الشيء إذا تحرك ونشزت المرأة عن زوجها والمراد هاهنا [تضمنها][٩] ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ: أَعْلَمُ﴾ قرأ حمزة والكسائي: (اعلم): بالجزم على [مضي][١٠] الأمر، وقرأ الباقون (قال: أعلم) على معنى الخبر عن نفسه [ومعناه][١١] علمت بالمعاينة ما كنت أعلمه قبل ذلك غيباً[١٢]. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الإحياء وغيره وقال بعضهم: أن عزيراً لما أحياه الله تعالى قال في نفسه كم لبثت قال: لبثت يوماً أو بعض يوم فلما رجع إلى منزله ولقيه أقرباؤه وحسبوا غيبته فقالوا له: بل لبثت مائة عام وهذا قول من قال: إن هذا لم يكن عزيراً النبي ـ عليه السلام ـ [بل رجل آخر سوى عزير النبي ـ عليه السلام ـ][١٣].

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَى﴾ وذلك أن النمرود لما قال له: أنا أحيي وأميت ووصف لهم ذلك فسألوا إبراهيم فقالوا له: كيف يحيي ربك الموتى فأراد إبراهيم أن يرى ذلك بالمعاينة حتى يخبرهم بما يرى من المعاينة فسأل ربه فقال: ﴿رب أرني كيف تحيـي الموتى﴾. وقال مقاتل: مر إبراهيم فرأى جيفة على ساحل البحر يأكل منها دواب البحر والطيور وبعضها يصير مستهلكاً في الأرض فوقع في قلبه أن الذي تفرق في البحر وفي بطون الطير كيف يجمعها الله تعالى فأراد أن يعاين ذلك فقال: ﴿رب أرني كيف تحيـي الموتى﴾ فـ﴿قَالَ﴾ له ربه ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ يعني أو لم تصدق بأني أحيي الموتى ﴿قَالَ: بَلَى﴾ قد صدقت ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي ليسكن قلبي. ويقال: إنما قال له: أو لم تؤمن؟ لكي يظهر إقراره لكي لا يظن أحد بعده أنه لم يكن مقراً

---

(١) راجع حجة القراءات لابن زنجلة ١٤٢ ـ ١٤٣ والنشر، والإتحاف وأبو شامة.

(٢) راجع النشر والإتحاف في الآية. (٣) في ظ [تلوح]. (٤) سقط في ظ.

(٥) في ظ [قد]. (٦) في ظ [بالراء]. (٧) في ظ [بالزاء].

(٨) راجع اللسان: نشز، وترتيب القاموس ٣٧٢/٤. (٩) في ظ [نضمها]. (١٠) في ظ [معنى].

(١١) سقط في ظ. (١٢) راجع: حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٤٤ ـ ١٤٥. (١٣) ما بين المعقوفين سـ غـ.

بذلك في ذلك الوقت فظهر إقراره بقوله: بلى وقال سعيد بن جبير: ليسكن قلبي أنك اتخذتني خليلاً. ﴿قَالَ: فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ﴾ فأخذ ديكاً وحمامة وطاووساً وغراباً وفي بعض الروايات أخذ طاووساً وثلاثة [من الطيور][١] مختلفة ألوانها وأسماؤها وريشها ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾[٢] أي فقطعهن وقال السدي: يعني فدقهن وقال الأخفش: يعني اضممهن إليك. وذكر مقاتل بإسناده عن الأعمش قال: فيه تقديم وتأخير يعني فخذ إليك أربعة من الطيور فقطعهن واخلط بعضهن ببعض. ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً﴾ ثم فرقهن في أربعة أجبل ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً﴾ ففعل ذلك ودعاهن فسعين على أرجلهن. ويقال: إنه لما وضعهن على الأجبل هبت الرياح الأربعة التي تقوم يوم القيامة فواحدة من قبل المشرق والأخرى من قبل المغرب وواحدة من قبل اليمين والأخرى من قبل الشمال فرفعت الأعضاء المتفرقة عن مواضعها وحملتها إلى المواضع الأخرى حتى اجتمع أعضاء كل طير في موضعها فجعل إبراهيم ينظر ويتعجب حيث ينضم بعضها إلى بعض فقال عند ذلك قوله: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ حكم بالبعث ولم أسأله [لريب][٣] كان في قلبي ولكن سألته ليسكن قلبي في الخلة. قرأ ابن كثير [أرْني] بجزم الراء وقرأ الباقون بالكسر وقرأ حمزة (فصرهن)[٤] بكسر الصاد والباقون بالضم فمن قرأ بالكسر يعني قطعهن ومن قرأ بالضم يعني فضمهن إليك ويقال: هما لغتان ومعناهما وتفسيرهما واحد.

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم [فضة][٥] وقال يا رسول الله: كانت لي ثمانية آلاف درهم [فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم][٦] وأربعة آلاف أقرضتها لربي فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت. وقال عثمان بن عفان: يا رسول الله علي جهاز من لا جهاز له فنزلت هذه الآية: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ وفي الآية مضمر ومعناه مثل النفقة التي تنفق في سبيل الله ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ وطريق آخر مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع في الأرض حبة فـ﴿أَنۢبَتَتْ﴾ الحبة ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ أي أخرجت سبع سنابل ﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ فيكون جملتها سبعمائة فشبه المتصدق بالزارع وشبه الصدقة بالبذر فيعطيه الله بكل صدقة سبعمائة حسنة. ثم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي يزيد على سبع مائة لمن يشاء فيكون مثل المتصدق كمثل الزارع إذا كان الزارع حاذقاً في عمله ويكون البذر جيداً وتكون الأرض عامرة يكون الزرع مخصباً طيباً فكذلك المتصدق إذا كان صالحاً والمال طيباً ويوضع في موضعه فيصير الثواب أكثر. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي واسع الفضل لتلك الأضعاف ﴿عَلِيمٌ﴾ بما [ينفقون وبما][٧] نووا فيها. قرأ ابن كثير وابن عامر: (والله يضعف) بتشديد العين وحذف الألف وقرأ الباقون: (يضاعف) بالألف ومعناهما واحد فالذي قرأ يضعف من

---

(١) من ظ.
(٢) في ظ [إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعياً].
(٣) من ظ.
(٤) راجع حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٤٦.
(٥) ساقطة من ظ.
(٦) ما بين المعقوفين من ظ.
(٧) في أ [يفعلون وما].

التضعيف والذي قرأ يضاعف من المضاعفة. ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي يتصدقون بأموالهم ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُواْ مَنّاً وَلَآ أَذًى﴾ أي لا يمنون عليهم بما تصدقوا عليهم ولا يؤذونهم ولا يعيرونهم بذلك ومعنى الأذى والتعيير هو أن يقع بينه وبين الفقير خصومة فيقول له: إني أعطيتك كذا وكذا. وقال بعضهم: المن يشبه بالنفاق والأذى يشبه بالرياء. ثم تكلم الناس في ذلك فقال بعضهم إذا فعل ذلك لا أجر له في صدقته وعليه وزر فيما من على الفقير به. وقال بعضهم: ذهب أجره فلا أجر له ولا وزر عليه وقال بعضهم: له أجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بالمن. ثم قال تعالى: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي ثوابهم في الآخرة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا من أمر الدنيا. ويقال: الآية نزلت في شأن عثمان بن عفان حين اشترى بئر رومة ثم جعلها سبيلاً على المسلمين.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي دعاء الرجل لأخيه بظهر الغيب ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي يعفو ويتجاوز [عمن ظلمه][(1)] خير من صدقة يعطيها ثم يمن على من تصدق عليه ويقال: قول معروف للفقير يعني إذا أتاه سائل سأله ولم يكن عنده شيء يعطيه فيدعو له بالجنة والمغفرة. ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ﴾ يعطيها له و ﴿يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ ويقال: وعد المعطي خير من صدقة يتبعها أذى. ويقال: وعد الكريم خير من نقد اللئيم. ويقال: دعاء[(2)] الفقير إذا دعا لصاحب الصدقة ومغفرة الله خير من [الصدقة التي يتبعها أذى][(3)]. ويقال: قول معروف أن يتجاوز عمن أساء إليه ويحسن له القول خير له من صدقة يتبعها أذى. ويقال: الأمر بالمعروف والصبر على ما أصابه والتجاوز عن الذي [أضربه][(4)] خير من صدقة يتبعها أذى ثم قال ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ أي غني عما عندكم من الصدقة حليم حيث [لم][(5)] يعجل [العقوبة][(6)] على من يمن [بالصدقة][(7)].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُمْ بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَى﴾ فالله تعالى أمر عباده برأفته أن لا يمنوا بصدقاتهم لكي [لا يذهب][(8)] أجرهم ثم ضرب لذلك مثلاً فقال تعالى: ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ يعني المشرك إذا تصدق فأبطل الشرك صدقته كما أبطل المن والأذى صدقة المؤمن ثم ضرب لهما مثلاً جميعاً لصدقة المؤمن الذي يمن وبصدقة المشرك فقال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ قال القتبي الصفوان الحجر الذي لا ينبت عليه شيء يعني كمثل حجر صلب عليه تراب ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ [يعني المطر الشديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾][(9)] يعني المطر ترك الصفا نقياً أجرد أملس ليس عليه شيء من تراب فكذلك نفقة صاحب الرياء

---

(1) في ظ [عن مظلمته].
(2) في ظ [ادعاء الكريم بخير].
(3) في ظ [صدقه يتبعها أذى].
(4) في ظ [أضره].
(5) في ظ [لا].
(6) في ظ [بالعقوبة].
(7) في ظ [بصدقته].
(8) في ظ [يذهب].
(9) ما بين المعقوفين من أ.

ونفقة المشرك لم يبق [لهما][(١)] ثواب. ثم قال تعالى: ﴿**لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُواْ**﴾ **(والله لا يهدي القوم الكافرين)**[(٢)] أي لا يجدون للصدقة ثواباً في الآخرة وهذا كما قال في آية أخرى و **(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح)** [﴿**وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ**﴾ (يعني لا يرشدهم إلى الإسلام والإخلاص ولا يوفقهم الله بل يخذلهم مجازاة لكفرهم][(٣)] ثم ضرب مثلاً لنفقة المؤمن الذي يريد بنفقته وجه الله تعالى ولا يمن بها فقال عز وجل:

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

﴿**وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ ٱللَّهِ**﴾ يعني يتصدقون طلب رضاء الله تعالى بصدقاتهم ﴿**وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ يعني وتصديقاً من قلوبهم يعني يصدقون الله تعالى بالثواب في الآخرة والخلف في الدنيا. ويقال: وتثبيتاً من أنفسهم يعني وتحقيقاً من قلوبهم يقصدون بها وجه الله ﴿**كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ**﴾ يعني بستاناً في مكان [مستو مرتفع][(٤)] ﴿**أَصَابَهَا وَابِلٌ**﴾ يعني البستان أصابه المطر الشديد ﴿**فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ**﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: **(أكلها)**: بجزم الكاف ونصب اللام وقرأ الباقون بالضم [أكلها] وتفسير القراءتين واحد[(٥)]. وقرأ عاصم وأبو عمرو: (بربوة) بنصب الراء وقرأ الباقون: بالضم][(٦)]. وقرأ ابن سيرين: بكسر الراء وفيه ثلاث لغات: رَبْوَة وَرِبْوَة وَرُبْوَة[(٧)] وتفسير القراءات واحد[(٨)] وفي الآية تقديم وتأخير ومعناه: كمثل [جنة بربوة][(٩)] أصابها وابل ﴿**فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**﴾ فأتت أكلها ضعفين يعني البستان إذا أصابه المطر أو الطل والطل البطيء من المطر وهو مثل الندى **(فاتت أكلها ضعفين)** يعني أخضرت أوراق البستان وأخرجت ثمرها ضعفين فكذلك الذي يتصدق به لوجه الله تعالى يكون له الثواب ضعفين يعني للواحد عشرة إلى سبعمائة إلى ما لا نهاية له ﴿**وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ ثم ضرب مثلاً آخر لعمل الكافر والمنافق فقال تعالى:

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ**﴾ يقول: مثل الكافر كمثل شيخ كبير له بستان وله أولاد صغار ضعفاء عجزة لا حيلة لهم ومعيشته ومعيشة ذريته من بستانه ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ**﴾ يعني ريحاً بها نار أي فأتته السموم الحارة فأحرقت

---

(١) في ظ [له].
(٢) سقط في ظ.
(٣) سقط في أ والمثبت من ظ.
(٤) في ظ [مرتفع مستوى].
(٥) راجع/ ١ حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٤٦.
(٦) حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٤٦.
(٧) بتثليث الراء.
(٨) حجة القراءات ص ١٤٦.
(٩) في ظ [ربوة فيها جنة].

بستانه ولم يكن له قوة أن يغرس مثل بستانه ولم يكن عند ذريته خير يعينونه فيبقى متحيراً فكذلك الكافر إذا لقي ربه أحوج ما كان فلا يجد خيراً ولا يدفع عن نفسه ولا يكون له معين ولا يعود إلى الدنيا كما لا يعود الشيخ الكبير شاباً وكان أحوج إليه قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في أمثاله فتعتبرون.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَنْفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ﴾ يقول: من حلالات ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ في الآية أمر بالصدقة من الحلال وفيها دليل: أن من تصدق من الحرام لا يقبل لأن الواجب عليه أن يردها إلى موضعها. ويقال: أنفقوا من طيبات يعني من مـال اللذيذ والشهي عندكم مما كسبتم. يقول: مما جمعتم من الذهب والفضة قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي من الثمار والحبوب ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ أي لا تعمدوا إلى رديء المال [فتصدقوا][1] منه وذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما حث الناس على الصدقة فجعل الناس يأتون بالصدقة ويجمعون في المسجد فجاء رجل بعذق من تمر عامته حشف فنزلت هذه الآية: (ولا تيمموا الخبيث) يعني لا تعمدوا إلى الخشف [فتتصدقوا][2] منه ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ [بل][3] الطيب ﴿إِلَّا أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ يعني إلا أن يهضم أحدكم فيأخذ دون حقه مخافة أن يذهب جميع حقه فيأخذ ذلك للضرورة مخافة موت حقه والله تعالى غني عن ذلك فلا يقبل إلا الطيب. ويقال: (إلا أن تغمضوا) يعني إلا أن يضطر أحدكم فمسته الحاجة فرضي بذلك. قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي غني عما عندكم من الصدقات حميد في أفعاله. ويقال حميد بمعنى محمود ويقال: حميد من أهل أن يحمد ويقال: حميد يقبل القليل ويعطي الجزيل.

ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾

﴿ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ يقول الشيطان يأمركم بشيئين والله تعالى يـأمركم بشيئين: أمـا الشيطان فـإنه [يأمركم][4] بالفقر[5] ويقول لا (تنفقوا ولا تتصدقوا فإنكم تحتاجون)[6] إلى ذلك ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِٱلْفَحْشَاءِ﴾ قال الكلبي يعني يمنع الزكاة. ويقال: جميع الفواحش مثل الزنا وقول الزور وغير ذلك. ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم يعني المغفرة من الله ﴿وَفَضْلًا﴾ يعني خلفاً في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ وَاسِعٌ﴾ الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تنفقون ويقال: عليم بمواضع الصدقات.

يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ قال ابن عباس ـ يعني النبوة. وقال الكلبي يعني الفقه. وقال مقاتل: يعني علم

---

(١) في أ [فتصدقون].
(٢) في أ [فتصدقون].
(٣) في ظ [بدل].
(٤) في ظ [يعدكم].
(٥) في ظ [بالفقر].
(٦) في ظ [لا تنفق ولا تتصدق فإنك تحتاج].

القرآن. ويقال: الإصابة في القول. ويقال: المعرفة بمكائد الشيطان ووساوسه. وقال مجاهد: الإصابة في القوم والفهم والفقه. ﴿وَمَنْ يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ يقول: من يعط علم القرآن فقد أعطي خيراً كثيراً ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ أي ما يتفكر. ويقال: ما يتعظ بما في القرآن ﴿إِلَّآ أُوْلُوا ٱلأَلْبَابِ﴾ يعني ذوو العقول ويقال: إن من أعطي الحكمة والقرآن فقد أعطي أفضل [مما][١] أعطي من جميع كتب الأولين من الصحف [وغيرها][٢] لأنه تعالى قال لأولئك: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) وسمي لهذا خيراً كثيراً لأن هذا جوامع الكلم. وقال بعض الحكماء: من أعطي العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لأجل دنياهم لأن ما أعطي أفضل مما [أعطوا][٣] أصحاب الدنيا لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعاً قليلاً وقال: (قل: متاع الدنيا قليل) وسمى العلم خيراً كثيراً.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

لقوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ﴾ يقول: ما تصدقتم من صدقة ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ فوفيتم بنذوركم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ أي يحصيه ويقبله منكم وهذا وعد من الله تعالى فكأنه يقول: (أنه لا ينسى بل يعطي ثوابكم). ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يعني ليس للمشركين من مانع في الآخرة يمنعهم من العذاب ﴿إِنْ تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَاتِ﴾ وذلك أن الله تعالى لما حثهم على الصدقة سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية؟ فنزل قوله: (إن تبدوا الصدقات) يعني إن تعلنوا الصدقات المفروضة. ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾. قرأ حمزة والكسائي وابن عامر: (فنعما هي) بنصب النون وكسر العين وقرأ [عاصم في رواية (حفص ونافع في رواية ورش وابن كثير: بكسر النون وكسر العين][٤] وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر (فنعما) بكسر النون وجزم العين وكل ذلك جائز وفيه ثلاث لغات: نِعِم نَعِم ونِعْم وما زيدت فيها للصلة وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص (ويكفر) بالياء وضم الراء وقرأ حمزة ونافع والكسائي: (ونكفر) بالنون وجزم الراء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: (ونكفر) بالنون وضم الراء[٥] فمن قرأ بالجزم فهو جزاء الصدقة ومن قرأ بالضم فهي على المستقبل يعني إن تعلنوا الصدقات فحسن ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من صدقة العلانية. فأما صدقة التطوع فقد اتفقوا أن الصدقة في السر أفضل وأما الزكاة المفروضة: قال بعضهم: السر أفضل لأنه أبعد من الرياء وقال بعضهم العلانية أفضل لأن الزكاة من شعائر الدين فكل ما كان أظهر كان أفضل كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين ولأن في ذلك زيادة رغبة لغيره في أداء الزكاة. ثم قال تعالى ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعني فيما تصدقتم في السر والعلانية يتقبل منكم ويكون في ذلك كفارة سيئاتكم ويعطي ثوابكم في الآخرة.

لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ

---

(١) في أ [ما]. (٢) سقط في أ. (٣) في ظ [أعطى].
(٤) ما بين المعقوفين من ظ. (٥) راجع: حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٤٨.

وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ وذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قدم مكة لعمرة القضاء وخرجت معه أسماء بنت أبي بكر فجاءتها أمها قتيلة وجدها أبو قحافة فسألا منها حاجة فقالت: لا أعطيكما شيئاً حتى استأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنكما لستما على ديني فاستأمرت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزلت هذه الآية: (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) أي يوفق من يشاء لدينه. فإن قيل قد قال في آية أخرى (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) وقال هاهنا: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يوفق قيل ما يشاء إنما أراد به هناك الدعوة وهاهنا أراد به الهدى خاصة وهو التوفيق إلى الهدى. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ﴾ يعني ما تنفقوا من مال فثوابه لأنفسكم إذا تصدقتم على الكفار أو على المسلمين وروي عن عمر بن الخطاب أنه رأى رجلاً من أهل الذمة يسأل على أبواب المسلمين فقال: ما أنصفناك أخذنا منك الجزية ما دمت شاباً ثم ضيعناك بعدما كبرت وضعفت فأمر بأن يجرى عليه قوته من بيت المال. ثم قال تعالى ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ يعني لا تنفقوا إلا ابتغاء ثواب الله ﴿وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ [أي يوف ثوابه][1] إليكم. ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ أي لا تنقصون من ثواب أعمالكم وصدقاتكم فيكون ما الأولى بمعنى الشرط وما الثاني [للجحود][2] وما الثالثة للخبر ثم بين موضع الصدقة فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني النفقة والصدقة للفقراء الذين حبسوا أنفسهم في طاعة الله وهم أصحاب الصفة كانوا نحواً من أربعمائة رجل جعلوا أنفسهم للطاعة وتركوا الكسب والتجارة قوله ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي ٱلأَرْضِ﴾ أي لا يستطيعون الخروج إلى السفر في التجارة ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾ قرأ حمزة وعاصم[3] وابن عامر: (يحسبهم)بنصب السين في جميع القرآن وقرأ الباقون[4]: بالكسر وتفسير[5] القراءتين واحد يعني يظن الجاهل بأمرهم وشأنهم [أنهم][6] ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ لأنهم يظهرون أنفسهم للناس باللباس وغيره كأنهم أغنياء ويتعففون عن المسألة قوله ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ أي بصفرة الوجوه من قيام الليل وصوم النهار ﴿لاَ يَسْأَلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً﴾ يعني إلحاحاً قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ لا يسألون الناس إلحاحاً ولا غير إلحاح ويقال: أصله من اللحاف لأن السائل إذا كان ملحاً[7] فكأنه يلصق بالمسؤول فيصير كاللحاف [يلتصق][8] وجعل ذلك كناية عنه. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ يعني عليم بما أنفقتم ويقال: هذا على معنى التحريض فكأنه يقول: عليكم بالفقراء الذين أحصروا في سبيل الله [وقال بعضهم: هذا على معنى التعجب فكأنه يقول: عجباً للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله][9]

---

(١) في ظ [أي يوفر ثوابكم].
(٢) في ظ [للجحد].
(٣) من ظ.
(٤) حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٤٨.
(٥) في أ [وتفسيرهما].
(٦) من أ.
(٧) في أ [محلفاً].
(٨) سقط في ظ.
(٩) ما بين المعقوفين من ظ.

ويقال: أنه رد إلى أول الآية وما أنفقتم من نفقة للفقراء الذين أحصروا ثم قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾. قال مقاتل الكلبي: نزلت هذه الآية في شأن علي بن أبي طالب كانت له أربعة دراهم لم يملك غيرها فلما نزل التحريض على الصدقة تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم في السر وبدرهم في العلانية فنزلت هذه الآية (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار)﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يعني خفية وظاهراً. ويقال: هذا حث لجميع الناس على الصدقة يتصدقون في الأحوال كلها وفي الأوقات كلها ﴿فلهم أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَا﴾ يعني يأكلون الربا استحلالاً ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ يوم القيامة من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَانُ﴾ أي يتخبطه الشيطان ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أي من الجنون. ويقال: أنهم يبعثون يوم القيامة فقد انتفخت بطونهم كالحباب[1]وكلما قاموا سقطوا والناس يمشون عليهم فيكون ذلك علامة آكل الربا. ويقال: يكون بمنزلة المجنون ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُم﴾ يعني الذي نزل بهم لأنهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَا﴾ معناه استحلوا الربا وكان الرجل اذا حل [أجل][2]ماله [طالبه][3] فيقول له المطلوب: زدني في الأجل وأزيدك في مالك فيفعلان ذلك. فإذا قيل لهما: أن هذا ربا قالا: الزيادة في أول البيع وعند حلول الأجل سواء. ويقال: أنهم استحلوا الربا وقالوا: الربا والبيع في الحل سواء فالله تعالى أبطل قولهم فقال تعالى ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَا فَمَنْ جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ ولم يقل جاءته لأن التأنيث ليس بحقيقي ويجوز أن يذكر ويؤنث لأنه انصرف إلى المعنى يعني فمن جاءه نهي ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ في

(١) قال الأزهري: حَبَابُ. الماء: نفَّاخاته وفقاقيعه التي تطفو كلها القوارير وهي البباليل اللسان: حبب. وقال الفيروزبادي: الحب: الجرة أو الضخمة منها، أو الخشاب اوربع توضع عليها الجرة ذات العروتين. وجمعه: أَحْبَاب، وحَبَبَة وحِبَاب.
ترتيب القاموس ١/ ٥٧٠.

(٢) سقط في ظ. (٣) في ظ [طلبة].

القرآن في بيان تحريم الربا ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ عن أكل الربا ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ يعني ليس عليه إثم فيما مضى قبل النهي لأن الحجة لم تقم عليهم ولم يعلموا بحرمته وأما اليوم فمن تاب عن الربا فلا بد له من أن يرد الفضل ولا يكون له ما سلف لأن حرمة الربا ظاهرة بين المسلمين لأن كتاب الله تعالى فيهم ثم قال عز وجل: ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في المستأنف إن شاء عصمه وإن شاء لم يعصمه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى استحلال الربا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قال ابن مسعود آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهداه ملعونون على لسان محمد[١] ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال عليه الصلاة والسلام: سيأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا ومن لم يأكل الربا أصابه من غباره[٢] وروي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: الربا بضع وسبعون باباً أدناها كإتيان الرجل أمه[٣] يعني كالزاني بأمه. ثم قال تعالى ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ أي يبطله ويذهب ببركته ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يقول: يقبلها ويضاعفها ويقال: إن مال آكل الربا لا يخلوا من أحد أوجه ثلاثة: إما أن يذهب عنه أم عن ولده أو ينفقه فيما لا يصلح. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ يعني جاحد بتحريم الربا ﴿أَثِيمٍ﴾ يعني عاص بأكله. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني الصلوات الخمس ﴿وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [يعني أعطوا الزكاة][٤] المفروضة ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وقد ذكرناه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ (أي أطيعوا الله)[٥] ولا تعصوه فيما نهاكم من أمر الربا ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي مصدقين بتحريمه وقال أهل اللغة إن الحقيقة على ثلاثة أوجه: إن بمعنى ما كقوله (إن الكافرون) (إن كانت إلا صيحةً واحدةً) وإن بمعنى لقد كقوله (إن كان وعد ربنا لمفعولا) (وتالله إن كنا وتالله إن كدت لتردين) (وإن كنا عن عبادتكم لغافلين) وإن بمعنى إذ كقوله: (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) (وذروا ما بقي من الربا) نزلت هذه الآية في نفر من بني ثقيف وفي بني المغيرة من قريش وكانت ثقيف يربون لبني المغيرة في الجاهلية وكانوا أربعة أخوة منهم مسعود وعبد ياليل وأخواهما يربون لبني المغيرة فلما ظهر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أهل مكة وضع الربا كله وكان أهل الطائف قد صالحوا على أن لهم رباهم على الناس يأخذونه وما كان عليهم من ربا للناس فهو موضوع عنهم لا يؤخذ منهم وقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتب لهم كتاباً وكتب في أسفله إنَّ لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فلما حل الأجل طلب ثقيف رباهم فاختصموا إلى أمير مكة وهو عتاب بن أسيد[٦] فكتب بذلك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) ولا تستحلوا الربا (وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بتحريم الربا. ثم خوفهم فقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ أي لم تقروا بتحريم الربا ولم تتركوه ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾. قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر: فآذِنوا بمد

---

(١) أخرجه أبو داود ٣/٢٤٤ في البيوع باب في آكل الربا وموكله (٣٣٣٣) والترمذي ٤/٣٩٦ كما في التحفة وابن ماجة ٢/٧٧٤. وأخرجه مسلم بتمامه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ٣/١٢١٩ في المساقاة باب لعن آكل الربا وموكله (١٠٦/ ١٥٩٨).

(٢) أخرجه أبو داود ٣/٢٤٤ في البيوع باب في اجتناب الشبهات (٣٣٣١) وأحمد في المسند ٢/٤٩٤ والنسائي ٧/٢٤٣ في البيوع باب اجتناب الشبهات في الكسب وابن ماجه ٢/٧٦٥ في التجارات باب التغليظ في الربا (٢٢٧٨).

(٣) أخرجه ابن ماجة ٢/٧٦٤ في التجارات باب التغليظ في الربا (٢٢٧٤) وقال البوصيري في الزوائد في إسناده نجيح بن عبد الرحمن أبو معشر متفق على تضعيفه. وذكر السيوطي في اللآلىء ٢/٨٣ والمنذري في الترغيب ٣/٦.

(٤) سقط في ظ.

(٥) سقط في ظ.

(٦) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي، أبو عبد الرحمن، له صحبة. التقريب ٢/٣.

الألف وكسر الذال [وقرأ أبو عمرو وورش عن نافع (فأْذَنُواْ) بترك الهمزة ونصب الذال][1] وقرأ الباقون: بجزم الألف[2] ونصب الذال فمن قرأ (فاذنوا) بالجزم معناه فاعلموا (بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ) يعني بإهلاك من الله. ويقال: معناه فاعلموا بأنكم كفار بالله (وَرَسُولِهِ) ومن قرأ (فآذنوا) بالمد يقول: أعلموا بعضكم بعضاً بحرب أي بإهلاك من الله تعالى ورسوله فقالوا: مالنا بحرب من الله ورسوله طاقة فما توبتنا؟؟ فقال تعالى ﴿فإن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رؤوس أَمْوَالِكُمْ﴾ التي أسلفتم. وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل ربا كان في الجاهلية فهو موضوع وأول ربا وضع ربا العباس بن عبد المطلب وكل دم كان في الجاهلية فهو موضوع وأول دم وضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. ثم قال: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ يعني الطالب لا يظلم بطلب الزيادة ويرضى برأس المال ولا يظلم المطلوب فينتقص عن رأس المال وذلك أنهم طلبوا رؤوس أموالهم من بني المغيرة فشكوا العسرة يعني بني المغيرة وقالوا: ليس لنا شيء وطلبوا الأجل إلى وقت إدراك ثمارهم فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ يعني إن كان المطلوب ذو شدة ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ يقول: أجله إلى أن يتيسر عليه بإدراك ثماره ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ يقول لو تصدقتم ولا تأخذونه (فهو ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ويقال: لئن تصدقتم بالتأخير فهو خير لكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن الصدقة خير لكم. قرأ نافع: (إلى ميسرة) بضم السين وقرأ الباقون والنصب وهما لغتان ومعناهما واحد وقرأ عطاء: (فناظرة) بالألف وقرأ العامة: بغير ألف ومعناها واحد [وقرأ عاصم: (وأن تصدقوا) بتخفيف الصاد وقرأ الباقون بالتشديد لأن التاء أدغم في الصاد وأصله تتصدقوا][3]. ثم قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ﴾ [يقول اجتنبوا][4] عذاب يوم ترجعون ﴿فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني في يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يقول: وهم لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً وروى الضاحك عن ابن عباس أنه قال: آخر آية نزلت من القرآن (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) قرأ أبو عمرو: (ترجعون) بنصب التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون: [بالضم][5] ونصب الجيم[6] قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ

---

(١) ما بين المعقوفين من أ. (٢) حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٤٨.

(٣) في الأصل مؤخر إلى ما بعد قوله «قرأ أبو عمرو» ترجعون «بنصب التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بالضم ونصب الجيم» والصواب تقديمه كما في ظ.

(٤) في ظ [يعني اخشوا]. (٥) في ظ [بضم التاء]. (٦) حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٤٩.

جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال: الآية نزلت في السلم. ويقال: كل دين إلى أجل سلماً كان أو غيره، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني إلى أجل معلوم. وفي الآية دليل: أن المداينة لا تجوز إلا بأجل معلوم: ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ يعني الدين والأجل. ويقال: أمر بالكتابة ولكن المراد به الكتابة والإشهاد لأن الكتابة بغير شهود لا تكون حجة ويقال: أمر بالكتابة لكي لا ينسى ويقال: من أدان ديناً ولم يكتب فإذا نسي ودعى الله تعالى بأن يظهره يقول الله تعالى: أمرتك بالكتابة فعصيت أمري وإذا دعى بالنجاة من الزوجة يقول الله تعالى: جعلت الطلاق بيدك إن شئت طلقها وإن شئت فأمسكها. ثم قال تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ﴾ يعني يكتب الكاتب عن البائع والمشتري يعدل بينهما في كتابته ولا يزاد على المطلوب على حقه ولا ينقص من حق الطالب. ويقال: إن هذا أمر للكاتب بالكتابة وكانت المكاتبه[1] واجبة في ذلك الوقت على الكاتب لأن الكتبة كانوا قليلاً ثم نسخ بقوله: (ولا يضار كاتب ولا شهيد) وقال بعضهم: الكتابة لم تكن واجبة ولكن الأمر على معنى الاستحباب ثم قال: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ﴾ يقول: ولا يمتنع الكاتب عن الكتابة أن يكتب ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني يكتب شكراً لما أنعم الله عليه حيث علمه الكتابة واحتاج غيره إليه فكما أكرمه الله تعالى بالكتابة وفضله بذلك فيعرف شكره ولا يمتنع عن الكتابة لمن طلب منه ثم قال: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ يعني المطلوب هو الذي يملي على الكاتب حتى يكتب الكتابة لأن قول المطلوب حجة على نفسه فإذا أملى على الكاتب يكون ذلك إقراراً منه بوجوب الحق عليه. ثم خوف المطلوب لكيلا ينقص شيئاً من حق الطالب فقال تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ﴾ يعني المطلوب ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً﴾ يقول لا ينقص من الحق شيئاً يعني المطلوب. ويقال: يعني الكاتب ولا يبخس في الكتابة شيئاً ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ يعني إذا كان المطلوب ﴿سَفِيهاً﴾ أي جاهلاً بالإملاء. ويقال أحمق ﴿أَوْ ضَعِيفاً﴾ يعني صبياً عاجزاً عن الإملاء ويقال: أخرس أو مجنون ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ﴾ يعني لا يحسن ﴿أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ على الكاتب فيرجع الإملاء على الطالب ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ يعني ولي الحق أي الطالب هكذا قال في رواية الكلبي. وقال في رواية الضحاك: يعني ولي المدين يعني إذا كان للصبي وصي أو ولي يرجع الإملاء عليه فليملل وليه ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ أي بالحق ثم أمر بالإشهاد فقال تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ﴾ على حقكم ﴿شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ يعني من أهل دينكم من الأحرار البالغين ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾ [فليكن رجلاً][2] ﴿وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ يعني من العدول ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ يعني إذا نسيت إحدى المرأتين ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلأُخْرَىٰ﴾ يعني إذا حفظت إحداهما الشهادة فتذكر صاحبتها ويقال: [إذا][3] امتنعت إحداهما عن أداء الشهادة فتعظها الأخرى حتى تشهد. قرأ حمزة: (إن تضل) بكسر الألف ونصب التاء [وجزم][4] اللام وإنما كسر الألف على معنى الابتداء [والشرط][5] [وجزم اللام لحرف الشرط (فَتُذْكِرُ) بضم (الراء][6] وقرأ الباقون: بنصب الألف ومعناه لأن

(١) من ظ. (٢) من ظ. (٣) في ظ [إن].
(٤) في ظ [وضم اللام]. (٥) سقط في ظ. (٦) ما بين المعقوفين من ظ.

تضل[١]. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (فتذكر) بالتخفيف وقرأ الباقون: بنصب الذال وتشديد الكاف وهما لغتان: أذكرته وذكرته ثم قال: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ يعني الشاهد إذا دعي إلى الحاكم ليشهد فلا يمتنع عن أداء الشهادة والإباء عن الشهادة حرام لأن الله تعالى نهى عن الإباء عن الشهادة. ويقال: إباء الشهادة على ثلاثة أوجه [أحدهما][٢]: أن يمتنع عن أدائه. والثاني أن يشهد ويقصر في أدائه لكيلا تقبل شهادته. والثالث: بأن لا يصون نفسه عن المعاصي فيصير منهما لا تقبل شهادته فكأنه وهو الذي أبطل حق المدعي وخانه حيث عصى الله تعالى حتى ردت شهادته بمعصيته. ثم قال تعالى ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ يقول: ولا تملوا ﴿أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً﴾ يعني قليل الحق أو كثيره، ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ لأن الكتابة أحصى للأجل وأحفظ للمال﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ﴾ أي أعدل ﴿وَأَقْوَمُ﴾[٣] وأصوب ﴿لِلشَّهَادَةِ﴾ ﴿وَأَدْنَىٰ﴾ يقول: أحرى وأجدر ﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ يعني لا تشكوا في شيء من حقوقكم ثم استثنى الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ قرأ عاصم: (تجارة حاضرة) بالنصب وقرأ الباقون بالرفع فمن قرأ بالنصب جعله خبر تكون والاسم مضمر معناه إلا أن تكون المداينة تجارة [حاضرة][٤] ومن قرأ بالرفع جعله اسمه يعني اذا كان البيع بالنقد. ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ يعني تداولونها أيديكم ولم يكن المال مؤجلا ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [أي حرج][٥] ﴿أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ يعني التجارة ثم قال ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ﴾ على حقكم ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ على كل حال نقداً كان أو مؤجلاً وهذا أمر استحباب ولو ترك [الإشهاد][٦] جاز البيع. ثم قال تعالى ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يقال: لايعمد أحدكم إلى الكاتب والشاهد فيدعوهما إلى الكتابة والشهادة ولهما حاجة مهمة فيمنعهما عن حاجتهما [وليتركهما][٧] حتى يفرغا من حاجتهما أو يطلب غيرهما. ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ يقول إن تضاروا الكاتب والشاهد ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ يقول معصية منكم وترك الأدب قوله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الضرر ويقال: واتقوا الله ولا تعصوه فيما أمركم من أمر الكتابة والإشهاد ﴿ويعلمكم الله﴾ في أمر الكتابة. ويقال: ويؤدبكم الله ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [من أعمالكم][٨] ﴿عَلِيمٌ﴾. ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي كنتم مسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً﴾ يعني لم تجدوا من يكتب الكتاب. وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ولم تجدوا كاتبا يعني الكاتب والصحيفة ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾. (قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (فرهن))[٩]والباقون: (فرهان) فمن قرأ فرهان فهو جمع الرهن ومن قرأ: فرهن فهو جمع الرهان وهو جمع الجمع ويقال: كلاهما واحد وهو جمع الرهن[١٠]. يعني إذا كنتم في السفر ولم تجدوا من يكتب ولم تجدوا الصحيفة والدواة فاقبضوا الرهن. وفي الآية دليل: أن الرهن لا يصح إلا بالقبض لأنه جعل الرهن بالقبض. ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾ يعني إذا كان الذي عليه الحق أميناً عند الطلب

---

(١) أن تضل. قرأ حمزة بكسر الهمزة «إنْ تَضلّ» على أن شرطية وتضل مجزومة به وفتحت اللام للادغام، والفاء من فتذكر واقعة في جواب الشرط وتذكر مرفوع لتجرده من الناصب والجازم والتقدير فهي تذكر، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وقراءة حمزة برفع الراء فتذكر، وقرأنا في عاصم والسكائي بفتح أن مصدرية ناصبة لتضل وفتحته اعراب وتذكر بتشديد الكاف ونصب الراء عطفاً على أن تضل هكذا «أن تضل إحداهما فتذكر» وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح أن أيضاً ونصب (تذكّر) لكن بتخفيف الكاف هكذا (أن تضل احداهما فتذكر) من ذكر ومن شدد فمن ذكر. وراجع حجة القراءات لابن زنجلة ١٥١.

(٢) في ظ [أحدها]. (٣) من ظ. (٤) سقط من ظ.

(٥) من ظ. (٦) من ظ. (٧) في أ [وليتركها].

(٨) سقط في ظ. (٩) في ظ [وقرأ].

(١٠) خبر بتقدير الا ان تحدث أو تقع تجارة.

فرهن مقبوضة «قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم الراء والهاء. هكذا فرهن بغير الف جمع رَهْن مثل سَقْف وسُقُف والباقون بكسر الراء وفتح الهاء ممدودة هكذا فِرهَانٌ جمع رَهْن مثل كَعْب وكِعاب. راجع حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٥٢.

ولم يطلب منه الرهن ورضي بدينه بغير رهن قوله ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ يعني أن المطلوب يقضي دينه حيث ائتمنه الطالب ولم يرتهن منه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ﴾ ولا يمنع حقه. ثم رجع إلى الشهود فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَادَةَ﴾ عند الحاكم. يقول: من كانت عنده شهادة فليؤدها على وجهها ولا يكتمها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ يعني الشهادة ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ يعني فاجر قلبه قوله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ من كتمان الشهادة وإقامتها فهذا وعيد للشاهد على كتمان شهادته لكيلا يكتمها. قرأ حمزة وعاصم: (فليؤد الذي أوتمن) بضم الألف والباقون يقرأون بسكون الألف وكلاهما واحد[1].

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق كلهم عبيده وإماؤه وهو خالقهم ورازقهم وحكمه نافذ فيهم معناه لا تعبدوا أحداً سواه لأنه هو الذي خلق المسيح والملائكة والأصنام. ويقال: لله ما في السموات وما في الأرض يعني في كل شيء دلالة ربوبيته ووحدانيته. ثم قال: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يعني، إن تظهروا ما في قلوبكم أو تضمروه ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي يجازيكم به الله [وقال بعضهم يعني في كتمان الشهادة أن تعلنوا الشهادة أو تخفوها يحاسبكم به الله) أي يجازيكم به الله][2] وقال الكلبي: وإن تعلنوا ما في أنفسكم من المعصية أو تسروها ولا تظهروها يجازيكم[3] قال: لما نزلت هذه الآية شق[4] على المسلمين وقالوا: يا رسول الله إنا لنحدث أنفسنا بالأمر[5] المعصية ثم [لا نعملها أو نعملها][6] فهو سواء[7] فشق ذلك على [المؤمنين][8] مشقة شديدة فلما [علم][9] الله مشقة ذلك على [المؤمنين][10] أنزل على نبيه ما هو أهون عليه منه فقال: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا الديلبي قال: حدثنا أبو عبيد الله عن سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: سبقت رحمتي غضبي[11]. قال سفيان: بلغني أن الأنبياء كانوا يأتون قومهم بهذه الآية (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فيقولون: لا نطيق هذا ولا نحتمله فأعقبهم الله المؤاخذة فلما عرض على هذه الأمة قبلوا فأعقبهم الله تعالى أن وضعها عنهم فأنزل الله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) الآية. ثم قال عز وجل: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي لمن تاب عن الذنوب ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ أي من أقام على ذلك وأصر عليه ويقال: فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم لمن انتزع عنه ويعذب من يشاء بالذنب الصغير إذا أصر عليه ويقال: لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار. قرأ عاصم وابن عامر: (فيغفر) بضم الراء على معنى الابتداء. وقرأ الباقون بالجزم على جواب الشرط وكذلك في قوله: ويعذب من يشاء[12] ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[13]

---

(١) في ظ [قرأ نافع (فليؤد) بغير همز وقرأ أبو عمرو بالهمزة وتفسير القراءتين واحد».
(٢) في ظ [سقط في ظ]. (٣) في ظ «به الله». (٤) في ظ [ذلك].
(٥) في ظ «من». (٦) في ظ «لا نعمل بها أو نعمل بها». (٧) في ظ «قال نعم».
(٨) في ظ «المسلمين». (٩) في ظ «عرف». (١٠) في ظ [المسلمين].
(١١) أخرجه البخاري ٣/٤٠٤ في كتاب التوحيد ومسلم ٤/٢١٠٨ في كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله (١٥/٢٧٥١).
(١٢) فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء «عطفاً على الجزاء المجزوم وهو يحاسب، والباقون بالرفع، هكذا فيغفر ويعذب على الاستئناف أي فهو يغفر ويعذب. راجع/ حجة القراءات لابن زنجلة ١٥٢.
(١٣) في ظ [من العقوبة والمغفرة قوله تعالى].

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

﴿آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ روي عن الحسن وعن مجاهد: أن هذه الآية نزلت في قصة المعراج وهكذا روي في بعض الروايات عن عبد الله بن عباس. وقال بعضهم: جميع القرآن نزل به جبريل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا هذه الآية فإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمعها ليلة المعراج. وقال بعضهم: لم يكن ذلك في قصة المعراج لأن ليلة المعراج كانت بمكة وهذه السورة كلها مدنية فأما من قال: إنها كانت في ليلة المعراج قال: لما صعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبلغ فوق السموات في مكان مرتفع ومعه جبريل حتى جاوز سدرة المنتهى فقال له جبريل: إني لم أجاوز هذا الموضع ولم يؤمر أحد بالمجاوزة عن هذا الموضع غيرك فجاوز النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى بلغ الموضع الذي شاء الله فأشار إليه جبريل بأن يسلم على ربه فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التحيات لله والصلوات الطيبات فقال الله تعالى: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فأراد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكون لأمته حظ في السلام فقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقال جبريل وأهل السموات كلهم: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال الله تعالى على معنى الشكر (آمن الرسول) أي صدق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما أنزل إليه (من ربه) فأراد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يشارك أمته في الفضيلة فقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ﴾ يعني يقولون آمنا بجميع الرسل ولا نكفر بواحد منهم ولا نفرق بينهم كما فرقت اليهود والنصارى فقال له ربه عز وجل كيف قبولهم للآي التي أنزلتها؟ وهي قوله: (وإن تبدوا ما في أنفسكم) فقال رسول الله ﴿وَقَالُواْ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ أي أطعنا مغفرتك يا ربنا ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي المرجع. قال الله تعالى عند ذلك: ﴿لَا يَكَلّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي طاقتها ويقال: إلا دون طاقتها ويقال: لا يكلف الصلاة قائماً لمن لا يقدر عليها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير ﴿وعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من الشر فقال له جبريل عند ذلك: سل تعط فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا﴾ يعني إن جهلنا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ يعني أن تعمدنا، ويقال: إن عملنا بالنسيان أو أخطأنا، يعني عملنا بالخطأ. فقال له جبريل: قد أعطيت ذلك قد رفع عن أمتك الخطأ والنسيان شيئاً آخر فقال عند ذلك: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً﴾ يعني ثقلاً ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ وهو أنه حرم عليهم الطيبات بظلمهم وكانوا إذا أذنبوا بالليل [وجدوه][1] مكتوباً على بابهم وكانت الصلوات عليهم خمسين فخففت عن هذه الأمة وحطّ عنهم بعدما فرض [عليهم][2] إلى خمس صلوات ثم قال: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ يقول: لا

(١) في ظ [وجدوا].
(٢) سقط في ظ.

تكلفنا من العمل ما لا نطيق فتعذبنا ويقال: ما يشق ذلك علينا [لأنه لو أمر بخمسين صلاة لكانوا يطيقون ذلك ولكنه يشق عليهم ولا يطيقون الإدامة على ذلك][1] ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ من ذلك كله ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ أي تجاوز عنا ويقال: واعف عنا من المسخ واغفر لنا من الخسف وآرحمنا من القذف لأن الأمم الماضية بعضهم أصابهم المسخ وبعضهم [أصابهم الخسف وبعضهم][2] القذف ثم قال: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ أي أنت ولينا وحافظنا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ﴾ فاستجيب دعاؤه وروي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: نصرت بالرعب مسيرة شهر[3]. ويقال: إن الغزاة إذا خرجوا من بلادهم بالنية الخالصة وضربوا الطبل وقع الرعب والهيبة في قلوب الكفار مسيرة شهر علموا بخروجهم أو لم يعلموا ثم إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما رجع أوحى الله تعالى إليه هذه الآيات ليعلم أمته بذلك ولهذه الآية تفسير آخر. قال الزجاج[4]: لما ذكر الله تعالى فرض الصلاة والزكاة في هذه السورة وبين أحكام الحج وحكم الحيض والطلاق والإيلاء وأقاصيص الأنبياء وبين حكم الربا والدين ثم ذكر تعظيمه بقوله تعالى: (لله ما في السموات وما في الأرض) الآية ثم ذكر تصديق جميع ذلك حيث قال: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) أي صدق [الرسل][5] بجميع هذه الأشياء التي جرى ذكرها وكذلك المؤمنون كلهم صدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله. قرأ حمزة والكسائي: (وكتابه) على معنى الوحدان [وقرأ الباقون: (وكتبه) على معنى الجمع][6] ثم قال: (لا نفرق بين أحد من رسله) فأخبر عن المؤمنين بأنهم يقولون: لا نفرق بين أحد من رسله. [قرأ الحضرمي: (لا يفرق) بالياء ومعنا كل آمن بالله وكل لا يفرق وقرأ ابن مسعود (لا يفرقون بين أحد من رسله)][7] وقالوا سمعنا وأطعنا أي قبلنا ما سمعنا لأن من سمع ولم يقبل قيل له أصم لأنه لم ينتفع بسماعه وقرأ أبو عمرو (من رسله [برفع][8] السين وكذلك [في][9] جميع القرآن [غير][10] هذه [الحروف][11] الأربعة: مثل رسلنا ورسلهم يقرأ بالسكون وقرأ الباقون: برفع السين في جميع القرآن. ومعنى قوله: (غفرانك ربنا) أي اغفر غفرانك وهو من أسماء المصادر كالكفران والشكران (وإليك المصير) يعني نحن مقرون بالبعث. ثم قال: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) يعني طاقتها قال الفقيه حدثنا أبو الحسين قال: حدثنا محمد بن يوسف قال: حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا مروان[12] عن عطاء بن عجلان[13] عن زرارة بن أبي أوفى عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: إن الله تجاوز عن هذه الأمة ما حدثت به أنفسها أوهمت به ما لم تعمل به أو تتكلم به[14]. ثم قال: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا) أي لا تواخذ أحداً بذنوب غيره كما قال في آية أخرى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وقوله: (إن نسينا) أي إن تركنا (أو أخطأنا) يعني إن كسبنا خطيئة فأخبر الله تعالى

---

(١) ما بين المعقوفين من ظ. (٢) من ظ.

(٣) تقدم ضمن حديث «جُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِداً وطَهُوراً» والحديث متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٦٩.

(٥) في ظ [الرسول]. (٦) في ظ [وقرأ الباقون وكُتُبه على معنى الجمع]. (٧) سقط في الأصل والمثبت من ظ.

(٨) في ظ [بثقل]. (٩) في ظ [جميع ما في]. (١٠) في ظ [فاذا جاوز عن].

(١١) في ظ [الاحرف].

(١٢) مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء الفزاري، أبو عبد الله الكوفي، نزيل مكة ثم دمشق، ثقة حافظ، وكان يدلس أسماء الشيوخ. التقريب ٢/٢٣٩.

(١٣) عطاء بن عجلان الحنفي، أبو محمد البصري العطار، متهم ليس بثقة. التهذيب ٧/٢٠٨.

(١٤) أخرجه البخاري ٥/١٦٠ في العتق باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه (٢٥٢٨) وفي ١١/٥٤٨ في الأيمان والنذور (٦٦٦٤). ومسلم ١/١٦ في الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس (٢٠١/ ١٢٧) (٢٠٢/ ١٢٧).

بهذا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن المؤمنين وجعله في كتابه ليكون دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لهم دعوة يدعون بها من بعده لأن هذا الدعاء قد استجيب له فينبغي أن يحفظ ويدعى به كثيراً قال الفقيه: حدثنا القاضي الخليل قال: حدثنا السراج قال: حدثنا أحمد بن سعيد [الرازي](١) قال: حدثنا سهل بن بكار(٢) قال: حدثنا أبو عوانة(٣) عن أبي مالك الأشجعي(٤) عن ربعي بن حراش(٥) عن حذيفة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضلنا على الناس بثلاث خصال: جعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وأوتيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعط أحد قبلي ولا تعطي أحداً بعدي(٦). وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما تجيئان يوم القيامة كالغمامتين أو كالغيايتين أو كفرقتين من طير صواف ويحاجان عن صاحبهما ثم قال: تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة. ولا يستطيعها البطلة(٧) يعني السحرة. وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نزل عليه ملك فقال له إن الله يبشرك بنورين لم يعطهما نبياً قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لا يقرأ بحرف [منهما](٨) إلا أعطيته نوراً(٩) وروي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: لو بلغت سورة البقرة ثلاثمائة آية لتكلمت يعني لصارت بحال تتكلم لأنه لا يبقى شيء إلا إجتمع فيها من كثرة ما فيها من العجائب. والله [سبحانه وتعالى](١٠) أعلم [وصلى الله على سيدنا محمد](١١).

---

(١) في ظ [الدارمي].

(٢) سهل بن بكار بشر الدارمي البصري، أبو بشر المكفوف، ثقة ربما وهم. مات سنة سبع أو ثمان وعشرين التقريب.

(٣) الوضاح بن عبد الله الواسطي البزار، أبو عزانة اليشكري، كان من سبى جرجان. التهذيب ١١/١١٦.

(٤) سعد بن طارق، أبو مالك الاشجعي الكوفي، ثقة. التقريب ١/٢٨٧.

(٥) ربعي بن حراش، أبو مريم العبسي الكوفي، ثقة عابد مخضرم. التهذيب ٣/٢٣٦، التقريب ١/٢٤٣.

(٦) أخرجه أحمد في المسند بنحوه ٥/٣٨٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٨ وأخرجه مسلم دون قوله «وأوتيت هذه الآيات» ١/٣٧١ في المساجد (٤/٥٢٢) وهو عند أبي عوانة ١/٣٠٣ والبيهقي ١/٢١٣ وابن أبي شيبة ١١/٤٣٥ وابن خزيمة (٢٦٤) وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٩٣ والطحاوي في مشكل الاثار ١/٤٥٠، وذكره القرطبي في التفسير ٥/٢٣١. وابن كثير ٢/٢٧٩. ٢٨٢.

(٧) أخرجه أحمد ٥/٢٥١ والدارمي في السنن ٢/٣٢٤ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/١٨.

(٨) في ظ [منها].

(٩) أخرجه مسلم من حديث أبي أمامة ١/٥٥٣ في الصلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٢٥٢/ ٨٠٤).

(١٠) سقط في ظ. (١١) سقط في ظ.



مائتا(٢) آية وهي مدنية(٣)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾

﴿الٓمٓ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنا الله أعلم(٤) ﴿ٱللَّهُ﴾ يعني، هو الله الذي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾(٥) الذي لا يموت ولا يزول أبداً. ويقال: الحي الذي لا بادىء له ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ يعني القائم على كل نفس بما كسبت ويقال: القائم بتدبير الخلق.

وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: الحي قبل كل حي والحي بعد كل حي الدائم الذي لا يموت، ولا تنقضي عجائبه، والقائم على العباد بأرزاقهم، وآجالهم. ويقال «الحي القيوم» هو اسم الله الأعظم، ويقال: إن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ كان إذا أراد أن يُحيي الموتى يدعو بهذا الاسم: يا حَيُّ يَا قَيّوم. ويقال: إن آصف بن برخيا، لما أراد أن يأتي بعرش بلقيس إلى سليمان ـ عليه السلام ـ دعا بقوله: يا حَيُّ يا قيوم. ويقال: إن بني إسرائيل سألوا موسى ـ عليه السلام ـ عن اسم الله الأعظم فقال لهم: قولوا [اهيا](٦) يعني يا حي «شراهيا» يعني

---

(١) واشتملت هذه السورة من الأغراض: على الابتداء بالتنويه بالقرآن ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقسم آيات القرآن ومراتب الأفهام في تلقيّها والتنويه بفضيلة الإسلام وأنه لا يعد له دين وأنه لا يقبل دين عند الله بعد ظهور الإسلام غير الإسلام والتنويه بالتوراة والإنجيل والإيماء إلى أنهما أنزلا قبل القرآن تمهيداً لهذا الدين فلا يحق للناس أن يكفروا به وعلى التعريف بدلائل آلهية الله تعالى وانفراده وإبطال ضلالة الذين اتخذوا آلهة من دون الله: من جعلوا له شركاء أو اتخذوا له أبناء وتهديد المشركين بأن أمرهم إلى زوال وألا يغرّهم ما هم فيه من البذخ وأن ما أعد للمؤمنين خير من ذلك وتهديدهم بزوال سلطانهم ثم الثناء على عيسى ـ عليه السلام ـ وآل بيته وذكر معجزة ظهوره وأنه مخلوق لله وذكر الذين آمنوا به حقاً وإبطال إلاهية عيسى ومن ثم أفضى إلى قضية وفد نجران ولجاجتهم ثم محاجة أهل الكتابين في حقيقة الحنيفية وأنهم بعداء عنها وما أخذ الله من العهد على الرسل كلهم: أن يؤمنوا بالرسول الخاتم وأنَّ الله جعل الكعبة أول بيت وضع للناس وقد أعاد إليه الدين الحنيف كما ابتداه فيه وأوجب حجة على المؤمن وأظهر ضلالات اليهود وسوء مقالتهم وافترائهم في دينهم وكتمانهم وما أنزل إليهم وذكر المسلمين بنعمته عليهم بدين الإسلام وأمرهم بالاتحاد والوفاق وذكرهم بسابق سوء حالهم في الجاهلية وهون عليهم تظاهر معانديهم من أهل الكتاب والمشركين وذكرهم بالحذر من كيدهم وكيد الذين أظهروا الإسلام ثم عادوا إلى الكفر فكانوا مثلاً لتمييز الخبيث من الطيب وأمرهم بالاعتزاز بأنفسهم والصبر على تلقي الشدائد والبلاء وأذى العـدو ووعدهم على ذلك بالنصر والتأييد والقاء الرعب منهم في نفوس عدوهم ثم ذكرهم بيوم أحد ويوم بدر وضرب لهم الأمثال بما حصل فيهما ونوه بشأن الشهداء من المسلمين وأمر المسلمين بفضائل الأعمال: من بذل المال في مواساة الأمة والإحسان وفضائل الأعمال وترك البخل ومذمة الربا وختمت السورة بآيات التفكير في ملكوت الله. انظر التحرير والتنوير ٣/١٤٤، ١٤٥.

(٢) في ظ [وهي مائتان].

(٣) سقط في ظ.

(٤) تقدم الكلام عن الحروف المقطعـة في تفسير سورة البقرة.

(٥) سقط في ظ.

(٦) في ظ [باهياً].

يا قيوم. ويقال: هو دعاء أهل البحر، إذا خافوا الغرق يدعون به [ثم قال تعالى:][١]

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني أنزل عليك جبريل بالقرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالعدل، ويقال: لبيان الحق. ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني موافقاً للكتب المتقدمة في التوحيد وفي بعض الشرايع ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يعني [أنزل][٢] التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى من قبل[٣] هذا الكتاب. وروي عن الفراء أنه قال[٤]: اشتقاق التوراة من وري الزند، وهو ما يظهر من[٥] النور والضياء فسمي التوراة بها[٦] لأنه[٧] ظهر بها النور والضياء لبني إسرائيل ومن تابعهم، وإنما سمي الإنجيل لأنه أظهر الدين بعدما درس، وقد سمي القرآن إنجيلاً أيضاً لما روي في قصة مناجاة موسى ـ عليه السلام ـ أنه قال: يا رب أرى في الألواح أقواماً أناجيلُهم في صدورهم، فاجعلهم أمتي، قال الله تعالى هم أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنما أراد بالأناجيل القرآن. قرأ حمزة والكسائي وابن عامر «التوراة» بكسر الراء والباقون[٨] بالفتح. ثم قال تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ معناه، وأنزل التَّوْراة على موسى والإنجيل على عيسى ـ عليهما السلام ـ بياناً لبني إسرائيل من الضلالة ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد التوراة والإنجيل. وقال الكلبي «الفرقان» هو الحلال والحرام، يعني بيان الحلال والحرام، ويقال: المخرج من الشبهات. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي جحدوا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ [وبالقرآن][٩] ـ وما أوتي من آيات نبوته ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة. قال الكلبي: نزلت هذه الآية في وفد نجران، قدموا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجادلوه بالباطل، ويقال: [في][١٠] شأن اليهود. ويقال: في شأن مشركي العرب. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ أي منيع بالنقمة[١١] ينتقم ممن عصاه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ لا يذهب ولا يغيب [عليه][١٢] شيء ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ معناه أنه لا يخفى عليه قول الكفار وعملهم، فيجازيهم يوم القيامة. وهم وفد نجران وسائر المشركين.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾

ثم أخبر عن صنعه ليعتبروا بذلك، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُم فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي يخلقكم كيف يشاء قصيراً أو طويلاً، حسناً أو ذميماً، ذكراً أو أنثى، ويقال: شقيّاً أو سعيداً، وهذا كما روي عن عبد الله بن

---

(١) سقط في ظ. (٢) في ظ [أنزلت]. (٣) في ب [قبل النزول].
(٤) راجع اللسان: مادة «ورى». قال ابن منظور: ذكره الفراء في كتابه المصادر.
(٥) في ظ [منه]. (٦) في ظ [بذلك]. (٧) في ظ [قد].
(٨) أمال ابن ذكوان والكسائي وأبو عمرو ـ ألف التوراة إمالة محضة، وأما حمزة وورش فقد أمالاها بين بين، وروى قالون الفتح والإمالة. راجع/ شرح حوز الأماني ١٧٣، ١٧٤، وكنز المعاني ٣٠٧، ٣٠٨.
(٩) سقط في ظ. (١٠) في ظ [نزلت في]. (١١) في ظ [يعني ينتقم].
(١٢) في ظ [عنه].

مسعود أنه قال: الشقي من شقي في بطن أمّه، والسعيد من سعد في بطن أمه. ثم قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [يقول][(١)]: الولد [يكونه][(٢)] في بطن أمه يكون نطفةً أربعين يوماً، ثم يصير علقة أربعين يوماً، ثم يصير مضغة أربعين يوماً ثم ينفخ فيه الروح، ثم يكتب شقي أم سعيد[(٣)]. وذكر عن إبراهيم بن أدهم[(٤)] أن القراء اجتمعوا إليه ليسألوا ما عنده من الحديث، فقال لهم إني مشغول بأربعة أشياء، فلا أتفرغ لرواية الحديث، فقيل له: وما ذاك الشغل؟ فقال: أحدها: إني أتفكر في يوم الميثاق حيث قال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فلا أدري من أي الفريقين كنت في ذلك الوقت. والثاني: حيث صوّرني في رحم أمي فقال الملك [الموكل][(٥)] على الأرحام يا رب شقي [أم][(٦)] سعيد؟ فلا أدري كيف كان الجواب في ذلك الوقت. والثالث: حيث يقبض روحي ملك الموت فيقول: يا رب أمع الكفار أم مع المؤمنين فلا أدري كيف يخرج الجواب. والرابع حيث يقول: «وامتازوا اليوم أيُّها المجرمون» فلا أدري من أي الفريقين أكون[(٧)]. ثم قال تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني لا خالق ولا مصور إلا هو ﴿الْعَزِيزُ﴾ يعني المنيع بالنقمة لمن جحده ﴿الْحَكِيمُ﴾ يحكم [تصوير][(٨)] الخلق على ما يشاء.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني [أنزل عليك][(٩)] جبريل[(١٠)] بالقرآن ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ يعني من القرآن آيات واضحات ويقال: مبينات بالحلال والحرام ويقال: ناسخات لم تنسخ قط ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يعني أصل كل كتاب وهي ثلاث آيات من سورة الأنعام وهو قوله تعالى: «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم»[(١١)] الآيات [وروي عن ابن عباس: أنه سمع رجلاً يقول فاتحة الكتاب؛ أم الكتاب فقال له ابن عباس: بل أم الكتاب قوله تعالى «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم إلى آخر ثلاث آيات][(١٢)] الآية. ثم قال تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ قال

---

(١) في ظ [أنه قال]. (٢) سقط في ظ.

(٣) أخرجه البخاري ٦/ ٣٥٠ في كتاب بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة (٣٢٠٨) وأطرافه ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤.

وأخرجه مسلم ٤/ ٢٠٣٦ في كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (١/ ٢٦٤٣) وأحمد في المسند ١/ ٣٨٢ - ٤٣٠، وأخرجه أبو داود ٤/ ٢٢٨ في كتاب السنة/ باب في القدر (٤٧٠٨)، وأخرجه الترمذي ٤/ ٣٨٨ في القدر/ باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم (٢١٣٧).

وأخرجه ابن ماجه ١/ ٢٩ في المقدمة/ باب في القدر (٧٦)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٢٤٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٤، والبغوي في التفسير ١/ ٣١٨.

(٤) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد العجلي أو التميمي أبو إسحاق البلخي ثم الشامي أحد الزهاد والأعلام قال النسائي ثقة مأمون أحد الزهاد وقال البخاري مات سنة اثنتين وستين ومائة الخلاصة ١/ ٣٩ - ٤٠.

(٥) في ظ [الذي هو موكل]. (٦) في ظ [هوام]. (٧) في ظ [وإلى هذا ذهب أهل الخير].

(٨) في ظ [بتصوير]. (٩) سقط في ظ. (١٠) في ظ [أنزل].

(١١) في ظ [إلى آخر]. (١٢) زيادة من ظ.

الضحاك أي منسوخات. وقال الكلبي: يعني ما اشتبه على اليهود، كعب بن الأشرف وأصحابه «ألم، والمص» ويقال: المحكم ما كان واضحاً لا يحتمل التأويل والمتشابه: الذي يكون اللفظ يشبه اللفظ والمعنى مختلف ويقال: المحكم[1]: الذي هو حقيقة اللغة والمتشابه: ما كان مجاوزاً. ويقال: المحكمات: التي فيها دلالة نبوة

(١) «المحكم والمتشابه»: ـ المحكم لغة: مأخوذ من حَكَمْتُ الدابة وأحْكَمْت: بمعنى منعت. والحُكْمُ: هو الفصل بين الشيئين فالحاكم يمنع الظالم ويفصل بين الخصمين ويميز بين الحق والباطل، والصدق والكذب، ويقال: حكمت السفيه وأحْكَمْتُه، إذا أخذت على يديه، وحكمت الدابة وأحكمتها: إذا جعلت لها حَكَمَة: وهي ما أحاط بالحنك من اللجام لأنها تمنع الفرس عن الاضطراب، ومنه الحكْمة: لأنها تمنع صاحبها عما لا يليق، وإحكام الشيء: اتقانه، والمحكم: المتقن.

فإحكام الكلام: إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره، والرشد من الغي في أوامره: والمحكم منه: ما كان كذلك.

والمتشابه لغة: مأخوذ من التشابه: وهو أن يشبه أحد الشيئين الآخر، والشبهة: هي ألا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنًى قال تعالى ﴿وأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ [سورة البقرة ٢٥] أي يشبه بعضه بعضاً لوناً لا طعماً وحقيقةً، وقيل متماثلاً في الكلام والجودة. وتشابُه الكلام: هو تماثُله وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضاً. القرآن محكم ومتشابه:

جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنه كله محكم إذ قال تعالى ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه﴾ [سورة هود ١] وجاء فيه ما يدل على أنه كله متشابه إذ قال تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً﴾ [سورة الزمر ٢٣] وجاء فيه ما يدل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه إذ قال جل ذكره ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات واخر متشابهات﴾. [سورة آل عمران ٧] ولا تعارض بين هذه الاطلاقات الثلاثة، لأن معنى إحكامه كله أن آياته نُظِمَتْ نَظْماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقص ولا خلل. ومعنى كله متشابه تشابه معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعته الخلق، وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في هذا الحُسْن والإحكام والإعجاز فهو كالحلقة المفرغة لا يُدْرَى أَيْنَ طرفاها.

وأما أن بعضه محكم وبعضه متشابه فمعناه: أن من القرآن ما اتضحت دلالته على مراد الله تعالى منه، وذلك في الآيات المحكمات التي أحكِمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه ومنه ما خفيت دلالته على هذا المراد الكريم، وذلك في الآيات المتشابهات التي يتطرق إليها الاحتمال والاشتباه. المحكم عند الفقهاء والأصوليين:

يطلق المحكم في اصطلاح الفقهاء والاصوليين على ما يقابل المنسوخ فيراد به الحكم الشرعي الذي لم يتطرق إليه نسخ، كما يطلق على ما يقابل المتشابه فيعنون به ما ورد من نصوص الكتاب والسنة دالًّا على معناه بوضوح لا خفاء فيه.

آراء العلماء في المحكم والمتشابه:

اتفق العلماء على أنه لا تنافي بين كون القرآن كله محكماً أي متقناً، وبين كونه كله متشابهاً أي يشبه بعضه بعضاً في هذا الإتقان والإحكام وبين كونه منقسماً إلى ما اتضحت دلالته على مراد الله وما خفيت دلالته، ولكنهم اختلفوا في تحديد معنى المحكم والمتشابه اختلافات كثيرة أهمها:

١ ـ المحكم ما عرف المراد، به، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه.

٢ ـ المحكم ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل أوجهاً.

٣ ـ المحكم استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره.

٤ ـ المحكم ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر لاشتراكهما في حصول الترجيح إلا أن النص راجح مانع من الغير والظاهر راجح غير مانع منه. وأما المتشابه فهو ما كانت دلالته غير راجحة، وهو المجمل والمؤول والمشكل لاشتراكها في أن دلالة كل منها غير راجحة، وأما المشترك فإن أريد منه كل معانيه فهو من قبيل الظاهر وإن أريد بعضها على التعيين فهو مجمل (الفخر الرازي ٨/١٧٠، ١٧١) وهذا التعريف الآخر للإمام الرازي جامع مانع من حيث أنه لا يدخل في المحكم ما كان خفياً ولا في المتشابه ما كان جلياً لأنه استوفى وجوه الظهور والخفاء استيفاءً تاماً في بيان تقسيمه الذي بناه على راجح ومرجوح والذي أعلن لنا أن الراجح ما كان واضحاً لا خفاء فيه، وأما المرجوح ما كان خفياً لا جلاء معه. الفوائد التي أجلها من جعل بعض القرآن محكماً والبعض الآخر متشابهاً:

ذكر العلماء أن للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم فوائد عدة منها: ـ

أ ـ أنه متى كانت المتشابهات موجودة، كان الوصول إلى الحق أصعب وأشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب قال الله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

=

محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمتشابه: الذي اشتبهت الدلالة فيه. فإن قيل: إذا أنزل القرآن للبيان فكيف لم يجعل كله واضحاً؟ قيل: الحكمة في ذلك والله أعلم أن يظهر فضل العلماء لأنه لو كان الكل واضحاً لم يظهر فضل العلماء بعضهم على بعض وهكذا يفعل كل من يصنف تصنيفاً يجعل بعضه واضحاً وبعضه مشكلاً ويترك للحيرة موضعاً لأن ما هان وجوده قل بهاؤه. ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ يعني مَيْل عن الحق وهم اليهود ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ قال الضحاك: يعني ما نسخ منه ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي طلب الشرك واستبقاؤه ما هم عليه ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي طلب [ثناء][1] هذه الأمة[2] ويقال: طلب وقت قيام الساعة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ يعني منتهى ملك هذه الأمة وذلك أن جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيهم حيي بن أخطب وغيره فقالوا: بلغنا أنه نزل عليك «الم» فإن كنت صادقاً في مقالتك فإن ملك أمتك يكون إحدى وسبعين سنة لأن الألف في حساب الجمل واحد واللام ثلاثون والميم أربعون فنزل: «وما يعلم تأويله إلا الله» يعني منتهى ملك هذه الأمة ثم قال تعالى: «والراسخون في العلم» قال الكلبي ومقاتل: استأنف الكلام يعني لما قال «وما يعلم تأويله إلا الله» فقد تم الكلام ثم استأنف فقال: ﴿والراسخون في العلم﴾ [أي البالغون العلم في كتبهم][3] التوراة والإنجيل ﴿يقولون آمنا به﴾ يعني القرآن ﴿كُلٌّ من عند ربنا﴾ ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وهو عبد الله بن سلام وأصحابه. وقال بعضهم: هو معطوف عليه يقول: «وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم» يعني يعلمون تأويله ويقولون: «آمنا به كل من عند ربنا» وروى ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه كان يقرأ وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم: آمنا به، وهذا يوافق قول الكلبي ومقاتل. وقال عامر الشعبي لو كان ابن عباس بين أظهرنا ما سألته عن آية من التفسير لأني أحلُّ حلاله وأحرِّم حرامه، وأومن بمتشابهه وأكل ما لم أعلم منه إلى عالمه. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أولو الألباب﴾ يعني ما يتعظ بما أنزل من القرآن إلا ذوو العقول من

= ب ـ لو كان القرآن محكماً بالكلية لما كان مطابقاً إلا لمذهب واحد، وكان تصريحه مبطلاً لكل ما سوى ذلك المذهب وذلك ممّا ينفّر أرباب المذهب عن قبوله وعن النظر فيه، فالانتفاع به إنما حصل لما كان مشتملاً على المحكم وعلى المتشابه، فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يقوّي مذهبه ويؤثر مقالته فحينئذ ينظر فيه جميع أرباب المذاهب، ويجتهد في التأمل فيه كل صاحب مذهب فإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات فبهذا الطريق يتخلص المبطل عن باطله ويصل إلى الحق.

ج ـ أن القرآن إذا كان مشتملاً على المحكم والمتشابه افتقر الناظر فيه إلى الاستعانة بدليل العقل. وحينئذ يتخلص عن ظلمة التقليد ويصل إلى ضياء الاستدلال والبينة، أما لو كان كله محكماً لم يفتقر إلى التمسك بالدلائل العقلية فحينئذ كان يبقى في الجهل والتقليد.

د ـ لما كان القرآن مشتملاً على الحكم والمتشابه افتقروا إلى تعلم طرق التأويلات وترجيح بعضها على بعض، وافتقر تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو وعلم أصول الفقه ولو لم يكن الأمر كذلك ما كان يحتاج الإنسان إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة فكان إيراد هذه المتشابهات لأجل هذه الفوائد الكثيرة.

هـ ـ وهو السبب الأقوى في هذا الباب أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام بالكلية وطبائع العوام تنبو في أكثر الأمر عن إدراك الحقائق فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولا مشار إليه ظن أن هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الأصلح أن يخاطَبُوا بألفاظ دالّة على بعض ما يناسب ما يتوهمونه ويتخيلونه. ويكون ذلك مخلوطاً بما يدل على الحق الصريح. فالقسم الأول وهو الذي يخاطبون به في أول الأمر يكون من باب المتشابهات والقسم الثاني وهو الذي يكشف لهم في آخر الأمر هو المحكمات. هذا والله أعلم.

انظر تفسير الفخر الرازي ١٧٢/٨ والإتقان في علوم القرآن ٣/٣ وما بعدها بتصرف.

(١) في ظ [بقاء]. (٢) في ظ [إلى أدنى زمان]. (٣) في ظ [يعني المبالغون في علم الكتاب كتابهم].

الناس ثم قال عبد الله بن سلام وأصحابه حين سمعوا قول اليهود وتكذيبهم ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ يعني لا تُحَوّل قلوبنا عن الهدى ﴿بعد إذ هديتنا﴾ يعني بعد ما أكرمتنا بالإسلام [وهديتنا لدينك][(١)] ﴿وَهَبْ لَنا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ يعني ثَبِّتْنا على الهدى ﴿إِنَّكَ أنتَ الوهَّاب﴾ أي المعطي [المثبت][(٢)] للمؤمنين. ﴿ربنا إنك جامعُ الناس﴾ بعد الموت ﴿ليوم لا ريب فيه﴾ أي في يوم لا شك فيه عند المؤمنين أنه كائنٌ لا محاله. «إن الله لا يخلف الميعاد» في البعث ويقال: معناه ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ في إجابة الدعاء يعني يوم يجمع الناس في الآخرة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾

ثم قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا﴾ يعني اليهود، ويقال جميع الكفار ﴿لن تغني عنهم﴾ كثرة ﴿أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ [شيئاً][(٣)] يعني[(٤)] من عذاب الله ﴿شيئاً﴾ في الدنيا إذا نزل بهم شدة أو مرض، ولا في الآخرة عند نزول العذاب. ويقال: كل ما لم ينفق في طاعة الله، فهو حسرة له يوم القيامة، ويقال: إنما ذكر الأموال والأولاد [لأن أكثر الناس يدخلون النار لأجل الأموال والأولاد][(٥)]. فأخبر الله تعالى: [أنه لا ينفعهم][(٦)] في الآخرة لكيلا يفني الناس أعمارهم لأجل المال والولد، وإنما ذكر الله تعالى الكفار، لكي يعتبر بذلك المؤمنون. ثم قال تعالى: ﴿وأولئك هم وقود النار﴾ أي حطب النار. قرأ بعضهم «وُقُودُ النار» بضم الواو يعني: [إيقاد][(٧)] النار كما قال في آية أخر «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها» قالوا: معناه إذا أرادت النار أن تتطفيء بدلهم الله جلوداً [غيرها][(٨)] لتتقد النار. ﴿كدأب آل فرعون﴾ يعني [أن][(٩)] صنيع الكفار معك كصنيع آل فرعون مع موسى. وقال مقاتل كأشباه آل فرعون بالتكذيب بالعذاب في الدنيا، ويقال: إهلاك الله إياهم بالقتل، كإهلاك آل فرعون بالغرق، ويقال: تعاونُهم وتظاهرهم فيما بينهم عليك، كتظاهُر آل فرعون على موسى ﴿والذين من قبلهم﴾ أي قبل آل فرعون مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط ﴿كذبوا بآياتنا﴾ أي بدلائلنا وعجائبنا. ويقال: بكتبي ورسلي كما كذبك قومك يا محمد ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ أي أهلكهم وعاقبهم بشركهم ﴿والله شديد العقاب﴾ [للكافرين][(١٠)].

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾

[قوله تعالى][(١١)] ﴿قل للذين كفروا﴾ قال الضحاك: يعني كفار مكة لما ظهروا يوم أحد فرحوا بذلك فنزل قوله تعالى: «قل للذين كفروا» من أهل مكة ﴿ستغلبون﴾ بعد هذا ﴿وتحشرون إلى نار جهنم﴾ وقال الكلبي: نزلت في شأن بني قريظة، وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما هزم المشركين يوم بدر قالت اليهود: هذا النبي الأمّي الذي بشرنا به موسى، الذي نجده في التوراة، فأرادوا تصديقه، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى ننظر

---

(١) من ظ.
(٢) في ظ [المثيب].
(٣) سقط في ظ.
(٤) في ظ [يعني لا ينفعهم].
(٥) زيادة من ظ.
(٦) في ظ [أنهما لا ينفعانهم].
(٧) في ب [اتقاد].
(٨) سقط في ظ.
(٩) سقط في ظ.
(١٠) في ظ [للكفار].
(١١) زيادة من ظ.

إلى وقعة أخرى له، فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا: والله ما هو إياه، فقد تغيّرت صفته وحاله، فشكوا فيه ولم يسلموا. وقد كان بينهم وبين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عهد إلى مدة فنقضوا ذلك العهد، فأنزل الله تعالى: «قل للذين كفروا ستغلبون» وقال عكرمة: عن عبد الله بن عباس أنه قال: لما أصاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قريشاً يوم بدر، وقَدِم المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: «يا معشر اليهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب قريشاً». قالوا: يا محمد لا تغرنك نفسك، إنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً[١] لا يعرفون القتال، فإنك لو قاتلتنا لعرفت، أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله تعالى: «قل للذين كفروا ستغلبون [وتحشرون][٢]» يعني تُهْزمون وتُقْهرون وتُحْشرون بعد القتل، إلى جهنم ﴿وبئس المهاد﴾ يعني لبئس موضع القرار جهنم. قرأ حمزة والكسائي «سَيُغْلبونَ وَيُحشرُون» [بالياء][٣] على معنى الخبر والباقون بالتاء على معنى المخاطبة[٤].

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

ثم قال: ﴿قد كان لكم آية [يعني عبرة][٥] في فئتين﴾ أي جَمْعَيْن [يعني][٦] جَمْع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه، وجمع [كـفار][٧] أهل مكة ﴿التقتا فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة، يرونهم مثليهم﴾ قرأ نافع «ترونهم» على معنى المخاطبة، والباقون بالياء على معنى الخبر[٨]. وذكر عن الفراء أنه قال[٩]: كان الكفار ثلاثة أمثال المسلمين لأن المسلمين كانوا ثلاثمائة ونيفاً، وكان الكفار تسعمائـة ونيّفاً وقـولـه «مثليهم» أي ثـلاثة أمثالهم، والمعنى في ذلك عن طريق اللغة: أن الإنسان إذا كان عنده ألف درهم يقول: احتاج إلى مثليها، فإنه يحتاج إلى ثلاثة آلاف، وقال الزجاج[١٠]: هذا القول لا يصح في اللغة ولا في المعنى ولكن المسلمين يرونهم مثليهم [في العدد][١١] لكي لا يجبنوا، لأنه أعلمهم أن المائـة تغلب المائتين، فـأراهم في ﴿رأي العين﴾ أن المشركين مثليهم في العدد لكي لا يجبنوا، وهذا كما قال في آية أخرى: «وإذ يريكموهم إذ الْتَقَيْتم في أعينكم قليلاً، ويقللكم في أعينهم». وذلك أن المشركين كانوا تسع مائة [فأرى الله المسلمين][١٢] أنهم ستمائة لكي لا يجبنوا وأرى الكفار أن المسلمين أقل من ثلاثمائة ثم ألقى مع ذلك في قلوبهم الرعب حتى انهزموا [فكان][١٣] في

---

(١) الأغْمَار: جمع غُمْر ـ بضم فسكون ـ وهو الجاهل الغِرُّ الذي لم يجرب الأمور. قال ابن سيده: ويُقْتاس من ذلك لكل من لا غناء عنده ولا رأي. ورجل غُمْرٌ وغَمِرٌ: لا تجربة له بحرب ولا أمر ولم تمكنه التجارب. اللسان: غمر.

(٢) زيادة من ظ، والحديث أخرجه أبو داود في السنن ٣/١٥٤ في كتاب الخراج والإمارة والفيء (٣٠٠١).

(٣) زيادة من ظ.

(٤) انظر / حجة القراءات لابن زنجلة ١٥٣، كنز المعاني شرح حرز الأماني ص ٣٠٨، ٣٠٩، وكذا الإتحاف والحجة لابن خالويه.

(٥) زيادة من ظ. (٦) زيادة من ظ. (٧) في ظ [كفار].

(٨) والقراءة بالياء على أن الرَّائينَ المشركون، والمرئيّين المؤمنون، ويحتمل العكس وقراءة نافع بناء الخطاب، والمخاطبون اليهود لكونهم حاضري الواقعة ببدر، أي يرون المسلمين مثل عددهم، أو مثلي عدد المشركين على اختلاف التفاسير. راجع/ كنز المعاني شرح حرز الأماني ص ٣٠٨، ٣٠٩، وحجة القراءات لابن زنجلة ص ١٥٤.

(٩) معاني القرآن للفراء ١/١٩٤. (١٠) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٨٢. (١١) في سقط في ظ.

(١٢) في ظ [فرأى المسلمون]. (١٣) في ظ [فكانت].

ذلك دلالة من [الدلالات][١]. فمن قرأ [بالتاء على معنى المخاطبة][٢] لليهود: إن لكم آية وعلامة حيث رأيتم غلبة المسلمين على الكفار مع قلة المسلمين وكثرة الكفار فإن قيل: إن اليهود لم يكونوا حضوراً في ذلك الوقت، فكيف يرون ذلك؟ قيل له: إذا انتشر الخبر فهموا وعلموا ذلك صار كالمعاينة ولأن لهم جواسيس عند المسلمين يخبرون اليهود بذلك فصار كأن كلهم رأى ذلك، ومن قرأ بالياء معناه: أن المسلمين يرون الكفار مثليهم ويقال: إن المشركين حين خرجوا من مكة كانوا ألفاً وثلاثمائة رجل، فلما وجدوا العير[٣] سالمة[٤] رجع مع العير ثلاثمائة وخمسون وتخلف تسعمائة وخمسون للحرب، وكان أبو سفيان بن حرب في تلك العير، فرجع إلى مكة وحثهم على [المسير][٥]، ولم يكن حاضراً وقت الحرب، وإنما قال الكلبي في كتابه: نزلت في جمع أبي سفيان وأصحابه، لأن أبا سفيان هو الذي حثهم على الخروج ولم يخرج معهم، ثم قال تعالى: ﴿والله يؤيد بنصره من يشاء﴾ أي يقوي بنصرته، وهم أهل بدر، فأرسل إليهم الملائكة وهزم المشركين، ﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ يعني من ينصر الحق.

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

﴿زين للناس حب الشهوات﴾ حُسِّن وحُبِّب إليهم، وقد يكون التزيين من الله تعالى كما قال في آية أخرى «زينا لهم أعمالهم» وقد [كان][٦] من الشيطان كما قال في آية أخرى «وزين لهم الشيطان أعمالهم» فأما التزيين من الله تعالى فهو على وجهين: يكون على [جهة][٧] الامتحان للمؤمنين مع العصمة، وقد يكون للكفار على [جهة][٨] العقوبة مع الخذلان، وأما التزيين من الشيطان [فهو على جهة][٩] الوسوسة، فقال: زين للناس حب الشهوات ﴿من النساء والبنين﴾ بدأ بالنساء، لأن فتنة النساء أشد من فتنة جميع الأشياء كما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال:[١٠] «ما تركت لأمتي فتنة أشد من فتنة النساء» ولأن النساء فتنتهن ظاهرة من وقت آدم عليه السلام

---

(١) في أ [الدلالة]. (٢) في المخطوطتين (بالياء فمعناه خطاب)، والصحيح ما أثبتناه، وهو موافق لتوجيه القراءتين كما سبق.
(٣) العير: مؤنثة: القافلة، وقيل: العير: الإبل التي تحمل المِيرة، لا واحد لها من لفظها. (اللسان: عير).
(٤) وبناء على تأنيث العير أثبتنا الصواب (سالمة) بدلاً من (سالماً).
(٥) في ظ [الخروج]. (٦) في ظ [يكون]. (٧) (٨) في ظ [وجه]. (٩) في ظ [على وجه].
(١٠) متفق عليه من رواية أسامة بن زيد رضي الله عنه، أخرجه البخاري ٩: ٣٧ في كتاب النكاح/ باب شئوم المرأة (٥٠٩٦) ومسلم ٢٠٩٧/٤ في كتاب الذكر والدعاء/ باب أكثر أهل الجنة الفقراء. (٩٧/٢٧٤٠) وأخرجه أحمد في المسند ٥/٢٠٠ والترمذي رقم (٢٧٨٠) والطبراني في الكبير ١٣٣/١ وعبد الرزاق في المصنف رقم (٢٠٦٠٨) والبيهقي في السنن الكبرى ٩١/٧ وأبو نعيم في الحلية ٣٢٩/١٢.

إلى يومنا هذا. ويقال: في النساء فتنتان وفي الأولاد فتنة واحدة إحداهما: أنها تؤدي إلى قطيعة الرحم، لأن المرأة تأمر زوجها بقطيعة الرحم عن الأمهات والأخوات والثانية: يبتلي بجمع المال من الحلال والحرام. وأما البنون: فإن الفتنة فيهم واحدة وهي ما ابتلي به من جمع المال لأجلهم فذكر البنين، وأراد به الذكور والإناث. وقال بعض الحكماء: أولادنا فتنة، إن عاشوا فتنونا وإن ماتوا أحزنونا. ثم قال تعالى: ﴿والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾ روي عن الفراء أنه قال [(١)]: القناطير جمع قنطار، والمقنطرة جمع الجمع، فيكون تسع قناطير، وروي عن [أبي عبيدة][(٢)] أنه قال: [(٣)] المقنطرة: [مُفَعَّلة من الورق][(٤)] كما يقال: ألف مؤلفة، وبذر مبذرة، ويقال: المقنطرة: هي [المكيلة][(٥)] ثم اختلفوا في مقدار القنطار: فروي عن مجاهد أنه قال: القنطار سبعون ألف دينار. وقال أبو هريرة: [(٦)] القنطار اثني عشر ألف أوقية. وقال معاذ بن جبل: [(٧)] ألف ومائتا أوقية. وقال بعضهم: [(٨)] مِلْءُ مَسْكِ ثَوْرٍ من ذهب، حكاه الكلبي وقال هو لغة رومية. وروي عن الحسن البصري أنه سئل عن القنطار ما هو؟ فقال: هو مثل دية [(٩)] أحدكم[(١٠)]. ثم قال تعالى: ﴿والخَيْلِ المُسَوَّمة﴾ يعني الراعية، كما قال في آية أخرى: «فيه تسيمون». أي ترعون وهو قول سعيد بن جبير ومقاتل. وقال يحيى بن كثير: هي السمينة المصورة. وقال أبو عبيدة: [(١١)] المُعْلَمة ﴿والأنعام﴾ يعني الإبل والبقر والغنم ﴿والحَرْث﴾ يعني الزرع، ذكر أربعة أصناف، كل نوع من [المال][(١٢)] يتمول به صنف من الناس، أما الذهب والفضة، فيتمول[(١٣)] به التجار، وأما الخيل المُسَوَّمة فيتمول [بها][(١٤)] الملوك، وأما الأنعام فيتمول بها أهل البوادي، وأما الحرث فيتمول به أهل الرساتيق[(١٥)]، فيكون فتنة كل

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/١٩٥.
(٢) في ظ [عبيدة].
(٣) مجاز القرآن ١/٨٨
(٤) في ظ [مثقلة من القنطار].
(٥) في ظ [المكملة كما يقال: بِدَرٌ مُبَدَّرة].
(٦) وأخرجه ابن جرير الطبري، من حديث عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة أن القنطار ألف ومئتا أوقية. ابن جرير ٢/٤٤١ (٦٧٠٠) وذكره ابن كثير في التفسير ٢: ١٠٩، ١١٠ ـ وأشار الحافظ ابن كثير إلى الرواية التي حكاها المصنف رحمه الله وهي عند أحمد «حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القنطار اثنا عشر ألف أوقية، كل أوقية خير مما بين السماء والأرض وصحح الحافظ ابن كثير أن هذا الأثر موقوف.
(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره/ ٦/٢٤٤ (٦٦٩٦)، (٦٦٩٧) وعن ابن عمر أيضاً عند ابن جرير (٦٦٩٨) عن عاصم ابن النجود مثله أيضاً (٦٦٩٩).
(٨) مجاز القرآن ١/٨٩، اللسان: قنطر.
(٩) الدية: مصدر وَدَى القاتل المقتول إذا أعطى وليَّه المال هو بدل النفس، ثم قيل لذلك المال: الدية تسميةً بالمصدر. ولذا جمعت، وهي مثل عدة في حذف الفاء كذا في المغرب ٢/ ٣٤٧ وانظر الصحاح ٦/٢٥٢١ القاموس ٤/٤٠١ المصباح ٢ (١٠١٣).
(١٠) أخرجه الطبري عن الحسن بلفظ القنطار ألف دينار، ديةُ أحدكم (٦٧١٢).
(١١) مجاز القرآن ١/٨٩. ونصه (والخيل المسوَّمة: المعلمة بالسيماء، ويجوز أن تكون «مسوَّمة» مرعاةً، من أَسَمْتُها، تكون هي سائمة، والسائمة: الراعية وربما يُسيمها).
(١٢) في ظ [الأموال].
(١٣) في الأصل (يتمول) والصحيح ما أثبتناه، فهو جواب (أما).
(١٤) في ظ [به].
(١٥) قال ابن منظور: الرُّسْدَاق، والرُّزْدَاق، فارسي: بيوت مجتمعة، ولا تقل: رُسْتَاق. وكان الليث يقول للذي يقول له الناس الرَّسْتَق، وهو الصف. وَذْدَق، وهو دخيل. (اللسان: رزدق).

صنف في النوع الذي يتمول به، وأما النساء والبنين فهي فتنة للجميع. ثم زهد في [ذلك كله][(١)] ورغب في الآخرة فقال تعالى: **﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾** أي منفعة الحياة الدنيا تذهب ولا تبقى **﴿والله عنده حسن المآب﴾** أي المرجع في الآخرة الجنة، لا تزول ولا تفنى. ثم بَيّن أن الذي وعد المؤمنين في الآخرة خير مما زين للكفار فقال تعالى: **﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم﴾** أي من الذي زين للناس في الدنيا **﴿للذين اتقوا﴾** الشرك والفواحش والكبائر. ويقال: للذين اتقوا الزينة فلا تشغلهم عن طاعة الله. **﴿عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** يعني البساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها الأنهار، فهو خير من الزينة الدنيوية وما فيها وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال[(٢)]: لَشِبْرٌ في الجنة خير من الدنيا وما فيها قال: **﴿خالدين فيها﴾** يعني مقيمين فيها أبداً. **﴿وأزواجٌ مُطَهَّرة﴾** معناه في الخَلْق والخُلُق، فأما الخَلْقُ، فإنهن لا يَحِضنَ ولا يتمخَّطْن ولا يأتين الخلاء، وأما الخُلُق، فإنهن لا يغِرْن ولا يحسدن ولا ينظرن إلى غير أزواجهن، **﴿ورضوان من الله﴾** أي مع هذه النعم لهم رضوان من الله، وهو من أعظم النعم، كما قال في آية أخرى «وَرِضْوَانٌ من الله أكبر» قرأ عاصم في رواية أبي بكر «وَرُضْوَان» بضم الراء، والباقون بالكسر وهما لغتان وتفسيرهما واحد[(٣)]: **﴿واللَّه بصيرٌ بالعباد﴾**. أي عالم بأعمالهم وثوابهم. ثم وصفهم فقال تعالى: **﴿الذين يقولون رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا﴾** أي صَدَّقْنَا **﴿فَاغْفِرْ لنا ذُنُوبَنَا﴾** أي خطايانا التي كانت في الشرك وفي الإسلام **﴿وقِنَا عَذَابَ النَّار﴾** يعني ادفع عنا عذاب النار[(٤)] **﴿الصَّابرين﴾** يعني الجنة التي ذكر للذين اتقوا الشرك، وللصابرين][(٥)] الذين يصبرون على طاعة الله، ويصبرون [على][(٦)] المعاصي ويصبرون على ما أصابهم من الشدة والمصيبة **﴿والصادقين﴾** [يعني الصادقين][(٧)] في إيمانهم[(٨)] وفي قلوبهم، وفي وعدهم بينهم وبين الناس، وبينهم وبين الله تعالى ثم قال: **﴿والقانتين﴾** يعني المطيعين لله تعالى **﴿والمنفقين﴾** الذين يتصدقون من أموالهم في سبيل الله **﴿والمستغفرين بالأَسْحَار﴾** يعني يصلون لله عند الأسحار. ويقال: يصلون لله بالليل ويستغفرون عند السَّحَر.

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

﴿شَهِدَ ٱللَّه أنَّه لَا إله إلَّا هُوَ﴾ يعني أن الله تعالى قَبْل أن يخلق الخلق شهد أن لا إله إلا هو **﴿والملائكة﴾** ولما خلق الملائكة شهدوا بذلك، ثم لما خلق الله المؤمنين شهدوا بمثل ذلك وهم **﴿أولو العلم﴾** يعني المؤمنين شهدوا بذلك **﴿قَائِماً بالقِسْط﴾** يعني الله قائماً بالعَدْل على كل نفس. ويقال: من أقر بهذه الشهادة على عقد قلبه، فقد قام بالعدل وقال مقاتل: سبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا لرؤساء اليهود: اتبعوا دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت اليهود: ديننا أفضل من دينكم، فقال الله عز وجل: «شهد الله أنه لا إله إلا هو

---

(١) في ظ [في الدنيا].

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٤٤٨/٢ في كتاب الزهد/ باب صفة الجنة(٤٣٢٩) وقال البوصيري في زوائده ٣٢٤/٣ هذا إسناد ضعيف تقدم الكلام عليه مرات قلت ويقصد حجاج بن أرطاة وعطية العوفي وقال وأخرجه أيضاً بهذا الإسناد أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠٨/٤ من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وقال: غريب من حديث الأعمش لم نكتبه إلا عن هذا الشيخ ـ ضمن ترجمة شقيق بن سلمة (٢٥٣).

(٣) راجع/ حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٥٧، كنز المعاني ـ شرح حرز الأماني ص ٣٠٩.

(٤) في ظ [ثم قال عز وجل]. (٥) سقط في ظ. (٦) في ظ [عن].

(٧) سقط في ظ. (٨) في ظ [والصادقين في قلوبهم].

والملائكة وأولو العلم» يشهدون بذلك، وأولو العلم بالتوراة يشهدون بذلك، ويشهدون أن الله قائم بـالقسط أي بالعدل، وأن الدين عند الله الإسلام. قال الكلبي: وفيه وجه آخر وذلك أنه لما ظهر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة، قدم عليه حَبْران من أحبار الشام، فلما نظرا إلى المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه قالا له: أنت محمد؟ قال: «نعم» قالا: وأنت أحمد؟ قال أنا محمد وأحمد. قالا: أَخْبِرْنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فنزلت هذه الآية «شهد الله... الخ» فأسلم الرجلان وصدَّقا أن الدين عند الله الإسلام. وروي عن أبي عبيدة أنه قال[١]: «شَهِدَ اللَّهُ» يعني عَلِم اللَّهُ وبَيَّن الله، فالله عز وجل: دَلَّ على توحيده بجميع ما خلق فبيّن أنه لا يقدر أحدٌ أن ينشيء شيئاً واحداً مما أنشأ الله تعالى، وشَهِدت الملائكة بما علمت من عظيم قدرته، وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم وتبين من خلقه الذي لا يقدر غيره عليه. وفي هذه الآية بيان فضل أهل العلم، لأنه ذكر شهادة نفسه ثم ذكر شهادة الملائكة ثم ذكر شهادة أهل العلم، ثم قال تعالى: ﴿لا إله إلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم﴾ [فشهد بمثل ما شهد من قبل لتأكيد الكلام. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً لكل حي من العرب صنم أو صنمان، فلما نزلت هذه الآية أصبحت تلك الأصنام كلها قد خرت ساجدة[٢].

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

ثم قال عز وجل:][٣] ﴿إِنَّ الدِّين عند الله الإسلام﴾ قرأ الكسائي: «أَنَّ الدين» بالنصب على معنى البناء، يعني شهدوا أنه لا إله إلا هو، وأَنَّ الدين عند الله الإسلام[٤]، [و][٥] الباقون بالكسر على معنى الابتداء، ومعناه: إن الدين المرضيَّ عند الله الإسلام ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِين أُوْتُوا الكِتَابَ﴾ في هذا الدين ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُم الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ يعني بيان أمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم اليهود والنصارى فلما بعث الله تعالى محمداً كفروا حسداً منهم، هكذا قال مقاتل. ويقال: إنهم كانوا مسلمين وكانوا يسمّون بذلك، وكان عيسى عليه السلام سمى أصحابه مسلمين، فحسدتهم اليهود لمشاركتهم في الإسم فغيَّروا ذلك الإسم، وسُمُّوا يهوداً، وأما النصارى فغيرهم عن ذلك الإسم «بولس» وسماهم نصارى فذلك قوله: «وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بينهم» يعني غَيَّروا الاسم حسداً منهم ثم قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّه، فإن الله سريع الحساب﴾ لأنه قد جاء في آية أخرى: «وما أَمْرُ السَّاعة إِلَّا كَلَمحِ الْبَصَرِ» وقوله «سَرِيعُ الْحِسَابِ» يعني سريع المجازاة، ويقال: سريع التعريف للعامل عمله لأنه عالم بجميع ما عملوا لا يحتاج إلى إثبات شيء [وتذكر][٦] شيء. ويقال إذا حاسب فحسابه سريع، يحاسب جميع الخلق في وقت واحد، كل واحد منهم يظن أنه يحاسبه خاصة.

---

(١) الذي أورده أبو عبيدة: (شهد الله: قضى الله) مجاز القرآن ١/٨٩.

(٢) عزاه السيوطي في الدر (١٢/٢) لعبد بن حميد، وابن المنذر عن سعيد بن جبير.

(٣) ما بين المعقوفين من أ.

(٤) قراءة الكسائي بفتح همزة (أن) على أنه بدل كل من قوله تعالى ﴿أنَّه لا إله إلَّا هو﴾ أو بدل اشتمال، لأن الإسلام يشتمل على التوحيد، أو عطف عليه بحذف الواو. وقراءة الباقين بكسر الهمزة على الاستئناف، لتمام الكلام الذي قبله. وراجع/ حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٥٧ ـ ١٥٨، وكنز المعاني شرح حرز الأماني ٣٠٩.

(٥) في أ [وقرأ].

(٦) في ظ [ولا تذكر].

فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

ثم قال تعالى: ﴿فإن حاجوك﴾ أي خاصموك وجادلوك في الدين ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أي أخلصت ديني لله. وقال الزجاج[١]: إن الله تعالى أمر نبيه أن يحتج على أهل الكتاب والمشركين بأنه اتبع أمر الله الذي هم أجمعون مقرون أنه خالقهم ورازقهم، فأراهم الآيات والدلالات بأنه رسوله، وقوله: «أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّه» أي قصدت بعبادتي الله وأقررت بأنه لا إله غيره ﴿و﴾ كذلك ﴿من اتَّبعن﴾ وقال القتبي: معنى أسلمت وجهي لله: يعني أسلمت لله، والوجه زيادة، كما قال «كل شيء هالك إلا وجهه» يعني إلا هو ﴿وَقُل لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني أُعْطُوا التَّوْرَاة والإِنْجِيل ﴿والأُمِّيِّن﴾ يعني مشركي العرب ﴿أأسلمتم﴾ يعني أخلصتم بالتوحيد، ويقال اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الأمر فكأنه يقول: أَسْلِموا كما قال في آية أخرى «فَهل أنتم منتهون» يعني انتهوا، وقال [في آية أخرى][٢] «أفلا يتوبون إلى الله» أي توبوا [إلى الله][٣] ﴿فإِنْ أَسْلَموا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ يعني[٤] أخلصوا بالتوحيد [وأسلموا][٥] وصدقوا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالكتاب فقد اهتدوا من الضلالة ﴿وإِن تَوَلَّوْا﴾ يقول: إن أَبَوْا أن يُسلموا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغ﴾ بالرسالة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بالعباد﴾ يعني بأعمالهم، ومعناه: ليس عليك من عملهم شيء، وإنما عليك التبليغ، وقد فعلتَ ما أمرتَ به.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُون بآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني يجحدون بالقرآن وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿وَيَقْتُلونَ النَّبِيِّين بغير حق﴾ يعني يتولون آباءهم بالقتل ويرضون بذلك. قرأ حمزة «يقاتلون» بألِف من المقاتلة، والباقون بغير ألف[٦] وقرأ نافع «النبيئين» بالهمزة، وقرأ الباقون بغير همز ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾[٧] يعني بالعدل

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٩٠.
(٢) سقط في ظ.
(٣) في ظ [ثم قال].
(٤) في ظ [يعني أن].
(٥) سقط في ظ.
(٦) راجع/ كنز المعاني شرح الأماني ٣١١، ٣١٢، وحجة القراءات لابن زنجلة ١٥٨.
(٧) إنَّ الذين كفروا بآيات الله ويَقْتُلون النَّبِيِّين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس «آية ٢١». في هذه الآية عدة مسائل: ـ

المسألة الأولى: ـ

دلت هذه الآية على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجباً في الأمم المتقدمة، وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة. قال الحسن: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من أمر بالمعروف ونَهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه».

وعن درة بنت أبي لهب قالت: جاء رجل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على المنبر فقال: «من خير الناس يا رسول الله؟ قال: آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلُهم».

وفي التنزيل: «والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف» ثم قال: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر». فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين =

. . . .

= والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه. ثم إن الأمر بالمعروف لا يليق بكل أحد، وإنما يقوم به السلطان إذا كانت إقامة الحدود إليه والتعزير إلى رأيه والحبس والإطلاق له والنفي والتغريب، فينصب في كل بلدة رجلاً صالحاً قويّاً عالماً أميناً ويأمره بذلك، ويمضي الحدود على وجهها من غير زيادة قال الله تعالى ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونَهَوْا عن المنكر﴾.

المسألة الثانية: ـ

وليس من شرط الناهي أن يكون عدلاً عند أهل السنة، خلافاً للمبتدعة حيث تقول: لا يغيره إلّا عدل. وهذا ساقط، فإن العدالة محصورة في القليل من الخَلَف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام في جميع الناس، فإن تشبثوا بقوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ وقوله: «كبرُ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» ونحوه، قيل لهم إنما وقع الذم ها هنا على ارتكابه ما نهى عنه لا على النهي عن المنكر. ولا شك في أن النهي عنه ممن يأتيه أقبح ممن لا يأتيه، ولذلك يدور في جهنم كما يدور الحمار بالرّحى.

المسألة الثالثة: ـ

أجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى فإن ذلك لا ينبغي أن يمنعه من تغييره، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك. وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك. قال: والأحاديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً ولكنها مقيدة بالاستطاعة، قال الحسن: إنما يكلم مؤمن يُرْجَى أو جاهل يعلم، فأما من وضع سيفه أو سوطه فقال اتِقني أتقني فما لك وله، وقال ابن مسعود: بحسب المرء إذا رأى منكراً لا يستطيع تغييره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره. وروى ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه» قالوا: يا رسول الله وما إذلاله نفسه؟ قال «يتعرض من البلاء لما لا يقوم له». قلت: وأخرجه ابن ماجه عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن بن جُنْدب عن حذيفة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلاهما قد تكلم فيه. وروي عن بعض الصحابة أنه قال: إن الرجل إذا رأى منكراً لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات «اللهم إنَّ هَذَا مُنْكَر» فإذا قال ذلك فقد فعل ما عليه، وزعم ابن العربي أن من رجا زواله وخاف على نفسه من تغييره الضرب أو القتل جاز له عند أكثر العلماء الاقتحام عند هذا الغرر، وإن لم يرج زواله فأي فائدة عنده. قال: والذي عندي أن النية إذا حصلت فليقتحم كيف ما كان ولا يبال. قلت: هذا خلاف ما ذكره أبو عمر من الإجماع. وهذه الآية تدل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع خوف القتل. وقال تعالى: ﴿وأْمُرْ بالمَعْرُوف وانْهَ عن المنكر واصْبِر على ما أصابك﴾ وهذا إشارة إلى الاذاية.

المسألة الرابعة: ـ

روى الأئمة عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

قال العلماء: الأمر بالمعروف باليد على الأمراء، وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضعفاء. يعني عوام الناس. فالمنكر إذا أمكنت إزالته باللسان للناهي فليفعله، وإن لم يمكنه إلا بالعقوبة أو القتل فليفعل، فإن زال بدون القتل لم يجز القتل. وهذا تلقى من قول الله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾.

وعليه بنى العلماء أنه إذا دفع الصائل على النفس أو على المال عن نفسه، أو عن ماله أو نفس غيره فله ذلك ولا شيء عليه. ولو رأى زيد عمراً وقد قصد مال بكر فيجب أن يدفعه عنه إذا لم يكن صاحب المال قادراً عليه ولا راضياً به، حتى لقد قيل: كل بلدة يكون فيها أربعة فأهلها معصومون من البلاء: إمام عادل لا يَظْلم، وعالم على سبيل الهدى، ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحرصون على طلب العلم والقرآن، ونساؤهم مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى.

المسألة الخامسة: ـ

روى أنس بن مالك قال قيل: يا رسول الله، متى يتْرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم». قلنا: يا رسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رُذَالتكم». =

وهم مؤمنو بني إسرائيل، يأمرونهم بالمعروف، فكانوا يقتلونهم، فعيَّرهم الله بذلك، [وأوعدهم][1] النار، فقال: ﴿فبَشِّرْهم بعذاب أليم﴾ أي وجيع، ويقال: أليم يعني مؤلم. ﴿أولئك الذين حَبِطَتْ أعمالهم﴾ يعني بطل ثواب حسناتهم فلا ثواب لهم ﴿في الدُّنْيا والآخِرَة وَمَا لَهُمْ من نَّاصِرين﴾ يعني مانعين يمنعونهم من النار.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿ألم تَرَ إلى الّذِين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ يعني أُعْطُوا حظاً من علم التوراة. قال مقاتل: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة منهم حين قالوا نحن أَهْدَى سبيلاً، وما بعث الله رسولاً بعد موسى ـ عليه السلام ـ فقال لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنتم تعلمون أن الذي أقول لكم حق فأَخْرِجُوا التوراة فأَبَوْا، فأنزل الله تعالى هذه الآية «أَلَمْ تر إلى الّذين أُوتُوا نصيباً مِنَ الْكِتَاب» ﴿يُدْعَوْن إلى كِتَاب اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ منهم وَهُم معرضون﴾. وقال الكلبي: نزلت في يهوديين من أهل خيبر زَنَيَا، وكان الحكم في كتابهم الرجم فاختصموا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقضى عليهما بالرجم، فقالوا: ليس هذا [بحكم][2] الله، فدعا بالتوراة ودعا بابن صوريا، وكان يسكن فَدَك[3]، وكان أعور، فحلَّفه بالله فأقرّ بالقصة، [فأنزل الله تعالى][4] «ألم تر إلى الذين أوتْوا نصيباً من الكتاب [يدعون إلى كتاب الله][5] الآية. ثم قال: «ذلك أي ذلك الجزاء، قال مقاتل فيها تقديم وتأخير، ومعناه: فبشرهم بعذاب أليم ﴿ذلك «بانهم» [قالوا لن تمسنا النار﴾ ويقال: إنما جزاؤهم خلاف الكتاب، لأنهم][6] قالوا لن تمسنا النار ﴿إلا أيّاماً معدودات﴾ يعني أربعين يوماً على عدد أيام عبادة العجل ويقال على عدد أيام الدنيا، ويقال: إن مذهبهم كان مذهب جَهْم، لأنهم لا يرون الخلود في النار. ﴿وَغرَّهُم في دِينِهِم﴾ عَفْوُ الله عنهم بتأخير العذاب ﴿ما كانوا يفترون﴾ أي يكذبون على الله، وهو قولهم: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّه وأَحِبَّاؤُه، فذلك قولهم الذي غرهم.

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

ثم خوَّفهم فقال تعالى ﴿فكيف إذا جمعناهم﴾ فقال [7]: فكيف يصنعون وكيف يحتالون إذا جمعناهم ﴿لِيَوْم لاَ رَيْبَ فيه﴾ يعني يوم القيامة لا شك فيه عند المؤمنين بأنه كائن: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ﴾ أي وفيت وأُعْطِيَتْ كل نفس ثواب ما عملت ﴿وهم لا يظلمون﴾ أي لا يُنْقَصُون من ثواب أعمالهم [شيء][8].

= قال زيد: تفسير معنى قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «والعلم في رذالتكم» إذا كان العلم في الفساق. أخرجه ابن ماجه. تفسير القرطبي ٤/٣١ وما بعدها.

(١) في ظ [وأوعد لهم].
(٢) في ظ [حكم].
(٣) فدك بالتحريك قرية بالحجاز فيها عين فوارة ونخل مراصد الأطلاق ٣/١٠٢٠.
(٤) سقط في أ.
(٥) سقط في ظ.
(٦) ما بين المعقوفين من أ.
(٧) زيادة من ظ.
(٨) «زيادة من ظ.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾. قال ابن عباس في رواية أبي صالح نزلت في شأن المنافقين، وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما فتح مكة، قال عبد الله بن أبي [رأس][١] المنافقين: [إن محمداً][٢] يتمنى أن ينال ملك فارس والروم وأنّى له ذلك؟ فنزلت هذه الآية. وقال بعضهم: سأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه أن يجعل له ملك فارس والروم في أمته، فعلمه الله بأن يدعو بهذا الدعاء، وهو قول مقاتل. وقال بعضهم: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أمر بحفر الخندق فظهر في الخندق صخرة عجزوا عن حفرها، فأخذ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المعول، وضرب ضربة فظهر من تلك الصخرة نور، فقال له سلمان، رأيت شيئاً عجيباً، فقال له النبي: هل رأيت ذلك؟ قال: نعم: فقال: رأيت في ذلك النور قصور أهل الشام. ثم ضرب ضربة أخرى فظهر أيضاً كذلك. فقال: رأيت قصور أهل فارس، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «سيظهر لأمتي ملك الشام، وملك فارس، فقال المنافقون: إن محمداً لا يأمن على نفسه واضطر إلى حفر الخندق، فكيف يتمنى ملك الشام وفارس فنزلت هذه الآية. وقال بعضهم: إن مشركي مكة قالوا: إن فارس والروم يبيتان في الحرير والديباج، فلو كان هو نبياً، كيف ينام على الحصير؟ فنزلت هذه الآية. «قل اللهم مالك الملك **﴿تؤتي الملك من تشاء﴾** وأصل اللهم في اللغة:[٣] يا الله أمنا بخير أي اقْصِدْنا بالرحمة، ولكن لما كثر استعمال هذا اللفظ في الناس، صارت الكلمتان [ككلمة][٤] واحدة [فقال]:[٥] اللهم، يعني: اللهم يا مالك الملك تؤتي الملك من تشاء يعني تؤتي محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن تبعه: **﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاء﴾** من فارس والروم **﴿وتعز من تشاء﴾** يعني أهل الإسلام **﴿وتُذِلُّ من تشاء﴾** يعني أهل الشرك والطغيان، **﴿بيدك الخير﴾** يعني النصرة والغنيمة والعز، **﴿إنك على كل شيء قدير﴾** مـن الذل والعز. وقال الضحاك: «تؤتي الملك من تشاء» يعني الإسلام «وتعز من تشاء» بالإسلام، «وتذل من تشاء» بالشرك، «بيدك الخير»، يعني الهداية والسعادة، «إنك على كل شيء قدير» وقال الزَّجاج:[٦] «تؤتي الملك من تشاء: معناه، تولي الملك من تشاء أن تؤتيه وتنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه، إلا أنه حذف «الهاء» لأن في الكلام دليلاً عليه قال مقاتل: وقد قيل في الملك قولان: أحدهما هو المال والعبيد، والآخر من جهة الغلبة بالدين. ثم قال تعالى: **﴿تُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهَارِ﴾** يعني ما نقص من الليل دخل في النهار حتى يبلغ خمسة عشر ساعة، وهو أطول ما يكون، والليل تسع ساعات وهو أقصر ما يكون **﴿وتولج النهار في الليل﴾** يعني أن ما نقص من النهار دخل في الليل حتى يصير الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات، وهو قول الكلبي، ويقال: «تُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهَار» أي تذهب بالليل وتجيء بالنهار وتذهب بالنهار وتجيء بالليل، هكذا إلى أن تقوم الساعة، ثم قال: **﴿وتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾**. فقرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص «المَيِّت» بالتشديد [و][٧] الباقون المَيْت بالتخفيف، وهما لغتان ومعناهما واحـد[٨]. قال الكلبي: يعني تخرج

---

(١) في أ [رئيس]. (٢) في أ [محمد]. (٣) راجع اللسان: أله. (٤) في ظ [كلمة].
(٥) في أ [فقالوا]. (٦) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٩٤. (٧) في ظ [وقرأ].
(٨) ولا فرق بين التشديد والتخفيف في الاستعمال كما تقول لين ولين، هين وهين. قال أبو حيان: ومن زعم أن المخفف لما قد مات، =

البيضة وهي ميتة من الطير وهو حي وتخرج الطير الحي من البيضة الميتة، وتخرج النطفة وهي ميتة من الإنسان الحي وتخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة وتخرج الحبة من السنبلة [إلى آخره][١] وقال الحسن البصري: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن[٢]. ويقال: يخرج الجاهل من العالم، ويخرج العالم من الجاهل وروى معمر عن الزهري أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل على بعض نسائه فإذا بامرأة حسنة الهيئة، فقال من هذه؟ قالوا: إحدى خالاتك قال: ومن هي؟ قالوا: هي خالدة بنت الأَسْود بن عَبْد يغوث[٣]. فقال: رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: سبحان الذي يخرج الحَيّ من الميت وكانت امرأة صالحة، وكان أبوها كافراً[٤]. ثم قال تعالى: ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بغير حساب﴾ يعني من غير أن تحاسب في الإعطاء فكأنه يقول: ليس فوقه من يحاسبه في الإعطاء، كما قال تعالى: «لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَل، وَهُم يُسْأَلون» ويقال من غير أن يحاسبه في الإعطاء. ويقال: بغير تقتير، ويقال: بغير حساب. كما قال: «ويرزقه من حيث لا يحتسب».

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: نزلت في شأن المنافقين عبد الله بن أُبيّ بن سلول وأصحابه من أهل النفاق، [وكانوا قد][٥] أظهروا[٦] الإيمان وكانوا [يتولون][٧] اليهود في العون والنصرة، ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن يكون لهم ظفر على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه. وقال مقاتل: نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة[٨] وغيره ممن كانوا يظهرون المودة لكفار مكة، فنهاهم الله تعالى عن ذلك فقال: «لا يَتَّخِذ المؤمنون الكافرين أولياء» فهذا نهي بلفظ المغايبة، يعني لا يتخذونهم أولياء في العون والنصرة ﴿من دون المؤمنين، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ يعني ليس في ولاية الله من شيء، ويقال: ليس في دين الله من شيء، لأن ولي الكافر يكون راضياً بكفره، ومن كان راضياً بكفره فهو كافر مثله كقوله

= والمشدد لما قد مات ولما لم يمت فيحتاج إلى دليل. (البحر المحيط ٢/ ٤٢١).

وقد جاء الاستعمالان في قول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

وانظر/ حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٥٩، كنز المعاني في شرح حرز الأماني ص ٣١٠، ٣١١.

(١) سقط في ظ.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٦/ ٣٠٦ (٦٨١٥) ولفظه «المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، والمؤمن عبد حي الفؤاد، والكافر عبد ميت الفؤاد وأخرجه أيضاً بلفظ المصنف رقم (٦٨١٦) عن الحسن بن يحيى وعن الحسن البصري أيضاً رقم (١٨١٩) وذكر أبو عبيدة نحوه في مجاز القرآن ١/ ٩٠.

(٣) خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث بن وهب القرشية الزهرية كانت امرأة صالحة من المهاجرات. الإصابة ٨/ ٥٨.

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير ٦/ ٣٠٨ (٦٨٢١) وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ١٨١ وذكر طرقه الحافظ ابن حجر في الإصابة، في ترجمة خالدة بنت الأسود.

(٥) في ظ [وقد]. (٦) في ظ [الإسلام والإيمان]. (٧) في أ [يلوا].

(٨) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزي مات سنة ثلاثين في خلافة عثمان وله خمس وستون سنة. الإصابة ١/ ٣١٤.

تعالى: «وَمَن يَتَوَلَّهم منكم فإِنَّهُ مِنْهُم» ثم استثنى لما علم أن بعض المسلمين ربما [يُبْتَلون][(١)] في أيدي الكفار فقال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[(٢)].

---

(١) في ظ [يتلون].

(٢) «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء».

قال القاسم في تفسيره لهذه الآية: (٤/٨٢٣ وما بعدها)».

تنبيه: قال بعض مفسري الزيدية: ثمرة الآية الكريمة تحريم موالاة الكفار، لأن الله تعالى نهى عنها بقوله «ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء» ثم استثنى تعالى (التقية) فرخص في موالاتهم لأجلها. فتجوز معاشرة ظاهرة، والقلب مطمئن بالعداوة لهم والبغضاء وانتظار زوال المانع. وقد قال الحاكم: في الآية دلالة على جواز إظهار تعظيم الظلمة، اتقاء لشرهم. قال: وإنما يحسن بالمعاريض التي ليست بكذب. وقال الصادق: التقية واجبة، وإني لأسمع الرجل في المسجد يشتمني فاستتر عنه بالسارية لئلا يراني. وعن الحسن: تقية باللسان، والقلب مطمئن بالإيمان.

واعلم أن الموالاة التي هي المباطنة والمشاورة وإفضاء الأسرار للكفار، لا تجوز. فإن قيل قد جوز كثير من العلماء نكاح الكافرة، وفي ذلك من الخلطة والمباطنة بالمرأة ما ليس بخاف فجواب ذلك أن المراد موالاتهم في أمر الدين وفيما فيه تعظيم له. فإن قيل في سبب نزول الآية أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ منع «عبادة بن الصامت» عن الاستعانة باليهود على قريش، وقد حالف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حرب قريش، وفي هذا دلالة على جواز الاستعانة بهم، وقد ذكر الراضي بالله أنه يجوز الاستعانة بالفساق على حرب المبطلين، قال وقد حالف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اليهود على حرب قريش وغيرها إلى أن نقضوه يوم الأحزاب، وعقد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حلفاً بينه وبين خزاعة. قال الراضي بالله: وهو ظاهر عن آبائنا عليهم السلام، وقد استعان علي عليه السلام بقتلة عثمان، ولعل الجواب ـ والله أعلم ـ إن الاستعانة جائزة مع الحاجة إليها ويحمل على هذا إستعانة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ باليهود. وممنوعة مع عدم الحاجة، أو خشية مضرة منه. وعليه يحمل حديث عبادة بن الصامت. فصارت الموالاة المحظورة تكون بالمعاداة بالقلب للمؤمنين والمودة للكفار للكفار على كفرهم. ولا لبس في تحريم ذلك ولا يدخله استثناء والموالاة بإظهار التعظيم وحسن المخاللة والمصادقة بإظهار الأسرار ونحو ذلك، فيما لا يضر المسلمين، فظاهر كلام الزمخشري أنه لا يجوز إلا للتقية. فحصل من هذا أن الموالي للكافر والفاسق عاص، ولكن أين تبلغ معصيته؟ يحتاج إلى تفصيل: إن كانت الموالاة بمعنى الموادة، وهي أن يوده لمعصيته كان ذلك كالرضا بالمعصية. وإن كانت الموالاة كفراً. كفر. وإن كانت فسقاً. فسق. وإن كانت لا توجب كفراً ولا فسقاً، لم يكفر ولم يفسق. وإن كانت الموالاة بمعنى المحالفة والمناصرة، فإن كانت محالفة على أمر مباح أو واجب، كأن يدفع المؤمنون عن أهل الذمة من يتعرض لهم ويحالفونهم على ذلك، فهذا لا حرج فيه بل هو واجب وإن كانت على أمر محظور كأن يحالفوهم على أخذ أموال المسلمين والتحكم عليه، فهذه معصية بلا إشكال، وكذلك إذا كانت بمعنى أن يظهر سر المسلمين ويحب سلامة الكافرين لا لكفرهم بل ليدلهم عليه أو لقرابة أو نحو ذلك، فهذه معصية بلا إشكال. لكن لا تبلغ حدها الكفر لأنه لم يرد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حكم بكفر «حاطب بن أبي بلتعة» رغم أنه أرسل لقريش يطلعها على سر من أسرار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا أن الله عز وجل أطلعه عليه الصلاة والسلام على ذلك قبل أن تصل رسالة «حاطب» للقرشيين وقال الراضي بالله: إن مناصرة الكفار على المسلمين توجب الكفر. لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال للعباس: ظاهرك علينا. وقد اعتذر بأنه خرج مكرها. وأما مجرد الإحسان إلى الكافر فجائز لا ليستعين به على المسلمين، ولا لاناسه، وكذلك أن يضيق لضيقة في قضية معينة لأمر مباح فجائز، كما كان من ضيق المسلمين من غلب فارس الروم. فصار تحقيق المذهب أن الذي يوجب الكفر من الموالاة أن يحصل من الموالي الرضا بالكفر. والذي يوجب الفسق أن يحصل الرضا بالفسق. إن قيل فما حكم من يجند مع الظلمة ليستعينوا به حتى على الجبايات وأنواع الظلم؟ قلنا: عاص بلا إشكال، وفاسق بلا إشكال لأنه صار من جملتهم. وفسقهم معلوم.

فإن قيل: فإن تجند معهم لحرب إمام المسلمين؟ قلنا: صار باغياً، وحصل فسقه من جهة البغي والظلم.

ومن هذه الآية استنبط الأئمة مشروعية التقية عند الخوف، وقد نقل الإجماع على جوازها عند ذلك الإمام مرتضى اليماني في كتابه (إيثار الحق على الخلق).

=

قرأ يعقوب الحضرمي «تقية [وقراءة][1] العامة «تقاة» ومعناهما واحد، يعني يرضيهم بلسانه وقلبه مطمئن الإيمان [فلا إثم عليه كما قال الله تعالى في آية أخرى: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان»][2] قرأ حمزة والكسائي «تُقاةً» بالإمالة، وقرأ الباقون بتفخيم الألف[3]، ثم قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يعني يخوّفكم الله بعقوبته، أي الذي يتخذ الكافر وليّاً بغير ضرورة، وهذا وعيد لهم ويقال: إذا كان الوعيد مبهماً فهو أشد، ثم قال تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي مرجعكم في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ يقول: إن تسروا ما في قلوبكم من النكوث وولاية الكفار ﴿أو تبدوه﴾ يعني

= وقال الإمام الفخر الرازي في (١٤/٨):

اعلم أن للتقيه أحكاماً كثيرة ونحن نذكر بعضها:

الحكم الأول: أن التقية إنما تكون إذا كان الرجل في قوم كفار، ويخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم باللسان. وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهم للمحبة والموالاة، ولكن بشرط أن يضمر خلافه، وأن يعرض في كل ما يقول، فإن التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب.

الحكم الثاني للتقية: هو أنه لو أفصح بالإيمان والحق حيث يجوز له التقية كان ذلك أفضل ودليله ما قاله الحسن: من أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم نعم نعم فقال: أفتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم. وكان مسيلمة يزعم أن رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش، فتركه ودعا الآخر فقال أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم قال: أفتشهد أني رسول الله؟ فقال: إني أصم ثلاثاً، فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئاً له وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه.

الحكم الثالث للتقية: أنـها إنما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعاداة، وقد تجوز أيضاً فيما يتعلق بإظهار الدين، فأما ما يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال والشهادة بالزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين، فذلك غير جائز البتة.

الحكم الرابع: ظاهر الآية يدل على أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالبين إلا أن مذهب الشافعي رضي الله عنه أن الحالة إذا شاكلت بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس.

الحكم الخامس: التقية جائزة لصون النفس، وهي جائزة لصون المال يحتمل أن يحكم فيها بالجواز. لقولـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ «حرمة مال المسلم كحرمة دمه».

ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من قتل دون ماله فهو شهيد» ولأن الحاجة إلى المال شديدة والماء إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء. وجاز الاقتصار على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال، فكيف لا يجوز ههنا والله أعلم.

الحكم السادس: قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتاً في أول الإسلام لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوة دولة الإسلام فلا. وروى عوف عن الحسن: أنه قال: التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة، وهذا القول أولى، لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان.

(١) في أ [وقرأ]. (٢) زيادة من ظ.

(٣) أي بغير إمالة. وحجة حمزة والكسائي أن (فعلت) منها بالياء إذا قلت (وقيت) فأبقيا في لام الفعل دلالة على أصله في (فعلت) وهي الإمالة. وحجة الباقين أن فتحة القاف تغلب على الألف فتمنعها من الإمالة. حجة القراءات لابن زنجلة ١٥٩.

تعلنوه للمؤمنين: ﴿يَعْلمه الله﴾ لأن الله عليم ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من عمل، فليس يخفى عليه شيء ﴿وَالله على كل شيء قدير﴾ من السر والعلانية والعذاب والمغفرة «قدد». ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ في الدنيا ﴿مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً﴾ يعني تجد ثوابه حاضراً، ولا ينقص من ثواب عمله شيء ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ﴾ يعني من شر في الدنيا ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمداً بَعِيداً﴾ يعني تتمنى النفس أن تكون بينها وبين ذلك العمل أجلاً بعيداً، كما بين المشرق والمغرب، ولم تعمل ذلك العمل قط، ثم قال ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَه﴾ أي عقوبته في عمل السوء ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال ابن عباس: يعني بالمؤمنين خاصة وهو رحيم بهم ويقال: رؤوف بالذين يعملون السوء حيث لم يعجّل بعقوبتهم. ويقال: ذكر في أول هذه الآية عدله عز وجل في قوله: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً». وفي وسطها تخويف وتهديد، وهو قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَه﴾ وفي آخرها ذكر رأفته ورحمته. وهو قوله ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

ثم قال: ﴿قُلْ إن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا كعب بن الأشرف وأصحابه إلى الإسلام، قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، يعني نحن في المنزلة بمنزلة الأبناء، ولنحن أشدّ حباً لله، فقال الله لنبيه: «قل: إن كنتم تحبون الله تعالى ﴿فاتبعوني﴾ على ديني، فإني رسول الله أؤدي رسالته ﴿يحببكم الله﴾ قال الزجاج: تحبون الله، أي تقصدون طاعته، فافعلوا ما أمركم الله عز وجل، لأن محبة الإنسان لله وللرسول، طاعته له ورضاه بما أمر، والمحبة من الله عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته ﴿وَيَغْفِر لَكُم ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ويقال: الحب من الله عصمته وتوفيقه والحب من العباد طاعة، كما قال القائل(١):

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذَا لَعَمْرِي فِي [القِيَاسِ](٢) بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ ... إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

فلما نزلت هذه الآية قالوا: إن محمداً يريد أن نتخذه حناناً، كما اتخذت النصارى عيسى حناناً فنزلت هذه الآية ﴿قل أطيعوا اللَّهَ والرسول﴾ فقرن طاعته بطاعة رسوله رغماً لهم ويقال: أطيعوا الله فيما أنزل، والرسول فيما بيّن، ﴿فإن تولوا﴾ يعني إن عرضوا عن طاعتهما، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾ أي لا يغفر لهم.

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾

﴿إن اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني اختاره، ويقال اختار دينه، وهو دين الإسلام، ويقال: قد اختاره لخمسة أشياء: أولها: أنه خلقه بأحسن صورة بقدرته، والثاني: أنه علّمه الأسماء كلها، والثالث: أنه أمر الملائكة أن يسجدوا له والرابع: أسكنه الجنة، والخامس: جعله [أباً للبشر](٣). واختار نوحاً عليه السلام بخمسة أشياء: أولها: أنه جعله [أباً للبشر](٤) لأن الناس كلهم غرقوا. فصارت ذريته هم الباقين، والثاني: أنه أطال عمره،

---

(١) القائل: هو الإمام الشافعي رضي الله عنه. والبيتان في ديوانه ص ٥٨.
(٢) في ظ [الفعال]. (٣) في ظ [اب البشر]. (٤) في ظ [اب البشر].

ويقال: طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمرهُ وحَسُن عَمَلُهُ، والثالث أنه استجاب دعاءه على الكفار والمؤمنين والرابع: أنه حمله على السفينة، والخامس: أنه كان أول من نسخ الشرائع، وكان قبل ذلك لم يحرم [تزوج][1] الخالات والأخوات والعمات. واختار (آل) إبراهيم[2] ـ عليه السلام ـ بخمسة أشياء: أولها: أنه جعله أبا الأنبياء، لأنه روي أنه خرج من [صلبه][3] ألف نبي من زمانه إلى [زمان][4] النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، والثاني: أنه اتخذه خليلاً، والثالث: أنه أنجاه من النار، والرابع: أنه جعله للناس إماماً، والخامس: أنه ابتلاه [الله بخمس كلمات][5] بكلمات فوفقه حتى أتمّهن. ثم قال: ﴿وَآلَ عِمْرانَ﴾ قال مقاتل: يعني به [أبا][6] موسى وهارون وقال الكلبي: هو عمران أبو مريم، وهو من ولد سليمان النبي ـ عليه السلام ـ «فإنه أراد به آل موسى وهارون، إنما كان اختارهما «على العالمين» حيث بعثا على قومه المن والسلوى، ولم يكن ذلك لأحد من الأنبياء في العالم، وإن أراد به أبا مريم، فإنه اصطفى آله يعني مريم بولادة عيسى ـ عليه السلام ـ بغير أب، ولم يكن ذلك لأحد في العالم[7]. وقال الكلبي: يعني اختار هؤلاء الذين ذكروا في هذه الآية ﴿عَلَى العَالَمِينَ﴾، يعني عالمي زمانهم.

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾

ثم قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْض﴾ أي بعضهم على إثر بعض، ويقال بعضهم على دين بعض. ﴿والله سميع﴾ لقولهم «عليم»، بهم وبدينهم، ويقال قوله: «والله سميع عليم» انصرف إلى ما بعده، أي سميع بقول امرأة عمران. ﴿إذ قالت امرأة عمران﴾ وهي حنة أم مريم امرأة عمران بن ماثان وذلك أنها لما حبلت، قالت: لئن نجاني الله، ووضعت ما في بطني لأجعلنه محرراً، والمحرر من لا يعمل للدنيا، ولا يتزوج، ويتفرغ لعمل الآخرة ويلزم المحراب، فيعبد الله تعالى فيه، وهذا قول مقاتل. وقال الكلبي: محرراً أي خادماً لبيت المقدس، ولم يكن محرراً إلا الغلمان، فقال لها زوجها: إن كان الذي في بطنك أنثى، والأنثى عورة فكيف تصنعين؟ فاهتمت بذلك وقالت: يا ﴿رب إني نذرت لك﴾ وأنت تعلم ﴿ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾ [السميع لدعائي العليم][8] بنيتي وما في بطني. ﴿فلما وضعتها﴾ أي ولدت فإذا هي أنثى ﴿قالت: رب إني وضعتها أنثى﴾ [يعني ولدتها][9] جارية ﴿والله أعلم بما وضعت﴾. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر «والله أعلم بما وَضَعْتُ» بجزم العين وضم التاء، يعني أن المرأة قالت: والله أعلم بما وَضَعْتُ، والباقون بنصب العين وسكون التاء، فيكون هذا

---

(١) في ظ [تزوج]. (٢) سقط في ظ. (٣) في أ [ذريته].
(٤) في أ [زمن]. (٥) سقط في ظ. (٦) في ظ [أب].
(٧) ذكر ذلك القرطبي [٤/٦٤].
(٨) في ظ [العليم لدعائي العليم]. (٩) في أ [أي وضعتها].

قول الله: إنه [يعلم][١] بما وضعت تلك المرأة[٢]. ثم قال تعالى: ﴿وَلَيس الذكر كالأنثى﴾ [في الخدمة][٣] قال بعضهم هذا قول الله لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس الذكر كالأنثى يا محمد. وقال بعضهم: هي كلمة المرأة: أنها قالت: وليس الذكر كالأنثى [في الخدمة، وقال مقاتل: فيها تقديم، فكأنه يقول: قالت رب إني وَضَعْتُهَا أُنْثَى وليس الذكر كالأنثى][٤] والله أعلم بما وضعت. ثم قالت: ﴿وإني سميتها مريم﴾ يعني خادم الرب بلغتهم ﴿وإني أعيذُها بك﴾ يعني أعصمها وأمنعها بك: ﴿وذريتها﴾ إن كان لها ذرية ﴿من الشيطان الرجيم﴾ يعني الملعون. ويقال: المطرود من رحمة الله، ويقال: الرجيم بمعنى المرجوم كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينَ﴾
حدثنا أبو الليث قال: حدثنا الخليل بن أحمد القاضي، قال: حدثنا أبو العباس، قال حدثنا إسحق بن إبراهيم، قال: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: ما من مولود يولد إلا والشيطان ينخسه حين يولد فيستهل صارخاً من الشيطان، إلا مريم وابنها عيسى ـ عليهما السلام ـ قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿وإني أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم﴾[٥].
وقال الزجاج[٦]: معنى قوله: «إذ» يعني، إن الله اختار آل عمران، إذ قالت امرأة عمران: واصطفاهم إذ قالت الملائكة وقال أبو عبيدة[٧]: معناه، قالت امرأة عمران، وقالت الملائكة و«إذ» زيادة وقال الأخفش: معناه، واذكر إذ قالت [امرأة عمران واذكر إذ قالت][٨] الملائكة. [وقال أهل اللغة[٩]: المحرر والعتيق في اللغة بمعنى واحد][١٠].
ثم إن حنة لفتها في خرق، [ثم][١١] وضعتها في بيت المقدس عند المحراب فاجتمعت القراء أي الزهاد فقال زكريا: أنا أحق بها، لأن خالتها عندي فقال القُرّاء: إن هذه محررة، فلو تركت لخالتها، فكانت أمها أحق بها، ولكن نتساهم، فخرجوا إلى عين سلوان، فأَلْقَوْا أقلامهم في النهر قال بعضهم: كانت أقلامهم من الشَّبَّة فغابت أقلامهم في الماء، وبقي قلم زكريا على وجه الماء. وقال بعضهم: كانت أقلامهم من قَصَب، فبقيت أقلامهم على وجه الماء وغاب قلم زكريا في الماء. وقال بعضهم: أَلْقَوْا أقلامهم في النهر، فسال الماء بأقلامهم إلا قلم زكريا، فإنه جرى من الجانب الأعلى، فعلموا أن الحق له فضمّها إلى نفسه، فذلك قوله تعالى ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾ أي تقبل منها نَذْرها ﴿وَأَنْبَتَهَا نباتاً حسناً﴾ وقال مجاهد: غذاها غذاء حسناً، ورباها تربية حسنة. ﴿وكفلها زكريا﴾ قرأ حمزة وعاصم والكسائي بالتشديد أي كفلها الله إلى زكريا، وقرأ الباقون بالتخفيف أي ضمها زكريا إلى نفسه[١٢]، وقرأ حمزة وعاصم والكسائي في رواية حفص: «زكريا» بغير إعراب وجزم الألف، وقرأ الباقون بالإعراب

---

(١) في أ [أعلم].
(٢) وحجة من قرأ بضم التاء: أنها قالت (رب إني وضعتها أنثى) كانت كأنها أخبرت الله بأمر هو أعلم به منها، فتداركت ذلك بقولها (والله أعلم بما وضعت) وأما الذين قرأوا بفتح العين وسكون التاء فحجتهم: أنها «قالت رب إني وضعتها أنثى» فكيف تقول بعدها «والله أعلم بما وضعت» أنا. . . . . وحجة أخرى: لو كان كله كلامها لكانت: (رب إني وضعتها أنثى) وأنت أعلم بما وضعت. حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٦٠، ١٦١.
(٣) من ظ.
(٤) ما بين المعقوفين من ظ.
(٥) أخرجه البخاري ٦/٤٦٩ من كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً» حديث (٣٤٣١) ومسلم ٤/١٨٣٨ في كتاب الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام (١٤٦/٢٣٦٦) (١٤٧/٢٣٦٦).
(٦) معاني القرآن واعرابه ١/٤٠٣.
(٧) مجاز القرآن ١/٩٠.
(٨) سقط من أ.
(٩) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٩٠.
(١٠) ما بين المعكوفين من أ.
(١١) من ظ.
(١٢) وحجة القارئين بتشديد الفاء: أنه رعاية للمعطوف عليه (فتقبلها) فكذلك (وكفلها) وحجة القارئين بالتخفيف إن الله قال (أيهم يكفل مريم) ولم يقل (يكفل). . . انظر/ حجة القراءات لابن زنجلة ١٦١ وكنز المعاني شرح حرز الأماني ص ٣١١.

والمد، وهما لغتان معروفتان عند العرب فمن قرأ «كفلها» بالتشديد قرأ زكريا بنصب الألف لأنه يصير مفعولاً ومن قرأ «كفلها» بالتخفيف، قرأ زكريا برفع الألف على معنى الفاعل[١]. وذكر في الخبر أن زكريا بنى لها محراباً في غرفة، وجعل باب الغرفة في وسط الحائط، لا يصعد إليها إلا بسلم واستأجر لها ظئراً[٢]، فكان يغلق عليها الباب، وكان لا يدخل عليها أحد إلا زكريا حتى كبرت، فإذا حاضت أخرجها إلى منزله فتكون عند خالتها وكانت خالتها امرأة زكريا[٣]، وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: كانت أختها امرأة زكريا، وكانت إذا طهرت من حيضها واغتسلت ردها إلى المحراب. وقال بعضهم: كانت لا تحيض، وكانت مطهرة من الحيض. وكان زكريا إذا دخل عليها في أيام الشتاء، رأى عندها فاكهة الصيف، وإذا دخل عليها في أيام الصيف وجد عندها فاكهة الشتاء. وكانت الحكمة في ذلك أن لا يدخل في قلب زكريا شيء من الريبة إذا رأى الفاكهة في غير أوانها وعلم أنه لم يدخل عليها أحد من الآدميين فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً﴾ ويقال: المحراب في اللغة أشرف المجالس، وهو المكان العالي[٤]. وقد قيل: إن مساجدهم كانت تسمى المحاريب، [فـ ﴿قال﴾ لها][٥] زكريا ﴿يا مريم أنّى لك هذا﴾ يعني من أين لك هذا، فإنه لا يدخل عليك أحد غيري، ﴿فقالت﴾ مريم ﴿هو﴾ أي هذا الرزق ﴿من عند الله﴾ أي من فضل الله ﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ في غير حينه ويقال: من حيث لا يحتسب.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿هنالك دعا زكريا ربه﴾ يقول: عند ذلك طمع في الولد، وكان آيسا من ذلك، وكان مفاتيح بيت القربان عند آبائه وقد صار ذلك بيده، وكان يخشى أن يخرج من أهل بيته إذا مات فقال عند ذلك: إن [الله][٦] قادر على أن يأتيها برزق الشتاء في الصيف وبرزق الصيف في الشتاء، فهو قادر أن يرزق لي الولد بعد الكبر فذلك قوله تعالى: «هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّه»، ﴿قَالَ: رَبِّ هَبْ لي مَن لُدْنَكَ﴾ أي من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَة﴾ أي من عندك تقية مهذبة، ويقال: مستوى الخلق، ويقال: مسلمة مطيعة، ويقال تقية ﴿إنك سميع الدعاء﴾ أي مجيب له.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَنَادَتْه المَلائِكَةُ، وَهُوَ قَائِمٌ يصلي في المحراب﴾ قرأ حمزة والكسائي بالياء: [أي جبريل][٧] ـ عليه السلام ـ وإنما صار مذكراً على معنى الجنس كما يقال: فلان ركب السفن، وإنما ركب سفينة واحدة، وقرأ الباقون

---

(١) انظر حجة القراءات ١٦١، ١٦٢، وكنز المعاني ٣١١.

(٢) الظئر: هي المرضعة غير ولدها (اللسان: ظأر).

(٣) انظر الطبري ٦/٣٤٩٥.

(٤) المحراب: صدر البيت، وأكْرَمُ موضع فيه، وهو أيضاً الغرفة، وهو عند العامة: الذي يقيمه الناس اليوم مقام الإمام في المسجد. والمحراب: القبلة، ومحاريب بني إسرائيل: مساجدهم التي كانوا يجلسون فيها. (اللسان: حرب).

(٥) في أ [فسألها]. (٦) في أ [الذي]. (٧) في ظ [أي ناداه].

«فنادته» على معنى التأنيث، لأن اللفظ لفظ الجماعة، والمراد به أيضاً جبريل(١) **﴿إن الله يبشرك بيحيى﴾**. قرأ حمزة وابن عامر «إن الله يبشرك» بكسر الألف، ومعناه فنادته الملائكة وقالوا له إن الله يبشرك وقرأ الباقون بالنصب ومعناه: فنادته الملائكة بأن الله يبشرك بيحيى(٢). قال مقاتل: اشتق اسمه من اسم الله تعالى والله تعالى حي فسماه الله تعالى يحيى، ويقال: لأنه أحيا [به](٣) رحم أمه. ويقال: لأنه حي به المجالس. [ويقال غير ذلك بيحيى بأن الله يحييه فيكون حياً عند الله أبداً لأنه شهيد، قال الله تعالى **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء﴾**](٤). ثم قال تعالى: **﴿مُصَدِّقاً بكلمة من الله﴾** يعني بعيسى - عليه السلام - وكان يحيى أول من صدق بعيسى - عليهما السلام - وهو ابن ثلاث سنين فشهد له: أنه كلمة الله وروحه، فلما شهد بذلك يحيى عجب بنو إسرائيل لصغره فلما [شهد](٥) سمع زكريا شهادته، فقام إلى عيسى فضمه إليه وهو في خرقه، وكان يحيى أكبر من عيسى بثلاث سنين. وقال بعضهم: صدقه وهو في بطن أمه، كانت أم يحيى عند مريم إذ سجد يحيى بالتحية لعيسى، وكل واحد منهما كان في بطن أمه(٦) وذلك قوله: مصدقاً بكلمة من الله **﴿وسيداً﴾** يعني حكيماً **﴿وحصوراً﴾**(٧) يعني لا يأتي النساء وهو قول الكلبي. وقال سعيد بن جبير: السيد الذي يملك غضبه، والحصور الذي لا يأتي النساء، وقال مقاتل: يعني لا ماء له، يعني أن: يحيى لم يكن له ماء في الصلب، وقال بعضهم: هذا لا يصح، لأن العنة عيب بالرجال والنبي. لا يكون معيباً، ولكن معناه، أنه كان مانعاً نفسه من الشهوات، لأن الذي يمنع [نفسه](٨) من الشهوات مع قدرته، كانت فضيلته أكثر من الذي لا قدرة له(٩). ثم قال تعالى: **﴿ونبياً من**

---

(١) راجع حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٦٢، كنز المعاني ص ٣١٢.

(٢) راجع حجة القراءات ١٦٢، ١٦٣، كنز المعاني ص ٣١٣.

(٣) في ظ [ربه في]. (٤) زيادة من ظ. (٥) سقط في ظ.

(٦) اعترض بأن هذا إنما يتم لو كان دعاء زكريا عليه السلام زمن طفولة مريم قبل العشر أو الثلاث عشرة، وليس في الآية سوى ما يشعر بأن زكريا عليه السلام لما تكرر منه الدخول على مريم ومشاهدته الرزق لديها وسؤاله وسماعه منها ذلك الجواب إشتاق إلى الولد فدعا بما دعا، وهذا الدعاء كما يمكن أن يكون في مبادىء الأمر يمكن أن يكون في أواخره قبيل حمل مريم، وكونه في الأواخر غير بعيد لما أن الرغبة حينئذ أوفر حيث شاهد عليه السلام دوام الأمر وثباته زمن الطفولة وبعدها، وهذا قلما يوجد في الأطفال إذ الكثير منهم قد يلقي الله تعالى على لسانه في صغره ما قد يكون عنه بمراحل في كبره فليس عندنا ما يدل صريحاً على أن بين الولادة والتبشير مدة مديدة ولا بين الدعاء والتبشير أيضاً، نعم عندنا ما يدل على أن يحيى أكبر من عيسى عليهما السلام وهو ما اتفق عليه المسلمون وغيرهم ففي إنجيل متى ما يصرح بأنه ولد قبله وقتله هيردوس قبل رفعه وأنه عمد المسيح والله تعالى أعلم بحقيقة الحال. انظر روح المعاني للألوس ١٤٧/٣.

(٧) قال أبو عبيدة: الحَصُور: له غير موضع، والأصل واحد، وهو الذي لا يأتي النساء، والذي لا يولد له، والذي يكون مع الندامى فلا يخرج شيئاً. والحصور أيضاً: الذي لا يخرج سراً أبداً. مجاز القرآن ٩٢/١.

(٨) سقط في ظ.

(٩) وهذا هو المختار عند أكثر المفسرين لأن الأنبياء لا نقيصة ولا عيب فيهم وعدم القدرة على النكاح وكذلك عدم وجود ماء الصلب نقص والفضل في كون القدرة على النكاح وكذلك ماء الصلب موجودتان في الإنسان ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه: درجة عليا وهي درجة نبينا - صلى الله عليه وسلم - الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه، بل زاده ذلك عبادة بتحصينهن وقيامه عليهن وإكسابه لهن وهدايته إياهن بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال: «حُبِّب إلي من دنياكم» هذا لقطة. والمقصود أنه مدح ليحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه أنه معصوم من الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: «هب لي من لدنك ذرية طيبة» كأنه قال ولداً له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦١، ٤٦٢.

الصالحين﴾ يعني أن يحيى كان نبياً من الصالحين فلما بشره جبريل بذلك: **﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾**، قال ذلك على وجه التعجب لا على وجه الشك، قال لجبريل: رب أي يا سيدي: من أين يكون لي غلام يعني ولد، وهذا قول الكلبي. وقال بعضهم قوله: رب، يعني قال: يا الله على وجه الدعاء يا رب من أين يكون لي ولد، **﴿وقد بلغني الكبر﴾** قال القتبي: هذا من المقلوب يعني بلغت الكبر. وقال الكلبي كان يوم بشر ابن تسعين سنة وامرأته قريبة في السن منه، وقال الضحاك: كان ابن مائة وعشرين سنة، فذلك قوله: وقد بلغني الكبر، أي الهرم، **﴿وامرأتي عاقر﴾** لا تلد، **﴿قال كذلك﴾** قال بعضهم: تم الكلام عند قوله كذلك، يعني، هكذا كما قلت إنه قد بلغك الكبر، وامرأتك عاقر، ثم قال تعالى: **﴿اللَّهُ يفعل ما يشاء﴾** وقال بعضهم: معناه، قال كذلك، يعني: الله تعالى، هكذا قال: أنه يكون لك ولد، والله يفعل ما يشاء إن شاء أعطاك الولد في حال الصغر وإن شاء في حال الكبر.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾

ثم قال تعالى: **﴿قال:** رب اجعل لي آية**﴾** يعني اجعل لي علامة حين حملت امرأتي [أعرف][١] **﴿قال: آيتك﴾** يعني علامة الحبل **﴿ألا تكلم الناس ثلاثة أيام﴾** يعني أنك تصبح فلا تطيق الكلام ثلاثة أيام **﴿إلَّا رَمْزاً﴾** أي كلاماً [خَفِيًّا][٢]. ويقال: الرمز بالشفتين والحاجبين، والإيماء باليد والرأس[٣]. قال بعضهم: كان منع الكلام عقوبة له، لأنه بُشِّر بالولد فسأل آية، فحبس الله لسانه [عن الناس][٤] ثلاثة أيام. ولم يحبسه عن ذكر الله وعن الصلاة. وقال بعضهم: لم يكن عقوبة، ولكن [كانت][٥] كرامة له حين جعلت له علامة لظهور الحبل، ومعجزة له. وروى أسباط عن السدي، أنه قال: لما بُشِّر بيحيى، قال له الشيطان: إن النداء الذي سمعت بالبشارة من الشيطان، ولو كان من الله لأوحى إليك، [كما أوحى إليك وإلى سائر الأنبياء][٦]، فقال عند ذلك: «اجْعل لي آية» حتى أعلم أن هذه البشارة [منك][٧] «قال: آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» وقال في آخرة أخرى: «ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً» يعني، أنك مستوي الخَلْق ولا علة بك. ثم أمره بذكر ربه، لأن لسانه لم يمنع عن ذكر الله تعالى، فقال **﴿واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار﴾** يعني بالغداة والعَشِيِّ، ويقال: بالليل والنهار.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وإذ قالت الملائكة﴾ يعني جبريل، **﴿يا مريم إنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾** يعني اختارك بالإسلام **﴿وَطَهَّرَكِ﴾** من الذنوب والفواحش ويقال: من دم الحيض والنفاس[٨]، **﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾** يعني بولادة عيسى بغير

---

(١) في أ [أعرف]. (٢) في أ [خفيفاً].

(٣) قال أبو عبيدة: «الا رمزاً» باللسان من غير أن يبين، ويخفض بالصوت مثل همس. مجاز القرآن ١/٩٣.

(٤) وردت في أ بعد قوله: ثلاثة أيام...

(٥) سقط من ظ. (٦) سقط من ظ. (٧) في ظ [من الله تعالى].

(٨) ذكر ذلك السيوطي في الدر عن السدي ٢/٢٣.

أب. وقال بعضهم: اصطفاك، أي: فضلك على نساء العالمين يعني عالمي زمانها[١] ﴿يا مريم اقنتي لربك﴾ يعني أطيعي ويقال: أطيلي القيام في الصلاة وقال مجاهد: قامت في الصلاة حتى تورَّمَتْ قدماها، ونحل جسمها ثم قال تعالى: ﴿واسْجُدي وارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعين﴾ أي مع المسلمين يعني [مع][٢] قراء بيت المقدس.

ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

قوله: ﴿ذلك من أنباء الغيب﴾[٣] يعني الذي ذكر في هذه الآية من قصة زكريا ومريم، من أخبار الغيب، مما غاب عنك خبره ولم تكن حاضراً، وفي الآية [دليل][٤] نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث أخبر عن قصة زكريا ومريم [ولم يكن قرأ الكتب، وأخبر عن ذلك][٥] وصدقه أهل الكتاب بذلك فذلك قوله تعالى [ذلك من أنباء الغيب][٦] ﴿نوحيه إليك وما كنت لديهم﴾ يعني لم تكن عندهم، وإنما تخبر عن الوحي، فقال: «وما كنت لديهم» ﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾ يعني يطرحون أقلامهم في النهر بالقرعة ﴿وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ في أمر مريم. ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم﴾ يعني جبريل [عليه السلام][٧] وحده ﴿إن اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ منه﴾. قرأ

---

(١) انظر المصدر السابق. (٢) زيادة من ظ. (٣) «ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك» آية ٤٤.

قال الزمخشري: فإن قلت: لم نفيت المشاهدة، وانتفاؤها معلوم بغير شبهة، وترك نفي إستماع الأنباء من حفاظها، وهو موهوم؟ قلت: كان معلوماً عندهم علماً يقيناً أنه ليس من أهل السماع والقراءة، وكانوا منكرين للوحي، فلم يبق إلا المشاهدة، وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة، فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي، مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة ونحوه «وما كنت بجانب الغربي» القصص ٤٤. «وما كنت بجانب الطور» القصص ٤٦. «وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم» يوسف ١٠٢. انتهى. الكشاف ١٨٩/١.

(٤) في ظ [دلالة].

(٥) زيادة من ظ. وهي في أ بعد قوله: وصدقه أهل الكتاب بذلك.

(٦) سقط من ظ. (٧) سقط من ظ.

نافع وعاصم وابن عامر «يُبَشِّرك» بالتشديد في جميع القرآن، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتشديد في جميع القرآن إلا في: «حم، عسق»: ذلك الذي يبشر الله عباده بالتخفيف، وقرأ حمزة بالتخفيف إلا في قوله «فَبِمَ تُبَشِّرُونَ» ووافقه الكسائي في بعضها، فمن قرأ بالتشديد فهو من (المباشرة)[1]، ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه يفرحك[2]. وكانت قصة البشارة أن مريم لما طهرت من الحيض، ودخلت المغتسل كما قال في سورة مريم: «إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً» يعني أرادت أن تغتسل في جانب المشرفة، فلما دخلت المغتسل رأت بشراً كهيئة الإنسان كما قال «فتمثل لها بشراً سوياً» فخافت مريم، ثم قالت: «إنّي أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً» لأن التقي يخاف الرحمن، فقال لها جبريل «أنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً ذكياً» وذكرها هنا بلفظ آخر ومعناه واحد قال: «إن الله يبشرك بكلمة منه» أي بـولد بغير أب يصير مخلوقاً بكلمة من الله وهو قوله كن فكان ﴿اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ ويقال: إنما سمي المسيح لأنه يسيح في الأرض ويقال: [المسيح بمعنى][3] الماسح، كان يمسح وجه الأعمى فيبصر. وقال الكلبي: المسيح الملك. ثم قال: ﴿وجيهاً﴾ أي ذا جاه ﴿في الدنيا و﴾ له [منزلة][4] ﴿في الآخرة﴾. وقال مقاتل: فيها تقديم، يعني وجيهاً في الدنيا [﴿ومن المقربين﴾ في][5] الآخرة عند ربه. وقال الكلبي وجيهاً في الدنيا، يعني في أهل الدنيا بالمنزلة وفي الآخرة من المقربين في جنة عدن. ﴿ويُكَلِّمُ النَّاسَ في الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾ أي في حال صغره وهو [طفل][6] في حجر أمه طفلاً، وكهلاً، يعني إذا اجتمع عقله وكبر. فإن قيل: ما معنى قوله كهـلاً؟ والكلام من الكهل لا يكون عجباً، قيل له: المراد منه كلام الحكمة والعبرة. ويقال كهلاً: بعد نزوله من السماء وهو قول الكلبي. ﴿ومن الصالحين﴾ مع آبائه في الجنة ﴿قالت﴾ مريم ﴿رب أنَّى يكونُ لي وَلَدٌ﴾ يعني من أين يكون لي ولد ﴿ولم يمسسني بشر﴾ وهو كناية عن الجماع فـ﴿قال﴾ جبريل ﴿كذلك﴾ يعني هكذا كما قلت أنه لم يمسسك بشر، ولكن ﴿الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً﴾ يعني إذا أراد أن يخلق خَلْقاً ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ فنفخ جبريل في جيبهـا، يعني في نفسها. قال بعضهم: وقع نفخ جبريل في رحمها فعلقت بذلك. وقال بعضهم: لا يجوز أن يكون الخلق من نفخ جبريل، لأنه يصير الولد بعضه من الملائكة وبعضه من الإنس ولكن سبب ذلك أن الله تعالى لما خلق آدم ـ عليه السلام ـ وأخذ الميثاق من ذريته، فجعل بعضهم في أصلاب الآباء، وبعضهم في أرحام الأمهات، فإذا اجتمع الماءان صار ولداً وإن الله تعالى جعل المَاءَيْن جميعاً في مريم بعضه في رحمها، وبعضه في صلبها، فنفخ فيها جبريل لتهييج شهوتها، لأن المرأة ما لم تهج شهوتها لا تحبل، فلما هاجت شهوتها بنفخة جبريل، وقع الماء الذي كان في صلبها في رحمها فاختلط الماءان فعلقت بذلك، فذلك قوله: «إذا قَضَى أمراً» يعني إذا أراد أن يخلق خلقاً سبحانه، «فإنما يقول له: كن فيكون» بغير أب. ثم قـال تعالى: ﴿ويعلّمـه الكتاب﴾. قرأ نافع وعاصم ﴿وَيُعلِّمه﴾ بالياء يعني أن الله يعلمه، وقرأ الباقون بالنون، ومعنـاه، أن الله يقول: ونعلمه ﴿الكتاب﴾[7]، يعني كتب الأنبياء، [وهذا][8] قول الكلبي. وقال مقاتل: يعني الخط، والكتابة، فعلّمه الله بالوحي والإلهام ﴿والحكمة﴾ يعني الفقه ﴿والتوراة والإنجيل﴾ يعني يحفظ التوراة [عن][9] ظهر قلبه وقال بعضهم وهو عالم بالتوراة. وقال بعضهم: ألهمه الله بعدما كبر حتى تعلم في مدة يسيرة. ثم قال: ﴿ورسولاً إلى بني

---

(١) في ظ [البشارة].
(٢) راجع حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٦٣ وكنز المعاني ٣١٣.
(٣) سقط من ظ.
(٤) في أ [منزل].
(٥) في أ [و].
(٦) سقط في ظ.
(٧) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ١٦٣، كنز المعاني ٣١٤.
(٨) في أ [وهذا].
(٩) في أ [على].

إسرائيل﴾ نصب رسولاً لمعنيين: أحدهما: يجعله رسولاً إلى بني إسرائيل. والثاني: ويكلم الناس ورسولاً. أي في حال رسالته إلى بني إسرائيل دليله أنه قال: **﴿أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾**(١) . [وذكر الزجاج: فالمعنى ـ والله أعلم ـ ويكلمهم رسولاً بأني قد جئتكم بآية من ربكم](٢). ثم أخبر عن أداء رسالته بعدما أوحى إليه في حال الكبر حيث قال لقومه: [أني](٣) قد جئتكم بآية [من ربكم](٤). يعني علامة لنبوتي. ثم بيّن العلامة فقال: **﴿إني أخلق [أي أقدر](٥) لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله﴾**. ويقال: إن الناس سألوه عنه على وجه التعنت، فقالوا له: أخلق لنا خفَّاشاً واجعل فيه روحاً إن كنت صادقاً في مقالتك فأخذ طيناً وجعل منه خفاشاً، ونفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض فكأن تسوية الطين والنفخ من عيسى ـ عليه السلام ـ والخلق من الله عز وجل كما أن النفخ من جبريل عليه السلام والخلق من الله عز وجل. ويقال: إنما طلبوا منه خلق خفاش لأنه أعجب من سائر الخلق، ومن عجائبه أنه لحم ودم يطير بغير ريش، ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما تبيض سائر الطيور، ويكون له ضرع يخرج منه ابن ولا يبصر في ضوء النهار، ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في ساعتين بعد غروب الشمس ساعة، وبعد طلوع الفجر ساعة، قبل أن يسفر جداً، ويضحك كما يضحك الإنسان، ويحيض كما تحيض المرأة، فلما أن رأوا ذلك منه ضحكوا وقالوا: هذا سِحْر. ثم قال تعالى: **﴿وأُبرىء الأكمه والأبرص﴾** الأكمه: الذي ولد أعمى، فقالوا: إن لنا أطباء يفعلون مثل هذا، فذهبوا إلى جالينوس وأخبروه بذلك، فقال جالينوس: إذا ولد أعمى لا يبصر بالعلاج، والأبرص: إذا كان بحال إذا غرزت الإبرة فيه لا يخرج الدم منه لا يبرأ بالعلاج. فرجعوا إلى عيسى عليه السلام وجاءوا بالأكمه والأبرص، فمسح يده عليهما فأبصر الأعمى وبرأ الأبرص، فآمن به بعضهم وجَحَد بعضهم، وقالوا: هذا سِحْر، ثم قال تعالى: **﴿وأُحْيي الموتى بإذن الله﴾** فأَخْبَروا بذلك «جالينوس»، فقال: الميت لا يعيش ولا يحيى بالعلاج، فإن كان هو يحيي الموتى فهو نبي، وليس بطبيب، فطلبوا منه أن يحيي الموتى فأحيا أربعة نفر، أحدهم: عازر، وكان صديقاً له فبلغه أنه مات فذهب مع أصحابه، وقد دفن، وأتى عليه أيام، فدعا الله فقام بإذن الله تعالى وَوَدَكُه يقطر، فعاش وَوُلد له. والثاني: ابن العجوز: مَرّ به وهو يحمل على سرير فدعا الله فقام بإذن الله تعالى ولبس ثيابه، وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله. والثالث: [ابنة](٦) من بنات العاشر، ماتت، وأتى عليها ليلة فدعا الله تعالى، فعاشت بعد ذلك وولد لها. والرابع سام بن نوح، لأن القوم قالوا له: إنك تحيي من كان موته قريباً فلعلهم لم يموتوا وأصابتهم سكتة، فأحيي لنا سام بن نوح فقال: دلوني على قبره، فخرج وخرج القوم معه حتى انتهوا إلى قبره فدعا الله [تعالى فأحياه وخرج](٧) من قبره، قد [شابت](٨) رأسه، فقال له عيسى كيف شابت رأسك ولم يكن في زمانكم شيب، فقال: يا روح الله، إنك لما دعوتني سمعت صوتاً يقول: أَجِبْ روحَ الله، فظننت أن القيامة قد قامت، فمن ذلك الهول شابت رأسي، فسأله عن النَّزْع، فقال له: يا [روح](٩) الله إن [مرارة](١٠) النزع لم تذهب عن حنجرتي، وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة، [ثم قال](١١) للقوم: صدقوه فإنه نبي [الله](١٢). فآمن به بعضهم [وكذب به](١٣) بعضهم، وقالوا: هذا ساحر، فأرنا آية نعلم أنك صادق فأخبرنا بما نأكل في بيوتنا، وما نَدَّخر للغد، فأخبرهم، فقال يا فلان

---

(١) فصل أبو حيان الكلام في نصب «رسولاً» وزاد على هذين الوجهين وجوهاً أخرى راجع/ البحر المحيط ٢/٤٦٤.

(٢) ما بين المعقوفين من ظ.
(٣) سقط في ظ.
(٤) سقط في ظ.
(٥) سقط في ظ.
(٦) في أ [بنت].
(٧) في ظ [فخرج].
(٨) في ظ [شاب].
(٩) في ظ [نبي].
(١٠) في أ [حرارة].
(١١) في ظ [مقال].
(١٢) سقط في ظ.
(١٣) في ظ [وكذبه].

أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا، وادّخرت كذا وكذا، فذلك قوله عز وجل ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر ويقال: إن الله بعث كل نبي إلى قومه وأظهر لهم نوع ما كانوا يعرفونه، فكان في زمن موسى ـ عليه السلام ـ الغالب عليهم السحر، فبيَّن لهم من جنس ذلك، ليعرفوا أن ذلك ليس بِسِحْر، وأنه من الله تعالى. وكان الغالب في زمن عيسى ـ عليه السلام ـ علم الطب فجاءهم عيسى بما عجز الأطباء عنه، فعرف الأطباء أن ذلك ليس من الطب. وكان في زمن نبينا ـ عليه السلام ـ الفصاحة والشعر، فجاءهم بقرآن عجز الفصحاء، والشعراء عن إتيان مثله ثم قال تعالى: ﴿إن في ذلك لآية لكم﴾ يعني فيما صنع عيسى ـ عليه السلام ـ علامة لنبوته ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي مصدقين أنه نبي. قرأ نافع: فيكون طائراً، وكذلك في سورة المائدة وقرأ الباقون بغير ألف: ومعناهما واحد[١]، ويقال: الطائر واحد، والطير جماعة. ثم قال: ﴿ومُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ من التوراة﴾ ومعناه، جئتكم مصدقاً، يعني [الكتاب][٢] الذي أنزل على وهو الإنجيل «مُصَدِّقاً» أي موافقاً لما بين يدي من التوراة. ﴿ولأحل لكم﴾ يعني أرخص لكم ﴿بعض الذي حُرِّم عليكم﴾ مثل الشحوم، ولحوم الإبل، ولحم كل ذي ظفر، وأما الميت ولحم الخنزير فهو حرام [أبداً][٣] قوله: ﴿وجئتُكم بآية من ربكم﴾ يعني أني لم أحل لكم شيئاً بغير برهان، فحقيق عليكم اتباعي لأني أتيتكم ببرهان، [وأتيتكم][٤] بتحليل الطيبات ﴿فاتقوا الله﴾ [فيما أمركم ونهاكم][٥]﴿وأطيعون﴾ فيما آمركم، وأنهاكم وأنصح لكم ﴿إن الله ربي وربكم﴾ هذا تكذيب لقول النصارى حيث قالوا: إن الله هو المسيح، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة فاعترف عيسى أنه عبد الله، وهو قوله تعالى: «إن الله ربي وربكم» أي خالقي وخالقكم، ورازقي ورازقكم، ﴿فاعبدوه﴾ أي وحدوه ولا تشركوا به شيئاً ﴿هذا صراط مستقيم﴾ يعني هذا التوحيد الذي أدعوكم إليه طريق مستقيم لا عوج فيه وهو طريق الجنة.

فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾

﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ قال الكلبي: فلما عرف منهم الكفر بالله. ويقال: فلما سمع منهم كلمة الكفر، وقال الزجاج[٦]: أحس في اللغة علم ووجد. ويقال: هل أحسست الخبر، أي هل عرفته وعلمته، وقال مقاتل: فلما رأى من بني إسرائيل الكفر، كقوله ـ عز وجل ـ «هل تُحِسُّ مِنْهُم مِنْ أَحَدٍ» يعني هل ترى. ويقال: [إنه لما علم][٧] عيسى أنهم أرادوا قتله: ﴿قال: مَنْ أَنْصَاري إلى اللَّهِ﴾ يقول من أعواني مع الله؟ قال القتبي: إلى [هاهنا][٨]: بمعنى «مع» مثل قوله: «ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم» أي مع أموالكم، كما يقال: الذود إلى الذود إبل، أي مع الذود، فقال: «مَنْ أَنْصَاري إلى الله» أي مع الله ﴿قال الحَوارِيُّون: نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ قال الكلبي: الحواريون: هم أصفياء عيسى ـ عليه السلام ـ وكانوا اثني عشر رجلاً، وقال مقاتل: كانوا قَصَّارين[٩]فمر بهم

(١) راجع حجة القراءات لابن زنجلة ١٦٤، كنز المعاني ٣١٥.
(٢) في أ [للكتاب].
(٣) سقط في أ.
(٤) في أ [وأنبئكم].
(٥) سقط في ظ.
(٦) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٢١.
(٧) في أ [لما رأى].
(٨) سقط في ظ.
(٩) القصار والمقصر: المحور للثياب لأنه يدقها بالقصرة التي هي القطعة من الخشب وحرفته القصارة. (اللسان: قصر).

عيسى ـ عليه السلام ـ وقال «من أنصاري إلى الله»، قالوا: نحن أنصار الله، ويقال: إنـه مر بهم وهم يغسلون الثياب، فقال لهم إيش تصنعون؟ قالوا: نطهر الثياب فقال: ألا أدلكم [بطهارة][1] أنفع من هذا، قالوا نعم، فقال: تَعالَوْا حتى نطهرَ أنفسنا من الذنوب فبايعوه، ويقال إنهم كانوا صيادين، فمرَّ بهم وقال: ألا أدلُّكم على اصطياد أنفعَ لكم من هذا، قالوا: نعم، فقال: تَعالَوْا حتى نصطاد أنفسنا من شر إبليس فبايعوه[2]. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: إنما سُمُّوا حواريين لبياض ثيابهم، وكانوا صيّادين[3]. وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «الزبير: ابْنُ عَمَّتي وَحَوارِيَّ من أُمَّتي[4]»، يعني به الخالص، فهذا يكون دليلاً لقول الكلبي إنهم خواصه وأصفياؤه. ومعنى آخر: نحن أنصار الله، يعني أنصار دين الله ﴿آمَنَّا بالله﴾ أي صدقنا بتوحيد الله ﴿واشهد بأنا مسلمون﴾ يعني أشهدنا لأنه على ذلك، فاشهد يا عيسى بأنا مسلمون. ثم قالوا: ﴿رَبَّنا آمَنَّا بما أنزلت﴾ من الإنجيل على عيسى ﴿واتبعنا الرسول﴾ أي عيسى عليه السلام على دينه ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ يعني اجعلنا مع من أسلم قبلنا، وشهدوا بوحدانيتك.

وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾

ثم قال تعالى: حكاية عن كفار قومه ﴿ومكروا﴾ يعني أرادوا قتل عيسى عليه السلام ـ ﴿ومكر الله﴾ تعالى، أي جـازاهم جزاء المكر، ﴿والله خير الماكرين﴾ لأن مكرهم جَوْرٌ، ومكر الله عَدْل. قال الكلبي: وذلك أن اليهود اجتمعوا على قتل عيسى فدخل عيسى عليه السلام البيت هارباً منهم فرفعه جبريل من الكوَّة إلى السماء، كما قال في آية أخرى: «وأيَّدْناه بروح القدس» فقال ملكهم لرجل خبيث يقال له يهوذا: ادخل عليه فاقتله، فدخل الرجل الخوخة فلم يجد هناك عيسى، وألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام [فلما خرج رأوه على شبه عيسى][5]، فأخذوه وقتلوه وصلبوه، ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى، وبدنه يشبه بدن صاحبنا، فإن كان هـذا [عيسى فأين صاحبنا][6] وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ فوقع بينهم قتال، فقتـل بعضهم بعضاً [فلمـا خرجـوا رأوه على بيت][7]، فذلك قوله «وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ». قال الضحاك: وكانت القصة أن اليهود [خذلهم الله تعالى][8]، لما أرادوا قتل عيسى ـ عليه السلام ـ اجتمع الحواريون في غرفة، وهم اثنا عشر رجلاً، فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة، فأخبر إبليسُ جميع اليهود فركب منهم أربعة آلاف رجل [فأحدقوا][9] بالغرفة، فقال المسيح للحواريين: أيكم يخرج فَيُقْتَلُ وهو معي في الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا يا نبي الله فألقى إليه مدرعة من

---

(١) في ظ [بقصارة].

(٢) راجع (مادة: حور) في لسان العرب، فقد ذكر هذه المعاني وزيادة، ونقل عن الزجاج قوله: وتأويل الحواريين في اللغة الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب، وكذلك الحواري من الدقيق، سمي به لأنه يُنقى من لباب البُرّ. قال: وتأويله في الناس: الذي قد رجع في اختياره مرة بعد مرة، فوجد نقياً من العيوب. انظر/ اللسان/ حور. ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٩٥.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٦٥/ ٤٤٩ (٧١٢٤) والحُوّاري بضم الحاء وتشديد الواو، وراء مفتوحة هو ما حور الطعام، أي بيض، ودقيق حواري هو الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه.

(٤) أخرجه البخاري ٦/ ٥٢ في الجهاد/ باب فضل الطليعة (٢٨٤٦) ومسلم ٤/ ١٨٧٩ في فضائل الصحابة/ باب من فضائل طلحة والزبير. (٤٨/ ٢٤١٥) وأخرجه أحمد في المسند ١/ ١٠٢ وأورده ابن منظور في لسان العرب ثم قال: أي خاصة من أصحابي وناصري. (اللسان: حور).

(٥) ما بين المعقوفين من ظ. (٦) سقط في ظ. (٧) سقط في ظ.

(٨) سقط في ظ. (٩) في ظ [أي تحلقوا].

صوف وعمامة من صوف، وناوله عكازه، فألقي عليه شبه عيسى ـ عليه السلام ـ فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه، وأما المسيح فكساه الله الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار في الملائكة.

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ آللَّهُ يا عِيسَى إنّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إليَّ﴾ ففي الآية تقديم وتأخير، ومعناه إني رافعك من الدنيا إلى السماء، ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء على عهد الدجال، ويقال: إنه ينزل ويتزوج امرأة من العرب بعدما يقتل الدجال، وتلد له ابنة فتموت ابنته، ثم يموت هو بعدما يعيش سنين، لأنه قد سأل ربه أن يجعله من هذه الأمة فاستجاب الله دعاه، وروي عن أبي هريرة: أنه جاء إلى الكتاب وقال للمعلم: قل للصبيان حتى يسكتوا، فلما سكتوا، قال لهم: أيها الصبيان من عاش منكم إلى وقت نزول عيسى عليه السلام فليقرئه مني السلام، وإني كنت أرجو أن لا أخرج من الدنيا حتى أراه [هذا كناية عن قرب الساعة][1] ثم قال ﴿ومطهرك﴾ أي منجيك ﴿من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك﴾ على دينك ﴿فوق الذين كفروا﴾ بالحجة والغلبة ﴿إلى يوم القيامة﴾[2] [وروي عن عبد الله][3] بن عباس أنه قال: الذين اتبعوه هم أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنهم هم الذين صدّقوه، ثم قال ﴿ثم إليَّ مَرْجِعُكم﴾ يعني الذين اتبعوك والذين كفروا، كلهم مرجعهم إلي ﴿فأحكم بينكم﴾ يعني بين المؤمنين والكفار ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾، من الدين. ثم أخبر عن حال الفريقين في الآخرة فقال: ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة﴾ في الدنيا بالقتل والجزية، وفي الآخرة بالنار ﴿وما لهم من ناصرين﴾ يعني مانع يمنعهم من عذاب الله ﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، قال مقاتل: [هم][4] أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ قرأ عاصم في رواية حفص [فيوفيهم][5] بالياء يعني يوفيهم أجورهم وأما الباقون بالنون[6]. يعني أن الله قال: فنوفيهم أجورهم، وهذا لفظ الملوك، إنهم [يتكلمون][7] بلفظ الجماعة، ويقولون: نحن نفعل كذا وكذا ونكتب إلى فلان، ونأمر بكذا، فالله تعالى خاطب العرب بما يفهمون فيما بينهم، كما قال في سائر المواضع: «إنا أرسلنا»، «إنا أنزلنا» وكذلك هاهنا قال: «فنوفيهم أجورهم» أي نعطيهم ثواب عملهم ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ أي لا يرضى دين الكافرين.

ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات﴾ يقول هذه الآيات وهذه القصص [بينات][8] في القرآن «وأنزلنا عليك»

---

(١) سقط في ظ.
(٢) في أ [حتى من كان موته قريباً].
(٣) في أ [قال عن].
(٤) سقط في ظ.
(٥) سقط في ظ.
(٦) انظر/ حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٦٤، وكنز المعاني ص ٣١٥.
(٧) في ظ [يذكرون أنفسهم].
(٨) في ظ [بيناه].

جبريل ليقرأ عليك من الآيات يعني من البيان ﴿والذكر الحكيم﴾ يعني القرآن كله. وقال الكلبي الذكر الحكيم الذي عند رب العالمين، في درة بيضاء وهو اللوح المحفوظ، ويقال هو القرآن، لأنه محكم ليس فيه تناقض ولا يقدر [أحد أن يأتي بمثله][١]. ويقال: هو الشرف كقوله: «وإنه لذكر لك ولقومك».

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾

ثم قال ﴿إن مثل عيسى عند الله﴾ [نزلت][٢] في وفد نجران السيد والعاقب والأسقف وجماعة من علمائهم وأحبارهم، قدموا على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وناظروه في أمر عيسى ـ عليه السلام ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو عبد الله ورسوله، فقالوا: أرنا خلقاً من خلق الله تعالى بغير أب، وكان يحيـي الموتى وكان فيه دليل على ما قلنا وكانوا يقولون: إنه اتخذه ابناً، فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أسلموا فقالوا: قد أسلمنا قبلك، فقال لهم: كذبتم، إنما يمنعكم من الإسلام ثلاث، أكل لحم الخنزير، وعبادة الصليب وقولكم لله ولد، فقالوا له: من أبو عيسى؟ فنزل قوله تعالى: «إن مثل عيسى عند الله»[٣]﴿كمثل آدم﴾ يعني شبه خلق عيسى عند الله كشبه خلق آدم ﴿خَلَقَهُ من تُرابٍ﴾ يعني صوّره من غير أب ولا أم ﴿ثم قال له كُنْ فيكون﴾ فكان بشراً بغير أب [كذلك عيسى كان بشراً بغير أب][٤] وفي هذه الآية دليل [علمي][٥] أن الشيء يشبه بالشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن [يجتمعا][٦] في وصف واحد، كما أن هاهنا خلق آدم من تراب، ولم يخلق عيسى من تراب، وكان بينهما فرق من هذا الوجه ولكن الشبه بينهما أنه خلقهما من غير أب، ولأن أصل خلقهما جميعاً كان من تراب، لأن آدم لم يخلق من نفس التراب، ولكنه جعل التراب طيناً، ثم جعله صلصالاً، ثم خلقه منه، فكذلك عيسى عليه السلام حوله من حال إلى حال ثم خلقه بشراً من غير أب.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٦١﴾

ثم قال تعالى: ﴿الحق من ربك﴾ يعني [خبر عيسى][٧]، كما أخبرتك وأنبأتك في القرآن ﴿فلا تكن من الممترين﴾ أي من الشاكين. [ويقال: المثل الذي ذكر في عيسى هو الحق من ربك، وهذا الخطاب للنبي ـ صلى

---

(١) في ظ [على مثله]. (٢) في ظ [نزل].

(٣) قال الرازي: الحكماء قالوا: إنما خلق آدم عليه السلام من تراب لوجوه: ـ الأول: ـ ليكون متواضعاً، الثاني: ـ ليكون ستاراً، الثالث: ـ ليكون أشد التصاقاً بالأرض. وذلك لأنه إنما خلق لخلافة أهل الأرض. قال تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [سورة البقرة ٣]، الرابع: ـ أراد الحق إظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التي هي أضوأ الأجرام وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق آدم من التراب الذي هو أكثف الأجرام ثم أعطاه المحبة والمعرفة والنور والهداية. والخامس: ـ خلق الإنسان من تراب ليكون مطفئاً لنار الشهوة والغضب. انظر الفخر الرازي ٨/ ٨٠ بتصرف.

(٤) ما بين المعقوفين من ظ. (٥) سقط في أ.

(٦) في أ [يجتمعان] وهو خطأ لأنه فعل منصوب بين وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة.

(٧) في أ [جبريل عليه السلام].

الله عليه وسلم ـ، والمراد منه جميع من اتبعه ومعناه فلا تكونوا من الممترين، أي من الشاكين][1]، يعني إن مثله كمثل آدم ـ عليهما السلام ـ ﴿فمن حاجك فيه﴾ وذلك أن النصارى لما أخبرهم بالمثل في حق عيسى عليه السلام قالوا ليس كما تقول، وهذا ليس بمثل، فنزلت هذه الآية: ﴿فمن حاجك فيه﴾ يعني، خاصمك في أمر عيسى عليه السلام ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ أي من البيان في أمره ﴿فقل: تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ أي نخرج أبناءنا وأبناءكم، ﴿و﴾ نخرج ﴿نساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ [يعني نحن بأنفسنا، ويقال: إخواننا][2] ونجتمع في موضع ﴿ثم نبتهل﴾ أي نلتعن[3]، وقال مقاتل يعني نخلص في الدعاء، ويقال هي المبالغة في الدعاء والتضرع ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ فواعدهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يخرجوا للملاعنة فجعلوا وقتاً للخروج وتفرقوا على ذلك، ثم ندموا، فلما [كان][4] ذلك اليوم خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأخذ بيد الحسن والحسين، وخرج معه علي بن أبي طالب، وفاطمة ـ فلما اجتمعوا في [الموضع][5] الذي واعدهم، طلب منهم الملاعنة، فقالوا نعوذ بالله، فقال لهم: إما أن [تلعنوا][6] وإما أن تسلموا، وإما أن [تؤدوا][7] الجزية،

---

(١) ما بين المعقوفين من ظ. (٢) ما بين المعقوفين من ظ.

(٣) قال أبو عبيدة: نبتهل: أي نلتعن، يقال ما له بهله الله، ويقال عليه بهلة الله... إلخ. (مجاز القرآن ١/٩٦).

وقال ابن منظور: (وابتهال: التضرع، والاجتهاد في الدعاء وإخلاصه لله عز وجل، وفي التنزيل العزيز «ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» أي يخلص ويجتهد كل منا في الدعاء واللعن على الكاذبين منا اللسان: بهل).

قال الزمخشري: فإن قلت ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه، وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه، فما معنى ضم الأبناء والنساء؟ قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله، واستيفائه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك. ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة. وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب، ويسمون الذادة عنهم بأرواحهم حماة الحقائق. وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها، وفيه دليل، لا شيء أقوى منه، على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام. وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك. الكشاف ١/١٩٣.

استنبط من الآية جواز المحاجة في أمر الدين، وأن من جادل وأنكر شيئاً من الشريعة جازت مباهلته اقتداء بما أمر به ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمباهلة الملاعنة.

قال الكازروني في تفسيره: وقع البحث عند شيخنا العلامة الدواني قدس الله سره في جواز« المباهلة بعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكتب رسالة في شروطها المستنبطة من الكتاب والسنة والآثار، وكلام الأئمة، وحاصل كلامه فيها أنها لا تجوز إلا في أمر مهم شرعاً، وقع فيه اشتباه وعناد لا يتيسر دفعه إلَّا بالمباهلة، فيشترط كونها بعد إقامة الحجة والسعي في إزالة الشبهة وتقديم النصح والإنذار وعدم نفع ذلك ومساس الضرورة اليها قال الإمام صديق خان في تفسيره: وقد دعا الحافظ ابن القيم، رحمه الله، من خالفه في مسألة صفات الرب تعالى شأنه وإجرائها على ظواهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل، إلى المباهلة بين الركن والمقام فلم يجبه إلى ذلك وخاف سوء العاقبة. وتمام هذه القصة مذكور في أول كتابه المعروف بـ «النونية» ـ انتهى ـ وقد ذكر في «زاد المعارف» في فصل فقه قصة وفد نجران ما نصه: ومنها أن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة وقد أمر الله، سبحانه، بذلك رسوله، ولم يقل إن ذلك ليس لأمتك من بعدك. ودعا إليه ابن عمه عبد الله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع، ولم ينكر عليه الصحابة، ودعا إليه الأوزاعي سفيان الثوري في مسألة رفع اليدين ولم ينكر عليه ذلك، وهذا من تمام الحجة. انتهى. انظر تفسير القاسمي ٤/٨٦٠.

(٤) في أ [جاء]. (٥) في أ [الموعد]. (٦) في ظ [تلتعنوا].

(٧) في ظ [تقبلوا].

فقبلوا الجزية، وصالحوه بأن يؤدوا كل سنة ألفي حلة [ألف][١] حلة في المُحَرَّم [وألف][٢] حلة في رجب، وأُمِّرَ عليهم «أبا عبيدة بن الجراح»، ورجعوا ـ فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو أنهم التعنوا لهلكوا كلهم حتى العصافير في سقوف الحيطان.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

ثم قال الله تعالى: **﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَق﴾** يعني ما [أُخْبِرُوا][٣] من أمر عيسى عليه السلام هو الخبر الحق يعني أنه كان عبدَ الله ورسولَه. ويقال: هذا القرآن هو الحق: **﴿وما من إلهٍ إلاَّ اللَّه﴾** لا شريك له **﴿وإن الله لَهُوَ العزيز الحكيم﴾** العزيز في ملكه، الحكيم في أمره حكم بخلق عيسى في بطن أمه من غير أب. **﴿فإن توَلَّوا﴾** يقول: أَبَوْا، ولم [يسْلموا][٤] **﴿فإن الله عليمٌ بالمُفْسِدِين﴾** يجازيهم بذلك، وهذه كلمة تهديد **﴿قل يا أَهْلَ الكتابِ تَعَالَوْا إلى كلمةٍ سَوَاءٍ بيننا وبينكم﴾** يعني كلمة عدل بيننا وبينكم. ويقال في قراءة عبد الله بن مسعود: «إلى كلمة عدل بيننا وبينكم» يعني، لا إله إلا الله وهي كلمة الإخلاص ويقال: إلى كلمة تسوى بيننا وبينكم، فتصير دماؤكم كدمائنا، وأموالكم كأموالنا، **﴿أَلاَّ نعبدَ إلاَّ اللَّه﴾** يعني ألا نُوَحِّد إلا الله **﴿ولا نشرك به شيئاً﴾** من خلقه **﴿ولا يتخذ بَعْضُنَا بعضاً أَرْبَاباً من دونِ اللَّهِ﴾** لأنهم اتخذوا عيسى رباً من دون الله ويقال: لا يطيع بعضنا بعضاً في المعصية كما قال: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أرباباً من دون الله» أي أطاعوهم في المعصية، ويقال لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً كما قالت النصارى إن اللَّه ثالثُ ثلاثة **﴿فإن تَوَلَّوْا﴾** يعني أبوا عن التوحيد **﴿فقـولوا﴾** لهم يـا معشر المسلمين **﴿اشهدوا بأَنَّا مسلمون﴾** أي مخلصون لله بالعبادة والتوحيد **﴿يا أهل الكتاب لم تُحَاجُّون في إبراهيم﴾** وذلك أن اليهود والنصارى كانوا اجتمعوا في [بيت][٥] مدرسة اليهود، وكل فريق يقول: كان إبراهيم منا، وكان على ديننا فنزل: **﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾** أي لِمَ تخاصمون في دين إبراهيم **﴿وما أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ والإِنْجِيلُ إلا من بَعْدِهِ﴾** يعني من بعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولكن اليهودية والنصرانية إنما سميت بهذا الإسم بعد نزول التوراة والإنجيل. وقال الكلبي: نزلت في شأن النفر الذين كانوا بالحبشة من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهم جعفر الطيار وغيره [كما قال الله تعالى «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً» أي أطاعوهم في المعصية][٦] [وكانت][٧] بينهم وبين أحبار الحبشة مناظرة في ذلك [الوقت][٨] فنزلت هذه الآية. وقال الزجاج[٩]: هذه الآية أبين

---

(١) (٢) في الأصل: (ألفا). وهو خطأ لأن مجموع ذلك يكون أربعة آلاف في السنة، في حين أن الصلح كان على ألفين في السنة.

(٣) في ظ [أخبرهم]. (٤) في ظ [ولم يؤمنوا]. (٥) سقط في ظ.

(٦) سقط في ظ. (٧) في ظ [وكان]. (٨) سقط في ظ.

(٩) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٣٣.

[الحجج][1] على اليهود والنصارى [بأن][2] التوراة والإنجيل أنزلا من عبده، وليس [فيهما][3] اسم لواحد من الأديان واسم الإسلام في كل كتاب وهو قوله: «لم تحاجون في إبراهيم وما أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ والإِنْجِيل إِلَّا مِنْ بَعْدِه» ﴿**أفلا تعقلون**﴾ يقول: أليس لكم ذهن الإنسانية أن تنظروا فيما تقولون. ﴿**ها أنتم هؤلاء حاججتم**﴾ يقول أنتم يا هؤلاء خاصمتم ﴿**فيما لكم به علم**﴾ في صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - فتجدونه في كتبكم - ﴿**فلم تُحَاجُّونَ فيما ليس لكم به علم**﴾ يقول: ما ليس في كتابكم، وهو أمر إبراهيم - عليه السلام - ﴿**والله يعلم**﴾ أن إبراهيم كان على دين الإسلام ﴿**وأنتم لا تعلمون**﴾ ذلك.

مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾

﴿**ما كان إبراهيمُ يُهوديًا ولا نَصْرَانيًا**﴾ يقول: لم يكن إبراهيم عليه السلام على دين اليهودية ولا النصرانية ﴿**ولكن كان حنيفاً مسلماً**﴾ أي مخلصاً ﴿**وما كان من المشركين**﴾ يعني ما كان أي لم يكن على دينهم. وقال الزجاج[4]: الحنف في اللغة: إقبال [صدر][5] القدمين إقبالاً لا رجوع فيها أبداً فمعنى الحنيفية في الإسلام: الإقبال والميل إليه والإقامة على ذلك.

إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

ثم قال ﴿**إن أولى الناس بإبراهيم**﴾ يقول: أحق الناس بدين إبراهيم ﴿**لَلَّذين اتّبعوه**﴾ واقتدوا به وآمنوا به ﴿**وهذا النبي**﴾ يعني هو على دينه ومنهاجه ﴿**والذين آمنوا**﴾ هم أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - على دينه، ﴿**واللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ في العَوْن والنُّصرة.

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾

﴿**وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ**﴾ يعني أرادت وتمنت جماعة من أهل الكتاب ﴿**لَوْ يُضِلُّونكم**﴾ أي يصرفونكم عن دين الإسلام ﴿**وما يُضِلّون إلا أَنْفُسَهم**﴾ أي وَبَالُ ذلك يرجع إلى أنفسهم. ويقال: «وما يضلون إلا أنفسهم» أمثالهم، كقوله - عز وجل - «فاقْتُلوا أَنْفُسَكُمْ» أي بعضكم بعضاً ﴿**وما يَشْعُرون**﴾ قال مقاتل: أي وما يشعرون أنهم يضلون أنفسهم. وقال الكلبي: وما يشعرون أن الله يَدُلُّ نبيَّه - عليه السلام - على ضلالتهم، أي يُطْلِعُه.

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾

ثم قال: ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ يقول لم تجحدون بالقرآن ﴿**وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ**﴾ أنه نبي الله لأنهم كانوا يخبرون بأمره قبل مبعثه، ويقال: بآيات الله يعني بعجائبه ودلائله، ويقال بآية الرجم. ثم قال ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**﴾ يقول: لِمَ تخلطون الكفر بالإيمان؟ لأنهم آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه،

---

(١) في ظ [حجته]. (٢) في أ [أن]. (٣) في ظ [فيها].
(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٣٣، وانظر اللسان/ حنف. (٥) في أ [صدور].

﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ يعني [بعث][1] محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه حق وأنه في التوراة.

وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

﴿وقالَتْ طائفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهار﴾ قال الكلبي: وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قَدِمَ المدينة [صلى][2] نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً، أو ثمانية عشر شهراً، فلما صرف الله نبيه إلى الكعبة، عند صلاة الظهر، وقد كان صلى صلاة الصبح إلى بيت المقدس، وصلى صلاة الظهر والعصر إلى الكعبة فقال رؤوساء اليهود منهم: كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف وغيرهما [للسفلة][3]منهم: «آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار»، صدقوه بالقبلة التي صلى صلاة الصبح في أول النهار وآمنوا به، وإنه الحق، ﴿واكْفُرُوا آخِرَه﴾ يعني اكفروا بالقبلة التي صلى إليها آخر النهار ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى قبلتكم [ودينكم][4]. وقال مقاتل: معناه أنهم جاءوا إلى [محمد][5] ـ صلى الله عليه وسلم ـ أول النهار، ورجعوا من عنده، وقالوا للسفلة: هو حق فاتبعوه، ثم قالوا: حتى ننظر في التوراة ثم رجعوا في آخر النهار فقالوا قد نظرنا في التوراة، فليس هو إياه، يعنون أنه ليس بحق، وإنما أرادوا أن يلبسوا على السفلة وأن يشككوا فيه، فذلك قوله: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ﴾ يعني قالوا لهم في أول النهار آمنوا به «واكفروا آخره» يعني قالوا في آخر النهار، واكفروا به «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون» أي يشكون فيه فيرجعون. ثم قال للسفلة: ﴿ولاَ تُؤْمِنُوا إلا لِمَنْ تبعَ دِينَكم﴾ قال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناه ولا تؤمنوا، أي لاتصدقوا إلا لمن تبع دينكم، فإنه لن يُؤْتَى أَحَدٌ مثل ما أُوتيتُم من التوراة، والمَنّ والسَّلوى، ولا تخبروهم بأمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيحاجوكم عند ربكم، أي يخاصموكم ويجعلوه حجة عليكم، فقالوا ذلك حسداً، حيث كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غيرهم، قال الله تعالى ﴿قُلْ إنَّ الهُدَى هُدَى الله﴾ وإن الفضل بيد الله، وهو قول مقاتل. وقال الكلبي: [بغير][6]تقديم وتأخير، يقول: «وَلاَ تُؤْمِنُوا» أي ولا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم اليهودية، وصلى إلى قبلتكم، قل: إن الهدى هدى الله[7]، يقول دين الله هو الإسلام. [﴿أن يُؤْتَى أَحَدٌ مثْل مَا أوتيتُم﴾ يقول لن يعطى أحد مثل ما أوتيتم من دين الإسلام والقرآن الذي فيه الحلال والحرام][8] ﴿أو يحاجوكم عند ربكم﴾ [أي: لن][9]يخاصمكم اليهود «عند ربكم» يوم القيامة، ثم قال ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إن الفضل بيد الله﴾ يعني النبوة والكتاب والهدى، بيد الله، أي: بتوفيق الله، ﴿يؤتيه من يشاء﴾ [يعني يوفق من يشاء][10]، ﴿والله واسع عليم﴾. يقول: واسع الفضل «عليم» [بمن][11] يؤتيه الفضل ﴿يختص برحمته من يشاء﴾ يعني بدينه يعطيه من يشاء من عباده ﴿والله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم﴾ [أي ذو المن العظيم][12]، لمن اختصه بالإسلام

(١) في ظ [نعت]. (٢) في أ [صلوا]. (٣) في أ [من الصلة]. (٤) سقط في ظ.
(٥) في أ [النبي]. (٦) في أ [فيه]. (٧) في أ [زيادة: (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم). (٨) ما بين المعقوفين من ظ.
(٩) في أ [يقول أن]. (١٠) زيادة من ظ. (١١) في أ [لمن]. (١٢) زيادة من ظ.

وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾

﴿ومن أهل الكتاب من إنْ تَأْمَنْه بقنطار يُؤَدِّه إلَيْك﴾. قرأ أبو عمرو وحمزة: «يُؤَدِّهْ» بجزم الهاء، وهي لغة [لبعض][1]العرب، واللغة المعروفة هي بإظهار الكسرة[2]. قال مقاتل: يعني عبد الله بن سلام وأصحابه، وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن الله تعالى ذكر أن أهل الكتاب فيهم أمانة وفيهم خيانة، وقال الضحاك ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار﴾ يعني [به][3]عبد الله بن سلام، أودعه رجل ألفاً [ومائتي][4] أوقيّة من الذهب [فأداها][5]إليه. فمدحه الله تعالى [ويقال إن نعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمانة فمن كتمه دخل تحت قوله «لايؤده إليك» ومن لم يكتمه دخل تحت قوله يؤده، ثم قال تعالى:][6] ﴿ومنـهم من إن تَأمَنْهُ بدينار لا يُؤَدِّهِ إليـك﴾ وهو فنْحاص بن عازورا اليهودي أودعه رجل ديناراً فخانه. ويقال: «يُؤَدِّه إليك» يعني النصارى كانوا أَلْيَنَ قُلوباً يؤدون الأمانة، واليهود لا يؤدون [الأمانة][7]، فكانوا [إذا أخذوا][8]أمانات الناس، أو مال اليتامى، فكانوا يغتنمون ذلك، كما يفعل بعض أهل الإسلام إذا [وقع في يده شيء من أموال المسلمين][9]جعله كالغنيمة. ثم قال تعالى ﴿إلا ما دُمْتَ عَلَيْه قائما﴾ أي مُلِحّاً متقاضياً و﴿ذلك﴾ [يعني][10] الاستحلال ﴿بأنهم قالوا ليس علينا في الأُمِّيِّين سبيل﴾ [يعني يقولون][11]: ليس علينا في مال العرب مأثم. ويقال: من لم يكن على ديننا فَمَالُه لنا حلال، بمنزلة مذهب الخوارج أنهم يستحلون مال من كان على خلاف مذهبهم. ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ [وهم يعلمون][12] لأنهم كانوا يقولون: إن ذلك حلال في التوراة فأخبر الله تعالى أنهم كاذبون على الله ﴿وهم يعلمون﴾ أن الله أمرهم بأداء الأمانة، وأخذ على ذلك ميثاقهم. فهذا قوله تعالى: ﴿بلى من أوفى بعهده﴾ أي بعهد الله الذي أخذ عليهم بأداء الأمانة [وهي نعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ][13] ﴿واتقى﴾ محارمه، هذا قول مقاتل. وقال الكلبي: واتقى ظلم الناس. ﴿فإنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ عن نقض العهد.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا

(١) في ظ [بعض].

(٢) قال ابن زنجلة: قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر: «يؤده إليك» و«لا يؤده إليك» بسكون الهاء. وحجتهم: أن من العرب من يجزم الهاء إذا تحرك ما قبلها فيقول: (ضربته ضرباً شديداً)...
وقرأ الباقون: «يؤد هي إليك» و«لا يـؤدهـي إليك» يصلون بياء في اللفظ، وحجتهم: أن الياء بدل من الواو، وأصلهم «يؤد هو إليك»، لكن قلب الواو ياء لانكسار ما قبلها، فلا سبيل إلى حذف الياء وهي بـدل من الواو... حجـة القراءات لابن زنجلة ص ١٦٦، ١٦٧.

(٣) سقط في ظ.
(٤) في ظ [ومائة].
(٥) في ظ [فأداه].
(٦) سقط في ظ.
(٧) زيادة من ظ.
(٨) في أ [يأخذون].
(٩) ما بين المعقوفين من ظ.
(١٠) زيادة من ظ.
(١١) في ظ [يقول].
(١٢) سقط في ظ.
(١٣) في ظ زاد: [وأخذوا على ذلك ميثاقهم وذلك قوله «بلى من أوفى بعهده»].

يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

﴿**إن الذين يشترون بعهد الله**﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: نزلت في شأن [عبدان][1] بن الأشوع، وامرىء القيس [بن عابس][2] [3]، ادّعى أحدهما على صاحبه حقاً، فأراد المدَّعى عليه أن يحلف بالكذب، فنزلت هذه الآية. وقال مقاتل: نزلت في شأن رؤساء اليهود كتموا نعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأجل منافع الدنيا، ويقال أن جماعة من علماء اليهود قَدِموا المدينة من الشام ليُسلموا، فلقيهم «كَعْب بن الأشرف»، فقال لهم: تعلمون أنه نبي؟ قالوا: نعم فقال لهم كعب: حَرَّمْتُم على أنفسكم خيراً كثيراً، لأني كنت أردت أن أبْعث لكم الهدايا، فقالوا: حتى ننظر في ذلك، فنظروا ثم رجعوا، فقالوا: ليس هو الذي وجدنا صفته، فأخذ منهم إقرارهم وخطوطهم، وأَيْمَانهم على ذلك، ثم بعث إلى كل واحد منهم ثمانية أذرع من الكرباس، وخمسة أصوع[4] من الشعير، فنزل في شأنهم ﴿**إنَّ الذين يَشْتَرُون بعَهْدِ الله وأَيْمَانهم ثَمَناً قَلِيلاً**﴾ أي عرضا يسيراً ﴿**أولئكَ لاَ خَلاَقَ لَهُم في الآخِرةِ**﴾ أي لا نصيب لهم في الآخرة ﴿**ولا يكلمهم الله**﴾ وقال الزجاج[5]: قوله «ولا يكلمهم الله» يحتمل معنيين: أحدهما: (إسماع)[6] كلام الله تعالى أولياءه خصوصاً لهم كما كلم موسى (خصوصية)[7] له دون البشر، ويجوز أن يكون تأويله للغضب عليهم، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً، ولا ينظر إليه، أي هو غضبان عليه، وإن كان هو يكلمه بكلام السوء، فذلك معنى قوله «لايكلمهم» أي: بكلام الرحمة، ﴿**ولاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [بالرحمة][8] ﴿**وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم**﴾[9]. ثم قال: ﴿**وإنَّ منهُم لَفَرِيقاً**﴾ يعني طائفة من اليهود، وهذه اللام لزيادة تأكيد على تأكيد ﴿**يَلْوُون أَلْسِنَتَهُم بالكِتَاب**﴾ أي يحرفون ألسنتهم بالكتاب، يعني (بنعت)[10] محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويغيرونه. ويقال: يغيرونه في التلاوة، فيقرأونه على خلاف ما في التوراة ويقال: يحرفون تأويله على خلاف ما فيه ﴿**لِتَحْسَبُوه مِنَ الْكِتَابِ**﴾ أي من التوراة ﴿**وما هُوَ مِنَ الْكِتَابِ**﴾ أي من التوراة بل هم كتبوا وهم تأوَّلوا ﴿**ويَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ الله وما هُوَ مِنْ عِنْدِ الله**﴾ أي ليس هو من عند الله ﴿**ويَقُولُونَ عَلى الله الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ أنه كذب.

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أن يُؤْتِيَهُ الله الكتاب**﴾ أي التوراة والإنجيل، ﴿**والحكم**﴾ يعني الفهم ﴿**والنبوة**﴾ وهو

---

(١) في أ [عبد الله والصحيح ما جاء في ظ أنه (عبدان) وهو ابن الأشوع الحضرمي. أنظر الإصابة ٤/٧٦٠.

(٢) سقط في ظ.

(٣) امرؤ القيس بن عابس الكندي قال ابن السكن كان ممن ثبت على الإسلام.

(٤) في أ [آصع] ولكن هذا الجمع لم يرد في القاموس. قال الفيروزبادي. جمع الصاع: أَصْوُع، وأصوَع، وأَصُع، وصُوَع، وصيعان. ترتيب القاموس المحيط ٢/٨٦٨ (صوع).

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٤٢.

(٦) في أ [استماع].

(٧) في ظ [خصوصاً].

(٨) زيادة من ظ.

(٩) سقط في ظ.

(١٠) في ظ [يحرفون نعت].

عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ ﴿ثم يقول للناس﴾ ما جاز له أن يقول للناس: ﴿كونوا عِبَاداً لي من دُونِ الله﴾. ويقال: إن اليهودَ والنصارى اختلفوا فيما بينهم، فجاء الفريقان جميعاً إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال كل فريق: نحن أولى بإبراهيم عليه السلام، فقال لهم: رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلكم على الخطأ، فغضبوا وقالوا: والله ما تريد إلا أن نتخذك حَنَّاناً (أي معبوداً)[1]، فأنزل الله تعالى: «مَا كَانَ لبشر أن يؤتيه الله [الكتاب»[2] يعني القرآن][3] «والحكم» يعني الحلال والحرام «والنبوة»، «ثم يقول للناس كانوا عباداً لي من دون الله». ﴿ولكن﴾ يقول لهم ﴿كونوا ربانيين﴾ أي متعبدين، ويقال: كونوا علماء فقهاء. قال الزجاج[4]: الربانيون: أرباب العلم والبيان أي (كانوا)[5] علماء ﴿بما كنتم تعلّمون الكتاب﴾ أي كونوا عاملين بما كنتم تعلمون، لأن العالم إنما يقال له عالم، إذا عمل (بما علم)[6]، وإن لم يعمل بعلمه فليس بعالم، لأن من ليس له من علمه منفعة فهو والجاهل سواء. ثم قال: ﴿وبما كنتم تَدْرُسُون﴾ يقول بما كنتم تقرأون، يعني كونوا علماء بذلك عاملين به. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: «بما كنتم تَعْلَمُون» بنصب التاء والتخفيف، يعني يُعَلِّمكم الكتاب ودراستكم، والباقون بضم التاء والتشديد يعني تُعَلِّمُون غيركم، فإنما يأمركم بذلك[7]. ﴿ولا يأمركم أن تَتَّخِذُوا المَلَائِكَةَ والنَّبِيِّين أَرْبَابًا﴾ يعني عيسى وعُزيراً والملائكة ـ صلوات الله عليهم ـ ولو أمركم بذلك لكَفَر، وتنزع النبوة منه ﴿أيأمركم بالكفر﴾ يعني بعبادة الملائكة ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُون﴾ أي مخلصون بالتوحيد لله. قرأ عاصم وحمزة وابن عامر: «ولا يَأْمُرَ» بنصب الراء، ينصرف إلى قوله «مَا كَانَ لِبَشَرٍ أن يُؤْتِيَهُ الله» فيصير نصباً بأن، والباقون «ولا يأمُرُكم» بضم الراء على معنى الابتداء[8]

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾

ثم قال تعالى: ﴿وإذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني الميثاق حيث أخرجهم من صُلْبِ آدم ـ عليه السلام ـ وأَخَذَ عليهم الميثاق العهد أن يبلغ الأول الآخر وأن يصدق الآخر الأول فذلك قوله تعالى: «وإذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ النَّبِيِّين» يعني إقرار النَّبِيِّين ﴿لما آتيتكم﴾. قرأ حمزة «لِمَا» [آتيتكم][9] بكسر اللام والتخفيف، [يعني بما آتيتكم][10] والباقون [بنصب اللام][11]، ومعناه: فما آتيتكم يعني، أي كتاب آتيتكم لتؤمنوا به[12]. وقرأ بعضهم: بنصب اللام

---

(١) سقط في ظ.

(٢) أخرجه السيوطي في: الدر المنثور ٢/٤٦، وعزاه لأبي إسحاق وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس.

(٣) ما بين المعقوفين من أ. (٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٤٣. (٥) في ظ [كونوا]. (٦) في ظ [بعلمه].

(٧) وحجة القارئين بالتخفيف أنه سبحانه قال (بما كنتم تدرسون) بالتخفيف، ولم يقل (تدرسون).

وحجة القارئين بالتشديد: أن (تعلمون) أبلغ المدح من (تعلمون) لأن المعلم لا يكون معلماً حتى يكون عالماً بما يعلمه الناس قبل تعليمه، وربما كان عالماً ليس بمعلم. حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٦٧. وانظر/ كنز المعاني ـ شرح حوز الأماني ص ٣١٨، ٣١٩.

(٨) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ١٦٨، وكنز المعاني ص ٣١٩.

(٩) زيادة في ظ. (١٠) زيادة في ظ. (١١) في أ [بالنصب].

(١٢): من قرأ بالكسر جعل (ما) بمعنى الذي، والمعنى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتيتكم) أي لهذا، فهذه اللام لام الإضافة، =

والتشديد، أي حين آتيتكم ﴿من كتاب وحكمة﴾ يعني بيان الحلال والحرام. وقرأ نافع «آتيناكم» بلفظ الجماعة **وهو لفظ الملوك**، والباقون «آتيتكم» بلفظ الوحدان[١]. ويقال: أخذ الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبيًّا إلا ذكر له محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونعته، وأخذ عليه ميثاقه أن يبينه لقومه وأن يأخذ منهم ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم ولا يكتمونه. **﴿ثم جاءكم رسول﴾** يعني به أهل الكتاب الذين كانوا في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ **﴿مصدق لما معكم﴾** في التوحيد وبعض الشرائع، وذلك أن الله تعالى لما أخذ ميثاق الأنبياء وأخذ الأنبياء الميثاق من قومهم بأن يبينوه، فلما قدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة فكذبوه فذكرهم الله تعالى ما أتاهم به أنبياؤهم فقال تعالى: **﴿وإذ أَخَذَ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول﴾** يعني محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مصدق لما معكم من التوراة، **﴿لَتُؤْمِنُنَّ به﴾** يعني قال لهم في الميثاق لتؤمنن به، أي لتصدقنه إذا بُعث **﴿وَلَتَنصُرنَّه﴾** إذا خرج **﴿قال﴾** لهم: **﴿أأقررتم﴾** بتصديقه، يعني هل أقررتم بما أخذ عليكم من الميثاق بتصديقه ونصره، **﴿وأخذتم على ذلكم إصري﴾** يعني هل قبلتم على ذلك عهدي الذي أخذت عليكم على إيمانكم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ **﴿قالوا أَقْرَرْنَا﴾ ﴿قال﴾** الله تعالى: **﴿فاشْهَدُوا﴾** بعضكم على بعض بأني قد أخذت عليكم العهد **﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾** على إقراركم. قال الزجاج[٢]: قوله «فاشهدوا» أي فاثبتوا[٣] لأن الشاهد هو الذي يصحح دعوى المدعي وأنا معكم من الشاهدين، وشهادة الله للنبيين تبينه أمر نبوتهم بالآيات (المعجزات)[٤]. وقال القتبي: أصل الإصر، الثقل، فسمي العهد إصراً، لأنه يمنع [صاحبه عن مخالفة][٥] الأمر الذي أخذ [عليه فثقل][٦]

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: **﴿فمن تولى بعد ذلك﴾** أي أعرض عن الإيمان، وعن البيان بعد ذلك الإقرار والعهد قوله: **﴿فأولئك هم الفاسقون﴾** أي الناقضون [للعهد][٧]، ويقال: [هم العاصون][٨]، وأصل الفسق الخروج من الطاعة **كقوله تعالى «ففسق عن أمر ربه»** أي خرج عن طاعة ربه. وقوله تعالى: **﴿أفغير دين الله يبغون﴾**. قال الكلبي: **وذلك أن كعب بن الأشرف [وأصحابه][٩] [اختصموا][١٠]** مع النصارى إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ **فقالوا أينا أحق بدين إبراهيم**، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «كلا الفريقين بريء من دينه» **فقالوا ما نرضى بقضائك، ولا**

= واللام متعلقة بـ (أخذ الميثاق) المعنى: (أخذ الميثاق لإتيانه الكتاب والحكمة أخذ الميثاق).

قال الفراء: من كسر اللام يريد: أخذ الميثاق الذي آتاهم من الحكمة.

قال الزجاج: ويكون الكلام يؤول إلى الجزاء كما تقول: (لما جئتني أكرمتك).

وأما قراءة فتح اللام: فكان الكسائي يقول: معناه: مهما أتيتكم على تأويل الجزاء قال: وجوابه: فمن تولى. . .

وقال الزجاج: (ما) هنا على ضربين، يصلح أن تكون للشرط والجزاء، وهو أجود الوجهين. . راجع حجة القراءات لابن زنجلة ١٦٨، ١٦٩.

(١) راجع حجة القراءات لابن زنجلة ١٦٩، وكنز المعاني ٣١٩.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٤٦.
(٣) في ظ [فبينوا].
(٤) في ظ [المعجزة].
(٥) سقط في أ.
(٦) في أ [له وثقل].
(٧) زيادة من ظ.
(٨) في أ [لهم العاصون].
(٩) سقط في أ.
(١٠) في أ [اختصم].

نأخذ بدينك فنزل قوله تعالى: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُون» أي يطلبون. قرأ عاصم في رواية حفص «يبغون» «وإليه يرجعون» كلاهما بالياء وقرأ أبو عمرو «يبغون» بالياء «وإليه ترجعون» بالتاء، وقرأ الباقون: كلاهما بالتاء على معنى المخاطبة، فمن قرأ بالياء يعني أفغير دين الله يطلبون من عندك، ومن قرأ بالتاء يعني: أفغير دين الله تطلبون[١]، «وله أسلم» أي أخلص وخضع «من في السموات والأرض طوعاً وكَرْهاً». قال الكلبي: أما أهل السموات فأسلموا لله طائعين، وأما أهل الأرض فمن ولد في الإسلام أسلم طوعاً، ومن أبى قُوتِل حتى دخل في الإسلام كرهاً وما أفاء الله عليهم مما يسبون فيجاء بهم في السلاسل فيكرهون على الإسلام، وقال مجاهد: يسجد ظل المسلم ووجهه طائع، ويسجد ظل الكافر وهو كاره، وقال مقاتل: «وله أسلم من في السموات» يعني الملائكة، «والأرض» يعني المؤمنين «طوعاً وكرهاً» يعني أهل الأديان يقولون: الله ربكم، وخالقكم فذلك إسلامهم وهم مشركون. معنى قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني خضعوا من جهة ما فطرهم عليه، ودبرهم لا يمتنع ممتنع من جبلة ما جبل عليها، ولا يقدر على تغيير ما خلق عليها طوعاً وكرهاً، ثم قال: ﴿وإليه ترجعون﴾ [كما خلقكم أي][٢] كما بداكم، (فلا)[٣] تقدرون على الإمتناع، كذلك يبعثكم كما بدأكم، قرأ عاصم في رواية حفص: «يرجعون»، وقرأ الباقون بالتاء[٤].

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾

ثم قال: ﴿قل آمنا بالله﴾ خاطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأراد به أمته، فقال: قل للمؤمنين إن لم يؤمن أهل الكتاب (فقولوا أنتم) «آمنا بالله» ﴿وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وأسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ وقد ذكرناه في سورة البقرة.

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

قوله: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً﴾، قال الكلبي: نزلت في شأن مرثد بن أبي مرثد وطُعْمَة بن أُبَيْرق[٥] ومقيس بن صبابة[٦]، والحارث بن سُوَيد[٧] وكانوا عشرة، وقال [مقاتل][٨]: كانوا اثني عشر، وقال الضحاك، يعني

(١) راجع حجة القراءات لابن زنجلة ١٧٠، وكنز المعاني ٣٢٠. (٢) سقط في ظ. (٣) في أ [ولا].

(٤) حجة القراءات لابن زنجلة ١٧٠، وكنز المعاني ٣٢٠.

(٥) طعمة بن أبيرق بن عمر الأنصاري، ذكره أبو إسحاق المسيلمي في الصحابة وقال شهد المشاهد كلها إلا بدراً وقد تكلم في إيمانه. الإصابة ٣/٢٨٥.

(٦) مِقْيَس بن صبابة كان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد تيعس أخاه قتيلاً فشكا ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخذها ثم عدا على قاتل اخيه فقتله وارتد وأقام بمكة. الإصابة ٦/٢٨٦.

(٧) الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري الأوسي ارتد ولحق بالكفار فنزل ﴿كيف يهدي الله قوماً...﴾ الآية الإصابة ١/٢٩٣.

(٨) سقط في أ.

لا يقبل من جميع الخلق من أهل الأديان ديناً غير دين الإسلام، ومن يتدين غير الإسلام ديناً ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ منه وهُوَ في الآخرة من الخاسرين﴾ «أي من المغبونين لأنه ترك منزله في الجنة، واختار منزله في النار.

كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إيمَانِهِم وشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي بعدما ظهر لهم العلامات ﴿واللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين﴾ فإن قيل: في ظاهر الآية: أن من كفر بعد إسلامه لا يهديه الله ومن كان ظالماً لا يهديه الله، وقد رأينا كثيراً من المرتدين، أسلموا وهداهم الله وكثيراً من الظالمين تابوا عن الظلم. قيل له: لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم ولا يُقْبِلُون إلى الإسلام، فأما إذا جاهدوا وقصدوا الرجوع وفقهم الله لذلك لقوله «والذين جَاهَدُوا فينا لنهدينهم سبلنا» وتأويل آخر: «كيف يهدي الله»، يقول كيف يرشدهم إلى الجنة كما قال في آية: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُم طَرِيقاً. إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ». ويقال: كيف يرحمهم الله وينجيهم من العقوبة. ويقال: كيف يغفر الله لهم. وقالت المعتزلة: «كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّه» معناه، كيف يكونون مهتدين لأنهم لا يرون الهداية والإهتداء في الإبتداء، إلا على سبيل الجزاء ويرون ذلك من كسب العبد. ثم قال ﴿أولئك جزاؤهم﴾ يعني أهل هذه الصفة التي ذكر[1] ﴿أَنَّ عَلَيْهِم لَعْنَةَ الله﴾ أي سخط الله، ويقال: الطرد والتبعيد من رحمة الله والخذلان، ويقال: يلعنهم بالقول ﴿والملائكة﴾ يعني عليهم لعنة الله والملائكة ﴿والناس أجمعين﴾ إذا لعن رجل رجلاً، فإن لم يكن أَهْلاً لذلك رجعت اللعنة إلى الكفار. ويقال: من لم يكن على دينهم، يلعنهم في الدنيا، ومن كان على دينهم يلعنهم في الآخرة لقوله تعالى: «وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً» فذلك قوله تعالى: «والنَّاس أَجْمَعين». ثم قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيها﴾ يعني في اللعنة. فيما توجبه اللعنة، وهو عذاب النار خالدين فيها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي لا يهون عليهم العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي لا يؤجلون، ثم استثنى التوبة فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وأَصْلَحُوا﴾ يقول: من بعد الكفر، وأصلحوا أعمالهم بالتوبة. ويقال: أصلحوا لمن أفسدوا من الناس ﴿فإنَّ اللَّه غَفُورٌ رحيمٌ﴾ لما كان منهم في الكفر رحيم بهم بعد التوبة. قال الكلبي ومقاتل: لما نزلت هذه الآية أي الرخصة بالتوبة، كتب أخو الحارث بن سُوَيْد إلى الحارث: إن الله قد عرض عليكم التوبة، فرجع وتاب، وبلغ ذلك إلى أصحابه الذين بمكة، فقالوا: إن محمداً تتربص به ريب المنون، فقالوا: نقيم بمكة على الكفر متى بدا لنا الرجعة رجعنا[2] فينزل فينا ما نزل في «الحارث» فتقبل توبتنا فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثم ازْدَادُوا

---

(١) في أ [ذكرها].

(٢) في ظ [زيادة (فمتى أردنا الرجعة رجعنا).

كُفْراً﴾ أي ثبتوا على كفرهم بقولهم: نقيم بمكة ما بدا لنا «لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهم» ما أقاموا على الكفر. قال الزجاج[١]: كانوا كلما نزلت آية كفروا بها، فكان ذلك زيادة كفرهم، وقوله: **﴿[لن][٢] تقبل توبتهم﴾** [أي توبتهم][٣] الأولى، وحبط أجر عملهم. ويقال: «لن تقبل توبتهم» معناه: إنهم [لن][٤] يتوبوا كما [قال الساعة][٥] «ولا يقبل منها شفاعة» أي لا يشفع (لها)[٦] أحد، ثم قال تعالى: **﴿وأولئك هم الضالون﴾** عن الإسلام، وهم الذين لم يتوبوا. **﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به﴾** قال الكلبي: يعني وزن الأرض ذهباً. وقال مقاتل: إن الكافر إذا عاين النار [في الآخرة][٧] يتمنى أن يكون له الأرض ذهباً فيقدر على أن (يفتدي)[٨] به نفسه من العذاب [لافتدى به،ولو افتدى به][٩] «ما تقبل منه» [أولئك لهم عذاب أليم][١٠] ونظيرها في سورة المائدة: «إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم ما فِي الأَرْض» قوله تعالى: **﴿أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾** الآية.

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح أنه قال: لن تنالوا ما عند الله من ثوابه في الجنة حتى تنفقوا مما تحبون [أي حتى تخرجوا أموالكم طيبة بها أنفسكم][١١]، وقال مقاتل: يعني لن تنالوا التقوى حتى تنفقوا مما تحبون من الصدقة، أي بعض ما تحبون من الأموال. **﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾** يعني الصدقة وصلة الرحم **﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾** أي لا يخفي عليه فيثيبكم عليه. ويقال: لن تنالوا البر حتى تستكملوا التقوى. ويقال: لا تكونوا بارين حتى تنفقوا مما تحبون (أي من الصدقة، أي بعض ما تحبون من الأموال)[١٢] وروي عن عمر بن عبد العزيز[١٣]. أنه كان يشتري أعدالاً من السُّكَّر ويتصدق بها فقيل له: هلا تصدقت بثمنه، فقال: لأنَّ السُّكَّر أحب إلي فأردت أن أتصدق مما أحب. وروي عن عبد الله بن عمر أنه اشترى جارية جميلة وكان يحبها فمكثت عنده أياماً ثم أعتقها وزوجها من رجل، فَوُلِد لها ولد، فكان يأخذ ولدها ويضمه إلى نفسه ويقول: أشم منك ريح أمك، فقيل له: قد رزقك الله من حلال، وأنت تحبها فلم تركتها؟ فقال: ألم تسمع هذه الآية: «لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون» [وروي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تقرأ في مصحف مذهب فلما انتهت إلى هذه الآية باعته وتصدقت بثمنه][١٤].

كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾

قوله تعالى: **﴿كل الطعام كان حِلاًّ لبني إسرائيل﴾**. قال في رواية الكلبي: خرج يعقوب إلى بيت المقدس،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٥٢. (٢) سقط في أ. (٣) زيادة من ظ.
(٤) في ظ [لم]. (٥) في أ [قال]. (٦) في أ [فيها].
(٧) زيادة من ظ. (٨) في أ [يفدي]. (٩) سقط في أ.
(١٠) سقط في أ. (١١) في ظ [من الصدقة، قال: وهي منسوخة، نسختها آية الزكاة]. (١٢) سقط في ظ.
(١٣) عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو حنفي الخليفة الصالح والملك العادل توفي سنة ١٠١ هـ. وانظر مناقب ابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز فوات الوفيات ٢/١٠٥ حلية الأولياء ٥/٢٥٣.
(١٤) سقط في ظ.

فلقيه ملك في الطريق فظن يعقوب أنه لص، فعالجه فغمز الملك رجل يعقوب فهاج به عرق النساء، فنذر أن يحرم أحب الطعام إليه إن برأ من ذلك لما رأى فيه من الجهد، فلما برأ كان أحب الطعام إليه لحوم الإبل وألبانها فحرمها على نفسه، فقالت اليهود: هذا التحريم من الله تعالى في التوراة، فنزل قوله تعالى: «كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل» أي كان حلالاً إلا الميتة والدم ولحم الخنزير ثم قال: ﴿إلا ما حرم إسرائيلُ على نفسه، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّل التوراة﴾ وليس تحريمها في التوراة، ثم قال لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ﴿قُلْ﴾ لليهود ﴿فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ يعني اقرأوها ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأن تحريمها في التوراة، لأنهم كانوا يقولون: إن ذلك حرام من وقت نوح وأنت وأصحابك تستحلونها. وقال الضحاك إن يعقوب لما أصابه عرق النساء، (أمره)[١] الأطباء أن يتجنب لحوم الإبل فحرم على نفسه لحوم الإبل، فقالت اليهود: حرَّمْناها على أنفسنا لأن يعقوب حرّمها على نفسه فنزل تحريمها في التوراة فنزلت الآية. ويقال: معناه كل طعام هو حلال لأمتك، مثل ما كان حلالاً لبني إسرائيل، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه، وبعضها حُرّم عليهم بذنوبهم. وقال الزجاج[٢]: هذه الآية أعظم (دليل)[٣] لنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه أخبرهم بأنه ليس في كتابهم، وأمرهم بأن يأتوا بالتوراة فأبوا، وعرفوا أنه قال ذلك بالوحي.

فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾

ثم قال تعالى: ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ يعني اختلق على الله الكذب ﴿مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ البيان في كتابهم: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظالمون﴾ يعني يظلمون أنفسهم ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ أن تحريمه ليس في التوراة، ويقال «قُلْ صَدَقَ اللَّه» حين قال: «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يهودياً ولا نَصْرانياً». ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً﴾ أي مخلصاً مستقيماً وكلوا لحوم الإبل وألبانها كما (أكلها)[٤] إبراهيم، ولا تحرموا على أنفسكم شيئاً بأهوائكم ﴿وما كان﴾ إبراهيم ﴿من المشركين﴾ يعني على دينهم.

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾[٥] قال مقاتل: يعني أول مسجد وضع للناس، أي للمؤمنين. ويقال: أول

---

(١) في ظ [وصف له]. (٢) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٥٣. (٣) في ظ [دلالة]. (٤) في ظ [أكله].

(٥) في كونه «أول» قولان. أحدهما: أنه أول بيت كان في الأرض واختلف أرباب هذا القول، كيف كان أول بيت على ثلاثة أقوال. أحدهـا: أنه ظهر على وجه الماء حين خلق الله الأرض، فخلقه قبلها بألفي عام، ودحاها من تحته، فروى سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: كانت الكعبة خشبة على وجه الماء، عليها ملكان يسبحان الليل والنهار قبل الأرض بألفي سنة، وقال ابن عباس: وضع البيت في الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي سنة، ثم دحيت الأرض تحت البيت، وبهذا القول يقول ابن عمر، وابن عمرو قتادة، ومجاهد والسدي وآخرون. والثاني: أن آدم استوحش حين أهبط فأوحى الله إليه، أن: ابْن لي بيتاً في الأرض، فاصنع حوله نحو ما رأيت ملائكتي تصنع حول عرشي، فبناه، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثالث: أنه أهبط مع=

موضع خلق هو موضع [الكعبة للناس][1] أي قبلة للناس ﴿للذي ببكة﴾ قال الكلبي: إنما سمي بكة لأن الناس يبك بعضهم بعضاً أي يزدحم[2]. وقال الزجاج[3]: بكة: موضع البيت، وسائر ما (حواليه)[4] مكة. وقال القتبي: بكة ومكة شيء واحد، والباء تبدل من الميم، كما يقال: سمد رأسه وسبده إذا استأصله (أي قلع بأصله)[5]، ويقال: بكة موضع المسجد ومكة البلد حوله، ثم قال تعالى: ﴿مباركاً﴾ أي فيها بركة ومغفرة للذنوب ﴿وهدى للعالمين﴾ يعني قبلة لمن صلى إليها، وذلك أن اليهود قالوا للمؤمنين: لم عمدتم إلى الحجارة تطوفون بها، وتصلون إليها؟ وجعلوا يعظمون بيت المقدس فنزلت هذه الآية. وروى الكلبي: أن آدم ـ عليه السلام ـ بني البيت [فلما كان زمان الطوفان رفع إلى السماء السادسة «بحبال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لم يدخلوه قط قبله. ويقال: أنزل من السماء وهو من ياقوتة حمراء][6]. فلما كان زمان الطوفان رفع إلى السماء الرابعة. ثم قال تعالى: ﴿فيه آياتٌ بينَات﴾ يعني علامات واضحات كالحجر الأسود والحطيم، ﴿مقام إبراهيم﴾ وروي عن عبد الله بن عباس: أنه كان يقرأ «فيه آية بينة مقام إبراهيم» وقرأ غيره، آيات بينات مقام إبراهيم[7] ومعناه من تلك الآيات مقام إبراهيم ﴿ومَن دَخَلَه﴾ يعني الحرم ﴿كان آمناً﴾ يعني أن من دخله فيه، فإنه لا يهاج منه إذا وجب عليه القتل خارج الحرم: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حِجُّ بكسر الحاء والباقون بالنصب، وهما لغتان ومعناهما واحد[8]. ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ أي بلاغاً، والاستطاعة هي الزاد والراحلة وتخلية الطريق، ويقال: ولله على الناس فريضة حج البيت. ثم قال: ﴿ومن كفر﴾ يعني ومن لم ير الحج واجباً فقد كفر فذلك قوله: ومن كفر ﴿فإن الله غني عن العالمين﴾ يعني غني عمن حج وعمن لم يحج، قال الفقيه: حدثني أبي قال: حدثني أبو بكر المعلم، قال: حدثنا أبو عمران (الفارابي)[9]، قال: حدثنا عبد الرحمن بن حبيب، قال: حدثنا داود بن (المحبر)[10]، قال: حدثنا عباد بن كثير عن عبد خير، عن علي بن أبي طالب، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال في خطبته: أيُّها النَّاس، إن الله تعالى فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً، ومن لم يفعل فَلْيَمُتْ على أيِّ حال يهودياً أو نصرانياً، أو مجوسياً، إلا أن يكون به مرض أو منع من سلطان جائر، ألا لا نصيب له من شفاعتي ولا يرد حوضي. وروي عن أنس بن مالك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: السبيل: الزاد والراحلة، وكذلك روي عن ابن عباس[11] ـ وقال مجاهد: مقام إبراهيم أثر قدميه.

= آدم، فلما كان الطوفان، رفع فصار معموراً في السماء وبنى إبراهيم على أثره، رواه شيبان عن قتادة، القول الثاني: أنه أول بيت وضع للناس للعبادة، وقد كانت قبله بيوت، هذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن، وعطاء بن السائب وآخرين ـ تفسير زاد المسير ١/٤٢٤، ٤٢٥ ـ ويؤيد هذا القول ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد» رواه أحمد في المسند. والبخاري ومسلم.

(١) في ظ [مكة].

(٢) وقال أبو عبيدة: بكة، هي اسم لبطن مكة، وذلك لأنهم يتباكون فيها ويزدحمون (مجاز القرآن ١/٩٧) وقال ابن منظور: (وبكة: مكة، سميت بذلك لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم، وقيل لأن الناس يتباكون فيها من كل وجع، أي يتزاحمون وقال يعقوب: بكة ما بين جبلي مكة، لأن الناس يبك بعضهم بعضاً في الطواف أي يزحم (اللسان: بكك).

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٥٤. (٤) في أ [حوالي]. (٥) سقط في ظ.

(٦) ما بين المعقوفين من ظ. (٧) راجع البحر المحيط ٣/٨. (٨) كنز المعاني ٣٢٠، حجة القراءات لابن زنجلة ١٧٠.

(٩) في أ [الفارابي]. (١٠) في أ [محبر].

(١١) أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس (٢/٩٦٧) كتاب المناسك، باب ما يوجب الحج (٢٨٩٧). وأخرجه الترمذي من حديث ابن=

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

ثم قال: ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿لم تكفرون بآيات الله﴾ يعني لم (تكفرون)[1] بالحج والقرآن ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ من الجحود والكفر ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ يقول لم تصرفون الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي عن دين الله الإسلام، والحج[2] ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ أي تطلبونها تغيراً وزيناً ﴿وأنتم شهداء﴾ أن ذلك في التوراة ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ من كتمان صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونعته. ويقال في اللغة: ما كان ينتصب انتصاب العود والحائط، يقال، عوج بالنصب، وما لم ينتصب مثل الأرض والكلام، ويقال: عوج، كما قال تعالى: «لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً» وقال تعالى: «ولم يجعل له عوجاً . قيماً».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقاً﴾ يقول طائفة ﴿من الّذين أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ وهم رؤساء اليهود ﴿يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالقرآن لأنهم كانوا يدعون إلى الكفر، واتباع مذهبهم وكان يتبعهم بعض المنافقين فنهى الله تعالى المؤمنين عن متابعتهم. ثم قال تعالى على وجه التعجب: ﴿وكيف تكفرون﴾ يقول: كيف تجحدون بواحدانية الله تعالى وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن ﴿وأَنْتُمْ تُتْلَى عليكُم آيَاتُ الله﴾ يقول: يُقْرأ عليكم القرآن وفيه دلائله وعجائبه، ﴿وفيكُم رَسُولُه﴾ يعني معكم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال الزَّجاج[3]: يجوز أن يكون هذا الخطاب لأصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة، لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان فيهم وهم يشاهدونه، ويجوز أن يكون هذا الخطاب لجميع الأمة، لأن آثاره وعلاماته والقرآن الذي أتى به فينا، فكأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فينا وإن لم (نشاهده)[4]. ثم قال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ﴾ يقول: يتمسك بدين الله ﴿فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم﴾[5] يقول: وفق وأرشد من الضلالة ﴿إلى صراط مستقيم﴾ يعني: الطريق الذي يسلك به إلى الجنة، وهو دين الإسلام.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

= عمر ٥/٢٠٩ كتاب تفسير القرآن (٢٩٩٨)، والبيهقي في السنن ٤/٣٢٧ ـ ٣٣٠ كتاب الحج، والحاكم في المستدرك ١/٤٤١.

(١) في ظ [تجحدون]. (٢) في ظ [زيادة بعد قوله والحج من آمن بالإسلام والحج].
(٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٥٨. (٤) في أ [يشاهدوه]. (٥) سقط في ظ.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ يقول أطيعوا الله حق طاعته، وحق طاعته أن يطاع فلا يعصى طرفة عين، وأن يشكر فلا يكفر طرفة عين، وأن يذكر فلا ينسى طرفة عين فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله تعالى **«فاتَّقُوا الله ما اسْتَطَعْتُم»** فنسخت هذه الآية هكذا، قال الكلبي والضحاك [ومقاتل وغيرهم][1] من المفسرين: إن هذه الآية منسوخة وقال بعضهم: لا يجوز أن يقال هذه الآية منسوخة لأنه لا يجوز أن يأمرهم بشيء لا [يطيقونه][2] (ولكن الجواب أن يقال عن هذا: إنهم يطيقونه)[3] ولكن تلحقهم مشقة شديدة، (ولأن)[4] ذلك مجهود الطاقة، ولا يستطيعون الدوام عليه، والله تعالى لا يكلف عباده إلا دون ما يطيقون، فخفَّف عنهم بقوله تعالى: [(فاتقوا الله ما استطعتم) ولم ينسخ آخر الآية (أولها)][5] وهو قوله تعالى: **﴿ولا تموتن إلَّا وأنْتُم مسلمون﴾** يعني اثبتوا على الإسلام، وكونوا بحال يلحقكم الموت وأنتم على الإسلام **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾** يقول: تمسَّكوا بدين الله وبالقرآن، ويقال: تمسكوا بسبيل السنة والهدى، «ولا تفرقوا» يقول: ولا تختلفوا في الدين كاختلاف اليهود والنصارى ويقال: لا تختلفوا فيما بينكم بالعداوة والبغضاء، ويقال **﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾** يعني اطلبوا النصرة من الله لا من القبائل والعشيرة. ويقال «واعتصموا بحبل الله جميعاً» يعني ما اشتبه عليكم فردوه إلى كتاب الله كقوله تعالى «فإنْ تَنَازَعْتُم في شَيْءٍ فَرُدُّوه إلى الله والرسول» وقال بعض الحكماء: إن مثل من في الدنيا كمثل من وقع في بئر فيها من كل نوع من الآفات فلا يمكنه (أن يخرج منها)[6]، والنجاة من آفاتها إلا بحبل وثيق، فكذلك الدنيا دار محنة، وفيها كل نوع من الآفات، فلا سبيل إلى النجاة منها إلا بالتمسك بحبل وثيق، وهو كتاب الله تعالى. ثم (ذكَّرهُم)[7] نعمته فقال تعالى: **﴿اذكروا﴾** نعمتي واحفظوا **﴿نعمة الله عليكم﴾** الإسلام **﴿إذ كنتم أعداء﴾** في الجاهلية **﴿فألف﴾** الله **﴿بين قلوبكم﴾** يعني جمع بين قلوبكم بالإسلام تودُّداً **﴿فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾** يقول فصرتم بنعمة الإسلام **﴿إخواناً﴾** في الدين. وكل ما ذكر في القرآن أصبحتم، معناه صِرْتم، كقوله «إن أَصْبَحَ مَاؤُكم غورا» أي صار ماؤكم غورا. وهذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، كان بينهم قتال قبل الإسلام بأربعين عاماً حتى كادوا أن يتفانوا، فلما بُعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة آمن به الأوس والخزرج وهم بالمدينة، ثم خرج إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة قبل أن يهاجر منهم سبعون رجلاً، فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه عمه العباس حتى أتى إلى العقبة (إلى سبعين)[8] رجلاً من الأنصار فعاهدوه ثم رجعوا إلى المدينة، وهاجر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليهم بعد الحولين، فوقعت بين الأوس والخزرج أُلْفَةٌ، وزالت عنهم العداوة التي كانت (بينهم)[9] في الجاهلية بالإسلام، وهذا كما ذكر في آية أخرى «لو أَنْفَقْتَ ما في

(١) في أ [وغيرهما].
(٢) في أ [يستطيعونه].
(٣) سقط في ظ.
(٤) في ظ [وكان].
(٥) سقط في ظ.
(٦) في ظ [الخروج منها].
(٧) في أ [ذكر لهم].
(٨) في أ [فرأى سبعين].
(٩) في ظ [عنهم].

الأرض جميعاً ما أَلَّفت بين قلوبهم ولكن الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ» وروي عن جابر بن عبد الله، أن رجلين من الأنصار أحدهما من الأوس والآخر من الخزرج تفاخرا فيما بينهما واقتتلا، فاستعان كل واحد منهما بقومه فاجتمعت الأوس والخزرج، وأخذوا السلاح وخرجوا للحرب، فبلغ الخبر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخرج إليهم في ثلاثين من المهاجرين وهو راكب على حمار له، قال جابر: فما كان من طالع يومئذ أكرم إلينا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ طلع علينا، فأومأ إلينا بيده، فكففنا، ووقف بيننا على حمار له فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه حَقَّ تقاته». [إلى قوله: «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم][1]. . . إلى قوله: «عذاب عظيم». فألقوا السلاح، واطفأوا الحرب التي كانت بينهم، وعانق بعضهم بعضاً يبكون، فما رأيت الناس أكثر باكياً من يومئذ، فلم يكن في الأرض شخص أحب إليهم من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد نزول هذه الآية، ثم قال تعالى: ﴿**وكُنْتُم على شَفَا حُفْرَةٍ من النَّار**﴾ قال القتبي: أشفى على كذا: إذا أشرف عليه[2] شَفَا حُفْرة: أي حرف حفرة[3]، ومعناه: وكنتم في الجاهلية على هلاك بالشرك، من مات في الجاهلية كان في النار، ﴿**فأنقذكم منها**﴾ بعدما كنتم على حرف من النار، ﴿**كذلك يبين الله لكم آياته**﴾ يعني علاماته حيث كنتم، أعداء في الجاهلية إخواناً في الإسلام ﴿**لعلكم تهتدون**﴾ [أي لكي تهتدوا][4] من الضلالة وتعرفوا علامته بهذه النعمة ﴿**ولتكن منكم أمة**﴾ فهذه لام الأمر كقوله «فليعمل عملاً صالحاً» يعني لتكن منكم أمة، قال الكلبي: يعني جماعة، وقال مقاتل: يعني عصبة. وقال الزجاج[5]: ولتكونوا كلكم أمة واحدة تدعون إلى الخير «ومن» ها هنا لتخص المخاطبين من بين سائر الأجناس وهي مؤكدة كقوله تعالى: «فاجتنبوا الرجس من الأَوْثَان» وقوله: ﴿**يدعون إلى الخير**﴾ يعني إلى الإسلام ويقال: إلى جميع الخيرات ﴿**ويأمرون بالمعروف**﴾ قال الكلبي: يعني باتباع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿**وينهون عن المنكر**﴾ يعني الجبت والطاغوت. ويقال: المنكر: يعني العمل الذي بخلاف الكتاب والسنة، ويقال: ما لا يصلح في العقل. وروي عن سفيان الثوري أنه قال: إنما يجب النهي عن المنكر إذا فعل فعلاً يخرج عن الاختلاف (أي اختلاف العلماء)[6] ويقال: إنما أمر بعض الناس بقوله: «ولتكن منكم أمة» ولم يأمر جميع الناس، لأن كل واحد من الناس لا يحسن الأمر بالمعروف، وإنما يجب على من يعلم. ويقال: إن الأمراء يجب عليهم الأمر والنهي باليد والعلماء باللسان والعوام بالقلب، وهنا كما قال عليه الصلاة والسلام: إذا رأى أحد منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[7]. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «بحسب امرىء إذا رأى منكراً لا يستطيع النكير أن يعلم الله من قلبه أنه كاره». وروي عن بعض الصحابة أنه قال: إن الرجل إذا رأى منكراً لا يستطيع النكير عليه، فليقل ثلاث مرات: «اللهم إنَّ هذا منكر» فإذا قال ذلك فقد فعل ما عليه. ثم قال تعالى: ﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾ يعني الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر هم الناجون، ويقال: فازوا بالنعيم [ثم قال][8]: ﴿**ولا تكونوا**﴾ في الاختلاف ﴿**كالَّذِينَ تَفَرَّقوا**﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿**واخْتَلَفُوا من بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾ ففترقت اليهود فرقاً [والنصارى فرقاً][9]، فنهى الله المؤمنين عن

---

(١) سقط من أ. (٢) أنظر اللسان: شفي. (٣) وكذا قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٩٨.

(٤) زيادة من ظ. (٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٦٢. (٦) سقط من ظ.

(٧) أخرجه مسلم (١/٦٩) كتاب الإيمان/ باب بيان كون النهي عن المنكر. . . . (٧٨/٤٩)، والترمذي (٤٠/٤٠٧) كتاب الفتن/ باب ما جاء في تغيير المنكر (٢١٧٢)، والنسائي (٨/١١١) كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمان (٥٠٠٨) وأحمد في المسند (٣/٢٠).

(٨) زيادة من ظ. (٩) زيادة من ظ.

ذلك. ثم خوفهم فقال: ﴿وأولئك لهم عَذَابٌ عظيم﴾ يعني دائم لا يرفع عنهم أبداً، يعني الذين اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات، أي العلامات في أمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبيان الطريق. ثم بَيَّن منازل الذين تفرقوا والذين لم يتفرقوا فقال تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ، وَتَسْوَدُّ وُجُوه﴾ يعني يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم ويقال إن ذلك عند قوله تعالى: (وامتازوا اليوم أيها المجرمون)[١] تكون وجوه المؤمنين مُبْيَضّة ووجوه (الكفار)[٢] مُسْودَّة، ويقال: إن ذلك عند قراءة الكتاب، إذا قرأ المؤمن كتابه، فرأى في كتابه (حسناته)[٣] استبشر، وابيضّ وجهه، وإذا قرأ المنافق والكافر كتابه فرأى (فيه سيئاته)[٤] اسودّ وجهه. ويقال: إن ذلك عند الميزان، إذا رجحت حسناته ابيضّ وجهه وإذا رجحت سيئاته اسود وجهه ويقال إذا كان يوم القيامة، يؤمر كل قوم بأن يجتمعوا إلى معبودهم، فإذا انتهوا إليه حزنوا واسـودت وجوههم، فيبقى المؤمنون وأهل الكتاب والمنافقون فيقول الله تعالى للمؤمنين: «من ربكم»؟ فيقولون: ربنا الله ـ عز وجل ـ فيقول لهم أتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون سبحانه إذا عرفنا عرفناه، فيرونه كما شاء الله، فيخر المؤمنون سجداً لله تعالى، فتصير وجوههم مثل الثلج بياضاً، وبقي المنافقون وأهل الكتاب، لا يقدرون على السجود، فحزنوا واسودّت وجوههم، فذلك قوله «يوم تَبْيَضُّ وجوه وتسود وجوه» ﴿فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم﴾ يعني، يقال لهم: أكفرتم؟ ولكن حُذِفَ القول، لأن في الكلام دليلاً عليه «بعد إيمانكم» يعني يوم الميثاق قالوا: بَلَى، يعني المرتدين والمنافقين. ويقال: هذا لليهود، وكانوا مؤمنين بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يُبْعث، فلما بُعث كفروا به، وقال أبو العالية: هذا للمنافقين خاصة، يقول: أكفرتم في السر بعد (إيمانكم أي)[٥] مع إقراركم في العلانية ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالقرآن، [حدثنا الخليل بن أحمد قال][٦]: (حدثنا عباد بن الوليد قال حدثنا محمد بن عباد البنائي)[٧] قال: حدثنا حميد بن الخياط، قال: سألت أبا العالية عن هذه الآية: «فأما الذين اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُم أكفرتم بعد إيمانكم» فقال: حـدثنا (أبو أمامة)[٨] عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: إنهم الخوارج وسألته عن قوله: «لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً من دونكم» «آل عمران: ١١٨» قال: إنهم الخوارج. قوله: ﴿وأما الذين ابْيَضَّتْ وجُوهُهُم ففي رحمة الله﴾ أي في جنة الله. قال الزجاج[٩]: يعني في الجنة التي صاروا إليها برحمة الله تعالى، لأن الجنة تُنَالُ برحمته، ولا تُنَال بالجهد، وإن اجتهد المجتهد، لأن نعمة الله تعالى لا يكافئها عمل «ففي رحمة الله» أي في ثواب الله ﴿هم فيها خالدون﴾ أي دائمون.

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

﴿تلك آيات الله﴾ يعني القرآن ﴿نتلوها عليك﴾ يعني ننزل جبريل، فيقرأ عليك ﴿بالحق﴾ أي بالصدق.

---

(١) سقط في ظ. (٢) في ظ: الكافرين. (٣) في أ [حسناته].
(٤) في ظ: في كتابه سيئات. (٥) سقط في ظ. (٦) سقط في ظ
(٧) في ظ: (حدثنا محمد بن صاعد قال حدثنا عباد بن الوليد قال حدثنا محمد بن عباد الهناني).
وعباد هو: عباد بن الوليد الغبري، أبو بدر المؤدب. قال ابن أبي حاتم: صدوق، مات سنة اثنين وستين ومائتين. الخلاصة ٣١/٢.
ومحمد هو: محمد بن عباد الهنانـي أبو عباد البصري، قال أبو حاتم: صدوق. تهذيب التهذيب ٢٤٦/٩.
(٨) في أ [أبو أسامة]. (٩) معاني القرآن وإعرابه ٤٦٥/١.

وقال الزجاج[(١)]: «تلك آيات الله» أي تلك التي جرى ذكرها، حجج الله وعلاماته نتلوها عليك، أي نعرّفك إياها. ﴿وما اللَّهُ يُريدُ ظُلْماً للعالمين﴾ يعني لا يعذبهم بغير ذنب، ﴿وَلِلَّهِ ما في السموات وما في الأرض﴾ قال بعضهم: هذا معطوف على الأول كأنه يقول: «وما اللَّهُ يُريدُ ظُلْماً للعالمين» لأنهم كلهم عبيده ومخلوقه ومرزوقه فلا يريد ظلمهم. وقال بعضهم: هذا ابتداء كلام، بين لعباده أن جميع ما في السموات وما في الأرض له حتى يسألوه ويعبدوه ولا يعبدوا غيره. ثم قال تعالى: ﴿وإلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمور﴾ يقول: تصير أمور العباد إلى الله في الآخرة.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس﴾ قال الكلبي: أخبر الله تعالى أن خير الدين عند الله دين أهل الإسلام، ووصفهم بالوفاء، فقال تعالى «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» (أخرجت للناس)[(٢)]. . . يقول (كنتم)[(٣)] خير أهل دين كان الناس لا يظلمون من خالطهم، منهم أو من غيرهم، فجعلهم الله خير الناس للناس، ﴿تأمرون بالمعروف﴾ ويقال: خير أمة أُخْرِجَت للناس (تأمرون)[(٤)] بالمعروف (فتقاتلون)[(٥)] الكفار ليسلموا، فترجع منفعتهم إلى غيرهم، كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ «خير الناس من ينفع الناس»[(٦)] ويقال «كنتم خير أمة» يعني «كنتم» عند الله في اللوح المحفوظ، ويقال: كنتم مذ أنتم خير أُمَّة، ويقال: هذا الخطاب لأصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعني أنتم خير الأمة كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ[(٧)]: «خَيْر القرون أصحابي ثم الذين يلونهم». ثم وصفهم فقال: «تَأْمُرُونَ بالمَعْرُوف»، أي بالتوحيد والإسلام ﴿وتنهون عن المنكر﴾ أي عن الشرك ﴿وتؤمنون بالله﴾ أي تصدقون بتوحيد الله، وتثبتون على ذلك. وقال الزجاج[(٨)]: «تؤمنون بالله» معناه تقرون أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبي الله، لأن من كفر بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يوحد الله، لأنه يزعم أن الآيات المعجزات التي أتى بها من ذات نفسه. ثم قال تعالى: ﴿ولو آمن أهل الكتاب﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿لكان خَيْراً لهم﴾ من الإقامة على دينهم، ﴿منهم المؤمنون﴾ وهم مؤمنو أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، ومن آمن من اليهود والنصارى ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ وهم كعب بن الأشرف وأصحابه، والذين لم يؤمنوا منهم ﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ يعني باللسان، بالسب وغيره، وليس لهم قوة القتال ﴿وإن يقاتلوكم﴾ يعني إن أعانوكم في القتال فلا منفعة لكم منهم لأنهم ﴿يُوَلُّوكم الأدبار﴾ وينهزمون ﴿ثم لا يُنْصَرون﴾ يقول: لا يُمْنَعون من الهزيمة فكأنه يحكي ضعفهم عن القتال، يقول: لو كانوا عليكم لا يضرونكم، ولو كانوا معكم لا ينفعونكم، وهذا حالهم إلى (يوم القيامة)[(٩)] وهم اليهود،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٦٦.
(٢) سقط في ظ.
(٣) في ظ [أنتم].
(٤) في ظ [يأمرون].
(٥) في ظ [فيقاتلون].
(٦) قال في كشف الخفا (١/٤٧٢): لم أر من ذكر أنه حديث أولاً فليراجع، لكن معناه صحيح، وفي أحاديث ما يشهد لذلك كحديث «الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله» ويشهد له ما رواه القضاعي عن جابر ـ كما في الجامع الصغير ـ بلفظ «خير الناس أنفعهم للناس».
(٧) أخرجه الترمذي (٤/٤٧٦) كتاب الشهادات (٢٣٠٢). بلفظ «خير الناس قرني». .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٦٧.
(٩) في ظ [اليوم].

ليس لهم شوكة ولا قوة القتال في موضع من المواضع، ويقال: «وإن يقاتلوكم يُوَلُّوكم الأَدْبَار» يعني: إن خرجوا إلى قتالكم وأرادوا قتالكم يولون الأدبار، أي ينهزمون منكم. ويقال: يُوَلُّوكم الأَدْبَار يعني منهزمين. «ثم لا يُنْصَرُون» يقول: لا يُمْنَعون منكم وهو قول الكلبي.

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

ثم قال: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ يقول: جُعِلَت عليهم الجزية ويقال: أُلْزِم عليهم القتال ﴿أيْنما ثُقِفُوا﴾ أي وُجدوا ﴿إلا بحبل من الله﴾ أي بعهد من الله ﴿وحبل من الناس﴾ يعني تحت قوم يؤدون إليهم الجزية، فإن لم يكن لهم عهد قتلوا ﴿وباؤا بغضب من الله﴾ يقول: استوجبوا الغضب من الله تعالى. ويقال: رجعوا بغضب من الله ﴿وضربت عليهم المسكنة﴾ يعني جعل عليهم زي الفقر قال الكلبي: فترى الرجل منهم غنياً وعليه من البؤس (والفقر)[1] والمسكنة. ويقال: إنهم يظهرون من أنفسهم الفقر، لكيلا تضاعف عليهم الجزية ﴿ذلك﴾ الذي يصيبهم ﴿بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالقرآن ﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾ يعني رضوا بما فعل آباؤهم، فكأنهم قتلوهم ﴿ذلك﴾ الغضب ﴿بما عَصَوْا﴾ الله ﴿وكانوا يعتدون﴾. بأفعالهم (كلما)[2] ذكر الله عقوبة قوم في كتابه (بين)[3] المعنى الذي يعاقبهم لذلك، لكيلا يظن أحد أنه عذَّبهم بغير جُرْم.
ثم بيَّن فضيلة من آمن من أهل الكتاب، على من لم يؤمن فقال تعالى: ﴿لَيْسوا سواء﴾ قال بعضهم: هذا معطوف على الأول «منهم المؤمنون، وأكثرهم الفاسقون» ليسوا سواء في الثواب، فيكون هاهنا وقف. وقال بعضهم: هذا ابتداء ويكون فيه مضمر فكأنه يقول: ليس من آمن منهم، ويتلون آيات الله كمن هو كافر. كقوله تعالى: «أَمَّنْ هُوَ قَانِت آناء الليل سَاجِداً وقائماً» معناه ليس كالذي هو من أهل النار، فكذلك هاهنا. قال: ليس من آمن ﴿من أهل الكتاب﴾ كمن لم يؤمن، فبين الذين آمنوا فقال: من أهل الكتاب ﴿أمة قائمة﴾ يعني مُهَذَّبة عاملة بكتاب الله تعالى. ويقال: مستقيمة. وروى الزجاج عن الأخفش قال[4]: ذو أمة قائمة، يعني ذو طريقة قائمة ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن في الصلاة ﴿آناء الليل﴾ يعني في ساعات الليل ﴿وهم يسجدون﴾ أي يصلون لله. قوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ يعني يقرون بالله وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ويأمرون بالمعروف﴾ أي باتباعه ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي عن الشرك ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي يبادرون إلى الطاعات والأعمال الصالحة ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي مع الصالحين، وهم أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجنة.

﴿وما يَفْعَلوا من خير فلن يكفروه﴾ يعني لن تجحدوه ولن تنسوه، يقول: تجزون به، وتثابون عليه في

---

(١) سقط في ظ. (٢) في أ [فكما]. (٣) في أ [فبين]. (٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٦٩.

الآخرة. وهذا كما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال[١]: البرُّ لا يَبْلَى والإثم لا يُنسى. ثم قال تعالى: **﴿والله عليم بالمتقين﴾** أي عليم بثوابهم وهم مؤمنو أهل الكتاب، ومن كان بمثل حالهم. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص. «وما يَفْعَلوا من خير فلن يُكْفروه» كلاهما بالياء، والباقون كلاهما بالتاء على معنى المخاطبة[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

ثم قال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُم﴾**. قال مقاتل: ذكر قبل هذا مؤمني أهل الكتاب، ثم ذكر كفار أهل الكتاب. وهو قوله: «إن الذين كفروا. . .». وأما الكلبي، فقال: هذا ابتداء. **«إن الذين كفروا» لن تغني عنهم** كثرة **﴿أموالهم ولا﴾** كثرة **﴿أولادهم من﴾** عذاب **﴿الله شيئاً﴾**. وقال الضحاك: يعني اليهود والنصارى وجميع الكفار، وكل من خالف دين الإسلام، وذلك أنهم تفاخروا بالأموال والأولاد، وقالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذَّبين. فأخبر الله تعالى: أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم من عذاب الله شيئاً. **﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا﴾**. قال الكلبي: يعني ما ينفقون في غير طاعة الله **﴿كمثل ريح فيها صر﴾** أي برد شديد **﴿أصابت﴾** الريح الباردة **﴿حرث قوم ظلموا أنفسهم﴾** بمنع حق الله تعالى منه. **﴿فأهلكته﴾** يقول: أحرقته فلم ينتفعوا منه بشيء، فكذلك نفقة من أنفق في غير طاعة الله، لا (تنفعه)[٣] في الآخرة، كما لا ينفع هذا الزرع في الدنيا. وقال مقاتل يعني نفقة السفلة على رؤساء اليهود. وقال الضحاك: مثل نفقة الكفار من أموالهم في أعيادهم، وعلى أضيافهم وما يعطي بعضهم بعضاً على الضلالة كمثل ريح» الآية. ثم قال: **﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾** يعني أصحاب الزرع هم ظلموا أنفسهم بمنع حق الله تعالى، فكذلك الكفار، أبطلوا ثواب أعمالهم بالشرك بالله تعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

قوله تعالى: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً من دُونكم﴾** يعني خلّة وصداقة من غير أهل دينكم. وإنما

---

(١) هذا جزء من حديث ذكره السيوطي في الجامع كذا في الفتح ١/١٩، وعزاه لعبد الرزاق عن أبي قلابة مرسلاً بلفظ «البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان».

(٢) راجع: حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٧٠، وكنز المعاني ٣٢٠.

(٣) في أ [لا تنفع].

سميت بطانةً لقربها من البدن «من دونكم» أي من دون المؤمنين. نزلت الآية في شأن جماعة من الأنصار كانت بينهم وبين اليهود مواصلة وخاصية وكانوا على ذلك بعد الإسلام، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك. ويقال: كل من كان على خلاف مذهبه ودينه لا ينبغي له أن يحادثه لأنه يقال في المثل[١]:

عن المَرْءِ لَا تَسْأَلْ [وَأَبْصِرْ][٢] قرينه [فإنَّ القَرِينَ][٣] بالمقارن يَقْتَدِي

وروى أبو هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال[٤]: المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من [يخالل][٥]. وروي عن [ابن مسعود][٦] أنه قال[٧]: اعتبروا الناس بأخْدَانهم. ثم بين الله المعنى الذي لأجله نهى عن المواصلة فقال تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُم خَبَالًا﴾ أي: فساداً، يعني لا يتركون الجهد في فسادكم، يعني أنهم لا يتركون وإن لم يقاتلوكم في الظاهر، فإنهم لا يتركون جهدهم في المكر والخديعة ﴿وَدُّوا ما عَنِتُّم﴾ ما أَثِمْتُم بربكم. وقال الزّجاج[٨]: الخَبَالُ في اللغة، ذِهَابُ الشيء، والعَنَتُ في الأصل: المشقة. وقال القتبي: الخَبَال: الفساد، وقال أيضاً «وَدُّوا ما عنتم» أي ما (أعنتكم)[٩]، وهو ما نزل بكم [من مكروه][١٠]. ثم قال: ﴿قد بَدَتِ البَغْضَاءُ﴾ أي ظهرت العداوة والتكذيب لكم ﴿من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر﴾ أي والذي في صدورهم من العداوة «أكثر» مما أظهروا بأفواههم. ويقال: «وَمَا تُخْفِي صُدُورهم أكبر» أي قصدهم قتل محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنهم كانوا يضمرون ذلك ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ يعني: أخبرناكم بما أخفوا، وبما أبدوا بالدلالات والعلامات ﴿إن كنتم تَعْقِلون﴾ وتصدقون. ﴿ها أنتم أولاء﴾ «يعني ها أنتم يا هؤلاء ﴿تُحِبُّونَهُم﴾ لمظاهرتكم إياهم، ﴿ولا يُحِبُّونكم﴾ لأنهم ليسوا على دينكم، وقال الضحاك: معناه كيف تحبون الكفار، وهم لا يحبونكم ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ يعني بالتوراة والإنجيل وسائر الكتب، ولا يؤمنون بذلك كله وقد فضلكم الله عليهم بذلك، لأنهم لا يؤمنون إلا بكتابهم، ﴿وإذا لقوكم﴾ يعني المنافقين منهم[١١] ﴿قالوا آمنا﴾ بمحمد - صلى الله عليه وسلم - إنه رسول الله[١٢] ﴿وإِذَا خَلَوْا﴾ فيما بينهم ﴿عَضُوا عليكم الأنامل﴾ يعني أطراف الأصابع ﴿من الغيظ﴾ والحنق عليكم، فيقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى هؤلاء قد ظهروا وكثروا. قال الله تعالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكم﴾ يقول: موتوا بحنقكم، على وجه الدعاء والطرد واللعن، لا على وجه الأمر والإيجاب، لأنه لو كان على وجه الإيجاب لماتوا من ساعتهم. كما قال في موضع آخر: «فقال لهم

---

(١) القائل هو طَرَفة بن العبد البكري أصغر أصحاب المعلقات السبع سِنًّا، يقال له «ابن العشرين». والبيت آخر أبيات معلقته في إحدى رواياتها. قال التبريزي: وقيل إنه «لعدي بن زيد». أنظر/ شرح القصائد العشر للتبريزي ص (٢٠٠).

(٢) في أ [وسل عن].

(٣) في أ [فكل قرين] والتصحيح من شرح المعلقات للتبريزي.

(٤) أخرجه الترمذي (٤/٥٠٩) كتاب الزهد (٢٣٧٨) وأبو داود (٤/٢٥٩) كتاب الأدب/ باب من يؤمر أن يجالس (٤٨٣٣) وأحمد في المسند (٢/٣٠٣) والحاكم في المستدرك (٤/١٧١).

(٥) في أ [يخالط]. (٦) في ظ [ابن عباس].

(٧) ذكر السيوطي - كذا في الفتح - نحوه من حديث ابن مسعود مرفوعاً وعزاه لابن عدي في الكامل وموقوفاً للبيهقي في الشعب بلفظ «اعتبروا الأرض بأسمائها واعتبروا الصاحب بالصحاب» ورمز له بالضعف. وقال المناوي: قال بعضهم: طرقه كلها ضعيفة لكن له شواهد كخبر الطبراني «اعتبروا الناس بإخوانهم». فيض القدير (١/٥٥٢ - ٥٥٣).

(٨) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٧٣. وقال ابن الأعرابي: «لا يألونكم خبالاً»: أي لا يقصرون في فسادكم (اللسان: خبل).

(٩) في ظ [اعنفتم]. (١٠) في ظ [من كل مكروه]. (١١) زيادة في ظ. (١٢) زيادة من ظ.

اللَّهُ مُوتُوا» فماتوا من ساعتهم [فهاهنا لم يرد به الإيجاب](١). وقال الضحاك: «**قل موتوا بغيظكم**» يعني أنكم تخرجون من الدنيا بهذه الحسرة والغيظ، يعني اللفظ لفظ الأمر، والمراد به الخبر يعني أنكم تموتون بغيظكم ثم قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ يعني بما في قلوبكم من العداوة للمؤمنين، إن الله يجازيكم بذلك.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

[ثم قال للمؤمنين](٢) ﴿**إن تمسسكم حسنة**﴾ يعني الظفر والغنيمة كما أصابكم يوم بدر ﴿**تسؤهم**﴾ أي يسوؤهم ﴿**وإن تُصِبْكُم سيئة**﴾ يعني الهزيمة، كما أصابكم يوم أحد، ويقال: الشدة في العيش والقحط. ﴿**يفرحوا بها وإن تصبروا**﴾ على أذى المنافقين واليهود﴿**وتتقوا**﴾ المعصية [والشرك](٣) وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: وإن تصبروا على أمر الله وتتقوا معاصيه. ﴿**لا يضركم كيدهم شيئاً**﴾ يقول: لا تضركم عداوتهم شيئاً. قرأ ابن كثير ونافع. وأبو عمرو «**لَا يَضِرْكُم**» بكسر الضاد وجزم الراء وقرأ الباقون: بضم الضاد وتشديد الراء: ومعناهما قريب في التفسير(٤). يعني لا ضير عليكم من كيدهم. ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعملون محيط**﴾ يعني أحاط علمه بأعمالهم، والإحاطة هي إدراك الشيء بكماله.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿**وإذ غَدَوْتَ من أَهْلك**﴾ يعني خرجت من منزلك بالصباح، ويقال: من عند أهلك، وهي عائشة ـ رضي الله عنها ـ ﴿**تُبَوِّىءُ المؤمنين**﴾ يعني تهيىء للمؤمنين ﴿**مقاعد للقتال**﴾ يعني مواضع للحرب، قال الكلبي: هو يوم أحد. وقال مقاتل: هو يوم الخندق. ﴿**والله سميع**﴾ لدعائك ﴿**عليم**﴾ بأمر الكفار. ﴿**إِذْ هَمَّت طائفتان منكم**﴾ يعني أرادت وأضمرت طائفتان من المسلمين، وهما حيا بني حارثة وبني سلمة من الأنصار ﴿**أن تفشلاً**﴾ يعني أن تَجْبُنَا عن القتال ـ مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وترجعا. ﴿**والله وليهما**﴾ أي ناصرهما (وحافظهما)(٥)، حيث لم يرجعا، لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج من المدينة يوم أحد، ومعه ألف رجل فرجع، عبد الله بن أبي بن سلول مع ثلاثمائة من المنافقين ومن تابعهم فدخل الفشل في قبيلتين من الأنصار وهم المؤمنون، فأرادوا أن يرجعوا، فحفظ الله تعالى قلوبهم فلم يرجعوا، فذلك قوله «والله وليُّهما» أي حافظ قلوبهما. ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون**﴾. يعني على المؤمنين أن يتوكلوا على الله، وهذه كلها مِنَنٌ ذكرها الله لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليعرف ويشكر الله تعالى، ويصبر على ما يصيبه من الأذى.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ

---

(١) زيادة من ظ.
(٢) زيادة من ظ.
(٣) زيادة من ظ.
(٤) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٧٧ وكنز المعاني ص ١٣٢.
(٥) في ظ [وحافظ قلوبهما].

أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾

ثم ذكَّرهم أمر بَدْر فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ أي أعانكم الله ببدر ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ يعني قليلة. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يعني اعرفوا هذه النعمة، واتقوا الله ولا تعصوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي لكي تشكروا الله. ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني يوم أحد. ﴿أَلَنْ يَكْفِيكُم أَنْ يُمِدَّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ منزلين﴾ من السماء. يقول الله تعالى: ﴿بلى إن تَصْبِرُوا﴾ مع نبيكم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ معصيته بالهزيمة ﴿وَيَأْتُوكُم مِنْ فَوْرِهِم هَذَا﴾ يعني العدو يأتوكم من وجوههم ﴿يُمْدِدْكُم رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ من الملائكة مُسَوِّمين﴾ يعني مُعلمين بالصوف الأبيض في نواصي الخيل، وفي أذنابها، عليهم البياض، قد أَرْخَوْا أطراف العمائم بين أكتافهم، فأنزل الله تعالى عليهم يوم بدر ثلاثة آلاف ووعد لهم يوم أحد خمسة آلاف، ولكنهم لما عصوا وتركوا أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجعوا عنهم، ولو أنهم صبروا لنزلت عليهم[١]. قرأ عاصم وابن كثير وأبو عمرو «مسوِّمين» بكسر الواو، والباقون بالنصب ومعناهم قريب، وهو إرخاء أطراف العمائم بين الأكتاف[٢] وهذا كما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال يوم بدر تسوّموا فإن الملائكة قد تسومت[٣].

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

ثم قال تعالى: ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم﴾ يعني المدد من الملائكة. قال بعضهم: إن الملائكة لم تقاتل، وإنما بعثهم للبشارة، وتسكين قلوب المؤمنين، لأن في قتال الملائكة، لم يكن للمؤمنين فضيلة، وإنما كانت الفضيلة للمؤمنين إذا كانوا هم الذين يقاتلون، ويهزمون الكفار، ولو كان ذلك لأجل الإعانة، لكان ملك واحد يكفيهم، كما فعل بقوم لوط ـ ألا ترى أنه قال تعالى: «وَيُقَلِّلُكُم في أعينهم» فجعل الفضيلة في قلتهم في أعين الكفار، ونصرتهم بالغلبة، وهذا معنى قوله تعالى: «وما جَعَلَه اللَّهُ إلاَّ بُشْرَى لَكُم» ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ به﴾ يعني (تطمئن)[٤] إليه قلوبكم. وقال بعضهم: إن الملائكة كانوا يقاتلون [وكانت][٥] علامة ضربهم في الكفار ظاهرة، لأن كل موضع أصابت ضربتهم اشتعلت النار في ذلك الموضع حتى إن أبا جهل قال لابن مسعود: أنت ما قتلتني إنما قتلني الذي لم [يصل][٦] سناني إلى سنُبك فرسه، وإن اجتهدت». وإنما كانت الفائدة في كثرة الملائكة، لتسكن قلوب المؤمنين، ولأن الله تعالى جعل أولئك الملائكة مجاهدين إلى يوم القيامة، وكل عسكر من المسلمين صبروا واحتسبوا تأتيهم تلك الملائكة ويقاتلون معهم. ويقال: الفائدة في كثرة الملائكة أنهم كانوا يدعون

---

(١) أنظر: تفسير الطبري ١٨٦/٧ وما بعدها.

(٢) من قرأ بالكسر على إسم الفاعل بمعنى سَوَّمُوا أَنْفُسَهم: أي جعلوا لها علامة يعرفون بها. ومن قرأ بالفتح على اسم المفعول كان الله تعالى سَوَّمهم من السومة وهي العلامة. كنز المعاني ٣٢١، ٣٢٢، حجة القراءات لابن زنجلة ١٧٣، ١٧٤.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١٨٦/٧ (١٧٧٦) من حديث «عسير بن إسحاق القرشي» أبو محمد مولى بني هاشم روي عن المقدار بن الأسود وعمرو بن العاص وأبي هريرة وكان قليل الحديث. وقال أبو حاتم والنسائي «لا نعلم أحداً روي عنه غير ابن عون» قال ابن معين «ثقة» وقال أيضاً: «لا يساوي حديثه شيئاً ولكن يكتب حديثه وهذا الحديث مرسل، وعن رجل: يكتب حديثه ولا يحتج به.

(٤) في ظ [لتسكن]. (٥) في أ [وكان]. (٦) في أ [تصل].

ويسبحون، وثواب ذلك للذين يقاتلون يومئذ، وسنذكر قصة بدر في سورة الأنفال إن شاء الله تعالى. ثم قال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ العزيزِ الْحَكِيم﴾ يعني ليس بكثرة العدد ولا بقلته، ولكن النصر من الله تعالى كما قال في آية أخرى: «إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً».

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾

ثم قال: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أرسل الملائكة، ونصر المؤمنين لكي يقطع طرفاً، أي يستأصل جماعة من الذين كفروا ﴿أو يكبتهم﴾ قال الكلبي: أي يهزمهم. وقال مقاتل: يعني: يخزيهم، كقوله «كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ»، ويقال: يقنطهم. ﴿فينقلبوا﴾ إلى مكة ﴿خائبين﴾ لم يصيبوا ظفراً ولا خيراً، وقد قتل منهم [سبعون][1]، وأسر منهم [سبعون][2] ويقال: معناه، وما جعله الله إلا بُشْرَى لكم ولتطمئن قلوبكم به وليقطع طرفاً من الذين كفروا ثم قال عز وجل: «ليس لك من الأمر شيء». روي جويبر عن الضحاك قال: لما كان يوم أحد، كسرت رباعية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وادمي ساقه، (وقتل)[3] سبعون رجلاً من الصحابة فَهَمَّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعو على المشركين، فأنزل الله تعالى «لَيْسَ لَكَ مِن الأَمر شَيْءٌ» أي: ليس لك من الحكم شيء «أو يتوب عليهم» يعني كفار قريش يهديهم إلى الإسلام. وقال الكلبي: فهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يلعن الذين انهزموا من الصحابة يوم أحد، فنزل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، يعني الذين انهزموا ﴿أو يُعَذِّبهم فإنهم ظالمون﴾ قال: فلما نزلت هذه الآية كف ولم يلعن المشركين، ولا الذين انهزموا من الصحابة، لعلم الله فيهم: أنهم سيتوبون، وأن المشركين سيؤمن كثير منهم وقد آمن كثير منهم فمنهم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وغيرهم. قال مقاتل: وكان سبعون رجلاً من أصحاب الصُّفَّة خرجوا إلى الغزو محتسبين، فقتل السبعون جميعاً فشق ذلك على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعا الله عليهم أربعين يوماً في صلاة الغداة فنزل قوله تعالى: «ليس لك من الأمر شيء» ويقال: معنى قوله: أو يتوب عليهم. أو يعذبهم إن لم يكونوا من أهل التوبة.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

ثم عظم نفسه فقال تعالى: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ يعني أن جميع الخلق في ملكه، وعبيده. ﴿يغفر لمن يشاء﴾ وقال الضحاك: يغفر لمن يشاء الذنب (العظيم)[4] ﴿ويعذب من يشاء﴾ على الذنب الصغير، إذا أصر على ذلك ﴿واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. في تأخير العذاب [عنهم حيث][5] لم يعاقبهم (قبل)[6] توبتهم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تأكلوا الربا أَضْعَافاً مضاعفة﴾ قال الزَّجاج[7]: يعني لا تضاعفوا أموالكم بالربا. وقال

---

(١) في أ [سبعين]. (٢) في أ [سبعين]. (٣) في ظ [وقتلوا]. (٤) في ظ [الكبير].
(٥) في أ [و]. (٦) في ظ [وقيل توبتهم]. (٧) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٨١.

القتبي: هو ما يضاعف منها شيء بعد شيء. ويقال: أضعافاً مضاعفة عند البيع، (ببيعه)[١] بأكثر من قيمته مضاعفة بعد العقد، أن يزيده في الأجل ويزيد في المال. ويقال: المضاعفة: هي نعت الأضعاف، كما قال تعالى: «حَلالاً طيباً» والطيب: هو نعت الحلال. ثم قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ في الربا فلا تستحلوه ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي لكي تنجوا من العذاب. ثم خَوَّفهم فقال: ﴿واتَّقُوا النَّارَ التي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ يعني خُلقت وهيئت للكافرين. وقالت المعتزلة: من أتى بالكبيرة ومات عليها، فإنه يخلد في النار (كالكافر، فإنه)[٢] وعد لأكل الربا النار كما وعد الكفار وقال أكثر أهل العلم والتفسير: هذا الوعيد لمن استحل الربا ومن استحل الربا فإنه يكفر ويصير إلى النار، ويقال: معناه: اتقوا العمل الذي ينزع منكم الإيمان فتستوجبوا النار، لأن من الذنوب ما يستوجب به نزع الإيمان، ويخاف عليه، فمن ذلك عقوق الوالدين. وقد جاء في ذلك أثر: أن رجلاً كان عاقاً لوالدته يقال له علقمة فقيل له عند الموت قل: لا إله إلا الله، فلم يقدر على ذلك حتى (جاءت)[٣] أمه فرضيت [منه][٤] ومن ذلك قطيعة الرحم، وأكل الربا، والخيانة في الأمانة. وذكر أبو بكر الوراق عن أبي حنيفة أنه قال: (أكبر)[٥] ما في الذنوب (الذي ينزع)[٦] الإيمان من العبد عند الموت، ثم قال أبو بكر: (فنظرنا)[٧] في الذنوب التي تنزع الإيمان من العبد، فلم نجد شيئاً أسرع نزعاً للإيمان من ظلم العباد.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ﴾ يعني أطيعوا الله في الفرائض والرسول في السنن، ويقال وأطيعوا الله في تحريم الربا والرسول فيما بلغكم من التحريم ﴿لعلكم تُرْحَمُون﴾ ولا تُعَذَّبُونَ ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾. قرأ نافع ومن تابعه من أهل المدينة، وابن عامر ومن تابعه من أهل الشام «سارعوا» بغير الواو على معنى الابتداء، وقرأ الباقون (بالواو)[٨] على معنى العطف[٩]، قال الكلبي: معناه وسارعوا إلى التوبة من الربا. وقال مقاتل: وسارعوا بالأعمال الصالحة التي هي مغفرة لذنوبكم وإلى الجنة. وقال الضحاك: يعني سارعوا إلى (النجاء)[١٠] الأكبر إلى الصف المقدم [في الصلاة][١١]، وإلى [الصف المقدم في][١٢] القتال، ويقال: وسارعوا حتى لا تفوتكم تكبيرة الافتتاح ثم قال تعالى ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾، قال القتبي: أي سعتها، ولم يرد به العَرْض الذي هو خلاف الطول، والعرب تقول: بلاد عريضة أي واسعة. ويقال: عَرْضُ الجنة كعرض سبع سماوات، وكعرض سبع أرضين، لو ألزق بعضها إلى بعض، وإنما ذكر العرض ولم يذكر الطول، لأن طولها لا يعرف ولا يدرك. وقال الكلبي: الجنان (أربع)[١٣]: جنة عدن وهي الدرجة العليا، وجنة المأوى، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، كل جنة منها كعرض السموات والأرض لو وصل بعضها إلى بعض. ويقال: لم يرد بهذا التقدير، ولكنه أراد بذلك أنها أوسع شيء رأيتموه، وقال السدي[١٤]: لو كسرت السموات وصرن خردلاً فبكل خردلة لله جنة

---

(١) في أ [بيعه].
(٢) في ظ [كالكفار لأنه].
(٣) في أ [جاءته].
(٤) في أ [عليه].
(٥) في ظ [أكثر].
(٦) في ظ [التي تنزع].
(٧) في أ [فنظر].
(٨) في ظ [وسارعوا].
(٩) راجع: كنز المعاني ٣٢٢، وحجة القراءات لابن زنجلة ١٧٤.
(١٠) زيادة من ظ.
(١١) سقط من ظ.
(١٢) في أ [صف].
(١٣) في ظ [أربعة].
(١٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكبير أبو محمد القرشي. تهذيب التهذيب ٣١٣/١.

عرضها كعرض السموات والأرض. حدثنا محمد بن داود، قال: حدثنا (محمد)[1] بن يحيى قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا يعقوب[2] عن أبي حازم[3] قال: أخبرني سهل بن سعد[4]، قال: إن أدنى أهل الجنة، يقال له تَمَنَّ، فيقول: أعطني كذا، [أعطني كذا][5] حتى إذا لم يجد شيئاً يتمنى لُقِّن، فيقال لـه تَمَنَّ، قل كـذا (قل كذا)[6]، فيقول: فيقال له (هو)[7] لك (ولك)[8] مثله معه وفي رواية أبي سعيد الخدري[9]: لك هذا وعشرة أمثاله معه. ثم قال تعالى: ﴿أُعِدَّت للمتقين﴾ يعني الجنة.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾

ثم نَعَت المتقين فقال ﴿الَّذِين يُنفقُونَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ﴾ إلخ الآية، [نعت للمتقين، ويقال: إن كل نعت من ذلك هو نعت على حدة، فكأنه يقول: أعدت للمتقين الذين ينفقون من السراء... إلخ][10]. قوله: ﴿في السَّرَّاء والضَّرَّاءِ﴾ أي ينفقون أموالهم في حال اليسر وفي حال العسر وهذا قول الكلبي وقال مقاتل والضحاك: في حال السعة والشدة. ويقال في حال الصحة والمرض، ويقال: ﴿في السراء﴾ يعني في حال الحياة، ﴿وفي الضراء﴾ يعني[11] بعد الموت ويقال: في سراء المسلمين في عرسهم وولائمهم، ﴿والضراء﴾ في نوائبهم ومآتمهم، ويقال: ﴿في السَّرَّاءِ﴾ يعني النفقة التي تسركم، مثل النفقة التي على الأولاد والأقربين، ﴿والضراء﴾ النفقة على الأعـداء والكاشحين ويقال: ﴿في السراء﴾ يعني: على الأنبياء يضيفهم، ويهدي إليهم ﴿والضَّرَّاء﴾ يعني على أهل الضر، يتصدق عليهم. ﴿والكاظمين الغيظ﴾ يعني (المرددين)[12] الغيظ في أجوافهم وأصله في اللغة: كظم البعير إذا رَدَّد جِرَّتَه[13]، ومعناه الذين إذا أصابهم الغيظ تجاوزوا ولم يعاقبوا. ﴿والعافين عن الناس﴾ قال الكلبي: يعني عن المملوكين ويقال: ﴿والعافين عن الناس﴾ بعد قدرتهم عليهم، فيعفوا عنهم. ﴿والله يُحِبُّ المحسنين﴾ من الأحرار والمملوكين، ويقال: الذين يحسنون بعد العفو ويزيدون عليه إحساناً. وروي عن رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه، ثم لم ينفذه، زوجه الله من الحور العين حيث يشاء[14]،

---

(١) في أ [أحمد والصحيح]: محمد وهو: محمد بن يحيى بن عبد الله الأهلي أبو عبد الله النيسابوري. التهذيب ٩/٥١١.

(٢) هو: يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المدني حليف بني زهرة سكن الإسكندرية وثقة ابن معين وأحمد وذكره ابن حبان في الثقات. التهذيب ١١/٣٩١ ـ ٣٩٢.

(٣) سلمة بن دينار أبو حازم الأعرج ثقة. التهذيب ٤/١٤٣ ـ ١٤٤.

(٤) سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي من مشاهير الصحابة يقال كان إسمه «حزنا» فغيره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حكاه ابن حبان. الإصابة ٣/١٤٠.

(٥) زيادة من ظ. (٦) في أ [أو كذا]. (٧) سقط في ظ.

(٨) في ظ [ذلك].

(٩) أخرجه مسلم في الصحيح ١/١٧٥ في كتاب الإيمان / باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣١١/١٨٨).

(١٠) سقط في أ. (١١) في ظ [زيادة: يعصي]. (١٢) في أ [المترددين].

(١٣) انظر اللسان (كظم) وفيه: والأصل في الكظم: الإمساك على غيظ وغم، والجرة: ما تخرجه من كروشها فتجتر.

(١٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/٤٤٠ وأخرجه أبو داود في السنن ٤/٢٤٨ في الأدب/ باب من كظم غيظا (٤٧٧٧) وأخرجه الترمذي ٤/٣٢٦ ـ ٣٢٧ في كتاب البر والصلة/ باب في كظم الغيظ (٢٠٢١) وأخرجه ابن ماجه ٢/١٤٠٠ في كتاب الزهد (٤١٨٦) والبيهقي في السنن الكبرى ٨/١٦١.

وفي خبر آخر عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: ما عَفَى رجلٌ عن مَظْلَمة قط إلا زاده الله بها عزًا[١].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾

قوله تعالى: **﴿والذين إذا فَعَلُوا فاحشة﴾** نزلت في شأن رجل تَمَّار، جاءت امرأة تشتري منه تمراً، فأدخلها في [حانوته][٢] وقبلها ثم ندم على ذلك، فنزلت هذه الآية ويقال نزلت هذه الآية في رجل مَسّ امرأة أخيه في الله وكان أخوه خرج غازياً ثم ندم وتاب. ويقال: إنها نزلت في شأن بهلول النباش[٣] تاب عن صنيعه فنزلت هذه الآية، فقال تعالى: «والَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً» يعني الزّنا **﴿أو ظَلَموا أنفسهم﴾** يعني القُبْلَة (واللمس)[٤]. ويقال: الفاحشة: كل فعل يستوجب به الحد في الدنيا «أو ظَلَمُوا أنفسهم» ما دون ذلك. ويقال: الفاحشة: ما استوجب به النار «أو ظلموا أنفسهم» ما استوجب به الحساب والحبس. وقال إبراهيم النخعي: الظلم ها هنا تفسير الفاحشة[٥]، فكأنه يقول: «والذين إذا فعلوا فاحشة وظلموا أنفسهم». **﴿ذَكَروا الله﴾** أي خافوا الله، ويقال: ذكروا مقامهم بين يدي الله، ويقال: ذكروا عذاب الله **﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾** يعني الاستغفار باللسان، والندامة بالقلب. ويقال: الاستغفار باللسان بغير ندامة (القلب)[٦] توبة الكذابين. وروي عن الحسن البصري أنه قال: استغفارنا يحتاج إلى الاستغفار الكثير. ثم قال تعالى: **﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاّ اللَّهُ﴾** يعني لا يغفر الذنوب إلا الله. **﴿ولم يُصِرُّوا على مَا فَعَلُوا﴾** يعني لم يقيموا على ما فعلوا من المعصية. **﴿وهم يَعْلَمُونَ﴾** أنها معصية فلا يرجعون. ويقال: في الآية تقديم وتأخير فكأنه يقول: والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله. **﴿أولئك﴾** يعني أهل هذه الصفة **﴿جزاؤهم﴾** يعني ثوابهم **﴿مَغْفِرَةٌ مِن رَبِهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنعم أَجْر الْعَامِلِين﴾** يعني نعم ثواب العاملين الجنة، وهو قول الكلبي. وقال مقاتل: نعم ثواب التائبين من الذنوب الجنة **﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾** أي قد مضت لكل أمة سنة ومنهاج فإذا اتبعوها رضي الله عنهم. قال الكلبي: قد مضت سنة بالهلاك فيمن كان قبلكم، فانظروا: أي فاعتبروا كيف كان جزاء المكذبين. وقال مقاتل: نحو هذا، وقال: يخوف الله هذه الأمة بمثل عذاب الأمم (السابقة)[٧]. وقال السدي: **﴿فَسِيرُوا في الأَرْضِ﴾** أي اقرءوا القرآن **﴿فانظروا كيف كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾**، لأن من لم يسافر، فإنه لا يعرف ذلك. وأما من قرأ القرآن فإنه يعرف ذلك. وقال الحسن: اقرأوا القرآن وتدبروا فيه، فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين.

---

(١) أخرجه أحمد في السند ٢/٤٣٨. (٢) في ظ [الحانوت].

(٣) بهلول بن دويب النباش جاء ذكره في حديث لم يثبت. الإصابة ١/١٧٣.

(٤) في أ [والمس].

(٥) أخرجه ابن جرير في التفسير ٧/٢١٨ (٧٨٤٨) وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٧٧ لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) في أ [للقلب]. (٧) في أ [الخالية].

هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

[ثم قال][1]: ﴿هذا بيان للناس﴾ يعني القرآن بيان للناس من الضلالة ﴿وهُدًى﴾ من العمى ﴿ومَوعِظَةٌ﴾ من الجهل، ويقال: هدى وموعظة أي كرامة ورحمة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي لا تضعفوا، ولا تجبنوا، ويقال: ولا تَعْجزوا عن عدوكم، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابكم من القتل والهزيمة يوم أحد ﴿وأنتم الأَعْلَوْن﴾ يعني الغالبون، يقول: آخر الأمر لكم، ويقال: وأنتم الأَعْلون في الجنة. ويقال: هذا وعد لأصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المستأنف «وأنتم الأَعْلون» أي الغالبون على الأعداء بعد أحد فلم يخرجوا بعد ذلك في عسكر إلا ظفروا في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي كل عسكر كان بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا كان فيه واحد من الصحابة، كان الظفر لهم، فهذه البلدان كلها إنما فتحت في عهد أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم بعد انقراضهم ما فتحت بلدة على الوجه، كما كانوا يفتحون في ذلك الوقت. ويقال: في هذه الآية بيان فضل هذه الأمة، لأنه خاطبهم بما خاطب به أنبياءه لأنه قال لموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ «إنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى». وقال لهذه الأمة: «وأنتم الأَعْلَوْن». ويقال: اشتُقَّت هذه اللفظة من اسم الله تعالى، لأن اسمه العلي الأعلى، وقال للمؤمنين: «وأنتم الأَعْلَون» ﴿إنْ كُنْتُم مؤمنين﴾ يعني إن كنتم مصدقين بوعد الله، ويقال: معناه: إذ كنتم مؤمنين. ويقال: في الآية تقديم وتأخير، فكأنه قال: ولا تهنوا ولا تحزنوا إن كنتم مؤمنين وأنتم الأعلون، ويقال: إن هذا وعد لهم بأنهم غالبون إن ثبتوا وصدقوا، فلو أنهم ثبتوا وصدقوا لغَلَبُوا كما غَلَبوا يوم بدر، ولكنهم تركوا أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرجع الأمر عليهم، وكانت القصة في ذلك أنهم لما غَلَبوا المشركين يوم بدر وأصابوا منهم ما أصابوا، وسنذكر قصة بدر في سورة الأنفال ـ إن شاء الله تعالى ـ فرجع أبو سفيان بن حرب إلى مكة بالعير. وانهزم المشركون وذهب عكرمة بن أبي جهل، ورجال (أُصِيب)[2] أبناؤهم وآباؤهم وإخوانهم ببدر إلى أبي سفيان بن حرب، وهو رئيس مكة، فكلموه، وأتاه كل من كان له في ذلك العير مال. فقالوا: إن محمداً قد قتل خياركم [فاستعينوا بهذه الأموال][3] على حربه ففعلوا. قال الضحاك: (فأعانهم)[4] أبو سفيان بمائة راحلة، وما يصلحها من الزاد والسلاح، (فسارت)[5] قريش، وهم ثلاثة آلاف رجل، وعليهم «أبو سفيان بن حرب»، وكان في القوم «خالد بن الوليد» و«عمرو بن العاص»، و«عكرمة بن أبي جهل»، وذلك قبل دخولهم في الإسلام فلم يبق أحد من قريش إلا وخرج أهله معه وولده، يجعلهم خلف ظهره ليقاتل عنهم، فلما سمع (معهم)[6] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطب الناس وقال في خطبته: إني رأيت فيما يرى النائم كأن في سيفي ثلمة فأولتها مصيبة في نفسي، ورأيت بقوراً قد ذبحت فأولتها قتلى في أصحابي، ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأوّلتُها المدينة، فأشيروا عليَّ، وكره الخروج إليهم، فكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن لا يخرج إليهم، ولكنه كان منافقاً، فقال يا رسول الله، لا تخرج إليهم فإنا ما خرجنا إلى عدوٍّ قط إلا أصاب منا، ولا دخل علينا إلا أصبنا منه فقال رجال من المسلمين ممن أكرمهم الله بالشهادة [وغيرهم ممن فاتته

---

(١) زيادة من ظ.
(٢) في أ [أصيبت].
(٣) في ظ [فاعينو بهذا المال].
(٤) في ظ [قد أعانهم].
(٥) في أ [فسافرت].
(٦) في أ [ذلك].

بدر][(١)]: أخرج لهم يا رسول الله، لكي لا يرى أعداء الله أنا قد جَبُنَّا (عنهم)[(٢)] (وضعفنا عن قتالهم)[(٣)]، فلم يزالوا به حتى دخل ولبس لأمته، ثم خرج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليهم، وقد خرج الناس، [فقالوا: استكرهنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم][(٤)] فقالوا: يا رسول الله قد استكرهناك، وما كان لنا ذلك فإن شئت فاخرج، وإن شئت فاقعد، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما ينبغي للنبي أن يضع سلاحه إذا لبسه حتى يقاتل. فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسار إلى أُحدٍ فانخذل عبد الله بن أبي بن سلول، قال في رواية الكلبي: فرجع معه ثلاثمائة من الناس، وبقي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نحو سبعمائة رجل وقال في رواية الضحاك: فانخذل في ستمائة رجل من اليهود، وبقي مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألف رجل من المؤمنين الطيبين، ثم خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى نزل بالشِّعب من أحد، وأمر عبد الله بن جبير على الرُّمَاة وقال لهم: لا تَبْرَحوا من هذا الموضع واثبتوا [ههنا][(٥)] إن كان الأمر علينا أو لنا. وقال في رواية الكلبي: كان الرماةُ خمسين رجلاً، وقال في رواية الضحاك كانوا سبعين رجلاً، فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ظهره إلى أحد، ودنا المشركون وأخذوا في الحرب فقامت هند امرأة أبي سفيان وصواحبتها حين حميت الحرب يضربن بالدُّفوف خلف قريش ويقلن:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشي على النَّمَارِق
إن تُقْبِلُوا نُعَانِقْ أو تُدْبِرُوا نفارق
فِرَاقَ غَيْرَ وَامِق

فقاتل أبو دجانة في نفر من المسلمين قتالاً شديداً، وقاتل علي بن أبي طالب حتى (انكسر)[(٦)] سيفه، وقاتل سعد بن أبي وقاص، وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لسعد: إرم فداك أبي وأمي[(٧)]، فقتلوا جماعة من المشركين، وَصَدَقَهم الله وعده، وأنزل نصره، حتى كانت هزيمة القوم لا شك، فكشفوهم عن عسكرهم قال الزبير: رأيت هنداً وصواحبتها هوارب، فلما نظر الرماة إلى القوم وانهزموا أقبلوا على النهب، فقال لهم عبد الله بن جُبَيْر، لا تَبْرحوا عن هذا الموضع، فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد عَهِدَ إليكم، فلم يلتفتوا إلى قوله وظنوا أن المشركين قد انهزموا، فبقي عبد الله بن جبير مع ثمانية نفر، فخرج خالد بن الوليد مع خمسين ومائتي فارس من قِبَل الشِّعب، فقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف أقفية المسلمين، وتفرق المسلمون، ورجع المشركون وحملوا حملةً واحدة فصار المسلمون ثلاثة أنواع: بعضهم جريح، وبعضهم قتيل، وبعضهم منهزم، وكان مصعب بن عمير يَذُبُّ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى قُتِلَ دونه، ثم قاد زياد بن (السكن)[(٨)] فقاتل بين يدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى قُتِل، وخلص الحرب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقذف بالحجارة حتى وقع بشفتيه وأصيبت رباعيَتُه، وكُلِمَتْ شفته، وأدمي ساقه فقال سفيان بن عيينة: لقد أصيب مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [نحو][(٩)] ثلاثين رجلاً كلهم جثوا بين يديه، أو قال كلهم يتقدم بين

---

(١) زيادة من ظ. (٢) في ظ [لهم]. (٣) في ظ [أوضعفنا عنهم].
(٤) زيادة من ظ. (٥) زيادة من ظ. (٦) في ظ [القوي].
(٧) أخرجه البخاري ٣٥٨/٧ في المغازي / باب (١٨) حديث (٤٠٥٩) ومسلم ١٨٧٦/٤ في فضائل الصحابة / باب فضل سعد بن أبي وقاص ـ (٤١/ ٢٤١١) والترمذي في السنن رقم (٣٧٥٥) وابن ماجه (١٢٩، ١٣٠) وأحمد في المسند ١٢٤/١، ١٣٧ والطيالسي في المسند كما في المنحة (٢٥٤١) والطبراني في الكبير ١٠٤/١.
(٨) في ظ [سكن]. (٩) زيادة من ظ.

يديه ثم يقول: وجهي لوجهك الوفاء ونفسي لنفسك الفداء وعليك سلام الله غير مودع. فرجع الذي قتل مصعب بن عمير، فظن أنه (قتل)[١] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال للمشركين: قتلت محمداً، فصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل. ويقال: كان ذلك إبليس ـ لعنه الله ـ فولى المسلمون هاربين متحيّرين، وجاء إبليس لعنه الله ونادى بأعلى صوته في المدينة ألا إن محمداً قد قتل، وأَخَذَت النسوة في البكاء في البيوت، فأقبل أَنَس بن النضر، عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رِجَالٍ من المهاجرين والأنصار، فقال: ما يُجْلِسكم، قالوا: قتل محمد فقال: ما تصنعون بالحياة بعده، موتوا كراماً على ما مات عليه نبيُّكم، ثم أقبل نحو العدو فقاتل حتى قتل، قال كعب بن مالك، فأول من كنت عرفت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المسلمين عرفت عينيه من تحت المغفر تزهران، فناديت بأعلى صوتي، يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأشار إليَّ (أن)[٢] اسكت، وقال أنس بن مالك: قد شج وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم، ويقول: كيف يفلح قوم خَضَّبُوا وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدم، وهو يدعوهم إلى ربهم. ويقال: إن أصحابه لما اجتمعوا قالوا: يا رسول الله لو دعوت الله على هؤلاء الذين صنعوا بك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لم أُبْعَثْ طَعَّاناً ولا لَعَّاناً، ولكن بعثت داعياً ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، فجاءه أُبَيّ بن خلف الجمحي، فقال: يا محمد لا نَجوتُ إن نجوتَ مني فهم المسلمون بقتله، فقال لهم: دعوه حتى دنا منه، فتناول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحربة من الحارث بن الصمة ورماه بها، فخدشه في عنقه خدشاً غير (كبير)[٣] وقد كان ذلك لقي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة، وقال: عندي فرس أعلفه كل يوم فرق ذرة أقتلك عليه، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل أنا أقتلك ـ إن شاء الله ـ فلما خدشه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عنقه رجع إلى قريش وهو يقول: قتلني محمد فقالوا له ما بك من طعن، فقال: بلى لقد قال لي: أنا أقتلك، والله لو (بصق)[٤] علي بعد تلك المقالة لقتلني، فمات قبل أن يصل إلى مكة في (طريقها)[٥] وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واقفاً عند أحد وقد اجتمع عليه بعض أصحابه، فعلت عليه فرقة من قريش في الجبل فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا ينبغي لهم أن يعلونا فأقبل عمر ورهط من المهاجرين فقاتلوهم حتى أهبطوهم من الجبل. وقد كان «جبير بن مطعم» قال لمملوك له يقال له «وحشي»: إن أنت قتلت محمداً جعلت لك أعنة الخيل، وإن أنت قتلت علي بن أبي طالب جعلت لك مائة ناقة، كلها سود الحدقة، وإن أنت قتلت حمزة فأنت حرٌّ فقال وَحْشي: أما محمد فعليه حافظ من الله تعالى لا يخلص إليه أحد، وأما عَلَيٌّ فما برز إليه رجل إلا قتله، وأما حمزة فرجل شجاع فعسى أن أُصَادفه في غِرَّته فاقتله مكانه، وكانت هند كلما مر بها وَحْشي أو مرّت به هند قالت له: إيهاً أبا دسمة إشف واستشف، فكمن وحشي خلف صخرة وكان حمزة حمل على قوم من المشركين، فلما رجع من حملته مر بوحشي وهو خلف الصخرة فزرقه (بمزراق)[٦] فأصابه فسقط فذهبت هند ابنة عتبة والنسوة [اللاتي][٧] معها، يمثلن بالقتلى، يجدعن الآذان والأنوف (وشَقَّت)[٨] هند بطن حمزة وأخذت كبده ومضغته، ثم صعدت هند على صخرة وهي تنادي بأعلى صوتها نَحْنُ جَزَيْنَاكم بيوم بَدْر، وأقبل أبو سفيان وهو (يصرخ)[٩] بأعلى صوته: أعلُ هبل يوماً بيوم بدر فقال النبي ـ عليه السلام ـ لعمر أجبه يا عمر، فأجابه عمر: الله أعلى وأجل لا (سواه)[١٠] قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. ثم ركب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) في ظ [بان].
(٢) زيادة من ظ.
(٣) في ظ [كثير].
(٤) في ظ [بزق].
(٥) في ظ [الطريق].
(٦) في ظ [بالمزراق].
(٧) في أ [التي].
(٨) في أ [فشقت].
(٩) في أ [ينادي].
(١٠) في ظ [لاسواء].

بغلته وظاهر بين (درعيه)[١] وأخرج يده من جيب الدرع، وسَلّ سيفه «ذا الفقار» وباشر (القتال)[٢] بنفسه وحمل على المشركين والتأم إليه المسلمون فأعانوه، وهزم الله جمع المشركين. «وقُتل يومئذ من المسلمين سبعون رجلاً، أربعة نفر من المهاجرين وستة وستون من الأنصار، وقتل يومئذ من المشركين تسعة عشر رجلاً أو أكثر وكثرت القروح في أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعزَّاهم الله تعالى في ذلك بقوله تعالى: **﴿إن يَمْسَسْكُم قَرْحٌ﴾** قرأ عاصم في رواية أبي بكر والكسائي وحمزة «قُرْحٌ» بضم القاف والباقون بالنصب. قال الفراء[٣]: القَرْح والقُرْح واحد، ويقال القَرْح بالنصب مصدر، والقُرح بالضم اسم ويقال القَرْحُ بالنصب: الجراحة، وبالضم: ألم الجراحة، يعني إن أصابكم الجراحات يوم أحد، **﴿فقد مس القوم قرح مثله﴾** يقول: قد أصاب المشركين جراحات مثلها يوم بدر **﴿وتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس﴾** يقول: يوم لكم ويوم عليكم، وهذا كما يقال في الأمثال: الأيام دُوَل، والحرب سِجَال، ثم بَيّن المعنى الذي تداول مرة لهم ومرة عليهم فقال تعالى: **﴿ولِيَعْلَم اللَّهُ الَّذِينَ آمنوا﴾** يعني يتبين المؤمن من المنافق أنهم يشكون في دينهم أم لا، لأن المؤمن المخلص يتبين حالُه عند الشدة والبلايا. وهذا كما روي عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: إن الذهب والفضة [يختبران][٤]بالنار، والمؤمن يختبر بالبلايا والاختبار من الله تعالى إظهار ما علم منه من قبل فذلك قوله تعالى «وليعلم الله الذين آمنوا» يعني ليبين لهم الله الذي يعلم إيمانه لأنه يعطي الثواب، بما يظهر منه لا بما يعلم منه، وكذلك العقوبة: ألَا ترى أنه عَلِم من إبليس المعصية في [المستقبل][٥] ثم لم يلعنه ما لم يظهر منه. ثم قال تعالى: **﴿وَيتَّخِذَ منكم شهداء﴾** يعني لكي يتخذ منكم شهداء وإنما كان لأجل ذلك، لا لأجل حب الكفار **﴿واللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالمين﴾** أي الجاحدين.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾

﴿وليمحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمنوا﴾ أي لكي يُطْهر المؤمنين ويكفر ذنوبهم. والتمحيص في اللغة[٦]: الاختبار (والتطهير)[٧]، والله بَيّن أنه يُداول الأيـام بين الناس، لكي يَـظْهر المؤمن من المنـافق، ويكرم بعض المؤمنين بالشهادة لينالوا ثواب الشهداء، وقد ذكر ثوابهم بعد هذا في هذه الصورة، وليكفر ذنوبهم: **﴿وَيَمْحَقَ الكافرين﴾** أي يهلكهم ويستأصلهم لأنهم يجترؤون فيخرجون مرة أخرى فيستأصلهم. **﴿أم حَسِبْتُم أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّة﴾**، قال مقاتل: بيّن للمؤمنين أنه نازل بهم الشدة والبلاء في ذات الله، لكي يصبروا ويحتسبوا فقال: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّة» يقول: أظننتم أن تدخلوا الجنة بغير شيء، قبل أن يصيبكم من الشدة في ذات الله فذلك قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا يَعْلم اللَّهُ الذين جاهدوا منكم﴾**. قال مقاتل: أي ولما يرى الله الذين جاهدوا منكم. ويقال ولما يظهر جهاد الذين جاهدوا منكم. **﴿وَيَعْلَمَ الصَّابرين﴾** الذين يصبرون عند البلاء. ويقال: ويعلم الكارّين أي غير الفارين عن القتال.

---

(١) في ظ [درعين]. (٢) في أ [القتل].

(٣) معاني القرآن ١/٢٣٤. وقال الكسائي: هما لغتان مثل (الضُعف والضَعف) (والفُقْر والفَقْر).

وأولى القولين بالصواب قول الفراء لتصييرهما لمعنيين والدليل على ذلك قول الله عز وجل حين أسَّاهم بهم في موضع آخر بما دل على أنّه أراد الألم فقال: (ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون) فدل ذلك على أنه أراد: (إن يمسسكم ألم من أيدي القوم فإن بهم من ذلك مثل ما بكم). حجة القراءات لابن زنجلة ١٧٤.

(٤) في أ [يختبرا وهو خطأ لأنه لا مبرر لحذف النون فالفعل مرفوع بثبوتهما].

(٥) في أ [المستأنف]. (٦) راجع اللسان محص وترتيب القاموس ٤/٢٠٩.

(٧) في أ [كالتطهير].

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ من قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ وذلك أنه لما وصف الله لهم ما نزل بشهداء بدر من الكرامة فقالوا: ليتنا نجد قتالاً فنقتل فيه لكي نصيب مثل ما أصابوا فلما لقوا القتال يوم أحد هربوا، فعاقبهم الله تعالى بقوله: ولقد كنتم تمنون الموت أي القتال والشهادة من قبل أن تلقوه لأن القتال سبب الموت ﴿فقد رَأَيْتُمُوه﴾ يوم أحد ﴿وأنتم تنظرون﴾ إلى السيوف فيها الموت. وقال الزجاج[١]: معناه: ولقد كنتم تمنون (القتال)[٢] [لأن القتال سبب الموت فقد رأيتموه يعني][٣] وأنتم بصراء، كقولك: رأيت كذا وكذا، ولم يكن في عينيك علة ويقال: وأنت تنظرون إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وقال القتبي: فقد رأيتموه، يعني أسبابه، وهو السيف ـ.

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

ثم قال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول [قد خلت من قبله الرسل]﴾[٤]. لأنهم هربوا حيث سمعوا بقتله فقال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ كسائر الرسل، ﴿أفإن مَاتَ أو قُتِلَ انْقَلَبْتُم على أعقابكم﴾، أي رجعتم إلى دينكم الشرك، ﴿ومن ينقلب على عقبيه﴾ أي يرجع إلى الشرك بعد الإسلام ﴿فلن يضر الله شيئاً﴾ يقول: لن ينتقص من ملكه وسلطانه شيئاً، وإنما يضر نفسه ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ يعني الموحدين الله تعالى في الآخرة الجنة، ويقال: وسيجزي الله المؤمنين المجاهدين الجنة.

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾

﴿وما كان لنفس أن تموت﴾ قبل أجلها ﴿إلا بإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿كِتَاباً مُّؤَجَّلاً﴾ يقول: في موتها كتاباً مؤجلاً في اللوح، فلا يسبق أجله. وقال الزجاج[٥]: قوله كتاباً مؤجلاً، أي كتب كتاباً ذا أجل، وهو الوقت المعلوم، وذكر الكتاب على معنى التأكيد [كقوله: «كتاب الله عليكم» أي أن المحرمات مفروضة عليكم على معنى التأكيد][٦]. وفي هذه الآية إبطال قول المعتزلة: لأنهم يقولون: إن من قتل فإنما يهلك قبل أجله وكل ما ذبح من الحيوان كان هالكاً قبل أجله لأنه يجب على القاتل الضمان والدية، وقد بين الله تعالى في هذه الآية أنه لا تهلك نفس قبل أجلها

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٨٦.
(٢) في أ [الموت].
(٣) زيادة من ظ.
(٤) زيادة من ظ.
(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٨٨.
(٦) زيادة من ظ.

﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾. قال الكلبي: يعني يرد ثواب الدنيا بالعمل الذي افترض الله عليه «نؤته منها» يعني أعطاه الله ما يحب، وما له في الآخرة من نصيب ﴿وَمَنْ يُرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين﴾ في الآخرة. ومن الناس من قال: إن الرياء يدخل في النوافل، ولا يدخل في الفرائض لأن الفرائض واجبة على جميع الناس. وقال بعضهم: يدخل في الفرائض ولا يدخل في النوافل، لأنه لو لم يأت بها لا يؤاخذ بها، فإذا أتى بهذا القدر ليس عليه غير ذلك. وقال بعضهم: كلاهما سواء فالرياء [يدخل][(1)] في الفرائض والنوافل جميعاً، وهذا القول أصح، لقوله تعالى: «وإذا قَامُوا إلى الصَّلاة قَامُوا كُسَالى يُرَاءُونَ النَّاس». ثم إن الله تعالى أخبرهم بما لَقِيَتِ الأنبياءُ والمؤمنون قبلهم (فعزَّاهم)[(2)] ليصبروا فقال تعالى سبحانه: ﴿وكأيِّن من نبي﴾ قرأ ابن كثير: ﴿وكأين﴾ بعد الألف والهمزة، وقرأ الباقون بغير مد ومعناهما واحد[(3)]، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو «وكأيِّن من نبي» «قُتِل» بضم القاف وكسر التاء، وقرأ الباقون: ﴿قاتل﴾ فمن قرأ «قاتل» فمعناه كم من نبي قاتل معه جموع كثيرة، ومن قرأ «قتل» معناه وكم من نبي قتل ﴿مَعَهُ﴾ جماعة كثيرة، وقوله ﴿رِبِّيُّونَ﴾. قال الكلبي: الربية الواحدة من عشرة آلاف. وقال الزجاج[(4)]: ههنا قراءتان «رُبِّيُّون» بضم الراء [ورِبِّيون][(5)] بكسرها، فأما بالضم فهي الجماعة الكثيـرة [(6)]، عشرة آلاف، وأما الرِّبِّيُّون بالكسر: العلماء الأتقياء الصبراء على ما يصيبهم في الله تعالى. ويقال: «وكأين من نبي قتل». يعني كم من نبي قتل وكان معه ربيون كثير ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ بعد قَتْلِه عن القتال، وما عجزوا بما نزل بهم من قتل أنبيائهم وأنفسهم ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ في سبيل الله وَما ضَعُفُوا﴾ لَعدُوِّهم ويقال: وما جبنوا [ثم قال][(7)]: ﴿وما استكانوا﴾ يقول: وما خضعوا لعدوهم، ولكنهم صبروا ﴿واللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ فكأنه يقول للمؤمنين فهلا قاتلتم مع نبيكم - صلى الله عليه وسلم - وبعد قتله وإن قتل كما قاتلت القرون الماضية من قبلكم إذا أصيبت أنبياؤهم. ثم أخبر عن قول الذين قاتلوا مع النبيين، فقال تعالى ﴿وما كَانَ قولهم﴾ عند قتل أنبيائهم ﴿إلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي هي دون الكبائر ﴿وإسرافنا في أمرنا﴾ أي العظائم من الذنوب ﴿وثَبِّتْ أَقْدَامنا﴾ عند القتال ﴿وانْصُرْنَا على القوم الكافرين﴾ معناه، هلا قلتم كما قالوا، وقاتلتم كما قاتلوا. وقرأ بعضهم: «قولهم» بالضم والمعنى في ذلك أنه جعل القول اسم كان فيكون معناه: وما كان قولهم إلا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا. ومن قرأ بالنصب جعل القول خبر كان وجعل الإسم ما بعده.

فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا﴾ [أي][(8)] أعطاهم الله ثواب الدنيا بالغنيمة والنصرة ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ أي الجنة ﴿والله يحب المحسنين﴾ [المؤمنين المجاهدين][(9)].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟

---

(١) زيادة من ظ. (٢) في ظ [فيعزيهم].

(٣) قراءة ابن كثير هكذا: (وكائن من نبي). انظر/ حجة القراءات لابن زنجلة ١٧٤، ١٧٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٩٠.

(٥) زيادة من ظ. ولم يصح هنا إلا قراءة واحدة «بالكسر» وعليها كل القراء السبعة، أما ضم الراء فهي قراءة شاذة.

(٦) في أ [الكبيرة]. (٧) زيادة من ظ. (٨) في ظ [يقول].

(٩) زيادة من ظ.

خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تُطيعوا الذين كفروا﴾ يعني المنافقين ﴿يردوكم على أعقابكم﴾ كفاراً بعد إيمانكم ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ إلى دينكم الأول. ﴿بل الله مولاكم﴾ أي: أطيعوا الله فيما يأمركم هو مولاكم يعني وليكم وناصركم ﴿وهو خير الناصرين﴾ أي المانعين من كفار مكة.

سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾

﴿سَنُلْقِي في قُلُوبِ الّذين كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قرأ أبو عمرو وابن كثير، ونافع وعاصم وحمزة «الرعب» بتسكين العين، وقرأ ابن عامر والكسائي «الرعب» بالضم، وأصله الضم إلا أنه إذا اجتمع ضمتان حذفت إحداهما عند من قرأ بالجزم[١]. ومعنى الآية: سنلقي الهيبة في قلوب المشركين، وذلك بعد هزيمة المؤمنين قذف الله تعالى في قلوب الذين كفروا الرعب فانهزموا إلى مكة. ويقال حين صعد «خالد بن الوليد» الجبل، قصد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرجع «خالد» منهزماً. ويقال: عني به يوم الأحزاب ألقي [في قلوبهم][٢] الرعب فانهزموا: ﴿بِمَا أَشْرَكُوا باللَّهِ﴾ يعني بأنهم أشركوا بالله ﴿ما لم يُنَزِّل بِهِ سُلْطَاناً﴾ يعني كتاباً فيه عذر وحجة لهم بالشرك ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ أي مصيرهم إلى النار في الآخرة، ﴿وبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ يعني أن مثوى المشركين النار.

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ

---

(١) راجع حجة القراءات لابن زنجلة ١٧٦ وكنز المعاني ٣٢٣.

(٢) في ظ [فيهم].

كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ﴾ وذلك أنهم لما أخذوا في الحرب انهزم المشركون فلما أخذ بعض المسلمين في النهب والغارة رجع الأمر عليهم، وانهزم المسلمون: فذلك قوله: «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَه» ﴿إذ تحُسُّونهم بإذنه﴾ يقول: تقتلونهم بأمره. وقال القتبي: تحسونهم: يعني تستأصلونهم بالقتل، يقال: جراد محسوس إذا قتله البرد[١] ﴿حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر﴾ يعني، جَبُنْتُم من عدوكم واختلفتم في الأمر ﴿وعصيتم﴾ أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿من بعد ما أراكم﴾ يعني أراكم الله [﴿ما تحبون﴾ يعني][٢] من النصر على عدوكم وهزيمة الكفار والغنيمة. [ثم قال][٣]: ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ أي يطلب الغنيمة ﴿ومِنْكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ وهم الذين ثبتوا عند المشركين [حتى قتلوا][٤]. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كنا لا نعرف أن أحداً منا يريد الدنيا حتى نزلت «هذه الآية، فَعَلِمْنا أن فينا من يريد الدنيا». ﴿ثم صَرَفَكُم عنهم﴾ بالهزيمة من بعد أن أظْفركم عليهم ﴿ليبتليكم﴾ بمعصية [الرسول][٥] بالقتل والهزيمة. ﴿ولقد عفا﴾ الله ﴿عنكم﴾ ولم يعاقبكم عند ذلك فلم تقتلوا جميعاً ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ﴾ في [عفوه][٦] وإنعامه ﴿على المؤمنين﴾ [بالعفو والإنعام][٧]: ﴿إذ تُصْعِدُون﴾ يعني إلى الجبل هاربين حيث صعدوا الجبل منهزمين من العدو، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعوهم يا معشر المسلمين، أنا رسول الله، فلم يلتفت إليه أحد حتى أتوا على الجبل [فذلك قوله تعالى: «إذ تصعدون» يعني الجبل][٨] وهذا قول الكلبي. وقال الضحاك: إذ تصعدون في الوادي منهزمين. وقال القتبي: يعني تبعدون في الهزيمة، يقال: أصعد في الأرض إذا (أمعن) في الهزيمة. وقرأ الحسن: «تَصْعَدُون» بنصب التاء، أي تَصْعَدُون الجبل وقرأ العامة بالضم. ﴿ولا تَلْوون على أحَدٍ﴾ يقول ولا تقيمون على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقال: لا يقيم بعضكم على بعض ﴿والرَّسُولُ يَدْعُوكم في أخراكم﴾ يقول: مِنْ خَلْفِكم: ﴿فأثابكم غمًّا بغم﴾ يقول: جعل ثوابكم غماً على أثر الغم ويقال: جزاكم غماً على أثر الغم، ويقال: غماً متصلاً بالغم فأما الغم الأول: فإشراف خالد بن الوليد بخيل المشركين، وهم في ذلك الجبل، قاله الكلبي: وقال مقاتل: الغم الأول ما فاتهم من الفتح والغنيمة فاجتمعوا، وكانوا يذكرون فيما بينهم ما أصابهم في ذلك اليوم، والغم الثاني: إذ صعد «خالد بن الوليد» فلما عاينوه، أذْعَرهُم ذلك أي خوفهم فأنساهم ما كانوا فيه من الحزن فذلك قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُم﴾ من الفتح والغنيمة ﴿ولا ما أصابكم﴾ من القتل والهزيمة. ويقال: الغم الأول: الجُرح والقتل، والغم الثاني: أنهم سمعوا بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد قتل، فأنساهم الغم الأول. قال: ﴿واللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون﴾ يعني لا يخفى عليه شيء من أعمالكم فيجازيكم بها. ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أَمَنَةً نعاساً﴾ الأمنة في اللغة الأمن[١٠]، قال الكلبي: إذا أمِنَ القوم نعسوا. وقال الضحاك: النعاس عند القتال أَمَنَةٌ من الله تعالى، ويقال: الذي يصيبه الغم والهزيمة: لا يكون له شيء أحسن من النعاس فيذهب عنه همه، فأصاب القومَ النعاسُ فذهب عنهم الغم وأمنوا. قوله تعالى: ﴿يَغْشَى طائفة منكم﴾ يعني النعاسَ يغشى ويعلو طائفة منكم

---

(١) في ظ [زيادة قوله: ويقال محسوس الجراد والزرع].
(٢) زيادة من ظ.
(٣) زيادة من ظ.
(٤) زيادة من ظ.
(٥) في ظ [الرماة].
(٦) في أ [فضله].
(٧) زيادة من ظ.
(٨) ما بين المعكوفين من ظ.
(٩) في أ [أسرع].
(١٠) راجع: اللسان: أمن.

من كان من أهل الصدق واليقين قرأ حمزة والكسائي «تغشى» بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، فمن قرأ بالتاء انصرف إلى قوله «أمنة» ومن قرأ بالياء يكون نعتاً للنعاس[١]. ثم قال: ﴿وطائفة قد أهمَّتهم أنفُسهم﴾ يعني أهل النفاق، وقال الكلبي: هو «معتب بن قُشَير» وأصحابه، ﴿يَظُنُّونَ باللَّهِ غَيْر الحق﴾ يعني أنهم يظنون أن لن ينصر الله محمداً وأصحابه ﴿ظن الجاهلية﴾، قال الكلبي: يعني كظنهم في الجاهلية. وقال مقاتل: «ظن الجاهلية» كظن الجهال المشركين مثل أبي سفيان وأصحابه. ﴿يقولون: هَل لَنا من الأمر من شيء﴾ يعني النصرة والفتح ﴿قل إِنَّ الأَمْرَ كُلَّه لله﴾ يعني النصرة والغنيمة كله من الله ﴿يخفون في أنفسهم﴾ أي يُسِرُّون في أنفسهم ﴿ما لا يُبْدُون لك﴾ أي يقولون ما لا يظهرون لك ﴿يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا﴾ أي يقولون: لو كان ديننا حقاً ما قتلنا ﴿ها هنا﴾ قال الكلبي: وفي الآية تقديم وتأخير ومعناه يقولون: هل لنا من الأمر من شيء يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك، يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل: إن الأمر كله لله. [وقال الضحاك: «قل: إنَّ الأَمر كله»][٢] يعني القدر خيره وشره من الله. قرأ أبو عمرو: «قل: إنَّ الأَمْرَ كُلّه لله» بضم اللام، والباقون بالنصب فمن (قرأ بالرفع)[٣] جعله اسماً مستأنفاً ومن نصب جعله نعتاً للأمر. ثم قال تعالى: ﴿قُل لَوْ كُنْتُمْ في بُيُوتِكُم لَبَرَزَ﴾ يقول: لظهر ويقال: لخرج الذين ﴿كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْل﴾ أي قُضِيَ عَلَيهم القتل ﴿إلى مَضَاجِعِهِم﴾ أي إلى مواضع مصارعهم، معناه أنهم وإن لم يخرجوا إلى (العدو)[٤]، وقد قضى الله عليهم بالقتل لخرجوا إلى مواضع قتلهم لا محالة، حتى ينفذ فيهم القضاء. قال تعالى: ﴿وليبْتَلِي اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكم﴾ يعني ليختبر ويظهر ما في قلوبكم ﴿وَلِيُمَحِّص﴾ يعني ليظهر ويكفر ﴿مَا فِي قُلُوبكم﴾ من الذنوب ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور﴾ يعني بما في القلوب من الخير والشر.

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

ثم نزل في المنهزمين قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُم﴾ أي الذين انهزموا منكم ﴿يوم الْتَقَى الْجَمْعَان﴾ يعني جمع المسلمين وجمع المشركين ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ قال القتبي: «استزلهم أي طلب زلتهم، كما يقال: استعجلت فلاناً، أي طلبت عجلته، واستعملته، أي طلبت عمله. ويقال: زَيَّن لهم الشيطان ﴿ببعض ما

(١) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ١٧٦ وكنز المعاني ٣٢٣.
(٢) ما بين المعكوفين من ظ.
(٣) في ظ [رفع].
(٤) في ظ [الغزو].

كسبوا﴾ يعني الذي أصابهم كان بأعمالهم، كما قال في آية أخرى: «وَمَا أَصَابَكُم من مّصِيبَةٍ فبما كَسَبَتْ أَيْدِيكُم» ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ حيث لم يستأصلهم ﴿إن الله غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿حَلِيمٌ﴾ إذ لم (يعجل عليهم بالعقوبة)[1].

قال حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا السراج، قال: حدثنا قتيبة، قال: حدثنا أبو بكر عن غيلان بن جرير، أن عثمان كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال له عبد الرحمن: أتسبُّني وقد شهدت بدراً، ولم تشهدها، وبايعتُ تحت الشجرة ولم تُبَايع، وقد كنت توليت فيمن تولى يوم الجمع، أي يوم أحد فرد عليه عثمان وقال: أما قولك: إنك شهدت بدراً ولم أشهدها، فإني لم أغب عن شيء شهده رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا أن ابنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت [مريضة][2] فكنت معها أُمرِّضها وضرب لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسهم في سهام المسلمين، وأما بيعة الشجرة، فبعثني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رداً على المشركين بمكة، فضرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمينه على شماله قال: هذه لعثمان، فيمين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى خير من يميني وشمالي، وأما يوم الجمع فقال الله تعالى: «إنَّ الذين تَوَلَّوا منكم يوم التقى الجمعان، إنما اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ ببعض ما كسبوا ولقد عَفَى الله عنهم» فكنت فيمن عفى الله عنهم[3]، فخصم «عثمان» «عبد الرحمن بن عوف»، ثم قال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذين آمنوا لا تَكُونُوا كالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: منافقي أهل الكتاب، ﴿وقالوا لإخوانهم﴾ من المنافقين ﴿إذا ضَرَبُوا في الأرض﴾ يعني: إذا ساروا في الأرض تجاراً مسافرين فماتوا في سفرهم ﴿أو كَانُوا غُزًّى﴾ يعني خرجوا في الغزو فقتلوا. قال القتبي: غزًّا جمع غاز، مثل صائم وصُوَّم، ونائم ونوم[4] ﴿لو كانوا عندنا﴾ بالمدينة ﴿ما ماتوا﴾ في سفرهم ﴿وما قتلوا﴾ في الغزو ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلك﴾ الظن ﴿حَسْرَةً في قلوبهم﴾، ويقال: جعل الله ذلك القول حسرة في قلوبهم لأنه ظهر نفاقهم، وقال الضحاك: ليجعل الله ذلك حسرة في قلوب المنافقين، لأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في أشجار الجنان حيث شاءت[5]، وأرواح قتلى المنافقين في حواصل طير سُودٍ تسرح في الجحيم ثم قال تعالى: ﴿والله يُحْيِي ويُمِيت﴾ أي يحيي في السفر ويميت في الحضر، ويحيي في الحضر ويميت في السفر، ويقال: والله يحيي قلوب المؤمنين، ويميت قلوب الكافرين، يحيي قلوب المؤمنين بالنصرة والخروج إلى الغزو، ويميت قلوب المنافقين بالتخلف (وظن السوء)[6] وقال الضحاك: يعني يحيى من أحيى من نطفة بقدرته، ويميت من أمات بعزته، وسلطانه. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُون بَصِير﴾ قرأ عبد الله بن كثير وحمزة والكسائي «يعملون» بالياء على معنى المغايبة، وقرأ الباقون بالتاء[7]، ومعناه: قل لهم: والله بما تعملون بصير. ﴿وَلَئِن قُتِلْتُم فِي سَبِيلِ اللَّه أو مُتُّم﴾ يعني إن متم في إقامتكم، أو قتلتم في سبيل الله وأنتم مُؤْمنون، ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّه﴾ لذنوبكم ﴿ورَحْمَةٌ﴾ يعني [ونعمة][8] وجنة ﴿خير مما تجمعون﴾ [في الدنيا من الأموال][9] يا معشر المنافقين [قرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وعاصم «متم» بضم الميم في جميع القرآن، والباقون بكسرها وهما لغتان ومعناهما واحد ثم قال][10] ﴿ولَئِن مُّتُّم أَوْ قُتِلْتُم﴾ في الغزو ﴿لإلى اللَّه تُحْشَرُون﴾ بعد الموت. قرأ عاصم في رواية حفص «خير مما

---

(١) في أ [يعجلهم بالعقوبة]. (٢) في أ [متمرضة]. (٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/١٠١.

(٤) في ظ [زيادة]: وعاف وعفى انظر/ مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١٠٦.

(٥) انظر/ صحيح مسلم ٣/١٥٠٢/ كتاب الإمارة باب بيان أن أرواح ـ الشهداء في الجنة (١٨٨٧/١٢١).

(٦) في ظ [وسوء الظن]. (٧) انظر/ كنز المعاني ٣٢٤ وحجة القراءات لابن زنجلة ١٧٧.

(٨) زيادة من ظ. (٩) هذه العبارة وردت في ظ. بعد (يا معشر المنافقين).

(١٠) ما بين المعكوفين من ظ وقد جاء في أ بعد ذلك ولكنه في غير موضعه بعد تفسير قوله تعالى: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وتوجيه القراءتين كالآتي:

=

يَجْمَعون» بالياء، وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة[١]. ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ يقول: فبرحمة من الله و«ما» صلة، فالله: ذكر منه أن جعل رسوله رحيماً رؤوفاً بالمؤمنين حيث قال فبرحمة من الله ﴿لنت لهم﴾ يا محمد أني لينت لهم جانبك، وكنت رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي خشنا في القول غليظ القول ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي لتفرقوا من عندك، ولكن الله جعلك سهلاً سَمْحاً طلقاً ليناً لطيفاً باراً رحيماً وهكذا، قال [الضحاك: ثم قال][٢]: ﴿فاعفُ عنهم﴾ أي فتجاوز عنهم ولا تعاقبهم بما يكون (منهم)[٣] من الزلة والذنب، ﴿واستغفر لهم﴾ من ذلك الذنب ﴿وشاوِرْهُم في الأَمْرِ﴾، يقول: إذا أردت أن تعمل عملاً فاعمل بتدبيرهم ومشاورتهم ويقال: ناظرهم في الأمر، ويقال: ناظرهم عند القتال، وروي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ: وشاوِرْهُم في بَعْضِ الأمر، لأنه كان يشاورهم فيما لم ينزل عليه الوحي فيه، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - عاقلاً ذا رأي، ولكنه أمر بالمشورة ليَقْتَدي به غيره، ولأن في المشاورة توَدُّداً لأصحابه لأنه إذا شَاوَرهم تَوَدَّد قلوبهم، وفي المشورة أيضاً ترك الملامة لأنه يقال: فعلت كذا بمشاورتكم، وروى سهل بن سعيد الساعدي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ما شقي عبد قط بمشورة، وما سعد عبد باستغناء رأي[٤]. ثم قال تعالى: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ أي لا تتوكل على المشورة، ولكن توكل على الله بعد المشورة، لا على الأصحاب ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ «الذين يتوكلون على الله».

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

ثم أخبر عز وجل: أن النصرة من عند الله كلها فقال تعالى: ﴿إِن يَنْصُرْكُم اللَّه﴾ [يقول: أن يمنعكم الله][٥]. ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُم﴾ من العدو [يعني يوم][٦] بدر، ﴿وإن يَخْذُلْكُم﴾ يعني يوم أحد ﴿فَمَنْ ذا الَّذي يَنْصُرُكُم مِنْ

= من قرأ بالضم حجته أنها من (مَاتَ يَمُوتُ): (فَعَل يَفْعُل) مثل (دام يدوم، وقال يقول، وكان يكون) ولا يقال: (كِنْتُ) ولا (قِلْتُ). وحجة أخرى: وهو قوله (وفيها تَمُوتُون) (ويوم أَمُوتُ) ولو كانت على اللغة الأخرى لكانت (تَمَاتُون) و (يوم أَمَاتُ) لأنه من (مِتَّ تَمَاتُ). وأما من قرأ (مِتُّم) بالكسر فله حجتان:

إحداهما: ذكرها الخليل قال: (يقال: مِتُّ تموت ودِمْتَ تدوم، (فِعل يفعُل) مثل (فَضِل يَفْضُل) وكان الأصل عنده (مَوِتَ) ثم استثقل الكسرة على الواو فنقلت إلى الميم فصارت مَوْت) ثم حذفت الواو لما اتصلت بها تاء المتكلم لاجتماع الساكنين فصارت (مِتُّ).

والثانية: قال الفراء: (مِتُّ) مأخوذة من (يَمَاتُ) على (فَعِلَ يَفْعَل) مثل(سَمِعَ يَسْمَع) وكان الأصل (يَمْوَتُ) ثم نقلوا فتحة الواو إلى الميم وقلبوا الواو ألفاً لانفتاح ما قبلها فصارت (يَمَاتُ) إلا أنه لم يجيء (يَمَاتُ) في المستقبل، والعرب قد تستعمل الكلمة بلفظ مًا ولا تقيس ما تصرف منها على ذلك القياس، من ذلك قولهم: (رَأَيْت) همزته في الماضي، ثم أجمعوا على ترك الهمزة في المستقبل فقالوا: (ترى ونرى) بغير همز فخالفوا بين لفظ الماضي والمستقبل، فكذلك خالفوا بين لفظ (مت) و (تموت) ولم يقولوا: (تَمَاتُ) والضم هو اللغة الفصيحة حجة القراءات لابن زنجلة ١٧٨، ١٧٩ كنز المعاني ٣٢٤.

(١) كنز المعاني ٣٢٥. (٢) زيادة من ظ. (٣) في أ [فيهم].

(٤) أخرجه القضاعي في المسند كذا في فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب ٢/٤٩ (٥٠٥) من رواية سليمان بن عمرو النخعي عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي وسليمان بن عمرو «كذاب».

(٥) زيادة من ظ. (٦) في أ [كيوم].

بعده﴾ أي يمنعكم من عدوكم ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي فليتق الواثقون في النصرة، ويقال: على المؤمنين أن يتوكلوا على الله، لأنهم عرفوا أنه لا ناصر لهم غيره.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم «يَغُل» بنصب الياء، وقرأ الباقون [«يُغَل» بضم الياء][١] ونصب الغين، فمن قرأ بالنصب معناه: وما كان لنبي أن يخون في الغنيمة، ومن قرأ بالضم، فمعناه: لا ينسب إلى الغلول[٢] وذلك أنه لما كان يوم أحد أخذوا في النهب والغارة، وتركوا القتال وخافوا أن تفوتهم الغنيمة وظنوا أن من أخذ شيئاً يكون له، وأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يقسم لهم، فنزلت هذه الآية: «وما كان لنبي أن يغل»، يقول: ما جاز لنبي أن يخون في الغنيمة، وما جاز لأصحابه أن ينسبوه إلى الخيانة، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ﴾ (أي يخن)[٣] في الغنيمة ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَة﴾ يعني يحمله على ظهره. وهذا كما روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: لأعرفن أحدكم يوم القيامة يأتي على عنقه شاة لها ثغاء [فيقول]:[٤] يا محمد فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، يريد أن من غل شاة أو بقرة أتى بها يوم القيامة يحملها[٥]. ويقال: من غل شيئاً في الدنيا، يمثل له يوم القيامة في النار، ثم يقال له: انزل إليه فَخُذْه، فيهبط إليه، فإذا انتهى إليه حمله، فكلما انتهى به إلى الباب سقط منه إلى أسفل جهنم، فيرجع فيأخذه، فلا يزال (كذلك)[٦] ما شاء الله. ويقال: يأت بِمَا غَلَّ: يعني تشهد عليه يوم القيامة تلك الخيانة والغلول. ويقال: هذا على سبيل (التمثيل)[٧] يأت بما غل «يوم القيامة»[٨] أي بوباله فيكون وباله على عنقه، كما قال في آية أخرى: «وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم» ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْس﴾ أي توفى وتجازي كل نفس ﴿ما عملت﴾ من خير أو شر ﴿وهم لا يُظْلَمُون﴾ يعني لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً. ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّه﴾ قال الكلبي: يعني أفمن أخذ الحلال من الغنيمة ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّه﴾ يعني كمن استوجب سخطاً من الله بأخذ الغلول من الغنائم، ثم بين مستقر كل من غل (يوم القيامة)[٩]، ومن أخذ من الحلال فقال لمن غل: ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الذي صاروا إليه يعني النار. وقال (في حق من) أخذ الحلال: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّه﴾ يعني لهم درجات في الجنة عند الله [ويقال: هم ذوو درجات عند الله][١٠]. ﴿والله بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي بمن غل وبمن لم يغل. وقال القتبي[١١]: هي طبقات ـ عند الله ـ في الفضل، فبعضهم أرفع من بعض. وقال أبو عبيدة والكسائي: لهم درجات عند الله[١٢]. ويقال: لمن لم يغل درجات في الجنة، ولمن غل درجات في النار.

---

(١) في أ [بالضم]. (٢) راجع تفصيلاً أوسع لتوجيه القراءتين في/ حجة القراءات لابن زنجلة. ص ١٧٩ ـ ١٨١.

(٣) في ظ [يعني يخون]. (٤) في أ [فليقول].

(٥) أخرجه البخاري ٦/١٨٥ في الجهاد/ باب الغلول (٣٠٧٣)، ومسلم ٣/١٤٦١ ـ ١٤٦٢ في الإمارة/ باب غلظ تحريم الغلول (١٨٣١/٢٤) وقوله: (أُلْفِيَنَّ): أجدنّ، وقوله (ثغاء): صوت الشاة.

(٦) في ظ [هكذا إلى]. (٧) في ظ [المثل]. (٨) في أ [يعني يأتي].

(٩) في ظ [من الغنيمة]. (١٠) ما بين المعكوفين من ظ. (١١) تفسير غريب القرآن ١١٥. (١٢) مجاز القرآن ١/١٠٧.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾

﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين﴾ أي أنعم الله (عليهم)[١] **﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً من أَنْفُسِهِم﴾** يعني من أصلهم ونسبهم من العرب يعرفون نسبه. ويقال: «من أنفسهم» يعني من جنسهم، من بني آدم، ولم يجعله من الملائكة، وإنما خاطب بذلك المؤمنين خاصة، لأن المؤمنين هم الذين صدقوه فكأنه منهم. وقرىء في الشاذ: «من أنفسكم»[٢] بنصب الفاء، أي من (أشرفهم)[٣]، وقد كانت له فضيلة في ثلاثة أشياء: أحدها: أنه كان من نسب شريف، لأنهم اتفقوا: أن العرب أفضل، ثم من العرب قريش [ثم من قريش بنو هاشم][٤] فجعله من بني هاشم. والثاني: أنه كان أمينا فيهم قبل الوحي، [والثالث: أنه كان أمياً][٥] لكي لا يرتاب فيه الافتعال. ثم قال: **﴿ويتلو عليهم آياته﴾** أي يعرض عليهم القرآن **﴿ويزكيهم﴾** [يعني: يأخذ منهم الزكاة ليطهر أموالهم ويقال: ويزكيهم يعني، يطهرهم من الذنوب والشرك، ويقال:][٦] ويزكيهم أي (يأمرهم)[٧] بكلمة الإخلاص، وهي قول: لا إله إلا الله «ويعلمهم الكتاب» يعني القرآن، و«الحكمة» أي الفقه، وبيان الحلال والحرام **﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾** أي وقد كانوا من قبل مجيء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لفي خطأ بَيِّن. ثم رجع إلى قصة أحد، وذكر التعزية للمؤمنين بما أصابهم من الجراحات، فقال: **﴿أو لما أصابتكم مصيبة﴾** يعني يوم أحد **﴿قد أصبتم مثليها﴾** يوم بدر لأن المسلمين يوم بدر قتلوا سبعين نفساً من صناديد قريش، وأسروا سبعين، وقتل من المسلمين يوم أحد سبعين، ولم يؤسر منهم أحد، فذلك قوله تعالى: «قد أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها» وقوله: «أَوَلَمّا» فالألف للإستفهام، والواو للعطف، «وما» صلة فكأنه قال: ولئن متم، أو قتلتم، أو أصابتكم مصيبة يوم أحد، قد أصبتم مثليها يوم بدر، **﴿قلتم: أني هذا﴾** يعني قلتم فمن أين لنا هذا، وكيف أصابنا هذا ونحن مسلمون. **﴿قل هو من عند أنفسكم﴾** أي من عند قومكم، بمعصية الرماة بتركهم ما أمرهم به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال الضحاك: قل هو من عند أنفسكم، يعني بذنوبكم التي سلفت منكم قبل القتال، يعني أن في ذلك تطهيراً لما سلف من ذنوبكم، وهو قوله تعالى: «وما أَصابَكُم من مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾** من النصرة والهزيمة **﴿وما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمعان﴾** فبإذن الله أي)[٨] جمع المسلمين [وجمع][٩] المشركين **﴿فبإذن الله﴾** أي[١٠] فبإرادة

(١) في ظ [على المؤمنين].
(٢) راجع البحر المحيط ٣/١٠٣.
(٣) في أ [أشرافهم].
(٤) ما بين المعكوفين من ظ.
(٥) سقط في أ.
(٦) ما بين المعكوفين من ظ.
(٧) في أ [يؤمهم].
(٨) سقط في ظ.
(٩) من ظ.
(١٠) زيادة من ظ.

الله أصابكم ﴿وليعلم المؤمنين﴾ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعني أصابتكم المصيبة، لكي يظهر المؤمن من المنافق، ثم بين أمر المنافقين وصنيعهم وقلة حسبتهم في أمر الجهاد فقال: ﴿وقيل لهم: تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ يعني، إن لم تقاتلوا لوجه الله، فقاتلوا دفعاً عن أنفسكم وحريمكم، قال الكلبي: ويقال: ادفعوا يعني كثروا [وقال القتبي: «ادفعوا» أي كثروا][1]، لأنكم إذا كثرتم [ثم][2] دفعتم القوم [بكثرتكم][3] ﴿قالوا: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم﴾ ﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان﴾ يعني أن ميلهم إلى الكفر أقرب من ميلهم إلى الإيمان وقوله (لاتبعناكم) أي[4] لجئنا معكم. قال الضحاك: وذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما خرج يوم أحد أبصر كتيبة خثناء، وفيها كبكبة من الناس، فقال: من هؤلاء؟ فقيل: يا نبي الله هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي، فقال: إنا لا نستعين بالكفار فرجع عبد الله مع حلفائه من اليهود، فقال له عمر: أقم مع المؤمنين، فقال: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ويقال: إن عونهم للكفار أكثر من عونهم للمؤمنين ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ ذكر الأفواه على معنى التأكيد، لأن الرجل يقول بالمجاز بالإشارة، وهذا كما قال: «يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِم» ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم» ﴿واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق والكفر، ونزل فيهم أيضاً: ﴿الَّذِينَ قالوا لإخْوَانِهِم﴾ من المنافقين ﴿وَقَعَدُوا﴾ عن الجهاد ﴿لو أَطَاعُونَا﴾ في القعود عن الجهاد ﴿ما قُتِلُوا﴾ في الغزو ﴿قل﴾ (لهم)[5] يا محمد ﴿فادرَؤُوا عَنْ أَنْفُسِكُم﴾ في حال حضور ﴿الموت إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين﴾ في مقالتكم. قال الفقيه: سمعت بعض المفسرين بسمرقند يقول: لما نزلت هذه الآية (فادرءوا عن أنفسكم الموت) مات يومئذ سبعون نفساً من المنافقين.

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

ثم نزل [في شأن][6] الشهداء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ يعني في طاعة الله ﴿أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُون﴾ من التحف وذلك أن المسلمين كانوا يقولون: مات فلان، ومات فلان، فنزلت هذه الآية «بل أحياء عند ربهم يرزقون». وهذا قول الكلبي، ويقال: ولا تظنن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً كسائر الأموات بل أحياء، يعني هم كالأحياء عند ربهم، لأنه يُكتب لهم أجرهم إلى يوم القيامة فكأنهم أحياء في الآخرة، ويقال: لا (تظن)[7] كما يظن الكفار بهم أنهم لا يبعثون، بل يبعثهم الله، ويقال: أرواحهم في المنزلة والكرامة بمنزلة الشهداء[8] الأحياء، وروي عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمّا أُصيب إخوانكم يوم أُحد جعل الله أرواحهم في أجواف طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش، فلما وجدوا طيب منقلبهم ومطعمهم ومشربهم، ورأوا ما [عند][9] الله لهم من الكرامة [وما هم فيه من النعيم][10] قالوا: ياليت إخواننا علموا ما أعدَّ الله لنا من الكرامة، وما نحن فيه من النعيم، لئلا [ينكلوا][11] عند اللقاء، ولم يجبنوا عند القتال، فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون[12] ﴿فرحين﴾ أي معجبين ﴿بِمَا آتَاهُمُ الله مِنْ فضله﴾ أي من رزقه في الجنة

---

(١) سقط في أ. (٢) سقط في ظ. (٣) في أ [بكثرتهم]. (٤) ما بين المعكوفين من أ.
(٥) سقط في ظ. (٦) سقط في أ. (٧) في ظ [يظن بهم].
(٨) سقط في ظ. (٩) في ظ [أعد]. (١٠) سقط في أ.
(١١) في أ [يتكلوا]. (١٢) أخرجه .بو داود ٣/١٥ في كتاب الجهاد/ باب فضل الشهادة (٢٥٢٠).

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ من خَلْفهم﴾ من إخوانهم من بعدهم أن يأتوهم ثم رجع إلى الشهداء فقال تعالى: ﴿ألا خوف عليهم﴾ فيما يستقبلهم ﴿ولا هم يحزنون﴾ على ما خلفوا من الدنيا. قرأ ابن عامر وعاصم وحمزه «ولا تَحْسَبَنَّ» بنصب السين في جميع القرآن وقرأ الباقون بالكسر، وقرأ ابن عامر «قُتِّلُوا» بتشديد التاء على [معنى التكثير][1] يعني أنهم يقتلون واحداً فواحداً [وقرأ][2] الباقون بالتخفيف[3].

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويستبشرون بنعمة من الله وفضل﴾ يقول: بجنة من الله ويقال: بمغفرة من الله. ﴿وَفَضْلٍ﴾ يعني الكرامات في الجنة. وروي عن مجاهد أنه كان يقول: السيوف مفاتيح الجنة. وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: الشهيد يشفع في سبعين من أهله[4]، قال الفقيه: أروي هذا الحديث بمعناه لا بلفظه[5]: إن الله تعالى أكرم الشهداء بخمس كرامات لم يكرم بها أحد من الأنبياء ولا أنا، إحداها: أن

---

(١) سقط في أ. (٢) سقط في ظ. (٣) انظر اتحاف فضلاء البشر ١/٤٩٣ ـ ٤٩٤.

(٤) أخرجه أبو داود ٣/٣٤ كتاب الجهاد بلفظ «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته».

(٥) الأصل أن يتحمل المتحمل ما تحمله عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم يؤديه على وفق ما تحمل في اللفظ والأسلوب، لا يغير ولا يبدل، ثم يؤديه ممن تحمله عنه هكذا إلى أن يصل إلينا من غير تغيير ولا تبديل.

وجاء تأييداً لهذا الأصل قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ «نضر الله امرأ سمع مقالتي فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع». وجاءت رواية القرآن على ذلك، فكتب كما تحمل، وأدى كما سمع، وكتب وتواتر حتى لم يبق فيه ريب ولا شك. أما رواية الحديث فدخلها الأداء بالمعنى، ووقع فيها التقديم والتأخير والزيادة والنقص، فهل هو جائز أو غير جائز؟. قالوا: غير جائز في أمور:

١ ـ فيما إذا لم يكن الراوي عالماً عارفاً بالألفاظ ومقاصدها، ولم يكن خبيراً بما يحيل معانيها، ولا بصيراً بمقادير التفاوت بينها.

٢ ـ فيما تضمنته بطون الكتب المصنفة والجامعة وغيرها.

٣ ـ صرح الزركشي: إن كان مما تعبد بلفظه فإنه تجب الرواية باللفظ كقوله في الحديث (ونبيك الذي أرسلت).

٤ ـ قال السيوطي: وعندي إذا كان جوامع الكلم، فإنه يجب روايته بلفظه.

أما ما عدا ذلك فإنهم اختلفوا فيه على مذاهب:

١ ـ قالت طائفة من أصحاب الحديث والفقه والأصول: لا يجوز إلا بلفظه.

٢ ـ قيل: يمنع في حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويجوز في غيره.

٣ ـ قيل: إن نسي اللفظ جاز وإلا منع.

٤ ـ جوازه لمن يحفظ اللفظ، ومنعه لمن نسيه.

٥ ـ قيل: يجوز ذلك للصحابة دون غيرهم، وبهذا جزم ابن العربي في أحكام القرآن.

٦ ـ قيل: يجوز بإيزاء مرادف:

٧ ـ قيل: إن كان موجبه علماً جاز، وإن كان موجبه عملاً لم يجز.

٨ ـ قول: جمهور السلف والخلف من الطوائف ـ منهم الأئمة الأربعة ـ وهو الجواز في جميعه إذا قطع بأداء المعنى.

قال ابن الصلاح: والأصح جواز ذلك في الجميع إذا كان علماً بما وصفناه، قاطعاً بأنه أدى معنى اللفظ الذي بلغه، لأن ذلك هو الذي تشهد به أحوال الصحابة والسلف الأولين، وكثيراً ما كانوا ينقلون معنى واحداً في أمر واحد بألفاظ مختلفة، وما ذلك إلا لأن معولهم كان على المعنى دون اللفظ.

=

جميع الأنبياء قبض أرواحهم ملك الموت، وهو الذي سيقبض روحي، وأما الشهداء، فالله تعالى [هو الذي يقبض][١] أرواحهم بقدرته كيف يشاء، ولا يسلط على أرواحهم ملك الموت، والثانية: أن [جميع][٢] الأنبياء قد غُسِّلوا بعد الموت، وأنا أُغسَّل بعد الموت، وأما الشهداء، [فلا][٣] يغسلون ولا حاجة لهم إلى [ماء][٤] الدنيا، والثالثة: أن جميع الأنبياء قد كفنوا، وأنا أكفن أيضاً، والشهداء لا يكفنون بل يدفنون في ثيابهم، والرابعة: أن جميع الأنبياء لما ماتوا فقد سُمُّوا أمواتاً، وإذا مت أنا يقال: قد مات، والشهداء لا يُسمون موتى، والخامسة: أن الأنبياء تعطى لهم الشفاعة يوم القيامة، وشفاعتي أيضاً يوم القيامة، وأما الشهداء فيشفع لهم في كل يوم فيمن يستشفعون. ثم قال تعالى: ﴿وأنَّ الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ قرأ الكسائي: «وإنَّ» بكسر الألف، والباقون بالنصب، فمن قرأ بالنصب، فمعناه يستبشرون بنعمة من الله، ويستبشرون بأن الله لايضيع ثواب المؤمنين [الموحدين][٥]، ومن قرأ بالكسر على معنى الابتداء: إن الله لا يبطل ثواب عمل الموحدين[٦] وهذا الخبر للترغيب في الجهاد، وأما الشهداء والأولياء فيشفع لهم لا يبلغون إلى درجة الأنبياء، ومن قال إنهم يبلغون إلى درجة الإباحة، ومن أنكر كرامات الأولياء فهو معتزلي.

ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ قال في رواية الكلبي: وذلك أن أبا سفيان حين رجع من أُحد نادى فقال: يا محمد إن الموعد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعمر: قل له: ذلك بيننا وبينك إن شاء الله تعالى، ثم ندم أبو سفيان فقال لنعيم بن مسعود[٧]، وكان يخرج إلى المدينة للتجارة: إذا أتيت المدينة، فخوّفهم لكيلا يخرجوا، فلما قدم نعيم المدينة قال: إن أبا سفيان قد جمع خلقاً كثيرة، فكره أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخروج إليهم، وتثاقلوا، فلما رأى ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم قال: والذي نفسي بيده، لأخرجن إليهم، وإن لم يخرج معي منكم أحد، قال: فمضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [للميعاد][٨] ومعه نحواً من سبعين رجلاً حتى انتهوا إلى ذلك الموضع وكان هناك سوق فلم

= قال في (مسلم الثبوت) وشرحه، ولم ينكر عليه من أحد، بل قبله الكل في كل عصر.

ماذا يقول المؤدي بالمعنى؟

ينبغي لمن أدى بالمعنى أن يقول عقيبه: أو كما قال، أو نحوه، أو شبهه أو ما أشبه ذلك من الألفاظ.

قال السيوطي: وقد كان قوم من الصحابة يفعلون ذلك، وهم أعلم الناس بمعاني الكلام خوفاً من الذلل لمعرفتهم بما في الرواية بالمعنى من الخطر.

(١) سقط في ظ. (٢) سقط في ظ. (٣) سقط في أ.
(٤) سقط في أ. (٥) سقط في ظ. (٦) انظر تفسير القرطبي ٤/٢٧٦.
(٧) نعيم بن مسعود بن عامر أسلم ليالي الخندق مات في خلافة عثمان تهذيب التهذيب ١٠/٤٦٦.
(٨) سقط في ظ.

يخرج أحد من أهل مكة، فتسوقوا من السوق حاجتهم، وانصرفوا فنزل قوله تعالى: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لله والرَّسُولِ» ﴿من بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْح﴾[1]﴾ [يعني][2] أصابتهم الجراحات يوم أحد ﴿[للذين أَحْسَنُوا مِنْهُم﴾ أي الذين][3] أوفوا الميعاد ﴿واتقوا﴾ السخط في معصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي ثواب كثير. ﴿الذين قال لهم الناس﴾ يعني «نعيم بن مسعود» وإنما أراد به جنس الناس وكان رجلاً واحداً ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه ﴿فاخْشَوْهُم﴾ ولا تخرجوا إليهم ﴿فزادهم إيماناً﴾ أي تصديقاً ويقيناً وجرأة على القتال ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ أي ثقتنا بالله، وأيقنوا أن الله لا يخذل محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ «ونِعْمَ الوَكِيلُ» أي نعم الثقة لنا، ﴿فانْقَلَبُوا﴾ [انصرفوا ﴿بنعمة من الله﴾ أي بأجر من الله ﴿وفضل﴾ يعني ماتسوقوا به من السوق، واشتروا الأشياء بسعر رخيص ﴿لم يمسسهم سوء﴾ يعني قتال ﴿واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾ أي ذو مَنٍّ عظيم، وقال في رواية الضحاك: كان ذلك يوم أُحد، لما انهزمت قريش ونزلت في مواضع وكثرت الجراحات في أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهمّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالخروج إليهم فأجابه سبعون رجلاً فنزلت هذه الآية. قوله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ يعني نعيم بن مسعود، لأن كل عات متمرد شيطان يخوف أولياءه يعني بأوليائه الكفار. ويقال: يخوف أشكاله. وقال الزجاج: «إنما ذلكم الشيطان» أي ذلك التخويف عمل الشيطان يخوفكم من أوليائه. وقال القتبي: يخوف أولياءه أي بأوليائه، أي كما قال تعالى: «لينذر بأساً شديداً» يعني لينذركم: ببأس شديد. ثم قال تعالى: ﴿فلا تخافوهم﴾ في الخروج ﴿وخافون﴾ في القعود ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي مصدقين. قال الزجاج: معناه إن كنتم مصدقين فقد أعلمتكم أني أنصركم عليهم.

وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾

﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾، قال الكلبي: يعني به المنافقين ورؤساء اليهود كتموا صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الكتاب، فنزل ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾. ويقال: إن أهل الكتاب لما لم يؤمنوا شق ذلك على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن الناس ينظرون إليهم، ويقولون: إنهم أهل الكتاب، فلو كان قوله حقاً لاتبعوه، فنزلت هذه الآية. «ويقال: نزلت في مشركي قريش: لأنهم كانوا أقرباءه، والناس يقولون لو كان قوله حقاً لاتبعه أقرباؤه، فشق ذلك عليه، فنزلت ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ أي يبادرون في الكفر ولا يصدقونك ﴿إنهم لن يضروا الله شيئاً﴾ أي لا ينقصوا من ملك الله شيئاً وسلطانه شيئاً بكفرهم، وهذا كما روى أبو ذر الغفاري عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: قال الله «لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملك الله شيئاً، ولو كان أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله جناح بعوضة[4]». ثم قال تعالى: ﴿يريد الله

---

(١) قال الفراء في قوله «إن يمسسكم قرح» وقرح بضم القاف قال: وأكثر القراء على فتح القاف، وكأن القرح الجراح بأعيانها قال: وهو مثل الوجْد والوُجْد، ولا يجدون إلا جهدهم وجهدهم. انظر لسان العرب ٥/٣٥٧١.
(٢) سقط من ظ. (٣) سقط من أ.
(٤) أخرجه مسلم بنحوه مطولاً ٤/١٩٩٤ وابن ماجه ٢/١٤٢٢ وأحمد في المسند ٥/١٥٤.

أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة﴾ أي نصيباً في الجنة **﴿ولهم عذاب عظيم﴾** في الآخرة. قرأ نافع «ولا يُحْزِنْكَ» بضم الياء وكسر الزاى، وكذلك ما كان نحو هذا في جميع القرآن إلا في قوله تعالى «لا يحزنهم الفزع الأكبر» وقرأ الباقون: بنصب الياء وضم الزاى[١] وهما لغتان وتفسيرهما واحد.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾

ثم قال تعالى: **﴿إن الذين اشتروا﴾** يعني اختاروا **﴿الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً﴾** يقول لن ينقصوا من ملك الله شيئاً وإنما أضروابأنفسهم حيث استوجبوا لأنفسهم العذاب **﴿ولهم عذاب أليم﴾** في الآخرة.

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾

قوله تعالى: **﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم﴾** يعني لا يظن الكفار أن الذي نملي لهم ونمهلهم خير لهم ويقال: ما نعطيهم من المال والولد لا يظنن أن ذلك خير لهم في الآخرة، بل هو شر لهم في الآخرة **﴿إنما نملي لهم﴾ ﴿ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾** أي نعطي لهم المال والولد يهانون به من العذاب، ويقال: إنما نملي لهم أي بما أصابوا من الظفر يوم أُحد لم يكن ذلك خيراً لأنفسهم وإنما كان ليزدادوا عقوبة. ويقال: إنما نملي لهم ونؤخر العذاب عنهم ليزدادوا إثماً، أي جرأة على المعاصي، وإنما كان ذلك مجازاة لكفرهم وخبث نياتهم. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ما من بر (وفاجر)[٢]إلا والموت خير له، لأنه إن كان براً، فقد قال الله تعالى: «وما عند الله خير للأبرار» وإن كان فاجراً، فقد قال الله تعالى: «إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً». قرأ ابن عامر وعاصم «لا يحسبن» بالياء ونصب السين، قرأ الباقون بالتاء وكسر السين، وكذلك الذي بعد هذا.

مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

ثم قال تعالى: **﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه﴾**. قال الكلبي وذلك أن قريشاً من أهل مكة قالوا: يا رسول الله: (إنك تزعم أن) الرجل منا في النار، وإذا ترك ديننا واتبع دينك قلت: هو من أهل الجنة، فأخبرنا عن هذا من أين هو؟ وأخبرنا مَن يأتيك منا؟ ومن لا يأتيك، فأنزل الله تعالى: «ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه» من الكفر والنفاق **﴿حتى يميز الخبيث من الطيب﴾** يقول:حتى يخلص الكافر من المؤمن. **﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾** أي ليبين لكم المؤمن من الكافر قبل أن يؤمن، وقال الفراء: لم يكن الله ليعلمكم ذلك فيطلعكم على غيبه، **﴿ولكن الله يجتبي﴾** يقول: يصطفي **﴿من رسله من يشاء﴾** للنبوة والرسالة من خلقه فيوحي إليه بإذنه، قال في رواية الضحاك: إن المنافقين أعلنوا الإسلام وأسروا الكفر، وصلوا وجاهدوا مع المؤمنين،

---

(١) أنظر اتحاف فضلاء البشر ١/ ٤٩٥.

(٢) سقط في ظ.

فأحب الله أن يميز بين الفريقين، وأن يدل رسوله على سرائر المنافقين فقال تعالى « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب »يعني المنافق من المؤمن وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يطلع أنبياءه ورسله «يعني أن المؤمنين» لا يعلمون سر المنافقين، ولكن الله يبين ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم -. ويقال: «ما كان الله ليذر المؤمنين» أي ليترك من علم أنه من أهل الإيمان على ما أنتم عليه من الكفر حتى يوفقه للإيمان. «وما كان الله ليطلعكم على الغيب» ولكن الله يطلع أنبياءه ورسله بالوحي حتى يكون ذلك علامة لنبوتهم ثم قال تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسله، وإن تؤمنوا﴾ بالله ورسله ﴿وتتقوا﴾ الشرك والمعصية ﴿فلكم أجر عظيم﴾. أي ثواب عظيم في الجنة، ويقال إن الكفار لما سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبين لهم من يؤمن منهم، فنزل قوله «فآمنوا بالله ورسله» يعني ولا تشتغلوا بما لا يعنيكم، واشتغلوا بما يعنيكم، فآمنوا «بالله ورسله» فإنكم إن فعلتم ذلك «فلكم أجر عظيم». قرأ حمزة والكسائي: «حتى يُميز»[1] مع التشديد بضم الياء ونصب الميم وقرأ الباقون، بنصب الياء وكسر الميم بغير تشديد وتفسيرهما واحد إلا أنك إذا قرأت بالتشديد قد يكون عبارة عن الكثرة والمبالغة.

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾

ثم قال تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ أي بما أعطاهم الله من المال، يبخلون ويمنعون الزكاة والصدقة وصلة الأرحام، فلا يظنوا أن ذلك ﴿هو خير لهم بل هو شر لهم﴾ يعني أن البخل، شر لهم. ويقال: الفضل شر لهم. ﴿سيطوقون﴾ يقول: سيوثقون ﴿ما بخلوا به﴾ من الزكاة كهيئة الطوق. وروي عن ابن عباس أنه قال: «يأتي كنز أحدهم شجاع أقرع له زبيبتان، طوقاً في عنقه يلدغ خديه ويقول أنا الزكاة التي بخلت بي في الدنيا». وروي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحو هذا[2]، فذلك قوله تعالى «سيطوقون ما بخلوا به» ﴿يوم القيامة﴾ ويقال هو طوق من نار في عنقه، ويقال: هو على وجه المثل، يعني وبال ذلك في عنقهم، كما قال في آية أخرى: «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه». قوله تعالى: ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ يعني: إذا هلك الخلق كلهم أهل السموات من الملائكة، وأهل الأرض من الإنس والجن وسائر الخلق، ويبقى رب العالمين، ثم يقول: «لمن الملك اليوم» فلا يجيب أحد، فيرد على نفسه فيقول: لله الواحد القهار. فذلك قوله تعالى «ولله ميراث السموات والأرض» يعني يهلك أهل السموات والأرض ولم يبق لأحد ملك وإنما سمي ميراثاً على وجه المجاز، لأن القرآن بلغة العرب وكانوا يعرفون أن من رجع الملك إليه يكون ميراثاً على وجه المجاز، وأما في الحقيقة فليس بميراث، لأن الوارث في الحقيقة هو الذي يرث شيئاً لم يكن يملكه

---

(١) انظر حجة القراءات ١/١٨٢.

(٢) والحديث روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أخرجه البخاري ٣/٣١٥ في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة... (١٤٠٣). وقوله (زبيبتان) تثنية زبيبة بفتح الزاي وموحدتين، وهم الزبدتان اللتان في الشدقين يقال تكلم حتى زبد شدقاه أي خرج الزبد منهما وقيل غير ذلك... انظر الفتح ٣/٣١٧.

من قبل، والله ـ عز وجل ـ مالكهما وكانت السموات وما فيها والأرض وما فيها له، وإنما كانت الأموال عارية عند أربابها، فإذا ماتوا رجعت العارية إلى صاحبها الذي كانت له في الأصل. ومعنى الآية: إن الله تعالى أمر عباده أن ينفقوا ولا يبخلوا قبل أن يموتوا ويتركوا المال [ميراث الله][١] لله تعالى، ولا ينفعهم إلا ما أنفقوا، ثم قال تعالى: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أي عالم بمن يؤدي الزكاة، وبمن يمنعها فيجازي كل نفس بما عملت. قرأ ابن كثير وأبو عمرو[٢]: بـما «يعملون» بالياء، والباقون بالتاء على وجه المخاطبة: «لقد سمع الله قول الذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء»، وقال في رواية الضحاك: لما نزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً» قالت الفجرة من كفرة اليهود، أفقير ربنا فيستقرضنا، قالوا ذلك على وجه الاستهزاء، فنزلت هذه الآية[٣]، ويقال: إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث أبا بكر إلى اليهود ليأمرهم بالإسلام، وأن يعطوا الصدقة ويؤمنوا، فلما انتهى إليهم أبو بكر، قال «فنحاص بن عازورا» (أيسأل)[٤] الله منا الصدقة، فهو فقير ونحن أغنياء، فنزلت هذه الآية: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا﴾ أي حفظ قولهم ونجازيهم. ويقال: سنكتب ما قالوا، يعني يكتب عليهم الكرام الكاتبون ويؤاخذون به في الآخرة. ﴿وقتلهم﴾ أي ونكتب قتلهم ﴿الأنبياء بغير حق﴾ يعني بلا جرم ﴿ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ أي تقول لهم خزنة جهنم في الآخرة ذلك. قرأ حمزة[٥] «سيُكتَب» بضم الياء ونصب التاء. «وقتلُهم الأنبياء» بضم اللام على معنى فعل ما لم يسم فاعله، يعني يكتب قتلهم الأنبياء ويقول بالياء والباقون «سنكتب» بالنون «وقتلهم» ينصب اللام ونقول بالنون. وقوله: «ذوقوا عذاب الحريق» روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: لو أن شرارة وقعت بالمشرق لغلت منها جماجم قوم بالمغرب ولو أن حلقة من سلاسل النار وضعت على رأس جبل لاحترق إلى سبع أرضين، فهذا معنى قوله عذاب الحريق[٦].

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ١٨٢﴾

ثم قال: ﴿ذلك بما قدمت﴾ يعني يقال لهم: ذلك العذاب بما قدمت ﴿أيديكم﴾ من الكفر والتكذيب، أي بما قدمتم، وذكر الأيدي على معنى الكتابة. ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ أي لا يعذب أحداً بغير ذنب.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿الذين قالوا﴾ يعني كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف وغيرهما من رؤساء اليهود، قالوا ﴿إن الله عهد إلينا﴾ يعني أمرنا في التوراة ﴿أن لا نؤمن﴾ يعني، إن لا نصدق ﴿لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾ يعني تجيء نار من السماء، فتأكل القربان بالبينات، فإن جئتنا بها صدقناك قال الله تعالى ﴿قل﴾ يا محمد ﴿قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم﴾ يعني بالآيات والعلامات، وبالذي قلتم يعني قد جاءكم الرسل بالذي قلتم من أمر القربان ﴿فلم قتلتموهم﴾ يعني زكريا ويحيى وغيرهما ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما تقولون.

(١) سقط في أ. (٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ١/١٨٤. (٣) انظر أسباب النزول للواحدي ص ١/٩.
(٤) سقط في أ. (٥) انظر الحجة لابن زنجلة ٢/١٨٤ ـ ١٨٥.
(٦) انظر تفسير الحافظ ابن كثير ٤/١٣٠ واتحاف السادة المتقين. ١/٥١٩ وكنز العمال (٣٩٤٨٧) (٣٩٥٠١).

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فإن كذبوك﴾ بما تقول لهم ﴿فقد كذب رسل من قبلك﴾ فالله تعالى يعزي نبيه ليصبر على تكذيبهم فقد ﴿جاؤوا بالبينات﴾ (يعني الرسل جاءوا بالبينات أي من قبلك، وقد جاءوا) بالآيات والعلامات ﴿والزبر﴾، قال الكلبي: يعني بأحاديث الأنبياء من قبلهم، بالنبوة على ما يكون ﴿والكتاب المنير﴾ يعني الحلال والحرام، وقال الزجاج: «الزبر» جماعة الزبور، وهو الكتاب، يقال زَبَرْتُ أي كتبت، ويقال: زَبَرْتُ أي قرأت، «والكتاب المنير» يعني المعنيّ بالحلال والحرام. قرأ (أبو عمرو)[1] «بالزبر» مع الباء، وقرأ الباقون: «والزبر» بالواو[2].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ قال الكلبي لما نزل قوله تعالى: «كل من عليها فان» قالت الملائكة هلك أهل الأرض، فلما نزل: «كل نفس ذائقة الموت» أيقنت الملائكة أنها هلكت معهم. ثم قال: ﴿وإنما توفون أجوركم﴾ أي توفون ثواب أعمالكم ﴿يوم القيامة فمن زحزح عن النار﴾ يقول: بُعِد وَنُحِّي عنها ﴿وأدخل الجنة فقد فاز﴾ يعني نجا وسعد في الجنة. حدثنا محمد بن الفضل، قال حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال حدثنا المسيب، عن الأعمش، عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه[3] وقوله: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾. قال ابن عباس: «متاع الغرور» مثل القدر والقارورة، والسكرجة ونحو ذلك، لأن ذلك لا يدوم، وكذلك الدنيا تزول وتفنى ولا تبقى، ويقال هو مثل الزجاج الذي يسرع إليه الكسر ولا يصلحه الجبر. ويقال كزاد المسافر يسرع إليه الفناء، فكذلك الدنيا.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم﴾ يقول: لتختبرن في أموالكم بالنقصان والذهاب. ويقال:

---

(١) انظر الحجة ٢/١٨٥.

(٢) واختلف أهل النحو في ذلك؛ فقال قوم: (مررت بزيد وعمرو) و(مررت بزيد وبعمرو) سواء، وكذلك: «جاؤوا بالبينات والزبر «وبالزُّبُر». وقال الخليل: (مررت بزيد وعمرو) مروراً واحداً كأنك مررت بهما في حال واحد، فكذلك (جاءت الرسل بالبينات والزبر) في حال وفي وقت واحد؛ و(مررت بزيد وبعمرو): مرورين، هذا لا يكون في وقت واحد، فكذلك قوله: «وجاؤوا بالبينات» ثم جاؤوا «بالزبر» وأراد بالبينات: المعجزات، ثم جاؤوا بعد ذلك بالزبر أي بالكتب.

(٣) أخرجه مسلم ١٤٧٢/٣ في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول (١٨٤٤/٤٦) وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «فليأت إلى الناس ما يجب أن يؤتى إليه» هذا من جوامع كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبديع حكمه وهو قاعدة مهمة ينبغي الاعتناء بها، وإن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه.

بوجوب الحقوق فيها، وفي أنفسكم بالأمراض والأوجاع والقتل ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ حين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء. ﴿ومن الذين أشركوا﴾ يعني مشركي العرب ﴿أذى كثيراً﴾ باللسان والفعل. ويقال: نزلت الآية في شأن أبي بكر - رضي الله عنه -، كانوا - أهل الجاهلية - يهددونه ويشتمونه، ويقولون: إنما يفعله محمد - صلى الله عليه وسلم - بمشاورته فأمره الله تعالى بأن يصبر على أذاهم[1]. فقال تعالى: ﴿وإن تصبروا﴾ على أذاهم ﴿وتتقوا﴾ المكافأة، ويقال: وتتقوا معاصيه. ﴿فإن ذلك من عزم الأمور﴾ يعني من حقائق الأمور، ويقال: إن ذلك الصبر من خير الأمور.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني أخذ عليهم الميثاق حين أخذ ذرية آدم من ظهورهم. ويقال: أخذ عليهم الميثاق بالوحي في كتب الأنبياء ﴿لتبيننه للناس﴾ يعني نعت محمد - صلى الله عليه وسلم - وصفته ﴿ولا تكتمونه﴾ عنهم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر[2] «ليبيننه للناس ولا يكتمونه» كلاهما بالياء وقرأ الباقون بالتاء، فمن قرأ بالياء فمعناه أخذ عليهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه، ومن قرأ بالتاء، فمعناه أخذ عليهم الميثاق وقال لهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه. ثم أخبر عن سوء معاملتهم ونقضهم الميثاق فقال تعالى: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ أي: طرحوه خلف ظهورهم، يعني أنهم تركوا الميثاق ولم يعملوا به ﴿واشتروا به﴾ أي بكتمان نعت محمد - صلى الله عليه وسلم - وصفته ﴿ثمناً قليلاً﴾ أي عَرضاً يسيراً من متاع الدنيا

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي ص (٩٩).
(٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ١/ ١٨٥ - ١٨٦.

﴿فبئس ما يشترون﴾ يعني بئس ما يختارون لأنفسهم الدنيا على الآخرة: **﴿لا تحسبن﴾** يقول: لا تظنن يا محمد **﴿الذين يفرحون بما أوتوا﴾** يقول يعجبون بما أوتوا، يعني بما غيروا من نعته وصفته، وهذا قول الكلبي، وقال الضحاك: إن اليهود كانوا يقولون للملوك إنا نجد في كتابنا أن الله يبعث نبياً في آخر الزمان يختم به النبوة، فلما بعثه الله، سألهم الملوك، أهو هذا الذي تجدونه في كتابكم؟ فقالت اليهود طمعاً في أموال الملوك: هو غير هذا، فأعطاهم الملوك مـالاً فقال الله تعالى: «لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا» أي بما أعطاهم الملوك: **﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾** لأنهم كانوا يقولون نحن على دين إبراهيم، ولم يكونوا على دينه ويقال كانوا يقولون نحن أهل الصلاة، والصوم والكتاب، ويريدون أن يحمدوا بذلك. قال الله تعالى: **﴿فلا تحسبنهم﴾** يقول فلا تظنهم **﴿بمفازة من العذاب﴾** معناه، لا تظنن أنهم ينجون من العذاب بذلك **﴿ولهم عذاب أليم﴾** أي دائم لا يخرجون منه أبداً: **﴿ولله ملك السموات والأرض﴾** أي خزائن السموات المطر، وخزائن الأرض النبات. ويقال: جميع من في السموات والأرض عبيده وفي ملكه. **﴿والله على كل شيء قدير﴾** «من النبات وغيره. ويقال: هذا معطوف على أول الكلام: إنهم لا ينجون من عذابه يأخذهم متى شاء لأنه على كل شيء قدير» «إن في خلق السموات والأرض» وذلك إن أهل مكة سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يأتيهم بآية لصحة دعواه، لأنه كان يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فنزل: **﴿إن في خلق السموات والأرض﴾** أي خلقين عظيمين. ويقال: فيما خلق في السموات من الشمس والقمر والنجوم، وما خلق في الأرض من الجبال والبحار والأشجار. **﴿واختلاف الليل والنهار﴾** يقول: وذهاب الليل ومجيء النهار ويقال: اختلاف لونيهما **﴿لآيات﴾** أي لعبرات **﴿لأولى الألباب﴾** أي لذوي العقول. **﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً﴾** أي يصلون لله «قياماً» إن استطاعوا على القيام، «وقعوداً» إن لم يستطيعوا القيام **﴿وعلى جنوبهم﴾** إن لم يستطيعوا القعود لزمانة، ويقال: معناه الذين يذكرون الله في الأحوال كلها في حال القيام والقعود والاضطجاع، كما قال في آية أخرى: «اذكروا الله ذكراً كثيراً» ثم قال: **﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾** أي يعتبرون في خلقهما. قال: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا السراج قال: حدثنا قتيبة قال: حدثنا ابن زرارة الحلبي عن أبي حباب، عن عطاء بن أبي رباح، قال: دخلت مع ابن عمر وعبيد بن عمير على عائشة، (فسلمنا)[١] عليها، فقالت: من هؤلاء؟ فقلت عبد الله بن عمر وعبيد بن عمير، فقالت: مرحباً بـك يا عبيد بن عمير، مالك لا تزورنا؟ فقال عبيد: زر غبًّا تَزْدَدْ حُبًّا، فقال ابن عمر: دعونا من هذا، حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبكت بكاء شديداً ثم قالت: كل أمره عجب، أتاني في ليلتي، فدخل في فراشي حتى ألصق جلده بجلدي، فقال: يا عائشة أتأذنين لي أن أعبد ربي، فقلت: والله إني لأحب قربك، والله إني لأحب هواك، فقام إلى قربة ماء فتوضأ ثم قام فبكى وهو قائم حتى روت الدموع حجره، ثم اتكأ على شقه الأيمن ووضع يده اليمنى تحت خده الأيمن فبكى حتى روت الدموع الأرض، ثم أتاه بلال بعدما أذن للفجر فلما رآه يبكي قال: أتبكي يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً وما لي لا أبكي وقد أنزلت علي الليلة: «إن في خلق السموات والأرض. . . إلى قوله فقنا عذاب النار» ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها[٢]. وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: تفكروا في الخلق ولا تتفكروا

---

(١) في ظ فسلمنا.

(٢) ذكره العجلوني وعزاه لابن حبان وقال رواه أيضاً أنس وجابر وابن عباس وابن عمرو وعلي وأبو الدرداء وأبو ذر وعائشة وغيرهم، حتى قال ابن طاهر إن ابن عدي أورده في أربعة عشرة موضعاً من كامله كلها معللة، وقال في الدرر وضعَّفها كلها، وأفرد أبو نعيم طرقه، ثم الحافظ ابن حجر في الإنارة بطرق غيب الزيارة، وقال في اللآليء رواه في مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ =

في الخالق[١]، وقال صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة[٢]، ثم قال تعالى عز وجل: ﴿**ربنا ما خلقت هذا باطلاً**﴾ أي يتفكرون ويقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلاً، عبثاً بغير شيء، ولكن خلقتهما لأمر هو كائن ﴿**سبحانك فقنا عذاب النار**﴾ يعني ادفع عنا عذاب النار. وقال الزجاج: معنى سبحانك، أي تنزيهاً لك من أن تكون خلقتهما باطلاً، «فقنا عذاب النار» أي صدَّقْنا رسلك، وسلِّمنا أن لك جنة وناراً، فقنا عذاب النار. ﴿**ربنا إنك من تدخل النار**﴾ ﴿**فقد أخزيته**﴾ أي أهنته وفضحته ﴿**وما للظالمين من أنصار**﴾ يعني ما للمشركين من مانع من العذاب إذ نزل بهم. ويقولون أيضاً: ﴿**ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان**﴾ يعني محمداً يدعو إلى التصديق ﴿**أن آمنوا بربكم**﴾ أي صدقوا بتوحيد ربكم «فآمنا» أي صدقنا بتوحيد ربنا. وقال محمد بن كعب القرظي: ليس كل الناس لقي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن المنادي هو كتاب الله يدعو إلى الإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله وأن آمنوا بربكم فآمنا ﴿**ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا**﴾. وقال الكلبي: الذنوب الكبائر ودون الكبائر، والسيئات الشرك، وقال الضحاك: ذنوبنا: يعني ما عملوا في حال الجاهلية، «وكفر عنا سيئاتنا». يعني: ما عملوا في حال الإسلام، ويقال الذنوب والسيئات بمعنى واحد. ويقال: الذنوب هي الكبائر، والسيئات ما دون الكبائر التي تكفر من الصلاة إلى الصلاة. ﴿**وتوفنا مع الأبرار**﴾ أي مع المطيعين «ويقال: اجعل أرواحنا مع أرواح المطيعين» والصالحين. ويقولون أيضاً: ﴿**ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك**﴾ يعني أعطنا ما وعدتنا من الخير والجنة على لسان رسلك، ويقال هو ما ذكر من استغفار الملائكة والأنبياء، للمؤمنين، وهو قوله «والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض». وما ذكر من دعاء نوح وإبراهيم ـ عليهم السلام ـ للمؤمنين، ثم قال تعالى: ﴿**ولا تخزنا يوم القيامة**﴾ يعني لا تعذبنا ويقال لا تخذلنا ﴿**إنك لا تخلف الميعاد**﴾ يعني ما وعدت، من الخير والثواب للمؤمنين ﴿**فاستجاب لهم ربهم**﴾ فأخبر الله عن فعلهم وذكر ما أجابهم به، وأنجز لهم موعده، وبين لهم ثوابه وهو قوله: «فاستجاب لهم ربهم». روي عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال: من دعا الله بهذه الدعوات فإنه يستجاب له، لأنه قال تعالى فاستجاب لهم ربهم ﴿**أني لا أضيع عمل عامل منكم**﴾ يعني ثواب عمل عامل في طاعتي ﴿**من ذكر أو أنثى**﴾ يعني رجلاً أو امرأة، قال: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا الديبلي، قال: حدثنا أبو عبيد الله، قال: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن رجل من ولد أم سلمة، يقال له سلمة بن الأكوع عن أم سلمة، أنها قالت: يا رسول الله، إني أسمع الله ذكر الهجرة، فذكر فيها الرجال ولم يذكر فيها النساء. فأنزل الله تعالى: «إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى» ﴿**بعضكم من بعض**﴾، قال الكلبي: أي بعضكم أولياء بعض في الدين،

= زُوروا غِباً تزدادوا حباً، وقال في المقاصد وتبعه النجم بعد ذكرهما طرقه: وبمجموعها يتقوى الحديث وإن قال البزار أنه ليس فيه حديث صحيح، فهو لا ينافي ما مكناه وما أحسن قول ابن دُرَيْد:

عليك باغباب الزيارة إنها	إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
فإني رأيت الغيث يسأمُ دائباً	ويسأل بالأيدي إذا هو أمْسكا

انظر كشف الخفاء ١/ ٥٢٨.

(١) انظر الدر المنثور ٢/ ١١٠ وانخاف السادة المتقين ١/ ١٦٢ ابن كثير ٧/ ٤٤١.

(٢) ذكره العجلوني في الكشف ١(٣٧٠، ٣٧١) وقال ذكره الفاكهاني بلفظ فكر ساعة وقال أنه من كلام سري السقطي وفي لفظ ستين سنة، وذكره في الجامع الصغير بلفظ فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة، وورد عن ابن عباس وأبي الدرداء بلفظ فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة قال النجم إن العراقي قال في جزء له رويناه من حديث عبد الله بن سلام أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون، فقال ما لكم تتفكرون؟ فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل، قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه، ولا تتفكروا فيه فإن لهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها مسيرة الشمس أربعين يوماً، بها خلقٌ من خَلْق الله لم يعصوا طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان عنهم؟ قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا، قالوا مِن ولد آدم هم؟ قال لا يدرون خُلِقَ آدم أم لا.

وقال الضحاك: يعني يشبه بعضاً في الطاعة، ويقال: بعضكم على أثر بعض، ويقال: بعضكم على دين بعض **﴿فالذين هاجروا﴾** من مكة إلى المدينة **﴿وأخرجوا من ديارهم﴾** يعني أن أهل مكة أخرجوا مؤمنيهم من مكة **﴿وأوذوا في سبيلي﴾** أي عُذّبوا في طاعتي **﴿وقاتلوا﴾** مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المشركين **﴿وقُتلوا﴾** أي قتلهم المشركون. قرأ حمزة والكسائي(١) «وقتلوا وقاتلوا» على معنى التقديم والتأخير، كقوله تعالى: «إني متوفيك ورافعك» وقرأ الباقون: «وقاتلوا وقتلوا»إلا ابن كثير وابن عامر: قرءا «وقتّلوا بالتشديد على معنى التكثير والمبالغة، فذكر الله فعلهم ثم ذكر ثوابهم، فقال: **﴿لأكفرن عنهم سيئاتهم﴾** أي لأمحون عنهم ذنوبهم **﴿ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** أي تجري يعني من تحت قصورها وأشجارها الأنهار **﴿ثواباً من عند الله﴾** يعني أن الجنات جزاء لأعمالهم من عند الله وقال الزجاج: إنما صار نصباً، لأنه مصدر مؤكد، معناه: لأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ولأثيبنهم ثواباً. وروي عن الفراء أنه قال: إنما صار نصباً على التفسير، **﴿والله عنده حسن الثواب﴾** أي حسن الجزاء وهو الجنة، ويقال: حسن المرجع في الآخرة خير من الدنيا.

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

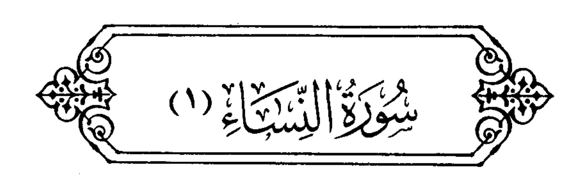
﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ يقول: لا يحزنك يا محمد ذهابهم ومجيئهم في تجاراتهم ومكاسبهم في الأرض، ويقال: هذا الخطاب للمؤمنين ومعناه لا يغرنكم تجارات الكفار وتصرفهم في أموالهم في البلاد لأن ذلك **﴿متاع قليل﴾** لأن الكفار كانوا في رخاء وعيش، وكانت لهم رحلة الشتاء والصيف، وكان المؤمنون في ضيق وشدة، فأخبر الله تعالى بمرجع الكفار في الآخرة، وبمرجع المؤمنين فقال تعالى: لا يغرنك تقلب الذين كفروا أي ما هم فيه من العيش والسعة، فإنما هو متاع أي يفنى بعد وقت قريب قوله **﴿ثم مأواهم جهنم﴾** أي مصيرهم إلى جهنم **﴿وبئس المهاد﴾** بئس موضع القرار في النار، وبئس المصير إليها فما (ينفعهم) تجاراتهم وأموالهم.

لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

ثم ذكر مرجع المؤمنين ومصيرهم فقال: **﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾** أي اتقوا الشرك والفواحش ووحّدوا، **﴿ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾** لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها أبداً **﴿نزلاً من عند الله﴾** يقول ثواباً من عند الله للمؤمنين الموحدين خاصة. **﴿وما عند الله﴾** الجنة **﴿خير للأبرار﴾** من الدنيا للمؤمنين المطيعين. **﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾** يعني مؤمني أهل الكتاب، معناه، من أهل الكتاب من

(١) انظر الحجة ١/١٨٧.

آمن بالله فصدق بقوله: ﴿وما أنزل إليكم﴾ من القرآن وصدق **﴿وما أنزل إليهم﴾** من التوراة والإنجيل يعني على **أنبيائهم،** فذكر حالهم وبين ثوابهم لكي يرغب غيرهم من أهل الكتاب ليؤمنوا إذا علموا بثوابهم، ثم نعتهم فقال **تعالى: ﴿خاشعين لله﴾** أي متواضعين لله، والخشوع: أصله التذلل وكذلك الخضوع، وقد فرق بعض أهل اللغة بين الخشوع والخضوع، فقال: الخضوع في البدن خاصة، والخشوع يكون في البدن والبصر والصوت والقلب كما **قال الله تعالى:** «وخشعت الأصوات للرحمن» وقال: «خاشعة أبصارهم». ثم قال تعالى: **﴿لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً﴾** يعني عرضاً يسيراً كفعل اليهود، **﴿أولئك لهم أجرهم﴾** أي ثوابهم **﴿عند ربهم﴾** الجنة **﴿إن الله سريع الحساب﴾** أي شديد العقوبة ويقال: سريع الحفظ والتعريف. **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا﴾** أي اصبروا على البلاء والجهاد وأداء الفرائض، وعن المعاصي. **﴿وصابروا﴾** مع نبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ على عدوكم حتى يدعوا دينهم إلى دينكم، يعني يتركوا الشرك، ويدخلوا في الإيمان **﴿ورابطوا﴾** مع عدوكم ما أقاموا وهذا قول **الكلبي. وقال عكرمة:** اصبروا على البلاء وعلى طاعة الله «وصابروا» أهل الضلالة «ورابطوا» الخيول. وقال **الزجاج:** اصبروا على دينكم وصابروا على عدوكم، ورابطوا أي أقيموا على جهادكم بالحرب. **﴿واتقوا الله﴾** في **جميع ما أمركم** ونهاكم. وقال القتبي: أصل المرابطة: أن يربطوا خيولهم في الثغر. **﴿لعلكم تفلحون﴾** يقول: **تفوزون وتأمنون** النار وتنجون منها، ويقال: أصل الفلاح البقاء بالنعمة، ويقال: الفلاح أن يبلغ الإنسان نهاية ما **(يؤمل). والله** سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً **إلى** يوم الدين آمين.



وهي مائة وستة وسبعون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى: «يا أيها الناس» قال الناس عامة، وقد يكون: «يا أيها الناس» خاصة وعامة، يعني خاصة لأهل مكة، وفي هذا الموضع عام لجميع الناس **﴿اتقوا ربكم﴾** يعني اخشوا ربكم، ويقال: أطيعوا ربكم. ويقال: احذروا المعاصي لكي تنجوا من عقوبة ربكم. وقال: وحدوا

(١) سميت هذه السورة في كلام السلف «سورة النساء» ففي صحيح البخاري عن عائشة قالت (ما نزلت سورة البقرة وسورة النساء إلا وأنا عنده) وكذلك سميت في المصاحف وفي كتب السنة وكتب التفسير ولا يعرف لها اسم آخر، لكن يؤخذ مما روي في صحيح البخاري عن ابن مسعود من قوله (نـزلت سورة النساء القصرى) يعني سورة الطلاق ـ أنها شاركت هذه السورة في التسمية بسورة النساء، وأن هذه السورة تميز عن سورة الطلاق باسم سورة النساء الطولى، ولم أقف عليه صريحاً، ووقع في كتاب «بصائر ذوي التمييز» للفيروزابادي أن هذه السورة تسمى سورة النساء الكبرى، واسم سورة الطلاق سورة النساء الصغرى ولم أره ـ لغيره.

ووجه تسميتها بإضافة إلى النساء أنها افتتحت بأحكام صلة الرحم، ثم بأحكام تخص النساء، وأن فيها أحكاماً كثيرة من أحكام النساء الأزواج والبنات، وختمت بأحكام تخص النساء.

وكان ابتداء نزولها بالمدينة، لما صح عن عائشة أنها قالت: «ما نزلت سورة البقرة وسورة النساء إلا وأنا عنده» وقد عُلم أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنى بعائشة في المدينة في شوال لثمان أشهر خلت من الهجرة، واتفق العلماء على أن سورة النساء نزلت بعد البقرة، فتعين أن يكون نزولها متأخراً عن الهجرة بمدة طويلة. والجمهور قالوا: نزلت بعد آل عمران، ومعلوم أن آل عمران نزلت في خلال سنة ثلاث أي بعد وقعة أُحد، فيتعين أن تكون سورة النساء نزلت بعدها. وعن ابن عباس: «أن أول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الأنفال ثم آل عمران ثم سورة الأحزاب ثم الممتحنة ثم النساء» فإذا كان كذلك تكون سورة النساء نازلة بعد وقعة الأحزاب التي هي في أواخر سنة أربع أو أول سنة خمس من الهجرة وبعد صلح الحديبية الذي هو في سنة ست، حيث تضمنت سورة الممتحنة شرط إرجاع من يأتي المشركين هارباً إلى المسلمين عدا النساء وهي آية «إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات» الآية، وقد قيل: إن آية (وآتوا اليتامى أموالهم نزلت في رجل من غَطَفَان له ابن أخ يتيم، وغطفان أسلموا بعد وقعة الأحزاب ـ إذ هم من جملة الأحزاب أي بعد سنة خمس.

ومن العلماء من قال: نزلت سورة النساء عند الهجرة وهو بعيد، وأغرب منه من قال: إنها نزلت بمكة لأنها أفتتحت بيا أيها الناس وما كان فيه يا أيها الناس فهو مكي، ولعله يعني أنها نزلت بمكة أيام الفتح لا قبل الهجرة، لأنهم يطلقون المكي بإطلاقين. وقال بعضهم: نزل صدرُها بمكة وسائرُها بالمدينة، والحق أن الخطاب «بيا أيها الناس» لا يـدل إلا على إرادة دخول أهـل مكة في الخطاب، ولا يلزم أن يكون ذلك بمكة ولا قبل الهجرة فإن كثيراً مما فيه «يا أيها الناس» مدني بالاتفاق، ولا شك في أنها نزلت بعد =

ربكم ولا تشركوا به شيئاً. ثم دل على وحدانية نفسه بصنيعه. فقال: ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني آدم، ﴿وخلق منها زوجها﴾ يعني خلق من نفس آدم زوجها حواء، وذلك أن الله تعالى لما خلق آدم وأسكنه الجنة ألقى عليه النوم، فكان آدم بين النائم واليقظان، فخلق من ضلع من أضلاعه اليسرى حواء، فلما استيقظ، قيل له: من هذه يا آدم؟ قال: امرأة، لأنها خلقت من المرء، فقيل: ما اسمها قال: حواء، لأنها خلقت من حي، وقد قيل: إنما سميت حواء لأنه كان على شفتيها حوه، وقيل: لأن لونها كان يضرب إلى السمرة، فسميت حواء من قولك أحوا،

= آل عمران، لأن في سورة النساء من تفاصيل الأحكام ما شأنه أن يكون بعد استقرار المسلمين بالمدينة، وانتظام أحوالهم وأمنهم من أعدائهم، وفيها آية التيمم،والتيمم شرع يوم غزوة المريسيع سنة خمس وقيل: سنة ست. فالذي يظهر أن نزول سورة النساء كان في حدود سنة سبع وطالت مدة نزولها، ويؤيد ذلك أن كثيراً من الأحكام التي جاءت فيها مفصلة تقدمت مجملة في سورة البقرة من أحكام الأيتام والنساء والمواريث، فمعظم ما في سورة النساء شرائع تفصيلية في معظم نواحي حياة المسلمين الإجتماعية من نظم الأموال، والمعاشرة، والحكم، وغير ذلك. على أنه قد قيل: إن آخر آية منها وهي آية الكلالة هي آخر آية نزلت من القرآن إلا أنه يجوز أن يكون بين نزول سائر سورة النساء وبين نزول آية الكلالة التي في آخرها مدة طويلة، وأنه لما نزلت آية الكلالة الأخيرة أمروا بإلحاقها بسورة النساء التي فيها الآية الأولى، ووردت في السنة تسمية آية الكلالة الأولى آية الشتاء، وآية الكلالة الأخيرة آية الصيف، ويتعين ابتداء نزولها قبل فتح مكة لقوله تعالى ﴿وما لَكُم لاَ تُقَاتِلُون في سَبِيل اللَّه والمُسْتَضْعَفِينَ من الرِّجَالِ والنِّسَاءِ والوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ يعني مكة وفيها آية ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُكُم أن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا﴾ نزلت يوم فتح مكة في قصة «عثمان بن طلحة الشيبي» صاحب مفتاح الكعبة، وليس فيها جدال مع المشركين سوى تحقير دينهم نحو قوله ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إثماً عظيماً ـ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً بعيداً﴾ إلخ وسوى التهديد بالقتال، وقطع معذرة المتقاعدين عن الهجرة، وتوهين بأسهم عن المسلمين، مما يدل على أن أمر المشركين قد صار إلى وهن، وصار المسلمون في قوة عليهم، وأن معظمها ـ بعد التشريع ـ جدال كثير مع اليهود وتشويه لأحوال المنافقين، وجدال مع النصارى ليس بكثير، ولكنه أوسع مما في سورة آل عمران، مما يدل على أن مخالطة المسلمين للنصارى أخذت تظهر بسبب تفشي الإسلام في تخوم الحجاز الشامية لفتح معظم الحجاز وتهامة.

وقد عُدَّت الثالثة والتسعين من السور، نزلت بعد سورة الممتحنة وقبل سورة ﴿إذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾.

وعدد آياتها مائة وخمس وسبعون في عدد أهل المدينة ومكة والبصرة، ومائة وست وسبعون في عدد أهل الكوفة، ومائة وسبع وسبعون في عدد أهل الشام.

وقد اشتملت على أغراض وأحكام كثيرة أكثرها تشريع معاملات الأقرباء وحقوقهم، فكانت فاتحتها مناسبة لذلك بالتذكير بنعمة خلق الله وأنهم محقوقون بأن يشكروا ربهم على ذلك، وأن يراعوا حقوق النوع الذي خلقوا منه بأن يصلوا أرحامهم القريبة والبعيدة، وبالرفق بضعفاء ـ النوع من اليتامى، ويراعوا حقوق صنف النساء من نوعهم بإقامة العدل في معاملاتهن، والإشارة إلى عقود النكاح والصداق، وشرع قوانين المعاملة مع النساء في حالتي الإستقامة والإنحراف من كلا الزوجين، ومعاشرتهن، والمصالحة معهن، وبيان ما يحل للتزوج منهن، والمحرمات بالقرابة أو الصهر، وأحكام الجواري بملك اليمين، وكذلك حقوق مصير المال إلى القرابة، وتقسيم ذلك، وحقوق حفظ اليتامى في أموالهم، وحفظها لهم، والوصاية عليهم.

ثم أحكام المعاملات بين جماعة المسلمين في الأموال والدماء، وأحكام القتل عمداً وخطأ، وتأصيل الحكم الشرعي بين المسلمين في الحقوق، والدفاع عن المعتدي عليه، والأمر بإقامة العدل بدون مصانعة، والتحذير من إتباع الهوى، والأمر بالبر والمواساة وأداء الأمانات، والتمهيد لتحريم شرب الخمر.

وطائفة من أحكام الصلاة، والطهارة، وصلاة الخوف، ثم أحوال اليهود لكثرتهم بالمدينة، وأحوال المنافقين وفضائحهم، وأحكام الجهاد لدفع شوكة المشركين، وأحكام معاملة المشركين ومساويهم، ووجوب هجرة المؤمنين من مكة، وإبطال مآثر الجاهلية.

وقد تخلل ذلك مواعظ، وترغيب، ونهي عن الحسد، وعن تمني ما للغير من المزايا التي حرم منها من حرم بحكم الشرع أو بحكم الفطرة، والترغيب في التوسط في الخير والإصلاح وبث المحبة بين المسلمين. انظر التنوير ٤/٢١١، ٢١٣، ٢١٤.

كقوله تعالى: «فجعله غثاء أحوى» ثم قال تعالى: ﴿وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ يعني خلق منهما، يعني من آدم وحواء، ونشر منهما رجالاً كثيراً ونساءً، يعني خلق منهما رجالاً كثيراً ونساءً. قال مقاتل:[1] أي خلق منهما ألف ذرية من الناس. ثم قال تعالى: ﴿واتقوا الله﴾ أي أطيعوا الله ﴿الذي تساءلون به﴾ قرأ حمزة والكسائي وعاصم وأبو عمرو، في رواية هارون[2]: «تسألون» بغير تشديد، وقرأ الباقون: بالتشديد، [فأما من قرأ بالتشديد][3]، لأن أصله تتساءلون، فأدغم إحدى التاءين في السين وأقيم التشديد مقامه، ومن قرأ بالتخفيف فالأصل أيضاً: تتساءلون فحذف إحدى التاءين لاجتماع الحرفين من جنس واحد للتخفيف. ثم قال: ﴿والأرحام﴾ قرأ حمزة:[4] «والأرحام» بكسر الميم، والباقون بنصب الميم، ومعناه: واتقوا الله الذي تسألون به الحاجات، يعني الذي يسأل الناس بعضهم بعضاً، فيقول الرجل للرجل: أسألك بالله، وأنشدك بالله والأرحام، يقول: واتقوا [الله][5] في ذوي الأرحام فصلوها ولا تقطعوها، وأما من قرأ بالكسر: معناه، أسألك بالله وبالرحم أن تعطيني شيئاً. وقال الزجاج من قرأ بالخفض فخطأ في العربية [وفي أمر الدين، أما الخطأ في العربية][6] لأن الإسم يعطف على الاسم المفصح به ولا يعطف على المكنى به إلا في اضطرار الشعر كقول الشاعر:[7]

---

(١) انظر التفسير ١/٢٢١.

(٢) إلا أن في نسبة تخفيف السين لأبي عمرو غير صحيح لأن أبا عمرو قرأ (تَسَّاءلون) بتشديد السين مثل نافع وابن كثير وابن عامر. انظر حجة القراءات لابن زنجلة (١٨٨) سراج القاريء (١٨٨).

(٣) سقط في ظ.

(٤) فقرأ حمزة بخفض الميم «والأرحام» عطفاً على الضمير في (به) على مذهب الكوفيين، أو أعيد الجار وحذف للعلم به وجُرَّ على القسم تعظيماً للأرحام حثاً على صلتها، والباقون بالنصب عطفاً على لفظ الجلالة أو على محل (به) كقولك: مررتُ به وزيداً، وهو من عطف الخاص على العام والمعنى: اتقوا مخالفته، وقطع الأرحام متدرج فيها فنبه سبحانه بذلك وقرنها باسمه تعالى على أن صلة الأرحام بمكان عند الله تعالى، وطَعْن الزجاج في قراءة الخفض مردود، ولقد أفاض الإمام «أبو شامة» في «شرح الحرز» عند قول الناظم «وحمزة والأرحام بالخفض جملا» وذكر كلام النحويين الطاعنين في هذه القراءة وما استدلوا به وقال في آخر شرح البيت المذكور ما نصه: «وأورد بعض أئمة العربية ذلك فقد سبق جوابه ثم قال أبو شامة أيضاً: وحكى أبو نصر بن القشيري رحمه الله في تفسيره كلام أبي إسحاق الزجاج الذي حكيناه ثم قال: ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراءة ثبتت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تواتراً بعرفة أهل الصنعة، وإذا ثبت شيء عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن رد ذلك فقد رد على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستقبح ما قرأ به وهذا مقام محذور لا تقلد فيه أئمة اللغة والنحو، ولعلهم أرادوا أنه صحيح فصيح وإن كان غيره أفصح منه فإنا لا ندعي أن كل القراءات على أرفع الدرجات في الفصاحة اهـ كلام القشيري.
ثم علق عليه أبو شامة رحمه الله بقوله: وهذا كلام حسن صحيح:
انظر إبراز المعاني شرح الحرز سورة ـ النساء، الإنصاف لابن الأنباري، وانظر حجة القراءات لابن زنجلة (١٨٨) وما بعدها.

(٥) سقط في ظ. (٦) سقط من ظ.

(٧) والبيت هكذا بالأصل.

قد كنتَ من قبلُ تهجُونَا وَتَفْضَحُنَا ... فما لنا بك والأيام مِنْ عجب

هذا البيت من شواهد سيبويه التي لم يعرف قائلها والشاهد فيه عطف الأيام على الضمير المتصل المجرور بالياء من غير إعادة الجار وذلك عند البصريين قبيح لا يجوز إلا في ضرورة الشعر، وهو عند الكوفيين جائز في السعة، بدليل قوله تعالى: ﴿واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلونَ به الأَرْحامِ﴾ في قراءة حمزة بجر «الأرحام» عطفاً على الهاء في (به) وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُم﴾ فإن (ما) عطف على الضمير المجرور بفي. وقوله تعالى: ﴿لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْم مِنْهُم والمؤْمنون يُؤْمنون بما أُنْزِلَ إليكَ وَمَا أُنْزِلَ من قَبْلِكَ والمقيمين الصَّلاةَ﴾ فإن (المقيمين) عطف على الكاف في (إليك) أو الكاف في (قبلك) وبدليل قول الشاعر [وهو عباس بن مرداس السلمي] الشاعر المخضرم.

فـالـيـوم قـربت تـهجـونـا وتـشـتـمنـا فـمـا لنـا بـك والأيـام مـن عـجـب[١]

وأما في غير الشعر فلا يستعمل، وأما الخطأ الذي في الدين، لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: **لا تحلفوا بآبائكم**[٢]، فالسؤال بالأرحام أمر عظيم ولكن روي عن إبراهيم النخعي: أنه كان يقرأ بالخفض أيضاً. ثم **قال تعالى: ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾** أي حفيظاً لأعمالكم يسألكم عنها فيما أمركم به، وروى أبو هريرة عن **رسول الله** ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: ما من عمل حسنة أسرع ثواباً من صلة الرحم وما من عمل سيئة أسرع **عقوبة من البغي**، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع[٣] وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: [إن **الله**][٤] لما خلق الرحم قال له: أصل من وصلك واقطع من قطعك[٥]. ويقال الرحم مشتق من الرحمة، **فمن قطعها فليس له** من رحمة **الله تعالى** نصيب. وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرحم معلق بالعرش **فمن قطعها قطعني ومن وصلها وصلني**[٦].

= أَكُـرُّ عَـلـى الـكـتـيـبـةِ لا أبـالـي أفـيـهَـا كَـانَ حَـتْـفِـي أَمْ سِـوَاهَـا

فإن «سواها» عطف على «ها» في قوله فيها، وقول الآخر:

هَـلَّا سَـأَلْـت بِـذي الـجَـمَـاجِـم عَـنـهُـم وأبـي نَـعِـيـم ذي الـلّـوَاءِ الـمـحـرق

فإن قوله «أبي نعيم» عطف على «هم» في قوله «عنهم»، ومثله قوله الآخر:

تُـعَـلَّـقُ فـي مـثـل الـسَّـواري سـيـوفُـنـا ومـا بـيـنـهـا والـكَـعْـبِ غـوط نـفـانـف

فقوله الكعب عطف على ها في بينها، والجواب عن هذا بأن الواو في قوله تعالى (والأرحام) للقسم لا للعطف. وما في قوله (وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُم) عطف على لفظ الجلالة أي أن الله يفتيكم والقرآن كذلك وأن «المقيمين» نصب على المدح، والأبيات إن سلم حملها على ما قبل فهي من الشذوذ بحيث لا يقاس عليها. انظر المفصل ٣/٧٨.

وانظر سيبويه وشرح شواهده للأعلم ١/٣٩٢، الكامل للمبرد (٤٥١) الإنصاف لابن الأنباري (٤٦٤) شرح المفصل ٣/٧٨ والبغدادي في الخزانة ٢/٣٣٨ شرح شواهد الألفية للعيني ٤/١٦٣ همع الهوامع للسيوطي ١/١٢٠ شرح الأشموني على الألفية ٣/١٥.

(١) والبيت هكذا في ظ.

قـد كُنْتَ من قَبْـلُ تَـهجُـونَـا وَتَـفْـضَـحُـنَـا فـمـا بـكِ والأيـام مـن عَـجَـبِ

(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ أخرجه أبو داود ٣/٥٦٩ في «الأيمان والنذور» باب في «كراهية الحلف بالآباء» (٤٢٤٨). وأخرجه النسائي ٧/٥ في الأيمان وابن حبان، ذكره الهيثمي في الموارد ص ٢٨٦ في الأيمان (١١٧٦) وبلفظ «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم» من حديث ابن عمر أخرجه البخاري ١١/٥٣٠ في الأيمان والنذور (٦٦٤٦) ومسلم ٣/١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٧ في الأيمان (٣/١٦٤٦).

(٣) أخرجه وكيع في الزهد بإسناد مرسل (٤٠٦) وعبد الرزاق في المصنف ١١/١٧٠ - ١٧١ وذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه للبيهقي في السنن الكبرى، وأخرجه ابن ماجه ٢/١٤٠٨ في الزهد باب البغي، وابن عدي في الكامل ٤/١٣٨٧ وقال البوصيري في إسناده صالح بن موسى الطلحي وهو ضعيف، وانظر بقية التخريج في السير والصلة لابن الجوزي. والبلاقع جمع بَلْقَع وبَلْقَعَة، وهي الأرض القفر التي لا شيء بها ويريد أن الحالف بها يفتقر ويذهب ما في بيته من الرزق. وقيل هو أن يفرق الله شمله ويغير عليه مـا أولاه من نعمة. انظر النهاية في غريب الحديث ١/١٥٣، وانظر البر والصلة للإمام ابن الجوزي طبعة مكتبة السنة.

(٤) سقط في ظ.

(٥) متفق عليه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري ٨/٥٨٠ في التفسير (٤٨٣١ - ٤٨٣٢) (٥٩٨٧)، (٧٥٠٢) وأخرجه مسلم ٤/١٩٨٠ في البر والصلة باب صلة الرحم ١٦/٢٥٥٤.

(٦) متفق عليه من رواية السيدة عائشة رضي الله عنها واللفظ لمسلم، أخرجه البخاري ١٠/٤١٧ في الأدب (٥٩٨٩) وأخرجه مسلم ٤/١٩٨١، في كتاب البر والصلة (١٧/٢٥٥٥) وانظر تحفة الأشراف للحافظ المزي ١٢/٢٢٩.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾

ثم قال: ﴿**وآتُوا اليتامى أموالهم**﴾ يقول للأولياء: (آتوا) اليتامى أموالهم التي عندكم إذا بلغوا النكاح، يعني الحلم. ﴿**ولا تتبدلوا الخبيث**﴾ يعني الحرام ﴿**بالطيب**﴾ يعني بالحلال من أموالكم، يقول: لا تذروا أموالكم الحلال، وتأكلوا الحرام من أموال اليتامى ويقال: لا تخلطوا الخبيث بالطيب، ويقال: لا تخلطوا من مالكم الرديء، وتأخذوا الجيد من مال اليتيم، يعني أن يرسل شاة عجفاء في غنمه، ويأخذ مكانها شاة سمينة، وفي الحبوب كذلك. ويقال: لا تجعلوا أموالهم وقاية لأموالكم. ثم قال تعالى: ﴿**ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**﴾ يعني مع أموالكم ﴿**إنه كان حوبا كبيراً**﴾ يعني إثماً عظيماً. قرأ الحسن[1] «حوبا» بنصب الحاء، قال مقاتل: هو بلغة الحبش، قال القتبي الحُوب والحَوْب واحد، وهو الإثم. وقال مقاتل[2]: نزلت في رجل من غطفان، كان معه مال كثير لابن أخيه فلما بلغ اليتيم، طلب ماله، فمنعه العم، فنزلت الآية. فقرأها عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال الرجل: أطعنا الله ورسوله، ونعوذ بالله من الحوب الكبير، فدفع إليه ماله، فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لقد أصاب الأجر، وبقي الوزر، فقالوا: كيف بقي الوزر، وقد أنفقه في سبيل الله، فقال: أصاب الغلام الأجر وبقي الوزر على والده. قوله تعالى: ﴿**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى**﴾ يعني ألا تعدلوا في أموال اليتامى، يقال في اللغة[3]: أقسط الرجل: إذا عدل، وقسط: إذا جار. وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ المقسطون في الدنيا على منابر من نور يوم القيامة[4]. يعني العادلون قال الله تعالى: «وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا» يعني الجائرون [ثم قال تعالى][5] ﴿**فانكحوا ما طاب لكم...**﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون عن أمر اليتامى ويخافون ألا يعدلوا، وكانوا يتزوجون من النساء ما شاءوا فنزلت هذه الآية: «وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم» ﴿**من النساء مثنى و ثلاث ورباع**﴾ يعني[6] فكما خفتم ألا تعدلوا في اليتامى، فخافوا في النساء إذا اجتمعن عندكم ألا تعدلوا بينهن. وروى عروة[7] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: كان الناس يتزوجون اليتامى ولا يعدلون بينهن، ولم يكن لهم أحد يخاصم عنهن، فنهى الله المؤمنين عن ذلك، فقال: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى[8]) الآية. ويقال: إنهم كانوا يتزوجون امرأة لها أولاد أيتام، وكانوا لا يحسنون النظر إليهم، فنزل. (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم) يعني بغير ولد، مثنى وثلاث ورباع، ثم قال تعالى: ﴿**فإن خفتم ألا تعدلوا**﴾ في القسم والنفقة ﴿**فواحدة**﴾ يقول: تزوجوا امرأة واحدة،

---

(١) هذه القراءة شاذة لا يقرأ بها لعدم تواترها.

(٢) انظر التفسير ١/٢٢٢.

(٣) انظر لسان العرب ٥/٣٦٢٧، ترتيب القاموس ٣/٦١٨.

(٤) اخرجه مسلم ٣/١٤٥٨ في كتاب الإمارة (١٨/١٨٢٧) وأخرجه النسائي ٨/٢٢١ في كتاب أدب القضاء (٥٣٧٩).

(٥) سقط في ظ. (٦) سقط في ظ.

(٧) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عبد الله المدني، أحد القراء السبعة، وأحد علماء التابعين، وقال الزهري: عروة بحر لا تكدره الدِّلاء، مات سنة اثنتين وتسعين وقيل غير ذلك.

(٨) بنحوه أخرجه البخاري ٨/٨٦ ـ ٨٧ في كتاب التفسير (٤٥٧٣ ـ ٤٥٧٤) ومسلم ٤/٢٣١٢ في كتاب التفسير (٦ ـ ٧/٣٠١٨).

وإن خفتم ألا تعدلوا في الواحدة ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ يعني الإماء. ويقال: إن خفتم ألا تعدلوا في القسم بين النساء فواحدة أي واشتروا الإماء، لأن الواحدة لا تحتاج إلى القسمة، والإماء لا يحتاج فيهن إلى القسمة، وقال بعض الروافض بظاهر هذه الآية: أنه يجوز نكاح تسع نسوة لأنه قال: مثنى وثلاث ورباع، فيكون ذلك تسعاً. ولكن أجمع المفسرون: إن المراد به التفصيل لا الإجتماع، ومعناه مثنى، أو ثلاث، أو رباع. وبذلك جاءت الآثار، وهو حديث: غيلان بن سلمة:[١] أنه أسلم ومعه عشرة نسوة، فخيره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاختار أربعاً (وفارق البواقي[٢] وروي عن الكلبي ومقاتل: أن قيس بن الحارس[٣] كان عنده ثمان نسوة حرائر فلما نزلت هذه الآية، أمره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يطلق أربعاً ويمسك أربعاً[٤]، وروى محمد بن الحسن في كتاب السير الكبير أن ذلك كان الحارث بن قيس الأسدي، وهذا هو المعروف عند الفقهاء، ثم قال تعالى: ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ أي أحرى ألا تميلوا، ولا تجوروا ولا تظلموا. ثم قال تعالى:

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾

﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ يعني أعطوا النساء مهورهن فريضة. ويقال: ديانة، كما يقال: فلان ينتحل [إلى][٥] مذهب كذا، أي يدين[٦] بكذا، ويقال: نحلة، أي صدقة وهبة، لأن المهر نحلة من الله تعالى للنساء، حيث لم يوجب عليهن وأوجب لهن. وقال في رواية الكلبي: إن أهل الجاهلية، كان الولي إذا زوجها[٧] فإن كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلاً ولا كثيراً، وإن كانت غريبة حملوها على بعير إلى زوجها، ولا يعطوها مهرها ـ غير ذلك البعير ـ شيئاً، فنزل: قوله تعالى: «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة»، يعني به الأولياء يعني أعطوهن مهورهن نحلة، يقول عطية لهن وقال في رواية مقاتل:[٨] كان الرجل يتزوج بغير مهر، ويقول: أرثك وترثيني، فنزلت الآية: وآتوا النساء، يعني الأزواج، صدقاتهن نحلة، أي مهور النساء نحلة، يعني فريضة ﴿فإن طبن لكم﴾ يا معشر الأزواج، أي أحللن لكم ووهبن لكم. قال في رواية الكلبي، يعني الأولياء، إذا وهبت المرأة المهر للولي

---

(١) غَيْلَان بن سَلمة بن معتب بن مالك الثقفي سمي أبو عمر جده شُرَحبيل قال البغوي: سكن الطائف وأسلم بعد فتح الطائف. الإصابة ١٩٢/٥.

(٢) أخرجه الشافعي في المسند ٢/١٦ في النكاح (٤٣) وأحمد ٢/٤٤ والترمذي ٣/٤٣٥ في النكاح (١١٢٨) وابن ماجه ٦٢٨/١ في النكاح (١٩٥٣) وابن حبان ٣/٢٦٩ في النكاح (٩٤) والحاكم في المستدرك ٢/١٩٢ في النكاح والبيهقي ١٨/٧ في النكاح.

(٣) قيس بن الحارث بن حذار الأسدي له صحبة.

(٤) أخرجه أبو داود ٢/٢٧٢ في الطلاق، باب في من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع (٢٢٤٢) وأخرجه ابن ماجه ٦٢٨/١ في كتاب النكاح، باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة (١٩٥٢).

(٥) سقط في ظ. (٦) سقط في ظ. (٧) ذكر ذلك القرطبي ١٧/٥. (٨) انظر التفسير ٢٢٣/١.

(فذلك قوله: فإن طبن لكم ﴿عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً﴾ أي طيباً لا إثم فيه ﴿مريئاً﴾ أي لا داء فيه. ويقال: هنيئاً مريئاً، يعني حلالاً طيباً. وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: إذا كان أحدكم مريضاً، فليسأل من امرأته، درهمين من مهرها حتى تهب له بطيبة نفسها، فيشتري بذلك عسلاً فيشربه مع ماء المطر فحينئذ قد اجتمع الهنيء، والمريء، والشفاء والماء المبارك[1]، يعني أن الله سبحانه تعالى سمى المهر هنيئاً مريئاً، إذا وهبت وسمى العسل شفاء، وسمي ماء المطر مباركاً، فإذا اجتمعت هذه الأشياء يرجى له الشفاء ثم قال تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ يعني النساء، والأولاد الصغار يعني لا يجعل الرجل ماله في يدي امرأته وأولاده، ثم يجعل نفسه محتاجاً إليهم، فلا يدفع إليه عند حاجته. ويقال: لا تدفعوا أموالكم مضاربة، ولا إلى وكيل لا يحسن التجارة. وروي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: من لم يتفقه، فلا يتجر في سوقنا، فذلك قوله تعالى: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) يعني الجهال بالأحكام[2]. ويقال: لا تدفعوا إلى الكفار، ولهذا كره علماؤنا أن يوكل المسلم ذمياً [بالبيع والشراء][3] أو يدفع إليه مضاربة. ثم قال تعالى: ﴿التي جعل الله لكم قياماً﴾ يعني الأموال التي جعل الله قواماً لمعاشكم. ثم قال: ﴿وارزقوهم فيها﴾ يعني الأولاد الصغار أطعموهم ﴿واكسوهم﴾ من أموالكم، وكونوا أنتم القوام على أموالكم،﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ يعني إذا طلبوا منكم النفقة، ولم يكن عندكم في ذلك الوقت شيء، فعدوا لهم عدة حسنة، أي: سأفعل ذلك. ثم قال: ﴿وابتلوا اليتامى﴾ يعني: اختبروا اليتامى، وجربوا عقولهم، ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ يعني الحلم. ويقال: مبلغ الرجال ﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ يقول: إذا رأيتم منهم رشداً وصلاحاً في دينهم، وحفظاً لأموالهم ﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ التي معكم ﴿ولا تأكلوها إسرافاً﴾ في غير حق ﴿وبداراً﴾ يعني مبادرة في أكله ﴿أن يكبروا﴾ يعني مخافة أن يكبروا فيأخذوا أموالهم منكم. ثم قال: ﴿ومن كان غنياً فليستعفف﴾ أي ليحفظ نفسه عن مال اليتيم ﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ وقد اختلف الناس في تأويل هذه الآية، وقالوا فيها ثلاثة أقوال: قال بعضهم: يجوز للمعسر أن يأكل على قدر قيامه عليه، وقال بعضهم: لا يجوز أن يأكل إلا على وجه القرض ويرد عليه إذا كبر وقال بعضهم: لا يجوز في الأحوال كلها. فأما من قال: إنه يجوز أكله على قدر قيامه، فإنه احتج بما روي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم المراد منه بيت المال فمن كان غنياً فلستعفف، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف[4]. وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً سأله فقال: يا ابن عباس أتي إليّ بمواشي أيتام، فهل عليَّ جناح إن أصبت من رسل مواشيهم؟ قال ابن عباس: إن كنت تبغي ضالتها، وتهنأ جرباها وتلوط حياضها، ولا تفرط لها يوم وردها فلا جناح عليك إن أصبت من رسلها[5]. وقال مجاهد:[6] كان يقول من أدركت من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إن للوصي أن يأكل بالمعروف مع اليتيم، فإنه يحلب غنمه، ويقوم

---

(١) ذكر ذلك القرطبي ٥/٢٠.

(٢) قلت: وأما الجاهل بالأحكام وإن كان غير محجور عليه لتنميته لماله وعدم تدبيره فلا يدفع إليه المال لجهله بفاسد البياعات وصحيحها وما يحل وما يحرم منها. وكذلك مثله في الجهل بالبياعات ولما يخاف من معاملته بالربا وغيره. والله أعلم. القرطبي (٥/٢١).

(٣) سقط في ظ.

(٤) بنحوه أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٥٨٢/٧ (٨٥٩٧).

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢/٢ وعزاه لمالك وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والنحاس في ناسخه عن القاسم بن محمد قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال...

(٦) انظر التفسير ١٤٦/١.

على ماله ويحفظه وأما من قال: أنه يجوز أكله على وجه القرض، احتج بما روي عن محمد بن سيرين[١] أنه قال: سألت عبيدة السلماني عن قوله تعالى: (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف)، قال: هو قرض ثم يرد عليه إذا كبر، فقال: ألا ترى أنه قال في سياق الآية: ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم﴾. وقال أبو العالية: ما أكل فهو دين عليه[٢]، وقال الشعبي مثله، وأما من قال أنه لا يجوز أكله، فلأن الله تعالى قال: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً) وتلك الآية محكمة، وهذه من المتشابهة لأنه يحتمل التأويل: إنهم يأكلون على وجه القرض أو على وجه الإباحة، فيرد حكم المتشابه إلى المحكم. وقد قيل: إن هذه الآية منسوخة بتلك الآية. قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: إذا كان الوصي فقيراً فأكل من مال اليتيم مقدار قيامه عليه، أرجو أن لا بأس به، لأن كثيراً من العلماء أجازوا ذلك والاحتراز عنه أفضل. قرأ نافع وابن عامر[٣]: (التي جعل الله لكم قيما) بكسر القاف ونصب الياء بغير ألف، والباقون بالألف ومعناهما قريب. وقال أهل اللغة: قياماً، وقواماً، وقيماً[٤]، بمعنى واحد. وقوله تعالى: (فإذا دفعتم إليهم أموالهم) يعني إذا أدرك اليتامى، ودفعتم إليهم أموالهم. (فأشهدوا عليهم) على ذلك، وإنما الإشهاد على معنى الاستحباب لنفي التهمة عن نفسه، ولو لم يشهد على ذلك لجاز كقوله تعالى: (وأشهدوا إذا تبايعتم) ثم قال: ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ أي شهيداً في أمر الآخرة، وأما في أمر الدنيا، ينبغي أن يشهد العدول على ذلك، لدفع القال عن نفسه، لأن الله تعالى لا يشهد له في الدنيا. قوله تعالى:

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾ وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء، وإنما يورثون الرجال من كان يقاتل ويحوز الغنيمة، حتى مات أوس بن ثابت الأنصاري[٥]، وترك ثلاث بنات، وترك امرأة يقال لها أم كجة[٦]، فقام ابن عمه وأخذ ماله فجاءت المرأة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكرت له القصة[٧]. ويقال: مات رفاعة وترك ابنه وابنته، فأخذ الابن ميراثه كله فجاءت امرأته إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته بذلك فنزل قوله: (للرجال نصيب) أي: حظ (مما ترك الوالدان والأقربون) ﴿وللنساء نصيب﴾ أي حظ ﴿مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه﴾ يعني أن قل المال ﴿أو كثر نصيباً مفروضاً﴾ أي حظاً معلوماً لكل واحد من

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير ٧/٥٨٢.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ٧/٥٨٥.

(٣) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة (١٩٠ ـ ١٩١).

(٤) قاله الكسائي، انظر المصدر السابق، وأصل الكلمة كما ذكر المصنف رحمه الله (قِوَاماً) فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فصارت: (قياماً).

(٥) أوس بن ثابت الأنصاري توفي يوم أحد الإصابة ١/٨١.

(٦) أم كجة الأنصارية. زوجة أوس بن ثابت. الإصابة ٨/٢٧٠.

(٧) انظر أسباب النزول للواحدي (١٠٦) وانظر الدر المنثور ٢/١٢٢.

الميراث، فبين في هذه الآية: أن للرجال نصيباً، وللنساء نصيباً، ولكن لم يبين مقدار نصيب كل واحد منهم، ثم بين في الآية التي بعدها فقال: ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين﴾ قال مقاتل: فيها تقديم وتأخير، ومعناه: إذا حضر أولوا القربى، قسمة الميراث، ﴿فارزقوهم منه﴾ يعني فاعطوهم من الميراث قال مقاتل وهذا كان قبل قسمة الميراث ثم قال تعالى: ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ يعني إذا كان الورثة كباراً يعطون من الميراث لذوي القربى، وإن كانت الورثة صغاراً، ليقل لهم الأولياء قولاً معروفاً أي عدوا لهم عدة حسنة، يقول لهم، إذا أدرك الصغار أمرناهم يعطوكم شيئاً ويعرفون حقكم. وقال القتبي: (إذا حضر القسمة) فيه قولان: أحدهما: أن تكون قسمة الوصية إذا حضرها أقرباؤكم فاجعلوا لهم حظاً من الثلث، ووجه آخر أن يكون قسمة الميراث فارضخوا لهم منها ثم قال: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم﴾ يقول: وليخش على أولاد الميت الضياع، كما أنكم لو تركتم أولاداً ﴿ذرية ضعافاً﴾ يقول: عجزة صغار، يعني الذي يحضره الموت لا يقال له: قدم لنفسك وأوص بكذا وكذا، حتى يوصي بعامة ماله، فليخش على ذرية الميت، كما يخشى على ذرية نفسه. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس[١] قال: إذا حضر الرجل الوصية، فلا ينبغي أن يقول له أوص بمالك، فإن الله تعالى رازق أولادك، ولكن يقول له: قدم لنفسك، واترك لولدك، فذلك قوله تعالى: ﴿خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾ يعني يقول للميت قولاً عدلاً: وهو أن يلقنه: لا إله إلا الله، ولا يأمره بذلك، ولكن يقول ذلك في نفسه حتى يسمعه منه ويتلقن، وهكذا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)[٢] ولم يقل مروهم بذلك [لأنه لو أمر بذلك][٣] فلعله يغضب ويجحد. قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ يعني بغير حق ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾ أي حراماً، لأن الحرام يوجب النار، فسماه الله باسمها. ويقال: إنه يلقم من النار إذا صار إلى جهنم فذلك قوله تعالى: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾. وروي في الخبر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال في بعض قصة المعراج أنه قال:[٤] رأيت أقواماً بطونهم كالحبالى فيها الحيات والعقارب فقلت: من هؤلاء يا جبريل قال: هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنما يأكلون في بطونهم ناراً[٥]، ﴿وسيصلون سعيراً﴾ أي سيدخلونها في الآخرة. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (وسيصلون) بضم الياء على فعل ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون[٦] النصب، وهذا كقوله: سيدخلون وسيدخلون. وقال القتبي: في قوله، (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم). معناه، وليخش الذين يكفلون اليتامى، وليفعل بهم ما يحب أن يفعل بولده من بعده.

---

(١) انظر تفسير الطبري ٨/٢١.

(٢) أخرجه مسلم ٢/٦٣١ في الجنائز باب تلقين الموتى لا إله إلا الله (١/٩١٦) وأبو داود (٣١١٧) والترمذي (٩٧٦) والنسائي ٤/٥ وابن ماجه (١٤٤٤ ـ ١٤٤٥) وأحمد في المسند ٣/٣ وابن حبان وذكره الهيثمي في الموارد (٧١٩) والطبراني في الكبير ١٠/٣٣٣ ـ وابن أبي شيبة ٣/٣٣٧.

(٣) سقط من ظ.

(٤) وقصة المعراج عند البخاري ٦/٣٠٢ في بدء الخلق (٣٢٠٧) ومسلم ١/١٥١ في الأيمان (١٦٤/٢٦٥) وعند البخاري أيضاً في المناقب (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤/٢٦٤).

(٥) ذكره الهيثمي في المجمع ١/٧١ في كتاب الأيمان باب في الإسراء وقال: رواه أحمد وفيه أبو الصلت لا يعرف ولم يَرْوِ عنه غير علي بن زيد.

(٦) وحجتهم قوله (لا يصلاها إلا الأشقى) أي إذا دنا منها يصيبه حرها، وحجة من قرأ بفتح الياء قوله (سأصليه سقر) وقال قوم (سيصلون: يحرقون) انظر حجة القراءات لابن زنجلة (١٩١).

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾

﴿**يوصيكم الله في أولادكم**﴾ أي يبين الله لكم ميراث أولادكم كما بين قسمة المواريث، يعني إذا مات الرجل أو المرأة، وترك أولاداً ذكوراً وإناثاً [يكون][1] ﴿**للذكر مثل حظ الانثيين**﴾ يعني لكل ابن سهمان، ولكل بنت سهم.

وروى ابن أبي نجيح، عن عطاء قال: كان ابن عباس يقول: كان الميراث للولد وكانت الوصية للوالدين والأقربين، فنسخ الله من ذلك ما أحب: فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للوالدين لكل واحد منهما السدس، وللمرأة الثمن أو الربع، وللزوج النصف أو الربع[2]. ثم قال تعالى: ﴿**فإن كن نساء فوق اثنتين**﴾ يعني إذا ترك الميت بناتاً ولم يترك ابناء، فللبنات إن كن اثنتين فصاعداً، ﴿**فلهن ثلثا ما ترك**﴾ من الميراث ولم يذكر في الآية حكم البنتين ولكن أجمع المسلمون، ما خلا رواية عن ابن عباس أنه قال: للاثنتين النصف كما كان للواحدة، وللثلاث بنات الثلثان. وأما سائر الصحابة فقد قالوا: إن للاثنتين الثلثين، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ روى جابر بن عبد الله قال: جاءت امرأة [سعد][3] بن الربيع بابنتيها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: يا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هاتان ابنتا سعد، وقد قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ

---

(١) سقط من ظ.

(٢) أخرجه البخاري ٨/٩٣ في كتاب التفسير (٤٥٧٨).

(٣) ورد الاسم في «أ» سعيد وهو تحريف ظاهر.

مالهما، ولم يدع لهما مالاً ولا تنكحان إلا ولهما مال فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: سيقضي الله ذلك، فأنزل الله تعالى آية الميراث فبعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى عمهما وقال: أعط لابنتي سعد الثلثين، واعط أمهما الثمن، والباقي لك[١]، ثم قال تعالى: ﴿وإن كانت واحدة فلها النصف﴾ يعني إن ترك الميت بنتاً واحدةً فلها النصف من الميراث والباقي للعصبة بالخبر. قرأ نافع (وإن كانت واحدة) بالرفع على اسم كانت، وقرأ الباقون: بالنصب على معنى الخبر، ويكون الاسم فيه مضمراً[٢]. ثم قال تعالى: ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك﴾ الميت من المال، ﴿إن كان له ولد﴾ ذكر أو أنثى، أو ولد الإبن، ﴿فإن لم يكن له﴾ للميت ﴿ولد﴾ ولا ولد ابن ﴿وورثه أبواه﴾ يعني إن لم يكن للميت وارث سوى الأبوين ﴿فلأمه الثلث﴾ يعني للأم ثلث المال والباقي للأب. قرأ حمزة والكسائي[٣] (فلإمه) بكسر الألف، لكسر ما قبله، وقرأ الباقون بالضم ثم قال تعالى: ﴿وإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ يعني، إذا كان للميت أخوة، وقد اتفق أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إن اسم الإخوة يقع على الاثنين فصاعداً، إلا في قول ابن عباس: ثلاثة فصاعداً[٤]، واتفقوا أن الذكور والإناث فيه سواء فيكون للأم السدس، والباقي للأب: ﴿من بعد وصية﴾ يعني أن قسمة المواريث[٥] من بعد وصية ﴿يوصي بها﴾ الميت ﴿أو دين﴾ يعني بعد قضاء الدين، وإنفاذ الوصية. وروى الحارث[٦] عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدين قبل الوصية[٧] وأنتم تقرؤون (من بعد وصية يوصي بها أو دين) يعني، إن في الآية تقديماً وتأخيراً وروي عن ابن عباس: هكذا. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم[٨] (يوصى بها) على فعل ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون: (يوصي بها) يعني الميت إن كان يوصي بها أو عليه دين. ثم قال تعالى: ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾ يعني في الآخرة إذا كان أحدهما أرفع درجة من الآخر، يسأل

---

(١) أخرجه أحمد في السند ٣٥٢/٣ وأبو داود ٣١٦/٣ في الفرائض (٢٨٩٢) والترمذي ٤١٤/٤ ـ ٤١٥ في الفرائض (٢٠٩٢) وقال: حسن صحيح وأخرجه ابن ماجه ٩٠٨/٢ ـ ٩٠٩ في الفرائض (٢٧٢٠) والحاكم في المستدرك ٣٤٢/٤ في الفرائض وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي.

(٢) والتقدير: وإن كانت البنت واحدة قال الزجاج (فالنصب أجود لأن قوله قبلها (فإن كن نساء) قد بين أن المعنى (كان الأولاد نساء) وكذلك المولود واحدة فلذلك اخترنا النصب. انظر حجة القراءات لابن زنجلة (١٩٢).

(٣) وحجتهما أنهما استثقلا ضم الألف بعد كسرة أو ياء فكسراً للكسرة والياء ليكون عمل اللسان من جهة واحدة إذا لم يكن تغيير الألف من الضم إلى الكسر يزيل معنى ولا يغير إعراباً يفرق بين معنيين فأتبعا لذلك الكسرة الكسرة. وحجة من قرأ بالضم: أن الأصل في ذلك كله الضم وهو بنية هذا الإسم وذلك أنك إذا لم تصله بشيء قبله لم يختلف في ضمة ألفه فحكمه إذا اتصل بشيء ألا يغيره عن حاله، وأما قوله (في بطون أمهاتكم) فإن حمزة يكسر الهمزة والميم، اتبع الكسرة الكسرة. انظر حجة القراءات لابن زنجلة (١٩٢).

(٤) انظر سنن البيهقي ٢٢٧/٦ في الفرائض، باب فرض الأم وانظر تفسير الطبري ٤٠/٨.

(٥) في ظ [الميراث].

(٦) الحارث بن عبد الله الهمداني الأعور، من أهل الكوفة وقد اختلف في توثيقه. انظر التهذيب ١٤٥/٢ وما بعدها.

(٧) أخرجه الترمذي ٣٧٨/٤ في كتاب الوصايا، باب ما جاء يبدأ بالدين قبل الوصية (٢١٢٢) وقال: والعمل على هذا عند عامة أهل العلم. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٣٦/٤ وابن ماجه ٩٠٦/٢ في الوصايا (٢٧١٥) وأحمد في المسند ٧٩/١، ١٣١، ١٤٤ والطيالسي في المسند (منحة) ٢٧٢/١ والحميدي في المسند ٣٠/١ ـ ٣١ والدارقطني في السنن ٨٦/٤ ـ ٨٧ ـ والبيهقي ٢٦٧/٦ وفي إسناده الحارث مختلف فيه وهو حسن بشواهده ويعضده الإجماع على مقتضاه انظر التلخيص ١١٠/٣ ومراتب الإجماع (١١٠).

(٨) انظر حجة القراءات لابن زنجلة (١٩٣) وانظر شرح شعلة على الشاطبية (٣٣٣).

الله تعالى، حتى يرفع إليه الآخر لتقر عينه به، فقال: (لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) يعني أيهم أرفع درجة فيلتحق به صاحبه. ويقال: معناه إن الله علمكم قسمة المواريث، وإنكم لا تدرون أيهم أقرب (لكم نفعاً حتى تعطوه حصته ويقال: لا تدرون أيهم أقرب) موتاً فيرث منه الآخر. ثم قال تعالى: ﴿**فريضة من الله**﴾ يعني بيان قسمة المواريث[1] من الله تعالى، ويقال: القسمة فريضة من الله تعالى، لا يجوز تغييرها عما أمر الله به، ثم قال تعالى: ﴿**إن الله كان عليماً**﴾ بالمواريث[2] ﴿**حكيماً**﴾ حكم قسمتها وبينها لأهلها. وقال الزجاج: معناه، وكان الله عليماً بالأشياء قبل خلقها، حكيماً فيما يقرر بتدبيره منها. وقال بعضهم: لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال، فالخبر منه بالماضي، كالخبر منه بالاستقبال. وقال سيبويه: كان القوم شاهدوا علماً وحكماً فقيل لهم: إن الله كان عليماً كذلك لم يزل على ما شاهدتم. ثم قال تعالى: ﴿**ولكم نصف ما ترك أزواجكم**﴾ إذا ماتت المرأة فتركت زوجاً، فللزوج النصف ﴿**إن لم يكن لهن ولد**﴾ ذكراً أو أنثى، أو ولد ابن، ﴿**فإن كان لهن ولد**﴾ أو ولد ابن فللزوج الربع ﴿**فلكم الربع مما تركن**﴾ مما تركت المرأة ﴿**من بعد وصية بوصين بها أو دين**﴾ ثم قال: ﴿**ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين**﴾ يعني إذا مات الزوج وترك امرأة فللمرأة الربع ﴿**إن لم يكن لكم ولد**﴾ ولا ولد ابن ﴿**فإن كان لكم ولد**﴾ فإن كان للميت ولـد وولد ابن ﴿**فلهن الثمن**﴾ سواء كان له امرأة واحدة، أو أربع نسوة، فلهن الربع بغير ولد، والثمن مع الولد [أو مع ولد الابن] لأنه قال: ولهن الربع. فجعل حصتهن الربع أو الثمن، ثم قال: ﴿**مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين**﴾ ثم قال: ﴿**وإن كان رجل يورث كلالة**﴾ والكلالة ما خلا الوالد والولد. ويقال: هو اسم الميت الذي ليس له ولد ولا والد. قال أبو عبيدة: هو مصدر من تكلله النسب، أي أحاط به، والأب والابن طرفا الرجل، فيسمى لذهاب طرفيه كلالة. وقرأ بعضهم[3]: (يورث) بكسر الراء. قال أبو عبيدة: من قرأ (يورث) بكسر الراء، جعل الكلالة الورثة ومن قرأ بنصب الراء جعل الكلالة الميت. وروى الشعبي عن أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ أنهما قالا: الكلالة من لا ولد ولا والد[4].

وروي عنهما أيضاً أنهما قالا: الكلالة ما سوى الولد والوالد. قوله تعالى: ﴿**أو امرأة**﴾ يعني إن كانت الكلالة هي امرأة ثم قال تعالى: ﴿**وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس**﴾ من الميراث ﴿**فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث**﴾ يعني الإخوة من الأم وقد أجمع المسلمون ان المراد ها هنا الإخوة من الأم، لأنه ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين، ففهموا أن المراد ها هنا الإخوة من الأم ثم قال: ﴿**من بعد وصية يوصي بها أو دين**﴾ وقد ذكرناه ﴿**غير مضار وصية من الله**﴾ يعني غير مضار للورثة فيوصي بأكثر من الثلث، (وصية من الله) يعني أن تلك القسمة فريضة من الله ﴿**والله عليم**﴾ يعني علم بأمر الميراث ﴿**حليم**﴾ على أهل الجهل منكم [وقال عليه الصلاة والسلام من قطع ميراثاً فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة][5] وقرأ بعض المتقدمين[6] (والله عليم حكيم). يعني،

---

(١) انظر الصحاح ٣/١٠٩٧ المغرب ٢/١٣٣ المصابح ٢/٧١٩.

(٢) في ظ [الميراث].

(٣) وهي قراءة الحسن، وقرأ أبو رجاء والحسن والأعشى بكسر الراء وتشديدها من ورث، وقرأ الجمهور يُورَثُ بفتح الراء مبنياً للمفعول من أورث مبنياً للمفعول انظر البحر المحيط (٣/١٨٩) والقرطبي (٥/٥٢).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري عن الشعبي ٨/٥٤.

(٥) هذا الحديث سقط من ظ.

(٦) وهذه قراءة لم يتواتر ولم يقرأ بها والصحيح «واللَّهُ عليمٌ حليم».

حكم بقسمة الميراث والوصية، ثم قال: **﴿تلك حدود الله﴾** يعني هذه فرائض الله، مما أمركم به من قسمة المواريث، ويقال: تلك أحكام الله، وتلك بمعنى هذه، يعني هذه أحكام الله قد بينها لكم لتعرفوا وتعملوا **﴿ومن يطع الله ورسوله﴾** في قسمة المواريث، فيقربها، ويعمل بها كما أمره الله **﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾** أي ذلك الثواب هو الفوز العظيم إلى النجاة الوافرة. قوله تعالى: **﴿ومن يعص الله ورسوله﴾** في قسمة المواريث، فلم يقسمها، ولم يعمل بها **﴿ويتعد حدوده﴾** أي يخالف أمره **﴿يدخله ناراً خالداً فيها﴾** لأنه إذا جحد صار كافراً **﴿وله عذاب مهين﴾** يهان فيه. قرأ نافع وابن عامر[1] (ندخله) كلاهما بالنون على معنى الإضافة إلى نفسه، وقرأ الباقون: كلاهما بالياء لأنه سبق ذكر اسم الله تعالى. قوله تعالى:

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾﴾

﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ يعني الزنا، وهي المرأة الثيب إذا زنت **﴿فاستشهدوا عليهن﴾** أي اطلبوا عليهن **﴿أربعة﴾** من الشهود **﴿منكم﴾** أي من أحراركم المسلمين، عدولاً **﴿فإن شهدوا﴾** عليهن بالزنا **﴿فأمسكوهن في البيوت﴾** يعني احبسوهن في السجن **﴿حتى يتوفاهن الموت﴾** أي حتى يمتن في السجن **﴿أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾** يعني مخرجاً من الحبس، ثم نسخ فصار حدهن الرجم، لما روي عن عبادة بن الصامت[2] ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر، جلد مائة، وتغريب عام، والثيب بالثيب، جلد مائة والرجم بالحجارة[3]. ثم ذكر في الآية حد البكر فقال **﴿واللذان﴾** لم يحصنا **﴿يأتيانها﴾** يعني الفاحشة **﴿منكم﴾** يعني من الأحرار المسلمين **﴿فآذوهما﴾** باللسان يعني بالتعيير، بما فعلا، ليندما على ما فعلا، **﴿فإن تابا﴾** من بعد الزنا **﴿وأصلحا﴾** العمل **﴿فأعرضوا عنهما﴾** أي فلا تسمعوهما الأذى بعد التوبة **﴿إن الله كان تواباً﴾** أي متجاوزاً **﴿رحيماً﴾** بهما. ثم نسخ الحبس والأذى بالرجم والجلد، وإنما كان التعيير في ذلك الزمان لأن التعيير حل محل الجلد، وأما اليوم فلا ينفعهم التعيير، وروي عن عبد الله بن أبي نجيع عن مجاهد قال:[4] **واللاتي يأتين الفاحشة** (من نسائكم) واللذان يأتيانها منكم، كان ذلك

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة (١٩٣) شرح شعلة (٣٣٥).

(٢) عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم بن نهر الأنصاري، أبو الوليد، شهد العقبتين وبدراً وهو أحد النقباء. الخلاصة ٢/٣٢.

(٣) أخرجه مسلم ٣/١٣١٦ في الحدود، باب حد الزنى ١٢/١٦٩٠ وأخرجه أبو داود (٤٤١٥) والترمذي (١٤٣٤) وابن ماجه (٢٥٥٠) والطحاوي في المشكل (١/٩٢) والبيهقي في السنن ٨/٢١٠، ٢٢٢ وأحمد في المسند ٥/٣١٨ والدارمي في السنن ٢/١٨١.

(٤) انظر التفسير ١/١٤٩.

في أول الأمر، ثم نسخ بالآية التي في سورة النور[١]. قرأ ابن كثير:[٢] (واللذان) بتشديد النون، لأن الأصل (اللذيان) فحذف الياء وأقيم التشديد مقامه، وقرأ الباقون: بالتخفيف ثم قال تعالى: **﴿إنما التوبة على الله﴾** يعني قبول التوبة على الله، ويقال: توفيقه على الله. ويقال: إنما التجاوز من الله **﴿للذين يعملون السوء بجهالة﴾** قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ كل مؤمن يذنب فهو جاهل في فعله[٣]. ويقال إنما الجهالة إنهم يختارون اللذة الفانية على اللذة الباقية، وذلك الجهل لا يسقط عنهم العذاب، إلا أن يتوبوا، قوله: **﴿ثم يتوبون من قريب﴾** قال ابن عباس: كل من تاب قبل موته فهو قريب. **﴿فأولئك يتوب الله عليهم﴾** أي يقبل توبتهم **﴿وكان الله عليماً [حكيماً﴾** يعني عليماً][٤] بأهل التوبة، حكيماً حكم بالتوبة، وقال مقاتل: نزلت الآية في رجل من قريش سكر، وذكر شعراً ذكر فيه اللات والعزى، وأنكر البعث، فلما أصبح أخبر بذلك، فندم على ذلك واسترجع، فنزلت الآية: (ثم يتوبون من قريب)، يعني قبل الموت. قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا أبو حفص، عن صالح المري[٥]، عن الحسن قال: من عير أخاه بذنب قد تاب إلى الله [منه][٦] ابتلاه الله به[٧]. وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر[٨]. وقال

(١) وهي قول الله عز وجل: ﴿الزَّانية والزَّاني فاجْلِدُوا كلَّ وَاحِدٍ مِنهما مِائَةَ جَلْدة﴾.

(٢) وكذلك (هاذان) (وهاتين) (أرنا اللذين) وحجته أن الأصل في قوله (واللذان) (اللذيان) فحذف الياء وجعل النون المشددة عوضاً من الياء المحذوفة التي كانت في (الذي) وكذلك في (إحدى ابنتي هاتين) شدد هذه النونات وجعل التشديد عوضاً من الياء المحذوفة والألف.

إذا سأل سائل فقال: (لم شددتَ النون في هذه الكلمة ولم تشددْها في قوله (برهانان) (وغلامان)؟ فالجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن هذه النون لما كانت ثابتة في الأحوال كلها ولم ـ تكن الإضافة تسقطها لأن هذه الأسماء لا تضاف البتة ففرقوا بينها وبين النون الضعيفة التي تسقط في الإضافة فتقول: (هذان غلاما زيد) فلما كانت أقوى شددت ليدل بالتشديد على قوتها (بالإضافة) لغيرها من النونات التي تتسلط الإضافة عليها.

والوجه الثاني: يقال لهذه النون في المبهمات: يدل من الألف المحذوفة والياء المحذوفة وهما حرفان في الأصل من نفس الكلمة. والنون في التثنية في قولك (برهانان ورجلان) بدل من التنوين الذي هو زائد وعارض في الكلمة فجعلت للنون التي (هي) بدل من الأصل مزية على النون التي هي بدل من عارض في الأصل وتلك المزية: التشديد.

وقرأ الباقون جميع ذلك بالتخفيف وحجتهم أن من كلام العرب أن ـ يحذفوا ويعوضوا وأن يحذفوا ولا يعوضوا، فمن عوض آثر تمام الكلمة، ومن لم يعوض آثر التخفيف، ومثل ذلك في تصغير (مغتسل) تقول (مُغَيْسل ومُغَيْسيل) فمن قال (مُغَيْسِيل) لم يعوض من التاء شيئاً ومن قال ـ (ومغيسيل) عوض من التاء. انظر ابن زنجلة ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٨/ ٩٠ (٨٨٣٧).

(٤) سقط من ظ.

(٥) صالح بن بشير بن وادع أبو بشر البصري، القاضي المعروف بالمري كان من عباد البصرة توفي سنة ١٧٢ هـ. التهذيب ٤/ ٣٨٢.

(٦) سقط من ظ.

(٧) أخرجه الترمذي مرفوعاً عن معاذ بن جبل ٤/ ٦٦١ في كتاب صفة القيامة (٢٥٠٥) وقال حديث غريب وليس إسناده بمتصل، وذكره السيوطي في الجامع الكبير ١/ ٨٠٢ وعزاه لابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، وذكره السخاوي في المقاصد ٤٢١/ ١١٥٦ وعزاه لابن منيع والطبراني والبيهقي عن يحيى بن جابر قال ما عاب رجل قط رجلاً بعيب إلا ابتلاه الله بذلك العيب. والحديث مرفوعاً أخرجه أيضاً ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٨٢.

(٨) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٣٢ والترمذي في السنن ٥/ ٢٤٧ في الدعوات ٣٥٣٨ وابن ماجه ٢/ ١٤٢٠ في الزهد ٤٢٥٣ وابن حبان، وذكره الهيثمي في الموارد ٦٠٧ في التوبة ٢٤٤٩ والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٥٧ في التوبة والإنابة وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

الحسن: إن إبليس لما أهبط من الجنة قال: بعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام الروح في جسده، قال الله تعالى: فبعزتي لا أحجب التوبة عن ابن آدم ما لم يغرغر بنفسه[١]. قال أبو العالية الرياحي:[٢] نزلت أول الآية في المؤمنين والوسطى في المنافقين، والأخرى في الكافرين، فأما توبة المؤمنين فذكرها قد مضى، وأما ذكر توبة المنافقين فقوله تعالى: ﴿**وليست التوبة للذين يعملون السيئات**﴾ الآية، يعني ليس قبول التوبة للذين أصروا على فعلهم ﴿**حتى إذا حضر أحدهم الموت**﴾ أي الشرق والنزع وعاينه ملك الموت، ﴿**قال: إني تبت الآن**﴾ فليس لهذا توبة، ثم ذكر توبة الكفار ﴿**ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً**﴾ أي وجيعاً دائماً. قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً**﴾ قال ابن عباس: كانوا في الجاهلية، وفي أول الإسلام، إذا مات الرجل وله امرأة، وله ولد من غيرها، أو له وارث غير الابن، فألقى ثوبه عليها وورث نكاحها بالصداق الأول، ويقول: أنا ولي زوجك فورثتك فإن كانت جميلة أمسكها، وإن لم تكن جميلة طول عليها، لتفتدي منه فنزلت هذه الآية. وقال في رواية الضحاك: كان الرجل عنده عجوز، ونفسه تتوق إلى الشابة، فيكره فراق العجوز لمالها فيمسكها ولا يقربها حتى تفتدي منه بمالها، أو تموت فيرث مالها، فنزلت هذه الآية، وأمر الزوج بأن يطلقها إن كره صحبتها، فلا يمسكها كرهاً، فذلك قوله تعالى: (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً). قرأ عاصم وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، ونافع:[٣] (كرهاً) بنصب الكاف، وقرأ حمزة والكسائي: (كرها) [بالضم][٤]. قال القتبي: (الكره) بالنصب بمعنى الإكراه، (والكره) بالرفع المشقة، ويقال: ليفعل ذلك طوعاً أو كرهاً، يعني طائعاً أو مكرهاً. ثم قال تعالى: ﴿**ولا تعضلوهن**﴾ أي لا تمنعوهن من الأزواج ﴿**لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن**﴾ من المهر وغيره ﴿**إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**﴾ وهي المعصية في النشوز على زوجها، فيحل له ما أخذ

---

(١) بلفظ «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب عز وجل: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني» أخرجه من رواية أبي سعيد الخدري أحمد في المسند ٢٩/٣ ـ ٤١ وأبو يعلى في المسند ٤٥٨/٢ ،٢٩٩ ١٢٧٣/٢٩٩ وذكره الهيثمي في المجمع ٢٠٧/١٠ وقال رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادي أبي يعلى، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٦١/٤ في كتاب التوبة والإنابة، وأخرجه البغوي في شرح السنة ٧٦/٥ ـ ٧٧.

(٢) ذكره القرطبي ٦٢/٥.

(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ١٩٥ وشرح شعلة ٣٣٦.

(٤) وفي ظ [بضم الكاف].

منها. ويقال: إلا أن تزني فيحل له أن يفتدي منها، يعني إذا كانت بطيبة نفسها. قرأ ابن كثير، وعاصم في رواية أبي بكر[١] (بفاحشة مبينة) بنصب الياء، وقرأ الباقون (مبينة) بكسر الياء، فمن قرأ بالكسر يعني، الفعل الفاحشة، يعني فاحشة ظاهرة تبين منها نفسها، ومن قرأ بالنصب، يكون بمعنى المفعول. قال مقاتل: نزلت هذه الآية في محصن بن أبي قيس وامرأته هند بنت المغيرة وفي جماعة[٢]. وقال الكلبي: نزلت في حصن بن أبي قيس وامرأته كبشة بنت معن. ثم قال تعالى: **﴿وعاشروهن بالمعروف﴾** أي: صاحبوهن بالجميل **﴿فإن كرهتموهن﴾** أي كرهتم صحبتهن **﴿فعسى﴾** يقول: فلعل **﴿أن تكرهوا شيئاً﴾** من صحبتكم إياهن **﴿ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾** يعني في صحبتهن، يرزق لكم ولداً صالحاً وهذا كقوله عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) ويقال: (ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) لعله إن أمسكها، فيعطفه الله عليها من بعد ذلك، وأما أن يخلي سبيلها فيزوجها الله زوجاً غيره فيرزقها الله منه الولد. ثم قال: **﴿وإن أردتم استبدال زوج﴾** يعني تغيير زوج **﴿مكان زوج﴾** يعني إذا أراد الرجل أن يطلق زوجته، ولم يكن منها نشوز[٣]، وأراد أن يتزوج غيرها **﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً﴾** من الذهب في المهر. قال مجاهد: القنطار سبعون ألف دينار[٤]. وقال عطاء: سبعة آلاف دينار[٥]. وقال الحسن: ألف دينار أو إثني عشرة ألف درهم[٦]. وقال قتادة[٧]: كان يقال: القنطار مائة رطل من الذهب، أو ثمانون ألفاً من ورق. وروي عن عبد الوهاب بن عطاء[٨] عن الكلبي قال: كل ما لم أسنده لكم فهو كله عن أبي صالح عن ابن عباس قال: القنطار ألف مثقال مما كان من ذهب أو فضة[٩] ثم قال تعالى: **﴿فلا تأخذوا منه شيئاً﴾** أي: فلا تستحلوا أن تأخذوا مما أعطيتم شيئاً، إذا لم يكن النشوز من قبلها. ثم قال: **﴿أتأخذونه بهتاناً﴾** يقول: أتستحلون أخذه ظلماً **﴿وإثماً مبيناً﴾** أي ذنباً ظاهراً. ثم قال تعالى: **﴿وكيف تأخذونه﴾** يقول: كيف تستحلون أخذه يعني أخذ مهورهن **﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾** يقول: قد اجتمعا في لحاف واحد. قال الفراء: الإفضاء، أن يخلو الرجل والمرأة، إن لم يجامعها أو جامعها، وقد وجب المهر، وقال الكلبي: الإفضاء: إذا كان معها في لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها، فقد وجب المهر. وروى [عوف][١٠] الأعرابي[١١] عن زرارة بن أبي أوفى[١٢] قال: قضى الخلفاء الراشدون المهديون أن من أغلق باباً وأرخى ستراً فقد وجب المهر والعدة[١٣]. وقال مقاتل: الإفضاء: الجماع، وبهذا القول

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ١٩٦ شرح شعلة ٣٣٦.

(٢) وهم صفوان بن أمية، ومنصور بن مازن، والأسود بن خلف.

(٣) والنشوز: مصدر نَشَزَت المرأة نشوزاً إذا استعصت على بعلها وأبغضته، ونَشَزَ بعلُها عليها: إذا ضربها وجفاها. انظر الصحاح ٨٩٩/٣ ولسان العرب ٤١٧/٥ المصباح ٩٣٥/٢.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ٢٤٨/٦، ٦٧١٩ (٦٧٢٠).

(٥) وفي تفسير الطبري عن عطاء (وسبعون ألفاً).

(٦) أخرجه الطبري في التفسير ٢٤٧/٦، ٦٧١٢.

(٧) أخرجه الطبري في المصدر السابق ٦٧١٥.

(٨) عبد الوهاب بن عطاء الحفاف أبو النصر العجلي، مولاهم، البصري توفي سنة ٢٠٤ هـ. التهذيب ٤٥٠/٦.

(٩) قال الطبري رحمه الله في التفسير ٢٤٩/٦ :وقد ينبغي أن يكون ذلك كذلك لأن ذلك لو كان محدوداً قدره عندهالم يكن بين متقدمي أهل التأويل فيه كل هذا الإختلاف وقال فالصواب في ذلك أن يقال هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس.

(١٠) سقط من أ.

(١١) عوف بن أبي جميلة العبدي الهجري، أبو سهل، البصري، المعروف بالأعرابي. التهذيب ٤٥٠/٦.

(١٢) زرارة بن أوفى العامري الحرشي أبو حاجب، البصري، القاضي، توفي سنة ٩٣ هـ. التهذيب ٣٢٢/٣.

(١٣) أخرجه البيهقي ٢٢٥/٧في كتاب الصداق باب من قال:«من أغلق باباً وأرخى ستراً فقد وجب الصداق» وأخرجه عبد الرزاق في النكاح باب وجوب الصداق وابن أبي شيبة في النكاح باب من قال إذا أغلق الباب. . . انظر التلخيص الحبير ٢١٨/٣.

قال بعض الناس، وأما علماؤنا رحمهم الله ـ قالوا: إذا خلا بها خلوة صحيحة[1] يجب كمال المهر والعدة، دخل بها أو لم يدخل بها. ثم قال: ﴿وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ يقول: أوجبن عليكم عقداً وثيقاً بالنكاح، وهو قوله تعالى: (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) فصار ذلك على الرجال ميثاقاً غليظاً من النساء. ثم بين ما يحل للرجال من النساء وما لا يحل فقال:

وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

فقال تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء﴾، يعني لا تتزوجوا من قد تزوج آباؤكم من النساء. ويقال اسم النكاح يقع على الجماع والتزوج، فإن كان الأب تزوج امرأة أو وطئها بغير نكاح حرمت على ابنه وقوله ﴿إلا ما قد سلف﴾ يقول: لا تفعلوا ما قد فعلتم في الجاهلية، وكل الناس يتزوج الرجل منهم امرأة الأب برضاها، بعد نزول قوله (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً) حتى نزلت هذه الآية: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم. . .) الآية، فصار حراماً في الأحوال كلها. ويقال: إلا ما قد سلف، يعني: ولا ما قد سلف، كقوله تعالى: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) ولا خطأ وقد قيل: إن في الآية تقديماً وتأخيراً، ومعناه، ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء [فإنكم إن فعلتم تواخذون وتعاقبون إلا ما قد سلف][2] إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً، إلا ما قد سلف. وقد قيل: إن في الآية إضماراً تقول (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) من النساء فإنكم إن فعلتم تعاقبون وتؤاخذون إلا ما قد سلف. ثم قال: ﴿إنه كان فاحشة﴾ أي معصية ﴿ومقتاً﴾ أي بغضاً ﴿وساء سبيلاً﴾ أي بئس المسلك. ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ أي نكاح أمهاتكم، فذكر الأمهات والمراد منه الأمهات والجدات. ﴿وبناتكم﴾ ذكر البنات والمراد به البنات والحفيدات [أي بنات الأولاد][3] ثم قال تعالى: ﴿وأخواتكم﴾ يعني من النسب ﴿وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت، وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾.

---

(١) وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وابن عمر ومعاذ بن جبل والمغيرة بن شعبة وأبي موسى وأحمد رضي الله عنهم. وقال مالك والشافعي: لا يوجب.

وصورة المسألة: إذا خلا بها ثم طلقها قبل الدخول فعندنا لها كل المهر وعليها العدة، وعندهما: نصف المهر ولا عدة عليها وصحة الخلوة (بانتفاء الموانع من الوطء شرعاً وحساً فالشرع: كالصوم والصلاة المفروضين والإحرام فرضه ونفله والحيض والنفاس والحس مثل: المرض والرتق والقرن. من إيثار الإنصاف ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٢) ما بين المعكوفين سقط من ظ. (٣) سقط من ظ.

ثم قال تعالى: ﴿وأمهات نساءكم﴾ يعني أن نكاح أمهات نسائكم حرام عليكم سواء دخل بالإبنة أو لم يدخل بها. هكذا روي عن ابن عباس وعن جماعة من الصحابة[١] إنهم قالوا ذلك، ثم قال: ﴿وربائبكم﴾ يعني حرام عليكم نكاح بنات نسائكم ﴿اللاتي في حجوركم﴾ يعني التي يربيها في حجره حرام عليه إذا دخل بأمها ﴿من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾ يعني إن لم يكن دخل بأمها فهي حلال، له أن يتزوجها [وقد اتفقوا على أن][٢] كونها في الحجر ليس بشرط غير قول روي عن بعض المتقدمين وإنما ذكر الحجر لتعارفهم فيما بينهم وتسميتهم بذلك الإسم. ثم قال تعالى: ﴿وحلائل أبنائكم﴾ يعني حرام عليكم نساء أبناءكم ﴿الذين من أصلابكم﴾ يقال: إنما اشترط الذين من الأصلاب، لزوال الاشتباه لأن القوم كانوا يتبنون في ذلك الوقت ويجعلون الابن المتبنى بمنزلة ابن الصلب في الميراث والحرمة، وتبنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زيد بن حارثة، فتزوج زيد بن حارثة امرأة[٣]، ثم طلقها فتزوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعيره المشركون بذلك، وقالوا تزوج امرأة ابنه فنزل قوله تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم)[٤] وذكر في هذه الآية فقال: (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) لكي لا يظن أحد أن امرأة الابن المتبنى تحرم عليه. ثم قال تعالى: ﴿وأن تجمعوا بين الأختين﴾ أي حرم عليكم أن تجمعوا بين الأختين في النكاح في حالة واحدة، ثم قال تعالى ﴿إلا ما قد سلف﴾ يقول: إلا ما قد مضى في الجاهلية. وروى هشام بن عبيد الله[٥]، عن محمد بن الحسن، أنه قال: كان أهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات كلها، التي ذكر في هذه الآية إلا اثنتين: أحدهما: نكاح امرأة الأب، والثانية: الجمع بين الأختين ألا ترى أنه قال تعالى: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف) [(وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) ولم يذكر في سائر المحرمات، إلا ما قد سلف][٦]. ويقال: إلا ما قد سلف يعني، دع ما قد مضى ﴿إن الله كان غفوراً﴾ لما كان في الجاهلية ﴿رحيماً﴾ بما كان في الإسلام إن تاب من ذلك. ثم قال تعالى.

وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٧/٧٠ ـ ٧١. (٢) سقط من أ.

(٣) زينب بنت جحش الأسدية، أم المؤمنين، قالت عائشة ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين والتقى وأصدق حديثاً وأوصل للرحم منها، ماتت سنة عشرين. الخلاصة ٣/٣٨٢.

(٤) أسباب النزول للواحدي ٢٦٥.

(٥) هشام بن عبيد الله الرازي السبتي اختلف في توثيقه.

(٦) ما بين المعكوفين سقط من أ، والمثبت من ظ، والحديث انظر تفسير القرطبي ٥/٧٩.

أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾

﴿والمحصنات من النساء﴾ قال في رواية الكلبي وفي رواية الضحاك، يعني ذوات الأزواج حرام عليكم[١] ﴿إلا ما ملكت إيمانكم﴾ من سبايا، فإذا ملك الرجل امرأة لها زوج في دار الحرب، واستبرأ[٢] رحمها بحيضة، فهي حلال له وهذا موافق لما روي عن ابن سعيد الخدري: إن المسلمين أصابوا يوم أوطاس سبايا لهن أزواج من المشركين، فتأثم المسلمون منهن وقالوا: لهن أزواج، فأنزل الله تعالى: (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم)[٣] يقول: ما أفاء الله عليكم من ذلك وإن كان لهن أزواج من المشركين، فلا بأس بأن يأتيها الرجل، إذا استبرأ رحمها. وقال في رواية مقاتل: (والمحصنات من النساء) يعني، كل امرأة ليست تحتكم فهي حرام عليكم، ثم استثنى من المحصنات فقال: إلا ما ملكت إيمانكم، يعني إلا ما قد تزوجتم من النساء مثنى وثلاث ورباع قوله: ﴿كتاب الله عليكم﴾ أي: هذا ما حرم عليكم في الكتاب. ويقال: (كتاب الله عليكم)، معناه، هذا الذي يقرأ عليكم هو كتاب الله تعالى فاتبعوه، ولا تخالفوه. وقال الزجاج (كتاب الله عليكم) منصوب على التأكيد، محمول على المعنى، لأن معناه: حرمت عليكم أمهاتكم، كتب الله عليكم هذا كتاباً، ويجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر، كأنه قال: الزموا كتاب الله، فيكون عليكم مفسراً له. ثم قال تعالى: ﴿واحل لكم ما وراء ذلكم﴾ يقول: رخص لكم ما سوى ذلكم فالله تعالى قد ذكر ما حرم في هذه الآية من قوله: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) أربع عشرة من المحرمات، سبع بالنسب، وسبع بالسبب[٤] ثم بين المحللات فقال: (وأحل لكم ما وراء ذلكم) يعني ما سوى هذه الأربع عشرة التي ذكر في هذه الآية، فلو كان الأمر على ظاهر هذه الآية، لكان يجوز ما سوى ذلك إلا أنه قد جاء الأثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب[٥]، وقال: لا تنكح المرأة على عمتها، ولا على خالتها[٦]، فوجب اتباعه، لأن الله تعالى قال: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص[٧]، (وأحل لكم) بضم الألف، وقرأ الباقون:

(١) انظر تفسير ابن عباس ٥٥.

(٢) استبراء الجارية (لا يمسها حتى يبرأ رحمها ويتبين حالها هل هي حامل أم لا. انظر النهاية في غريب الحديث ١/١١١ ـ ١١٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢/١٠٧٩ في الرضاع باب جواز وطء المسبية (٣٣/١٤٥٦) وأوطاس: اسم موضع أو بقعة في الطائف.

(٤) فالسبع المحرمات من النسب: الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت. والسبع المحرمات بالصهر ـ والرضاع: الأمهات من الرضاعة، والأخوات من الرضاعة، وأمهات النساء، والربائب، وحلائل الأبناء، والجمع بين الأختين، والسابعة (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) قال الطحاوي: وكل هذا من المحكم المتفق عليه وغير جائز نكاح واحدة منهن بإجماع إلا أمهات النساء اللواتي لم يدخل بهن أزواجهن فإن جمهور السلف ذهبوا إلى أن الأم تحرم بالعقد على الأبنة ولا تحرم الإبنة بالدخول بالأم وبهذا قول جميع أئمة الفتوى بالأمصار. انظر القرطبي ٥/٧٠.

وأثر عنهم قولهم: العقد على البنات يحرم الأمهات، والدخول بالأمهات يحرم البنات.

(٥) من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه البخاري ٩/١٣٩ ـ ١٤٠ في النكاح (٥٠٩٩) ومسلم ٢/١٠٦٨ في الرضاع باب ما يحرم من الرضاعة (٢/١٤٤٤) ومن حديث علي أخرجه مسلم ٢/١٠٧١ (١١/١٤٤٦) والشافعي في المسند ٢/٢٠ (٦١).

(٦) بلفظ لا يجمع أخرجه البخاري ٩/١٦٠ في النكاح (٥١٠٩) ومسلم ٢/١٠٢٨ في النكاح (١٤٠٨/٣٣) وبلفظ «نهى أن تنكح المرأة على عمتها، أو العمة على بنت أخيها، والمرأة على خالتها» وأخرجه الدارمي ٢/١٣٦ في النكاح وأبو داود ٢/٥٥٣ (٢٠٦٥) والترمذي ٣/٤٣٣ (١١٢٦) وقال حسن صحيح وأخرجه النسائي ٦/٩٨ باب تحريم الجمع بين المرأة وخالتها.

(٧) وترجيح ابن خالويه في الحجة بترجيح قراءة ضم الهمزة (أحل) على قراءة الفتح غير سديد، لأن القراءة لا تؤخذ بالرأي، وإنما متى =

بالنصب فمن قرأ بالضم، لأنه عطف على قوله: (حرمت عليكم)، ومن قرأ بالنصب لأنه نسق على قوله: (كتاب الله عليكم) ثم قال تعالى: **﴿أن تبتغوا بأموالكم﴾** يعني أن تتزوجوا بأموالكم، ويقال: تشتروا بأموالكم الجواري **﴿محصنين غير مسافحين﴾** يقول: كونوا متعففين من الزنا غير زانين **﴿فما استمتعتم به منهن﴾** قال مقاتل: يعني به المتعة أي فما استمتعتم منهن إلى جل مسمى، **﴿فآتوهن أجورهن﴾** أي أعطوهن ما شرطتم لهن من المال. وإنما كانت إباحة المتعة في بعض المغازي ثم نهي عن ذلك. وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ:[١] فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى[٢]. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال ما كانت المتعة إلا رحمة، رحم الله بها هذه الأمة ولولا نهي عمر عنها، ما زنى إلا شقي. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إنما رخص في المتعة في بعض المغازي ثم نسختها آية الطلاق والميراث والعدة[٣]. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: (فما استمتعتم به منهن) قال: النكاح فآتوهن أجورهن، يعني مهورهن. وقال في رواية الكلبي: فما استمتعتم به منهن بعد النكاح فاتوهن أجورهن، أي مهورهن **﴿فريضة﴾** لهن عليكم[٤]. وقال الضحاك: (فما استمتعتم به منهن) أي، فما تزوجتم بهن فأعطوهن مهورهن. **﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾** قال بعضهم: يعني المتعة، قبل أن تنسخ أجاز لهما أن يتراضيا على زيادة الأجل والمال، وقال بعضهم: يعني المهر، لا جناح على الزوجين أن يتراضيا بعد النكاح على زيادة المهر. **﴿إن الله كان عليماً﴾** فيما رخص لكم من نكاح الأجانب **﴿حكيماً﴾** فيما حرم عليكم من ذوات المحارم. ثم قال تعالى: **﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾** أي غنى، يقول: من لم يجد منكم سعة في المال **﴿أن ينكح المحصنات المؤمنات﴾** يعني الحرائر، فليتزوج الإماء فذلك قوله **﴿فمن ما ملكت أيمانكم﴾** من الإماء. ويقال: من لم يستطع منكم طولاً، يعني من لم يكن له منكم مقدرة على الحرة، فليتزوج الأمة، يعني إذا لم يكن له امرأة حرة. وقد قال بعض الناس: إذا كان للرجل من المال مقدار ما يمكنه أن يتزوج بالحرة، لا يجوز أن يتزوج الأمة. وفي قول علمائنا: يجوز إذا لم يكن عنده امرأة حرة لأنه لو صرف إلى ذلك الوجه لا يضر، لأن كل مال يمكن أن يتزوج به الأمة. يمكن أن يتزوج به الحرة، ولكن معناه، كون الحرة عنده أفضل ثم قال تعالى: **﴿من فتياتكم المؤمنات﴾** يعني يتزوج الأمة المسلمة. وقال بعض الناس: لا يجوز أن يتزوج أمة يهودية أو نصرانية لأن الله تعالى قال: (من فتياتكم المؤمنات). وفي قول علمائنا: يجوز نكاح الأمة اليهودية والنصرانية، وذكر المؤمنات ليس بشرط، أنه لا يجوز غيرها، وهذا بمنزلة قوله: (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) فإن خاف ألا يعدل، فيتزوج أكثر من واحدة جاز، ولكن الأفضل أن لا يتزوج، فكذلك ها هنا الأفضل أن يتزوج الأمة إلا مؤمنة، ولو تزوج غير المؤمنة جاز. ثم قال تعالى: **﴿والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض﴾** يقول: والله أعلم بإيمانكم في الحقيقة وأنتم تعرفون الظاهر، وليس عليكم أن تبحثوا عن الباطن. وقال مقاتل: في الآية تقديم وتأخير، ومعناه، فما ملكت إيمانكم بعضكم من بعض، [(يعني يتزوج هذا وليدة هذا وهذا وليدة هذا) ثم قال: (والله أعلم بإيمانكم) من غيره. ويقال: معناه، والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض، يعني: بعضكم من بعض][٥] في النسب، يعني محلكم ولد آدم ولا فخر فيما بينكم. ويقال: دينكم واحد أي بعضكم على دين بعض. ثم قال تعالى: **﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾** يعني الولاية بإذن أربابهن **﴿وآتوهن أجورهن بالمعروف﴾** يقول: أعطوهن

= صح سندها صحت القراءة بها، وكلا القراءتين متواتر صحيح. وانظر حجة القراءات لابن زنجلة ١٩٨ وشرح شعلة ٣٣٨.

(١) هذه القراءة لا تصح تلاوة لأنها غير متواترة، والأمر كما وضحه العلامة الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره ٨/ ١٧٩.

(٢) انظر تفسير الطبري ٨/ ١٧٧.

(٣) تفسير القرطبي ٥/ ٨٦. (٤) انظر تفسير ابن عباس ٥٥. (٥) ما بين المعكوفين سقط من ظ.

مهورهن بالمعروف (يعني بإذن أهلهن، لأنه إذا أعطى الأمة مهرها بغير إذن مولاها واستهلكت ضمن الزوج للمولى). ويقال: مهراً غير مهر البغي، يعني بعدما أطلق ذلك، ثم قال: ﴿محصنات﴾ أي عفائف ﴿غير مسافحات﴾ أي: غير زواني. ويقال: غير معلنات بالزنا. ﴿ولا متخذات أخدان﴾ يعني، أخلاء في السر، لأن أهل الجاهلية كان فيهن زواني في العلانية، ولهن رايات منصوبة، وبعضهن اتخذن أخداناً، يعني أخلاء في السر ولا يفعلن بالعلانية، فنهى الله عن نكاح الفريقين جميعاً فقال: تزوجوا محصنات غير معلنات بالزنا، ولا في السر. قرأ الكسائي[1] (محصنات) بكسر الصاد في جميع القرآن إلا في قوله (والمحصنات من النساء) وقرأ الباقون في جميع القرآن بالنصب. ثم قال تعالى: ﴿فإذا أحصن﴾ يعني أسلمن، ويقال: إذا أعففن. قرأ عاصم وحمزة والكسائي[2] (فإذا أحصن) بالنصب، وقرأ الباقون: بالضم وروي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ بالنصب، ومعناه إذا أسلمن. وقرأ ابن عباس: بالضم، يعني أحصن بالأزواج. ﴿فإن أتين بفاحشة﴾ يعني الزنا، ﴿فعليهن﴾ أي وجب عليهن ﴿نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ يعني إذا زنت الأمة فحدها نصف حد الحرة، خمسون جلدة، والفائدة في نقصان حدهن - والله أعلم - أنهن أضعف من الحرائر، فجعل عقوبتهن أقل. ويقال: لأنهن لا يصلن إلى مرادهن، كما تصل الحرائر إلى مرادهن. ويقال: لأن العقوبة تجب على قدر النعمة، ألا ترى: أن الله تعالى قال لأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) فلما كانت نعمتهن أكثر جعل عقوبتهن أشد، فكذلك الأمة، لما كانت نعمتها أقل كانت عقوبتها أدنى. وذكر في الآية حد الإماء خاصة، ولم يذكر حد العبيد، ولكن حد العبيد والإماء سواء خمسون جلدة في الزنا، وفي حد القذف وشرب الخمر أربعون جلدة، لأن حد الأمة إنما نقص لنقصان الرق، وذلك في العبد موجود. وروي عن علي بن أبي طالب،

---

(١) قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ اتفق القراء على فتح الصاد في هذا الحرف. واختلفوا فيما عداه. فقرأ الكسائي: أن ينكح المُحْصِنات المؤمنات) ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى المُحْصِنات﴾ بكسر الصاد في جميع القرآن) أي هن أَحْصَنَّ أنفسهن بالإسلام والعفاف، فذهب الكسائي إلى أن المحصنات المسلمات العفايف هن أحصن أنفسهن بالإسلام والعفاف. والعرب تقول: (أحصنت المرأة فهي محصنة) وذلك إذا حفظت نفسها وفرجها. وحجته في فتح الحرف الأول وكسر ما عداه: أن المعنى فيه غير موجود فيما عداه وذلك أن (المحصنات) ها هنا هن ذوات الأزواج اللاتي أحصنهن أزواجهن سوى ملك اليمين اللاتي كان لهن الأزواج فكن محصنات بهم فأحلهن بعد استبرائهن بالحيض، فأما ما سوى هذا الحرف فإن المراد فيه ما ذكرنا من الإسلام والعفة.

عن الحسن في قوله (والمحصنات من النساء) قال: ذوات الأزواج. فقال الفرزدق: (قد قلت فيه شعراً) قال الحسن: (ما قلت يا أبا فراس؟) قال: (قلت:

وذاتِ حَليلٍ أنْكحتها رماحُنا ... حَلاَلٌ لمن يبني بها لم تطَلَّق

روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث يوم حنين سرية أصابوا حياً من العرب يوم أوطاس فهزموهم وقتلوهم وأصابوا نساءً لهن أزواج، فكان ناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تأثموا من غشيانهن من أجل أزواجهن فأنزل الله عز وجل: ﴿والمحصنات من النساء﴾ أي المتزوجات ﴿إلا ما - ملكت أيمانكم﴾ أي السبايا من ذوات الأزواج لا بأس في وطئهن بعد استبرائهن.

وقرأ الباقون: (المحصَنات) بفتح الصاد أي متزوجات أحصنهن أزواجهن والأزواج مُحْصَنُون والنساء مُحْصَنَات.

قال أبو عمرو: (الزوج يحصن المرأة والإسلام) وكذلك (فإذا أحصن) أي أحصنهن الأزواج والإسلام قال. ولا تقول العرب (هذا قاذف محصنة ولا محصنات) ولا (محصنة ومحصنات) فتأويل (المحصنات) أن أزواجهن أعفوهن أو إسلامهن أحصنهن فهن محصنات بذلك. انظر حجة القراءات ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ١٩٨.

وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ أنهما قالا: حد العبد نصف حد الحر[١]. ثم قال تعالى: ﴿ذلك﴾ يعني هذا الذي ذكر في الآية. وهو رخصة نكاح الأمة ﴿لمن خشي العنت منكم﴾ يعني الإثم في دينه، ويقال: الزنا والفجور [قال القتبي أصله المضرور الإفساد][٢] قال تعالى: (وان تصبروا) عن نكاح الإماء (خير لكم) من تزوجهن لأنه، لو تزوج الأمة، يصير ولده عبداً. وروي عن عمر أنه قال: أيما حر تزوج بأمة، فقد أرق نصفه أي يصير ولده رقيقاً، فالصبر عن ذلك أفضل لكيلا يرق ولده[٣]. وقال مجاهد: ﴿وإن تصبروا خير لكم﴾ يقول: وإن تصبروا على نكاح الأمة خير لكم من أن تقعوا في الفجور. ﴿والله غفور﴾ لما أصبتم منهن قبل تحليله ﴿رحيم﴾ حين رخص في نكاح [الاماء][٤] ويقال: رحيم إذ لم يعجل العقوبة.

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

﴿يريد الله ليبين لكم﴾ أي يبين لكم أن الصبر خير لكم من نكاح الإماء. ويقال: يبين لكم إباحة نكاح الأمة عند العذر. ثم قال تعالى: ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ أي شرائع الذين من قبلكم بأنه لم يحل لهم تزوج الإماء وقد أحل لكم ذلك. وقال مقاتل: يريد الله ليبين لكم حكم حلاله وحرامه من النساء، ويهديكم أي يبين لكم شرائع من كان قبلكم[٥] ﴿ويتوب عليكم﴾ أي يتجاوز عنكم ما كان منكم قبل التحريم ﴿والله عليم﴾ بمن فعله منكم بعد التحريم ﴿حكيم﴾ فيما نهاكم عن نكاح الاماء إن لم يجد طولاً، والنهي نهي استحباب لا نهي وجوب. ويقال: إن هذا ابتداء القصة، يريد الله أن يبين لكم كيفية طاعته، (ويهديكم) يعني يعرفكم سنن الذين من قبلكم، يعني أنهم لما تركوا أمري فكيف عاقبتهم، وأنتم إذا فعلتم ذلك لا أعاقبكم، ولكني أتوب عليكم (والله عليم بمن تاب) (حكيم) حكم بقبول التوبة. ثم قال تعالى: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ أي يتجاوز عنكم ما كان منكم من قبل التحريم. ويقال: يتجاوز عنكم الزلل والخطايا. ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾ (يعني اليهود والنصارى، ويقال المجوس. (أن تميلوا ميلاً عظيماً) يعني أن تخطئوا خطأ عظيماً، لأن بعض الكفار كانوا يجيزون نكاح الأخت من الأب، وبنات الأخ وبنات الأخت، فلما حرم الله تعالى ذلك قالوا للمسلمين: إنكم

---

(١) انظر أثر عمر في تنصيف حد الإماء في ابن أبي شيبة في المصنف ٥/٥٠١ (٢٨٣٨٤) (٢٨٢١٤)، وانظر أثر على في تنصيف حد العبد في ابن أبي شيبة ٥/٤٨٦، (٢٨٢٢٦).

(٢) ما بين المعكوفين سقط من ظ.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/١٤٣ وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة.

(٤) في ظ الأمة.

(٥) ذكره السيوطي في الدر ٢/١٤٣ وعزاه لابن أبي حاتم.

تنكحون ابنة الخالة والعمة فأنزل الله تعالى هذه الآية. ويقال: ويريدون الذين يتبعون الشهوات. ويقال: إن اليهود يريدون أن يقفوا منكم على الزلل والخطايا، يعني أن الله تعالى قد بين لكم لكي لا يقفوا منكم على الزلل والخطايا. ثم قال تعالى: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ يقول: يهون عليكم الأمر إذا رخص لكم في نكاح [الإماء][1] ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ أي لا يصبر على النكاح وقال الضحاك: يخفف عنكم أي يريد أن يضع عنكم أوزاركم ويضع عنكم آثامكم. قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ يعني بالظلم، باليمين الكاذبة، ليقطع بها [مال أخيه ثم استثنى ما استفضل الرجل من][2] مال أخيه في تجارته أنه لا بأس به فقال ﴿إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾. ويقال: إلا ما كان بينهما تجارة، وهو أن يكون مضارباً له، فله أن يأكل من مال المضاربة إذا خرج إلى السفر. ويقال: إلا ما يأكل الرجل شيئاً عند اشترائه ليذوقه. قرأ حمزة والكسائي وعاصم[3] (تجارة) بنصب الهاء على معنى خبر تكون. وقرأ الباقون بالضم على معنى الإسم. ثم قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضاً، فإنكم أهل دين واحد. ويقال: (ولا تقتلوا أنفسكم)، يعني أن يوجب الرجل على نفسه [قتل نفسه فإيجابه] باطل[4]. وقال القتبي: (ولا تأكلوا أموالكم) يعني لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل، ولا يقتل بعضكم بعضاً، كقوله: (ولا تلمزوا أنفسكم) أي لا تعيبوا إخوانكم. ويقال: (ولا تقتلوا أنفسكم) أي لا تقتلوها بالكسل والبخل. ﴿إن الله كان بكم رحيماً﴾ إذ نهى عن القتل، وعن أخذ الأموال. قوله تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك عدواناً﴾ يعني اعتداء. ويقال: مستحلاً ﴿وظلماً﴾ أي وجوراً ﴿فسوف نصليه ناراً﴾ هذا وعيد لهم من الله تعالى، يعني يدخله في الآخرة النار ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ أي عذابه هين عليه. قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾. قال مقاتل[5]: يعني ما نهى عنه من أول هذه السورة إلى هذه الآية. وقال في رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[6] ـ رضي الله عنه ـ (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه). الكبائر: كل شيء سمى الله تعالى فيه النار لمن عمل بها، أو شيء نزل فيه حد في الدنيا، فمن اجتنب من هذا وهو مؤمن، كفر الله عنه ما سواه من الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، وشهر رمضان إلى شهر رمضان إن شاء الله تعالى. قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحاك، عن مسروق عن ابن سمعود، قال: الكبائر من أول السورة إلى قوله: إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه[7]. وروي عن ابن مسعود أنه قال: الكبائر أربعة: الإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن مكر الله، والشرك بالله[8]. وروى عامر الشعبي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، [واليمين الغموس[9]][10] وقال ابن عمر: الكبائر تسعة:

---

(١) في ظ [الأمة].
(٢) ما بين المعكوفين سقط من أ.
(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ١٩٩.
(٤) سقط من أ.
(٥) انظر التفسير ١/٢٣٣.
(٦) انظر تفسير ابن عباس (٥٦).
(٧) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٨/٢٣٣ (٩١٧١) (٩١٧٢) وساق الطبري رحمه الله أسانيد عديدة لهذا الأثر فارجع إليه إن شئت، وذكره الهيثمي في المجمع ٤/٧ وقال رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.
(٨) أخرجه الطبري في التفسير ٢/٢٤٣ (٩١٩١) (٩١٩٢)، (٩١٩٣) وذكره السيوطي في الدر ٢/١٤٧، ونسبه أيضاً لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني وابن أبي الدنيا في التوبة ١١/٥٥٥ في الأيمان والنذور (٦٦٧٥).
(٩) وهي الحلف على فعل أو ترك ماض كاذباً، سميت به لأنها تغمس صاحبها في الإثم واختلف أهل العلم في اليمين الغموس هل لها كفارة؟ فذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد في إحدى الروايتين: لا كفارة لأنها أعظم من أن تكفر، وذهب الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى: تكفر.
(١٠) أخرجه عن عبد الله بن عمرو البخاري ١١/٥٥٥ في الأيمان والنذور ٦٦٧٥ وفي ١٢/٢٦٤ (٦٩٢٠) والترمذي ٣٠٢١.

الشرك بالله، وقتل المؤمن متعمداً، والفرار من الزحف وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والسحر، وعقوق الوالدين][1]، واستحلال حرمة البيت الحرام[2]. ويقال: الكبيرة ما أصر عليها صاحبها. ويقال لا كبيرة مع الإستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار. ثم قال تعالى: ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ يقول: نمحو عنكم ذنوبكم ما دون الكبائر ﴿وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ في الآخرة، وهي الجنة. قرأ نافع[3] مـدخلاً بنصب الميم، والباقون: بالضم، فمن قرأ بالنصب فهو إسم الموضع، وهو الجنة، ومن قرأ بالضم فهو المصدر والموضع جميعاً. قوله تعالى:

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾. قال ابن عباس: يعني لا يتمنى الرجل مال أخيه، ولا امرأته ولا دابته ولكن، ليقل اللهم ارزقني مثله، وقال الكلبي: مثله. وفيها وجه آخر: وهو أن الرجال قالوا: إن الله فضلنا على النساء، فلنا سهمان ولهن سهم، ونرجوا أن يكون لنا أجران في الأعمال. وقالت أم سلمة: ليت الجهاد كتب على النساء، فنزلت هذه الآية[4] (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ ويقال: إن النساء قلن كما نقص سهمنا في الميراث، كذلك ينقص من أوزارنا، ويكون الإثم علينا أقل من الرجال، فنزلت الآية: (للرجال نصيب مما اكتسبوا) ولا يتمنى أحدكم أكثر مما عمل، (وللنساء نصيب مما اكتسبن) من الشر ولا ينقص منهن شيء مما عملن من الإثم. ﴿وسئلوا الله من فضله﴾ جميعاً الرجال والنساء ﴿من فضله﴾ أي من رزقه ﴿إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ فيما يصلح لكل واحد منهم من السهام وبمن يصلح للجهاد. قرأ ابن كثير والكسائي:[5] (وسلوا الله) بغير همز في جميع القرآن، وقرأ الباقون، (واسألوا

---

(١) ما بين المعكوفين سقط من أ.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/١٤٦ ونسبه إلى علي بن الجعد في الجَعْديّات.

(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ١٩٩، شرح شعلة ٣٣٨.

(٤) انظر أسباب النزول للواحدي ١١٠.

(٥) وحجتهما إجماع الجميع على طرح الهمزة في قوله: (سل بني إسرائيل) و(سلهم أيهم بذلك زعيم) فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه فطرحا الهمزة من جميع ذلك.

الله) بالهمز، وأصله الهمز، إلا أنه حذف الهمز للتخفيف. قوله تعالى: ﴿ولكل جعلنا موالي﴾ أي بينا موالي، يعني الورثة من الولد والإخوة وابن العم. ويقال: الموالي العصبة، العم وابن العم وذوي القربى، كقوله: (وإني خفت الموالي من ورائي) معناه ولكل واحد منكم جعلنا الورثة لكي يرث ﴿مما ترك﴾ وهم ﴿الوالدان والأقربون﴾. ثم قال: ﴿والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾. قال الكلبي ومقاتل:[١] كان الرجل يرغب في الرجل فيحالفه ويعاقده على أن يكون في ميراثه كبعض ولده ثم قال: (فآتوهم نصيبهم) أي اعطوهم حظهم الذي سميتم لهم من الميراث، هكذا قال مجاهد[٢]. ثم نسخ بقوله تعالى: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) ويقال: إنهم كانوا يوصون لهم بشيء من المال فأمرهم بأن يؤتوا نصيبهم من الثلث. ويقال: أراد به مولى الموالاة، كانوا يرثـون السدس. ثم قال تعالى: ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ أي شاهد إن أعطيتموهم أو لم تعطوهم. قرأ أهل الكوفة: حمزة والكسائي وعاصم[٣]، والذين (عقدت أيمانكم) بغير ألف، والباقـون: بالألف، قـال أبو عبيـدة والإختيار، (عاقدت) بالألف لأنه من معاقدة الحلف فلا يكون إلا بين اثنين ومن قرأ (عقدت) معناه عقدت لهم أيمانكم، فأضمر فيها لهم. ثم قال: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾. نزل في سعد بن الربيع[٤] لطم امرأته بنت محمد بن مسلمة[٥]، فجاءت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمرها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالقصاص، فنزل جبريل من ساعته بهذه الآية (الرجال قوامون على النساء) يعني مسلطون في أمور النساء وتأديبهم ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ وذلك أن الرجل له الفضل على امرأته في إنفاقه عليها [ودفع الحق إليها][٦] ويقال: إن الرجال لهم فضيلة في زيادة العقل والتدبير، فجعل لهم حق القيام عليهن بما لهم من زيادة عقل ليس ذلك للنساء. ويقال: للرجال، زيادة قوة في النفس والطبع ما ليس للنساء، لأن طبع الرجال غلب عليه الحرارة واليبوسة، فيكون فيه قوة وشدة، وطبع النساء غلب عليه الرطوبة والبرودة، فيكون فيه معنى اللين والضعف، فجعل

= فإن سأل سائل فقال: (هلا طرحا من غير المواجهة كما طرحا من المواجهة فقرأ (وليسلوا ما أنفقوا) بغير همز؟) الجواب: لم يطرحا الهمزة من غير المواجهة لأن العرب لم تطرح اللام من أوله كما طرحته من المواجهة فقالوا: (ليقم زيد) فتركوه على أصله. وقالوا (قم يا زيد) فحذفوا ذلك على أنهم لم يستثقلوا في غير المواجهة ما استثقلوه في المواجهة فلهذا حذفا من المواجهة كما حذفت العرب اللام من المواجهة ولم يحذفا الهمزة من غير المواجهة كما لم تحذف العرب اللام من غير المواجهة.

وقرأ الباقون: (واسألوا الله) بالهمز وحجتهم في ذلك أن العرب لا تهمز (سل) فإذا أدخلوا الواو والفاء و (ثم) همزوا. فإن سأل سائل فقال: (إذا أدخلوا الواو والفاء لم همزوا؟ هلا تركوها؟) فالجواب في ذلك: أن أصل (سل): أسأل) فاستثقلوا الهمزتين فنقلوا فتحة الهمزة إلى السين فلما تحركت السين استغنوا عن ألف الوصل فإذا تقدمه واو أو فاء ردوا الكلمة إلى الأصل، وأصله (واسألوا) لأنهم إنما حذفوا لاجتماع الهمزتين فلما زالت العلة ردّوها إلى الأصل. انظر حجة القراءات ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(١) انظر التفسير ١/٢٣٤. (٢) انظر التفسير ١/١٥٤.

(٣) وحجتهم أن الأيمان عقدت بينهم لأن في قوله (أيمانكم) حجة على أن أيمان الطائفتين هي عقدت ما بينهما وفي إسناد الفعل إلى الأيمان كفاية من الحجة.

وحجة الباقين أن العقد كان من الفريقين وكان هذا في الجاهلية: يجيء الرجل الذليل إلى العزيز فيعاقده ويحالفه ويقول له: (أنا ابنك ترثني وأرثك وحرمتي حرمتك ودمي دمك، وثاري ثارك فأمر الله جل وعز بالوفاء فهذا العقد لا يكون إلا بين اثنين وقيل إن ذلك أمر قبل تسمية المواريث وهي منسوخة بآية المواريث انظر حجة القراءات ٢٠١ ـ ٢٠٢. وانظر شرح شعلة ٣٣٩.

(٤) انظر أسباب النزول ١١١.

(٥) عميرة بنت محمد بن مسلمة الأنصارية نزل فيها (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ على النِّساء) الآية. الإصابة ٨/١٥٠.

(٦) ما بين المعكوفين سقط من أ.

لهم حق القيام عليهن بذلك. ثم قال: ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ أي فضلوا على النساء بما أنفقوا من أموالهم عليهن من المهر والنفقة. ثم قال: ﴿فالصالحات قانتات﴾ يعني المحصنات من النساء في الدين قانتات مطيعات لله تعالى ولأزواجهن. ويقال: الصالحات يعني المحسنات إلى أزواجهن من النساء في الدين (قانتات) أي [مطيعات لله ولأزواجهن][١] ويقال: الصالحات، يعني الموحدات (قانتات) يعني قائمات بأمور أزواجهن ﴿حافظات للغيب﴾ أي لغيب أزواجهن في فروجهن، وفي أموال الأزواج ﴿بما حفظ الله﴾ يقول أي: يحفظ الله إياهن. قال مقاتل:[٢] (وما) صلة يعني يحفظ الله لهن، ثم قال عز وجل: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ أي تعلمون عصيانهن ﴿فعظوهن﴾ بالله، أي يقول لها: اتق الله فإن حق الزوج عليك واجب، فإن لم تقبل ذلك قوله تعالى: ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ قال الكلبي: أي ينسها وهو الهجر[٣]. ويقال: لا يقرب فراشها، لأن الزوج إذا أعرض عن فراشها، فإن كانت محبة للزوج يشق عليها، فترجع إلى الصلاح، وإن كانت مبغضة فتظهر السرور فيها، فيتبين أن النشوز من قبلها. وقال الضحاك: واهجروهن في المضاجع، أي يعرض عنها، فإن ذلك يغيظها فإن لم ينفعها ذلك. ﴿واضربوهن﴾ يعني ضرباً غير مبرح، ﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ يقول: لا تطلبوا عليهن عللاً، ولا تكلفوهن الحب لكم، فإن الحب أمر القلب، وليس لها ذلك بيدها ﴿إن الله كان علياً كبيراً﴾ أي رفيعاً علا فوق كل كبير، فلا يطلب من عباده الحب، ولا يكلفهم ما لا يطيقونه، ويطلب منهم الطاعة، فأنتم أيضاً لا تكلفوهن. ويقال: إن الله مع علوه يتجاوز عن عباده، فأنتم أيضاً تجاوزوا ولا تطلبوا العلل. ثم قال تعالى للأولياء: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾ يقول: إن علمتم خلافاً بين الزوجين، ويقال: إن خفتم الفراق بينهما، ولا تدرون من أيهما يقع النشوز فقوله: ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾ يعني رجلاً عدلاً من أهل الزوج له عقل وتمييز، يذهب إلى الرجل ويخلو به، ويقول له: أخبرني [ما][٤] في نفسك، أتهواها أم لا؟ حتى أعلم بمرادك، فإن قال: لا حاجة لي بها، خذ مني لها ما استطعت، وفرق بيني وبينها، فيعرف أن من قبله جاء النشوز، وإن قال: فإني أهواها [فارضيها][٥] من مالي بما شئت ولا تفرق بيني وبينها، فيعرف أنه ليس بناشز. ويخلو ولي المرأة بها، ويقول: أتهوين زوجك أم لا؟ فإن قالت: فرق بيني وبينه، واعطه من مالي ما أراد، علم أن النشوز من قبلها. وإن قالت: لا تفرق بيننا ولكن حثه حتى يزيد في نفقتي ويحسن إلي، علم أن النشوز ليس من قبلها. فإذا ظهر لهما الذي كان النشوز من قبله يقبلان عليه بالعظة، والزجر والنهي، وذلك قوله تعالى: (فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) ﴿إن يريدا اصلاحاً﴾ يعني عدلاً، فينظران في أمرهما بالنصيحة والموعظة ﴿يوفق الله بينهما﴾ بالصلاح، ويقال: كل اثنين يقومان في الإصلاح بين اثنين بالنصيحة يقع الصلح بينهما لقوله تعالى: (إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما). ثم قال: ﴿إن الله كان عليماً خبيراً﴾ أي عليماً بهما خبيراً بنصيحتهما. وفي هذه الآية دليل على إثبات التحكيم، وليس كما يقول الخوارج، إنه ليس الحكم لأحد سوى الله تعالى، فهذه كلمة حق، ولكن يريدون بها الباطل. قوله تعالى:

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ

---

(١) في ظ مطيعات لله عز وجل. (٢) انظر التفسير ١ / ٢٣٥. (٣) انظر تفسير ابن عباس ٥٦.
(٤) سقط من أ. (٥) سقط من أ.

أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾

﴿واعبدوا الله﴾ قال بعضهم: هذا الخطاب للكفار. واعبدوا الله، يعني وحدوا الله **﴿ولا تشركوا به شيئاً﴾** أي لا تثبتوا على الشرك. ويقال: الخطاب للمؤمنين: اعبدوا الله، يعني اثبتوا على التوحيد، ولا تشركو به. ويقال: (اعبدوا الله) يعني أطيعوا الله فيما أمركم به، وأخلصوا له بالأعمال، ولا تشركوا به شيئاً، ويقال: هذا الخطاب للمؤمنين وللمنافقين وللكفار، فأمر المؤمنين بالطاعة والمنافقين بالإخلاص، والكفار بالتوحيد. وروى عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كل عبادة في القرآن إنما يعني بها التوحيد[١] ويقال هذه الآيات محكمات في جميع الكتب، وذكر فيها أحكاماً [كانت تعرف تلك][٢] من طريق العقل، وإن لم ينزل به [القرآن][٣]، وهو قوله تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً). **﴿وبالوالدين إحساناً﴾** يعني أحسنوا إلى الوالدين. **﴿وبذي القربى﴾** يعني صلوا القرابات قوله **﴿واليتامى﴾** يعني، أحسنوا إلى اليتامى. ويقال: هذا أمر للأوصياء بالقيام على أموالهم. ثم قال تعالى: **﴿والمساكين﴾** أي عليكم بإطعام المساكين، ثم قال: **﴿والجار ذي القربى﴾** أي عليكم بالإحسان إلى الجار الذي بينك وبينه قرابة، فله ثلاث حقوق، هكذا روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (الجيران ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق، وجار له حقان، وجار له حق واحد، فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق فالجار القريب المسلم فله حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام، والجار الذي له حقان، وهو الجار المسلم، فله حق الإسلام وحق الجوار. والجار الذي له حق واحد هو الجار الكافر له حق الجوار)[٤]. ثم قال تعالى: **﴿والجار الجنب﴾** يعني الجار الذي لا قرابة بينهما، وهو من قوم آخرين. **﴿والصاحب بالجنب﴾** [أي الرفيق في السفر. وروي عن معاذ بن جبل أنه قال «الصاحب بالجنب»][٥] يعني المرأة[٦]، ثم قال **﴿وابن السبيل﴾** يعني الضيف ينزل عليكم فأحسنوا إليه، وحقه ثلاثة أيام، وما زاد على ذلك فهو صدقة. ثم قال: **﴿وما ملكت أيمانكم﴾** من الخدم أحسنوا إليهم. وقد روي في الخبر:[٧] اطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإنهم لحم ودم، وخلق أمثالكم، رواه علي عن أبي طالب عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: الله الله

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ٥٦. (٢) في ظ [كان يعرف ذلك]. (٣) في ظ [الكتاب].

(٤) أخرجه البزار كما في كشف الأستار ٢/٣٨٠ (١٨٩٦) باب حق الجار وذكره الهيثمي في المجمع ٨/١٦٤ وقال رواه البزار عن شيخه عبد الله بن محمد الحارثي وهو وضّاع.

(٥) ما بين المعكوفين سقط من ظ، والمثبت من أ.

(٦) أخرجه الطبري في التفسير عن علي ٨/٣٤٢ (٩٤٧١) وأخرجه أيضاً عن ابن أبي ليلى (٩٤٧٤) وعن إبراهيم النخعي (٩٤٧٥)، ٩٤٧٦، ٩٤٧٧، ٩٤٧٨، ٩٤٧٩.

(٧) بنحوه متفق عليه من رواية أبي ذر البخاري ١٠/٤٦٥ في الأدب (٦٠٥٠) ومسلم ٣/١٢٨٢ في كتاب الأيمان (٣٨/١٦٦١) واللفظ الذي ذكر المصنف أخرجه الطبراني في الكبير من حديث كعب بن مالك كما في الجامع الصغير للسيوطي ٢/٩٨ (١٤٤٣) (الفيض) ورمز له بالضعف وعزاه المناوي في الفيض لابن السني وقال: قال الهيثمي فيه عبد الله بن زحر وعلي بن زيد وهما ضعيفان وقد وثقا. وقال الذهبي عبد الله ضعيف وله صحيفة واهية.

فيما ملكت أيمانكم وذكر الحديث. وروي عن أنس بن مالك عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه، وما زال يوصيني بالنساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن، وما زال يوصيني بالمماليك حتى ظننت أنه سيجعل لهم مدة إذا انتهوا إليها أعتقوا، وما زال يوصيني بالسواك حتى ظننت أن يحفي فمي، وما زال يوصيني بقيام الليل، حتى ظننت أن خيار أمتي لم يناموا ليلاً[١]. ثم قال تعالى: **﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾** يعني من كان مختالاً في مشيه، فخوراً على الناس، وهذا قول الكلبي[٢]. وقال القتبي: المختال: ذو الخيلاء والكبر، وهذا قريب من الأول، ويقال: فخوراً في نعم الله لا يشكرها، ويتكبر على الناس. ثم قال تعالى: **﴿الذين يبخلون﴾** قال مجاهد، ومقاتل:[٣] نزلت في اليهود يبخلون بكتمان صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتابهم **﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾** يعني أمروا قومهم أن يكتموا صفته ـ صلى الله عليه وسلم ـ **﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾** في التوراة. ويقال: أبخل الناس الذي يبخل بعلمه، ويقال: (الذين يبخلون) يعني في المال، لأن رؤساءهم كانوا لا يعطون أحداً من أموالهم شيئاً، لأن عادتهم كان الأخذ والمنع، وكانوا أيضاً يأمرون بالبخل، لأن من كان في معصية، فإنه يأمر غيره بذلك لكي لا يظهر عيبه، ويكتمون ما آتاهم الله من فضله، يعني لا يشكرون على ما أعطاهم الله من نعمته، ولا يخرجون الزكاة. ثم قال تعالى: **﴿وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾** أي عذاباً شديداً. قرأ حمزة والكسائي:[٤] (بالبخل) بنصب الباء والخاء، وقرأ الباقون (بالبخل) بضم الباء وجزم الخاء. وقال بعض أهل اللغة: ها هنا أربع لغات، وهي لغة الأنصار: بخل، وبخل، وبخل، وبخل، إلا أنه قرأ بحرفين ولا يقرأ بالحرفين الآخرين ثم قال تعالى: **﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾**، قال مقاتل[٥] يعني اليهود، وقال الضحاك: يعني المنافقين ينفقون أموالهم مراءاة للناس. **﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾** يعني ولا يصدقون في السر، ويقال: نزلت في مطعمي يوم بدر، وهم رؤساء مكة أنفقوا على الناس ليخرجوا إلى بدر[٦]. ثم قال تعالى: **﴿ومن يكن الشيطان له قريناً﴾** ففي الآية مضمر فكأنه قال: (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فقرينهم الشيطان، ومن يكن الشيطان له قريناً **﴿فساء قريناً﴾** أي قرينهم الشيطان في الدنيا يأمرهم بالبخل، ويقال: قرينه في النار في السلسلة ثم قال تعالى:

---

(١) الحديث بهذا اللفظ ذكره القرطبي في التفسير ٥/١٢٥ وقال ذكره أبو الليث السمرقندي في تفسيره. والجزء الأول ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه.

أخرجه البخاري ١٠/٤٤١ في الأدب (٦٠١٤، ٦٠١٥) ومسلم ٤/٢٠٢٥، في كتاب البر باب الوصية بالجار (١٤٠/٢٦٢٤، ١٤١/٢٦٢٥) وأبو داود (٥١٥١، ٥١٥٢)، والترمذي (١٩٤٢، ١٩٤٣) وابن ماجه (٣٦٧٣، ٣٦٧٤)، وأحمد في المسند ٢/٨٥. وقوله (عن النساء) أخرجه أحمد بن منيع كذا في المطالب العالية للحافظ بن حجر ٢/٥٢ (١٦٢٥).

وقوله (عن المماليك) أخرجه ابن حبان في المجروحين ١/٢٣٥ وقال باطل، وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/٧٥١ (١٢٥٥) وذكره السيوطي في الجامع الصغير ٥/٤٤٨ (٧٩١٤) (فيض) ـ وعزاه للبيهقي في الشعب قلت وهو في الشعب ٦/٣٦٩ الباب الثامن والخمسون من شعب الإيمان (٨٥٥٤) وقال وحديث المملوك صحيح على شرط مسلم والبخاري وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨/١١ والبخاري وقوله (في قيام الليل) أخرجه أبو حنيفة كذا في مسنده ١٦٧ وهو في كنز العمال (٢١٤٢٥)، وذكره السيوطي في جامعه الكبير (٢٢٥٣) حديث (٤١٥/١٨٧٨٧) وعزاه للديلمي من حديث أنس.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٥٧.

(٣) انظر تفسير مجاهد ١/١٥٨ ومقاتل ١/٢٣٦.

(٤) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٠٣ شرح شعلة ٣٣٩.

(٥) انظر التفسير ١/٢٣٧.

(٦) انظر تفسير القرطبي ٥/٣٢٣ ونقل عن العربي فقال قال ابن العربي: ونفقة الرئاء تدخل في الأحكام من حيث إنها لا تجزي.

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

﴿وماذا عليهم﴾ أي وما كان عليهم **﴿لو آمنوا بالله﴾** مكان الكفر **﴿واليوم الآخر، وأنفقوا مما رزقهم الله﴾** مكان البخل في غير رياء، ويقال: وماذا عليهم، أي لم يكن عليهم شيء من العذاب لو آمنوا بالله [واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله من الأموال وهي الصدقة][1] **﴿وكان الله بهم عليماً﴾** أنهم لم يؤمنوا. ويقال: إن الله عليم بثواب أعمالهم، ولا يظلمهم شيئاً من ثواب أعمالهم قوله تعالى: **﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾** يعني، لا ينقص من ثواب أعمالهم وزن الذرة قال الكلبي: وهي النملة الحميراء الصغيرة. ويقال: هو الذي يظهر في شعاع الشمس، ويقال: لا يظلم مثقال ذرة، يعني لا يزيد عقوبة الكافر مثقال ذرة ولا ينقص من ثواب المؤمنين مثقال ذرة. ثم قال تعالى: **﴿وإن تك حسنة يضاعفها﴾**، قرأ نافع وابن كثير:[2] (وإن تك حسنة) بضم الهاء، لأنه اسم تك، بمنزلة اسم كان، وقرأ الباقون (حسنة) بالنصب، وجعلوه خبر تك، والاسم فيه مضمر، ومعناه، وإن تكن الفعل حسنة، يضاعفها، يعني إذا زاد على حسناته مثقال ذرة من حسنة يضاعفها الله تعالى حتى يجعلها مثل أحد، ويوجب له الجنة، فذلك قوله تعالى: **﴿ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾** يعني الجنة. وروى عبد الله بن مسعود[3] ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: خمس آيات في سورة النساء أحب إلي من الدنيا وما فيها، قوله تعالى: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه. . الآية) وقوله (ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم. . . الآية) وقوله: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة. . . . الآية)، وقوله: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. . الآية)، وقوله (ومن يعمل سوءاً يجز به . . . الآية).

وقوله تعالى: **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾** أي فكيف يصنعون؟ وكيف يكون حالهم؟ إذا جئنا من كل أمة بشهيد، يعني بنبيها هو شاهد بتبليغ الرسالة من ربهم **﴿وجئنا بك﴾** يا محمد **﴿على هؤلاء شهيداً﴾** يعني على أمتك شهيداً بالتصديق لهم، لأن أمته يشهدون على الأمم المكذبة للرسالة، وذلك أنه إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للأمم الخالية: هل بلغتكم الرسل رسالاتي؟ فيقولون: لا، فقالت الرسل: قد بلغنا، ولنا شهود. فيقول ـ عز وجل ـ ومن شهودكم؟ فيقولون: أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيؤتى بأمة محمد ـ عليه السلام ـ فيشهدون بتبليغ الرسالة بما أوحي إليهم من ربهم في كتابهم في قصة الأمم الخالية، فتقول الأمم [الماضية][4] إن فيهم زواني، وشارب الخمر، فلا يقبل شهادتهم، فيزكيهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول المشركون: (والله ربنا ما كنا مشركين) فيختم على أفواههم، وتشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، فذلك قوله تعالى: (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض) أي تخسف بهم الأرض. ويقال: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد،

---

(١) سقط من أ.

(٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٠٣ وشرح شعلة ٣٤٠.

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير ٢٥٦ (٩٢٣٣) وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ٢/١٤٥ لأبي عبد القاسم بن سلام وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني.

(٤) في ظ [الخالية].

الرسل يشهدون على قومهم بتبليغ الرسالة، ويشهد النبي - صلى الله عليه وسلم - على أمته بتبليغ الرسالة من قبل، ومن لم يقبل. حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا أبو منيع، قال: حدثنا أبو كامل[١] قال: حدثنا فضيل[٢] عن يونس بن محمد بن فضالة[٣] عن أبيه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتاهم من بني ظفر، فجلس على الصخرة التي في بني ظفر ومعه ابن مسعود ومعاذ وناس من الصحابة، فأمر قارئاً فقرأ حتى إذا أتى على هذه الآية: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) بكى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى اخضلت وجنتاه، فقال: يا رب هذا علمي بمن أنا بين ظهرانيهم فكيف بمن لم أرهم؟[٤] ثم قال تعالى: ﴿يومئذ يود الذين كفروا﴾ يعني يتمنى الذين كفروا، يعني الكفار، ﴿وعصوا الرسول، لو تسوى بهم الأرض﴾ أي يكونوا تراباً يمشي عليهم أهل الجمع ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾. وهو قولهم: (والله ربنا ما كنا مشركين) قال الزجاج: قال بعضهم (ولا يكتمون الله حديثاً) مستأنف، لأن ما عملوا ظاهر عند الله تعالى، لا يقدرون على كتمانه. وقال بعضهم: هو كلام بناء، يعني يودون أن الأرض سويت بهم وأنهم لم يكتموا الله حديثاً، لأنه مظهر كذبهم. قرأ حمزة والكسائي: (تسوى) بنصب التاء وتخفيف السين، وتشديد الواو، يعني يخسف بهم، وقرأ عاصم وابن كثير وأبو عمرو:[٥] (تسوى) بضم التاء [فأدغم إحدى التائين في الأخرى][٦] على فعل لم يسم فاعله، أي يصيروا تراباً، وتسوى بهم الأرض وقرأ نافع وابن عامر: (تسوى) بنصب التاء وتشديد السين والواو لأن أصله تتسوى، فادغم إحدى التائين في السين. ثم قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ قال مقاتل: وذلك أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً، فدعا أبا بكر، وعمر وعثمان، وعلياً، وسعداً - رضي الله عنهم - فأكلوا، وسقاهم خمراً، فحضرت صلاة المغرب فأمهم علي، فقرأ (قل يا أيها الكافرون) على غير الوجه، فنزل (يا أيها الذين آمنوا، لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ وكان ذلك قبل تحريم الخمر. وقال: (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى)، يعني موضع الصلاة وهو المسجد، حتى تعلموا ما تقولون، ويقال: حتى تصيروا بحال تعلموا ما تقولون، فحينئذ تقربوا المسجد، لأنهم إذا لم يعلموا ما يقولون فلا يعرفون الحرمة. ثم قال تعالى: ﴿ولا جنباً إلا عابري سبيل﴾ يقول:

---

(١) فضيل بن حسن بن طلحة البصري أبو كامل الجحدري. التهذيب ٨/ ٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) فضيل بن سليمان النميري أبو سليمان البصري. التهذيب ٨/ ٢٩١.

(٣) يونس بن محمد بن فضالة بن أشتي الظفري أبو محمد روى عن أبيه. الجرح والتعديل ٩/ ٢٤٦.

(٤) ذكره القرطبي نقلاً عن أبي الليث ٥/ ١٢٨ - ١٢٩ وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٢/ ٢٦٩ والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ١٩/ ٢٢١ وذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٧ باب سورة النساء وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١٦٣.

(٥) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ٢٠٣ شرح شعلة ٣٤٠.

(٦) ما بين المعكوفين سقط من ظ.

ولا تقربوا الصلاة جنباً إلا عابري سبيل، يعني إلا أن يكون مسافراً، فلا يجد الماء، فيتيمم ويصلي إذا كان جنباً، وقال الزجاج: وحقيقته ألا تصلوا إذا كنتم جنباً ﴿حتى تغتسلوا﴾ إلا أن لا تقدروا على الماء. وقال القتبي: لا تقربوا الصلاة، يعني لا تقربوا المساجد، وأنتم جنب إلا مجتازين وقال بعضهم: لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى من النوم. وروى [السدي][1] عمن حدثه عن ابن عباس في قوله: (ولا جنباً إلا عابري سبيل) قال: في السفر يتيمم ويصلي[2]. ويقال: إلا أن تكون في المسجد عين فيدخل ليغترف الماء. ثم قال تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى﴾، نزلت في عبد الرحمن بن عوف أصابته جنابة، وهو جريح، فرخص له بأن يتيمم، ثم صارت الآية عامة في جميع الناس. وروي عن عبد الله بن عباس، وجابر بن سمرة[3] وغيرهما من الصحابة، أن رجلاً كان به جدري[4] على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأصابته جنابة فغسلوه فمات من ذلك، فأخبر بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: قتلوه قتلهم الله فهلا يمموه.[5] وروي عن ابن عباس أنه قال: وإن كنتم مرضى، قال: فإنما هو المجذوم والمجدور والمقروح[6]. ثم قال تعالى: ﴿أو على سفر﴾ أي إذا كنتم مسافرين ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ والغائط في اللغة: إسم المكان المطمئن من الأرض، وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة. ثم قال تعالى: ﴿أو لامستم النساء﴾، قرأ حمزة والكسائي:[7] (أو لمستم)، وقرأ الباقون: (لامستم)[8] من الملامسة، قال ابن عباس:[9] يعني الجماع، وقال بعضهم: هو المس باليد. ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾ يعني إذا أصابكم الحدث أو الجنابة، ولم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً[10] طيباً أي تراباً نظيفاً. ويقال الصعيد: هو ما علا وجه الأرض. ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾. قال بعضهم: الوجه والكفين، وهو قول الأعمش والأوزاعي[11]. وقال بعضهم: إلى المنكبين، وهو قول الزهري[12]. وقال عامة أهل العلم: الوجه واليدين إلى المرفقين وبذلك جاءت الآثار عن

---

(١) بياض في أ.
(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٨/٣٧٩ (٩٥٣٥).
(٣) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب العامري السوائي يكنى أبا عبد الله توفي سنة ٧٤ هـ. الإصابة ١/٢٢١.
(٤) وفي الحديث (شجة في رأسه).
(٥) أخرجه أبو داود ١/٢٣٩ ـ ٢٤٠ في الطهارة باب في المجروح يتيمم ٣٣٦ والدارقطني في السنن ١/١٨٩ ـ ١٩٠ في الطهارة (٣) وبلفظ الجحدري أخرجه ابن أبي شيبة ١/٩٦ باب في الجنب به الجُدَري والحصبة ١٠٧٧.
(٦) ذكره السيوطي ٢/١٦٦ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.
(٧) بغير ألف جعلا الفعل للرجال دون النساء. انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٠٥.
(٨) بالألف انظر المصدر السابق.
(٩) انظر التفسير ٥٧.
(١٠) وهو في اللغة: القصد على الإطلاق.

وفي الشرع: القصد إلى الصعيد لإزالة الحدث، وفي الدرر ١/٢٨ وشرعاً: استعمال الصعيد بقصد التطهير.

وفي الصحاح ٥/٢٠٦٤ يممته قصدته، وتيممه تقصدته، وتيممت الصعيد للصلاة، وأصله التعمد والتوخي، من قولك: تيممتك وتأممتك.

قال ابن السكّيت: قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طيباً﴾ أي اقصدوا الصعيد ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب.

عن الفراء: الصعيد: التراب، وقال ثعلب: وجه الأرض لقوله تعالى: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيداً زلقاً﴾ والجمع صُعُد وصُعُدات مثل طُرُق وطُرُقات والصُّعُود خلاف الهبوط، والصُّعود بالضم: المصدر يقال صعد في السلم صعوداً كذا في الصحاح ٢/٤٩٧. انظر أنيس الفقهاء ٥٧/٥٨.

(١١) انظر تفسير البغوي ١/٤٣٦.
(١٢) انظر تفسير البغوي ١/٤٣٦.

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن عامة الصحابة اعتباراً بالوضوء[١] ثم قال تعالى: **﴿إن الله كان عفواً غفوراً﴾** أي ذو الفضل والعفو حين أجاز لكم التراب مكان الماء، غفوراً لتقصيركم. قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ يعني أعطوا حظاً من علم التوراة **﴿يشترون الضلالة﴾** يعني يختارون الكفر على الإسلام. قال القتبي: وهذا من الاختصار، ومعناه: يشترون الضلالة بالهدى، أي يستبدلون هذا بهذا كقوله: (إن العهد كان مسئولا) أي مسئولا عنه، ثم قال تعالى: **﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾** أي تتركوا طريق الهدى، وهو طريق الإسلام **﴿والله أعلم بأعدائكم﴾** أي يعلم بعداوتهم إياكم، يعني، هو يعلم بالحقيقة وأنتم تعلمون الظاهر. ويقال هذا وعيد لهم فكأنه يقول: هو أعلم بعذابهم كما قال في آية أخرى: (والله أعلم بالظالمين) يعني عليم بعقوبتهم ومجازاتهم ثم قال تعالى: **﴿وكفى بالله ولياً﴾** أي ناصراً لكم ومعيناً لكم **﴿وكفى بالله نصيراً﴾** يعني مانعاً لكم. قوله تعالى: **﴿من الذين هادوا﴾** أي مالوا عن الهدى. قال الزجاج: (من الذين هادوا): فيه قولان: فجائز أن يكون من صلة، والمعنى: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من الذين هادوا ويجوز أن يكون معناه من الذين هادوا قوم **﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾** أي، يحرفون نعته عن مواضعه، وهو نعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ **﴿ويقولون سمعنا﴾** قولك **﴿وعصينا﴾** أمرك **﴿واسمع غير مسمع﴾** منك **﴿وراعنا ليّا بألسنتهم﴾** أي يلوون لسانهم بالسب، **﴿وطعناً في الدين﴾** أي في دين الإسلام. قال القتبي: كانوا يقولون للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا حدثهم وأمرهم سمعنا، ويقولون في أنفسهم: وعصينا، وإذا أرادوا أن يكلموه بشيء قالوا: إسمع يا أبا القاسم، ويقولون في أنفسهم: لا سمعت ويقولون: راعنا، يوهمونه في ظاهر اللفظ أنهم يريدون انظرنا حتى نكلمك بما تريد، ويريدون به السب بالرعونة، ليّاً بألسنتهم أي قلباً للكلام بها. **﴿ولو أنهم قالوا: سمعنا وأطعنا﴾** مكان سمعنا وعصينا **﴿واسمع﴾** مكان اسمع لا سمعت. **﴿وانظرنا﴾** مكان قولهم: راعنا **﴿لكان خيراً لهم وأقوم﴾** أي وأصوب من التحريف والطعن. ثم قال تعالى: **﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم﴾** أي خذلهم الله وطردهم مجازاة لهم بكفرهم، **﴿فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾** يعني لا يؤمنون إلا بالقليل لأنهم لا يؤمنون بالقرآن ولا يؤمنون بجميع ما عندهم، ولا بسائر الكتب وإنما يصدقون ببعض ما عندهم. ويقال: لا يؤمنون، إلا القليل منهم،

---

(١) انظر تفسير البغوي ١/٤٣٦ والقرطبي ٥/١٥٥، ١٥٦ وانظر تفسير الطبري ٨/٤١٤.

وهم مؤمنو أهل الكتاب ويقال: إنهم لا يؤمنون، وهم بمنزلة رجل يقول: فلان قليل الخير، يعني لا خير فيه. ثم **خوفهم فقال: ﴿يا أيها الذين آتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا﴾** أي صدقوا بالقرآن **﴿مصدقاً لما معكم﴾** أي موافقاً **للتوراة في** التوحيد وبعض الشرائع، **﴿من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها﴾** وطمسها أن يردها على **بصائر الهدى،** ويقال. طمسها أن يحول الوجوه إلى الأقفية، ويقال: يخسف الأنف والعين فيجعلها طمساً، ويقال: **من قبل** أن يطمس أي تسود الوجوه، قال بعضهم: يعني به في الآخرة، ويقال: هذا تهديد لهم في الدنيا. وذكر أن **عبد الله** بن سلام قدم من الشام، فلم يأت أهله حتى أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: ما كنت أرى أن **أصل إليك** حتى يتحول وجهي **في** قفاي[1]، ويقال: من قبل أن نطمس وجوهاً، يعني وجه القلب وهو كناية عن **القسوة،** وقال مقاتل: يعني من قبل أن تحول القبلة، كقوله: (ولكل وجهة هو موليها). ثم قال تعالى: **﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾** أي نمسخهم كما مسخنا أصحاب السبت القردة، ثم قال: **﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾** أي **كائناً،** وهذا وعيد من الله تعالى لهم ليعتبروا ويرجعوا. قوله تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك﴾** أي دون الشرك **﴿لمن يشاء﴾** يعني لمن مات موحداً. نزلت الآية في شأن وحشي قاتل حمزة، وذلك أن **الناس** لما التقوا يوم أحد، وقد جعل لوحشي جزاء إن قتل حمزة فقتله لم يوف له، فلما قدم مكة ندم على صنعه **الذي** صنع هو وأصحابه معه، فكتبوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتاباً: إنا قد ندمنا على ما صنعنا، وإنه **ليس** يمنعنا من الدخول معك، إلا أنا سمعناك تقول: إذ كنت عندنا بمكة: (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر. . .) **إلى قوله:** (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وقد دعونا مع الله إلهاً آخر، وقتلنا النفس، وزنينا، فلولا هذه الآيات **لاتبعناك،** فنزل: (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه الآيات إلى **وحشي** وأصحابه فلما قرأوا كتبوا إليه إن هذا شرط شديد، فنخاف ألا نعمل عملاً صالحاً، فلا نكون من أهل هذه **الآية،** فنزل (إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فبعث إليهم فقرأوها. فبعثوا إليه: فقالوا: **إن في** هذه الآية شرطاً أيضاً نخاف ألا نكون من أهل مشيئته فنزل قوله: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا **تقنطوا من** رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً) فبعثها إليهم، فلما قرأوها، وجدوها أوسع مما كان قبلها، **فدخل** هو وأصحابه في الإسلام. وروي عن ابن عمر[2] أنه قال: كنا إذا مات الرجل منا على كبيرة، شهدنا أنه من **أهل النار،** حتى نزلت هذه الآية: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فأمسكنا عن الشهادة.

وهذه الآية رد على من يقول: إن من مات على كبيرة يخلد في النار لأن الله تعالى قد ذكر في آية أخرى: (إن **الحسنات** يذهبن السيئات) يعني ما دون الكبائر [فلم يبق لهذه المشيئة موضع سوى الكبائر][3] ثم قال تعالى: **﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾** يعني اختلق على الله كذباً عظيماً، ويقال: فقد أذنب ذنباً عظيماً. **قوله تعالى:**

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ

(١) انظر تفسير القرطبي ٥/١٥٨.

(٢) ذكره السيوطي في الدر ٢/١٦٩ وقال أخرجه ابن أبي حاتم.

(٣) ما بين المعكوفين سقط من ظ.

ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

﴿**الم تر إلى الذين يزكون أنفسهم**﴾ يقول: يبرءون أنفسهم من الذنوب، ﴿**بل الله يزكي من يشاء**﴾ وذلك، لأن رؤساء اليهود كانوا يقولون: هل على أولادنا من ذنب، فما نحن إلا كهيئتهم فهذا الذي زكوا به أنفسهم، قال الله تعالى: (بل الله يزكي من يشاء) أي يصلح ويبريء من يشاء من الذنوب. ويقال: يكرم من يشاء بالإسلام ﴿**ولا يظلمون فتيلا**﴾. قال الكلبي ومقاتل: الفتيل الذي يكون في شق النواة[1]، وهو الأبيض ويقال: هو ما فتلته بين أصبعيك من الوسخ، فإذا مسحت إحداهما بالأخرى، يعني لا ينقصون من ثواب أعمالهم بذلك المقدار، ثم قال تعالى: ﴿**أنظر كيف يفترون على الله الكذب**﴾ أي يختلقون على الله الكذب ﴿**وكفى به إثماً مبيناً**﴾ أي ذنباً مبيناً. روى مقاتل عن الضحاك قال: الفتيل، والنقير، والقطمير، كلها في النواة. ثم قال تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب**﴾ يعني أعطوا حظاً من علم التوراة، ﴿**يؤمنون بالجبت والطاغوت**﴾ الجبت: حيي بن أخطب، والطاغوت: كعب بن الأشرف. وقال القتبي: كل معبود من حجر، أو صورة، أو شيطان، فهو جبت وطاغوت، قال: ويقال: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان، ويقال: في هذه السورة رجلان من اليهود، وإيمانهم بهما تصديقاً لهما، وطاعتهم إياهما. ثم قال تعالى: ﴿**ويقولون للذين كفروا**﴾ يعني لمشركي مكة ﴿**هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً**﴾ وذلك أن رؤساء اليهود قدموا مكة بعد قتال أحد، ونقضوا العهد، وبايعوا المشركين، وقالوا: أنتم أهدى سبيلاً من المسلمين. حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا الديبلي، قال: حدثنا أبو عبيد الله قال: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، قال: جاء كعب بن الأشرف، وفي رواية أخرى عن عكرمة عن ابن عباس، قال: جاء كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب إلى مكة، فأتيا قريشاً، فقالت لهما قريش: أنتم أهل الكتاب، وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد، ديننا القديم، ودين محمد الحديث، ونحن نصل الرحم ونسقي الحجيج، ونفك العناة، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ صنبور، قطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيج، بنو غفار، فنحن أهدى أم هو؟ قالا: بل أنتم أهدى سبيلاً منهم، فأنزل الله تعالى: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب. . . . الآية)[2] إلى قوله: (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً). يعني أهدى ديناً من المهاجرين والأنصار. قوله تعالى: ﴿**أولئك الذين لعنهم الله**﴾ أي خذلهم وطردهم الله من رحمته، ويقال: عذبهم الله بالجزية. ﴿**ومن يلعن الله، فلن تجد له نصيراً**﴾ أي مانعاً. قوله تعالى: ﴿**أم لهم نصيب من الملك**﴾ يقول: لو كان لهم، يعني لليهود حظ من الملك ﴿**فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً**﴾ أي لا يعطون أحداً من بخلهم وحسدهم نقيراً، والنقير: النقطة التي على ظهر النواة ﴿**أم يحسدون الناس**﴾ أي أيحسدون الناس. ويقال: بل يحسدون الناس، يعني به محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿**على ما آتاهم الله من فضله**﴾ من النبوة، وكثرة تزوجه النساء، ويقولون لو كان نبياً لشغلته النبوة عن كثرة النساء فيحسدونه بذلك. قال الله تعالى: ﴿**فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة**﴾

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٥/١٦٠.
(٢) انظر أسباب النزول للواحدي ١١٤.

يعني النبوة والعلم والفهم، ﴿وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ فكان يوسف عليه السلام ـ ملكاً على مصر، وكان سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ ملكاً، وكانت له ثلاثمائة امرأة حرة سوى السرية، قال مقاتل هكذا، وقال الكلبي: كانت له سبع مائة امرأة، وثلاثمائة سرية، وكان لداود ـ عليه السلام ـ مائة امرأة[1]، فلم يكن يمنعهم النبوة عن ذلك، ويقال: إن الفائدة في كثرة تزوجه أنه كانت له قوة أربعين نبياً، وكل من كان أقوى فهو أكثر نكاحاً. ويقال: إنه أراد بالنكاح كثرة العشيرة، لأن لكل امرأة قبيلتين قبيلة من قبل الأب، وقبيلة من قبل الأم، فكلما تزوج امرأة صرف وجوه القبيلتين إلى نفسه، فيكونون عوناً له على أعدائه. ويقال: إن كل من كان أتقى كانت شهوته أشد، لأن الذي لا يكون تقياً، إنما ينفرج بالنظر واللمس، ألا ترى إلى ما روي في الخبر: العينان تزنيان، واليدان تزنيان، فإذا كان في النظر، وفي المس نوع من قضاء الشهوة، فلا ينظر التقي، ولا يمس، فيكون الشهوة مجتمعة في نفسه، فيكون أكثر جماعاً. وقال أبو بكر الوراق: كل شهوة تقسي القلب إلا الجماع فإنه يصفي القلب، ولهذا كان الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يفعلون ذلك[2]. قوله تعالى: ﴿فمنهم من آمن به﴾ يعني من اليهود من آمن به، بالكتاب الذي أنزل على إبراهيم، وآمن بالكتاب الذي [أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ][3] ﴿ومنهم من صد عنه﴾ يعني أعرض عنه مكذباً، وهذا قول الكلبي[4]. وقال مقاتل:[5] (فمنهم من آمن به) يعني من آل إبراهيم (من آمن به) يعني بالكتاب الذي جاء به (ومنهم من صد عنه) لم يؤمن به. وقال الضحاك: أم يحسدون الناس، يعني اليهود كانوا يحسدون قريشاً لأن النبوة فيهم[6]، (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب) يعني إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، الكتاب يعني التنزيل، والحكمة: يعني السنة، وآتيناهم ملكاً عظيماً: يعني قريشاً وبني هاشم ملكاً عظيماً، يعني الخلافة لا تصلح إلا لقريش، (فمنهم من آمن به) يعني بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ومنهم من صد عنه) أي كفر به. ثم قال تعالى: ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾ أي وقوداً لمن كفر به. ثم بين مصير من كذب به، وموضع من آمن به فقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿إن الذين كفروا بآياتنا﴾ يعني بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالقرآن ﴿سوف نصليهم ناراً﴾ أي ندخلهم ناراً في الآخرة. ويقال: صلى: إذا دخل النار لأجل شيء، وأصلاه: إذا أدخله للإحتراق والاصطلاء بالنار: الاستدفاء. ثم قال تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ يقول كلما احترقت جلودهم ﴿بدلناهم﴾ يعني جددنا لهم ﴿جلوداً غيرها﴾ لأنهم إذا احترقوا خبت عنهم النار ساعة فبدلوا خلقاً جديداً، ثم عادت تحرقهم، فهذا دأبهم فيها، وقال مقاتل: تجدد في كل يوم سبع مرات، وقال الحسن: بلغني أنه ينضج كل يوم سبعين ألف مرة، وقال الضحاك: سبعين جلداً في كل يوم. وقد طعنت الزنادقة في هذا وقالوا: إن الجلد الذي تبدل لم يذنب فكيف يستحق العقوبة والعذاب. قيل لهم: إن ذلك الجلد هو الجلد الأول، ولكنه إذا أحرق أعيد إلى الحال الأول،

(١) انظر تفسير ابن عباس ٥٨. (٢) انظر تفسير القرطبي ٥/١٦٤. (٣) في ظ [الذي جاء به].
(٤) انظر تفسيره ابن عباس ٥٨. (٥) انظر التفسير ١/٢٤٤. (٦) انظر تفسير القرطبي ٥/١٦٢.

كالنفس إذا صارت تراباً، وصارت لا شيء، ثم أحياها الله تعالى، فكذلك ها هنا. وقوله تعالى: (جلوداً غيرها) على وجه المجاز، كما قال في آية أخرى: (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ يعني يزاد في سعتها، وتسوى جبالها وأوديتها. وقوله: ثم قال تعالى ﴿ليذوقوا العذاب﴾ أي لكي يجدوا مس العذاب ﴿إن الله كان عزيزاً﴾ في نقمته ﴿حكيماً﴾ في أمره، حكم لهم بالنار. ثم بين مصير الذين صدقوا به فقال عز وجل: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني آمنوا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالقرآن (وعملوا الصالحات) يعني الطاعات التي أمرهم الله تعالى بها ﴿سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ أي مقيمين فيها ﴿أبداً لهم فيها أزواج مطهرة﴾ في الخلق والخلق ﴿وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾. قال الضحاك: يعني، ظلال أشجار الجنة، وظلال قصورها[1] وقال الكلبي:[2] يعني ظلاً ظليلاً أي دائماً. وقال مقاتل: يعني أكنان القصور، (ظليلاً) يعني لا خلل فيها. قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ وذلك أن مفتاح الكعبة كان في يد بني شيبة، وكانت السقاية في يد بني هاشم، فلما فتح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة، دعا عثمان بن طلحة، وقال له: هات المفتاح فخشي عثمان أن يعطيه إلى عمه العباس، فجاء بالمفتاح وقال لرسول الله [صلى الله عليه وسلم ـ حين دفع إليه][3]، خذه بأمانة الله، فدخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ البيت، فإذا فيه تمثال إبراهيم ـ عليه السلام ـ مصور على الحائط وبيده قداح، وعنده إسماعيل والكبش مصوران فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاتل الله الكفار ما لإبراهيم والقداح، فأمر بالصور فمحيت، فقضى حاجته من البيت ثم خرج، فطلب منه العباس بأن يدفع إليه المفتاح فنزلت هذه الآية: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) ثم صارت الآية عامة لجميع الناس، برد الأمانات إلى أهلها، ويقال: نزلت في شأن اليهود حيث كتموا نعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت أمانة عندهم فمنعوها. ويقال: هذا أمر لجميع المسلمين: بأداء الفرائض، وجميع الطاعات لأنها أمانة عندهم، كقوله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة. . . . إلى قوله: وحملها الإنسان) ثم قال تعالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ يقول بالحق. وقال الضحاك: (وإذا حكمتم بين الناس) أي بين القوم (أن تحكموا بالعدل) أي بالبينة على المدعي واليمين على المدعى عليه[4]. ﴿إن الله نِعِمّا يعظكم به﴾ يعني يأمركم بالعدل والنصيحة والاستقامة، وأداء الأمانة ﴿إن الله كان سميعاً﴾ بمقالة العباس، ﴿بصيراً﴾ برد المفتاح إلى أهله. قرأ ابن عامر والكسائي وحمزة:

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٥/١٦٥. (٢) انظر المصدر السابق. (٣) ما بين المعكوفين سقط من أ.

(٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري ومسلم من رواية ابن عباس. البخاري ٨/٢١٣ في التفسير (٤٥٥٢) ومسلم ٣/١٣٣٦ في الأقضية (١٧١١/١) ومن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند الترمذي ٣/٦٢٦ في الأحكام (١٣٤١)، والدارقطني ٤/٢١٨ في الأقضية والبيهقي ١٠/٢٥٦ في الدعوى.

﴿نعما﴾ بنصب النون، وكسر العين، والاختلاف فيه كالاختلاف الذي في سورة البقرة، وذلك قوله تعالى: (إن تبدوا الصدقات فنعما هي) وقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله﴾** أي في الفرائض **﴿وأطيعوا الرسول﴾** أي في السنن، ويقال: أطيعوا الله فيما فرض، وأطيعوا الرسول فيما بين، ويقال: (أطيعوا الله) يقول: لا إله إلا الله، وأطيعوا الرسول، يقول: محمد رسول الله. **﴿وأولي الأمر منكم﴾** يعني أطيعوا أولي الأمر منكم. قال الكلبي ومقاتل:[١] يعني أمراء السرايا. وقال الضحاك: يعني الفقهاء والعلماء في الدين[٢]. ويقال: الخلفاء والأمراء، ويجب طاعتهم ما لم يأمروا بالمعصية قوله: **﴿فإن تنازعتم في شيء﴾** من الحلال والحرام والشرائع، **﴿فردوه إلى الله والرسول﴾** يعني إلى أمر الله فيما يأمر بالوحي، وإلى أمر الرسول فيما يخبر عن الوحي، ثم بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - لما انقطع الوحي يرد إلى كتاب الله تعالى، وإلى سنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - ويقال [معناه][٣] إذا أشكل عليكم شيء فقولوا الله ورسوله أعلم وهذا كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. وقال الخليل بن أحمد البصري: الناس أربعة: رجل لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، فهذا أحمق فاجتنبوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري، فهذا جاهل فعلموه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فهذا نائم فأيقظوه، ورجل يدري، وهو يدري أنه يدري، فهذا عالم فاتبعوه. ثم قال تعالى: **﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** يعني إن كنتم تصدقون بالله واليوم الآخر، ثم قال: **﴿ذلك خير﴾** أي الرد إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله، خير من الإختلاف[٤] **﴿وأحسن تأويلاً﴾** أي وأحسن عاقبة. وروي عن علي بن أبي طالب -

---

(١) انظر التفسير ١/٢٤٦. (٢) انظر تفسير القرطبي ٥/١٦٨. (٣) سقط من أ.

(٤) ومعنى الرد إلى الرسول: إنهاء الأمور إليه في حياته وحضرته كما دل عليه قوله في نظيره (وإلى الرَّسُول) فأما بعد وفاته أو في غيبته فالرد إليه: الرجوع إلى أقواله وأفعاله والاحتذاء بسنته. روى أبو داود عن أبي رافع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: لا أُلْفِيَن أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر مما أَمَرْتُ به أو نَهَيْتُ عنه فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه). وفي روايته عن العرباض بن سارية أنه سمع رسول الله يخطب يقول (أيحسب أحدكم وهو متكيء على أريكته وقد يظن أن الله لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن ألا وإني والله قد أَمَرْتُ وَوَعَظْتُ وَنَهَيْتُ عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر) وأخرجه الترمذي من حديث المقدام وعرض الحوادث على مقياس تصرفاته والصريح من سنته.

والتنازع: شدة الإختلاف وهو تفاعل من النزع أي الأخذ قال الأعشى:

نَـازَعـتُـهـم قُـضُـبَ الـرّيـحـانِ مـتـكـئـاً وقـهـوة مـزة راووقـهـا خـضـل

انظر التحرير ٥/٩٨ - ٩٩.

ومن ذلك اختلاف أهل العلم في الأحكام الشرعية التي طريقها الإجتهاد والنظر في أدلة الشريعة.

فكل هذا الإختلاف والتنازع مأمور أصحابه برد أمره إلى الله والرسول ورد كل نوع من ذلك يتعين أن يكون بحيث يرجى معه زوال الاختلاف وذلك ببذل الجهد والوسع في الوصول إلى الحق الجلي في تلك الأحوال. فما روي عن مجاهد وميمون بن مهران في تغيير التنازع بتنازع أهل العلم إنما هو تنبيه على الفرد الأخفى من أفراد العموم وليس تخصيصاً للعموم. وذكر الرد إلى الله في هذا مقصود منه مراقبة الله تعالى في طلب انجلاء الحق في مواضع النزاع تعظيماً لله تعالى فإن الرد إلى الرسول يحصل به الرد إلى الله إذ الرسول هو المنبيء عن مراد الله تعالى فذكر اسم الله هنا هو بمنزلة ذكره في قوله (فإن لله خمسه وللرسول) الآية. ثم الرد إلى الرسول في حياة الرسول وحضوره ظاهر وهو المتبادر من الآية، وأما الرد إليه في غيبته أو بعد وفاته فبالتحاكم إلى الحكام الذين أقامهم الرسول أو أمرهم بالتعيين وإلى الحكام الذين نصبهم ولاة الأمور للحكم بين الناس بالشريعة ممن يظن به العلم بوجوه الشريعة وتصاريفها فإن تعيين صفات الحكام وشروطهم وطرق توليتهم فبما ورد عن الرسول من أدلة صفات الحكام يقوم مقام تعيين أشخاصهم وبالتأمل في تصرفاته وسنته ثم الصدر على ما يتبين للمتأمل من حال يظنها هي مراد الرسول لو سئل عنها في جميع أحوال النزاع في فهم الشريعة واستنباط أحكامها المسكوت عنها من الرسول، أو المجهول قوله فيها. انظر التحرير ١٠٠ - ١٠١.

رضي الله عنه ـ أنه قال: حق على الإمام أن يحكم بالعدل، ويؤدي الأمانة [إلى أهلها][(١)] فإذا فعل ذلك وجب على المسلمين أن يطيعوه فإن الله تعالى أمرنا بأداء الأمانة والعدل، ثم أمرنا بطاعتهم[(٢)]. وقال مجاهد:[(٣)] (وأولى الأمر منكم) العلماء والفقهاء، وهكذا روي عن جابر[(٤)]. وقوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك﴾ وذلك منافقاً يقال له: [بشر][(٥)] كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي: إنطلق بنا إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت تلك الخصومة في حكم الإسلام على المنافق، وفي حكم اليهود على اليهودي فقال اليهودي: نأتي محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحكم بيننا وقال المنافق: بل نأتي كعب بن الأشرف حتى يحكم بيننا، فكانا في ذلك إذ سمع عمر بن الخطاب قولهما، فقال: ما شأنكما؟ فأخبراه بالقصة، فقال عمر: أنا أحكم بينكما، فأجلسهما ثم دخل البيت، وخرج بالسيف، وقتل المنافق: فنزلت هذه الآية: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك) يعني بالقرآن، **﴿وما أنزل من قبلك﴾** يعني سائر الكتب [المنزلة][(٦)] **﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾** وهو كعب بن الأشرف **﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾** يعني أمروا بتكذيبه. وقال الضحاك: نزلت الآية في شأن المنافقين[(٧)]، لأنهم آمنوا بلسانهم، ولم يؤمنوا بقلوبهم، وركنوا إلى قول اليهود، ومالوا إلى خلاف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذلك قوله: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا) يعني إلى كهنة اليهود، وسحرتهم، ثم قال: **﴿ويريد الشيطان أن يضلهم﴾** عن الهدى وعن الحق **﴿ضلالاً بعيداً﴾** ثم قال: **﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾** يعني إلى ما أمر الله في كتابه، وإلى ما أمر الرسول، وإلى ما أنزل إلى الرسول. **﴿رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾** أي يعرضون عنك إعراضاً، ويقال: صد، يصد، يكون لازماً، ويكون متعدياً، وإنما يتبين ذلك بالمصدر، ويقال: صد، يصد صداً، إذا صرف غيره، كقوله تعالى: (فصدهم عن السبيل) وصد، يصد، صدوداً إذا أعرض بنفسه كقوله تعالى: (فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه) وكقوله: (رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً). قوله تعالى: **﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة﴾** يقول: فكيف يصنعون إذا أصابتهم عقوبة **﴿بما قدمت أيديهم﴾** أي بما عملت أيديهم **﴿ثم جاءوك يحلفون بالله﴾** قال في رواية الكلبي: نزلت في شأن ثعلبة بن

---

(١) سقط في ظ.
(٢) انظر تفسير القرطبي ١٦٨/٥.
(٣) انظر المصدر السابق.
(٤) أخرجه الطبري في التفسير ٥٠١/٨.
(٥) في أ يسر وهو تحريف ظاهر.
(٦) سقط من ظ.
(٧) انظر أسباب النزول للواحدي ١٢٠.

حاطب[1]، كانت بينه وبين الزبير بن العوام[2] خصومة، فقضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للزبير، فخرجا من عنده، فمرا على المقدام بن الأسود[3]، فقال للمقدام: لمن كان القضاء يا ثعلبة؟ فقال ثعلبة: قضى لابن عمته الزبير، ولوى شدقه، على وجه الاستهزاء، فنزلت هذه الآية:[4] (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) أي بليه شدقه، فلما نزلت هذه الآية: أقبل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعتذر إليه ويحلف وذلك قوله ﴿ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً﴾ أي ما أردنا إلا الإحسان في المقالة ﴿وتوفيقاً﴾ يقول: صواباً. وقال الضحاك ومقاتل:[5] نزلت في شأن الذين بنوا مسجد ضرار، فلما أظهر الله نفاقهم، وأمر بهدم المسجد، حلفوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دفعاً عن أنفسهم، ما أردنا ببناء المسجد إلا طاعة الله، وموافقة الكتاب. قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ من الضمير، وقال الزجاج: معناه قد علم الله أنهم منافقون، والفائدة لنا، أن اعلموا: أنهم منافقون، قال: ومعنى قوله: (وتوفيقاً) أي طلباً لما وافق الحق. ثم قال تعالى: ﴿فأعرض عنهم﴾ ولا تعاقبهم ﴿وعظهم﴾ بلسانك ﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ يقول: خوفهم، وهددهم، إن فعلتم الثاني عاقبتكم قال مقاتل: تقدم إليه تقدماً وثيقاً، ثم نسخ بقوله: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وقوله تعالى:

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾

﴿وما أرسلنا من رسول﴾ ومن، صله، فكأنه يقول: وما أرسلنا رسولاً ﴿إلا ليطاع بإذن الله﴾ أي لكي يطاع بأمر الله. ثم قال تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بصنعهم ﴿جاؤوك﴾ بالتوبة ﴿فاستغفروا الله﴾ لذنوبهم ﴿واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ أي متجاوزاً. قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ كقول القائل: لا والله لا يؤمنون ﴿حتى يحكموك﴾ حتى يقروا ويرضوا بحكمك يا محمد ﴿فيما شجر بينهم﴾ أي فيما اختلفوا

---

(١) ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف الأوسي الأنصاري. الإصابة ٢٠٦/١.

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب الأسدي أحد العشرة السابقين، وأحد البدريين، وأول من سل سيفاً في سبيل الله، هاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها توفي سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل. الخلاصة ٣٣٤/١.

(٣) المقدام بن الأسود الكندي هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر النهراني وقيل الحضرمي. الإصابة ١٣٣/٦.

(٤) أخرجه البخاري ٣٤/٥ في كتاب المساقاة ٢٣٥٩ وفي التفسير ٢٥٤/٨ (٤٥٨٥) ومسلم ١٨٢٩/٤، ١٨٣٠ ـ في الفضائل (٢٣٥٧/١٢٩) وانظر تفسير الطبري ٥١٩/٨ (٩٩١٢)، (٩٩١٣)، (٩٩١٤).

(٥) انظر التفسير ٢٤٨/١.

فيه، ويقال: تشاجرا: أي اختلفا، ويقال: فيما التبس عليهم، قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا الديبلي، قال: حدثنا أبو عبيد[1] الله، عن سفيان، عن عمر، وعن رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة أنها قالت: كان بين الزبير بن العوام وبين رجل خصومة فقضى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للزبير، فقال الرجل: إنما قضى له لأنه ابن عمته، فأنزل الله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)[2] **﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم﴾** أي في قلوبهم **﴿حرجاً﴾** أي شكاً **﴿مما قضيت﴾** أنه الحق **﴿ويسلموا تسليماً﴾** أي ويخضعوا لأمرك في القضاء خضوعاً. وقال الزجاج: تسليماً، مصدر مؤكد، فإذا قلت: ضربه ضرباً، فكأنك قلت: لا شك فيه كذلك: (ويسلموا تسليماً) أي ويسلمون لحكمك تسليماً لا يدخلون على أنفسهم شكاً. قوله تعالى: **﴿ولو أنا كتبنا عليهم: أن اقتلوا أنفسكم﴾** يعني لو فرضنا عليهم القتل، **﴿أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾** والقليل منهم، عمار بن ياسر، وابن مسعود، وثابت بن قيس، قالوا: لو أن الله تعالى أمرنا بأن نقتل أنفسنا، أو نخرج من ديارنا لفعلنا. فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإيمان أثبت في قلوب الرجال من الجبال الرواسي[3]. قرأ ابن عامر:[4] (إلا قليلاً منهم) بالألف، وهكذا في مصاحف أهل الشام، وقرأ الباقون: [بغير الألف][5]، بالضم، فمن قرأ بالضم، فمعناه، ما فعلوه ويفعله قليل منهم، على معنى الاستئناف، ومن قرأ بالنصب على معنى أنه على خلاف الأول، للاستثناء، كقوله تعالى: (الا المستضعفين) ثم قال تعالى: **﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾** أي ما يؤمرون به، **﴿لكان خيراً لهم﴾** [أي الثواب في الآخرة][6] **﴿وأشد تثبيتاً﴾** أي تحقيقاً في الدنيا. قوله تعالى: **﴿وإذاً لآتيناهم﴾** يقول: حينئذ لأعطيناهم **﴿من لدنا﴾** أي من عندنا **﴿أجراً عظيماً﴾** في الآخرة، يعني الجنة. **﴿ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾** أي ديناً قيماً يرضاه لهم. قوله تعالى:

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ

---

(١) في أ أبو عبد تحريف. (٢) تقدم.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٨/٥٢٦ (٩٩٢١) وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٢/٣٠٩ ونسبه السيوطي أيضاً في الدر ٢/١٨١ لابن أبي حاتم.

(٤) قرأ ابن عامر: (ما فَعَلُوه إلا قليلاً) بالنصب أي استثنى «قليلاً» منهم. والعرب تنصب في النفي والإيجاب فتقول (في الإيجاب) سرت بالقوم إلا زيداً، ومررت بالقوم إلا زيداً) (ورأيت القوم إلا زيداً) وتقول في النفي: (ما جاءني أحدٌ إلا زيدٌ) فترفع على البدل من (أحد) كأنه يصح وضعه مكانه أن تقول: (ما جاءني إلا زيد).

وقد يجوز أن تقول: (ما جاءني أحد إلا زيداً) أو (ما قام القوم إلا زيداً) فلا تجعله بدلاً ولكن تجعله استثناء منقطعاً أي استثنى زيداً فعلى هذا قوله: (إلا قليلاً) أي استثني قليلاً أو (إلا قليل) على البدل من الواو. المعنى ما فعله إلا قليل منهم.

واعلم أن الاختيار في الاستثناء إذا كان منفياً وكان ما بعد إلا من جنس ما قبلها فالرفع أولى على البدل كقولك: (ما في الدار أحد إلا زيد) والنصب جائز فتقول: (ما في الدار أحد إلا زيداً) وإذا كان ما بعد (إلا) ليس من جنس ما قبله فالنصب أولى كقولك: (ما في الدار أحدٌ إلا حماراً) و (ماله ابن إلا بنتاً) فنصبه على الاستثناء لأن الحمار لا يكون من جنس الإنسان. والرفع جائز على البدل قال الشاعر:

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ

وجائز أن يكون جعل أنيس ذلك البلد: اليعافير والعيس.

وقرأ الباقون: (إلا قليل) بالرفع على البدل وقد ذكرت. انظر لابن زنجلة ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٥) سقط في أ. (٦) في ظ في الآخرة في الثواب.

وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾

﴿ومن يطع الله والرسول﴾ قال في رواية الكلبي: نزلت الآية في شأن ثوبان، مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان شديد الحب له، وكان قليل الصبر عنه، حتى تغير لونه، ونحل جسمه فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما غير لونك؟ فقال: ما بي من مرض، ولكني إذا لم أرك استوحشت وحشة عظيمة، حتى ألقاك، وأذكر الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك، فنزل قوله تعالى: (ومن يطع الله والرسول) **﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾** في الجنة. وقال في رواية الضحاك: وذلك أن نفراً من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا يا نبي الله، وإن صرنا إلى الجنة، فإنك تفضلنا في الدرجات، كما أنك تفضلنا بدرجات النبوة، فلا نراك، فنزل:[1] (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم. . . الآية). حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا أبو العباس، قال: حدثنا قتيبة، قال: حدثنا جهضم، عن عطاء بن السائب، عن الشعبي: أن رجلاً من الأنصار، أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله: لأنت أحب إليَّ من نفسي وولدي وأهلي، فلولا أني آتيك فأراك لا ريب أي لا شك أني سوف أموت، قال: وبكى الأنصاري، فقال: ما أبكاك: قال: ذكرت أنك تموت، ونموت، وترفع مع النبيين، ونكون نحن وإن دخلنا الجنة دونك، فلم يجبه بشيء فأنزل الله تعالى: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم)[2] **﴿من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾** أي من المسلمين، ثم قال **﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾** في الجنة، أي رفقاء، كقوله تعالى: (ثم يخرجكم طفلاً). أي أطفالاً، وكقوله: (كل صيحة عليهم هم العدو) أي الأعداء. **﴿ذلك الفضل من الله﴾** أي المن والعطية من فضل الله **﴿وكفى بالله عليماً﴾** بالثواب في الآخرة. قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾** أي عدتكم من السلاح **﴿فانفروا ثبات﴾** يعني عصباً سرايا **﴿أو انفروا جميعاً﴾** مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأجمعكم. وقال الزجاج: الثبات: الجماعة المتفرقة، فتأويله أنفروا جماعات متفرقة، وانفروا مجتمعاً بعضكم إلى بعض. وقوله عز وجل: **﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾** فاللام الأولى زيادة للتأكيد، واللام الثانية للقسم، أي وإن منكم من يتثاقل ويتخلف عن الجهاد، يعني المنافقين، فهذا الخطاب للمؤمنين، فكأنه يقول: إن فيكم منافقين يتثاقلون، ويتخلفون عن الجهاد، **﴿فإن أصابتكم﴾** معشر المسلمين **﴿مصيبة﴾** يعني نكبة وشدة وهزيمة من العدو. **﴿قال﴾** ذلك المنافق الذي فيكم وتخلف عن الجهاد **﴿قد أنعم الله علي﴾** بالجلوس **﴿إذ لم أكن معهم شهيداً﴾** أي حاضراً في تلك الغزوة. قوله تعالى: **﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾** يعني الفتح والغنيمة، **﴿ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾** أي معرفة ووداً في الدين، **﴿يا ليتني كنت معهم﴾** في تلك الغزوة **﴿فأفوز فوزاً عظيماً﴾** فأصيب غنائم كثيرة. وقال مقاتل:

---

(١) انظر أسباب النزول ١٢٢.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير بلفظ مقارب ٨/٥٣٤ (٩٩٢٤) عن سعيد بن جبير وذكره الحافظ ابن كثير عن عائشة رضي الله عنها في التفسير ٢/٣١٠ ـ ٣١١ وقال وهكذا رواه الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه (صفة الجنة) ومن طريق الطبراني عن أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال عن عبد الله بن عمران العابدي به ثم قال لا أرى بإسناده بأساً والله أعلم.

في الآية تقديم وتأخير، ومعناه: فإن أصابتكم مصيبة، قال: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة في الدين ولا ولاية. قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص[1] (كأن لم يكن) بالتاء لأن المودة مؤنثة، وقرأ الباقون بالياء، لأن تأنيثه ليس بحقيقي. ثم أمر المنافقين بأن يقاتلوا لوجه الله تعالى فقال عز وجل:

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿**فليقاتل في سبيل الله**﴾ يعني فليقاتل الذين معكم في طاعة الله ﴿**الذين يشرون الحياة الدنيا**﴾ أي يختارون الدنيا على الآخرة. ويقال: هذا الخطاب للمؤمنين فكأنه يقول: فليقاتل في سبيل الله الكفار الذين يشرون الحياة الدنيا ﴿**بالآخرة**﴾. ثم قال تعالى: ﴿**ومن يقاتل في سبيل الله**﴾ أي في طاعة الله ﴿**فيقتل**﴾ يقول فيستشهد ﴿**أو يغلب**﴾ أي يقتل العدو ويهزمهم ﴿**فسوف نؤتيه أجراً عظيماً**﴾ أي ثواباً عظيماً في الجنة، فجعل ثوابهما واحداً، يعني إذا غلب أو غلب، يستوجب الثواب في الوجهين جميعاً، وقال الضحاك: في قوله: (ومن يقاتل في سبيل الله) قال: ومن قاتل في سبيل الله فواق ناقة غفرت له ذنوبه، ووجبت له الجنة. (والفواق بالرفع ما بين الحلبتين، والفواق بالنصب، الراحة). وذلك قوله: (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً)، أي ثواباً عظيماً في الجنة، ثم حث المؤمنين على القتال فقال تعالى: ﴿**ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين**﴾ أي (وعن المستضعفين ﴿**من الرجال والنساء والولدان**﴾ ويقال: وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله، وسبيل المستضعفين. ويقال: ﴿**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله**﴾ وفي خلاص المستضعفين، وقال الضحاك: وذلك أن كفار قريش أسروا سبعة نفر من المسلمين، وكانوا يعذبونهم، فأمر الله تعالى بقتال الكفار ليستنقذوا الأسرى من أيديهم ﴿**الذين يقولون**﴾ يعني المستضعفين بمكة يدعون الله تعالى ويقولون ﴿**ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها**﴾ بالشرك ﴿**واجعل لنا من لدنك ولياً**﴾ أي، من عندك حافظاً يحفظنا ﴿**واجعل لنا من لدنك نصيراً**﴾ أي مانعاً يمنعنا منهم، قال الكلبي: لما فتح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة، جعل الله لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولياً، وعتاب بن أسيد، نصيراً، وكان عتاب بن أسيد[2]، ينصف الضعيف من الشديد، فنصرهم الله به، وأعانهم، وكانوا أعز من بمكة من الظلمة قبل ذلك. (فصار المسلمون الضعفاء أعزاء، كما كان الكفار قبل ذلك). ثم مدح الله المؤمنين بقتالهم لوجه الله تعالى، فقال تعالى: ﴿**الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله**﴾ أي في طاعة الله، وإعزاز الدين وذم المنافقين، وبين أن قتالهم للشيطان، فقال تعالى: ﴿**والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت**﴾ أي في طاعة الشيطان، ثم حرض المؤمنين على القتال، فقال ﴿**فقاتلوا أولياء الشيطان**﴾ أي جند الشيطان، وهم المشركون ﴿**إن كيد الشيطان**﴾ أي مكر

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٠٨، وشرح شعلة ٣٤١.

(٢) عتاب بن أسيد بن أبي القبيص الأموي، أسلم يوم الفتح وكان صالحاً فاضلاً. الإصابة ٤/٢١١.

الشيطان ﴿كان ضعيفاً﴾ أي واهياً. ويقال: أراد به يوم بدر، حيث قال لهم الشيطان، أي الكفار لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه. ويقال ﴿إن كيدالشيطان كان ضعيفاً﴾ أي مكره ضعيف لا يدوم وهذا كما يقال: للحق دولة وللباطل جولة [أي ما له ري] ثم[1] قال عز وجل:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)

﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم: كفوا أيديكم﴾ يعني ألم تخبر عنهم، ويقال: أنه معناه، ألا ترى إلى هؤلاء، وذلك أن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين كانوا بمكة، استأذنوا في قتل كفار مكة سراً، لما كانوا يلقون منهم من الأذى، فقال لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: مهلاً كفوا أيديكم عن قتالهم ﴿وأقيموا الصلاة﴾ فإني لم أؤمر بقتالهم، فلما هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة أمره الله تعالى بالقتال، فكره بعضهم، فنزلت هذه الآية ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ عن القتل، ﴿وأقيموا الصلاة﴾، أي أتموها ﴿وآتوا الزكاة﴾ يعني أقروا بها واعطوها إذا وجبت عليكم، ﴿فلما كتب عليهم القتال﴾ أي فرض عليهم القتال بالمدينة ﴿إذا فريق منهم يخشون الناس﴾ أي يخشون عذاب الكفار ﴿كخشية الله﴾ أي كخشيتهم من عذاب الله ﴿أو أشد خشية﴾ أي بل أشد خشية، ويقال: معناه، أو أشد خشية يعني أكثر خوفاً ﴿وقالوا: ربنا لم كتبت علينا القتال﴾ أي لم فرضت علينا القتال، ﴿لولا أخرتنا﴾ أي يقولوا هلا أجلتنا ﴿إلى أجل قريب﴾، وهو الموت. فبين الله تعالى لهم: أن الدنيا فانية فقال ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ أي: منفعة الدنيا قليلة، لأنها لا تدوم، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ مثلي ومثل الدنيا، كراكب قال في ظل شجرة، ثم راح وتركها[2]. ثم قال تعالى: ﴿والآخرة خير لمن اتقى﴾ يقول: ثواب الآخرة أفضل لمن اتقى الشرك والمعاصي ﴿ولا تظلموا فتيلا﴾ وقد ذكرناه. قرأ نافع وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: (ولا تظلمون) بالتاء على معنى المخاطبة، وقرأ الباقون: بالياء على معنى الخبر، يعني المتقين. قوله تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾ أي في الأرض يأتيكم الموت ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾، أي في القصور الطوال المشيدة، المبنية إلى السماء، حتى لا يخلص إليه [أحد من بني آدم][3]. وقال القتبي (البروج) الحصون، و(المشيدة): المطولة. وذلك أنهم لما تثاقلوا عن الخروج إلى الجهاد مخافة الموت، فأخبرهم الله تعالى: إنهم لا يموتون قبل الأجل، إذا جاء أجلهم لا ينجون من الموت وإن كانوا في موضع حصين،

---

(١) سقط في ظ.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٩١ وابن ماجه ٢/١٣٧٦ في كتاب الزهد باب مثل الدنيا (٤١٠٩)، وابن سعد في الطبقات ١/٢/١٥٩، والطبراني في الكبير ١٠/٢٠١، وأبو نعيم في الحلية ٤/٣٣٤ وذكر الحافظ ابن كثير في التفسير ٨/٤٤٧، والمنذري في الترغيب ٤/١٩٨، والسيوطي في الدر ٣/٢٣٨، ٤/٥٨.

(٣) في ظ [بنو آدم].

وهذا قوله تعالى: (قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين). ثم أخبر عن المنافقين فقال: ﴿**وإن تصبهم حسنة يقولوا**﴾ أي الفتح والغنيمة، والخصب، يقولوا: ﴿**هذه من عند الله، وإن تصبهم سيئة**﴾ أي نكبة وهزيمة، ﴿**يقولوا: هذه من عندك**﴾ أي من شؤمك، يعني أصابتنا بسببك، أنت الذي حملتنا على هذا ﴿**قل: كل من عند الله**﴾ يقال: الرخاء والشدة، ويقال القدر خيره وشره من الله تعالى. ثم قال تعالى: ﴿**فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون**﴾ يعني للمنافقين لا يكادون يفقهون ﴿**حديثاً**﴾ أي لا يفهمون قولاً أن الشدة والرخاء من الله تعالى أي لا يسمعون، ولا يفهمون، ما يحدثهم ربهم في القرآن. قوله تعالى.

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾

﴿**ما أصابك من حسنة**﴾ يعني النعمة، وهو الفتح والغنيمة ﴿**فمن الله**﴾ أي وبفضله ﴿**وما أصابك من سيئة**﴾ يعني البلاء والشدة، من العدو [**أو الشدة في العيش**][1] ﴿**فمن نفسك**﴾ أي فبذنبك وأنا قضيته عليك. ويقال: ما أصابك من حسنة يوم بدر، فمن الله، وما أصابك من سيئة يوم أحد، فمن نفسك، أي، بذنب أصحابك، يعني بتركهم المركز. ويقال: ما أصابك من حسنة، يعني، الدلائل والعلامات لنبوتك، فمن الله وما أصابك من سيئة (يعني انقطاع الوحي فمن نفسك، يعني بترك الاستثناء، حيث انقطع عنك جبريل أياماً، بترك استثنائك به. ويقال: ما أصابك من حسنة، يعني، تكثير الأمة، فمن الله وما أصابك من سيئة) من أذى الكفار، فبتعجيلك، فقوله تعالى: (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا) «سورة الشعراء: ٣» ويقال: فيه تقديم وتأخير، ومعناه ﴿**فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهوه حديثاً**﴾ بقولهم: ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾ قل كل من عند الله. ثم قال تعالى: ﴿**وأرسلناك للناس رسولاً**﴾ أي، ليس عليك سوى تبليغ الرسالة. ﴿**وكفى بالله شهيداً**﴾ على مقالتهم وفعلهم. ثم قال تعالى: ﴿**ومن يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ يعني من يطع الرسول فيما أمره، فقد أطاع الله، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - (كان يدعوهم بأمر الله تعالى، وفي طاعة الله تعالى، ويقال: إن النبي - صلى الله عليه وسلم -) قال: من يحبني فقد أحب الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله[2]، فقال المنافقون: إن هذا الرجل يريد أن نتخذه حنانا، فأنزل الله تعالى تصديقاً لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقال: (من يطع الرسول فقد أطاع الله). ثم قال تعالى: ﴿**ومن تولى**﴾ أي أعرض عن طاعة الله، وطاعة رسوله ﴿**فما أرسلناك عليهم حفيظاً**﴾ أي رقيباً وكان ذلك قبل الأمر بالقتال. ثم أخبر عن أمر المنافقين فقال: ﴿**ويقولون طاعة**﴾ أي يقولون بحضرتك: قولك طاعة، وأمرك معروف، فمرنا بما شئت، فنحن، لأمرك نتبه، ﴿**فإذا برزوا**﴾ أي خرجوا ﴿**من عندك بيت**﴾ أي: ألغت ويقال: غيرت ﴿**طائفة منهم غير الذي تقول**﴾ وقال الزجاج:

---

(١) سقط في ظ.

(٢) أخرجه البخاري ٦/١١٦ في الجهاد (٢٩٥٧)، ومسلم ٣/١٤٦٦ في الإمارة (٣٣/١٨٣٥).

لكل أمر قضي بليل قد بيت. قرأ أبو عمرو، وحمزة: [1] (بيت طائفة) بالإدغام لقرب مخرج التاء من الطاء، وقرأ الباقون: بالإظهار، لأنهما كلمتان. ثم قال تعالى: ﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ يعني يحفظ عليهم ما يغيرون وقال الزجاج: (والله يكتب) له وجهان: يجوز أن يكون ينزله إليك في كتابه، وجائز أن يكون يحفظ ما جاءوا به. ثم قال تعالى: ﴿فأعرض عنهم﴾ أي اتركهم ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾ أي شهيداً. ويقال: ﴿وتوكل على الله﴾ أي ثق بالله، وكفى بالله وكيلاً أي شهيداً أو يقال وتوكل على الله ثقة لك، ثم نسخ بقوله تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) قوله تعالى:

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾

﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يعني أفلا يتفكرون في مواعظ القرآن، ليعتبروا بها، ويقال: أفلا يتفكرون في معاني القرآن، فيعلمون أنه من عند الله تعالى لأنه ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ أي تناقضاً كثيراً، ويقال: أباطيل وكذباً كثيراً، لأن الاختلاف في قول الناس وقول الله تعالى لا اختلاف فيه، فلهذا قال أهل النظر: إن الإجماع حجة، لأن الإجماع من الله تعالى، ولو لم يكن من الله تعالى لوقع فيه الاختلاف، ولهذا قالوا: إن القياس إذا انتقض سقط الاحتجاج به، لأنه لو كان حكم الله تعالى لم يرد عليه النقض. قوله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف﴾ يعني المنافقين، إذا جاءهم خبر من أمر السرية، بالفتح والغلبة على العدو سكتوا وقصروا عما جاءهم من الخبر أو الخوف، أي وإن جاءهم خبر من السرية ببلاء وشدة، نزلت بالمؤمنين ﴿أذاعوا به﴾ أي أفشوه ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم﴾، قال الكلبي: يقول: لو سكتوا عن إفشائه، حتى يكون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذي يفشيه، وأولو الأمر منهم: مثل: أبي بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي ـ رضي الله عنهم ـ ﴿لعلمه الذين يستنبطونه﴾ يقول: يبتغونه ﴿منهم﴾ فيكون هؤلاء الذين يستمعونه ويفشونه، ويعلمونه إلا قليلاً منهم، يقول الله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أي لولا من الله عليكم ورحمته ونعمته ﴿لاتبعتم الشيطان﴾، فيه تقديم وتأخير، وقال مقاتل: أذاعوا به أي أفشوه ﴿إلا قليلاً﴾ منهم لا يفشون الخبر. وقال الزجاج: (أذاعوا به) أي أظهروه، ومعنى (يستنبطونه منهم) أي يستخرجونه، وأصله من النبط، وهو أول الماء الذي يخرج من البئر، إذا حفرت، ولو ردوا ذلك إلى أن يأخذوا من قبل الرسول، ومن قبل أولي الأمر منهم لعلمه هؤلاء الذين أذاعوا به من ضعف المسلمين، وعلموا من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذوي العلم، وكانوا يعلمون مع ذلك. وقال عكرمة: [2] لعلمه الذين يخوضون فيه ويسألون عنه. وقال أبو العالية: [3] يعني الذين

---

(١) انظر شرح شعلة على الشاطبية ٣٤١ سراج القاري ١٩٢.
(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي ١/٤٥٦.
(٣) أخرجه الطبري في التفسير ٨/٥٧٢ (٩٩٩٩) وزاد نسبته السيوطي في الدر ٢/١٨٧ لابن المنذر وابن أبي حاتم.

يستحسنونه منهم. وقال الضحاك[١]: ولو ردوا أمرهم في الحلال والحرام، إلى الرسول في التصديق به والقبول منه، وإلى أولى الأمر منهم، يعني حملة الفقه والحكمة، لعلمه الذين يستنبطونه منهم، يعني يتفحصون عن العلم، ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بالقرآن ﴿لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ وهم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، وفي هذه الآية دليل على جواز الاستنباط من الخبر والكتاب، لأن الله تعالى قد أجاز الاستنباط من قبل الرسول وأهل العلم ثم قال: ﴿فقاتل في سبيل الله﴾ أي في طاعة الله ﴿لا تكلف إلا نفسك﴾، قال مقاتل: يعني ليس عليك ذنب غيرك، وقال الزجاج، أمر الله تعالى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجهاد، وإن قاتل وحده، لأنه قد ضمن له النصر، وقال أبو بكر في أهل الردة: لو خالفتني يميني لجاهدت بشمالي. ويقال: واعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا سفيان بأن يخرج إلى بدر الصغرى فكره المسلمون الخروج (فأمره الله تعالى بأن يخرج، وإن كان وحده) فقال: ﴿وحرض المؤمنين﴾ أي على القتال يعني على الجهاد، بقتال أعداء الله ﴿عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾ أي يمنع قتال الذين كفروا، واليأس: هو القتال. كما قال في آية أخرى: (وحين البأس) ثم قال تعالى: ﴿والله أشد بأساً﴾ أي عذاباً، ويقال: قوة ﴿وأشد تنكيلاً﴾ أي أشد عقوبة في الآخرة عن عقوبة الكفار في الدنيا.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيبٌ منها﴾. قال الضحاك: يعني من سن سنة حسنة في الإسلام فله أجرها، وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء[٢]. ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها﴾ أي من سن في الإسلام سنة قبيحة محدثة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء. وقال الكلبي: (من يشفع شفاعة حسنة) يعني يصلح بين اثنين يكن له أجر منها (ومن يشفع شفاعة سيئة) يمشي بالنميمة والغيبة، يكن له كفل منها، يعني إثم منها. وقال مجاهد: إنما هي شفاعة في الناس بعضهم لبعض، يعني يشفع لأخيه [المسلم][٣] في دفع المظلمة عنه. وروى سفيان، عن عمرو بن دينار أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: اشفعوا إلي تؤجروا، فإن الرجل منكم يسألني الأمر فأمنعه كي ما تشفعوا فتؤجروا[٤]. وقال الحسن: الشفاعة تجري أجرها لصاحبها ما جرت منفعتها. والكفل في اللغة:[٥] النصيب،

---

(١) أخرجه الطبري في المصدر السابق (١٠٠٠٥) وانظر معالم التنزيل للبغوي ١/٤٥٦.

(٢) وهذا تفسير بالحديث، والحديث أخرجه مسلم ٢/٧٠٥ في الزكاة باب الحث على الصدقة (٦٩/١٠١٧) وأحمد ٤/٣٥٧، ٣٥٩ والطبراني في الكبير ٢/٣٩٤.

(٣) سقط من ظ.

(٤) أخرجه النسائي ٥/٧٨ في باب الاحتيال في الصدقة (٢٥٥٧) وبنحوه أخرجه البخاري ٣/٣٥١ في الزكاة (١٤٣٢ و٦٠٢٧، ٦٠٦٨، ٧٤٧٦)، وأخرجه أبو داود (٥١٣٢)، وأحمد ٤/٤٠٤، ٤٠٩، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/١٦٧ والحميدي ٧٧١.

(٥) أنظر الصحاح ٤/١٨١١ والمغرب ٢/٢٢٧ المصباح ٢/٨٢٧.

كقوله تعالى: (يؤتكم كفلين من رحمته). ثم قال تعالى: ﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾ والمقيت: المقتدر، يقال: أقات على الشيء، يعني اقتدر، ويقال: المقيت، الشاهد على الشيء الحافظ له، ويقال: مقيتاً، يعني بيده الرزق وعليه قوت كل دابة، كقوله تعالى: (وقدر فيها أقواتها). قوله تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية﴾ يعني إذا سلم عليكم ﴿فحيوا بأحسن منها﴾ أي ردوا جوابها، بأحسن منها ﴿أو ردوها﴾ أي مثلها، فأمر الله تعالى المسلمين برد السلام، بأن يردوا بأحسن منها، وهو أن يقولوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أو يرد مثله، فيقول: وعليكم السلام. وقال قتادة: فحيوا بأحسن منها للمسلمين، أو ردوها لأهل الذمة. فيقول لهم: وعليكم[1]. وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن رجلاً دخل عليه، وقال: السلام عليكم، فقال له وعليكم السلام فلك عشر حسنات، ودخل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه، فقال: لك عشرون حسنة، ودخل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه، فقال: لك ثلاثون حسنة[2]. وروي عنه أنه نهى أن ينقص الرجل من سلامه، أو من رده، وهو أن يقول: السلام عليك، ولكن ليقل: السلام عليكم. ويقال: إنما ذلك للمؤمنين، لأن المؤمن، لا يكون وحده، ولكن يكون معه الملائكة[3]. وفي هذه الآية دليل: أن السلام سنة، والرد واجب، لأن الله تعالى أمر بالرد، والأمر من الله تعالى واجب. ويقال (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) يعني إذا أهدي إليكم بهدية، فكافئوا بأفضل منها أو مثلها، وهذا التأويل ذكر عن أبي حنيفة. ثم قال تعالى: ﴿إن الله كان على كل شيء حسيباً﴾ أي مجازياً. قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ نزلت في شأن الذين شكوا في البعث، فأقسم الله تعالى بنفسه ﴿ليجمعنكم﴾ وهذه لام القسم، وكل لام بعدها نون مشددة، فهي لام القسم، وقوله: ﴿ إلى يوم القيامة﴾ قال بعضهم: إلى صلة في الكلام، معناه ليجمعنكم يوم القيامة. ويقال: ليجمعنكم في الموت، وفي قبوركم إلى يوم القيامة، ثم يبعثكم ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك فيه، وهو البعث، يعني لا شك فيه عند المؤمنين، ويقال: يعني لا ينبغي أن يشك فيه، ثم قال تعالى: ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ أي من أوفى من الله قولاً وعهداً. قرأ حمزة والكسائي:[4] (ومن أزدق) بالزاي وقرأ الباقون: (أصدق) وأصله الصاد، إلا أنه لقرب مخرجيهما يجعل مكانه زاي. قوله تعالى:

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٨/٥٨٧ (١٠٠٤٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/٤٣٩ ـ ٤٤٠ والدارمي في السنن ٢/٢٧٧ ـ ٣٨١ في الاستئذان وأبو داود ٥/٣٧٩ في الأدب ٥١٩٥ والترمذي ٥/٥٢ ـ ٥٣ في الاستئذان (٢٦٨٩) وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٣٣٧.

(٣) أخرجه أبو داود ٥/٣٨٧ في الأدب (٥٢٠٩) والترمذي ٥/٧٢ في الاستئذان (٢٧٢٢) وقال حسن صحيح والنسائي في عمل اليوم والليلة ٣١٨.

(٤) انظر شرح شعلة ٣٤٢، وسراج القارىء ١٩٣.

أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

﴿**فما لكم في المنافقين فئتين**﴾ نزلت في تسعة نفر ارتدوا عن الإسلام، فخرجوا من المدينة، وانطلقوا إلى مكة، ثم إنهم خرجوا تجاراً إلى الشام، فقال بعض المسلمين: نخرج إلى هؤلاء ونقتلهم ونأخذ أموالهم، وقال بعضهم: هم مسلمون فلا يجوز أخذ أموالهم، ويقال: كان قوم من المنافقين بمكة، خرجوا إلى الشام، فاختلف المسلمون في أمرهم، فبين الله تعالى للمسلمين نفاقهـم افقال تعالى: (فما لكم في المنافقين) يعني، صرتم في المنافقين فئتين أي فريقين تختصمون في أمرهم ﴿**والله أركسهم بما كسبوا**﴾ أي أذلهم ويقال: أهلكهم، ويقال: أركسهم: أي ردهم إلى كفرهم، ويقال: ركست الشيء وأركسته إذا أرددته إلى الحال الأول. ثم قال تعالى: ﴿**أتريدون أن تهدوا من أضل الله**﴾ [يعني أترشدون إلى الهدى من أضله الله][(1)] ﴿**ومن يضلل الله**﴾ عن الهدى ﴿**فلن تجد له سبيلاً**﴾ يعني، ديناً، ويقال: مخرجاً. ثم قال تعالى ﴿**ودوا لو تكفرون**﴾ أي ترجعون عن هجرتكم ﴿**كما كفروا**﴾ أي كما رجعوا ﴿**فتكونوا**﴾ أنتم وهم على الكفر ﴿**سواء**﴾ ومن هذا يقال في المثل: إن من أحرق يوماً كدسه، يتمنى حرق أكداس الأمم، فكذلك الكفار، كانوا يتمنون أن يكون الناس كلهم كفاراً، حتى يحترقوا معهم. قال الله تعالى: ﴿**فلا تتخذوا منهم أولياء**﴾ في الدين والنصرة ﴿**حتى يهاجروا في سبيل الله**﴾ حتى يتوبوا، ويرجعوا إلى دار الهجرة بالمدينة ﴿**فإن تولوا**﴾ يعني أبوا الهجرة ﴿**فخذوهم**﴾ يعني فأسروهم ﴿**واقتلوهم حيث وجدتموهم**﴾ يعني أين وجدتموهم من الأرض. ﴿**ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً**﴾ في العون. ثم استثنى الذين كان بينهم وبين المسلمين عهد فقال: ﴿**إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق**﴾ وهم خزاعة، وبنو مدلج، وبنو خزيمة، وهلال بن عويمر الأسلمي وأصحابه، صالحهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن كل من أتاهم من المسلمين، فهو آمن ومن جاء منهم إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو آمن، وفي هذه الآية إثبات الموادعة بين أهل الحرب وأهل الإسلام إذا كانت في الموادعة مصلحة للمسلمين. ثم قال تعالى: ﴿**أو جاءوكم حصرت صدورهم**﴾ أي ضاقت قلوبهم ﴿**أن يقاتلوكم**﴾ من قبل العهد ﴿**أو يقاتلوا قومهم**﴾ معكم من قبل القرابة. ثم قال تعالى: ﴿**ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم**﴾ ذكر منته على المؤمنين أنه يدفع عنهم البلاء، ومنعهم عن قتالهم، ثم قال تعالى: ﴿**فإن اعتزلوكم**﴾ في القتال ﴿**فلم يقاتلوكم، وألقوا إليكم السلم**﴾ أي الصلح، معناه أنهم لو ثبتوا على صلحهم، فلا تقاتلوهم، فذلك قوله: ﴿**فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً**﴾ أي حجة وسلطاناً في قتالهم، ثم قال عز وجل: ﴿**ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم**﴾ وهم أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقولون: آمنا بك، وإذا رجعوا إلى قومهم قالوا: آمنا بالعقرب والخنفساء، يقول: إنهم لم يريدوا بذلك تصديق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنما أرادوا به الاستهزاء. وقال مجاهد:[(2)] هم ناس من أهل مكة كانوا يأتون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويسلمون رياء، ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون بالأوثان، ويريدون أن يأمنوا ها هنا، وها هنا، فذلك قوله تعالى: ﴿**كلما ردوا إلى الفتنة**﴾، يقول: كلما دعوا إلى الشرك

(١) ما بين القوسين سقط من ظ.

(٢) انظر التفسير ١/ ١٦٩.

﴿**أركسوا فيها**﴾ يقول: عادوا إليه، ودخلوا فيه ﴿**فإن لم يعتزلوكم**﴾ في القتال ﴿**ويلقوا إليكم السلم**﴾ أي لم يلقوا إليكم الصلح ﴿**ويكفوا أيديهم**﴾ عن قتالكم، يعني إن لم يكفوا أيديهم ﴿**فخذوهم**﴾ يعني أسروهم ﴿**واقتلوهم حيث ثقفتموهم**﴾ يعني حيث أدركتموهم، ووجدتموهم ﴿**وأولئكم**﴾ يعني أهل هذه الصفة ﴿**جعلنا لكم عليهم سلطاناً**﴾ يعني حجة ﴿**مبيناً**﴾ أي حجة مبينة في القتال. وقوله تعالى:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾

﴿**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ**﴾ يقول: وما جاز لمؤمن أن يقتل مؤمناً متعمداً، إلا خطأ بغير قصد منه، ويقال: معناه، ولا خطأ أي ما جاز له أن يقتل عمداً ولا خطأ. ثم قال تعالى: ﴿**ومن قتل مؤمناً خطأ**﴾ نزلت الآية في شأن عياش بن أبي ربيعة[١]، حين قتل الحارث بن زيد[٢]، وذلك أن عياشاً هاجر إلى المدينة مؤمناً، فجاءه أبو جهل بن هشام، والحارس بن هشام[٣] وهما أخواه لأمه، ومعهما الحارث بن زيد، فقالوا له: إن أمك تناشدك بحقها، ورحمها أن ترجع إليها، وإنك أحب الأولاد إليها، وقد حلفت ألا يظلها بيت، ولا تأكل طعاماً، ولا تشرب شراباً حتى ترجع إليها، فارجع إليها وكن على دينك، فخرج معهم، فلما خرج من المدينة أوثقوه بحبل وضربوه، وحملوه إلى مكة، وألقوه في الشمس وحلفت أمه بأن لا يحله أحد ما لم يكفر بالله، فتركوه على حاله حتى أعطاهم الذي أرادوه، فحلوه من الوثاق فقال له الحارث بن زيد: إن كان الذي كنت عليه هدى، فقد تركته، وإن كان ضلالة فقد كنت في ضلالة، فحلف عياش بأن يقتل الحارث بن زيد إذا لقيه خالياً. ثم إن عياشاً خرج إلى المدينة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم أسلم الحارث بن زيد بعد ذلك فلقيه عياش في بعض سكك المدينة ولم يعلم بإسلامه فقتله، ثم علم بإسلامه، فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره بالأمر الذي كان منه، فنزلت هذه الآية[٤] فيه وصارت الآية عامة لجميع الناس، وهو قوله: ﴿**ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة**﴾ أي فعليه عتق رقبة مؤمنة، ولو أعتق رقبة كافرة لم يجز بالإجماع. ﴿**ودية مسلمة إلى أهله**﴾ أي وعليه دية مسلمة إلى أهل القتيل، والدية مائة من الإبل، ﴿**إلا أن يصدقوا**﴾ وأصله: يتصدقوا، فادغم التاء في الصاد، وأقيم التشديد مقامه، ومعناه، إلا أن يعفو عنه أولياء القتيل، ولا يأخذوا منه شيئاً، ثم قال: ﴿**فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن**﴾ يعني إن كان القتيل من أهل الحرب، وقد أسلم في دار الحرب، فقتله رجل في دار الحرب، فعلى

---

(١) عياش بن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة المخزومي هاجر إلى الحبشة له أحاديث قتل يوم اليرموك أو اليمامة. الخلاصة ٢/٣١٤.

(٢) الحارث بن زيد بن أنيسة وقيل ابن يزيد من بني معيص بن عامر القرشي العامري. الإصابة ١/٣٠٨.

(٣) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو أبو عبد الرحمن القرشي المخزومي أخو أبي جهل أسلم يوم فتح مكة. الإصابة ١/٣٠٧.

(٤) انظر أسباب النزول للواحدي ١٢٦.

القاتل الكفارة، عتق رقبة مؤمنة ولا دية عليه، وهذا بالإجماع. وقد نزلت في شأن أسامة بن زيد، قتل رجلاً يقال له: مرداس، وكان مسلماً، فنزلت هذه الآية[١]. وروي عن عطاء بن السائب عن ابن عباس أنه قال: كان الرجل [يأتي فيسلم، ثم][٢] يأتي قومه، وهم مشركون، فيقيم فيهم فيغزوهم جيوشاً من جيوش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقتل الرجل، فنزلت هذه الآية:[٣] (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن) ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ وليس عليه دية، ثم قال: ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ يعني إن كان المقتول من أهل الذمة، ﴿فدية مسلمة﴾ أي فعليه دية مسلمة ﴿إلى أهله﴾ ﴿و﴾ عليه أيضاً ﴿تحرير رقبة مؤمنة﴾. وروي عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن مستأمنين دخلا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكساهما وحملهما، فلما خرجا من عنده لقيهما عمرو بن أمية الضمري، فقتلهما، ولم يعلم أنهما مستأمنان ففداهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدية حرين مسلمين، فنزلت هذه الآية: (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) ولهذا قال علماؤنا[٤] ـ رحمهم الله ـ إن دية الذمي والمسلم سواء، وهكذا روي عن أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ أن دية الذمي والمسلم سواء، مائة من الإبل، ثم قال: ﴿فمن لم يجد﴾ أي قاتل الخطأ إذا لم يجد رقبة مؤمنة ﴿فصيام شهرين﴾ أي فعليه صيام شهرين ﴿متتابعين توبة من الله﴾ أي تلك الكفارة، توبة للقاتل من الله تعالى. ويقال: سبب التجاوز من الله. ثم قال: ﴿وكان الله عليماً﴾ يعني عليماً بالقاتل ﴿حكيماً﴾ حكم بالكفارة على من قتل خطأ.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾ روي عن سالم بن أبي الجعد[٥] قال: كنت عند عبد الله بن عباس بعدما كف بصره فجاءه رجل فناداه: ما تقول فيمن قتل مؤمناً متعمداً، فقال: جزاؤه جهنم خالداً فيها. ﴿وغضب الله عليه ولعنه، وأعد له عذاباً عظيماً﴾. فقال: أرأيت: إن تاب وآمن، وعمل صالحاً، ثم اهتدى. قال: وأنى له الهدى سمعت نبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: يأتي قاتل المؤمن متعمداً، ويتعلق به المقتول عند عرش الرحمن، فيقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟ فوالذي نفسي بيده في هذا أنزلت هذه الآية، فما نسختها آية بعد نبيكم، وما نزل بعده من برهان[٦]. وروي عن ابن عمر، وأبي هريرة أنهما قالا: لا توبة له[٧] وقال غيرهم له

---

(١) انظر أسباب النزول ١٢٩. (٢) سقط في أ. (٣) انظر أسباب النزول ١٢٥.

(٤) وذهب الشافعية ومن لف لفهم إلى أن دية أهل الكتاب ثلث دية المسلم، وروي ذلك عن عمر وعثمان وهو قول سعيد بن المسيب وعكرمة وإسحاق. انظر شرح السنة ١٠/٢٠٤، مغني المحتاج ٤/٥٧. وانظر تفسير الطبري ٩/٥١ وما بعدها.

(٥) سالم بن أبي الجعد رافع الأشجعي مولاهم الكوفي ثقة توفي سنة ١٠٠ هـ. التهذيب ٣/٤٣٢.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري ٩/٦٣ (١٠/٨٨) وأحمد في المسند (٢١٤٢).

(٧) قال البغوي في تفسيره ٥/٤٦٥ والذي عليه الأكثرون وهو مذهب أهل السنة أن قاتل المسلم عمداً توبته مقبولة لقوله تعالى: ﴿وإنّي لَغَفّارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً﴾ وقال: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾. وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل، كما روي عن سفيان بن عيينة أنه قال: إن لم يقتل يقال له لا توبة لك، وإن قتل ثم جاء يقال لك توبة. ويُروى مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتخليد في النار بارتكاب الكبائر لأن الآية نزلت في قاتل وهو كافر وهو «مِقْيَس بن صُبَابَة» وقيل: إنه وعيد لمن قتل مؤمناً مستحلاً لقتله بسبب إيمانه.

التوبة، لأن الله تعالى ذكر الشرك، والقتل، والزنا، ثم قال: (إلا من تاب وآمن . . . . . إلى قوله . . . فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) ويقال: معناه، فجزاؤه جهنم خالداً فيها، أي داخلاً فيها، لأنه لم يذكر فيها الأبد، كما أن الرجل يقول: خلدت فلاناً في السجن، أي أدخلته ويقال: فجزاؤه جهنم أي إن جازاه وروى أنس بن مالك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: إذا وعد الله لعبده ثواباً، فهو منجزه، وإن أوعد له العقوبة، فله المشيئة، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفى عنه[1]. ويقال: معناه، من يقتل مؤمناً متعمداً، يعني مستحلاً لقتله فجزاؤه جهنم خالداً فيها، لأنه كفر باستحلاله، ويقال: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) يعني يقتله متعمداً، لأجل إيمانه، كما روي في الأثر: أن بغض الأنصار كفر[2]، إن كان بغضهم لأجل نصرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكذلك ههنا إذا قتله لأجل إيمانه، صار كافراً، ويقال: هو منسوخ بقوله تعالى: (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ويقال: معناه فجزاؤهم جهنم بقتله، خالداً فيها بارتداده، لأن الآية نزلت في شأن رجل قتل مؤمناً متعمداً[3]، ثم ارتد عن الإسلام، وهو مقيس بن ضبابة، وجد أخاه هشام بن ضبابة قتيلاً في بني النجار، فذكر ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبعث معه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلاً من بني فهر إلى بني النجار، وأمره: بأن يقرئهم السلام، ويأمرهم بأن يطلبوا قاتله، فإن وجدوه قتلوه، وإن لم يجدوه، حلفوا خمسين يميناً وغرموا الدية، فلما أتاهم مقيس بن ضبابة،رسول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبلغهم الرسالة،فقالوا :سمعاً وطاعة لأمر الله ورسوله، وقالوا: ما نعرف قاتله، فحلفوا وغرموا الدية، فلما رجع مقيس بن ضبابة قال في نفسه: إني بعت دم أخي بمائة من الإبل، ودخلت فيه حمية الجاهلية، وقال: أقتل هذا الفهري مكان أخي، وتكون الدية فضلاً لي، فقتله، وتوجه إلى مكة وقال في ذلك شعراً:

قتلت به فهراً وحملت عقله ... سراة بني النجار أرباب فارع[4]

فادركت ثأري واضطجعت موسدا ... وكنت إلى الأوثان أول راجع[5]

= ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافراً مخلداً في النار، وقيل قوله تعالى: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾ معناه هي جزاؤه إن جازاه ولكنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له بكرمه فإنه وعد أن يغفر لمن يشاء، حكي أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له: هل يخلف الله وعده؟ فقال: لا، فقال: أليس قد قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجم أتيت يا أبا عثمان، إن العرب لا تعد ـ الإخلاف في الوعيد خلفاً وذماً، وإنما تعد إخلاف الوعد خلفاً وذماً وأنشد:

وإني وإن أوْعَدتُّه أو وَعَدتُّه ... لمخلف إيعادي ومنجز مَوْعِدي

والدليل على أن غير الشرك لا يوجب التخليد في النار: ما روينا أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة). انظر تفسير البغوي ١/٤٦٥.

(١) انظر تفسير القرطبي ٥/٢١٥.

(٢) انظر فضائل الأنصار في صحيح البخاري ٧/١٣٧ وما بعدها وفي الحديث الصحيح سمعت البراء بن عازب رضي الله عنه قال سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق. فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله» البخاري ٧/١٤١ في مناقب الأنصار ٣٧٨٣.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٥/٢١٥.

(٤) والبيت هكذا في أ:

ثَأَرْتُ به مهزا وحَمَّلْتُ عَقْلَه ... سَرَاةَ بني النَّجَّارِ أرْبَابَ فَارِعِ

(٥) انظر سيره ابن هشام ٣/٣٠٥، وتاريخ الطبري ٣/٦٦، تفسير الطبري ٩/٦٢. =

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤﴾

فنزلت هذه الآية في شأنه، إن جزاءه جهنم خالداً فيها وكل من يعمل مثل عمله ثم قال عز وجل **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله﴾** أي يقول: إذا خرجتم، وصرتم في الجهاد **﴿فتبينوا﴾** نزلت الآية في شأن أسامة بن زيد، لقي رجلاً يقال له: مرداس، فقال له مرداس: لا إله إلا الله، وسلم عليهم، وقال: السلام عليكم، إني مؤمن فقتله أسامة ولم يصدقه بأنه مسلم، فأخبر بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أقتلت رجلاً يقول: لا إله إلا الله، فقال أسامة إنه قال بلسانه دون قلبه. فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: هلا شققت عن قلبه، فقال أسامة: استغفر لي، فقال له: فكيف لك بلا إله إلا الله ثلاث مرات، ثم استغفر له الرابعة، وأمره بأن يعتق رقبة. وروى شهر بن حوشب، عن جندب بن سفيان، عن رجل من بجيلة قال: كنت عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ جاءه بشير من السرية، فأخبره بالفتح، وقال يا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينما نحن نطلب القوم، وقد هزمهم الله تعالى، فقصدت رجلاً بالسيف، فلما أحس أن السيف واقع به، فقال: إني مسلم، فقتلته، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقتلت مسلماً! فقال: يا رسول الله؛ إنه قال متعوذاً، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفلا شققت عن قلبه[1]! فقال: يا رسول الله استغفر لي، فقال: لا استغفر لك، فمات الرجل فدفنوه ثم أصبح على وجه الأرض، ثم دفنوه، ثم أصبح على وجه الأرض ثلاث مرات فلما رأى ذلك قومه، استحيوا وحزنوا، فحملوه وألقوه في شعب من التلك الشعاب، فنزلت هذه الآية: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) أي قفوا وانظروا من تقتلون[2]. قرأ حمزة والكسائي:[3] (فتثبتوا) بالثاء، وقرأ الباقون فتبينوا) بالباء، فمن قرأ بالثاء فهو من التثبت، يقول: قفوا، ولا تعجلوا في الأمر حتى يتبين لكم الكافر من المسلم، ومن قرأ بالباء، فهو من التبين، ومعناهما قريب. ثم قال تعالى: **﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾** قرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن كثير، والكسائي:[4] (السلام) بالألف. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة: (السلم) بغير ألف، وأما من قرأ: (السلام)، فلأن مرداساً قال لهم: السلام عليكم، وأما من قرأ السلم، فهو الدخول

= شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدْ بَاتَ بِالقَاعِ مُسْنَداً ... تُضَرِّجُ ثَوبَيْهِ دِمَاءُ الأَخَادِعِ
وكَانَت هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِه ... تُلِمُّ فتحميني وِطَاءَ المَضَاجِعِ
حَلَلْتُ بِهِ وِتْرِي وأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِي ... وكُنْتُ إِلى الأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
ثَأَرْتُ بِهِ فِهْراً ....

في المخطوطة: (قَتَلْتُ به فِهْراً) وليس صواباً إنما قتل قاتل أخيه هشام بن صُبَابَة قالوا: اسمه (أوس) لا (فهر). أما (فهر) في قوله: (ثأرت به فهرا) فإنه يعني أبناء فهر وهم رهطه أدرك ثأرهم بقتله الأنصاري وفي مطبوعة تاريخ الطبري (قهراً) بالقاف والصواب بالفاء و (فارع) أطم بالمدينة لبني النجار كان «لحسان بن ثابت» رحمه الله ذكره في شعره. من الطبري ٩/ ٦٢.

(١) بنحوه أخرجه البخاري ١٢/ ١٩٩ في الديات (٦٨٧٢)، ومسلم ١/ ٩٦ في كتاب الإيمان (١٥٨/ ٩٦) وأبو داود (٢٦٤٣)، والطحاوي في مشكل الآثار ٤/ ٢٥١، ٢٥٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٩. وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ١٢٢.

(٢) أسباب النزول للواحدي ١٢٨. (٣) انظر النشر في القراءات العشر ١/ ٢٥٤. (٤) انظر المصدر السابق.

والانقياد، والمتابعة، يعني إن انقاد لكم، وتابعكم فلا تقولوا له: لست مؤمناً، وأسلم، واستسلم بمعنى واحد، أي دخل في الانقياد، كما تقول: أشتى الرجل، إذا دخل في الشتاء، وأربع إذا دخل في الربيع. ثم قال: ﴿**تبتغون عرض الحياة الدنيا**﴾ وذلك أن الرجل كانت معه غنيمة حين قتلوه، وأخذوا ما كان معه من الغنيمة، فعيرهم الله تعالى بطمعهم في المال، ثم قال: ﴿**فعند الله مغانم كثيرة**﴾ أي عند الله ثواب كثير في الآخرة لمن اتقى، ويقال: غنائم كثيرة في الدنيا، فاطلبوا من حيث أذن لكم، وأبيح لكم، ثم قال تعالى: ﴿**كذلك كنتم من قبل**﴾ أي هكذا كنتم من قبل الهجرة بمنزلة مرداس تأمنون في قومكم بالتوحيد، من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا تخيفوا أحداً، وكنتم تأمنون بمثله قبل هجرتكم ﴿**فمن الله عليكم**﴾ بالهجرة، ويقال: هكذا كنتم، يعني كنتم تكتمون إيمانكم من قبل، ويقال: أي كنتم كفاراً، فمن الله عليكم بالإسلام، ثم قال تعالى: ﴿**فتبينوا**﴾ أي قفوا، وانظروا في أمركم لكي لا تقتلوا مؤمناً، فصارت الآية عامة لجميع السرايا، إذا دخلوا دار الحرب، ينبغي أن يتبينوا لكي لا يقتلوا مؤمناً. ثم قال: ﴿**إن الله كان بما تعملون خبيراً**﴾ أي عالماً بكم وبأعمالكم. ثم قال تعالى:

لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾

﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين**﴾ يعني القاعدين عن الجهاد لا يكون حالهم مثل حال الذين يجاهدون في الثواب والأجر ﴿**غير أولي الضرر**﴾ أي القاعدين الذين لا عذر لهم، ومن كان له عذر، فهو خارج من هذا، قال ابن عباس: يعني، ابن أم مكتوم[١]، ومحمد بن جحش، ويقال: عبد الله بن جحش[٢] فقال: إنا عميان فهل لنا من رخصة فنزلت[٣] (غير أولي الضرر) حدثنا أبو الفضل بن أبي حفص، قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي، قال: حدثنا إبراهيم بن داود، قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأوسي[٤] قال: حدثنا إبراهيم بن سعد[٥] عن صالح ابن كيسان[٦]، عن ابن شهاب[٧]، عن سهل بن سعد الساعدي قال: رأيت مروان بن الحكم[٨] جالساً في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أملى عليه: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر)، ﴿**والمجاهدون في سبيل الله**﴾ فجاءه ابن أم مكتوم

---

(١) هو عبد الله بن عمرو بن شريح هو ابن أم مكتوم. الإصابة ٤/١١١.

(٢) عبد الله بن جحش، وصف بكونه أعمى، نزلت فيه وفي ابن أم مكتوم الآية الإصابة ٤/٤٦.

(٣) أخرجه الترمذي ٥/٢٢٥ في التفسير باب (٥) (٣٠٣٢) وقال حسن غريب من هذا الوجه.

(٤) عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى بن عمرو بن أويس العامري القرشي الأويسي أبو القاسم المدني الفقيه صدوق ثقة. التهذيب ٦/٣٤٥.

(٥) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عوف الزهري المدني نزل بغداد ثقة حجة. التهذيب ١/١٢١.

(٦) صالح بن كيسان المدني أبو محمد مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز وثّقه ابن معين، التهذيب ٤/٣٩٩.

(٧) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري أبو بكر المدني أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام. قال مالك: كان ابن شهاب من أسخى الناس وتقيا ماله في الناس. الخلاصة ٢/٤٥٧.

(٨) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أمير المدينة أيام معاوية ثم بويع بالخلافة، ولد بعد الهجرة بأربع سنوات، وكانت ولايته تسعة أشهر. التهذيب ١٠/٩١.

وهو يمليها علي فقال: يا رسول الله: لو استطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تعالى على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن يرض فخذي ثم سري عنه [أي زال عنه التغير][1] فأنزل الله تعالى: (غير أولي الضرر)[2] يعني، إلا أن يكون أولي الضرر. قرأ نافع والكسائي، وابن عامر: (غير أولي الضرر) بنصب الراء. وقرأ حمزة وعاصم، وابن كثير، وأبو عمرو: (غير أولي الضرر) بالضم[3]. وقرأ بعضهم: (غير أولي الضرر) بالكسر، فمن قرأ بالضم جعله نعتاً للقاعدين، أي يعني لا يستوي القاعدون غير أولي الضرر، ومن قرأ بالنصب فهو على معنى الاستثناء، ويقال: هو نصب على الحال، ومن قرأ بالكسر، فلحرف الكسر وهو من قوله تعالى: (والمجاهدون في سبيل الله: **﴿بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين﴾** أي بغير عذر **﴿درجة﴾** أي فضيلة في الآخرة **﴿وكلًا﴾** يعني المجاهدين والقاعدين، والمعذورين **﴿وعد الله الحسنى﴾** أي وعد الله لهم الثواب وهو الجنة، ثم قال تعالى: **﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾** أي بغير عذر ثم بين الأجر فقال: **﴿درجات منه ومغفرة﴾** أي فضائل من الله في الجنة أي سبعين درجة. روى هشام بن حسان عن جبلة بن عطية، عن ابن محيريز[4] قال: ما بين الدرجتين، حضر الفرس أو الجواد سبعين عاماً. ثم قال تعالى: (ومغفرة) يعني مغفرة لذنوبهم، **﴿ورحمة﴾** نعمة في الجنة **﴿وكان الله غفوراً﴾** لمن جاهد **﴿رحيماً﴾** إذ سوى بين من له عذر بالفضل مع غيره. قوله تعالى:

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾

﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾ يعني ملك الموت يقبض أرواحهم **﴿ظالمي أنفسهم﴾** يعني الذين أسلموا

---

(١) سقط في ظ.

(٢) أخرجه البخاري ٨/١٠٨ في التفسير (٤٥٩٢)، وأخرجه الترمذي (٣٠٣١).

(٣) قال ابن زنجلة قال الزجاج: فأما الرفع فمن جهتين: إحداهما أن يكون (غير) صفة للقاعدين وإن كان أصلها أن تكون صفة للنكرة المعنى: (لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولى الضرر) أي لا يستوي القاعدون الأصحاء والمجاهدون وإن كانوا كلهم مؤمنين قال: ويجوز أن يكون (غير) رفعا على جهة الاستثناء المعنى: لا يستوي القاعدون والمجاهدون إلا أولو الضرر فإنهم يساوون المجاهدين لأن الذي أقعدهم عن الجهاد الضرر.

ومن نصب جعله استثناء من القاعدين وهو استثناء منقطع عن الأول. المعنى: لا يستوي القاعدون إلا أولي الضرر فإنهم يساوون، وحجتهم أن الأخبار تظاهرت بأن هذه الآية لما نزلت شكا ابن أم مكتوم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عجزه عن الجهاد في سبيل الله فاستثنى الله أهل الضرر من القاعدين وأنزل (غَيْرَ أُولي الضَّرَر).

ويروى عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لي: اكتب (لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ من المُؤْمِنِينَ والمُجَاهِدُون في سَبِيلِ اللَّه) فجاء عبد الله بن أم مكتوم فقال: (يا رسول الله إني أحب الجهاد في سبيل الله ولكن بي من الزَّمَانَة ما قد ترى، ذهب بصري) قال زيد: فثقلت فخذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على فخذي حتى خشيت أن ترضها، ثم سري عنه، ثم قال: اكتب (لا يَسْتَوِي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر). انظر حجة القراءات ٢١٠ ـ ٢١١.

(٤) عبد الله بن محيريز الجمحي سكن بيت المقدس وهو من التابعين الثقات، ومن خير المسلمين. التهذيب ٣٢/٦.

بمكة وتخلفوا عن الهجرة، وخرجوا مع المشركين إلى بدر، فلما رأوا قلة المؤمنين شكوا وكفروا، **فقتل بعضهم، فأخبر الله تعالى عن حالهم** فقال تعالى ﴿**قالوا فيم كنتم**﴾ يعني الملائكة تقول لهم: في أي شيء كنتم؟ ويقال: أين كنتم عن الهجرة؟ ﴿**قالوا كنا مستضعفين في الأرض**﴾ أي يقولون: كنا مقهورين في أرض مكة، لا نقدر أن نظهر الإيمان ﴿**قالوا**﴾ أي قالت الملائكة: ﴿**ألم تكن أرض الله واسعة**﴾ يعني المدينة مطمئنة آمنة. ﴿**فتهاجروا**﴾ يعني تهاجروا إليها، فقال الله تعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿**فأولئك مأواهم جهنم**﴾ أي منزلهم ومصيرهم إلى النار ﴿**وساءت مصيراً**﴾ أي بئس المصير، صاروا إليها. حدثنا أبو الفضل بن أبي حفص، قال: [حدثنا الطحاوي قال:][1] حدثنا إبراهيم بن مرزوق، قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المقري[2]، عن حيوة بن شريح[3] عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل[4]، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: إن ناساً من المسلمين مع المشركين، يكثرون سواد المشركين، يأتي السهم يرمي به، فيصيب أحدهم فيقتله، فأنزل الله تعالى: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ـ الآية[5]) ثم استثنى أهل العذر فقال: ﴿**إلا المستضعفين**﴾ أي المقهورين ﴿**من الرجال والنساء والولدان**﴾ فليس مأواهم جهنم وهم الذين ﴿**لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً**﴾ أي لا يجدون سعة الخروج عنهم إلى المدينة ولا يعرفون طريقاً إلى المدينة. ﴿**فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم**﴾ أي يتجاوز عنهم وعسى: من الله واجب ﴿**وكان الله عفواً**﴾ عنهم ﴿**غفوراً**﴾ لهم فلا يعاقبهم. فقال عبد الله ابن عباس: أنا ممن استثنى الله يومئذ، وكنت غلاماً صغيراً وكان ذلك، قبل [نسخ][6] الهجرة، ثم نسخت الهجرة بعد فتح مكة. حدثنا أبو الفضل، ابن أبي حفص، قال: حدثنا الطحاوي، قال: حدثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم قال: حدثنا عبيد الله بن موسى[7]، قال: حدثنا إبراهيم بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن الحارث[8]، عن عمرو بن شعيب[9] عن أبيه، عن جده قال: لما فتح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة خطب الناس فقال في خطبته: ولا هجرة بعد الفتح، وروى طاووس عن ابن عباس: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال يوم الفتح: إنه لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا[10] ثم قال تعالى

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾

---

(١) سقط في أ.

(٢) عبد الله بن يزيد المخزومي المدني المقري الأعور أبو عبد الرحمن مولى الأسود بن سفيان. التهذيب ٨٢/٦.

(٣) حيوه بن شريح بن صفوان بن مالك أبو زرعة المصري فقيه زاهد من الثقات. التهذيب ٦٩/٣.

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود الأسدي المدني ثقة كثير الحديث. التهذيب ٣٠٧/٩.

(٥) أخرجه البخاري ١١١/٨ في كتاب التفسير (٤٥٩٦، ٤٥٩٦، ٧٠٨٥).

(٦) سقط في أ.

(٧) عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبسي، مولاهم، الكوفي أبو محمد الحافظ. التهذيب ٥٠/٧.

(٨) عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش المخزومي أبو الحارث المدني ولد في زمان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التهذيب ١٥٦/٦.

(٩) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي. التهذيب ٤٨/٨.

(١٠) أخرجه البخاري ٣/٦ في الجهاد (٢٧٨٣)، ومسلم ٩٨٦/٢ في الحج (١٣٥٣/٤٤٥).

أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

﴿ومن يهاجر في سبيل الله﴾ يقول في طاعة الله إلى المدينة **﴿يجد في الأرض مُراغماً كثيراً﴾** يقول ملجأ ومحولاً من الكفر إلى الإيمان **﴿وسعة﴾** من الرزق. وقال القتبي: المراغم، والمهاجر واحد، ويقال: راغمت وهاجرت لأنه إذا أسلم خرج مراغماً لأهله، أي مغايظاً لهم، والمهاجر، المنقطع. وقيل للذاهب إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هجرة مراغم، لأنه إذا خرج هجر قومه. وروي عن معمر عن قتادة، قال: لما نزلت: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم. . الآية) فقال رجل من المسلمين ـ وهو مريض: والله ما لي عذر إني أجد الدليل في الطريق، وأني لموسر، فاحملوني، فحملوه، فأدركه الموت في الطريق، فقال أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو بلغ إلينا لتم أجره، وقد مات بالتنعيم[1] وجاء بنوه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخبروه بالقصة، فنزلت هذه الآية: **﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت﴾** يعني في الطريق **﴿فقد وقع أجره على الله﴾** أي ثوابه على الله الجنة **﴿وكان الله غفوراً﴾** لما كان منه في الشرك **﴿رحيماً﴾** حين قبل توبته، وكان اسمه جندع بن ضمرة. قوله تعالى: **﴿وإذا ضربتم في الأرض﴾** يعني إذا خرجتم إلى السفر **﴿فليس عليكم جناح﴾** ويقول: لا مأثم، ولا حرج عليكم **﴿أن تقصروا من الصلاة، إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾** يعني يقتلكم، والفتنة في أصل اللغة الاختبار، ثم سمى القتل فتنة، لأن معنى الاختبار كما قال: (على خوف من فرعون وملأهم أن يفتنهم) أي يقتلهم فالله تعالى، قد أباح قصر الصلاة عند الخوف، ثم صار ذلك عاماً لجميع المسافرين أن يقصروا من الصلاة، خافوا أو لم يخافوا. وروي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عليه ـ أنه سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته)[2]. ثم قال تعالى: **﴿إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً﴾** ظاهر العداوة، ومعناه، كونوا بالحذر منهم. قوله تعالى

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾

﴿وإذا كنت فيهم، فأقمت لهم الصلاة﴾ يعني بالمؤمنين ومعناه، إذا كنت بحضرة العدو، وحضرت الصلاة، **﴿فلتقم طائفة منهم﴾** أي جماعة منهم **﴿معك﴾** في الصلاة **﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾** يعني الذين يصلون معك، ويقال وليأخذوا أسلحتهم الذين هم بإزاء العدو، **﴿فإذا سجدوا﴾** يعني إذا صلوا الذين خلف الإمام ركعة واحدة

---

(١) وهو حبيب بن حمزة الليثي كما في أسباب النزول للواحدي ١٣٢.

(٢) أخرجه مسلم ١/٤٨٧ في كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة المسافرين (٤/٦٨٦).

﴿**فليكونوا من ورائكم**﴾ أي ينصرفون إلى موضع العدو ويقفون هناك، ﴿**ولتأت طائفة أُخرى، لم يصلوا**﴾ كانوا بإزاء العدو ﴿**فليصلوا معك**﴾ ركعة أُخرى، ولم يذكر في الآية لكل طائفة إلا ركعة واحدة، ولكن [ذكر][1] في الخبر عن عبد الله ابن عمر[2]، وغيره أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين صلى صلاة الخوف، صلى بالطائفة الاولى ركعة، وبالطائفة الأُخرى ركعة كما ذكر في الآية، ثم جاءت الطائفة الاولى، وذهبت هذه الطائفة إلى موضع العدو، حتى قضت الطائفة الاولى الركعة الأُخرى، وسلموا، ثم جاءت الطائفة الأُخرى وقضوا الركعة الاولى، وسلموا، حتى صارت لكل طائفة ركعتان، وهذا اختيار أصحابنا في صلاة الخوف، ثم قال تعالى: ﴿**وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا**﴾ يقول: تمنى الذين كفروا ﴿**لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم**﴾ يعني أمتعة الحرب ﴿**فيميلون عليكم ميلة واحدة**﴾ يعني يحملون عليكم حملة واحدة، وإنما حذرهم لكي يكونوا بالحذر منهم. ثم قال تعالى: ﴿**ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر، أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم**﴾ وذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان في غزوة أنمار[3]، فهزمهم، وسبى ذريتهم، فلما رجعوا أصابهم المطر، فنزلوا وادياً تحت الأشجار، فوضع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سلاحه، وذهب إلى الجانب الآخر من الوادي وحده فجاء السيل، فحال بينه وبين أصحابه، وكان بعض المشركين على ذلك الجبل، فرآه حين حال السيل بينه وبين أصحابه فجاءه واحد منهم يقال: له حويرث بن الحارث وقال: أنا أقتله، فأتاه، وقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال: الله عز وجل، فسل سيفه، وأراد أن يضربه، فدفع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكافر في صدره دفعة، فسقط السيف من يده، فوثب عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخذ سيفه، وقال: من يخلصك مني؟ فقال: لا أحد، فقال له: إن أسلمت حتى أرد عليك سيفك، فقال: لا أسلم، ولكن أعاهد الله تعالى ألا أكون لك ولا عليك أبداً، فرد عليه سيفه، فقال الرجل: يامحمد، أنت خير مني لأنك قدرت على قتلي، فلم تقتلني، فرجع الكافر إلى أصحابه فأخبرهم بالقصة، فآمن بعضهم، ثم انقطع السيل وجاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أصحابه وأخبرهم بالقصة، وقرأ عليهم هذه الآية ﴿**ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر، أو كنتم مرضى**﴾ أي أصابتكم الجراحات، ﴿**أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم**﴾ من العدو يعني كونوا بالحذر منهم. وقال الضحاك: ﴿**وخذوا حذركم**﴾ أي تقلدوا سيوفكم، فإنما ذلك هيبة الغزاة[4]. ثم قال تعالى: ﴿**إن الله أعد للكافرين**﴾ في الآخرة ﴿**عذاباً مهيناً**﴾ يهانون فيه. ثم قال عز وجل

فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟

---

(١) في ظ وروي.

(٢) انظر صلاة الخوف من طريق ابن عمر في صحيح البخاري ٢/٤٢٩ في كتاب الخوف باب صلاة الخوف (٩٤٢).

(٣) قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح ٧/٤٩٤ في كتاب المغازي باب غزوة أنمار، تابع حديث (٤١٤٠) ولم يذكر أهل المغازي، غزوة أنمار وذكر مغلطاي أنها غزوة أمر بفتح الهمزة وكسر الميم. فقد ذكر ابن إسحاق أنها كانت في صفر وعند ابن سعد: قدم قادم بجلب فأخبر أن أنمار وثعلبة قد جمعوا له فخرج لعشر خلون من المحرم فأتى محلهم بذات الرقاع، وقيل إن غزوة أنمار وقعت في أثناء غزوة بني المصطلق، لما روى أبو الزبير عن جابر: أرسلني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو منطلق إلى بني المصطلق فأتيته وهو يصلي على بعيره الحديث، ويؤيده رواية الليثي عن القاسم عن محمد أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى في غزوة بني أنمار صلاة الخوف ويحتمل أن رواية جابر لصلاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعددت.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٥/٢٣٩.

ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

﴿**فإذا قضيتم الصلاة**﴾ قال بعضهم: فإذا فرغتم من الصلاة، ﴿**فاذكروا الله**﴾ بالقلب واللسان على أي حال كنتم ﴿**قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم**﴾ إن لم تستطيعوا القيام، ويقال: فإذا قضيم الصلاة، أي إذا صليتم في دار الحرب، فصلوا على الدواب، أو قياماً، أو قعوداً، أو على جنوبكم، إن لم تستطيعوا القيام، إذا كان خوفاً، أو مرضاً، وهذا كما قال في آية أُخرى: (فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً). يقال: (فإذا قضيتم الصلاة) أي فرغتم من صلاة الخوف. ﴿**فاذكروا الله**﴾ أي فصلوا لله، وصلاة الصحيح قياماً، والمريض قاعداً، أو على جنوبكم إن كان المرض أشد من ذلك. ثم قال تعالى: ﴿**فإذا اطمأننتم**﴾ يقول: أمنتم، ورجعتم إلى منازلكم، ﴿**فأقيموا الصلاة**﴾ يعني: فأتموا الصلاة أربعاً، وهذا كقوله: (يمشون مطمئنين) أي مطمئنين. ثم قال ﴿**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً**﴾ يعني فرضاً مفروضاً، معلوماً للمسافر ركعتان، وللمقيم أربع، وقال مقاتل: ﴿**كتاباً موقوتاً**﴾ يعني فريضة معلومة، كقوله: (كتب عليكم) أي فرض عليكم. وقال الزجاج: ﴿**كتاباً موقوتاً**﴾ أي مفروضاً موقتاً فرضه. قوله تعالى: ﴿**ولا تهنوا في ابتغاء القوم**﴾ يقول: لا تضعفوا في ابتغاء القوم، أي في طلب المشركين أبي سفيان وأصحابه بعد يوم أُحد، وذلك أن المسلمين، لما أصابتهم الجراحات يوم أُحد، وكانوا يضعفون عن الخروج إلى الجهاد، فأمرهم الله تعالى بأن يظهروا من أنفسهم الجد والقوة، وهذا الخطاب لهم ولجميع المسلمين الغزاة إلى يوم القيامة، قوله: ﴿**إن تكونوا تألمون**﴾. قال عكرمة: الألم: الوجع، وكذلك قال الضحاك والسدي:[1] إن أصابكم الوجع والجراحات في الحرب ﴿**فإنهم يألمون كما تألمون**﴾ أي، يصيبهم الوجع مثل ما يصيبكم، ولكم زيادة ليست للمشركين وذلك قوله تعالى: ﴿**وترجون من الله ما لا يرجون**﴾ يعني الثواب في الآخرة ﴿**وكان الله عليماً**﴾ بما كان ﴿**حكيماً**﴾ بما يكون. ثم قال:

إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾

﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق**﴾ يعني أنزلنا عليك جبريل عليه السلام ليقرأ عليك القرآن بالعدل، والأمر

---

(١) انظر تفسير الطبري (السدي) (١٠٤٠١) والضحاك (١٠٤٠٨).

والنهي ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ أي بما أعلمك الله، وألهمك، وبما أوحى إليك، ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ ولا تكن للسارقين معيناً. وروى محمد بن إسحق[١]، عن عاصم بن عمر[٢]، عن جدّه قتادة بن النعمان[٣] قال: كان بنو أبيرق، وكانوا ثلاثة[٤] بشر، وبشير، ومبشر، فكان بشر يكنى، أبا طعمة، وكان شاعراً، وكان منافقاً، وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم يقول: قال فلان، وكان لعمي رفاعة[٥] بن زيد عليه فيها طعام، وسلاح، فطرقه بشر من الليل، فأخذ ما فيها من الطعام والسلاح، فلما أصبح عمي دعاني وقال له: إنه أغير علينا الليلة، فقلت: من فعله؟ فقال: بشير وأخوه فجئت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته أن بشيراً قد سرق من عمي الطعام والسلاح، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، وأما السلاح فليردوه علينا، فجاء قومه، وكانوا أهل لسان وبيان فقالوا: إن رفاعة وابن أخيه عمدوا إلى أهل بيت منا يتهمونهم بالسرقة، فوقع قولهم عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ موقعاً، فبين الله خيانتهم فنزل[٦]: ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ وهو ابن طعمة، وقال الضحاك سرق طعمة بن أبيرق اليهودي درعاً للزبير بن العوام، فاختصما إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال للزبير: لا بد لك من أن تأتي على ذلك بحجة قيمة، وشهادة صحيحة فأنزل الله تعالى تصديقاً لقوله ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾، وقال مقاتل[٧]: سرق طعمة بن أبيرق المنافق درعاً من يهودي فلما جاءوا إلى بيته بالأثر رمى الدرع في دار رجل من الأنصار، وأنكر فجاء قومه ليبرؤه من السرقة، فنزلت هذه الآية، وقال الكلبي: سرق طعمة بن أبيرق درعاً من جار له يقال له: قتادة بن النعمان، فوضعه عند رجل من اليهود يقال له: زيد بن السمين، وأنكر السرقة، فجاء قومه يخاصمون عنه، فنزلت هذه الآية: ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾[٨]. قوله تعالى: ﴿واستغفر الله﴾ عن جدالك، عن طعمة حين جادلت عنه، ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾. ثم قال تعالى: ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾ يقول: ولا تخاصم عن الذين يضرون أنفسهم بالسرقة ﴿إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً﴾ أي خائناً بالسرقة، فاجراً برميه على غيره. ثم قال تعالى: ﴿يستخفون من الناس﴾. قال الضحاك: لما سرق الدرع اتخذ حفرة في بيته، وجعل الدرع تحت التراب فنزل: يستخفون من الناس بالتراب ﴿ولا يستخفون من الله﴾ يقول: لايخفى مكان الدرع على الله ﴿وهو معهم﴾ أي رقيب، حفيظ عليهم. ويقال: يستخفون: يعني يستترون من الناس، وهم قوم طعمة ولا يستخفون من الله، يقال: ولا يقدرون أن يستتروا من الله (وهو معهم) يعني عالماً بهم وبخيانتهم. ﴿إذ يبيتون﴾ يقول إذ يؤلفون، ويغيرون ﴿ما لا يرضى من القول﴾ يقول: ما لا يرضوا لأنفسهم من القول، وهم سرقوا، ويقال: ما لا يرضي الله ولا يحبه، ثم قال: ﴿وكان الله بما يعملون محيطا﴾ أي عالماً بهم وبخيانتهم. ثم أقبل على قوم طعمة فقال: ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ يقول: ها أنتم هؤلاء

---

(١) محمد بن إسحاق بن يسار المدني من أعلام التابعين من أحفظ الناس، التهذيب ٩/٣٨.

(٢) عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري توفي سنة ١٢٠ هـ. التهذيب ٥/٥٤.

(٣) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الصحابي المشهور، الإصابة ٥/٢٢٩.

(٤) بشر بن الحارث بن عمرو بن الحارثة الأنصاري الظفري كان منافقاً يهجو الصحابة ثم سرق الدرع ثم ارتد. الإصابة ١/١٥٥.

(٥) رفاعة بن زيد بن عامر بن سوار الأنصاري الظفري عم قتادة. الإصابة /٤/٢٠٩.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٩/١٧٧ (١٠٤١١) وأخرجه الترمذي ٥/٢٢٨ في كتاب التفسير (٣٠٣٦) وقال حديث غريب لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحراني. وروى يونس بن بكير وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً ولم يذكروا فيه عن أبيه عن جده، وقتادة هو أخو أبي سعيد الخدري لأمه وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٣٨٥ وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ٢/٢١٤، ٢١٥ لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٧) انظر التفسير ١/٢٦٦.

(٨) انظر أسباب النزول ١٣٤.

﴿جادلتم﴾ أي خاصمتم ﴿عنهم في الحياة الدنيا، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ يقول: فمن يخاصم الله عنهم يوم القيامة. ﴿أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ أي، كفيلاً، ويقال: خصيماً.

وقال الضحاك[1]: أراد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقيم الحد على طعمة بن أبيرق وكان طعمة مطاعاً في اليهود، فجاءت اليهود شاكين في السلاح، وهربوا بطعمة وجادلوا عنه فنزل ها أنتم هؤلاء، يعني اليهود... الآية، ثم قال:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه﴾ قال الضحاك: نزلت الآية في شأن وحشي قاتل حمزة ـ رضي الله عنه ـ أشرك بالله وقتل[2] ثم جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: إني لنادم، فهل لي من توبة؟ فنزل: (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) ﴿ثم يستغفر الله﴾ الآية، وقال الكلبي: نزلت في شأن طعمة (ومن يعمل سوءاً) بسرقة الدرع، أو يظلم نفسه برميه غيره، وجحوده، ثم يستغفر الله أي يتوب إلى الله ﴿يجد الله غفوراً﴾ متجاوزاً ﴿رحيماً﴾ لمن اتقى الشرك. وروي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت إذا سمعت حديثاً من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفعني الله به ما شاء، وإذا سمعته من غيره حلفته[3]. وحدثني أبو بكر الصديق، وصدق أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قال ما من عبد يذنب ذنباً ثم يتوضأ، ويصلي ركعتين، ويستغفر الله تعالى إلا غفر الله له[4]، وتلا هذه الآية: ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه... الآية) ثم قال تعالى: ﴿ومن يكسب إثماً﴾ يعني الشرك بالله تعالى ﴿فإنما يكسبه على نفسه﴾ أي يضر بنفسه، ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾ ثم قال: ﴿ومن يكسب خطيئة، أو إثماً﴾ يعني عمل بالمعصية ﴿ثم يرم به بريئاً﴾ قال مقاتل: وهو طعمة حين رمى بالدرع في دار الأنصاري، واتهمه به، وهو قوله: ثم يرم به بريئاً، وقال الضحاك: يعني به المنافقين، حيث قالوا في عائشة ـ رضي الله عنها ـ قولاً عظيماً فقال: ومن يكسب خطيئة، أو إثماً بالمعاصي، ثم يرم به بريئاً يعني عائشة وصفوان ثم قال تعالى: ﴿فقد احتمل بهتاناً﴾يقول: فقد قال: كذباً، ﴿وإثماً مبيناً﴾ ذنباً ظاهراً. قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته﴾ يعني فضل الله عليك بالنبوة، ورحمته بالوحي ﴿لهمت طائفة منهم﴾ أي جماعة ﴿أن يضلوك﴾ أي يخطئون في الحكم ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ أي وما يرجع وبال ذلك إلا على أنفسهم ﴿وما يضرونك من شيء﴾ وإنما

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٥/٢٤١.
(٢) انظر تفسير القرطبي ٥/٢٤٣ ـ ٢٤٤.
(٣) انظر تفسير القرطبي ٥/٢٤٤.
(٤) أخرجه الترمذي (٤٠٦، ٣٠٠٦)، وابن ماجه (١٣٩٥) أخرجه أحمد في المسند ١/٢، والدارمي في السنن ١/٣٨٥. وأخرجه ابن السني في اليوم والليلة (٣٥٣)، وأخرجه ابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد ص ٦٠٨ باب فيمن أذنب ثم صلى واستغفر (٢٤٥٤) والحديث في كنز العمال (١٠٢٧٧) وانظر تفسير ابن كثير ٢/١٣.

يضرون بأنفسهم. قال الضحاك: نزلت الآية في وفد ثقيف، قدموا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالوا: جئناك، لنبايعك على أن لا تكسر أصنامنا، ولا تعشرنا، فلم يجبهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزلت: لهمت طائفة منهم أن يضلوك، وقال الكلبي: يعني قوم طعمة[1]. ثم قال: ﴿**وأنزل الله عليك الكتاب**﴾ يعني القرآن ﴿**والحكمة**﴾ يعني القرآن والحكمة ـ يعين القضاء والمواعظ ﴿**وعلمك**﴾ بالوحي ﴿**ما لم تكن تعلم**﴾ قبل الوحي ﴿**وكان فضل الله عليك عظيماً**﴾ بالنبوة. ثم قال:

لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

﴿**لا خير في كثير من نجواهم**﴾ وهو ما يتناجون فيما بينهم ويقال: في كثير من أحاديثهم، وهم وفد ثقيف، أو قوم طعمة. ﴿**إلا من أمر بصدقه**﴾ يقول: إلا نجوى من أمر بصدقة ﴿**أو معروف**﴾ يعني لقرض، كقوله: (فليأكل بالمعروف) ويقال: المعروف، يعني القول بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿**أو إصلاح بين الناس**﴾ يعني يذهب فيما بين اثنين ليصلح بينهما ﴿**ومن يفعل ذلك**﴾ الذي ذكرنا ﴿**ابتغاء**﴾ يعني طلباً ﴿**مرضات الله فسوف نؤتيه**﴾ يعني في الآخرة ﴿**أجراً عظيماً**﴾ قرأ حمزة وأبو عمرو:[2] (نؤتيه) بالياء، أي يؤتيه الله تعالى وقرأ الباقون: (نؤتيه) بالنون، أي نحن نعطيه في الآخرة أجراً عظيماً، أي ثواباً عظيماً، قوله تعالى: ﴿**ومن يشاقق الرسول**﴾ يعني يخالفه في التوحيد ﴿**من بعد ما تبين لهم الهدى**﴾ أي من بعد ما تبين لهم التوحيد ﴿**ويتبع غير سبيل المؤمنين**﴾ أي يتبع ديناً غير دين المؤمنين، ويقال: يتبع طريقاً أو مذهباً غير طريق المؤمنين، وفي الآية دليل: أن الإجماع حجة[3]، لأن من

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ٦٤.

(٢) وحجتهما أنه قرب من ذكر الله وهو قوله (مرضاة الله) فجعلا الفعل بعده على لفظ ما تقدمه ليأتلف نظام الكلام على سياق واحد وحجة من قرأ بالنون قوله تعالى ﴿**ومَنْ يُقَاتِلْ في سَبيل اللَّهِ فَيُقْتَلْ أو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيه أجراً عَظِيماً**﴾ فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه.

انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢١١ ـ ٢١٢ وانظر سراج القاري ١٩٤.

(٣) والإجماع في اللغة يطلق على العزم والاتفاق. انظر القاموس ص ١٥/٣ والمصباح المنير ١٧١/١ وشرعاً اتفاق مجتهدي أمة الإجابة في عصر من العصور على أمر من أمور الشرع بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

انظر المستصفى ١١٠/١، الإحكام للآمدي ٢٨٠/٢، المعتمد ٤٥٧/٢ فواتح الرحموت ٢١٧/٢، كشف الأسرار ٢٢٧/٣، تيسير التحرير ٢٢٤/٣ واختلف العلماء في حجية الإجماع ووجوب العمل به على مذهبين:

أحدهما: ـ وهو مذهب الجمهور ـ أنه حجة ويجب العمل بمقتضاه.

ثانيهما: ـ وهو مذهب النظام والخوارج والشيعة ـ ليس بحجة، وهو قول مردود عليهم..

اختلفوا في أن الإجماع من الأمم السالفة غير أمة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان حجة على القولين حكاهما الأستاذ أبو إسحاق وغيره وأصحهما أن الإجماع من خصائص هذه الأمة.

قال سليم الرازي في التقريب: لأنا حكمنا بأن الإجماع حجة بالشرع لا بالعقل وقد خص الشرع إجماع المسلمين بالحجة دون =

خالف الإجماع، فقد خالف سبيل المؤمنين، وقال الضحاك: قدم نفر من قريش المدينة وأسلموا، ثم انقلبوا إلى مكة مرتدين، فنزلت هذه الآية:[1] ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾ أي دين الإسلام، ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ المسلمين ﴿نوله ما تولى﴾ نكله إلى الأصنام يوم القيامة، وهم لا يملكون لهم ضراً، ولا نفعاً، ولا ينجوهم من عذاب الله تعالى، وقال مقاتل: (نوله ما تولى) أي نتركه وما اختار لنفسه، وقال الكلبي: (نوله ما تولى) يعني نوله في الآخرة ما تولى في الدنيا، وهذا كما قال بعض الحكماء: من أراد أن يعلم كيف يعامل معه في الآخرة فلينظر، كيف يعامل هو في الدنيا، وقال الكلبي: نزلت الآية في شأن طعمة، لما ظهر حاله وسرقته، هرب إلى مكة، وارتد، فنقب بمكة حائطاً لرجل، فسقط حجر، فبقي في النقب حتى وجدوه على حاله، فأخرجوه من مكة، فخرج إلى الشام، فسرق بعض أموال القافلة، فرجموه، وقتلوه، فنزل قوله:[2] ﴿نوله ما تولى﴾ ﴿ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾. قرأ حمزة وعاصم، وأبو عمرو:[3] (نوله، ونصله) بجزم الهاء وقرأ الباقون: بالكسر، وهما لغتان، ثم قال تعالى:

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ

= غيرهم، وصحح الأستاذ أن إجماع كل أمة حجة ولم يزل ذلك في الملل وتوقف القاضي في المسألة، وقال إمام الحرمين: إن كان مستندهم قطعياً فحجة، أو مظنون فالوقف.

قلت: قد رد الشافعي في الأم قول من ادعى في مناظرته أن أهل العلم إذا أجمعوا على شيء كان دليلاً على إجماع من مضى قبلهم، قال الشافعي: قلت له: أرأيت قولك: إجماعهم يدل على إجماع من قبلهم أترى الاستدلال بالتوهم أولى بدونهم أم بخبرهم؟ قال: بل بخبرهم قلت: فإن قالوا لك فما قلنا به مجتمعين ومفترقين ما قلنا الخير فيه فالذي يثبت مثله عندنا عمن قلنا إنهم مختلفون فيه وبما قلنا به ما ليس فيه خبر عمن قبلنا. شرع لنا أولا؟

فإن قلنا: إنه شرع لنا وثبت أن الإجماع حجة كان إجماعهم في حقنا حجة وإلا فلا (٨١ ق).

الثاني: أن الإجماع في أمة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هل يشبه بالسمع أو بالعقل؟ والصحيح عند الأكثرين منهم القاضي أبو بكر وغيره أنه ثبت بالسمع.

فإن قلنا: بالسمع لم يكن حجة إذا لم تتم الحجة إلا بإجماعنا وإن قلنا بالعقل وهو اختيار إمام الحرمين وغيره ثبت.

وقد صرح بهذا البناء المذكور الشيخ أبو محمد الجويني في كتاب المحيط بمذهب الشافعي كما نقلته من خط ابن الصلاح. ورأيت في التقريب في أصول الفقه لسليم الرازي حكاية قول آخر أن الشرع والنقل دلا عليه. انظر سلاسل الذهب ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(١) انظر تفسير القرطبي ٥/٢٤٧. (٢) انظر تفسير القرطبي ٥/٢٤٧.

(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢١٢، وقول المصنف رحمه الله وعاصم أي بجزم الهاء: ليس بسديد، وإنما إسكان الهاء من رواية شعبة فقط، وأما حفص عن عاصم بمد الهاء.

وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ قال الضحاك: وذلك أن شيخاً من الأعراب جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله، إني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا، إلا أني لم أشرك بالله شيئاً مذ عرفته وآمنت به، ولم أتخذ من دونه ولياً، ولم أواقع المعاصي جرأة على الله، ولا مكابرة له، وإني لنادم، وتائب مستغفر، فما حالي عند الله، فأنزل الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به)، ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ويقال: نزل في شأن وحشي وقد ذكرناه من قبل. ﴿ومن يشرك بالله﴾ أي من يعبد غير الله ﴿فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ يعني فقد ضل عن الهدى ضلالاً بعيداً عن الحق. ثم قال تعالى، في ذم الكفار وبين جهلهم فقال: ﴿إن يدعون من دونه إلا أناثاً﴾ يقول: ما يعبدون من دون الله إلا أصناماً أمواتاً، وهذا قول ابن العباس[1]، وعن الحسن أنه قال: الإناث الشيء الميت الذي ليس فيه روح[2]، وقال السدي: سموها إناثاً اللات، والعزى، ومناة[3]. ثم قال تعالى: ﴿وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً﴾ وذلك أن الشيطان كان يدخل في الصنم، ويكلمهم، وهم يعبدون الصنم، وفيه الشيطان، ويقال: إبليس زين لهم عبادة الأصنام، وإذا عبدوا بإذنه فكأنهم عبدوا الشيطان، ثم قال: مريداً: أي مارداً، مثل قدير، وقادر، والمارد: العاتي ويقال: كل فاسد مفسد يكون مريداً أي يكون فاسداً لنفسه ويفسد غيره، ثم قال تعالى: ﴿لعنه الله﴾ يعني طرده الله من رحمته، وهو إبليس حيث لم يسجد لآدم، فلما لعنه ﴿وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً﴾ أي حظاً معلوماً، قال مقاتل: يعني من كل ألف واحد في الجنة، وسائرهم في النار، فهذا نصيب مفروض، ثم قال: ﴿ولأضلنهم﴾ يعني عن الهدى والحق ﴿ولأمنينهم﴾ يعني لأخبرنهم بالباطل، أنه لا جنة ولا نار، ولا بعث ﴿ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ وهي البحيرة، وذلك أن أهل الجاهلية، كانوا يشقون آذان الأنعام ويسمونها بحيرة، وذكر قصتهم في سورة المائدة. ثم قال: ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ قال عكرمة: هو الخصاء[4]، وهكذا روي عن ابن عباس، وأنس بن مالك[5] وروي عن سعيد بن جبير قال: هو دين الله، وهكذا قال الضحاك ومجاهد[6]، وقيل لمجاهد أن عكرمة يقول: هو الخصاء، فقاله: ماله، لعنه الله[7] وهو يعلم أنه غير الخصاء، فبلغ ذلك عكرمة فقال: هو فطرة الله. وقال الزجاج: إن الله تعالى خلق الأنعام ليركبوها، فحرموها على أنفسهم وخلق الشمس والقمر والحجارة، مسخرة للناس، فجعلوها آلهة يعبدونها فقد غيروا خلق الله عز وجل، ﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً﴾ أي يعبد الشيطان ويطيعه ﴿من دون الله﴾، يعني ترك أمر الله تعالى وطاعته ﴿فقد خسر خسراناً مبيناً﴾ أي ضل ضلالاً مبيناً بيناً عن الحق. ثم قال تعالى: ﴿يعدهم﴾ يعني الشيطان يخوفهم بالفقر، حتى لا يصلوا رحماً، ولا ينفقوا في خير ﴿ويمنيهم﴾ أي يخبرهم بالباطل، أنه لا ثواب لهم في ذلك العمل ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ أي باطلاً. قوله تعالى: ﴿أولئك مأواهم جهنم﴾ يعني الذين يطيعون الشيطان مصيرهم إلى جهنم ﴿ولا يجدون عنها محيصاً﴾ أي مفراً ومهرباً. قوله تعالى:

---

(١) انظر التفسير ٦٥. (٢) انظر تفسير الطبري ٩/٢٠٨.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير ٧/٢٠٧ (١٠٤٣٢) وانظر تفسير البغوي ١/٤٨١.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ٨/٢١٦ (١٠٤٥٤) (١٠٤٥٥)، وانظر في تفسير البغوي ١/٤٨٢.

(٥) انظر تفسير الطبري ٩/٢١٥ (١٠٤٤٨) (١٠٤٥٠) (١٠٤٥١).

(٦) أخرجه الطبري في التفسير ٩/٢١٧ (١٠٤٧٢) (١٠٤٧٣) (١٠٤٧٤) (١٠٤٧٤) (١٠٤٧٥) (١٠٤٧٩) (١٠٤٨٢).

(٧) أخرجه الطبري في التفسير ٩/٢١٦ (١٠٤٥٥).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾

﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ أي صدقوا بالله تعالى والرسول، والقرآن وأدوا الفرائض وانتهوا عن المحارم ﴿**سندخلهم جنات**﴾ وهي البساتين ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾ وهي أربعة أنهار: نهر من ماء غير آسن، ونهر من لبن، ونهر من خمر، ونهر من عسل مصفى، ﴿**خالدين فيها أبداً**﴾ يعني مطمئنين فيها لا يتغير بهم الحال، فهذا وعد من الله تعالى، ثم قال: ﴿**وعد الله حقاً**﴾ أي صدقاً، وكائناً، أنجز لهم ما وعد لهم من الجنة ﴿**ومن أصدق من الله قيلا**﴾ أي قولاً ووعداً. قوله تعالى: ﴿**ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب**﴾ وذلك أن أهل الكتاب قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقال المؤمنون: إنا أسلمنا لا تضرنا الذنوب، فنزل: ﴿**ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب**﴾ يقول ليس لكم يا معشر المسلمين ما تمنيتم، ولا أهل الكتاب ما تمنوا ﴿**من يعمل سوءاً يجز به**﴾ أي من يعمل معصية دون الشرك يعاقب به. وقال الزجاج: معناه، ليس ثواب الله بأمانيكم، ولا أماني أهل الكتاب، وقد جرى ما يدل على إضمار الثواب، وهو قوله: ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ أي إنما يدخل الجنة من آمن وعمل صالحاً ليس كما تمنيتم ﴿**ومن يعمل سوءاً يُجْزَ به**﴾ أي لا ينفعه تمنيه. ويقال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**من يعمل سوءاً يجز به**﴾ شق ذلك على المسلمين، وقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ كيف الفلاح بعد هذه الآية يا رسول الله فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألست تمرض؟ ألست تصيبك اللأواء؟ أي الشدة، فذلك كذ- جزاؤه.

حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا العباسي، قال: حدثنا الحسن بن صباح[1] قال: حدثنا عبد الوهاب الخفاف[2] عن زياد[3] عن علي بن زيد[4]، عن مجاهد قال: مر ابن عمر على ابن الزبير، وهو مصلوب، فنظر إليه، فقال يغفر الله لك ثلاثة، والله ما علمتك إلا كنت صواماً قواماً، وصالاً للرحم، أما والله، إني لأرجو مع مساوىء ما أصبت أن لا يعذبك الله بعدها أبداً، ثم التفت فقال ـ سمعت أبا بكر الصديق يقول: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من يعمل سوءاً يجزبه في الدنيا)[5]. وروى محمد بن قيس عن أبي هريرة قال: لما نزلت (من يعمل سوءاً يجزبه) شق ذلك على المسلمين، فشكوا ذلك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال:

---

(١) الحسن بن محمد الصباح الزعفراني أبو علي البغدادي، كان أحد الثقات توفى سنة ٢٥٩ هـ. التهذيب ٣١٨/٢.

(٢) عبد الوهاب بن عطاء الخفاف أبو نصر العجلي، مولاهم، البصري توفي سنة ٢٠٤ هـ. التهذيب ٤٥٢/٦.

(٣) زياد بن أبي زياد الجصاص، أبو محمد الواسطي، بصري الأصل قال النسائي: ليس بثقة وقال الدارقطني: متروك وذكره ابن حبان في الثقات وقال: ربما وهم. التهذيب ٣٦٨/٣.

(٤) على بن زيد بن عبد الله بن جدعان أبو الحسن. البصري، ثقة سيء الحفظ توفي سنة ١٢٩ هـ. التهذيب ٣٢٢/٧.

(٥) أخرجه الطبري في التفسير ٢٤١/٩ (١٠٥٢٢)، وأخرجه أحمد في المسند ٢٣، وقال الشيخ شاكر إسناده ضعيف، وذكره ابن كثير في التفسير ٣٧٠/٢ عن أبي بكر بن مردويه عن محمد بن هشام، بن جهيمة عن يحيى بن أبي طالب عن عبد الوهاب بن عطاء ثم قال: ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن الفضل بن سهل بن عبد الوهاب بن عطاء به مختصراً ذكره، وزاد نسبته السيوطي في الدر ٢٦٦/٢. للخطيب في المتفق والمفترق.

قاربوا وسددوا فكل ما يصيب المؤمن كفارة، حتى الشوكة تشاكه، والنكبة تنكبه[1] وقال الضحاك: السوء الكفر، وقال مجاهد: قالت قريش: لن نبعث، ولن نعذب، فنزلت ﴿ليس بأمانيكم﴾ أي أماني كفار قريش، ولا أماني أهل الكتاب، ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ أي يعاقب عليه. ثم قال تعالى: ﴿ولا يجد له من دون الله ولياً﴾ يعني الكافر، لا يجد لنفسه ﴿من دون الله﴾ أي من عذاب الله ولياً يمنعه ﴿ولا نصيراً﴾ ينفعه ويمنعه من العذاب. ثم قال تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ يعني يؤدي الفرائض، وينتهي عن المحارم ﴿من ذكر أو أنثى﴾ أي من رجل أو امرأة ﴿وهو مؤمن﴾ أي مصدق بالثواب والعقاب ﴿فأولئك يدخلون الجنة﴾ لا شك فيها ﴿ولا يظلمون﴾ أي لا ينقصون من ثواب أعمالهم ﴿نقيراً﴾ وهي النقرة التي تكون على ظهر النواة. قرأ أبو عمرو، وابن كثير[2]: (فأولئك يدخلون الجنة) بضم الياء، ونصب الخاء على معنى فعل ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون بنصب الياء وضم الخاء، أي يدخلون الجنة بأعمالهم ثم فضل دين الإسلام على سائر الأديان، فقال تعالى:

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه﴾ أي أخلص دينه ﴿لله وهو محسن﴾ في عمله. ويقال: وهو موحد ﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾ أي مستقيماً، ويقال: مائلاً إلى دين الإسلام، ثم قال تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ وذلك أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان يوسع على الضعفاء الطعام، واحتاج في بعض الأوقات إلى الطعام، فبعث غلمانه مع الجمال إلى خليل له بمصر، ليقرضه شيئاً من الطعام فيرد عليه إذا أدرك إنـزاله، فلما انتهوا إليه، قال: إني أخاف أن أحتاج قبل إدراك الإنزال، فلم يدفع إليهم، ورجعوا، فاستحيى الغلامان أن يدخلوا في قرية إبراهيم والناس ينظرون إليهم، وليس معهم شيء، فجعلوا الرحل في الجواليق، وحملوا على الجمال، وجاءوا إلى منزل إبراهيم ـ عليه السلام ـ وألقوا الأحمال، وتفرقوا وجاء واحد منهم، وأخبر إبراهيم بالقصة، فاغتم لذلك، ودخل البيت ونام، فخرجت جواريه، ونظرن إلى الأحمال، فإذا الجواليق دقيق، ففرعن منها، وجعلن يخبزن خبزاً، حتى إذا استيقظ إبراهيم ـ عليه السلام ـ وخرج وقال: من أين هذا الدقيق؟ فقلن من عند خليلك المصري، فقال إبراهيم: ليس هذا من عند خليلي المصري، ولكن من عند خليل السماء، فاتخذه الله تعالى خليلاً بذلك. ويقال: لما دخلت عليه الملائكة في شبه الآدميين، وجاءهم بعجل سمين، فلم يأكلوا منه، وقالوا إنا لا نأكل شيئاً بغير ثمن، فقال لهم: أعطوني ثمنه وكلوه، قالوا: وما ثمنه، قال: أن تقولوا في أوله بسم الله وفي آخره الحمد لله،

---

(١) أخرجه مسلم ٤/١٩٩٣ في كتاب البر والصلة باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض.. (٢٥٧٤) وقوله (النكبة تنكبه) هي مثل العثرة يعثرها برجله وربما جرحت إصبعه. وأصل النكب النكبة والقلب والحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/٢٤٨ ـ والترمذي (٣٠٣٨).

(٢) وشعبة أيضاً وانظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢١٢ ـ ٢١٣ سراج القاري ١٩٤، شرح شعلة ٣٤٣.

فقالوا فيما بينهم: حقاً على الله أن يتخذه خليلاً فاتخذه الله خليلاً. ويقال: إنه أضاف رؤساء الكفار، وأهدى لهم هدايا وأحسن إليهم، فقالوا له: ما حاجتك؟ فقال: حاجتي أن تسجدوا لله سجدة، فسجدوا، فدعا الله تعالى، وقال: أللهم إني قد فعلت ما أمكنني، فافعل أنت، ما أنت أهل لذلك، فوفقهم الله تعالى للإسلام فاتخذه الله خليلاً لذلك. وروي جابر عن عبد الله، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: إتخذ الله إبراهيم خليلاً، لإطعامه الطعام، وإفشائه السلام، وصلاته بالليل والناس نيام[1]. ثم قال: عز وجل: ﴿**ولله ما في السموات وما في الأرض**﴾ كلهم عبيده، وفي ملكه وحكمه نافذ فيهم ﴿**وكان الله بكل شيء محيطاً**﴾ أحاط علمه بكل شيء قوله تعالى: ﴿**ويستفتونك في النساء**﴾ أي يسألونك عن ميراث النساء، نزلت في أم كجة التي ذكرنا في أول السورة ﴿**قل الله يفتيكم فيهن**﴾ أي يبين لكم ما لهن من الميراث ﴿**وما يتلى عليكم في الكتاب**﴾ أي وكتاب الله يفتيكم بذلك، ﴿**في يتامى النساء**﴾ يعني في ميراث يتامى النساء ﴿**اللاتي تؤتونهن**﴾ لا تعطونهن ﴿**ما كتب لهن**﴾ أي ما فرض لهن من الميراث ﴿**وترغبون**﴾ أي وتزهدون ﴿**أن تنكحوهن**﴾ لدمامتهن. وروى معمر عن إبراهيم قال: كان الرجل يكون عنده اليتيمة الدميمة ولها مال، ويكره أن يزوجها من غيره، من أجل مالها، قال إبراهيم: وكان عمر يأمر الرجل إذا كانت عنده اليتيمة الدميمة، ولها مال أن يتزوجها[2]. وروى عروة عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: كانت يتيمة في حجر رجل، فأراد أن يتزوجها، ولم يكمل صداق نصابها، فأمروا بإكمال الصداق، وقال مجاهد: كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان شيئاً ويقولون: لا يغزون، ففرض الله لهم الميراث، وأمر لليتيم بالقسط، ثم قال تعالى: ﴿**والمستضعفين**﴾ يقول: يسألونك عن ميراث المستضعفين ﴿**من الولدان**﴾ ويقال: يفتيكم في المستضعفين من الولدان ﴿**وأن تقوموا لليتامى بالقسط**﴾ أي بالعدل ﴿**وما تفعلوا من خير، فإن الله كان به عليماً**﴾ يجازيكم وفي هذه الآية دليل على أن ما سوى الأب والجد إذا زوج اليتيمة جاز، وفيه أنه إذا زوج من نفسه جاز، إذا كانت غير ذي رحم محرم. قوله تعالى:

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ النِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾

﴿**وإن امرأة خافت**﴾ أي علمت ﴿**من بعلها**﴾ يعني زوجها ﴿**نشوزاً**﴾ يعني عصياناً في الأثرة ﴿**أو إعراضاً**﴾

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣٠ ـ ٢٣١ وعزاه للبيهقي في الشعب وذكره الواحدي في أسباب النزول ١٣٥ قلت والذي في الشعب ٢/١٨٥ باب في حب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. (١٤٩٤) بلفظ اتخذ الله إبراهيم خليلاً وموسى نجياً واتخذني حبيباً وقال البيهقي: ومسلمة بن علي ـ أحد رجال إسناد البيهقي ـ ضعيف عند أهل الحديث، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة ١/٣٣٣ (١٧) وضعفه.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ٩/٢٥٥ (١٠٥٤٤).

عنها، وترك محادثتها (نزلت في رافع بن خديج[1]، تزوج امرأة أشب من امرأته خوله بنت محمد بن مسلمة، وقال في رواية الكلبي: نزلت في ابنة محمد بن مسلمة وفي زوجها أسعد بن الزبير، تزوجها وهي شابة، فلما أدبرت وعلاها الكبر، تزوج عليها امرأة شابة، وآثرها عليها، وجفا بنت محمد بن مسلمة، فأتت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . فشكت إليه، فنزل ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً﴾ يعني ترك مجامعتها ﴿أو إعراضاً﴾ يعني يعرض بوجهه ويقل مجالستها ومحادثتها ﴿فلا جناح عليهما﴾ أي لا إثم على الزوج والمرأة ﴿أن يصلحا بينهما صلحاً﴾ قرأ أهل الكوفة: عاصم وحمزة والكسائي[2] ﴿أن يصلحا بينهما﴾ بضم الياء والتخفيف، وهو من الصلح، وقرأ الباقون: أن يصالحا بالألف وتشديد الصاد، لأن أصله وتصالحا [فأدغمت][3] التاء في الصاد، وأقيم التشديد مكانه. ثم قال: ﴿والصلح خير﴾ يعني الصلح خير من الفرقة، ويقال: الصلح خير من النشوز، ويقال: الصلح خير من الخصومة والخلاف. وروي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً﴾ قال: قول الرجل لامرأته أنت كبيرة وإني أريد أن أستبدل بك شابة، فقري على ولدك، ولا أقسم لك من نفسي شيئاً ورضيت بذلك، فذلك الصلح بينهما، قال: وهذا قول أبي السنابل بن بعكك[4] حين جرى بينهما هذا الصلح[5]، ثم صارت الآية عامة، في جواز الصلح الذي يجري فيما بين الناس، لقوله تعالى: (والصلح خير). ثم قال تعالى: ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ يعني، الشح حملها على أن تدع نصيبها، ويقال: شحت المرأة بنصيبها من زوجها، أن تدعه للأخرى، وشح الرجل بنصيبه من الأخرى، وقال مقاتل[6]: طمعها وحرصها يجرها إلى أن ترضى. ثم قال تعالى: ﴿وأن تحسنوا﴾ يقول: تحسنوا إليهن ﴿وتتقوا﴾ الميل والجور ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ في الإحسان والجور. قوله تعالى: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾ يقول: لن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب، بين الشابة والكبيرة ﴿ولو حرصتم﴾ أي ولو جهدتم، ولكن اعدلوا في القسمة والنفقة ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾ بالنفقة والقسمة إلى الشابة ﴿فتذروها كالمعلقة﴾ بغير قسمة، كالمسجونة لا أيم، ولا ذات بعل، وروي عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: من كان له امرأتان فمال إلى أحدهما، جاء يوم القيامة

---

(١) رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن يزيد، الأنصاري، الأوسي، مات زمن معاوية الإصابة ٢/١٨٦.

(٢) وحجتهم في ذلك أن العرب إذا جاءت مع الصلح بـ(بين) قالت: (أصلح القوم بينهم وأصلح الرجلان بينهما) قال الله عز وجل ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ وإذا لم تأت بـ(بين) قالوا: (تصالح القوم وتصالح الرجلان) ففي مجيء (بينهما) مع قوله (أن يصلحا) دليل واضح على صحة ما قلنا. وأخرى: لو كان الصواب: (يصالحا) لجاء المصدر على لفظ الفعل فقيل: (تصالحا) لا صلحاً فلما جيء بالمصدر على غير بناء الفعل دل على ذلك أنه صدر على غير هذا اللفظ.

وقرأ الباقون: (يَصَّالَحَا) بفتح الياء وتشديد الصاد وفتح اللام أي: (يتصالحا) فأدغموا التاء في الصاد لقرب مخرجهما، وحجتهم: أن المعروف من كلام العرب إذا كان/ بين اثنين مشاجرة أن يقولوا: (تصالح القوم فهم يتصالحون) ولا يكادون يقولون (أصلح القوم فهم مصلحون)، وأخرى: أنه لو كان الوجه: (أن ـ يصلحا) لخرج مصدره على لفظه فقيل: (إصلاحاً) قلت: هذا غير لازم لهم وذلك أن العرب تضع الإسم موضع المصدر فتقول: (هذا يوم العطاء) أي يوم الإعطاء وفي التنزيل: (وأَنْبَتَها نَبَاتاً حسناً) ولم يقل (إنباتاً). حجة القراءات لابن زنجلة ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٣) في أ [باقي ٦، ٧].

(٤) أبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عقيلة بن السباق القرشي العبدري. قال البخاري: لا أعلم أنه عاش بعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم هـ.

(٥) انظر تفسير مجاهد ١/١٧٧، والطبري ٩/٢٧٦.

(٦) انظر التفسير ١/٢٧٣.

وشقه مائل[١]، وفي رواية أخرى، وأحد شقيه ساقط. وروى أبو أيوب[٢] عن أبي قلابة[٣] قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقسم بين نسائه، فيعدل في القسمة، ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك[٤]، يعني الحب والجماع. ثم قال تعالى: ﴿وأن تصلحوا﴾ يعني تصلحوا بينهما بالسوية ﴿وتتقوا﴾ الجور والميل ﴿فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾ حيث رخص لكم في الصلح. ثم قال عز وجل: ﴿وإن يتفرقا﴾ يعني الزوج والمرأة ﴿يغني الله كلا من سعته﴾ يعني من رزقه، وقال مجاهد، يعني الطلاق. وروي عن جعفر بن محمد، أن رجلاً شكا إليه الفقر، فأمره بالنكاح فذهب الرجل وتزوج، ثم جاء إليه فشكا إليه الفقر، فأمره بالطلاق فسئل عن ذلك، فقال: أمرته بالنكاح وقلت: لعله من أهل هذه الآية (إن يكونوا فقراء، يغنـهم الله من فضله) فلما لم يكن من أهل هذه الآية، قلت: فلعله من أهل هذه الآية: (وإن يتفرقا يغـن الله كلا من سعته)[٥]. وروي عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ:[٦] فتذروها كأنها مسجونة. ثم قال: ﴿وكان الله واسعاً﴾ يعني واسع الفضل (حكيماً) حكم بفرقتهما وتسويتهما. ثم قال تعالى:

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ

---

(١) أخرجه أبو داود ٢/٢٤٢ باب في القسم بين النساء (٢١٢٣)، وأخرجه الترمذي ٣/٤٤٧ باب ما جاء في التسوية بين الضرائر (١١٤١) وعنده وشقه ساقط.

وأخرجه النسائي ٧/٦٣ في باب ميل الرجل إلى بعض نسائه، وأخرجه ابن ماجه ١/٦٣٣ في باب القسمة بين النساء (١٩٦٩) وعنده (شقه ساقط)، وأخرجه ابن حبان، أورده الهيثمي في الموارد (١٣٠٧) والحاك في المستدرك ٢/١٨٦، وأحمد في المسند ٢/٣٤٧، ٤٧١ والطيالسي في المسند ١/٣١٢ (منحة)، والدارمي في السنن ٢/١٤٣، وابن الجارود في المنتقى (٧٢٢)، وابن أبي شيبة في المصنف ٤/٣٨٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/٢٩٧.

(٢) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني أبو بكر البصري مولى عنزة كان فقيهاً فاضلاً كثير العلم. توفي سنة ١٣١ هـ. التهذيب ١/٣٩٧.

عبد الله بن زيد بن عمرو أبو قلابة البصري الجرمي أحد الأعلام الثقات من التابعين توفي سنة ١٠٤ هـ. التهذيب ٥/٢٢٤.

(٤) هذا الحديث مخرج من وجهين الأول من رواية أبي مرسلاً أخرجه الترمذي في السنن ٣/٤٤٦ كتاب النكاح باب ما جاء في التسوية بين الضرائر عقب الحديث (١١٤٠) وقال: وهذا ـ أي الإرسال ـ أصح من حديث حماد بن سلمة). وحديث حماد بن سلمة من طريق عائشة مرفوعاً، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير ٣/١٣٩ كتاب النكاح ٤٤ في التخفيف في النكاح الحديث (١٤٦٦) وأعله النسائي والترمذي والدارقطني بالإرسال وقال أبو زرعة: لا أعلم أحداً تابع حماد بن سلمة على وصله) والثاني: عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً أخرجه أحمد في المسند ٦/١٤٤ وأخرجه الدارمي في السنن ٢/١٤٤ كتاب النكاح باب في القسمة بين النساء، وأخرجه أبو داود في السنن ٢/٦٠١ كتاب النكاح باب في القسم بين النساء الحديث (٢١٣٤) وأخرجه الترمذي في السنن ٣/٤٤٦ كتاب النكاح باب ما جاء في التسوية بين الضرائر الحديث (١١٤٠) واللفظ له وأخرجه النسائي في المجتبى من السنن ٧/٦٣ ـ ٦٤ كتاب عِشرة النساء باب ميل الرجل إلى بعض نسائه وأخرجه ابن ماجة في السنن ١/٦٣٣ كتاب النكاح باب القسمة بين النساء ٤٧ الحديث (١٩٧١) وأخرجه ابن حبان ذكره الهيثمي في موارد الظمآن ص ٣١٧ ـ كتاب النكاح ١٧ باب ما جاء في القسم الحديث ١٣٠٥ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/١٨٧ كتاب النكاح باب التشديد في العدل... وقال: (صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي. انظر المصابيح ٢/٤٤٠ ـ ٤٤١.

(٥) انظر تفسير القرطبي ٥/٢٦٢.

(٦) انظر البحر المحيط ٣/٣٦٥.

مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

﴿ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا﴾ أي أمرنا ﴿الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعني، أهل التوراة والإنجيل ﴿وإياكم﴾ يعني أمرناكم ـ يا أمة محمد ـ عليه السلام ـ في كتابكم ﴿أن اتقوا الله﴾ فيما أوصاكم به في كتابكم من التوحيد ثم بعد التوحيد بالشرائع ﴿وأن تكفروا﴾ يقول: تجحدوا بما أوصاكم، وبوحدانية الله تعالى ﴿فإن لله ما في السموات، وما في الأرض﴾ يعني هو غني عن عبادتكم ﴿وكان الله غنياً﴾ عن إيمان الخلق، وطاعتهم ﴿حميداً﴾ محموداً في أفعاله. وقوله تعالى: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ يعني كلهم عبيده وإماؤه، ويقال هذا موصولاً بالأول، وكان الله غنياً حميداً في أفعاله، لأن له ما في السموات، وما في الأرض، وهو رازقهم والمدبر في أمورهم، ثم قال: ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ أي حفيظاً ورباً. ثم ذكر التهديد لمن رجع عن عبادته فقال: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس﴾ أي يهلككم إذا عصيتموه ﴿ويأتِ بآخرين﴾ أي يخلق خلقاً جديداً غيركم، من هو أطوع لله منكم، وهذا كما قال في آية أخرى: (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) ثم قال تعالى: ﴿وكان الله على ذلك قديراً﴾ أي يذهبكم ويأت بغيركم، ويقال: في الآية تخويف، وتنبيه لجميع من كانت له، ولاية أو إمارة أو رئاسة، فلا يعدل في رعيته، أو كان عالماً فلا يعمل بعلمه ولا ينصح الناس، أن يذهبه، ويأتي بغيره. قوله تعالى: ﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ يعني من كان يطلب الدنيا بعمله الذي يعمل، ولا يريد به وجه الله، فليعمل لآخرته كما قال: ﴿فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ يعني الرزق في الدنيا، والثواب في الآخرة، وهو الجنة، ويقال في الآية مضمر، فكأنه يقول من كان يريد ثواب الدنيا نؤته منها، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، وقال الزجاج: كان المشركون مقرين بأن الله خالقهم، وأنه يعطيهم خير الدنيا، فأخبر الله تعالى، إن خير الدنيا والآخرة إليه. وروي عن عيسى بن مريم أنه قال للحواريين: أنتم لا تريدون الدنيا ولا الآخرة، لأن الدنيا والآخرة لله تعالى، فاعبدوه، إما لأجل الدنيا وإما لأجل الآخرة، وروي في بعض الأخبار: أن في جهنم وادياً تتعوذ منه جهنم، أعد للقراء المرائين، ثم قال: ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ يعني عالماً بنية كل واحد منهم. وروى سهل بن سعد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خيراً من نيته، وكان يعمل على نيته[1].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ

(١) أخرجه الطبري في الكبير ٦/٢٢٨، وأبو نعيم في الحلية ٣/٢٥٥ ـ والخطيب في التاريخ ٩/٢٣٧، وذكره الشوكاني في الفوائد ص ٢٥٠ ـ (٨٣) وقال قال ابن دحية: لا يصح، وقال البيهقي إسناده ضعيف وله شواهد، وذكره الهيثمي في المجمع ١/٦٦ باب في نية المؤمن وعمل المنافق قال رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون إلا حاتم بن عباد بن دينار الجرشي لم أر من ذكر له ترجمة.

رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾ أي كونوا قوامين بالعدل، وأقيموا الشهادة لله بالعدل، ومعناه قولوا الحق ﴿ولو على أنفسكم﴾ أي وإذا كانت عندكم شهادة فأدوا الشهادة ولو كانت الشهادة على أنفسكم ﴿أو الوالدين والأقربين﴾ ثم قال: ﴿إن يكن غنياً، أو فقيراً﴾ أي أدوا الشهادة لا تكتموها سواء كان لغني أو لفقير، ولا تميلوا إلى الغني لأجل غناه، ولا تكتموا الشهادة على الفقير لأجل فقره، ويقال: اشهدوا على الوالدين، كانا غنيين أو فقيرين، ﴿فالله أولى بهما﴾ أي بالغني وبالفقير. ويقال: أولى بالوالدين وأرحم بهما، إن كانا غنيين، أو فقيرين ثم قال: ﴿فلا تتبعوا الهوى﴾ أي لا تشهدوا بهواكم، ولكن اشهدوا على ما شهدتم عليه، ثم قال تعالى: ﴿أن تعدلوا﴾ يعني أولى بهما أن تعدلوا على وجه التقديم والتأخير، ويقال فلا تتبعوا الهوى، أن لا تعدلوا، وقال مقاتل: يعني فلا تتبعوا الهوى للقرابة، واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق إلى الهوى، وقال تعالى: ﴿وإن تلووا﴾ أي تحرفوا الشهادة وتلجلجوا بها ألسنتكم، فلا تقيموها على الوجه، لتبطل به الشهادة، ﴿أو تعرضوا﴾ عنها فلا تشهدوا بها عند الحاكم. قرأ حمزة وابن عامر[1]: (وأن تلوا) بواو واحد، يعني من الولاية، يعني أقيموا الشهادة إذا وليتم، وقرأ الباقون: (تلووا) بواوين من التحريف. ﴿فإن الله كان بما تعملون﴾ من كتمان الشهادة وإقامتها ﴿خبيراً﴾ يعني عالماً، فهذا تهديد للشاهد، لكيلا لا يقصروا، في آداء الشهادة ولا يكتموها. وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقم شهادته على من كانت) ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجحد لحق هو عليه بل يؤده، ولا يلجئه إلى السلطان والخصومة. قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله ورسوله) قال الضحاك: يعني أخبار أهل الكتابين، الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بالله ورسوله محمد[2] ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال في رواية الكلبي: نزلت في عبد الله بن سلام، وأسيد وأسد ابني كعب، وثعلبة ابن قيس وغيرهم، قالوا: يا رسول الله، نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة، وبعزير، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل. فقال لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: بل آمنوا بالله ورسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكتابه القرآن وبكل كتاب كان من قبل، فنزلت هذه الآية:[3] ﴿يا أيها الذين آمنوا: آمنوا بالله ورسوله، والكتاب الذي

---

(١) وحجتهم في ذلك ما جاء في التفسير: (إن لوى الحاكم في قضيته فإن الله كان بما تعملون خبيراً) وأخرى: روى ابن جريج عن مجاهد (وإن تلووا) أي تبدلوا الشهادة (أو تعرضوا) أي تكتموها فذهب مجاهد: أن هذا خطاب من الله جل وعز للشهداء لا للحكام. وأصل الكلمة: (تلويُوا) فاستثقلوا الضمة على الياء فحذفوها وحذفت الياء لالتقاء الساكنين ثم ضموا الواو لمجاورتها الثانية.

ومن قرأ بواو واحدة ففيه وجهان: أحدهما: أن يكون أصله (تلووا) فأبدل من الواو المضمومة همزة فصار (تلؤوا) بإسكان اللام ثم طرحت الهمزة وطرحت حركتها على اللام فصار (تلوا). ويجوز أن يكون من (الولاية) من قولك: (وليت الحكم والقضاء بين الرجلين) أي: (إن قمتم بالأمر أو أعرضتم فإن الله كان بما تعملون خبيرا). والأصل (توليوا) فحذفت الواو كما حذفت من بعد (فصار تليوا ثم حذفنا الياء ونقلنا الضمة إلى اللام فصار: (تلوا). انظر حجة القراءات ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٣٤ وعزاه لابن المنذر.

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي ١٣٨.

نـزل على رسوله، والكتاب الذي أنـزل من قبل﴾. ويقـال: ﴿يا أيها الـذين آمنوا﴾ خـاطب بـه جميع المؤمنين، آمنـوا بـالله يعني أثبتوا عـلى الإيمان، وقـال: ﴿يا أيهـا الذين آمنـوا﴾ يعني يوم الميثـاق ﴿آمنـوا بـالله ورسـولـه﴾ ويقـال: نـزلت في شأن أهل الكتاب، لأنه علم أن فيهم من يؤمن، فلقربهم من الإيمان، سماهم مؤمنين كما قال: (إنهم جند مغرقون) وكـانوا لم يغـرقوا بعـد. ويقال: إنهم كـانوا يقـولون: نحن مؤمنـون، فقال لهم: ﴿يـا أيها الـذين آمنوا﴾ أي بـزعمهم، كـما قال: (ذق إنك أنت العـزيز الكـريم) أي بزعمـه. قرأ نـافع، وعـاصم عن حمزة، والكسـائي[١]: ﴿والكتاب الـذي نزل﴾ بنصب النـون والزاي، ﴿والكتـاب الذي أنـزل﴾ بنصب الألف، وقرأ البـاقون: (نـزل) بضم النـون وكسر الـزاي، ونـزل وآنزل، بضم الألف على معنى فعل ما لم يسم فاعله. ثم قال: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر﴾ أي من يجحد بوحدانية الله تعالى، وملائكته أنهم عبيده، وبرسله أنهم أنبياؤه، وعبيده، وبـالبعث بعد الموت ﴿فقد ضل﴾ عن الهدى ﴿ضلالاً بعيداً﴾ عن الحق. وقوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا، ثم كفروا، ثم آمنوا ثم كفروا﴾ قال مقاتل: يعني آمنوا بالتوراة وبموسى ـ عليه السلام ـ ثم كفروا من بعد موسى، ثم آمنوا بعيسى ـ عليه السلام ـ والإنجيل، ثم كفروا من بعده ﴿ثم ازدادوا كفراً﴾ بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالقرآن. ويقال: إن الذين آمنوا بموسى، ثم كفروا بعيسى، ثم آمنوا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قبل أن يبعث، ثم كفروا به بعدما بعث ثم ازدادوا كفراً، يعني ثبتوا على كفرهم. وقال في رواية الكلبي: آمنوا بموسى ـ عليه السلام ـ ثم كفروا به بعده، ثم آمنوا بعزير، ثم كفروا بعيسى، ثم ازدادوا كفراً، يعني بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٢]. وقال في رواية الضحاك: نزلت في شأن أبي عامر الراهب، وهو الذي بنى مسجد الضرار، آمن بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم كفر، ثم آمن، ثم [كفر][٣] مات على كفره. وقال الزجاج: يجوز أن يكون محارباً آمن ثم كفر ثم آمن ثم كفر، ويجوز أن يكون منافقاً أظهر الإيمان وأبطن الكفر، ثم آمن ثم كفر ثم ازداد كفراً بإقامته على النفاق، فإن قيـل: إن الله تعالى لا يغفـر كفراً مـرة واحدة، فـأيش الفائـدة في قولـه: ﴿آمنوا، ثم كفـروا، ثم آمنوا، ثم كفـروا؟﴾ قيـل له: لأن الكافر إذا أسلم فقد غفر له ما قد سلف من ذنبه، فإذا كفر بعد إيمانه، لم يغفر الله له الكفر الأول، فهو مطالب بجميع ما فعل في كفره الأول، فذلك قوله عز وجل: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ يعني إذا ماتوا على كفرهم ﴿ولا ليهديهم سبيلاً﴾ أي لا يوفقهم طريقاً. ثم قال تعالى:

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾

﴿بشر المنافقين﴾ وذلك أنه لما نزل قوله تعـالى: (ليغفر لـك الله ما تقـدم من ذنبك ومـا تأخـر). فقال المؤمنون: هذا لك، فما لنا؟ فنزل قوله تعالى: (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً)، فقال المنافقون: فما لنا؟ فنزل قوله تعالى: (بشر المنافقين) ﴿بأن لهم عذاباً إليماً﴾ في الآخرة. ثم نعت المنـافقين فقال: ﴿الـذين

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢١٦، ٢١٧، وسراج القاري ١٩٥ ـ ١٩٦، وشرح شعلة ٣٤٥.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٦٦.

(٣) سقط في ظ.

يتخذون الكافرين﴾ يعني اليهود **﴿أولياء﴾** في العون والنصرة **﴿من دون المؤمنين﴾** ثم عيرهم بذلك فقال: **﴿ايبتغون عندهم العزة﴾** يعني يطلبون عندهم المنعة، والظفر على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه.

العزة في اللغة: المنفعة والغلبة كما يقال: من عز بزا، أي من غلب سلب، ويقال: عز الشيء، إذا اشتد وجوده. ثم ذكر أنه لا نصرة لهم من الكفار، والنصرة من الله تعالى، فقال: **﴿فإن العزة لله جميعاً﴾** يعني الظفر والنصر كله من الله تعالى، وهذا كما قال في آية أخرى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ثم قال: **﴿قد نزل عليكم في الكتاب﴾** وذلك أن المشركين بمكة كانوا يستهزئون بالقرآن، فنهى الله تعالى المسلمين عن القعود معهم، وهو **قوله**: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم. . . إلى **قوله**: فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) فامتنع المسلمون عن القعود معهم، فلما قدموا المدينة، كانوا يجلسون مع اليهود والمنافقين وكان اليهود يستهزئون بالقرآن فنزلت هذه الآية: (فقد نزل عليكم في الكتاب) يعني في سورة الأنعام: **﴿أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها﴾** أي يجحد بها، **﴿ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾** أي حتى يأخذوا في كلام أحسن، ثم قال تعالى: **﴿إنكم إذاً مثلهم﴾** يعني لو جلستم معهم كنتم معهم في الوزر وفي هذه الآية دليل: أن من جلس في مجلس المعصية، ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية أو عملوا بها، فإن لم يقدر بأن ينكر عليهم، ينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية. وروى جويبر عن الضحاك، أنه قال: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين، وكل مبتدع إلى يوم القيامة[1]. قرأ عاصم: (وقد نزل عليكم) بنصب النون والزاي، وقرأ الباقون: بضم النون، وكسر الزاي على فعل ما لم يسم فاعله. ثم قال تعالى **﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾** يعني إذا ماتوا على كفرهم، ونفاقهم فبدأ بالمنافقين، لأنهم شر من الكفار، وجعل مأواهم جميعاً النار. وقال في رواية الكلبي: قوله تعالى: **﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾** نسخ بقوله عز وجل: (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) وقال عامة المفسرين: إنها محكمة، وليست بمنسوخة[2]. ثم أخبر عن المنافقين فقال تعالى:

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾

﴿الذين يتربصون بكم﴾ يعني ينتظرون بكم الدوائر، وهو تغيير الحال عليكم **﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾** يعني النصرة والغلبة على العدو، **﴿قالوا: ألم نكن معكم﴾** فأعطونا من الغنيمة **﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾** يعني

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٦٨.
(٢) انظر المصدر السابق.

الظفر والغلبة على المؤمنين ﴿قالوا﴾ للكفار ﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ يعني، ألم نخبركم بصورة المسلمين، ونطلعكم على سرهم، ونخبركم عن حالهم، ويقال: ألم نستحوذ عليكم: يعني ألم نغلب عليكم بالمودة لكم. والاستحواذ هو الاستيلاء على الشيء، كقوله تعالى: (استحوذ عليهم الشيطان) ثم قال: ﴿ ونمنعكم من المؤمنن﴾ يعني نجادل المؤمنين عنكم، ونجنبهم عنكم، قال الله تعالى: ﴿فالله يحكم بينكم يوم القيامة﴾ أي بين المؤمنين والمنافقين والكافرين، ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ أي الحجة ويقال: دولة دائمة، أي لا تدوم دولتهم، وروي عن علي ـ كرم الله وجهه ـ أنه سئل عن قوله عز وجل أن الله تعالى يقول: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) وهم يسلطون علينا، ويغلبوننا فقال: لا يسلط الكافر على المؤمن في الآخرة، يوم القيامة ثم بين حال المنافقين في الدنيا وخداعهم فقال تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله﴾ أي يظنون أنهم يخادعون الله ﴿وهو خادعهم﴾ أي يجازيهم جزاء خداعهم، وهو أنهم يمشون مع المؤمنين على الصراط يوم القيامة، ثم يسلبهم النور فيبكون في ظلمة، ثم قال تعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة﴾ يعني المنافقين ﴿قاموا كسالى﴾ أي متثاقلين ﴿يراؤون الناس﴾ أي لا يرونها حقاً، ويصلون مرآة للناس وسمعة ﴿ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ قال ابن عباس: لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيراً وتقبل منهم، ولكن لن يريدوا به وجه الله تعالى. ثم قال: ﴿مذبذبين بين ذلك﴾ أي مترددين، ويقال: منفضحين بين ذلك ﴿لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء﴾ يعني ليسوا مع المؤمنين في التصديق ولا مع اليهود في الظاهر ﴿ومن يضلل الله﴾ أي من يخذله الله عن الهدى ﴿فلن تجد له سبيلاً﴾ أي مخرجاً. ثم قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا، قال مقاتل: الذين آمنوا بزعمهم، وهم المنافقون ﴿لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ ويقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ في الظاهر، وأسروا النفاق، ويقال: يعني المؤمنين المخلصين، كانت بينهم وبين اليهود صداقة وكانوا يأتونهم، فنهاهم الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ ثم قال تعالى: ﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً﴾ يعني حجة مبينة في الآخرة. ثم بين مأوى المنافقين في الآخرة فقال تعالى:

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ المنافق في اللغة اشتقاقه[١] من نافقاء اليربوع، ويقال: لليربوع حجران، أحدهما نافقاء، والآخر قاصعاء، فيظهر نفسه في أحدهما ويخرج من الآخر، ولهذا يسمى المنافق منافقاً لأنه يظهر من نفسه أنه مسلم، ويخرج عن الإسلام إلى الكفر. قرأ [أهل الكوفة][٢] حمزة والكسائي وعاصم[٣]: (الدرك) بجزم الراء وقرأ الباقون: بالنصب، وهما لغتان: الدرك، والدرك، وجماعتهما، أدراك: وهي المنازل بعضها أسفل من بعض، فأعد للمنافقين الدرك الأسفل من النار، وهي الهاوية، ثم قال تعالى: ﴿ولن تجد لهم

(١) انظر لسان العرب ٦/٤٥٠٨، ٤٥٠٩.
(٢) سقط في ظ.
(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢١٨، وشرح شعلة ٣٤٦، وسراج القاري ١٩٦.

﴿نصيرا﴾ أي مانعا يمنعهم من العذاب. ثم قال تعالى: **﴿إلا الذين تابوا﴾** من النفاق **﴿وأصلحوا﴾** أعمالهم **﴿واعتصموا بالله﴾** أي تمسكوا بدين الله وبتوحيده **﴿وأخلصوا دينهم لله﴾** أي بتوحيدهم لله بالإخلاص، فإن فعلوا ذلك **﴿فأولئك مع المؤمنين﴾** أي المصدقين على دينهم، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، ثم قال: **﴿وسوف يؤت الله المؤمنين﴾** أي يعطي الله المؤمنين **﴿أجراً عظيماً﴾** يعني ثواباً عظيماً في الآخرة، وفي هذه الآية دليل: أن المنافقين هم شر خلق الله، لأنه أوعدهم الدرك الأسفل من النار، ثم استثنى لهم أربعة أشياء: التوبة، والإخلاص، والإصلاح، والإعتصام، ثم قال بعد هذا كله: **﴿فأولئك مع المؤمنين﴾** ولم يقل: هم المؤمنون، ثم قال: **﴿وسوف يؤت الله المؤمنين﴾** ولم يقل: سوف يؤتيهم الله، بغضاً لهم، وإعراضاً عنهم، والمنافقون هم الزنادقة والقرامطة الذين هم بين المؤمنين، يظهرون من أنفسهم الإسلام، وإذ اجتمعوا فيما بينهم يسخرون بالإسلام وأهله، فهم من أهل هذه الآية. ومأواهم الهاوية. قوله تعالى: **﴿ما يفعل الله بعذابكم﴾** أي ما يصنع الله بعذابكم **﴿إن شكرتم﴾** يعني إن آمنتم بالله تعالى ووحدتموه، ويقال معناه ما حاجة الله إلى تعذيبكم لو كنتم موحدين شاكرين له **﴿وآمنتم﴾** به وصدقتم رسله، ثم قال تعالى: **﴿وكان الله شاكراً عليماً﴾** أي شاكراً للقليل من أعمالكم، عليماً بأعمالكم وثوابكم، ويقال: شاكراً يقبل اليسير، ويعطي الجزيل، عليماً بما في صدوركم، ويقال: بمن شكر وآمن، فلا يعذب شاكراً، ولا مؤمناً، قوله تعالى:

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾ أي لا يحب أن يذكر بالقول القبيح لأحد من الناس **﴿إلا من ظلم﴾** فيقتص من القول بمثل ما ظلم، فلا جناح عليه. نزلت الآية في شأن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ شتمه رجل فسكت أبو بكر مراراً ثم رد عليه ـ ويقال: (إلا من ظلم) فيدعوا الله تعالى على ظالمه، وقال الفراء: **﴿إلا من ظلم﴾** يعني ولا من ظلم، وقال السدي: يقول: من ظلم فانتصر بمثل ما ظلم، فليس عليه جناح[1] وقال الضحاك[2]: **﴿لا يحب الله الجهر بالسوء﴾** أي لا يحب لكم أن تنزلوا برجل فإذا ارتحلتم عنه، تذمون طعامه، إلا رجلاً أردتم النزول عليه عند حاجتكم فمنعكم، وقال مجاهد: هو في الضيافة، إذا دخل الرجل المسافر إلى القوم يريد أن ينزل عليهم، فلم يضيفوه، فقد رخص له أن يذكر كلاماً عنهم، ويقول فيهم[3]، ويقال: يعني يسبه مثل ما سبه، ما لم يكن كلاماً فيه حد، أو كلمة لا تصلح، ولو لم يقل كان أفضل. وقرأ بعضهم[4]: **﴿إلا من ظلم﴾** متصل بما يفعل الله

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٣٤٨/٩ (١٠٧٦٢). (٢) انظر القرطبي ٤/٦.
(٣) انظر تفسير الطبري ٣٤٦/٩ (١٠٧٥٨). (٤) القراءة المتواترة ظُلم بضم الظاء أما بالفتح فهي شاذة كما ذكر المصنف رحمه الله.

بعذابكم إلا من ظلم يعني من إشراك بالله، وهو شاذ من القراءة. ثم قال تعالى: ﴿وكان الله سميعاً عليماً﴾ أي سميعاً بدعاء المظلوم عليماً بعقوبة الظالم. ثم أخبر عن التجاوز أنه خير من الانتصار فقال تعالى: ﴿إن تبدوا خيراً﴾ يعني أن تظهروا حسنة ﴿أو تخفوه﴾ يعني الحسنة ﴿أو تعفوا عن سوء﴾ يعني يتجاوز عن ظالمه، ولا يجهر بالسوء عنه، فهو أفضل لأن الله تعالى قادر على عباده، فيعفوا عنهم [وذلك][1] قوله: ﴿فإن الله كان عفواً قديراً﴾ يعني إن الله أقدر على العقوبة لكم فيعفوا عنكم. قوله تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله﴾ قال ابن عباس نزلت الآية في أهل الكتاب يؤمنون بموسى وعيسى ويكفرون بغيرهما، وهو قوله: ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ يعني يريدون أن يتخذوا ديناً، لم يأمر به الله ورسوله ﴿ويقولون: نؤمن ببعض﴾ بموسى وعزير والتوراة ﴿ونكفر ببعض﴾ بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعيسى والإنجيل، والقرآن ﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً﴾ يعني بين اليهودية والإسلام قوله تعالى: ﴿أولئك هم الكافرون حقاً﴾ حين كفروا ببعض الرسل ﴿وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ يهانون فيه. وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ يعني، أقروا بوحدانية الله تعالى، وصدقوا بجميع الرسل ﴿ولم يفرقوا بين أحد منهم﴾ في الإيمان والتصديق، يعني لم يكفروا، ولم يجحدوا بأحد من الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ ويصدقون بجميع الكتب ﴿أولئك﴾ يعني أهل هذه الصفة ﴿سوف نؤتيهم أجورهم﴾ أي سنعطيهم ثوابهم في الجنة ﴿وكان الله غفوراً﴾ لذنوبهم ﴿رحيماً﴾ بهم لما كان منهم في الشرك. قرأ عاصم في رواية حفص:[2] (يؤتيهم) بالياء، وقرأ الباقون (نؤتيهم) بالنون.

يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء﴾ يعني جملة واحدة، كما جاء به موسى ـ عليه السلام ـ ويقال: إن كعب بن الأشرف، وفنخاص بن عازوراء وأصحابهما قالوا: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً تحمله الملائكة إلينا فتقرؤه، قال الله تعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾، يعني إن هؤلاء، من أصل أولئك القوم الذين ﴿فقالوا﴾ لموسى عليه السلام ﴿أرنا الله جهرة﴾ يعني عياناً، وهم القوم الذين ساروا مع موسى عليه السلام إلى طور سيناء ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ أي أحرقتهم النار ﴿بظلمهم﴾

---

(١) في ظ [وهو].

(٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢١٩، وسراج القاري ١٩٦، شرح الشعلة ٣٤٦.

أي بقولهم وسؤالهمن **﴿ثم اتخذوا العجل﴾** أي ومع ذلك قد عبدوا العجل، وهم قوم موسى في حال غيبته **﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾** أي جاءهم موسى بالآيات والعلامات **﴿فعفونا عن ذلك﴾** كله ولم نستأصلهم **﴿وآتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾** أي حجة بينة، وهي اليد والعصا **﴿ورفعنا فوقهم﴾** يقول: قلعنا فوقهم **﴿الطور بميثاقهم﴾** يعني بإقرارهم بما في التوراة حين أبوا أن يتقبلوا الشرائع. **﴿وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً﴾** يعني باب أريحة منحنية أصلابهم، **﴿وقلنا لهم لا تعدوا في السبت﴾** يقول: لا تستحلوا أخذ السمك في يوم السبت قرأ نافع في رواية ورش:[١] (لا تعدّوا) بالتشديد، لأن أصله لا تعتدوا، فادغم التاء في الدال وأقيم التشديد مقامه، وقرأ الباقون **﴿لا تعدوا﴾**: بالتخفيف من عدا، يعدو، عدواناً. ثم قال تعالى: **﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾** يعني إقراراً وثيقاً شديداً في التوراة، يعني تركوا هذه الأشياء كلها، ونقضوا الميثاق، ثم قال عز وجل: **﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾** ولم يذكر في هذه الآية جوابهم، والجواب فيه مضمر، فكأنه قال: وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً، فبنقضهم الميثاق لعنهم الله تعالى، وخذلهم، كقوله: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) ثم قال: **﴿وكفرهم بآيات الله﴾** يعني بكفرهم بآيات الله لعنهم الله وخذلهم. ثم قال تعالى: **﴿وقتلهم الأنبياء بغير حق﴾** يعني وبقتلهم الأنبياء بغير جرم **﴿وقولهم قلوبنا غلف﴾** يعني ذا غلاف ولا نفقه حديثك، وقرأ بعضهم[٢] [غلُف] بضم اللام، وجماعة الغلاف، يعني أن قلوبنا أوغية (لكل علم، ولا نفقه حديثك، قال الله تعالى: **﴿بل طبع الله عليها﴾** يعني ختم الله على قلوبهم **﴿بكفرهم، فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾** أي لا يؤمنون إلا قليل منهم، ويقال: لا يؤمنون إلا بالقليل، (لأنهم آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، وقال مقاتل: يعني، ما أقل ما يؤمنون، يقول: بأنهم لا يؤمنون البتة. ثم قال تعالى: **﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾** وذلك أن مريم كانت متعبدة لله تعالى، ناسكة، اصطفاها الله تعالى بولد بغير أب فعيرها اليهود، واتهموها، وقذفوها بيوسف بن ماثان، وكان يوسف خادم بيت المقدس، ويقال: كان ابن عمها، فأنزل الله تعالى إكذاباً لقولهم وبين بهتانهم، فقال: (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) يعني لعنهم الله وخذلهم بذلك **﴿وقولهم﴾** أي وبقولهم: **﴿إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله﴾** هذا قول الله، لا قول اليهود، وقول اليهود: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم، ثم قال الله تعالى: (رسول الله) يعني الذي هو رسول الله وذلك أن اليهود، لما اجتمعوا على قتله، هرب منهم ودخل في بيت فأمر ملك اليهود رجلاً يدخل البيت يقال له: يهوذا ويقال: ططيانوس فجاء جبريل ـ عليه السلام ـ ورفع عيسى ـ عليه السلام ـ إلى السماء، فلما دخل الرجل إلى البيت لم يجده، فألقى الله شبه عيسى عليه، فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه، وصلبوه، ثم قالوا إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟ فاختلفوا فيما بينهم فأنزل الله تعالى إكذاباً لقولهم فقال: **﴿وما قتلوه، وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾** يعني ألقي شبه عيسى على غيره فقتلوه، ثم قال: **﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه﴾** أي من قتله **﴿ما لهم به من علم﴾** يعني لم يكن عندهم علم يقين أنه قتل أو لم يقتل **﴿إلا اتباع الظن﴾** أي قالوا قولاً بالظن **﴿وما قتلوه يقيناً﴾** أي لم يستيقنوا بقتله ويقال يقيناً ما قتلوه **﴿بل رفعه الله إليه﴾** وقال مقاتل:[٣] بل رفعه الله إلى السماء في شهر رمضان ليلة القدر، وقال الضحاك: رفعه في يوم عاشوراء، بين صلاتي المغرب والعشاء، ثم قال تعالى: **﴿وكان الله عزيزاً﴾** أي منيعاً حين منع عيسى من القتل **﴿حكيماً﴾** حين حكم رفعه إلى السماء وقوله عز وجل:

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢١٨، وشرح شعلة ٣٤٦، وسراج القاري ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٢) ابن عباس والأعرج وابن محيصن. انظر القرطبي ٢/ ١٩.

(٣) انظر التفسير ١/ ٢٨٠.

وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾

﴿وإن من أهل الكتاب﴾ يقول: وما من أهل الكتاب **﴿إلا ليؤمنن به﴾** يعني بعيسى ـ عليه السلام ـ **﴿قبل موته﴾** وذلك أن اليهودي إذا حضرته الوفاة، وعاين أمر الآخرة، ضربته الملائكة وقالت له: يا عدو الله، أتاك عزير فكذبته، ويقال للنصراني: يا عدو الله أتاك عبد الله ورسوله، وهو عيسى، فزعمت أنه ابن الله، فيؤمن عند ذلك، ويقر أنه عبد الله ورسوله، ولا ينفعه إيمانه في ذلك الوقت، ويكون إيمانهم عليهم شهيداً، يوم القيامة. وروي عن مجاهد أنه قال: ما من أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بعيسى ـ عليه السلام ـ قبل موته، فقيل له: وإن غرق، أو احترق، أو أكله السبع يؤمن بعيسى ـ عليه السلام ـ؟ فقال نعم[1]. وروي أن الحجاج بن يوسف سأل شهر بن حوشب عن هذه الآية فقال: إني لأوتي بالأسير من اليهود والنصارى، فآمر بضرب عنقه وأنظر إليه في ذلك الوقت، فلا أرى منه الإيمان، فقال له شهر بن حوشب: إنه حين عاين أمر الآخرة، يقر بأن عيسى عبد الله ورسوله فيؤمن به، ولا ينفعه، فقال له الحجاج: من أين أخذت هذا؟ قال: أخذته من محمد ابن الحنفية، فقال له الحجاج لقد أخذت من عين صافية وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: (قبل موته)، يعني قبل موت عيسى ـ عليه السلام ـ هكذا قال الحسن[2] قال الفقيه: حدثنا عمر بن محمد، قال: حدثنا أبو بكر الواسطي، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا يزيد بن زريع عن رجل، عن الحسن في قوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته، قال: قبل موت عيسى، والله إنه لحي عند الله الآن، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون[3]. وروي عن ابن عباس أنه قال: يمكث عيسى ـ عليه السلام ـ في الأرض أربعين سنة نبياً إماماً مهدياً، ثم يموت وتصلي عليه هذه الأمة[4]. وقال الضحاك: يهبط عيسى ـ عليه السلام ـ من السماء إلى الأرض بعد خروج الدجال، فيكون هبوطه على صخرة بيت المقدس، ثم يقتل الدجال، ويكسر الصليب ويهدم البيع والكنائس، ولا يبقى على وجه الأرض يهودي، ولا نصراني إلا آمن بالمسيح ودخل في الإسلام. ثم قال تعالى: **﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾** يعني يكون عليهم عيسى ـ عليه السلام ـ شهيداً، بأنه قد بلغهم الرسالة. قوله تعالى: **﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾** يعني بشركهم حرمنا عليهم أشياء كانت حلالاً لهم، وهو كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم أحلت لهم. **﴿وبصدهم عن سبيل الله كثيراً﴾** أي بصرفهم كثيراً من الناس، عن دين الله على وجه التقديم **﴿وأخذهم الربا﴾** أي حرم عليهم الحلال بكفرهم، وبصرف الناس عن دين الله، وبأخذهم الربا **﴿وقد نهوا عنه﴾** أي يعني عن أخذ الربا في التوراة **﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾** وهو أخذ الرشوة في الحكم، **﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾** أي هيأنا لهم عذاباً وجيعاً دائماً.

لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

وقوله: **﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾** يعني المبالغون في العلم الذين أدركوا علم الحقيقة، وهم مؤمنو

(١) انظر تفسير مجاهد ١/ ١٨٠. (٢) انظر الطبري ٩/ ٣٨٠. (٣) انظر تفسير القرطبي ٦/ ٩. (٤) انظر تفسير الطبري ٩/ ٣٨٠.

أهل الكتاب، وذلك أن اليهود أنكروا، وقالوا: هذه الأشياء كانت حراماً في الأصل، وأنت تحلها، ولم تكن حرمت بظلمنا، فنزل: (لكن الراسخون في العلم منهم) يصدقون بما أنزل إليك أنه الحق. ويقال: إن مؤمني أهل الكتاب يعلمون أن الذي أنزل إليك من القرآن هو الحق، وأنك نبي مبعوث، وهو مكتوب عندهم. ثم قال: ﴿والمؤمنون﴾ يعني أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿يؤمنون بما أنزل إليك﴾. ثم قال: (والمؤمنون بما أنزل إليك) يعني يصدقون بالقرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾ ويصدقون بما أنزل من قبلك من كتب الله ثم وصفهم فقال: ﴿والمقيمين الصلاة﴾ قال بعض الجهال: هذا غلط الكاتب حيث كتب مصحف الإمام، كان ينبغي أن يكتب: (والمقيمون) فأوهم وكتب والمقيمين، واحتج بما روي عن عائشة أنها قالت: ثلاثة أحرف في المصحف غلط من الكاتب، قوله تعالى: (والمقيمين الصلاة) وقوله (والصائبون والنصارى) وقوله: (.. إن هذان لساحران..) وروي عن عثمان أنه نظر في المصحف فقال: أرى فيه لحناً، وستقيمه العرب بألسنتها، ولكن هذا بعيد عند أهل العلم، والخبر لم يثبت عن عثمان، ولا عن عائشة ـ رضي الله عنهما ـ لأن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا حماة الدين والقدوة في الشرائع والأحكام فلا يظن بهم أنهم تركوا في كتاب الله تصحيفاً يصلحه غيرهم، وهم أخذوه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمعنى في قوله: (والمقيمين الصلاة) قال بعضهم: يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة، يعني بالنبيين المقيمين الصلاة، وقال بعضهم: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة، يؤمنون بما أنزل إليك. ثم قال تعالى: ﴿والمؤتون الزكاة﴾ يعني الذين يعطون الزكاة المفروضة ﴿والمؤمنون بالله، واليوم الآخر﴾ يعني المقرون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت، ثم قال: ﴿اولئك﴾ يعني أهل هذه الصفة ﴿سنؤتيهم أجراً عظيماً﴾ أي يعطيهم الله في الآخرة ثواباً عظيماً وهو الجنة. قرأ حمزة: (سيؤتيهم) بالياء، وقرأ الباقون: بالنون. قوله تعالى

إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾

﴿إنا أوحينا إليك﴾ يعني أرسلنا إليك جبريل ﴿كما أوحينا إلى نوح﴾ يعني كما أرسلنا إلى نوح. ويقال: أوحينا إليك بأن تثبت على التوحيد، وتأمر الناس بالتوحيد كما أوحينا إلى نوح بأن يثبت على التوحيد، ويدعو الناس إلى التوحيد ﴿والنبيين من بعده﴾ أي أوحينا إليهم بذلك: ﴿وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق﴾ وهما إبنا إبراهيم عليهم السلام ﴿ويعقوب﴾ وهو إبن إسحق ﴿والأسباط﴾ وهم أولاد يعقوب عليه السلام، كانوا اثني عشر سبطاً، أوحينا إلى أنبيائهم بأن يثبتوا على التوحيد، ويدعو الناس إلى ذلك، ﴿و﴾ أوحينا إلى ﴿عيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان، وآتينا داود زبوراً﴾ قرأ حمزة[1]: (زبورا) بضم الزاي، وقرأ الباقون بالنصب في جميع القرآن ومعناهما واحد وهو عبارة عن الكتاب. ثم قال: ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل﴾ يعني قد سميناهم لك من قبل، يعني بمكة ﴿ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾ يعني: لم نسميهم لك وقد أرسلناك كما أرسلنا هؤلاء،

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢١٩، سراج القاري ١٩٧.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال: كان الأنبياء ألفي ألف ومائتي ألف، وقال مقاتل: كان الأنبياء ألف ألف، وأربعمائة ألف، وأربعة وعشرين ألفاً. وروي أنس بن مالك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (بعث على أثر ثمانية آلاف من الأنبياء، منهم اربعة آلاف من بني [1]إسرئيل). قال الفقيه أبو الليث حدثنا الفقيه أبو جعفر، قال: حدثنا أحمد بن محمد القاضي، قال: حدثنا إبراهيم بن حشيش البصريّ عن شعبة، عن أبي إسحق عن الحارث الأعور، عن أبي ذر الغفاري قال: قلت يا نبي الله كم كانت الأنبياء؟ وكم كان المرسلون فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: كانت الانبياء مائة ألف نبي واربعة وعشرون ألف نبي، وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر[2].

ثم قال: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾. قال بعضهم: معناه، أنه قد أوحى إليه وإنما سماه كلاماً على وجه المجاز كما قال في آية أخرى: (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم) أي يستدلون بذلك، والعرب تقول: قال الحائط كذا، وقال عامة المفسرين، وأهل العلم أن هذا كلام حقيقة، لا كلام مجاز لأنه قد أكده بالمصدر حيث قال: (وكلم الله موسى تكليماً)، والمجاز لا يؤكد لأنه لا يقال: قال الحائط قولاً، فلما أكده بالمصدر نفى عنه المجاز وقال في موضع آخر: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له: كن، فيكون) وقد أكده بالتكرار، ونفى عنه المجاز. وقال في موضع آخر: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً) يعني الأنبياء الذين لم يكونوا مرسلين، فأراهم في المنام، أو من وراء حجاب بكلام مثل ما كلم الله موسى، أو يرسل رسولاً، وهو رسالة جبريل إلى المسلمين. ثم قال تعالى:

رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾

﴿رسلاً مبشرين ومنذرين﴾ أي أرسلنا رسلاً مبشرين بالجنة ومنذرين بالنار ﴿لئلا يكون﴾ يقول لكيلا يكون ﴿للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ يعني بعد إرسال الرسل، كي لا يقولوا يوم القيامة إنك لم ترسل إلينا رسولاً، ولو أن الله تعالى لم يرسل رسولاً، كان ذلك عدلاً منه، إذ أعطى كل واحد من خلقه من العقل ما يعرفه، ولكن

---

(١) ذكره القرطبي في التفسير ١٤/٦ وعزاه للمصنف رحمه الله هنا، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١٦٢/٣ ضمن ترجمة صفوان بن سليم وقال: غريب من حديث زياد تفرد به زكريا، ورواه أحمد بن حازم عن صفوان ومحمد عن أنس مقروناً. وأخرجه ابن سعد في الطبقات ١٢٨/١/١، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٤٢٣/٢ وضعف الإسناد الذي ساق به والحديث في كنز العمال (٣٢٢٨٠).

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٤٢٢/٢ وعزاه لابن مردويه في التفسير وقال أيضاً رواه ابن حبان البستي (١) في كتابه (الأنواع والتقسيم وقد وسمه بالصحة وخالفه أبو الفرج بن الجوزي فذكر هذا الحديث في كتابه الموضوعات واتهم به إبراهيم بن هشام هذا ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث فالله أعلم. وقد روى الحديث من وجه آخر عن صحابي آخر فقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف حدثنا أبو المغيرة حدثنا معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال قلت: يا نبي الله كم الأنبياء: قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً.

معان بن رفاعة السلامي ضعيف وعلي بن يزيد ضعيف والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضاً.

أرسل تفضلاً منه، ولكي يكون زيادة في الحجة عليهم، ثم قال تعالى: ﴿**وكان الله عزيزاً حكيماً**﴾ (عزيزاً) بالنقمة لمن يجحده (حكيماً) حكم إرسال الرسل والأنبياء ـ عليهم السلام ـ. قوله تعالى: (لكن الله يشهد بما أنزل إليك). قال ابن عباس، وذلك أن رؤساء مكة أتوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا: سألنا اليهود عن صفتك ونعتك، فزعموا أنهم لا يعرفونك في كتابهم، فأتنا بمن يشهد لك بأنك نبي مبعوث، فنزل: ﴿**لكن الله يشهد**﴾ يعني إن لم يشهد لك أحد منهم فالله تعالى أعظم شهادة من خلقه، هو يشهد لك بأنك نبي ويظهر نبوتك. قال القتبي: هذا من الاختصار، لأنه لما نزل: (إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح) قال المشركون: لا نشهد لك بهذا، فمن يشهد لك؟ فنزلت هذه الآية، حكاية قولهم، فقال تعالى: لكن الله يشهد﴿**بما أنزل إليك**﴾ لأن كلمة: لكن، إنما تجيء بعد نفي شيء، فوجب ذلك الشيء بها. ثم قال تعالى: ﴿**أنزله بعلمه**﴾ أي بأمره، ويقال: أنزل القرآن الذي فيه علمه، ثم قال تعالى: ﴿**والملائكة يشهدون**﴾ أيضاً على شهادتك بالذي شهدت أنه الحق ﴿**وكفى بالله شهيداً**﴾ فلا أحد أفضل من الله تعالى شهادة بأنه أنزل [عليك القرآن][1]. قوله تعالى: ﴿**إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله**﴾ يعني صرفوا الناس عن دين الله ﴿**قد ضلوا ضلالاً بعيداً**﴾ عن الحق. ثم قال تعالى: ﴿**إن الذين كفروا وظلموا**﴾ أي جحدوا وأشركوا ﴿**لم يكن الله ليغفر لهم**﴾ أي ما داموا على كفرهم ﴿**ولا ليهديهم طريقاً**﴾ يعني لا يوفقهم لطريق الإسلام. ﴿**إلا طريق جهنم**﴾ يعني يتركهم، ويخذلهم في طريق الكفر عقوبة لكفرهم، ولجحودهم، وهو طريق جهنم، ويقال: إلا العمل الذي يجبرهم إلى جهنم، وقال الضحاك: لا يهديهم طريقاً يوم القيامة، أي لا يرفع لهم طريق جهنم، وذلك أن أهل الإيمان يرفع لهم في الموقف طريق تأخذ بهم إلى الجنة، ويرفع لأهل الكفر طريق ينتهي بهم إلى النار. ثم قال تعالى: ﴿**خالدين فيها أبداً**﴾ أي دائمين فيها ﴿**وكان ذلك على الله يسيراً**﴾ أي خلودهم، وعذابهم في النار هين على الله تعالى. قوله تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾

﴿**يا أيها الناس**﴾، قال ابن عباس: يعني أهل مكة. ﴿**قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم**﴾ أي بشهادة أن لا إله إلا الله، ويقال: ببيان الحق، ويقال: للحق، يعني للعرض والحجة وقوله تعالى: (قد جاءكم) على وجه المجاز، لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد كان فيهم، ولكن معناه، أنه قد ظهر فيكم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قال في آية أخرى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أي ظهر فيكم ثم قال ﴿**فآمنوا خيراً لكم**﴾ أي صدقوا بوحدانية الله تعالى والقرآن الذي جاءكم به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خيراً لكم من عبادة الأوثان، لأن عبادة الأوثان لا تغنيكم شيئاً، ثم قال تعالى: ﴿**وإن تكفروا**﴾أي إن تجحدوا بالله وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) في ظ [وتأخير].

فإن الله غنياً عنكم ﴿فإن لله ما في السموات والأرض﴾ كلهم عبيده وإماؤه. ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حكيماً﴾ في أمره. ثم قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾. قال الضحاك: أي لا تكذبوا في دينكم، وقال بعض أهل اللغة الغلو(١)، مجاوزة القدر في الظلم، ويقال: الغلو أن تجاوز ما حد لك، وقال القتبي: يعني لا تفرطوا في دينكم، فإن دين الله بين المقصر والغالي، وغلا في القول إذا تجاوز المقدار، وقال ابن عباس: وذلك أن اليعقوبية، وهم صنف من النصارى قالوا: عيسى هو الله(٢)، وقالت النسطورية(٣): هو ابن الله، وقالت المرقوسية ويقال لهم الملكانية(٤): هو ثالث ثلاثة، فنزل (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)، قال مقاتل(٥): الغلو في الدين أن يقول على الله غير الحق(٦)، ويقال: لا تتعمقوا في دينكم. ثم قال تعالى: ﴿ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ يعني لا تصنعوا بالله بما لا يليق بصفاته، فإن الله تعالى واحد لا شريك له، ولا ولد له. ثم قال تعالى: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم﴾ وهو قوله: (كن فيكون) ثم قال: ﴿وروح منه﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي: يعني أمر منه، فأتاها جبريل فنفخ في جيب درعها، فدخلت تلك النفخة بطنها، ثم وصل إلى عيسى ابن مريم فتحرك في بطنها، وأمه أمة الله تعالى ﴿فآمنوا بالله ورسله﴾يعني صدقوا بوحدانية الله تعالى، وبما جاءكم به الرسل من الله تعالى، ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ يعني لا تقولوا أن الله ثالث ثلاثة ﴿انتهوا خيراً لكم﴾ يقول: توبوا إلى الله تعالى من مقالتكم، فالتوبة خيرٌ لكم من الإصرار على الكفر ﴿إنما الله إله واحد﴾ ثم نزه نفسه عما قال الكفار فقال: ﴿سبحانه أن يكون له ولد﴾ ثم قال تعالى: ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ من الخلق ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ يعني كفيلاً، ويقال: شاهداً، ولا شاهد أفضل منه. قوله تعالى:

لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ

---

(١) وقال بعضهم: غَلَوْتُ في الأمر غُلُوّاً وغلاية وغلانياً إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه. قال الأعشى وأنشده ابن بري. أو زد عليه الغلاينا. انظر لسان العرب ٥/٣٢٩٠ وترتيب القاموس ٤/٤١٨.

(٢) أصحاب يعقوب قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح. وهو الظاهر بجسده بل هو هو وعنهم أخبرنا القرآن الكريم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة ٧٢] وانظر تفصيل ذلك في الملل والنحل ٢/٣٠ ويسمون الآن (أرثوذكس).

(٣) أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه. وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو. واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم. انظر تفصيل ذلك في الملل والنحل للشهرستاني ٢/٢٩.

(٤) أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها ومعظم الروم ملكانية. قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً بل المسيح مع ما تدرع به ابن فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن.

وصرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم وذلك كالموصوف والصفة وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث وأخبر عنهم القرآن ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾.

انظر تفصيل أباطيلهم في الملل والنحل ٢/٢٧.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ٦٩.

(٦) انظر تفسير مقاتل ١/٨٤.

عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾

﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله﴾ يعني لن يتعظم، ولن يأنف، ولن يتكبر، ويقال: لن يحتشم أن يكون عبداً لله. ويقال: إن وفد نجران أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وناظروه في أمر عيسى - عليه السلام - فقال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم -: كان عبد الله ورسوله، فقالوا: لا تقل هكذا فإن عيسى يأنف عن هذا القول، فنزل تكذيباً لقولهم: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله)، يعني كان عيسى مقراً بالعبودية. ثم قال تعالى: ﴿ولا الملائكة المقربون﴾ يعني حملة العرش، لن يأنفوا عن الإقرار بالعبودية، وقال مقاتل: الملائكة المقربون، أقرب إليه، فلم يأنفوا عن عبادته فكيف يأنف عيسى - عليه السلام - وهو عبد من عباده. ثم قال تعالى: ﴿ومن يستنكف﴾ أي يتعظم ﴿عن عبادته ويستكبر﴾ والاستكبار: هو الاستنكاف، يقال: استنكف واستكبر، يعني استكبر عن طاعته ﴿فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ يأمر بهم إلى النار. ثم قال عز وجل: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ أي يوفر لهم ثواب أعمالهم ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أي من رزقه في الجنة ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا﴾ عن عبادة الله تعالى ﴿فيعذبهم عذاباً أليماً﴾ أي وجيعاً دائماً ﴿ولا يجدون لهم من دون الله﴾ يعني من عذاب الله ﴿ولياً﴾ يعينهم ﴿ولا نصيراً﴾ مانعاً يمنعهم. ثم قال عز وجل:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ أي بياناً من ربكم وحجة من ربكم، وهو محمد - صلى الله عليه وسلم - والقرآن ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ أي بياناً من العمى، وبيان الحلال من الحرام وهو القرآن. قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا بالله﴾ أي صدقوا بوحدانية الله تعالى ﴿واعتصموا به﴾ أي تمسكوا بدينه ﴿فسيدخلهم في رحمة منه﴾ يعني الجنة ﴿وفضل﴾ أي الثواب ﴿ويهديهم إليه﴾ أي يرشدهم إلى دينه ويوفقهم لذلك، وفي الآية تقديم وتأخير، فكأنه يقول: يهديهم في الدنيا ﴿صراطاً مستقيماً﴾ أي ديناً لا عوج فيه ويثيبهم على ذلك، ويدخلهم في الآخرة في رحمة منه وفضل، وهو الجنة والكرامة. قوله تعالى: ﴿يستفتونك﴾ يعني يسألونك في حكم الميراث ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ روي عن قتادة أنه قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد[1]، وكذلك قال ابن عباس[2]

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير ٨/٥٧ (٨٧٦٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ٨/٥٥ (٨٧٥٠).

وروي عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إني قد رأيت رأياً فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمن نفسي ومن الشيطان: الكلالة: ما عدا الوالد والولد[١]. وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: ثلاث لا يكون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينهن لنا، كان أحب إلي من الدنيا وما فيها: الكلالة، والخلافة وأبواب الربا[٢]. وروي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أنه سئل عن الكلالة فقال: ألم تر الآية التي أنزلت في النساء: (قل الله يفتيكم في الكلالة[٣] إن امروء هلك ليس له ولد) يعني هذا تفسير الكلالة وهذه الآية نزلت في شأن جابر بن عبد الله سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال إن لي أختاً فما لي من ميراثها؟ فنزلت هذه الآية فبين ميراث جابر أولاً ثم ميراث أخته، فصارت الآية عامة لجميع الناس. قال: ﴿إن امرؤ هلك﴾ يعني إن مات رجل ﴿ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾ من المال ﴿وهو يرثها﴾ يعني إذا ماتت الأخت والأخ حي ورثها ﴿إن لم يكن لها ولد﴾. وقد ذكرت الآية حكم الأخ والأخت، إذا لم يكن لهما ولد، ولم يبين أنه لو كان لأحدهما ولد فمات أحدهما فما حكمه؟ ولكن بين على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن للابنة النصف وما بقي فللأخت، وإن كانت الأخت هي التي ماتت وتركت ابنة وأخاً فللابنة النصف وما بقي فللأخ وفي هذا إجماع، وفي الأول اختلاف، قال ابن عباس[٤]: لا ترث الأُخت مع الابنة شيئاً، وخالفه جميع الصحابه، وقالوا كلهم الأخوات مع البنات عصبة. ثم قال تعالى ﴿فإن كانتا آثنتين فلهما الثلثان مما ترك﴾، (يعني إذا كان للميت أختان أو أكثر فلهما الثلثان إذا كانتا آثنتين، وإن كن أكثر من ذلك فلهن الثلثان أيضاً بالإجماع، ثم قال:). ﴿وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً﴾ يعني إخوة وأخوات ﴿فللذكر مثل حظ الأُنثيين﴾ يعني لكل سهمان ولكل أخت سهم، هذا إذا كانت الأخوة والأخوات من الأب والأم، أو من الأب خاصة فأما إذا كانوا من قبل الأم فهم شركاء في الثلث، ليس لهم أكثر من ذلك كما ذكرنا في أول السورة وهذا بالإجماع، ثم قال عز وجل: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ أي يبين الله لكم قسمة المواريث، لكي لا تضلوا ولا تخطئوا في قسمتها، وقد يحذف (لا) فيراد به إثباته، كقوله (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) يعني أن لا تميد بكم، وقد يذكر (لا) ويراد حذفه كقوله: (قال ما منعك ألا تسجد) يعني أن تسجد، وكقوله (لا أقسم) أقسم ثم قال تعالى ﴿والله بكل شيء عليم﴾ من قسمة المواريث وغيره، أي اتبعوا ما أنزل الله تعالى وبين لكم في كتابه. (والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً).

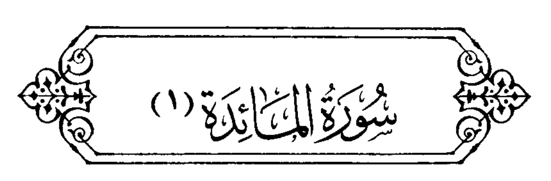
---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير ٨/٥٣، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦/٢٢٣، ٢٢٤ وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٢/٤٣٦ وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٥٠ لعبد الرزاق وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر.

(٢) أخرجه البخاري ١٠/٤٨ في كتاب الأشربة (٥٥٨٨)، وأخرجه مسلم ٤/٢٣٢٢ في كتاب التفسير (٣٢/٣٠٣٢)، ٣/٣٠٣٢) وأخرجه ابن ماجه ٢/٩١١ في كتاب الفرائض (٧٢٧) وقال البوصيري عن إسناد ابن ماجه رجال إسناده ثقات إلا أنه منقطع.

(٣) أخرجه مسلم ٣/١٢٣٦ في كتاب الفرائض (٩/١٦١٧).

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ٩/٤٤٣.



كلها مدنية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

[قال الفقيه ـ رضي الله عنه](٢) حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا السراج، قال: حدثنا إسحق بن إبراهيم

---

(١) هذه السورة سميت في كتب التفسير وكتب السنة بسورة «المائدة» لأن فيها قصة المائدة التي سألها الحواريون من عيسى ـ عليه السلام ـ وقد اختصت بذكرها، وفي مسند أحمد بن حنبل وغيره وقعت تسميتها سورة المائدة في كلام عبد الله بن عمر وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت يزيد وغيرهم فهذا أشهر أسمائها.

وتسمى أيضاً سورة «العقود»: إذ وقع هذا اللفظ في أولها. وتسمى أيضاً المنقذة ففي أحكام القرآن لابن الفرس: روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (سورة المائدة تدعى في ملكوت السماوات المنقـذة) قال: أي أنها تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب. وفي كتاب كنايات الأدباء لأحمد الجرجاني (يقال: فلان لا يقرأ سورة الأخيار أي لا يفي بالعهد وذلك أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يسمون سورة المائدة «سورة الأخيار» قال جرير:

إن البعيث وعبد آل مقاعس لا يقرآن بسورة الأحبار

وهي مدنية باتفاق روي أنها نزلت منصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الحديبية بعد سورة الممتحنة فيكون نزولها بعد الحديبية بمدة لأن سورة الممتحنة نزلت بعد رجوع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة من صلح الحديبية وقد جاءته المؤمنات مهاجرات وطلب منه المشركون إرجاعهن إليهم عملاً بشروط الصلح فأذن الله للمؤمنين بعدم إرجاعهن بعد امتحانهن.

روى ابن أبي حاتم عن مقاتل أن آية ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ ـ إلى ـ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ نزلت عام الحديبية، فلعل ذلك الباعث للذين قالوا: إن سورة العقود نزلت عام الحديبية وليس وجود تلك الآية في هذه السورة بمقتض أن يكون ابتداء نزول السورة سابقاً على نزول الآية، إذ قد تلحق الآية بسورة نزلت متأخرة عنها. وفي الإتقان: أنها نزلت قبل سورة النساء ولكن صح أن آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت يوم عرفة في عام حجة الوداع. ولذلك ـ اختلفوا في أن هذه السورة نزلت متتابعة أو متفرقة ولا ينبغي التردد في أنها نزلت منجمة.

وقد احتوت هذه السورة على تشريعات كثيرة تنبىء بأنها أنزلت لاستكمال شرائع الإسلام، ولذلك افتتحت بالوصاية بالوفاء بالعقود أي بما عاقدوا الله عليه حين دخولهم في الإسلام من التزام ما يؤمرون به، فقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأخذ البيعة على الصلاة والزكاة والنصح لكل مسلم، كما في حديث جابر بن عبد الله في الصحيح وأخذ البيعة على الناس بما في سورة الممتحنة كما روى عبادة بن الصامت، ووقع في أولها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ فكانت طالعتها براعة استهلال.

وذكر القرطبي: أن فيها تسع عشرة فريضة ليست في غيرها وهي سبع في قوله ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ، وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ، وَمَا عَلَّمْتُم من الجَوَارِح مكلبين ـ وطَعَامُ الذين أوتوا الكتاب والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب، وتمام الطهور إذا قمتم إلى الصلاة﴾. (أي إتمام ما لم يذكر في سورة النساء) ـ ﴿والسارق والسارقة﴾ ﴿ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ إلى قوله ﴿عزيز ذو انتقام﴾ ﴿وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ وقوله تعالى: ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ الآية وقوله ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة﴾ ليس في القرآن ذكر للأذان للصلوات إلّا في هذه السورة. اهـ.

وقد احتوت على تمييز الحلال من الحرام في المأكولات، وعلى حفظ شعائر الله في الحج والشهر الحرام، والنهي عن بعض=

(٢) سقط في أ.

الحنظلي[١]، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي[٢]، قال: حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية[٣]، عن جبير[٤] بن [نفير][٥]، قال: دخلت على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقالت: هل تقرأ سورة المائدة؟ فقلت نعم، قالت فإنها من آخر ما أنزل الله على نبيه [فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه][٦]، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه[٧]. وقال الشعبي: لم ينسخ من هذه السورة غير قوله: (ولا الشهر الحرام ولا الهدي، ولا القلائد... الآية)[٨]. وقال بعضهم: نسخ منها قوله: (أو آخران من غيركم) قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ

= المحرمات من عوائد الجاهلية مثل الأزلام. وفيها شرائع الوضوء والغسل والتيمم، والأمر بالعدل في الحكم، والأمر بالصدق في الشهادة، وأحكام القصاص في الأنفس والأعضاء، وأحكام الحرابة وتسلية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن نفاق المنافقين، وتحريم الخمر والميسر، والأيمان وكفارتها. والحكم بين أهل الكتاب، وأصول المعاملة بين المسلمين وبين أهل الكتاب وبين المشركين والمنافقين، والخشية من ولايتهم أن تفضي إلى ارتداد المسلم عن دينه. وإبطال العقائد الضالة لأهل الكتابين، وذكر مساوىء من أعمال اليهود، وإنصاف النصارى فيما لهم من حسن الأدب وأنهم أرجى للإسلام، وذكر قصة التيه وأحوال المنافقين، والأمر بتخلق المسلمين بما يناقض أخلاق الضالين في تحريم ما أحل لهم، والتنويه بالكعبة وفضائلها وبركاتها على الناس وما تخلل ذلك أو تقدمه من العبر، والتذكير للمسلمين بنعم الله تعالى، والتعريض بما وقع فيه أهل الكتاب من نبذ ما أمروا به والتهاون فيه. واستدعاؤهم للإيمان بالرسول الموعود به. وختمت بالتذكير بيوم القيامة، وشهادة الرسل على أممهم، وشهادة عيسى على النصارى وتمجيد الله تعالى. انظر التحرير ٦/٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٤.

(١) أبو يعقوب الحنظلي المعروف بابن راهويه المروزي. انظر تهذيب التهذيب ١/٢١٦.

(٢) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري أبو سعيد البصري. انظر تهذيب التهذيب ٦/٢٧٩.

(٣) حدير بن كريب الحضرمي، ثقة كبير انظر تهذيب التهذيب ٢/٢١٨.

(٤) بن مالك بن عامر الحضرمي انظر التهذيب ٢/٦٤.

(٥) في أ [نصير]. (٦) سقط في أ.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣١١ في التفسير، باب تفسير سورة المائدة. وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وأخرجه أحمد في المسند ٦/١٨٨ عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح. وزاد (وإذا سألتها عن خلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال القرآن) وأخرجه البيهقي من طريق الحاكم ٧/١٧٢ في النكاح باب جماع أبواب نكاح حرائر أهل الكتاب. وعزاه الشوكاني في فتح القدير ٣١٢ فضلاً عن هؤلاء لابن جرير الطبري والنسائي، قلت: انظر تفسيره ١/٤٢٧، وأخرجه ابن مردويه.

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٥٢ لعبد بن حميد وأبي داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر والنحاس انظر فتح القدير ٢/٤.

إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ فهذا نداء المدح، والنداء في القرآن على سبع مراتب: نداء المدح: مثل قوله: (يا أيها النبي) (يا أيها الذين آمنوا) (يا أيها الرسل). ونداء الذم مثل قوله تعالى: (يا أيها الذين كفروا) (يا أيها الذين هادوا). ونداء التنبيه: مثل قوله: (يا أيها الإنسان). ونداء الإضافة: مثل قوله: (يا عبادي). ونداء النسبة: مثل قوله: (يا بني آدم) (يا بني إسرائيل) ونداءالاسم: مثل قوله: (يا إبراهيم) (يا داود). ونداء التعبير: مثل قوله: (ياأهل الكتاب). فههنا نداء المدح: (يا أيها الذين آمنوا) وهو من جوامع الكلم لأنه قال: «يا أيها الذين آمنوا» يعني صدقوا، ولم يقل بأي شيء صدقوا، معناه الذين صدقوا بوحدانية الله تعالى، وصدقوا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالقرآن وصدقوا بجميع الرسل، وبالبعث والحساب والجنة والنار. وقال عبد الله بن مسعود كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه، وإن أدب الله القرآن، فإذا سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فارعها سمعك، فإنه خير مأمور به، أو شر منهي عنه[١]. ويقال: جميع ما في القرآن: (يا أيها الذين آمنوا) نزل بالمدينة وكل ما يقال في القرآن: (يا أيها الناس) نزل أكثره بمكة، وقد قيل نزل بالمدينة أيضاً ويقال: كل ما في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) ذكر في مقابله في الإنجيل: (يا أيها المساكين). ثم قال: ﴿أَوْفُوْا بِالْعُقُوْدِ﴾ يعني أتموا الفرائض التي ذكر الله تعالى في القرآن، وعقد على عباده ما أحل لهم وحرم عليهم، أن يوفوا بها. وقال مقاتل: ﴿أوفوا بالعقود﴾ يعني بالعهود التي بينكم وبين المشركين، ويقال: جميع العقود التي بينه وبين الناس، والتي بينه وبين الله تعالى، وهذا من جوامع الكلم، لأنه اجتمع فيه ثلاثة أنواع من العقود: أحدها: العقود التي عقد الله تعالى على عباده، من الأوامر والنواهي. والنوع الثاني: العقود التي يعقدها الإنسان بينه وبين الله تعالى من النذور والأيمان وغير ذلك. والنوع الثالث: العقود التي بينه وبين الناس: مثل البيوع والإجارات وغير ذلك، فوجب الوفاء بهذه العقود كلها[٢]. ثم قال: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ﴾ يعني رخصت لكم ﴿بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ والأنعام تشتمل على الإبل والبقر، والغنم والوحش، دليله على قوله تعالى: (ومن الأنعام حمولة وفرشاً) ثم قال: (ثمانية أزواج)، وأما البهيمة فهي كل حي لا يتميز، وإنما قيل لها بهيمة لأنها أبهمت من أن تميز، ثم قال: ﴿إِلاَّ مَاْ يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني رخصت لكم الأنعام كلها، إلا ما حرم عليكم في هذه السورة وهي الميتة، والدم، ولحم الخنزير وغير ذلك، وذلك أنهم كانوا يحرمون السائبة، والبحيرة، فأخبر الله تعالى: أنهما حلالان (إلا ما يتلى عليكم) يعني إلا ما بين في هذه السورة. ثم قال: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ يعني أحلت لكم هذه الأشياء من غير أن تستحلوا الصيد وأنتم محرمون. ثم قال: ﴿إِنَّ الله يَحْكُمُ مَاْ يُرِيدُ﴾ يعني يحل ما يشاء، ويحرم ما يشاء، لأنه أعرف بصلاح خلقه، وما يصلحهم، وما لا يصلحهم وليس لأحد أن يدخل في حكمه، وهذا كقوله: (ولا يشرك في حكمه أحداً) وقال: (لايسأل عما يفعل وهم يسألون)

---

(١) أخرجه ابن كثير في التفسير ٣/٤ قال قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدَّثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مسعر. حدثني معن وعوف أو أحدهما: أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود فقال: اعهد إليَّ فقال: إذا سمعت. الخ.

(٢) ولا وجه لتحقيق بعضها دون بعض فالقدر الذي يجب الوفاء به ما وافق كتاب الله تعالى وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن خالفهما فهو رده.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَائِرَ اللهِ﴾ الشعائر ما جعل الله علامات الطاعات، وأحدها شعيرة، ومعناه لا تستحلوا شيئاً من ترك المناسك كلها، مما أمر الله تعالى من أمر الحج، وهو السعي بين الصفا والمروة، والخروج إلى عرفات ورمي الجمار والطواف واستلام الحجر[١] وغير ذلك[٢]. وذلك أن الأنصار كانوا لا يسعون بين الصفا والمروة، وكان أهل مكة لا يخرجون إلى عرفات، وكان أهل اليمن يرجعون من عرفات، فأمر الله تعالى في هذه السورة بأن لا يتركوا شيئاً من أمور المناسك، ثم قال: ﴿وَ لاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ يعني لا تستحلوا القتل في الشهر الحرام ﴿وَلاَ الْهَدْيَ، وَلاَ الْقَلاَئِدَ﴾ يقول: لا تتعرضوا له ولا تستحلوا، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا خرجوا إلى مكة، وكانوا إذا قلدوا الهدي أمنوا بذلك، ومن يكن له هدي جعل في عنق راحلته قلادة، ومن لم يكن معه راحلة جعل في عنقه قلادة من شَعر أو وبر، فيأمن بذلك فإذا رجع من مكة جعل شيئاً من لحاء شجر مكة في عنق راحلته فيأمن بذلك، ليعرف أنه كان حاجاً، فأمرهم الله تعالى بأن لا يستحلوا ذلك، يعني من فعل ذلك، لا يتعرض له. ثم قال تعالى: ﴿وَلاَ آمِّيْنَ﴾ يقول: ولا تستحلوا قاصدين ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ نزلت في «شُرَيْح بن ضُبَيْعة بن شُرَحْبِيل اليماني» دخل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلمه، فلما خرج من عنده مَرَّ بسرح لأهل المدينة، فساقها وانتهى إلى اليمامة، ثم خرج من هناك نحو مكة، ومعه تجارة عظيمة فهم أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يخرجوا إليه، ويغيروا على أمواله، فنزل: (ولا آمين البيت الحرام)[٣]، ﴿يبتغون فضلاً من ربهم﴾ يعني الربح في المال، ﴿وَرِضْوَاْنًا﴾ يعني يطلبون بحجهم رضوان ربهم فلا يرضى عنهم حتى يؤمنوا، ثم نسخ بقوله: (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم). ولم ينسخ قوله (لا تحلوا شعائر الله)، ولكنه محكم فوجب إتمام أمور المناسك. ولهذا قال أصحابنا: (إن الرجل إذا دخل في الحج ثم أفسده فعليه أن يأتي بجميع أفعال الحج، ولا يجوز أن يترك ثم عليه القضاء في السنة الثانية، ونسخ قوله: (ولا الشهر الحرام) فيجوز القتال في الشهر الحرام بقوله: (قاتلوا المشركين كافة). وقوله تعالى: (ولا الهدي، ولا القلائد) فهو محكم أيضاً، ولم ينسخ فكل من قلد الهدي (وتوجه إلى مكة) ونوى الإحرام صار محرماً، ولا يجوز له أن يحل بدليل هذه الآية، فهذه الأحكام معطوفة بعضها على بعض، بعضها منسوخة وبعضها محكمة. فإن قيل: قد قال: يبغون فضلاً من ربهم، ورضواناً، فأخبر أنهم يطلبون رضوان ربهم، ولم يذكر أن طلبهم كان باطلاً، قيل له: لأنه لم يذكر في لفظ الآية أمر الكفار، وإنما بين النهي عن التعرض للذين يقصدون البيت، فإن كان الذي قصد كافراً فقد بين في آية أُخرى أنه لم يقبل منه، وإن لم يذكر ها هنا وهو قوله: (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) وقال: ﴿وَإِذَاْ حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ﴾ يعني: إذا حللتم من إحرامكم، فاصطادوا إن شئتم، فهذه رخصة بلفظ الأمر كقوله: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) وكقوله: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود. . . الآية) وقال الضحاك: (وإذا حللتم) يعني إذا خرجتم من إحرامكم، وخرجتم من حرم الله تعالى، وأمنه فاصطادوا. ثم قال: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُم شنئان قَوْمٍ﴾ يقول: ولا يحملنكم عداوة كفارة مكة ﴿أَنْ صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني عام الحديبية ﴿أَنْ تَعْتَدُواْ﴾

---

(١) في ب [والأسود وطواف الزيارة وغير ذلك].

(٢) وهذا التعريف ليس على صيغة الحدود والتعريفات لأنه تعريف بالخصائص ويطلق في الشرع «عبارة عن قصد مخصوص إلى مكان مخصوص في زمان مخصوص».

انظر طلبة الطلبة ٢٧، شرح الحدود ٩٥، المطلع ١٦٠، تبين الحقائق ٢/٢، وانظر تفصيل أحكامه في البدائع ١٠٧٨/٣، المسبوط ٢/٤، شرح المهذب ٣/٧، المغني ٢١٣/٣، الكافي لابن عبد البر ٣٥٦/١.

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي ١٣٩ وبنحوه انظر الدر المنثور ٢٥٤/٢.

على حجاج اليمامة (من المشركين)، فتستحلوا منهم. وفي الآية دليل: أن المكافأة لا يجوز من غير جنس الذي **فعل** به وتكون تلك المكافأة اعتداء، لأن الله تعالى قال: (ولا يجرمنكم شنآن قوم) يعني بغض قوم وعداوتهم (أن **تعتدوا**) يعني تجاوزوا الحد في المكافأة قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر:[١] (شنآن) بجزم النون وقرأ الباقون (شنآن) بالنصب. وقال القتبي، لا يقال في المصادر فعلان، وإنما يقال ذلك في الصفات مثل عطشان، وسكران، وفي المصادر يقال: فعلان، مثل طيران ولهفان وشنآن. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو[٢] (**إن** صدوكم) بكسر الألف على معنى الابتداء، وقرأ الباقون بالنصب على معنى البناء. ثم قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ يعني تعاونوا على أمر الله واعملوا به. وروى ابن عباس: البرُّ: ما أمر الله تعالى به[٣]، يعني تحاثوا على أمر الله، واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله تعالى عنه، وامتنعوا عنه، وهذا موافق لما روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: الدال على الخير كفاعله[٤] وقد قيل: الدال على الشر كصانعه[٥]. ثم قال: ﴿**وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ قال القتبي: العدوان على وجهين: عدوان في السبيل كقوله: (فلا عدوان إلا على الظالمين) وكقوله (فلا عدوان عليّ) والثاني: عدوان في الظلم، كقوله (فلا تتناجوا بالإثم والعدوان) وكقوله (ولا تعاونوا **على** الإثم والعدوان) يعني به **حجاج** أهل اليمامة وصارت الآية عامة في جميع الناس. ثم قال: ﴿**وَاتَّقُواْ اللَّهَ**﴾ يقول: واخشوا الله وأطيعوه فيما يأمركم به، ﴿**إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ إذا عاقب. قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ**﴾ يعني حرم عليكم أكل الميتة، والميتة كل ما مات حتف أنفه بغير ذكاة، فهو حرام، إلا الجراد والسمك فقد أباحهما **على** لسان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قال: أحلت لنا [دمان وميتتان][٦] السمك والجراد، والكبد والطحال[٧] ثم قال: ﴿**وَالدَّمُ**﴾ يعني حرم عليكم أكل الدم وشربه، وهو الدم المسفوح، كما قال في آية أخرى: (إلا أن يكون ميتة، أو دماً مسفوحاً) وأما الدم الذي بقي بعد الإنهار فهو مباح، مثل الطحال والكبد والصفرة التي بقيت في اللحم، ثم قال: ﴿**وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ**﴾ يعني أكل لحم الخنزير فذكر اللحم والمراد به اللحم والشحم وغير ذلك، وهذا حرام بإجماع المسلمين، ثم قال: ﴿**وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾ يعني حرم عليكم أكل ما ذبح لغير الله، وأصل الإهلال، رفع الصوت ومنه، استهلال الصبي، وإهلال الحج وإنما سمي الذبح إهلالاً لأنهم كانوا يرفعون الصوت عند الذبح بذكر آلهتهم، فحرم الله تعالى ذلك، ثم قال: ﴿**وَالْمُنْخَنِقَةُ**﴾ وهي الشاة التي تختنق فتموت، وكان بعض أهل الجاهلية، يستحلون ذلك ويأكلونها ثم قال ﴿**وَالْمَوْقُوذَةُ**﴾ يعني حرم عليكم أكل الموقوذة، وهي التي تضرب بالخشب فتموت. وأصله في اللغة: هي الإشراف على الهلاك، (فإذا ضرب بالخشب حتى أشرف على الموت، ثم يتركه، يقال: وقذه، ويقال: فلان وقيذ وقذته العبادة، أي ضعف وأشرف على الهلاك). ثم قال: ﴿**والمتردية**﴾ وهي الشاة التي تخر من الجبل أو تتردى في بئر فتموت، ﴿**والنطيحة**﴾ وهي الشاة التي تنطح صاحبها

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢١٩، سراج القارىء ١٩٨.

(٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٢٠، وسراج القارىء ١٩٨، شرح شعلة ٣٤٧.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٩/٤٩١.

(٤) أخرجه أبو يعلى في المسند ٧/٢٧٥ (١٥٤١ / ٤٢٩٦) وفي إسناده زياد بن عبد الله النميري، وأخرجه أيضاً البزار كما في كشف الأستار ٢/٣٩٩ باب قضاء الحوائج من طريق بشر بن معاذ ثنا السكن بن إسماعيل بإسناد إلى أبي يعلى، وأخرجه الترمذي في العلم (٢٦٧٢) وقال غريب من هذا الوجه وهو عند أبي حنيفة في مسنده عن أنس (٤٧٢).

(٥) انظر تفسير القرطبي ٦/٤٦.

(٦) في أ [تقديم وتأخير].

(٧) أخرجه الشافعي في المسند ٢/١٧٣ في الصيد والذبائح (٦٠٧)، وأحمد ٢/٩٧، وابن ماجه ٢/١١٠١ في الأطعمة (٣٣١٤)، والدارقطني ٤/٢٧١ في الصيد والذبائح (٢٥)، والبيهقي ١/٢٥٤ في الطهارة وفي ٩/٢٥٧ في الصيد والذبائح.

فيقتلها ثم قال: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ وهي فريسة السبع، فحرم الله تعالى أكل هذه الأشياء كلها على المؤمنين، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُم﴾ يعني إلا ما أدركتم ذكاته، فذكيتموه قبل أن يموت، فلا بأس بأكله.

قال القتبي: أصل الذكاة من التوقد، يقال: ذكيت النار إذا ألقيت عليها شيئاً من الحطب، وإنما سميت الذكية ذكية، لأنها صارت بحال ينتفع بها. وقال الزجاج: أصل الذكاة، تمام الشيء، وقوله إلا ما ذكيتم يعني ما أدركتم ذبحه على التمام. ثم قال: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ قال القتبي: النصب هو حجر أو صنم منصوب، كانوا يذبحون عنده، وجمعه أنصاب، ويقال: كانوا يذبحون لأعيادهم باسم آلهتهم ثم قال: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلَامِ﴾ والأزلام: القداح واحدها زلم، على ميزان قلم وأقلام، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يجتمعون عشرة أنفس ويشترون جزوراً، وجعلوا لحمه على تسعة أجزاء، وأعطى كل واحد منهم سهماً من سهامه فجمعوا السهام عند واحد منهم، أو شيء من الأحجار، ثم يخرج هذا الرجل واحداً واحداً من السهام، فكل من خرج سهمه يأخذ جزءاً من ذلك اللحم فإذا خرج تسعة من السهام لا يبقى شيء من اللحم، ولا يكون للذي بقي اسمه آخراً شيء من اللحم وكان ثمن الجزور كله عليه، وكان نوع آخر: أنهم كانوا يجعلون عشرة من القداح، وكان لكل واحد منها سهم، ولم يكن لثلاثة منها نصيب من اللحم، وهو السفيح والمنيح والوغد، وكان للسبعة لكل سهم نصيب، وهو القذ والتوأم، والرقيب والمعلى، والحلس والناقس، والمسبل، ويقال: كان إذا أراد واحد منهم السفر أخرج سهمين من القداح في واحد منها مكتوب أمرني ربي، وفي الآخر نهاني ربي، فيخرج أحدهما، فإن خرج باسمه: أمرني ربي، وجب عليه الخروج ولم يجز له التخلف، وإن خرج الآخر، لا يسعه الخروج، فنهى الله تعالى عن ذلك كله، بقوله: ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ يعني هذه الأفعال معصية وضلالة، واستحلالها كفر ثم قال: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ يعني كفار العرب، أن تعودوا كفاراً حين حج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجة الوداع وليس معهم مشرك. وقال الضحاك[1]: نزلت هذه الآية حين فتح مكة[2] [وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ][3] فتح مكة لثمان بقين من رمضان، سنة سبع، ويقال: سنة ثمان ودخلها ونادى منادي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا من قال لا إله إلا الله فهو آمن، ومن وضع السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، فانقادت قريش لأمر الله ورفعوا أيديهم وأسلموا. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ يقول: فلا تخشوا صولة المشركين فأنا معكم، وناصركم، ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ في ترك أمري ثم قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يعني أتممت لكم شرائع دينكم، وذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيت كان بمكة لم يكن إلا فريضة الصلاة وحدها، فلما قدم المدينة أنزل الله الحلال والحرام، فنزلت هذه الآية: (اليوم أكملت لكم دينكم) يعني دينكم، حلالكم وحرامكم. وروى حماد بن سلمة[4] عن عمار بن أبي عمار[5] عن ابن عباس أنه قرأ: (اليوم أكملت لكم دينكم)، فقال له يهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال ابن عباس: فإنها نزلت في يوم عيدين يوم الجمعة، ويوم عرفة[6]. قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، قال حدثنا ابن صاعد، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي[7]،

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٦/٤١. (٢) في أ [أي من وقت الهجرة]. (٣) سقط في ب.

(٤) أبو سلمة البصري، ثقة، انظر تهذيب التهذيب ٣/١١.

(٥) أبو عمر مولى بني هاشم ويقال مولى بني الحارث بن نوفل أبو عمرو ويقال أبو عمر، ويقال أبو عبد الله المكي. انظر تهذيب التهذيب ٧/٤٠٤.

(٦) أخرجه الترمذي ٥/٢٣٣ في التفسير (٣٠٤٤) وقال حسن غريب وعزاه ـ السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٥٨ للطيالسي وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير والطبراني والبيهقي في الدلائل.

(٧) يعقوب بن إبراهيم بن كثير أبو يوسف. انظر تهذيب التهذيب ١١/٣٨١.

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن قيس بن مسلم[١] عن طارق[٢]، أن اليهود قالوا لعمر بن الخطاب إنكم لتقرأون آية، لو نزلت فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، (اليوم أكملت لكم دينكم) فقال عمر: إني لأعلم حيث نزلت، وفي أي يوم نزلت، أنزلت بيوم عرفة ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واقف بعرفة[٣]، فإن قيل في ظاهر هذه الآية دليل، ان الدّين يزيد حيث قال: (اليوم أكملت لكم دينكم)، قيل له: ليس فيها دليل، لأنه أخبر أنه أكمل في ذلك اليوم وليس فيها دليل: أنه لم يكمل قبل ذلك، ألا ترى أنه قال في سياق الآية: (ورضيت لكم الإسلام ديناً) ليس فيه دليل أنه لم يرض قبل ذلك، ولكن معناه أنه قد أظهر وقرر، كما جاء في الخبر أن رجلاً أعتق ستة أعبد له في مرضه، فأعتق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إثنين منهم[٤]، يعني أظهر عتقهما وقرر، ولم يرد به الابتداء. وقال مجاهد[٥]: معناه، اليوم أتممت لكم ظهور دينكم، وغلبة دينكم ونصرته وقال قتادة: معناه، أخلص لكم دينكم. ثم قال ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ يعني منتي، فلم يحج معكم مشرك، ﴿وَرَضِيتُ﴾ يعني اخترت ﴿لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وروي في الخبر أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عاش بعد نزول هذه الآية إحدى وثمانين ليلة، ثم مضى لسبيله ـ صلوات الله عليه ـ وقال الزجاج: (اليوم) صار نصباً للظرف، ومعناه: اليوم أكملت لكم دينكم. وقال معاذ بن جبل: النعمة لا تكون إلا بعد دخول الجنة، فصار كأنه قال: رضيت لكم الجنة، لأنه لا تكون النعمة تماماً حتى يضع قدميه فيها[٦]. ثم رجع إلى أول الآية فقال: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ وذلك أنه لما بين المحرمات علم أن بعض الناس اضطروا إلى أكله فأباح لهم أكله عند الضرورة. فقال: فمن اضطر، يعني اجهد إلى شيء مما حرم الله تعالى عليه، في مخمصة، يعني مجاعة، وأصل الخمص ضمور البطن ودقته، فإذا جاع فقد خمص بطنه، ثم قال: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ يعني غير متعمد المعصية لأكله فوق الشبع وأصل الجنف: الميل. وقال الزجاج: يعني غير متجاوز للحد، وغير آكل لها على وجه التلذذ فلا إثم عليه في أكله. وقال أهل المدينة: المضطر يأكل حتى يشبع. وقال أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله: يأكل مقدار ما يأمن به الموت، وكذلك قال الشافعي[٧]. ثم قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يعني غفور فيما أُكل، رحيم حين رَخَّص له في أكله عند الاضطرار. قرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو[٨]: (فمن اضطر) بكسر النون لاجتماع الساكنين، وقرأ الباقون: بالضم.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ

(١) قيس بن مسلم الجدلي العدواني أبو عمرو الكفوفي. انظر تهذيب التهذيب ٨/٤٠٤.

(٢) طارق بن شهاب بن عبد شمس بن هلال البجلي أبو عبد الله. انظر تهذيب التهذيب ٥/٤.

(٣) البخاري في كتاب الإيمان (٤٥)، وفي المغازي (٤٤٠٧)، وفي التفسير (٤٦٠٦)، وفي الإعتصام (٧٢٦٨)، ومسلم في التفسير (٣، ٤، ٥، ٣٠١٧)، والترمذي في التفسير (٣٠٤٣)، والنسائي في المجتبى في مناسك الحج (٢. ٣٠)، (٥٠١٢).

(٤) من حديث عمران بن حصين. أخرجه مسلم ٣/١٢٨٨ في الإيمان باب من أعتق شركاً له (٥٦/١٦٦٨).

(٥) انظر تفسير القرطبي ٦/٤٢ وقال: قلت الأول أصح أنها نزلت في يوم جمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واقف بعرفة على ناقته العضباء.

(٦) ذكر ذلك القرطبي ولم يعزوه لأحد انظر تفسيره ٦/٤٢.

(٧) لأن ذلك ضرورة، والضرورة تقدر بقدرها.

(٨) انظر البحر المحيط ٣/٤٢٧.

وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ نزلت الآية في شأن «عدي بن حاتم الطائي»، قال: قلت يا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنا قوم نتصيَّد بهذه الكلاب والبزاة، فما يحل لنا منها؟ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما علّمت من كلب أو بازيٍّ، ثم أرسلته، وذكرت اسم الله تعالى عليه فكل ما أَمْسَكَ عليك، فقلت: وإن قتله، قال: إن قتله ولم يأكل منه شيئاً، فكل فإنما أمسك عليك، وإن أكل منه شيئاً فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه قال: قلت: فإذا خالط كلابنا كلابٌ أخرى حين ترسلها؟ قال: لا تأكل حتى تعلم أن كلبك هو الذي أمسك عليك، ونزلت هذه الآية[1]: (يسألونك ماذا أحل لهم) يعني ماذا رخص لهم من الصيد [ويقال لما أنزل قوله تعالى «حرمت عليكم» قالوا إن الله تعالى حرم هذه الأشياء فأي شيء لنا حلال يا رسول الله][2] ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُم الطَّيِّبَاتُ﴾ يعني رخص لكم الحلالات من الذبائح [﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ يعني وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح من الطير][3] والكلاب الكواسب، ويقال: الجوارح الجارحات. ثم قال: ﴿مُكَلِّبِيْنَ﴾ بكسر اللام، وقرأ بعضهم بالنصب، فمن قرأ بالكسر يعني به أصحاب الكلاب، المعلّمين للكلاب ومن قرأ بالنصب، أراد به الكلاب، يعني الكلاب المعلَّمة، (مكلبين) يعني معلمين [4] ثم قال: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ يعني تؤدبونهن في طلب الصيد ﴿مِمَّا عَلَّمَكُم اللَّهُ﴾ يقول كما أدبكم الله تعالى، وروي عن مجاهد أنه سئل عن الصقر والبازي والفهد، قال: هذه كلها جوارح، ولا بأس بصيده إذا كان معلماً. ثم قال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني حبسن عليكم ﴿وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إذا أرسلتم الكلاب على الصيد. وفي هذه الآية دليل: أن الكلب إذا كان أَكَل لا يؤكل، لأنه أمسك لنفسه، وفيها دليل: أنه لا يجوز إلا بالتسمية، لأنه قد أباح على شرط التسمية، وعلى شرط أن يمسك لصاحبه، وفيها دليل أيضاً أن الكلب إذا كان غير معلَّم لا يجوز أكلُ صيده، وفيها دليل أيضاً أن العالِم له من الفضيلة ما ليس للجاهل، لأن الكلب إذا عُلِّم يكون له فضيلة على سائر الكلاب، وأن الإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له فضل على سائر الناس، وهذا كما روي عن علي ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: لكل شيء قيمة، وقيمة المرء ما يُحْسِن. ثم خوّفهم فقال: ﴿واتَّقُوْا اللَّهَ﴾ أي اخشوا الله ولا تأكلوا الميتة ولا تأكلوها لم يذكر اسم الله عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ﴾ يعني سريع المجازاة، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ يعني المذبوحات من الحلال يعني اليوم أظهر وبين حله، ثم قال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِيْنَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني ذباح أهل الكتاب ﴿حِلٌّ لَكُمْ﴾ يعني حلال لكم أكله ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ يعني ذبائحكم وطعامكم رخص لهم أكله. وقال الزجاج: تأويله أحل لكم أن تطعموهم، لأن الحلال والفرائض إنما تعتمد على أهل الشريعة. ثم قال: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ يعني أحل لكم تزوج العفائف من المؤمنات ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِيْنَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ يعني العفائف من أهل الكتاب ﴿مِنْ قَبْلِكُم﴾ يعني أُعْطوا الكتاب من قبل كتابكم وهو التوراة والإنجيل، واختلفوا في نكاح الصابية وقد ذكرناه في سورة البقرة ثم قال: ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني أعطيتموهن مهورهن ﴿مُحْصِنِيْنَ غير مسافحين﴾ يقول: كونوا متعففين عن الزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ يقول: لا تتخذوا خِدْناً فتزنوا بها سراً، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي ٢٨. (٢) سقط في ظ. (٣) سقط في أ.

(٤) ويشترط في كون الكلب معلماً أربعة أمور أحدها: أن ينزجر بمزجر صاحبه، ثانياً: أن يسترسل بإرساله. ثالثاً: أن يمسك الصيد. رابعاً: أن لا يأكل منه.

يعيِّرون من يزني [في العلانية ولا يعيرون من يزني][١] سراً فحرم الله زنا السر والعلانية، فلما نزلت هذه الآية قلن ـ نساء أهل الكتاب ـ لولا أن الله تعالى قد رضي بديننا، لم يبح للمسلمين نكاحنا، فنزل: **﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾** [وقيل لنا نزل قوله حرمت عليكم الميتة ثم رخص من حالة الاضطرار فقال بعضهم لا نأخذ الرخصة من الاضطرار فنزل (ومن يكفر بالإيمان)][٢]. ويقال: هذا ابتداء خطاب وهو لجميع المسلمين فقال: (ومن يكفر بالإيمان) قال ابن عباس: يعني من يكفر بالتوحيد بشهادة أن لا إله إلا الله فقد حبط عمله. وقال مجاهد: معناه: ومن يكفر بالإيمان، فقد حبط عمله، يعني بطل ثواب عمله **﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾** يعني من المغبونين في العقوبة. ولهذا قال أصحابنا رحمهم الله: إن الرجل إذا صلى، ثم ارتد، ثم أسلم في وقت تلك الصلاة، وجب عليه إعادة تلك الصلاة، ولو كان حج حجة الإسلام، فعليه أن يعيد الحج، لأنه قد بطل ما فعل قبل ارتداده.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُم إِلَى الصَّلاَةِ﴾** يعني إذا أردتم أن تقوموا إلى الصلاة وأنتم محدثون، ويقال: إذا قمتم من نومكم إلى الصلاة **﴿فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُم وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾** يعني مع المرافق **﴿وَامْسَحُواْ بِرُوءسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾** يعني مع الكعبين. قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وحمزة، وعاصم[٣]، وفي رواية أبي بكر (وأرجلكم) بكسر اللام، وقرأ الباقون: بالنصب، فمن قرأ بالنصب فإنه جعله نصباً

---

(١) سقط في أ. (٢) ما بين المعقوفين من أ.

(٣) وحجتهم: أنها معطوف على الوجوه والأيدي فأوجبوا الغسل عليهما وعن أبي عبد الرحمن (عبد الله بن عمر) قال: (كنت أقرأ أنا

لوقوع الفعل عليه، وهو الغسل، يعني واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، ومن قرأ بالكسر، جعله كسراً لدخول [حرف الخفض][1] وهو الباء، فكأنه قال: وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم، يعني، إذا كان عليه خفان وقد ثبت ذلك بالسنة، ويقال: صار كسراً بالمجاورة، كما قال في آية أخرى: (وحور عين) قرأ بعضهم بالكسر بالمجاورة. فهذه الأربعة التي ذكرت في الآية من فرائض الوضوء، وما سوى ذلك آداب وسنن فإن قيل: الآية إذا قرئت بقراءتين، فالله تعالى قال بهما جميعاً، أو بأحدهما؟. قيل له: هذا على وجهين: إن كان لكل قراءة معنى غير المعنى الآخر، فالله تعالى قال بهما جميعاً، وصارت القراءتان بمنزلة الآيتين، وإن كانت القراءتان معناهما واحد فالله تعالى قال لأحدهما، ولكنه رخص بأن يقرأ بهما جميعاً. ثم قال تعالى: (وإن كنتم جنباً فاطهروا) قد يوصف الجمع بصفة الواحد، كقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا﴾ وكقوله (والملائكة بعد ذلك ظهير) قوله: ﴿فَاطَّهَّرُواْ﴾ معناه، فتطهروا إلا أن التاء أدغم في الطاء لأنهما من مكان واحد، فإذا أدغمت فيها، سكن أول الكلمة، وزيدت ألف الوصل للابتداء. ثم قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُم مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ، فَلَمْ تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيْدَاً طَيِّباً، فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيْكُم مِنْهُ﴾ يعني من الصعيد، ثم قال: ﴿مَا يُرِيْدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾

= والحسن والحسين قريباً من علي ـ عليه السلام ـ وعنده ناس قد شغلوه فقرأنا (وأرجلكم) فقال: رجل: (وأرجلِكم) بالكسر فسمع ذلك علي عليه السلام فقال: (ليس كما قلت ثم تلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ هذا من المقدم والمؤخر في الكلام قلت: (وفي القرآن من هذا التقديم والتأخير: كثير) قال الله: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ ثم قال: ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ وعطف بـ﴿المحصنات﴾ على الطيبات وقال: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً﴾ ثم قال: ﴿وأجل مسمى﴾ فعطف ﴿الأجل﴾ على (الكلمة) وبينهما كلام فكذلك في قوله ﴿وأرجلكم﴾ عطف بها على الوجوه والأيدي على ما أخبرتك به من التقديم والتأخير.

وأخرى هي صحة الأخبار عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أنه توضأ فغسل رجليه، وأنه رأى رجلاً يتوضأ وهو يغسل رجليه فقال: (بهذا أمرت) وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار)، وعن ابن مسعود قال: (خلّلوا الأصابع بالماء لا تلحقها النار). وقال عبد الملك: قلت لعطاء: (هل علمت أحداً من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسح على القدمين؟) فقال: (والله ما أعلمه). والأخبار كثيرة في هذا المعنى وقد ذكرناها في تفسير القرآن.

وأخرى قال الزجاج: الدليل قوله ﴿إلى الكعبين﴾ أن الغسل هو الواجب في الرجل، وأن المسح لا يجوز: وهذا لتحديد قوله ﴿إلى الكعبين﴾ كما جاء في تحديد اليد (إلى المرافق) ولم يجىء في شيء من المسح تحديد قال: ﴿فامسحوا برؤوسكم﴾بغير تحديد في القرآن.

قال: ويجوز أن يقرأ ﴿وأرجلكم﴾ على معنى ﴿واغسلوا) لأن قوله ﴿إلى الكعبين ﴾ دل على ذلك كما وصفنا وينسق بالغسل على المسح كما قال الشاعر:

يا ليت بعلك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحا

والمعنى: متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر؛ ﴿وأرجلِكم﴾ خفضاً عطفاً على الرؤوس وحجتهم في ذلك ما روي عن ابن عباس أنه قال: (الوضوء غسلتان ومسحتان) وقال الشعبي: نزل جبرائيل بالمسح، ألا ترى أنه أهمل ما كان مسحاً، ومسح ما كان غسلاً في التيمم. والصواب من القول: ما عليه فقهاء الأمصار: أن الغسل هو الواجب نحو الرجلين، ويجوز أن يكون قوله ﴿وأرجلِكم﴾ بالخفص حملت على العامل الأقرب للجوار وهي في المعنى للأول، كما يقال: (هذا جُحْرُ ضبٍّ خربٍ) فيحمل على الأقرب وهو في المعنى للأول. انظر ابن زنجلة ٢٢١ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(١) في ب [حرف الجر عليه].

يقول: لا يكلفكم في دينكم من ضيق ﴿وَلَكِنْ يُرِيْدُ لِيُطَهِّرَكُم﴾ يعني يطهركم من الأحداث والجنابة ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمته عَلَيْكُمْ﴾ بما أنعم من الرخص ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروا الله لما رخص لكم، ولم يضيق عليكم. قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يقول: احفظوا منن الله عليكم بإقراركم بوحدانية الله تعالى، ﴿وَمِيْثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ يعني يوم الميثاق، حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام، وقال: (. . ألست بربكم؟ قالوا: بلى) هكذا قال في رواية الكلبي، ومقاتل، والضحاك[١]. وقال بعضهم: هو الميثاق الجبلة والإدراك، فكل من أدرك فقد أخذ عليه الميثاق، وشهدت له خلقته وجبلته، فصار ذلك كالإقرار منه ثم قال: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ يوم الميثاق، قلتم سمعنا قولك يا ربنا وأطعنا أمرك، ثم قال: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ في نقض العهد والميثاق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ﴾ يعني عالم بسرائركم. ثم قال: ﴿يَاْ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ كُوْنُواْ قَوَّامِيْنَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ يعني قوالين بالحق، ثم قال: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لاَ تَعْدِلُواْ﴾ وذلك أن الله تعالى لما فتح على المسلمين مكة أمر الله المسلمين أن لا يكافئوهم بما سلف، وأن يعدلوا في القول والحكم والنصفة، وذلك قوله: ﴿اعْدِلُواْ﴾ يعني قولوا الحق والعدل ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾ يعني فإنه أقرب للطاعة، ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يقول واخشوا الله بما أمركم به، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الطاعة وغيره. ثم بين ثواب من عمل بطاعته فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِيْنَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني الطاعات ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيْمٌ﴾ يعني ثواب عظيم في الجنة، ويقال: إن أهل مكة قالوا، بعدما أسلموا ما لنا في الآخرة وقد أخرجناك وأصحابك، فقالوا: وعد الله الذين آمنوا بالله وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعملوا الصالحات بعد الإسلام، لهم مغفرة لما فعلوا في حال الشرك، وأجر عظيم في الآخرة. ثم قال: ﴿وَالَّذِيْنَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني جحدوا وكذبوا، بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن، وماتوا على ذلك، ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيْمِ﴾ يعني مقيمين فيها أبداً. وقوله تعالى: ﴿يَاْ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قدم المدينة ـ وصالح بني قريظة، وبني النضير[٢] وهما قبيلتان بقرب المدينة، وأخذ منهم الميثاق بأن لا يكون بينهم القتال، وأن يتعاونوا فيما بينهم على الديات، فدخل مستأمنان على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخرجا من عنده فقتلهما «عمرو بن أمية الضمري»، ولم يعلم بأنهما مستأمنان، فوداهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدية حُرَّين مسلمين فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أبي بكر وعمر وعلي إلى بني النضير ليستعين بهم في ديتهما، فقالوا: مرحباً حتى نستأذن إخواننا من بني قريظة. وقال في رواية الكلبي خرج إلى بني قريظة، فقالوا: حتى نستأذن إخواننا من بني النضير، وأدخلوهم داراً وأجلسوهم في صفّة، وجعلوا يجمعون السلاح، وهموا بقتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه وكانوا ينتظرون كعب بن الأشرف، وكان غائباً، فنزل جبريل، وأخبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالقصة وخرج، فلما أبطأ الرجوع قام أبو بكر فخرج، ثم خرج عمر ثم خرج علي رضي الله عنهم، فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم)، ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ يقول: أرادوا وتمنوا أن يمدوا أيديهم إليكم بالقتل، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ بالمنع. قال الفقيه أبو الليث: حدثنا الفقيه أبو جعفر، قال: حدثنا علي بن أحمد، قال: حدثنا نصير بن يحيى[٣]، قال: حدثنا أبو سليمان، عن محمد بن الحسن عن

(١) انظر تفسير الطبري ٩٣/١٠، وابن كثير ٥٧/٣ تفسير القرطبي ٧٢/٦.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٠١/١٠، سيرة ابن هشام ١٩٠/٢، تفسير ابن كثير ٥٩/٣، وأسباب النزول للواحدي ١٤٣، وانظر الدر المنثور ٢٦٦/٢.

(٣) البلخي أخذ الفقه عن محمد بن الحسن الشيباني. انظر الفوائد البهية ٢٢١.

محمد بن عبد الله[١] عن الزهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج إلى بني النضير ليستعين بهم في دية الكافرَيْن اللذيْن قتلهما «عمرو بن أمية الضمري»، فهم بنو النضير بقتل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبلغ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسار إليهم فحاصرهم وأمر بقطع النخيل وحاصرهم حتى قالوا: أتؤمننا على دمائنا وذرارينا، وعلى ما حملت الإبل إلا الحلقة، يعني السلاح، قال: نعم، ففتحوا الحصون وأجلاهم إلى الشام[٢]، فهذا الخبر موافق رواية مقاتل، أنه خرج إلى بني النضير[٣]. وقال الضحاك: كان سبب نزول هذه الآية: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج ذات ليلة إلى البقيع، إلى قبور الشهداء وحده فأتاه رجل من اليهود شديد محارب، فقال: إن كنت نبياً كما تزعم فأعطني سيفك هذا، فإن الأنبياء لا يبخلون، فأعطاه سيفه، فشهر اليهودي السيف وهزه ليضربه به، فلم يجترىء للرعب الذي قذفه الله تعالى في قلبه ثم رد عليه السيف، فنزل: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم)[٤] ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. ففي الآية مضمر، فكأنه قال: فاتقوا الله، وتوكلوا على الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون، يعني على المؤمنين أن يتوكلوا على الله ويثقوا بالنصر لهم. قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤)﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني في التوراة من الإيمان بالله تعالى وبأنبيائه، وأن يعملوا بما في التوراة، ثم قال: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾ قال مقاتل[٥]: يعني شهداء على قومهم بعث الله تعالى من كل سِبْطٍ منهم رجلاً، ليأخذ كل رجل منهم على سبطه الميثاق، يكونوا شهداء على قومهم. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد[٦] (وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً) قال: من كل سبط من بني إسرائيل رجلاً، أرسلهم موسى عليه السلام ـ إلى

---

(١) محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبيد الله الزهري أبو عبد الله المدني. تهذيب التهذيب ٩/٢٧٨.
(٢) انظر المصادر السابقة.
(٣) انظر تفسير مقاتل ١/٣٠٢.
(٤) انظر أسباب النزول ١٤٣.
(٥) انظر تفسيره ١/٣٠٢.
(٦) انظر تفسيره ١/١٨٨.

الجبارين، فوجدوهم يدخل في كُمِّ أحدهم اثنان منهم، ولا يحمل عن عنقود عنبهم إلا خمسة منهم في خشبة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبة منه خمسة أنفس أو أربعة، فرجع النقباء كلهم ينهون سبطهم عن القتال إلا يوشع بن نون، وكالب بن يافت ويقال: كالوب بن يوقنا، أمرا قومهما بالقتال. وقال القتبي: النقيب، الكفيل على القوم، والنقابة والنكابة شبه بالعرافة، ويقال: نقيباً، يعني أميناً، وقال ابن عباس:[1] نقيباً، يعني ملكاً، حين بعثهم موسى إلى بيت المقدس، جعل موسى ـ عليه السلام ـ عليهم اثني عشر ملكاً على كل سبط منهم ملك. و﴿قَالَ اللَّهُ﴾ تعالى للنقباء ﴿إِنِّي مَعَكُم﴾، ويقال: قال الله لبني إسرائيل حين أخذ عليهم الميثاق في التوراة (إني معكم) أي معينكم وحافظكم، وناصركم ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ يعني ما دمتم أقمتم الصَّلاةَ ﴿وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُم بِرُسُلِي﴾ يعني صدقتم برسلي ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ يعني أعنتموهم[2]. وقال القتبي: أي عظمتموهم، والتعزيز التعظيم. وقال السدي[3]: يعني نصرتموهم بالسيف. وقال الأخفش: يعني وقَّرْتموهم وقوَّيتموهم. وقال الضحاك: شرفتموهم بالنبوة كما شرفهم الله تعالى. ويقال: آمنتم برسلي: أي أمرتم قومكم حتى يؤمنوا برسلي، ونصرتموهم ﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾. أي تأمرون قومكم بذلك ثم بين جزاءهم وثوابهم إن فعلوا ذلك فقال: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ أي لأمحون ﴿عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ يعني ذنوبكم ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ثم قال ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العهد والميثاق ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يعني أخطأ قصد الطريق. ثم قال عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ يعني لما أخذ عليهم الميثاق، نقضوا الميثاق فبنقضهم ميثاقهم ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾ أي لعنهم الله، يعني طردهم من رحمته ويقال: (لعناهم) يعني عذبناهم بالمسخ، ويقال: بالجزية، ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ يعني يابسة، ويقال: خالية عن حلاوة الإيمان. قرأ حمزة والكسائي (قسية) بغير ألف، وقرأ الباقون (قاسية)[4] ومعناهما واحد. ويقال: قست فهي قاسية وقسية ثم قال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ والكلم جمع كلمة، يعني يغيرون صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿عن مواضعه﴾، يعني في كتابهم مما وافق القرآن، يعني عن صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتابهم، ويقال: استحلوا ما حرم الله تعالى عليهم، ولم يعملوا به فكان ذلك تغيير الكلم عن مواضعه. ثم قال: ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ يعني: تركوا نصيباً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني: مما أمروا به في كتابهم ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني لا يزال يظهر لك منهم الخيانة ونقض العهد.

وقال القتبي: عن أبي عبيدة: إن العرب تضع لفظ الفاعل في موضع المصدر كقولهم للخوان: مائدة، وإنما

---

(١) انظر تفسيره ٧٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس انظر الدر المنثور ٢/٢٦٧.

انظر تفسير الطبري ١٠/١٢١.

(٤) وحجتهم: إجماعهم على قوله: (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) فلما أجمعوا على احداهما واختلفوا في الأخرى رد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه. وهما لغتان بمنزلة (عالم وعليم).

وحجة من قرأ (قَسِيَّة) هي أن (فعيلا) أبلغ في الذم والمدح من (فاعل) كما أن (عليماً) أبلغ من (عالم) (وسميعاً) أبلغ من (سامع) وهي (فعيلة) من القسوة.

وقال آخرون: بل معنى (قسية) غير معنى القسوة وإن معنى القسية: التي ليست بخالصة الإيمان أي قد خالطها كفر فهي فاسدة، ولهذا قيل للدراهم قد خالطها غش من نحاس أوغيره: (قسية) وقال أبو بعيدة: القسية: هي الرديئة مشبهة بالدراهم القسية.

والأصل في (قاسية): (قاسوة) لأنه من (قسايقسو) فقلبوا الواو ياء لما قبلها من الكسرة والأصل في قسية: (قسيوة) فقلبوا الواو ياء وأدغموا الياء في الياء. انظر ابن زنجلة ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

يميد بهم ما في الخوان فيجوز أن يكون الهاء صفة للخائن كما يقال: رجل طاغية، ورواية للحديث، ثم قال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ يعني مؤمنيهم لم ينقضوا العهد ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ يعني اتركهم ولا تعاقبهم ﴿وَاصْفَحْ﴾ عنهم يعني أعرض عنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يعفون عن الناس وهذا قبل الأمر بقتال أهل الكتابين قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ وذلك أن الله تعالى لما ذكر حال اليهود، ونقضهم الميثاق فقال على أثر ذلك، إن النصارى لم يكونوا أحسن معاملة من اليهود ثم بين معاملتهم فقال: (ومن الذين قالوا: إنا نصارى) ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ في الإنجيل بأن يتبعوا قول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني تركوا نصيباً مما أمروا به في الإنجيل من اتباع قول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقال: نقضوا العهد كما نقض اليهود، ويقال: إنما سموا أنفسهم النصارى لأنهم نزلوا قرية يقال لها «ناصرة» نزل فيها عيسى ـ عليه السلام ـ فنزلوا هناك، وتواثقوا بينهم، ويقال: إنما سموا النصارى لقول عيسى: (من أنصاري إلى الله) قال الحواريون نحن أنصار الله ثم قال: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ﴾ يعني ألقينا بينهم العداوة ﴿وَالْبَغْضَاءَ﴾ ويقال: الإغراء في أصل اللغة: الإلصاق، يقال: أغريت الرجل إغراءاً إذا ألصقت به. ويقال: إن أصل العداوة التي كانت بينهم ألقاها إنسان يقال له «بولس» كان بينه وبين النصارى قتال وكان يهودياً فقتل منهم خلقاً كثيراً، فأراد أن يحتال بحيلة يلقي بينهم القتال، ليقتل بعضهم بعضاً، فجاء إلى النصارى وجعل نفسه أعور، وقال لهم: أتعرفوني؟ فقالوا أنت الذي قتلت منا، وفعلت ما فعلت، فقال قد فعلت ذلك كله وأنا تائب لأني رأيت عيسى بن مريم في المنام، نزل من السماء، فلطم وجهي لطمة وفقأ عيني، فقال: أي شيء تريد من قومي؟، فتبت على يده، وإنما جئتكم لأكون بين ظهرانيكم وأعلمكم شرائع دينكم كما علمني عيسى في المنام، فاتخذوا له غرفة فصعد تلك الغرفة وفتح كوة إلى الناس في الحائط، وكان يتعبد في الغرفة، وربما كانوا يجتمعون إليه ويسألونه ويجيبهم من تلك الكوة، وربما يأمرهم حتى يجتمعوا، ويناديهم من تلك الكوة، ويقول لهم بقول، كان في الظاهر منكراً، وينكرون عليه، فكان يفسر ذلك القول بتفسير يعجبهم ذلك فانقادوا كلهم له، وكانوا يقبلون قوله بما يأمرهم به، فقال لهم يوماً من الأيام: اجتمعوا قد حضرني علم، فاجتمعوا، فقال لهم: أليس قد خلق الله تعالى هذه الأشياء في الدنيا كلها لمنفعة بني آدم؟ قالوا: نعم، فقال لم تحرمون على أنفسكم هذه الأشياء؟ يعني الخمر والخنزير، وقد خلق لكم ما في الأرض جميعاً، فأخذوا بقوله واستحلوا الخمر والخنزير، فلما مضى على ذلك أيام، دعاهم، وقال: حضرني علم فاجتمعوا، وقال لهم: من أي ناحية تطلع الشمس فقالوا: من قبل المشرق، فقال: ومن أي ناحية يطلع القمر والنجوم؟ فقالوا: من قبل المشرق فقال: ومن يرسلهم من قبل المشرق؟ قالوا: الله تعالى، فقال: فاعلموا أنه من قبل المشرق، فإن صليتم له فصلوا إليه، فحول صلاتهم إلى المشرق، فلما مضى على ذلك أيام، دعا طائفةً منهم، وأمرهم بأن يدخلوا عليه في الغرفة، وقال لهم: إني أريد أن أجعل نفسي الليلة قرباناً لأجل عيسى، وقد حضرني علم وأريد أن أخبركم في السر لتحفظوا عني وتدعوا الناس إلى ذلك، ويقال أيضاً: إنه أصبح يوماً وفتح عينه الأخرى، ثم دعاهم وقال لهم جاءني عيسى الليلة، وقال: قد رضيت عنك، فمسح يده على عيني فبرئت، فالآن أريد أن أجعل نفسي قرباناً، ثم قال لهم هل يستطيع أحد أن يحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص إلا الله تعالى؟ فقالوا: لا، فقال إن عيسى قد فعل هذه الأشياء فاعلموا بأنه هو الله، فخرجوا من عنده، ثم دعا طائفة أخرى فأخبرهم بذلك أيضاً وقال: إنه كان ابنه، ثم دعا بطائفة ثالثة وأخبرهم بأنه ثالث ثلاثة وأخبرهم بأنه يريد أن يجعل نفسه الليلة قرباناً فلما كان في بعض الليل خرج من بين ظهرانيهم، فأصبحوا وجعلوا كل فريق منهم يقول: قد علمني كذا وكذا، وقال الفريق الآخر: إنت كاذب، بل علمني كذا وكذا، فوقع بينهم القتال فاقتتلوا، وقتلوا خلقاً كثيراً وبقيت العداوة بينهم ﴿إِلَى يَوْمِ

﴿الْقِيَامَةِ﴾ وهم ثلاث فرق: فرقة بينهم النسطورية قالوا: المسيح ابن الله، وصنف منهم يقال لهم: الماريعقوبية، قالوا: إن الله هو المسيح، وصنف يقال لهم الملكانية، قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، المسيح وأمه والله، فأغرى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ويقال: ألقى بينهم العداوة بالجدال والخصومات في الدين[١] وذلك يحبط الأعمال وقال معاوية بن قرة:[٢] إياكم وهذه الخصومات في الدين، فإنها تحبط الأعمال[٣]. ثم قال: **﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** يعني ينبئهم في الآخرة الذي هو على الحق. ثم قال عز وجل:

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ **﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُم تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾** يعني يكتمون ما بين في التوراة، وذلك أنهم كتموا آية الرجم، وتحريم الخمر، وأكل الربا، ونعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ **﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾** يعني يتجاوز عن كثير، ولا يخبركم به وذكر أن رجلاً من أحبارهم جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأله فقال: ما هذا الذي عفوت عنا؟ فأعرض عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يبين، وإنما أراد اليهودي أن يظهر مناقضة كلامه، أنه لم يترك شيئاً، وقد بينه كله فلما لم يبين له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام من عنده وذهب وقال لأصحابه: أرى أنه صادق فيما يقول، لأنه كان وجد في كتابه، أنه لا يبين له ما سأله. ثم قال تعالى: **﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾** يعني ضياء من الضلالة وهو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن والنور هو الذي يبين الأشياء، ويرى الأبصار حقيقتها، فيسمى القرآن نوراً، لأنه يقع في القلوب مثل النور، لأنه إذا وقع في قلبه، يبصر به، ثم قال: **﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾** يعني القرآن يبين لكم الحق من الباطل. قوله تعالى: **﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾** يعني بالقرآن **﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾** يعني مَنْ طلب الحق ورغب فيه، **﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾** يعني دين الله الإسلام، والسبل، جماعة السبيل، وهو الطريق، يعني به طريق الهدى، والسلام اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، يعني هو دين الله وتعالى. ثم قال: **﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾** يعني يخرج من قلوبهم حلاوة الكفر، ويدخل فيها حلاوة الإيمان ويوفقهم لذلك **﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ**

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٠/١٣٧.

(٢) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رباب المزني أبو إياس البصري قال خليفة وغيره مات سنة ثلاث عشرة ومائة. انظر تهذيب التهذيب ١٠/٢١٦ ـ ٢١٧.

(٣) انظر المصدر السابق.

مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني يوفقهم دين الإسلام قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ثم قال الله تعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ يقول: من يقدر أن يمنع من عذاب الله شيئاً ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ يعني لو أراد الله أن يهلك عيسى وأمه وجميع الخلق، ولا يقدر عيسى على رد ذلك. فكيف يكون إلهاً وهو لا يقدر على دفع الهلاك عن نفسه، ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يعني خزائن السموات والأرض، وجميع الخلق عبيده وإماؤه، وحكمه نافذ فيهم، ثم قال: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ لأن نصارى أهل نجران كانوا يقولون: لو كان عيسى بشراً كان له أب، فأخبر الله تعالى على أنه قادر على أن يخلق خلقاً بغير أب. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من خلق عيسى وغيره. قوله تعالى:

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ يعني نحن من الله تعالى بمنزلة الأبناء من الآباء، في المنزلة والكرامة، والوالد إذا سخط على ولده في وقت، يرضى عنه في وقت آخر. ويقال: معناه نحن أبناء الله وأحباؤه. قال الله تعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾ يعني يحرقكم، لأنهم كانوا مقرين بأنه يحرقهم أربعين يوماً، أياماً معدودة، قل لهم فهل رأيتم والداً يحرق ولده، أو يحرق مُحِبَّه، ففي الآية دليل: أن الله تعالى إذا أحب عبده يغفر ذنوبه ولا يعذبه بذنوبه، لأنه احتج عليهم فقال: (فلم يعذبكم) إن كنتم أحباء الله تعالى وقال في آية أخرى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)، ففيه دليل على أنه لا يعذب التوابين بذنوبهم، ولا المجاهدين الذي يجاهدون لقوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً)[٢] ثم قال ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ يعني أنتم لستم بأبناء الله، ولا أحبائه، ولكن أنتم خلق كسائر خلق الله تعالى، ثم قال: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي يتجاوز عمن يشاء فيهديه لدينه ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيهينه ويتركه على الكفر ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ يعني إليه المرجع، فيجزيهم بأعمالهم. قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعني يا أهل التوراة والإنجيل، وإنما أضافهم إلى الكتاب ـ والله أعلم ـ على وجه التعبير، يعني أنتم أهل الكتاب فلم لا تعملون بكتابكم؟ كقوله: يا عاقل، لم لا تفعل كذا وكذا، وإنما تذكر العقل على معنى التعبير، أي إنك لا تعمل عمل العقلاء ثم قال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿يُبَيِّنُ لَكُم﴾ الدين والأحكام والشرائع ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ يعني بعد انقطاع من الرسل والوحي، وقال مقاتل[١]: في الآية تقديم وتأخير، معناه: قد جاءكم رسولنا على فترة[٢] من الرسل، يبين لكم،

(١) انظر تفسيره ١/٣٠٦.
(٢) والفترة: أصلها السكون، يقال فتر الشيء سكن، وقيل: هي الانقطاع، قاله أبو علي الفارسي وغيره ومنه فتر الماء: إذا انقطع عما كان عليه من البرد إلى السخونة وفتر الرجل عن عمله: إذا انقطع عما كان عليه من الجد فيه وامرأة فاترة الطرف أي منقطعة عن=

وإنما سمي فترة لأن الدين يفتر ويندرس عند انقطاع الرسل، يعني بين عيسى ومحمد ـ عليهما السلام ـ وقال قتادة: كان بين عيسى ومحمد ـ عليهما السلام ـ خمسمائة وستون سنة[١]. وقال الكلبي:[٢] خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك ومقاتل: كان بينهما ستمائة سنة[٣]. وقال وهب: كان بينهما ستمائة وعشرون سنة[٤]. ثم قال: ﴿أَنْ تَقُولُواْ مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ يعني لكي لا تقولوا ما جاءنا من رسول بعد مادرس الدين ليبشرنا وينذرنا ﴿فَقَدْ جَاءَكُم﴾ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿بَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرٌ﴾ من النار ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من المغفرة والعذاب وبعث الرسل.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يعني احفظوا منة الله عليكم، ونعمته، ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ قال في رواية الكلبي: يعني السبعين[٥]، سوى موسى وهارون عليهما السلام وهم الذين اختارهم موسى فانطلقوا معه إلى الجبل. ويقال: (إذ جعل فيكم أنبياء) يعني في بني إسرائيل، فكان فيهم أربعة آلاف نبي ـ عليهم السلام ـ ثم قال: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً﴾ يعني بعد العبودية لفرعون. قال ابن عباس:[٦] إن الرجل إذا لم يدخل عليه أحد في بيته إلا بإذنه فهو ملك. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: (وجعلكم ملوكاً) أي جعل لكم أزواجاً وخدماً وبيوتاً[٧] وبنين ويقال: من استغنى عن غيره فهو ملك.

= حدة النظر، والمعنى: أنه انقطع الرسل قبل بعثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مدة من الزمان انظر فتح القدير ٢/٢٥.

(١) أخرجه الطبري ١٠/١٥٧ وعزاه الشوكاني في الفتح ٢/٢٦ لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) انظر فتح القدير ٢/٦، الدر المنثور ٢/٢٦٩. (٣) انظر تفسير فتح القدير ٢/٢٦ وتفسير مقاتل ١/٣٠٦.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٦/٨١ وقال ابن كثير رحمه الله ٣/٦٥ والمشهور أنها ستمائة سنة، ولا منافاة بين من يقول ستمائة ومن يقول ستمائة وعشرون سنة، فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية، والآخر أراد قمرية، وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين.

(٥) وبنحوه انظر ابن جرير ١٠/١٦٠. (٦) انظر المصدر السابق ١٠/١٦٢

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير ١٠/١٦٢ وابن المنذر وانظر تفسير ابن كثير ٣/٦٨.

وهذا كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حِيزَتْ له الدنيا[(١)] ثم قال: ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يعني أعطاكم ما لم يعط أحداً من الخلق، وهو المن والسلوى، والغمام، وغير ذلك ثم قال عز وجل: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُواْ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [يعني المطهرة، والمقدسة][(٢)] في اللغة: هو المكان الذي يتطهر فيه، فتأويله البيت الذي يتطهر فيه الإنسان من الذنوب، ثم قال: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني التي أمركم الله أن تدخلوها ويقال: التي وعد لإبراهيم أن يكون ذلك له ولذريته وذلك أن الله وعد لإبراهيم أن يكون له مقدار ما يمد بصره (فصار ذلك ميراثاً منه حين خرج إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقال له جبريل: انظر يا إبراهيم، فنظر فقال: يعطي الله تعالى لك ولذريتك مقدار مد بصرك من الملك) وهي أرض فلسطين وأردن وما حولهما، فقال موسى لقومه: (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) يعني التي جعل لأبيكم إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولكم ميراث منه.

وقال القتبي: أصل الكتاب، ما كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ ثم يتفرع منه المعاني، ويقال كتب، يعني، قضى كما قال: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ويقال: كتب أي فرض، كما قال: (كتب عليكم الصيام) أي فرض، ويقال: (كتب عليكم) أي جعل كما قال: (فاكتبنا مع الشاهدين) ويقال: كتب أي أمر كما قال ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) يعني أمر الله لكم بدخولها. قال: ويقال: كتب ها هنا بمعنى جعل. ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ يعني لا ترجعوا عما أمرتم به من الدخول ﴿فَتَنْقَلِبُوا﴾ أي فتصيروا ﴿خَاسِرِيْنَ﴾ بفوات الدرجات ووجوب الدركات أي مغبونين في العقوبة. فبعث موسى ـ عليه السلام ـ اثني عشر رجلاً، من كل سبط رجلاً يأتيهم بخبر الجبارين، فلما أتوهم لقيهم بعض أصحاب تلك المدينة جاءوا وأخذوا أصحاب موسى، فجعل كل رجل، رجلين من أصحاب موسى ـ عليه السلام ـ في كمه حتى جاءوا بهم إلى الملك، ويقال: لقيهم رجل واحد اسمه «عوج»، فاحتملهم في ثوبه، وأتى بهم حتى ألقاهم بين يدي الملك؛ فنظر إليهم، وقال هؤلاء يريدون أن يأخذوا مدينتنا، فأراد قتلهم، فقالت امرأته (ايش تصنع بقتل هؤلاء الضعفاء)؟ ويكفيهم ما رأوا من أمر القوم وأمر هذه البلدة، فأَنْعِم عليهم، ودعهم حتى يرجعوا ويذهبوا إلى موسى وقومه بالخبر، فأرسلهم الملك، وأعطاهم عنقوداً من العنب فحملوه على عمودين فرجعوا إلى موسى ـ عليه السلام ـ وقالوا: فيما بينهم لا تخبروا قوم موسى بهذا الخبر، فإنهم يجبنون عن القتال، والله تعالى قد وعد لموسى، بأن يفتح عليهم هذه البلدة، ولا تخبروا أحداً سوى موسى[(٣)]. فلما رجعوا أخبروا بخبرهم إلا اثنين منهم وهو يوشع بن نون وكالب بن يوقنا، فلما أمر موسى قومه بدخول البلدة. ﴿قَالُواْ يَا مُوْسَى إِنَّ فِيْهَا قَوْماً جَبَّارِينَ﴾ قال مقاتل: يعني طول كل رجل منهم ستة أذرع ونصف[(٤)]. وقال الكلبي: [(٥)] طول كل رجل منهم ثمانون ذراعاً. وقال الزجاج: الجبار من الآدميين العاتي، وهو الذي يجبر الناس على ما يريد. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرجُوا مِنْهَا﴾ يعني من تلك البلدة وهي الأرض المقدسة، واسمها إيلياء، ويقال: مدينة أخرى يقال لها أريحا. ﴿فَإِنْ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ يعني يوشع بن نون، وكالب ﴿مِنَ الَّذِيْنَ يَخَافُونَ﴾ الله تعالى: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١١٣/(٣٠١)، والترمذي ٥٧٤/٤ في الزهد (٢٣٤٦) وقال حسن غريب، وابن ماجه ١٣٨٧/٢ في الزهد (٤١٤١).

(٢) سقط في أ.

(٣) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ٧١/٣ وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخباراً من وضع بني إسرائيل.

(٤) انظر تفسير مقاتل ٣٠٧/١ وفيه سبعة أذرع ونصف.

(٥) انظر تفسير القرطبي ٨٣/٦.

بالإسلام، ويقال: من الذين يخافون الجبارين، (أنعم الله عليهما) فلم يخافا وصدقا في مقالتهما ﴿ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ وهي أريحا أو إيلياء ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ يعني أن القوم إذا أرادوا كثرتكم، انكسرت قلوبهم وانقطعت ظهورهم، فتكونوا غالبين، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوكلوا﴾ يعني فثقوا بأنه ناصركم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾ يعني مصدقين بوعد الله تعالى فقال لهم موسى: ادخلوا عليهم ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى﴾ أتصدق اثنين، وتكذب العشرة ﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُواْ فِيهَا، فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾ يعني قل لربك أن ينصرك عليهم كما نصرك على فرعون. وقال أبو عبيدة: يعني اذهب فقاتل، وليقاتل معك ربك، وليتم أمرك كما أتم قبل ذلك، فهو يعينك فإنا لا نستطيع قتال الجبابرة. ويقال: اذهب أنت وربك، يعني أنت وسيدك هارون، لأن هارون كان أكبر منه بسنتين أو بثلاث سنين ﴿فَقَاتِلَا، إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾. فغضب موسى عليه السلام من قولهم: ﴿قال: رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيْ﴾ هارون وقال الزجاج: لا أملك إلا نفسي وأخي، يحتمل [معنيين: أحدهما: لا أملك إلا نفسي](1)، وأخي لا يملك إلا نفسه. ويحتمل: لا أملك إلا نفسي وأخي لأن أخاه كان مطيعاً له، فهو يملك طاعته. ثم قال: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِيْنَ﴾ يعني أقض بيننا وبين القوم العاصين. ثم ﴿قَالَ الله تعالى فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ يعني الأرض المقدسة دخولها محرم عليهم ﴿أَرْبَعِيْنَ سَنَةً﴾ ثم قال: ﴿يَتِيْهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ ضلالاً، يعني يتحيرون فيها، ولا يعرفون وجه الخروج منها ضلالاً في التيه. ويقال: فإنها محرمة عليهم، وتم الكلام، ثم قال: أربعين سنة يتيهون في الأرض فعمي عليهم السبيل، فحبسهم بالنهار وسيَّرهم بالليل يسهرون ليلتهم، ويصبحون حيث أمسوا، وكان التيه بين فلسطين وايلة ست فراسخ في اثني عشر فرسخاً، فمكثوا فيها أربعين سنة لم يقدروا على الخروج منها. قال بعضهم: لم يكن موسى وهارون - عليهما السلام - في التيه. لأن الأنبياء لا يعذبون، وقال بعضهم: كانا فيه، وسهل الله تعالى عليهما، كما سهل على إبراهيم - عليه السلام - النار وجعلها برداً وسلاماً. ويقال: إن موسى وهارون قد ماتا في التيه، وهلكت تلك العصابة ولم يبق منهم إلا يوشع وكالب، فخرج يوشع بذرياتهم إلى تلك المدينة وفتحوها عند غروب الشمس. وذكر في الخبر أن يوشع دعا بأن ترد الشمس فردت ثلاث ساعات حتى فتحوا البلدة، فاختلفت النجوم عن مجاريها من ذلك اليوم. فخفي على المنجمين، فلما بقوا في التيه ندم موسى على دعائه. فأوحى الله تعالى إليه: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِيْنَ﴾ يعني لا تحزن على قوم سميتهم فاسقين. وقال بعضهم: هذا الخطاب لمحمد - صلى الله عليه وسلم - لا تحزن على قومك إن لم يؤمنوا. ويقال: (أربعين سنة) صار نصباً بمعنى يتيهون، لأن في التفسير إن دخلوها لم يكن محرم عليهم أبداً (كذا قاله ابن عباس - رضي الله عنه -(2) وإنما دخلها أولادهم. وقال قوم حرمت أربعين سنة فكانوا يتيهون أربعين سنة، وفتحوا. قوله تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُا الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)﴾

---

(1) سقط في أ.

(2) انظر تفسير القرطبي ١٠/١٩٣.

فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اقرأ على قومك ﴿نَبَأَ﴾ يعني خبر ﴿ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ يعني بالصدق ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً﴾ وذلك أن حواء ـ عليها السلام ـ ولدت غلاماً وجارية في بطن واحـد، قابيل وأخته إقليما، ثم ولدت في بطن آخر هابيل وأخته ليوذا، فلما كبروا أمر الله تعالى بأن يزوج كل واحد منهما أخت صاحبه، وكانت أخت قابيل أحسن فأبى قابيل وقال: بل زوج كل واحد منا أخته، فقال آدم: إن الله تعالى أمرني بذلك، فقال له قابيل: إن الله تعالى لم يأمرك بهذا، ولكنك تميل إلى هابيل، فأمرهما بأن قربا قرباناً، فأيكما تقبل قربانه، كان أحق بها فعمد قابيل، وكان صاحب زرع إلى شر زرعه، ووضعه عند الجبل وعمد قابيل، وكان صاحب مواشي إلى خير غنمه، فوضعها عند الجبل، وكان قابيل يضمر في قلبه أنه إن تقبل منه أو لم يتقبل لا يسلم إليه أخته، فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل، وكان ذلك علامة القبول، وتركت قربان قابيل، فذلك قوله: إذ قربا قرباناً يعني وضعا قرباناً ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ يعني هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ يعني قابيل، فـ ﴿قَالَ﴾ قابيل لهابيل ﴿لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ﴾ ولم؟ قال: لأن الله قد قبل قربانك، ورد عليّ قرباني، فقال له هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ولم يكن الذنب مني، وإنما لم يتقبل منك لخيانتك وسوء نيتك. وقال بعض الحكماء: العاقل من يخاف على حسناته، لأن الله تعالى قال: (إنما يتقبل الله من المتقين) والخاسر من يأمن من عذاب الله لأن الله تعالى قال: (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون). قوله تعالى: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ يعني هابيل قال لقابيل، لئن مددت إلي يدك ﴿لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم قال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ يعني، إني أريد أن ترجع بإثمي، يعني بقتلك إياي، وبإثمك الذي عملت قبل قتلي وهي الخيانة في القربان وغيره. ويقال إني أريد أن ترجع بإثمي يعني أن لا أبسط يدي إليك، لترجع أنت بإثمي وإثمك، ولا يكون علي من الإثم شيء. ويقال: معناه إني أريد أن تؤخذ بإثمي وإثمك ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ يعني لكي لا يكون من أصحاب النار ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ قال الله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ يعني تابعت له نفسه على قتل أخيه، (ويقال: انقادت له طاعة نفسه. وقال قتادة:[1] زينت له نفسه بقتل أخيه) ﴿فَقَتَلَهُ﴾. قال بعضهم: إنه كان لا يدري كيف يقتله، حتى جاء إبليس فتمثل عنده برجلين فأخذ أحدهما حجراً ولم يزل يضرب الآخر حتى قتله فتعلم ذلك منه. وقال بعضهم: بل كان يعرف ذلك بطبعه، لأن الإنسان وإن لم ير القتل فإنه يعلم بطبعه أن النفس فانية ويمكن إتلافها، فأخذ حجراً وقتله بأرض الهند، فلما رجع إلى آدم قال له: ما فعلت بهابيل، فقال له قابيل: أجعلتني رقيباً على هابيل؟ فذهب حيث يشاء، فبات آدم تلك الليلة محزوناً، فلما أصبح قابيل رجع إلى الموضع الذي قتله، فرأى غراباً وقال بعضهم: كان يحمله على عاتقه أياماً لا يدري ما يصنع به؟ حتى رأى غراباً ميتاً، فجاء غراب آخر، وبحث التراب برجليه، ودفن الغراب الميت في التراب فذلك قوله تعالى: فقتله ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾ يعني فصار من المغبونين في العقوبة. قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ﴾ وقابيل ينظر إليه وقال القتبي: هذا من الإختصار، ومعناه، بعث غراباً يبحث التراب على غـراب الميـت ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيْهِ﴾ يعني كيف يغطي عورة أخيه ﴿قَالَ﴾ قابيل عند ذلك: ﴿يَا وَيْلَتَا[2] أَعَجَزْتُ﴾ يعني أضعفت في الحيلة ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١٠/٢٢١.

(٢) قرأ حمزة والكسائي (يا ويلتي ويا حسرتي ويا أسفي فأمالا. وحجتهما: أن النية فيها إضافة الويل والحسرة والأسف إلى نفسه فكأنه =

﴿هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي﴾ يعني فأغطي عورة أخي، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حمله حيث لم يدفنه حين قتله. قال ابن عباس[1]: ولو كانت ندامته على قتله، لكانت الندامة توبة منه، ويقال: إن آدم وحواء أتيا قبره، وبكيا أياماً عليه، ثم إن قابيل كان على ذروة جبل فنطحه ثور فوقع على السفح، فتفرقت عروقه. ويقال: دعا عليه آدم فانخسفت به الأرض. وقال مقاتل:[2] كان قبل ذلك السباع والطيور تستأنس بآدم فلما قتل قابيل أخاه هربوا، فحلقت الطيور بالهواء، والوحوش بالبرية، والسباع بالغياض فتزوج شيث ـ عليه السلام ـ بإقليما وروي عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: لا تقتل نفس ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها، لأنه أول من سن القتل[3]. وقال بعضهم: هذه القصة كان في بني إسرائيل وهما أخوان قتل أحدهما الآخر، ولكن هذا خلاف قول المفسرين[4]. قال الله تعالى:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ يعني من أجل خيانة ابن آدم حين قتل أخاه، ﴿كَتَبْنَا﴾ يعني فرضنا ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وغلّظنا وشدّدنا في التوراة ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يعني قتل نفساً بغير أن يقتل نفساً ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ﴾ يعني بغير فساد في الأرض، وهو الشرك بالله. ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَل النَّاسَ جَمِيعاً﴾. يعني إذا قتل نفساً بغير جُرم، واستحل قتله، فكأنه قتل الناس جميعاً يعني إذا قتل نفساً فجزاؤه جهنم خالداً فيها. ثم قال ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ يعني نجّاها من غرق، أو حرق، أو يعفو عن القتل ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ يعني له من الأجر كأنما أحيا الناس جميعاً، لأن في حياة نفس واحدة يكون منفعة لجميع الناس، لأنه يدعو لجميع الخلق، ثم قال ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا[5] بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني بالبيان في الأمر والنهي ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً

= في المعنى: يا ويلتي ويا حسرتي فلما جعل الياء ألفاً أمالاها ليعلما أن أصلها كان ياء لأن الإمالة من الياء.

وقرأ الباقون بغير إمالة وحجتهم أنها ألف الندبة ولا أصل لها في الإمالة. انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٢٤.

(١) انظر تفسير ابن عباس ٧٤.

(٢) انظر تفسيره ١/٣١٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦/٣٦٤ في كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٣٥)، ومسلم ٣/١٣٠٤ في القسامة (٢٧/١٦٧٧).

(٤) انظر تفسير الطبري ١٠/٢٠٨.

(٥) قرأ أبو عمرو (رسْلنا) و (رسْلكم) و (رسْلهم) بإسكان السين إذا كان بعد اللام أكثر من حرف وكذلك مذهبه في: (سبلنا).

فإذا كان بعد اللام حرف ضم السين مثل (رسُله) وحجته أنه استثقل حركة بعد ضمتين لطول الكلمة وكثرة الحركات فأسكن السين=

﴿مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ البيان ﴿فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ يعني لمشركون تاركون لأمر الله تعالى. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إن للتأكيد، وما: صلة يحاربون الله ورسوله، يعني يخالفون الله ورسوله، ويتركون أمر الله وأمر رسوله مجاهرة وعياناً ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَاداً﴾ بالقتل وأخذ المال. ﴿أَنْ يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾. قال مقاتل: نزلت هذه الآية في سبعة نفر من بني عرينة، قدموا المدينة فاجتووها، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو خرجتم إلى إبلنا وأصبتم من ألبانها وأبوالها، ففعلوا فصحوا، ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم وساروا بالإبل وارتدوا عن الإسلام، فأرسل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في آثارهم علياً، فأتى بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم وتركهم بالحَرَّة حتى ماتوا[1]، وهذا قبل أن تنزل آية الحدود. وروى أسباط عن السدي[2] قال: نزلت في سودان عرينة، فأراد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يمثل بهم فنهاه الله تعالى عن ذلك وأمره أن يقيم فيهم الحد الذي أنزل عليه. وقال سعيد بن جبير[3] أنه مثل بهم ثم نزل بعد ذلك: (إنما جزاء الذين يحاربون الله الآية). وقال ابن عباس[4] في رواية أبي صالح: وادع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا بردة، هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن أتاه من المسلمين فهو آمن، ومن أتى المسلمين منهم فهو آمن فمر أناس من بني كنانة يريدون الإسلام، فمروا بأصحاب أبي بردة ولم يكن أبو بردة حاضراً يومئذ فخرج أصحابه إليهم، فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزلت هذه الآية: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله . . الآية) ثم صارت الآية عامة في جميع الناس. واختلف العلماء في حكمهم:[5] وهم قطاع الطريق وهم ثلاثة أصناف: صنف يأخذ المال ولا يقتل،

= والباء فإذا قصرت الكلمة لم يسكن السين. وقرأ الباقون بضم السين. وحجتهم أن بناء (فعول) (وفعيل) على (فُعُل) بضم العين في كلام العرب ولم تدع ضرورة إلى إسكان الحرف فتركوا الكلمة على حق بنيتها. انظر حجة القراءات ٢٢٥.

(١) أخرجه البخاري ٣/٤٢٨ في كتاب الزكاة (١٥٠١)، أخرجه مسلم ٣/١٢٩٦ في كتاب القسامة ٩/١٦٧١ وقوله واجتووها: معناه: ـ استوخموها. أي لم توافقهم وكرهوها لسقم أصابهم قالوا: وهو مشتق من الجوى وهو داء في الجوف.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٠/٢٥١.

(٣) انظر الدر المنثور ٢/٢٧٨. (٤) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١٠/٢٤٣.

(٥) قال ابن كثير في تفسيره: المحاربة هي المخالفة والمضادة وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر وقد قال الله تعالى: ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ فإذا علمت ذلك فاعلم أن المحارب الذي يقطع الطريق ويخيف السبيل ذكر الله أن جزاءه واحدة من أربع خلال هي: ﴿أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾. وظاهر هذه الآية الكريمة: أن الإمام مخير فيها بفعل ما يشاء منها بالمحارب كما هو مدلول أو لأنها تدل على التخيير.

ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ وقوله تعالى: ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ وقوله تعالى: ﴿فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً﴾.

وكون الإمام مخيراً بينهما مطلقاً من غير تفصيل هو مذهب مالك، وبه قال سعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن البصري وإبراهيم النخعي والضحاك كما نقله عنهم ابن جرير وغيره وهو رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس ونقله القرطبي عن أبي ثور وسعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز ومجاهد والضحاك والنخعي ومالك وقال وهو مروي عن ابن عباس.

ورجع المالكية هذا القول بأن اللفظ فيه مستقل غير محتاج إلى تقدير محذوف لأن اللفظ إذا دار الإستقلال والإفتقار إلى تقدير محذوف فالاستقلال مقدم لأنه هو الأصل إلا بدليل منفصل على لزوم تقدير المحذوف وإلى هذا أشار في (مراقي السعود) بقوله:

كذلك ما قابل ذا احتلال من التأصل والاستقلال =

وصنف يأخذ المال ويقتل، وصنف يقتل ولا يأخذ المال، قال بعضهم: إذا وجد من إنسان صنف من هذه الأصناف فللإمام أن يقيم عليه أي العقوبات شاء، لأن الله تعالى قال: (أن يقتلوا، أو يصلبوا. . .) فقد خُيِّر في عقوبتهم وهو قول الحسن وعطاء[١]. وقال بعضهم: لكل صنف عقوبة على حدة. والاختيار عند أصحابنا رحمهم الله أنه إن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، وإن قتل ولم يأخذ المال: قتل، وإن قتل وأخذ المال: قطع وقتل عند أبي حنيفة، وعند أبي يوسف ومحمد رحمهما الله يقتل ولا يقطع. وروي عن سعيد بن جبير[٢] أنه قال: إن قَتل قُتل، وإن قَتل وأخذ المال قطع ثم صلب. وروي عن ابن عباس نحو هذا[٣] ويكون أو بمعنى الواو فكأنه قال: أن يقتلوا ويصلبوا ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾. وقال بعضهم: يقتل ثم يصلب على وجه النكال والعبرة. وقال بعضهم: يصلب حياً ثم يطعن في ليته، يخضخض حتى يموت. قوله تعالى: ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني يطلب حتى لا يجد قراراً في موضع ويقال: (ينفوا من الأرض) يعني يحبس فينفى من سعة الدنيا إلى ضيقها، فصار كأنه نفي عن الأرض. واحتج هذا القائل بقول بعض أهل السجن في ذلك:

خَـرَجْنَـا من الـدُّنْيَـا وَنَحْنُ مِنَ أَهْلِهـا ... فَلَسْنَـا مـن الأَمـواتِ فيهـا ولاَ الأَحْيَـا
إذا جـاءنَـا السَّجَّـان يَـوْمـاً لِحَـاجَـةٍ ... عَجِبْنَا، وقلنا: جَاءَ هـذا من الـدُّنْيَا[٤]

= إلى قوله:

كـذاك تـرتـيـب لإيـجـاب الـعـمـل ... بـمـالـه الـرجـحـان مـمـا يـحـتـمـل

والرواية المشهورة عن ابن عباس أن هذه الآية منزلة على أحوال وفيها قيود مقدرة وإيضاحه: أن المعنى أن يُقتلوا إذا قَتلوا ولم يأخذوا المال، أو يُصلبوا إذا قَتلوا وأخذوا المال، أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا أخذوا المال ولم يَقْتلوا أحداً، أو يُنْفوا من الأرض إذا أخافوا السبيل ولم يَقْتلوا أحداً ولم يأخذوا مالاً. وبهذا قال الشافعي وأحمد وأبو مجلز وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والسدي وعطاء الخراساني وغير واحد من السلف والأئمة.

قاله ابن كثير ونقله القرطبي وابن جرير عن ابن عباس وأبي مجلز وعطاء الخراساني وغيرهم.

ونقل القرطبي عن أبي حنيفة إذا قَتلَ قُتل، وإذا أخذ المال ولم يَقْتُل قُطِعت يده ورجله من خلاف، وإذا أخذ المال وقَتل فالسلطان مخير فيه إن شاء قطع يده ورجله وإن شاء لم يقطع وقتله وصلبه، ولا يخفى أن الظاهر المتبادر من الآية هو القول الأول. لأن الزيادة على ظاهر القرآن بقيود تحتاج إلى نص من كتاب، أو سنة، وتفسير الصحابي لهذا بذلك ليس له حكم الرفع لإمكان أن يكون عن اجتهاد منه ولا نعلم أحداً روى في تفسير هذه الآية بالقيود المذكورة خبراً مرفوعاً إلا ما رواه ابن جرير في تفسيره عن أنس حدثنا علي بن سهل.

قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن يزيد بـن أبي حبيب: أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في أولئك النفر العرنيين إلى أن قال أنس: (فسأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل عن القضاء فيمن حارب فقال: من سرق وأخاف السبيل فاقطع يده بسرقته، ورجله بإخافته، ومن قتل فاقتله ومن قتل وأخاف السبيل واستحل الفرج الحرام فاصلبه) وهذا الحديث لو كان ثابتاً لكان قاطعاً للنزاع ولكن فيه ابن لهيعة، ومعلوم أنه خلط بعد احتراق كتبه ولا يحتج به، وهذا الحديث ليس رواية عن ابن المبارك ولا ابن وهب: لأن روايتهماعنه أعدل من رواية غيرهما وابن جرير نفسه يرى عدم صحة هذا الحديث الذي ساقه لأنه قال في سوقـه للحديث المذكور: وقد روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتصحيح ما قلنا في ذلك بما في إسناده نظر وذلك ما حدثنا به علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم إلى آخر الإسناد الذي قدمنا آنفاً وذكرنا معه محل الغرض من المتن ولكـن هذا الحديث وإن كان ضعيفاً فإنه يقوي هذا القول الذي عليه أكثر أهل العلم ونسبه ابن كثير للجمهور. انظر أضواء البيان ٢/٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩.

(١) انظر تفسير الطبري ١٠/٣٥٩.
(٢) أخرجه ابن جرير عنه انظر التفسير ١٠/٢٦٠.
(٣) انظر المصدر السابق.
(٤) انظر تفسير القرطبي ٦/١٠٠، وانظر روح المعاني للألوسي ٦/١١٩.

ويقال: ينفى إلى دار الحرب. ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ يعني ذلك القتل والقطع لهم عذاب وعقوبة في الدنيا ولا يكون ذلك كفارة لذنوبهم إن لم يتوبوا ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾ أي أشد مما كان في الدنيا وهو عذاب النار. ثم استثنى فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِيْنَ تَابُواْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهِم﴾ يعني رجعوا عن صنيعهم قبل أن يؤخذوا ويردوا المال فلا يعاقبون في الدنيا ولا في الآخرة ويغفر الله تعالى لهم ذنوبهم وذلك قوله: ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيْمٌ﴾ غفور لذنوبهم رحيم حين قبل توبتهم. قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ﴾ يعني احذروا المعاصي لكي تنجوا من عذاب الله ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيْلَةَ﴾ يعني اطلبوا القرابة والفضيلة بالأعمال الصالحة. ﴿وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيْلِهِ﴾ يعني في طاعته. ويقال: جاهدوا العدو ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي لكي تنجوا من العقوبة وتنالوا الثواب. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيْعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يقول: إن الكافر إذا عاين العذاب ثم تكون له الدنيا جميعاً ومثلها معها، فيقدر على أن يفتدي بها من العذاب لافتدى بها، يقول الله تعالى لو كان ذلك لهم ففعلوه ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ ذلك النداء ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ﴾. أي وجيع ثم قال تعالى: ﴿يُرِيْدُونَ أَنْ يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِيْنَ مِنْهَا﴾ وذلك أنهم يريدون أن يخرجوا من الأبواب فتستقبلهم الملائكة فيضربونهم بمقامع من حديد، ويردونهم إليها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيْمٌ﴾ دائم أبداً. وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال: إن قوماً يخرجون من النار بعدما يدخلونها قيل له: سبحان الله أليس الله يقول: (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) فقال جابر: (اقرأوا ـ إن شئتم ـ أول الآية (إن الذين كفروا يعني هذا للكفار خاصة دون العاصين من المؤمنين) قوله تعالى:

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ بدأ بالرجل لأن السرقة في الرجال أكثر، وقال في الزنا: (الزانية والزاني) بدأ بالنساء لأن الزنا في النساء أكثر، وهن الفاتنات للرجال ﴿فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا﴾ روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ: (فاقطعوا أيمانيهما) وغيره قرأ: أيديهما، واتفقوا أن المراد به اليمين من الكرسوع. نزلت الآية في «طُعْمَة بن أُبَيْرق»، ثم صارت الآية عامة في جميع السُّرَّاق[1]. وقال بعضهم: إذا سرق قليلاً أو كثيراً يجب القطع واحتج لظاهر الآية. روى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: لعن الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده[2]، ويسرق الحبل فتقطع يده. وروي عن ابن الزبير أنه قطع في نعل ثمنه درهم، وقال: لو سرق خيطاً

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي ١٤٤.

(٢) أخرجه البخاري ١٢/٩٧ في كتاب الحدود (٦٧٩٩)، ومسلم ٣/١٣١٤ في كتاب الحدود (١٦٨٧/٧).

لقطعته[١]. وقال بعضهم: لا يقطع في أقل من ثلاثة دراهم أو ربع دينار فصاعداً والاختيار عند علمائنا رحمهم الله: أن اليد لا تقطع في أقل من عشرة دراهم[٢] وبه جاءت الآثار عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن الصحابة رضي الله عنهم. قرأ بعضهم (السارق والسارقة) بالنصب وكذلك قوله: (الزانية والزاني) بالنصب، وإنما جعله نصباً لوقوع الفعل عليه ـ وهو شاذ[٣] من القراءة والقراءة المعروفة بالرفع.

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٠/٢٩٥.

(٢) واختلف العلماء فيما يقطع فيه السارق فذهب أكثرهم إلى العمل بحديث عائشة رضي الله عنها وهو حديث الباب أن نصاب السرقة ربع دينار كما ذكره المصنف رحمه الله وإن سرق دراهم أو متاعاً قُوِمَ بالدنانير فإن بلغت قيمته ربع دينار قطع.

روي ذلك عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وهو قول عمر بن عبد العزيز وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي وقال مالك: نصاب السرقة ثلاثة دراهم فإن سرق ذهباً أو متاعاً قُوّم بالدراهم فإن بلغت قيمته ثلاثة دراهم قطعت يده. وقال أحمد: إن سرق ذهباً فبلغ ربع دينار قطع وإن سرق فضة فبلغت ثلاثة دراهم أو ربع دينار قطع عملاً بالخبرين.

قلت: والخبر الثاني فيه الأمر بالقطع في ثلاثة دراهم.

قال الخطابي: والقول الأول أصح وهو الرد إلى ربع دينار لأن الأصل في التقدير في ذلك الزمن الدنانير فجاز أن تقوم بها الدراهم ولهذا كتبت في الصكوك قديماً عشرة دراهم وزنتها سبعة مثاقيل فعرفت الدراهم بالدنانير وذهب أصحاب الرأي إلى أنه لا يقطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم معالم السنن ٣/٣٠٢ شرح السنة ١٠/٣١٤. انظر فتح العلام ٦١٠ ـ ٦١١.

(٣) وقرأ عيسى بن عمر وابن أبي عبلة (والسارقَ والسارقَة) بالنصب على الإشتغال. قال سيبويه: الوجه في كلام العرب النصب كما تقول (زيداً فاضربه) ولكن أبت العامة إلا الرفع يعني عامة القراء وجلهم، ولما كان معظم القراء على الرفع تأوله سيبويه على وجه يصح وهو أنه جعله مبتدأ والخبر محذوف لأنه لو جعله متبدأ والخبر (فاقطعوا) لكان تخريجاً على غير الوجه في كلام العرب ولكان قد تدخل الفاء في خبر أل وهو لا يجوز عنده وقد تجاسر أبو عبد الله محمد بن عمر المدعو بالفخر الرازي ابن خطيب الري على سيبويه وقال عنه ما لم يقله فقال الذي ذهب إليه سيبويه ليس بشيء ويدل على فساده وجوه. الأول أنه طعن في القراءة المنقولة بالمتواتر عن الرسول وعن أعلام الأمة وذلك باطل قطعاً (قلت) هذا تقوّل على سيبويه وقلة فهم عنه ولم يطعن سيبويه على قراءة الرفع بل وجهها التوجيه المذكور وأفهم أن المسألة ليست من باب الاشتغال المبني على جواز الإبتداء فيه وكون جملة الأمر خبره أو لم ينصب الإسم إذ لو كانت منه لكان النصب أوجه كما كان في (زيداً اضربه) على ما تقرر في كلام العرب، فكون جمهور القراء عدلوا إلى الرفع دليل على أنهم لم يجعلوا الرفع فيه على الإبتداء المخبر عنه بفعل الأمر لأنه لا يجوز ذلك لأجل الفاء. فقوله أبت العامة إلّا الرفع تقوية لتخريجه وتوهين للنصب على الإشتغال مع وجود الفاء، لأن النصب على الاشتغال المرجح على الإبتداء في مثل هذا التركيب لا يجوز إلا إذا جاز أن يكون متبدأ مخبراً عنه بالفعل الذي يفسر العامل في الاشتغال وهنا لا يجوز ذلك لأجل الفاء الداخلة على الخبر فكان ينبغي أن لا يجوز النصب فمعنى كلام سيبويه يقوي الرفع على ما ذكر فكيف يكون طاعناً في الرفع. وقد قال سيبويه وقد يحسن ويستقيم عبد الله فاضربه إذا كان مبنياً على مبتدأ مضمر أو مظهر فأما في المظهر فقولك هذا زيد فاضربه... وإن شئت لم تظهر هذا ويعمل عمله إذا كان مظهراً وذلك كقولك (الهلال والله فانظر إليه) فكأنك قلت هذا الهلال ثم جئت بالأمر ومن ذلك قول الشاعر:

وقائلة خَوْلَان فانكح فتاتَهم وأكرومةُ الحيين خلوٌ كما هيا

هكذا سمع من العرب تنشده انتهى. فإذا كان سيبويه يقول وقد يحسن ويستقيم (عبد الله فاضربه) فكيف يكون طاعناً في الرفع وهو يقول أنه يحسن ويستقيم لكنه جوزه على أن يكون المرفوع مبتدأ محذوف الخبر كما تأوله في السارق والسارقة أو خبر مبتدأ المحذوف الخبر كما تأوله في ﴿السارق والسارقة﴾ أو خبر مبتدأ محذوف كقوله (الهلال والله فانظر إليه). وقال الفخر الرازي (فإن قلتَ) يعني سيبويه لا أقول إن القراءة بالرفع غير جائزة، ولكني أقول القراءة بالنصب أولى فنقول له هذا أيضاً رديء لأن ترجيح القراءة التي لم يقرأ بها إلا عيسى بن عمر على قراءة الرسول وجميع الأمة في عهد الصحابة والتابعين أمر منكر مردود(قلت) هذا السؤال لم يقله سيبويه ولا هو ممن يقوله وكيف يقوله وهو قد رجح قراءة الرفع على ما أوضحناه؟ وأيضاً فقوله لأن ترجيح القراءة التي لم يقرأ بها إلا عيسى بن عمر على قراءة الرسول وجميع الأمة في عهد الصحابة والتابعين تشنيع وإيهام أن عيسى بن =

ورُوي عن محمد[(١)] بن يزيد المبرد أنه قال: رفعه بالابتداء لأن القصد ليس إلى واحد من السراق بعينه [والزناة بعينه][(٢)] إنما هو كقولك: من سرق فاقطعوا يده، ومن زنا فاجلدوه. ثم قال: ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ يعني عقوبة لهما بما سرقا ﴿نَكَالًا﴾ يعني عقوبة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ جزاء: صار نصباً لأنه مفعول له يعني جزاء بجزاء فعلهما ثم قال: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ حكم على السارق بقطع اليد. ثم قال عزوجل: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ يعني من بعد سرقته ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل بعد السرقة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يعني يتجاوز عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما سلف من ذنبه ﴿رَحِيمٌ﴾ به بعد التوبة يعني إذا تاب ورد المال لا تقطع يده. ثم قال عز وجل:

= عمر قرأها من قبل نفسه وليس كذلك بل قراءته مستندة إلى الصحابة وإلى الرسول فقراءته قراءة الرسول أيضاً وقوله وجميع الأمة لا يصح هذا الإطلاق لأن ـ عيسى بن عمر وإبراهيم بن أبي عبلة ومن وافقهما وأشياخهم الذين أخذوا عنهم هذه القراءة هم من الأمة.

وقال سيبويه وقد قرأ ناس ﴿والسارق والسارقة﴾ ﴿والزانية والزاني﴾ فأخبر أنها قراءة ناس، وقوله وجميع الأمة لا يصح هذا العموم.
قال الفخر الرازي: الثاني من الوجوه التي تدل على فساد قول سيبويه أن القراءة بالنصب لو كانت أولى لوجب أن يكون في القراءة من قرأ ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾ بالنصب ولما لم يوجد في القراء أحد قرأ كذلك علمنا سقوط هذا القول (قلت) لم يدّع سيبويه أن قراءة النصب أولى فيلزمه ما ذكر وإنما قال سيبويه وقد قرأنا، والسارق والسارقة والزانية والزاني وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة ولكن أبت العامة إلَّا القراءة بالرفع ويعني سيبويه بقوله من القوة لو عري من الفاء المقدر دخولها على خبر الإسم المرفوع على الإبتداء وجملة الأمر خبره، ولكن أبت العامة جمهور القراء إلَّا الرفع لعلة دخول الفاء إذ لا يصح أن تكون جملة الأمر خبراً لهذا المبتدأ فلما دخلت الفاء رجح الجمهور الرفع ولذلك لما ذكر سيبويه اختيار النصب في الأمر والنهي لم يمثله بالفاء بل عارياً منها. قال سيبويه: وذلك قولك (زيداً اضربه وعمراً أمرر به وخالداً اضرب أباه وزيداً اشتر له ثوباً) ثم قال وقد يكون في الأمر والنهي أن يبني الفعل على الاسم وذلك قوله (عبد الله فاضربه) ابتدأت عبد الله فرفعت بالابتداء ونبهت المخاطب له ليعرفه باسمه ثم بنيت الفعل عليه كما فعلت ذلك في الخبر فإذا ـ قلت (زيداً فاضربه) لم يستقم لم تحمله على الابتداء ألا ترى أنك لو قلت (زيد فمنطلق) لم يستقم فهذا دليل على أنه لا يجوز أن يكون مبتدأ يعني مخبراً عنه بفعل الأمر المقرون بالفاء الجائز دخولها على الخبر، ثم قال سيبويه فإن شئت نصبته على شيء هذا يفسره لما منع سيبويه بالرفع فيه على الابتداء وجملة الأمر خبره لأجل الفاء أجاز نصبه على الإشتغال لا على أن الفاء هي الداخلة في خبر المبتدأ وتلخيص ما يفهم من كلام سيبويه أن الجملة الواقعة أمراً بغير فاء بعد إسم يختار فيه النصب يجوز فيه الابتداء وجملة الأمر خبره فإن دخلت عليه الفاء فإما أن تقدرها الفاء الداخلة على الخبر أو عاطفة، فإن قدرتها الداخلة على الخبر فلا يجوز أن يكون ذلك الإسم مبتدأ وجملة الأمر خبره إلا إذا كان المبتدأ أجري مجرى اسم الشرط لشبهه به وله شروط ذكرت في النحو وإن كانت عاطفة كان ذلك الإسم مرفوعاً إما مبتدأ كما تأول سيبويه في قوله (والسارق والسارقة) وإما خبر مبتدأ محذوف كما قيل (القمر والله فانظر إليه) والنصب على هذا المعنى دون الرفع لأنك إذا ـ نصبت احتجت إلى جملة فعلية تعطف عليها بالفاء وإلى حذف الفعل الناصب وإلى تحريف الفاء إلى غير محلها فإذا قلت (زيداً فاضربه) فالتقدير (تنبه فاضرب زيداً اضربه) حذفت (تنبه) وحذفت (اضرب) وأخرت الفاء إلى دخولها على المفسر وكان الرفع أولى لأنه ليس فيه إلا حذف مبتدأ أو حذف خبر فالمحذوف أحد جزأي الإسناد فقط والفاء واقعة في موقعها ودل على ذلك المحذوف سياق الكلام والمعنى قال سيبويه وأما قوله عز وجل ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما﴾﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾فإن هذا لم يبن على الفعل ـ ولكنه جاء على مثل قوله تعالى ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ ثم قال بعد ﴿فيها أنهار﴾ فيها كذا وكذا فإنما وضع مثل للحديث الذي بعده وذكر بعد أخبار وأحاديث كأنه قال ومن القصص مثل الجنة أو مما نقص عليكم مثل الجنة فهو محمول على هذا الإضمار أو نحوه والله أعلم. انظر البحر المحيط ٣/٤٧٦، إلى ٤٨٠.

(١) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرد إمام العربية ببغداد في زمنه توفي سنة ٢٨٦ هـ. انظر الأعلام ٧/١٤٤.

(٢) سقط في ظ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٤٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١)﴾

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاْتِ وَالأَرْضِ﴾ يعني خزائن السموات والأرض. يعني خزائن السموات: المطر وخزائن الأرض: النبات. ويقال: له ملك السموات والأرض يحكم فيها ما يشاء ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إذا أصر على ذنوبه ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ إذا تاب ورجع، ومعناه أن السارق إذا تاب ورد المال لا يقطع ويتجاوز عنه وإن لم يتب قطعت يده. ألا ترى أن الله تعالى قال: (له ملك السموات والأرض، يعذب) إذا لم يتب ويتجاوز إذا تاب، فافعلوا أنتم مثل ذلك لأن الله تعالى مع قدرته يتجاوز عن عباده وهو قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ من المغفرة والعذاب. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِيْنَ يُسَارِعُونَ فِيْ الْكُفْرِ﴾ نزلت في شأن «أبي لبابة بن عبد المنذر»، وذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما حاصر بني قريظة فأشار إليهم أبو لبابة وكان حليفاً لهم، إنكم إن نزلتم من حصونكم قتلكم فلا تنزلوا، فنزلت هذه الآية (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) أي يبادرون ويقعون في الكفر ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوْا: آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يعني ذلك بألسنتهم ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ في السر. وقال الضحاك[1] نزلت الآية في شأن المنافقين كانت علانيتهم تصديقاً، وسرائرهم تكذيباً. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِيْنَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ يعني: قوالون للكذب وقال القتبي: تفسير (سماعون للكذب) أي قابلون للكذب لأن الرجل يسمع الحق والباطل، ولكن يقال: لا تسمعْ من فلان قولاً أي لا تقبله، ومعنى آخر: إنهم يسمعون منك ليكذبوا عليك لأنهم إنما جالسوه لكي يقولوا سمعنا منه كذا وكذا، وإنما صار (سماعون) رفعاً لأن معناه هم (سماعون للكذب) من ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِيْنَ﴾ يعني أهل خيبر لم يأتوك وذلك أن رجلاً وامرأة من أهل خيبر زنيا فكرهوا رجمهما فكتبوا إلى يهود بني قريظة: أن يذهبوا بهما إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن حكم بالجلد رضوا عنه بحكمه، وإن حكم بالرجم لم يقبلوا، وروى نافع عن ابن عمر أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكروا له: أن رجلاً وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: يحممان ويجلدان يعني تسود وجوههما فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة، فأتوا بها فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها وقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا صدق عبد الله بن سلام يا محمد، فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرجما. قال ابن عمر: فرأيت الرجل يحنو على المرأة يقيها

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٠/٣٠٧.

الحجارة[1]. وروى الشعبي عن جابر ابن عبد الله[2] أنه قال: زنا رجل من أهل فَدَك[3] فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة، أن يسألوا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك فإن أمركم بالحد فحدوه وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه، فسألوه فدعا ابن صوريا، وكان عالمهم وكان أعور فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أنشُدك الله كيف تجدون حد الزاني في كتابكم؟ فقال ابن صوريا: فأما إذ ناشدتني بالله فإنا نجد في التوراة أن النظر زنية والاعتناق زنية، والقبلة زنية فإن شهد أربعة بأنهم رأوه كالميل في المكحلة فقد وجب الرجم فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو ذلك. وروي عن أبي هريرة قال: بينما نحن عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ جاء رجال من اليهود، وقد تشاوروا في صاحب لهم، زنا بعدما أُحصن قالوا: فانطَلقوا فلنسأل هذا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن أفتانا بفتوى فيها تخفيف فاحتججنا عند الله تعالى بها، وإن أفتانا بما فرض الله علينا في التوراة من الرجم تركنا ذلك فقد تركنا ذلك في التوراة وهي أحق أن تطاع، فقالوا: يا أبا القاسم: إنه زنى صاحبٌ لنا قد أحصن فما ترى عليه من العقوبة؟ فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقمنا معه حتى أتى بيت مدارس اليهود فوجدهم يتدارسون التوراة، فقال لهم: يا معشر اليهود أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام ما تجدون في التوراة من العقوبة على من زنى وقد أحصن؟ فقالوا: إنا نجد أن يجلد ويحمم، وسكت حبرهم وهو في جانب البيت، فأقبل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ [ينشده فقال له حبرهم إذا ناشدتنا فإنا نجد عليه الرجم فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ] كان أول ما ترخصتم به أمر الله تعالى؟ قال: إنه قد زنى رجل قد أحصن وهو ذو قرابة لملك من ملوكنا فسجنه وأخر عنه الحد وزنى رجل آخر فأراد الملك رجمه فجاء قومه وقالوا: لا ترجمْه حتى ترجم فلاناً فاصطلحوا بينهم على عقوبة دون الرجم وتركوا الرجم، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإني أقضي بينكم بما في التوراة فنزل قوله تعالى: (ومن الذين هادوا سماعون للكذب، سماعون لقوم آخرين) ﴿لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾. قال الزجاج: يعني من بعد أن وضعه الله تعالى مواضعه، وأحل حلالة وحرم حرامه ﴿يَقُولُونَ: إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾. يعي إن أمركم بالجلد فاقبلوه واعملوا به ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ يقولون: إن لم يوافقكم على ما تطلبون ويأمركم بالرجم فلا تقبلوا منه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ يعني كفره وشركه ـ. ويقال: فضيحته ويقال: اختباره ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ يقول لن تقدر أن تمنعه من عذاب الله شيئاً. ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر ولم يرد أن يدخل حلاوة الإيمان في قلوبهم وخذلهم مجازاة لكفرهم. ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ يعني القتل والسبي والجزية، وهو قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. أعظم مما كان في الدنيا. ثم قال تعالى.

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾. قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي[4] (السحت) بضم الحاء، وقرأ

(١) أخرجه البخاري ١٢/١٦٦ في الحدود باب أحكام أهل الذمة (٦٨٤١)، (٧٥٤٣)، ومسلم ٣/١٣٢٦ في الحدود باب رجم اليهود (٢٦/١٦٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن ٤/١٥٦ في الحدود (٤٤٥٢)، وأخرجه مسلم مختصراً ٣/٢٨ في كتاب الحدود (٢٨ م/ ١٧٠١).

(٣) بالتحريك قرية بالحجاز انظر مراصد الإصطلاع ٣/١٠٢٠.

(٤) انظر حجة القراءات ٢٢٥، وسراج القارىء ١٩٩، شرح شعلة ٣٤٩.

الباقون بضمة واحدة، وهما لغتان، السُّحْتُ، والسُّحُت وهو الاستئصال، يقال: أسحته، وسَحَتُه إذا استأصله، وكانوا يأكلون الرِّشا وكان عاقبته الاستئصال، فسماه به كما قال: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً) «أي يأكلون ما عاقبته نار». وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل لحم نبت بالسحت فالنار أولى به، قالوا يا رسول الله وما السحت؟ قال: الرشوة في الحكم[١]. وقال عليه السلام: لعن الله الراشي والمرتشي[٢]. وروي عن وهب بن منبه[٣] أنه قيل له: الرشوة حرام في كل شيء؟ فقال: لا إنما يكره من الرشوة، أن ترشو لتعطي ما ليس لك، أو تدفع حقاً قد لزمك، فأما إذا أردت أن ترشو لتدفع عن دينك ودمك ومالك فليس بحرام. قال الفقيه أبو الليث: وبهذا القول نأخذ، لا بأس بأن يدفع الرجل عن نفسه وماله بالرشوة[٤]. وهذا كما روي عن عبد الله بن مسعود أنه كان بالحبشة فرشا بدينارين وقال: إنما الإثم على القابض دون الدافع. ثم قال: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُم﴾ يعني أهل الكتاب إذا خاصموا إليك فأنت بالخيار، إن شئت فاحكم بينهم وإن شئت فأعرض عنهم ولا تحكم بينهم، ثم قال: ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾. يعني بالعدل، وهو الرجم. ولها وجه آخر: أن الصلح كان بينهم أن تكون جراحات بني قريظة نصف من جراحات بني النضير، وفي القتل كذلك، فأمر الله تعالى بأن يحكم بالعدل بينهم، وهو قوله عز وجل: (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ﴾ يعني العادلين في الحكم. وروي عن عكرمة أنه قال: (فإن جاءوك فاحكم بينهم، أو أعرض عنهم). نسختها آية أخرى: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) (وقال مجاهد: لم ينسخ من المائدة إلا آيتان قوله: (فاحكم بينهم أو أغرض عنهم) نسختها، (وأن أحكم بينهم بما أنزل الله). وقوله: (ولا تحلوا شعائر الله) نسختها، قوله: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وقال الزهري[٥]: مضت السنة أن يرد أهل الكتاب في حقوقهم ومواريثهم إلى أهل دينهم، إلا أن يأتوا راغبين حكم الله، فيحكم بينهم بكتاب الله تعالى. وهذا القول، يوافق قول أبي حنيفة، أن لا يحكم بينهم ما لم يتراضوا بحكمنا. ثم قال:

وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير ١٠/٣٢٣ وابن مردويه عن ابن عمر وأخرجه ابن عدي في الكامل ٥/١٩٣٦، والطبراني في الكبير ١٩/١٣٦، وفي الصغير ١/٢٣٥.

(٢) أخرجه بلفظ لعن رسول الله إلخ أحمد في المسند ٢/١٦٤، وأبو داود ٤/٩ ـ ١٠ في الأقضية (٣٥٨٠)، والترمذي ٣/٦٢٣ في ـ الأحكام باب ما جاء في الراشي (١٣٣٧) وقال حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه ٢/٧٧٥ في الأحكام ٣/٢٣.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٦/١١٩ ـ ١٢٠.

(٤) انظر كتاب تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية وهو بتحقيقنا.

(٥) انظر تفسير القرطبي ٦/١٢١.

ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ وكيف يقرون بحكمك ﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ يعني آية الرجم، وحكم الجراحات، فلم يقروا بها ولا يعملوا بها، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يعني يعرضون عن العمل به من بعد ما بين الله في كتابهم. ثم قال: ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني ليسوا بمصدقين بما عندهم، وهم يقولون: نحن نؤمن بالتوراة وهم كاذبون. ثم قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ يعني بيان الشرائع والأحكام، يعني حكم الرجم والجراحات ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ يعني يقضي بها النبيون الذين أسلموا يعني صدقوا بالتوراة من لدن موسى إلى عيسى، وبينهما ألف نبي، ويقال: أربعة آلاف نبي، ويقال أكثر من ذلك، كانوا يحكمون بما في التوراة ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ يعني كانوا يحكمون لهم وعليهم. ويقال: يحكم بها الأنبياء من لدن موسى إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولهذا قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرجم بحكم التوراة. ثم قال تعالى: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ قال بعضهم: الربانيون: العلماء والأحبار: القراء. ويقال: الربانيون: الذين في العمل أكثر وفي العلم أقل والأحبار الذين في العلم أكثر، وفي العمل أقل، مثل الفقهاء والعباد. ويقال: كالفقهاء والعلماء.

وقال القتبي: كلاهما واحد وهما العلماء. ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ يعني عُلِّموا واستودعوا من كتاب الله التوراة، ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ بما في كتاب الله: الرجم وسائر الأحكام ثم قال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ يعني يهود أهل المدينة لا تخشوا يهود أهل خيبر وأخبروهم بآية الرجم ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ في كتمانه ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يعني عرضاً يسيراً ثم قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني إذا لم يقر، ولم يبين ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس من يجحد شيئاً من حدود الله فقد كفر ومن أقر ولم يحكم بها فهو فاسق[1] روى وكيع عن سفيان قال: قيل لحُذَيْفة: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) نزلت في بني إسرائيل فقال حُذَيفة نعم الأخوة لكم وبنو إسرائيل كانت لكم كل حلوة ولهم مرة لتسلكن طريقهم قدر الشراك[2]. يعني هذه الآية عامة فمن جحد حكم الله فهو من الكافرين. ثم بين الحكم الذي في التوراة فقال:

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ يعني فرضنا على بني إسرائيل في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ إذا كان القتل عمداً ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٠/٣٥٧، وانظر تفسير ابن كثير ٣/١١١.

(٢) انظر ابن جرير ١٠/٣٥٠.

إذا كان عمداً ﴿وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ﴾ إذا كان عمداً ﴿وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ﴾ إذا كان عمداً ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ إذا كان عمداً ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ إذا كان عمداً. وروى عكرمة عن ابن عباس[١] أن بني النضير كان لهم شرف على بني قريظة وكانت جراحاتهم على النصف فحملهم على الحق، وجعل دم القرظي والنضيري سواء فقال كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف: لا نرضى بحكمك لأنك تريد أن تصغرنا بعداوتك فنزل: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ثم صارت الآية عامة في جميع الناس في وجوب القصاص في النفس وفي الجراحات. قرأ عاصم وحمزة ونافع[٢]: (أن النفس بالنفس والعين بالعين) والحروف الست كلها بالنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر كلها بالنصب غير الجروح فإنهم يقرأونها بالضم على معنى الابتداء وقرأ الكسائي قرأ كلها بالضم إلا النفس. ثم قال: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾ يعني عفى عن مظلمته في الدنيا وترك القصاص ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ قال القتبي: فهو كفارة للجارح وأجر للمجروح. وقال مجاهد: كفارة للجارح وأجر للعافي. وقال بعضهم: هو كفارة للعافي أي يكفر الله تعالى عنه بعفوه بعض ما سلف من ذنوبه. ويقال: كفارة له أي للجارح يعني إذا ترك الولي حقه سقط القصاص عن الجارح. وروى محرر عن أبي هريرة عن رجل من الأنصار قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أصيب بشيء في جسده فتركه لله تعالى كانت كفارة له[٣]. وقال الحسن[٤]: ينادي منادٍ يوم القيامة من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من قد عفى ثم قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني يظلمون أنفسهم، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه فالذي عرض نفسه للعقوبة فقد وضع الشيء في غير موضعه. قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ يعني اتبعنا على أثر الرسل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني موافقاً لما قبله ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ﴾. يقال: إن عيسى يصدق التوراة ثم قال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ يعني بيان الأحكام ﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ يعني الإنجيل موافقاً للتوراة في التوحيد وفي بعض الشرائع ﴿وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين يتقون الشرك والفواحش. ثم قال ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ﴾. قرأ حمزة[٥]: (وِليحكمَ) بكسر اللام ونصب الميم وقرأ الباقون: بالجزم فمن قرأ بالكسر فمعناه، وآتيناه الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ ومن قرأ بالجزم فهو على الأمر والمراد به الخبر عن

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٠/٣٢٦، ٣٢٧، وانظر سنن أبي داود ٤/١٦٨ (٤٤٩٤)، والنسائي ٨/١٨، ١٩ في كتاب القسامة.

(٢) وحجة من رفع (الجروح) ذكرها اليزيدي عن أبي عمرو فقال: (رفع على الإبتداء) يعني: (والجروح من بعد ذلك قصاص). وحجة أخرى هي: إنما اختاروا الانقطاع عن الكلام الأول والاستئناف بـ (الجروح) لأن خبر الجروح يتبين فيه الإعراب وخبر الاسم الأول مثل خبر الإسم الثاني والثالث والرابع والخامس فأشبه الكلام بعضه بعضاً ثم استأنفوا الجروح فقالوا (والجروح قصاص) لأنه لم يكن خبر (الجروح) يشبه أخبار ما تقدمه فعدل (إلى) الإستئناف وحجة الكسائي في ذلك صحة الخبر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قرأ (والعين بالعين والأنف بالأنف) كلها بالرفع قال الزجاج: (رفعه على وجهين: على العطف على موضع (النفس بالنفس) والعامل فيها المعنى وكتبنا عليهم النفس أي قلنا لهم النفس. ويجوز أن يكون (والعين بالعين) على الإستئناف وعند الفراء أن الرفع أجود الوجهين وذلك لمجيء الاسم الثاني بعد تمام خبر الأول وذلك مثل قولك (إن عبد الله قائم وزيد قاعد) وقد أجمعوا على الرفع في قوله (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) فكان إلحاق ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى، قرأ نافع (والأذان بالأذن) ساكنة الذال في جميع القرآن كأنه استثقل الضمتين في كلمة واحدة فأسكن، وقرأ الباقون بالضم على أصل الكلمة انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/٤١٢، وانظر الترغيب والترهيب ٣/٣٠٦، وابن كثير ٣/١١٧.

(٤) بنحوه انظر تفسير ابن كثير ٣/١١٥.

(٥) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٢٧ ـ ٢٢٨، وسراج القارىء ٢٠٠.

أمر قد سبق لهم، يعني أمرهم الله تعالى: أن يحكموا بما في الإنجيل. ثم قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني في الإنجيل وكان ـ حكمهم العفو ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ يعني العاصين. وقوله تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ يعني أنزلنا إليك يا محمد الكتاب بالحق، يعني بيان الحق، ويقال: بالعرض والحجة ولم ينزله بغير شيء، ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني موافقاً للتوراة والإنجيل والزبور في التوحيد، وفي بعض الشرائع، ثم قال تعالى: ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ يقول: شاهداً على سائر الكتب، بأن الكتاب الأول من الله تعالى، ويقال: (مهيمناً عليه) يعني قاضياً عليه. ويقال: ناسخاً لسائر الكتب. وروي عن ابن عباس(١) أنه قال:) مؤتمناً على ما قبله. وقال القتبي: أميناً عليه. ويقال: ومهيمناً عليه في معنى مؤتمن. إلا أن الهاء أبدلت من الهمزة، كما يقال: هَرَقْتُ الماء، وأَرَقْتُه، وإياك، وهياك. ثم قال: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني فاحكم بين الناس بما أنزل الله تعالى في القرآن، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ يعني لا تعمل بأهوائهم ومرادهم ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني لا تترك الحكم بما بين الله تعالى في القرآن من بيان الحق، وبيان الأحكام، ثم قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ يقول: جعلنا لكل نبي شريعة، والإيمان واحد، ولم يختلف الرسل في الإيمان، وإنما اختلفوا في الشرائع، قال القتبي: الشرعة والتشريعة واحد، يعني السنة، والمنهاج: الطريق الواضح، وقال الزجاج: الشرعة والدين والمنهاج: الطريق. وقد قيل: هما شيء واحد، وهو الطريق(٢). ويقال: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) معناه فرضت على كل أمة ما علمت أن صلاحهم فيه. ثم قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني جعلكم على شريعة واحدة، ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليخبركم ﴿فِيمَا آتَاكُمْ﴾ يعني أمركم من السنن والشرائع المختلفة، ليتبين من يطيع الله فيما أمره ونهاه ومن يعصيه. ثم قال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يعني بادروا بالطاعات وبالأعمال الصالحة، وإلى الصف المقدم، والتكبيرة الأولى، ثم قال: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين والسنن يوم القيامة. فهذا وعيد وتهديد لتستبقوا الخيرات ولا تتبعوا البدعة ولا تخالفوا الكتاب. ثم قال: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وذلك أن يهود بني النضير قالوا فيما بينهم: إذهبوا بنا إلى محمد ـ عليه السلام ـ لعلنا نفتنه عن دينه وإنما هو بشر، فأَتَوْه فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم، وسادتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعك اليهود، ولن يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك،

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٠/ ٣٧٨. (٢) انظر المغرب ١/ ١٤٣٩ الصحاح ٣/ ١٢٣٦.

فتقضي لنا عليهم، فنؤمن بك فأبى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك فنزلت هذه الآية. (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) يعني اقض بينهم بما في القرآن. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الحكم ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ يعني يصرفوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وقال في رواية الضحاك تزوج مجوسي ابنته، فجاءت إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وطلبت نفقتها، فأمر الله تعالى رسوله أن يفرق بينهما بقوله: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله). وقال في رواية الكلبي: طلبوا منه بأن يحكم بينهم في الدماء على ما كانوا عليه في الجاهلية فنزل: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك). قال القتبي: أصل الفتنة، الاختبار، ثم يستعمل في أشياء يستعمل في التعذيب كقوله: (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) وكقوله: (يوم هم على النار يفتنون) وتكون الفتنة: الشرك كقوله: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)، وتكون الفتنة: العبرة، كقوله: (لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) وتكون الفتنة الصد عن السبيل، كقوله: (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك). ثم قال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يعني أبوا أن يرضوا بحكمك ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ يعني يعذبهم في الدنيا، قال الكلبي: يعني بالجلاء إلى الشام، والإخراج من دورهم، وقال الضحاك: يعني يريد الله أن يأمر بهم إلى النار بذنوبهم. ثم قال: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾ يعني رؤساء اليهود ﴿لَفَاسِقُونَ﴾ يعني لكافرون، والفاسق: هو الذي يخرج عن الطاعة. ثم قال: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ يعني يطلبون منك شيئاً لم ينزله الله إليك في حكم الزنا والقصاص، كما يفعل أهل الجاهلية. قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام[١]: (تبغون) على معنى المخاطبة، وقرأ الباقون: بالياء على معنى المغايبة. ثم قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً﴾ يقول: ومن أعدل من الله قضاء ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يعني يصدقون بالقرآن. قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ في العون والنصرة، وذلك أنه لما كانت وقعة أُحد خاف أناس من المسلمين أن يظهروا عليهم الكفار، فأراد من كانت بينه وبين النصارى واليهود صحبة أن يتولوهم ويعاقدوهم، فنهاهم الله تعالى عن ذلك فقال: (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) يعني معيناً وناصراً ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يعني بعضهم على دين بعض ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ يعني من اتخذ منهم أولياء ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ يعني على دينهم ومعهم في النار، ثم قال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني لا يرشدهم إلى الحجة، ويقال: لا يرشدهم ما لم يجتهدوا ويقصدوا الإسلام. ثم بين حال المنافقين فقال: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني (شرك) ونفاق ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ يقول: يبادرون في معاونتهم [ومعاقدتهم][٢] وولايتهم

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٢٨، شرح شعلة ٣٥١.

(٢) سقط من ظ.

﴿**يَقُولُونَ: نَخْشَى أَنْ تُصِيْبَنَا دَائِرَة**﴾ يعني ظهور المشركين. ويقال شدة وجذوبة فاحتجنا إليهم. ويقال: **نخشى الدائرة** على المسلمين فلا ننقطع عنهم. قال الله تعالى: ﴿**فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ**﴾ يعني نصر **محمد** ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي أيسوا منه، أو أمر من عنده، يعني من قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير، **ويقال: الفتح**: أي فتح مكة أو أمر من عنده: يعني الخصب. وقال القتبي: الفتح أن يفتح المغلق، ثم قال: **النصرة**: فتح لأن النصرة يفتح الله بها أمراً مغلقاً، كقوله: (فإن كان لكم فتح من الله) وكقوله: (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) يعني إظهار نفاقهم، ﴿**فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِيْ أَنْفُسِهِمْ**﴾ من النفاق ﴿**نَادِمِيْنَ**﴾ لأن **المنافقين** لما رأوا من أمر بني قريظة والنضير، ندموا على ما قالوا. ثم قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِيْنَ آمَنُواْ**﴾ يعني في **ذلك الوقت** الذي يظهر نفاقهم ﴿**أَهَؤُلاءِ الَّذِيْنَ أَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ**﴾ يقول: إذا حلفوا بالله فهو جهد اليمين ﴿**إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ**﴾ على دينكم. قرأ نافع وابن كثير وابن عامر[1]: (يقول الذين آمنوا) بغير واو ومعناه: إن الله تعالى لما بين حال المنافقين بين على أثره حال المؤمنين فقال تعالى: (يقول الذين آمنوا) يعني قال الذين آمنوا بعضهم لبعض، وقرأ أهل الكوفة حمزة وعاصم، والكسائي: (ويقول الذين آمنوا) بالواو وضم اللام ومعناه: (عسى الله أن يأتي بالفتح ويندم المنافقون ويقول الذين آمنوا عند ذلك): (هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) وقرأ أبو عمرو: (ويقول) بالواو ونصب اللام عطفاً على قوله: (عسى الله أن يأتي بالفتح) وعسى أن يقول الذين آمنوا ثم قال تعالى: ﴿**حَبِطَتْ**﴾ يعني بطلت ﴿**أَعْمَالُهُمْ**﴾ يعني المنافقين الذين كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين، وعلى دينهم ولم يكونوا **معهم**، حبطت أعمالهم فلا ثواب لهم في الآخرة ﴿**فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِيْنَ**﴾ يعني صاروا خاسرين في الدنيا، وفي **الآخرة. قوله تعالى**:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهِ**﴾ قرأ نافع وابن عامر:[2] (ومن يرتدد منكم) بالدالين وقرأ **الباقون**: بالدال الواحدة مع التشديد، فأما من قرأ: يرتدد فهو الأصل في اللغة، وروي عن أبي عبيدة أنه قال رأيت في مصحف عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بالدالين، وأما من قرأ: (يرتد) لأنه أدغم الدال الأولى في الثانية **فأسكن** الأولى ثم حرك الثانية إلى النصب لالتقاء الساكنين، قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في شأن أهل الردة الذين ارتدوا على عهد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وذلك أن العرب ارتدوا، وقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله فأما من نعطي من أموالنا بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا، وخرج مسيلمة الكذاب **فغلب** على اليمامة وامتنعوا فشاور أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قتالهم فقال أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكيف نقاتل قوماً وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى، فقال أبو بكر الصديق: الزكاة من حقها ثم قال: والله لو منعوني عقالاً مما كانوا يؤدونه

---

(١) انظر شرح شعلة ٣٥١، سراج القارىء ٢٠٠.

(٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٣٠.

إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقاتلتهم عليه(١). فاتفقت الصحابة على قول أبي بكر وجمعوا العسكر وجاءهم من قبل اليمن سبعة آلاف رجل، واجتمع ثلاثة آلاف من أفناء الناس فخرجوا وأميرهم «خالد بن الوليد» وقاتلهم، وخرج مسيلمة الكذاب مع أهل اليمامة واجتمع الأعراب معه وكان بينهم قتال شديد فقتل يومئذ من المسلمين مائة وأربعون رجلاً ومنهم «ثابت بن قيس بن شماس»، «وسالم مولى أبي حذيفة» وغيرهما فكاد المسلمون أن ينهزموا كلهم حتى نصرهم الله وأظهرهم على أعدائه، وقُتل مسيلمة الكذاب وأصحابه، وتاب أهل الردة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ يعني: يحبون الله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني رحيمة لينة على المؤمنين ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقول: شديدة غليظة (على الكافرين) يعني أهل اليمن. وروى أبو هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: أتاكم أهل اليمن هم أَلْيَنُ قلوباً وأرق أفئدة، والإيمان يمان والحكمة يمانة(٢). وروي عن علي ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: (فسوف يأتي الله بقوم) يعني الجند من جنود الله مردا وعوناً للخليفة أبي بكر يحبهم الله كحب الوالد لولده أذلة على المؤمنين كالعبد لسيده (أعزة على الكافرين) كالسبع على فريسته. ويقال: فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه هو أبو بكر وأصحابه. وقال الحسن:(٣) هو والله أبو بكر وأصحابه وقال الضحاك:(٤) هو أبو بكر وأصحابه لما ارتدت العرب جاهدهم حتى ردهم إلى الإسلام وهذا من شمائل أبي بكر حيث اتفقت الصحابة على رأيه وذكر أنه لما قبض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ همَّ المنافقون أن يُظهروا كفرهم وتحير أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند ذلك حتى جاء عمر، وصعد المنبر فقال: من قال إن محمداً قد مات فأنا أفعل به كذا وكذا بل هو حي حتى يخرج إليكم وقد وعدنا الله تعالى أن يظهره على الدين كله. فجاء أبو بكر فقال له: انزل يا عمر فصعد أبو بكر فقال: من كان يعبد محمداً ـ عليه السلام ـ فقد مات محمد ـ عليه السلام ـ ومن كان يعبد الله تعالى فهو حي لا يموت ومن أراد أن يرجع عن دينه فليس بيننا وبينه إلا السيف فخاف المنافقون فكتموا(٥) نفاقهم وقرأ: (إنك ميت وإنهم ميتون) وقرأ: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) فقال عمر: كأني لم أكن سمعت هذه الآية. ثم اختلاف آخر كان في دفنه فقال أبو بكر: يدفن حيث مات، فاتفقوا على قوله ثم اختلاف آخر كان في سقيفة بني ساعدة في الخلافة فاتفقوا على قوله ثم اختلاف أهل الردة وكلهم اتفقوا على قوله فذلك قوله تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني في طاعة الله ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ يعني لا يخافون ملامة الناس بما يعملون من الطاعات ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ يعني ذلك توفيق الله ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني يوفق من يشاء، ويقال ذلك دين الله الإسلام يهدي به من يشاء ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يعني واسع الفضل عليم بمن يصلح للهدى. قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وذلك أن عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن اليهود أظهروا لنا العداوة وحلفوا أن لا يخالطونا في شيء ومنازلنا فيهم بعيدة من المسجد

(١) أخرجه البخاري ١/٧٥ في الإيمان (٢٥)، ومسلم ١/٥٣ في الإيمان (٣٦/٢٢).

(٢) أخرجه البخاري ٨/٩٨ في المغازي (٤٣٨٨)، ومسلم ١/٧٢ في الإيمان (٨٤ ـ ٥٢/٨٧).

(٣) انظر تفسير الطبري ١٠/٤١١. (٤) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١٠/٤١٢. (٥) فخاف المنافقون فكتموا.

ولا نجد محدثاً دون هذا المسجد فنزلت هذه الآية (إنما وليكم الله ورسوله) يقول: حافظكم وناصركم الله ورسوله **﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾** فقال: يا رسول الله رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين. وقال الضحاك: إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما هاجر إلى المدينة أتاه بنو أسد بن خزيمة وهم سبعمائة رجالهم ونساؤهم فلما قدموا المدينة، فقالوا: يا رسول الله اغتربنا وانقطعنا عن قبائلنا وعشيرتنا، فمن ينصرنا فنزل: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)[1]. ثم قال: **﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾** قال ابن عباس: وذلك أن بلالاً لما أذّن وخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والناس في المسجد يصلون بين قائم وراكع وساجد فإذا هو بمسكين يسأل الناس فدعاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم قال: ماذا؟ قال: خاتم فضة، قال: ومن أعطاك؟ قال: ذلك المصلى، قال في أي حال أعطاك؟ قال: أعطاني وهو راكع فنظر فإذا هو عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على «عبد الله بن سلام» (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) **﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾** يعني يتصدقون في حال ركوعهم حيث أشار بخاتمه إلى المسكين حتى نزع من أصبعه وهو في ركوعه. ويقال يراد به جميع المسلمين أنهم يصلون ويؤدون الزكاة ثم قال: **﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** يعني يجعل الله ناصره ويجالس النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه **﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾** يعني جند الله **﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾** قال محمد بن إسحق نزلت هذه الآية في «عبادة بن الصامت» حين تبرأ من ولاية اليهود يعني يهود بني قينقاع وتولى الله ورسوله فأخبر الله تعالى: أن العاقبة لمن يتولى الله ورسوله فإن الله ينصر أولياءه ويبطل كيد الكافرين فذلك قوله تعالى: (فإن حزب الله هم الغالبون) يعني هم الظاهرون على أعدائه والعاقبة لهم. وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً﴾ يعني الذين آمنوا بلسانهم ولم يؤمنوا بقلوبهم. ويقال: أراد به المخلصين نهاهم الله تعالى عن ولاية الكفار. وروى محمد بن إسحق بإسناده عن عبد الله بن عباس قال: كان «رفاعة بن زيد بن تابوت وسويد بن الحارث» قد أظهرا الإسلام ونافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى: (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم) الإسلام (هزوا ولعبا)[2] يعني سخرية وباطلاً **﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾** يعني مشركي العرب. قرأ أبو عمرو والكسائي:[3] (والكفار) بالخفض وقرأ الباقون: بالنصب، فمن قرأ بالخفض فمعناه من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، ومن الكفار أولياء، ومن قرأ بالنصب فهو معطوف على قوله: (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم ولا تتخذوا الكفار أولياء). ثم قال: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** يعني إن كنتم مؤمنين فلا تتخذوا الكفار أولياء. قوله تعالى: **﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ﴾** يعني إذا أذن المؤذن للصلاة وإنما أضاف النداء إلى جميع المسلمين لأن المؤذن يؤذن لهم ويناديهم

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي ١٤٨.
(٢) أسباب النزول للواحدي ١٤٩.
(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٣٠، سراج القارىء ٢٠١.

فأضاف إليهم، فقال: وإذا ناديتم إلى الصلاة﴿اتَّخذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً﴾ يعني الكفار إذا سمعوا الأذان استهزؤوا به وإذا رأوهم ركعاً وسجداً ضحكوا واستهزؤوا بذلك ﴿ذَلِكَ﴾ الاستهزاء ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ يعني لا يعلمون ثوابه. وقال الضحاك: سأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل وقال: من أتَّخِذُه مؤذِّناً؟ قال: يا محمد عليك بالعبد الأسود فإنه مشهود في الملائكة وجهير الصوت، وأحبّ المؤذنين إلى الله تعالى، فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلالاً وعلمه الأذان وأمره أن يصعد سطح المسجد ويؤذن فلما أذن سخر منه أهل النفاق وأهل الشرك وكذلك يوم فتح مكة أمره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يؤذن على ظهر الكعبة فسخر منه كفار الأعراب وجهالهم فنزل قوله تعالى: (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً) يعني المنافقين واليهود ومشركي العرب. وروى أسباط عن السدي قال: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله قال: حرق الله الكاذب فدخلت خادمته ليلة من الليالي بنار وهم نيام فسقطت شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو وأهله، واستجيب دعاه في نفسه. وروي عن ابن عباس هذه الحكاية نحو هذا، إلا أنه ذكر اليهودي. وقوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾ يقول: ما تطعنون فينا وتعيبوننا ﴿إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ أي سوى أنا قد آمنا بالله وآمنا بـ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ يعني من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ القرآن يعني التوراة والإنجيل ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ يعني لم تؤمنوا لفسقكم وعصيانكم. وقال الزجاج: معنى (هل تنقمون منا) هل تكرهون منا إلا إيماننا وبفسقكم: إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على الحق لأنكم فسقتم ولم تثبتوا على دينكم لمحبتكم الرئاسة ومحبتكم المال. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ قال مقاتل: وذلك أن اليهود قالوا للمؤمنين: ما نعلم أحداً من أهل هذه الأديان أقل حظاً في الدنيا ولا في الآخرة منكم فنزل: (قل هل أنبئكم) يعني أخبركم بشر من ذلك. ﴿مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني ثوابا عند الله فقالت اليهود: من هم؟ قال: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ فقال المسلمون لليهود: يا إخوة القردة والخنازير فنكسوا رؤوسهم وخجلوا. ومثوبة: صار نصباً للتمييز يعني التفسير. ثم قال: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ قرأ حمزة: (وَعَبُدَ الطاغوت) بنصب العين والدال وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت، لم يصح في اللغة أن يقال: لجماعة الأعبد وإنما يقال: أعبد ولا يقال عبد، وقرأ الباقون (وعبد الطاغوت) يعني جعل منهم من عبد الطاغوت ومعناه خذلهم حتى عبدوا الشيطان. وروي عن ابن عباس أنه قرأ: (وعُبَّد الطاغوت)(١) بضم العين ونصب الباء بالتشديد يعني جمع عابد، يقال: عابد وعبَّد مثل راكع وركَّع وساجد

---

(١) قرأ حمزة (وعبد) بضم الباء (الطاغوت) جر يقال (عبد وعبد).

قال الشاعر:

أبني لبينى إن أمكم أمة وإن أباكم عبد

قال الفراء: الباء تضمها العرب للمبالغة في المدح والذم نحو: (رجل حذُر ويقظ) أي مبالغ في الحذر فتأويل (عَبُد) أنه بلغ الغاية=

وسُجّد، وقرأ ابن مسعود: (وعبدوا الطاغوت) يعني يعبدون الطاغوت وقرأ بعضهم: (وعُبُدَ الطاغوت) بضم العين والباء ونصب الدال وهو جماعة العبيد. ويقال: عبيد وعُبُد على ميزان: رغيف ورُغُف وسرير وسُرُر. ثم قال: ﴿أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً﴾ يعني شر منزلة عند الله ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيْلِ﴾ يعني أخطأ عن قصد الطريق وهو الهدى. ثم قال: ﴿وَإِذَا جَاؤكُمْ قَالُواْ آمَنَّا﴾ وهم المنافقون من أهل الكتاب قالوا صدقنا ووجدنا نعتك وأرادوا بذلك أن يمدحهم المسلمون وهذا كقوله: (ويحبون أن يُحْمدوا بما لم يفعلوا) فأخبر الله تعالى عن حالهم فقال: ﴿وَقَدْ دَخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ﴾ يعني هم كافرون في الأحوال كلها ولا ينفعهم ذلك القول: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ يعني عليم بمجازاتهم وهذا تهديد لهم. ثم قال:

وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

﴿وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ﴾ يعني المعصية ﴿والعُدْوَانِ﴾ يعني الظلم وهو الشرك ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ﴾ يعني الرشوة في الأحكام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعني لبئس ما كانوا يتزودون من دنياهم لآخرتهم. ثم قال: ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾ يعني هلا ينهاهم الربانيون يعني علماؤهم وعبادهم وإنما شكا من علماء السوء الذين لا يأمرون بالمعروف ويجالسونهم ويؤاكلونهم وكل عالم لم يأمر بالمعروف ويجالس أهل الظلم والمعصية فإنه يدخل في هذه الآية فقال: ﴿وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ حين لم ينهوهم عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ورضوا بفعلهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك أن الله تعالى قد بسط عليهم الرزق فلما عصوه وجحدوا نعمته قتر عليهم الرزق فقالوا عند ذلك: يد الله محبوسة عن البسط فأمسك عنا الرزق، قال الله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيْهِمْ﴾ يعني أمسكت أيديهم عن الخير ويقال: هذا وعيد لهم غلت أيديهم في نار جهنم. ويقال: جُعِلوا بخلاء فلا يعطون الناس شيئاً مما أعطاهم الله تعالى ثم قال: ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُواْ﴾ يعني عُذِّبوا وطُرِدوا من

= في طاعة الشيطان. وكذا قرأ مجاهد ثم فسره وقال: (وخَدَم الطاغوت) قال الزجاج: (وكأن اللفظ لفظ واحد يدل على الجميع كما تقول للقوم: (منكم عبد العصا) تريد: إن فيكم عبيد العصا). والنصب في (عَبَد) من وجهين: أحدهما على: (وجعل منهم عبد الطاغوت) والثاني على الذم على: (أعني عبد الطاغوت).

وقرأ الباقون: (وعبد الطاغوت) ولهم في ذلك حجتان:

إحداهما: النسق على قوله (من لعنه الله) (وعبد الطاغوت) ـ والطاغوت هو الشيطان أي أطاعه فيما سوّل له وأغواه به. والثانية: أن ابن مسعود وأبيّاً قرآ: (وعبدوا الطاغوت) حملا الفعل على معنى (من) لأن (من) واحد في اللفظ وجمع في المعنى. فقراءة العامة على اللفظ وقراءتهما على المعنى كما قال: (ومنهم من يستمعون إليك) على المعنى ثم قال: (ومنهم من ينظر إليك) على اللفظ انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٣١ ـ ٢٣٢.

رحمة الله لقولهم ذلك، ثم قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ يعني رزقه واسع باسط على خلقه ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ يقول: يرزق لمن يشاء مقدار ما يشاء فله خزائن السموات والأرض وهذا كما روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: قال الله تعالى: لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم سأل كل رجل ما بلغت أمنيته فأعطيته لم ينقص ذلك من خزائن ملكي مقدار ما يغترف من البحر برأس إبرة واحدة. ثم قال تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ﴾ يعني من اليهود ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً﴾ يعني تمادياً بالمعصية ﴿وَكُفْراً﴾ وجحوداً بالقرآن، يعني كل ما نزل عليك شيء من القرآن كفروا به، فيزيد جحودهم في طغيانهم، وإنما نسب ذلك إلى ما أنزله، لأن ذلك سبب لطغيانهم وجحودهم وهذا كما قال في آية أُخرى: (ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) يعني أن ذلك سبب لخسرانهم. ثم قال تعالى: (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يعني جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين كما قال في آية أُخرى: (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) ثم قال: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ يقول: كلما أجمعوا أمرهم على المكر بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه فرقه الله تعالى وأطفأ نار مكرهم أي يسكته الله تعالى ووهن أمرهم وهذا على وجه الكناية كما قال: (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) ثم قال: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾ يعني يعملون فيها بالمعاصي ويدعون الناس إلى عبادة غير الله تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ يعني لا يرضى بعمل الذين يعملون بالمعاصي والله لا يحب أهل الفساد ولا عملهم وقوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿آمَنُوا﴾ يعني صدقوا بتوحيد الله تعالى وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الشرك والمعاصي ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ يعني غفرنا ذنوبهم ﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ في الآخرة. ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ يعني أقروا بما فيها وبينوا ما كتموا ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني بما أنزل إليهم من ربهم، يعني عملوا بما أنزل إليهم من ربهم في كتابهم ويقال: القرآن ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ يعني يرزقهم الله تعالى المطر من فوقهم في الوقت الذي ينفعهم ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ يعني النبات من الأرض. وقال الزجاج: هذا على وجه التوسعة يقال: فلان خيره من فوقه إلى قدمه، يعني: لو أنهم فعلوا ما أمروا لأعطاهم الله الخير من فوقهم ومن تحت أرجلهم يعني صاروا في الخير في الدينا والآخرة وروى أبو موسى الأشعري عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: أيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فله أجران، ثم قال: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ يعني عصبة وجماعة عادلة وهم مؤمنو أهل الكتاب من أهل التوراة والإنجيل ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ الذين لم يصدقوا ولم يؤمنوا. قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا

ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وذلك أن اليهود قالوا للنبي ـ عليه لسلام ـ حين دعاهم إلى الإسلام فجعلوا يستهزئون به ويقولون إنك تريد أن نتخذك حَنَّاناً كما اتخذت النصارى عيسى ـ عليه السلام ـ فلما رأى ذلك سكت عنهم فأمره الله أن يدعوهم ولا يمنعه عن ذلك تكذيبهم إياه. فقال: (يا أيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك) من القرآن يعني ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ إن لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ يعني كأنك لم تبلغ شيئاً من رسالته لأنه أمر بتبليغ جميع الرسالة فإذا ترك البعض صار بمنزلة التارك للكل، كما أن من جحد آية من كتاب الله تعالى صار جاحداً للجميع ويقال: وإن لم تفعل فما بلغت رسالته يعني فما بلغت المبلغ الذي تكون رسولاً وروى «سمرة بن جندب» عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم فإن كنتم تعلمون أني قد قَصَّرْتُ عن شيء من تبليغ رسالات ربي فأخبروني حتى أبلغ رسالات ربي كما ينبغي لها أن تبلغ فقام الناس فقالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك[١]. وروى مسروق عن عائشة قالت: من حَدَّثك أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتم شيئاً من الوحي فقد كذب، ثم قرأت (يأأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك. . . الآية)[٢]. ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يعني اليهود ويقال: كيد الكفار. وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحرسه أصحابه بالليل حتى نزلت هذه الآية فخرج إليهم وقال: لا تحرسوني فإن الله قد عصمني من الناس[٣]. ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ يعني لا يرشدهم إلى دينه ويقال لما نزلت هذه الآية قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا أبالي من خذلني من اليهود ومن نصرني. قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر[٤] (فما بلغت رسالاته) بلفظ الجماعة وقرأ الباقون: (رسالته) بلفظ الواحد يغني عن الجماعة. ثم علّمه كيف يبلغ الرسالة فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الدين ولا ثواب لأعمالكم ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ يعني تعملوا بما في التوراة والإنجيل ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني حتى تقروا بما أنزل على نبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن وتعملوا به. ثم قا: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾ يعني تمادياً بالمعصية وكفراً بالقرآن يعني إنما عليك تبليغ الرسالة والموعظة، فإن لم ينفعهم ذلك فليس عليك شيء ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ يعني لا تحزن عليهم إن كذبوك[٥]. وروى محمد بن إسحق بإسناده عن ابن عباس أنه قال: جاء رافع بن حارثة، وسلام بن مشكم، ومالك بن الضيف وقالوا: يا محمد: ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ وتؤمن بما عندنا من التوراة؟ وتشهد أنها من الله حق؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس، فبرئت من

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في الصحيح ٢/٣٢٥ في باب استحباب استحداث التوبة عند كسوف الشمس وفي إسناده ثعلبة بن عباد العبدي مجهول كما قال ابن المديني وغيره، وأخرجه أحمد في المسند كما في الفتح الرباني ٦/١٨٩ ـ ١٩٢، والنسائي مختصر ٣/١١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٨/١٢٤ في كتاب التفسير (٤٦١٢)، وأخرجه مسلم ١/١٥٩ في كتاب الإيمان (٢٨٧/١٧٧).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٩٩ وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه.

(٤) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٣٢، سراج القارىء ٢٠١.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١٠/٤٧٣.

أحداثكم فقالوا: فإنا قد آمنا بما في أيدينا وإنا على الهدى والحق ولا نؤمن بك فنزل (يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل). قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿إِنَّ الذِيْنَ آمَنُوا والَّذِيْنَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ والنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾. قال في رواية الكلبي: هم قوم آمنوا بعيسى ولم يؤمنوا بغيره ولم يرجعوا، ويقال إن الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويقال: في الآية تقديم، يعني (إن الذين آمنوا) من آمن من اليهود والنصارى والصابئين ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فلهم أجرهم عند ربهم. وقال: في هذه السورة (والصابئون) وقال في موضع آخر: (والصابئين) لأنه معطوف على خبر إن وكل اسم معطوف على خبر إن كان فيه طريقان إن شاء رفع، وإن شاء نصب كقوله: (إن زيداً قادم وعمرو، : إن شاء نصب الثاني وإن شاء رفعه كقوله تعالى: (إن الله بريء من المشركين ورسوله). وقد قرأ: ورسوله ولكنه شاذ وكذلك هاهنا جاز أن يقول: (والصابئين) (والصابئون) إلا أن في هذه السورة كتب بالرفع. ثم قال: ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾يعني لمن آمن والذين سبق ذكرهم، فلهم ثوابهم عند ربهم الجنة فلا خوف عليهم ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني عهدهم في التوراة ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً، كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني بما لا يوافق هواهم ﴿فَرِيْقاً كَذَّبُواْ﴾ مثال عيسى ومن قبله ﴿وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾ مثل يحيى وزكريا وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام. فالله تعالى أمر النبي بتبليغ الرسالة وأمره بأن لا يحزن عليهم إن لم يؤمنوا لأنهم من أهل السوء الذين فعلوا هذه الأفعال، ثم قال: ﴿وَحَسِبُواْ أَنْ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يعني ظنوا أن لا يبتلوا بتكذيبهم الرسل، وقتلهم الأنبياء. ويقال: ظنوا أن لا يعاقبوا ولا يصيبهم البلاء والشدة والقحط ويقال: ظنوا أن قتل الأنبياء لا يكون كفراً. ويقال: ظنوا أن لا تفسد قلوبهم بالتكذيب وقتل الأنبياء. قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو: (أن لا تكونُ فتنة) بضم النون، وقرأ الباقون بالنصب[1]، فمن قرأ بالنصب

---

(١) ونصبه بـ (أن) و (لا) لا تفصل بين العامل والمعمول فيه كقولك: (أحب أن تذهب) و (أحب ألا تذهب) وحجتهم قوله: - ﴿ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله﴾ ﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله﴾ كل هذا نصب بـ (أن لا) ولما أجمعنا على إحداهما واختلفوا في الأخرى رد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه. واعلم أن (أن) تدخل في الكلام على أربعة أضرب.

(أن) الناصبة للفعل وهي التي ذكرناها تقول (أريد أن تخرج).

والثاني (أنْ) الخفيفة عن (أنّ) الثقيلة كقول الأعشى:

في فتية كسيوف الهند قد علموا أنْ هالكٌ كل من يحفى وينتعل

أراد: أنه هالك.

والموضوع الثالث: أن تكون بمعنى (أي) كقوله: (أن امشوا) معناه. أي امشوا.

والرابع: أن يكون للتوكيد كقوله: (ولما أن جاءت). انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٣٣ - ٢٣٤.

بمعنى أن ومن قرأ بالضم يعني حسبوا أنه لا تكون فتنة معناه: حسبوا أن فعلهم غير فاتن لهم. ثم قال تعالى: ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ يعني عموا عن الحق وصموا عن الهدى فلم يسمعوه ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيهِم﴾ يقول: تجاوز عنهم، ورفع عنهم البلاء فلم يتوبوا ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ ويقال: معناه تاب الله على كثير منهم وعموا وصموا كثير منهم. ويقال: من تاب الله عليهم، يعني بعث محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليدعوهم إلى التوراة ثم عموا وصموا بتكذيب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ويقال عموا وصموا حين عبدوا العجل، ثم تاب الله عليهم بعدما قتلوا سبعين ألفاً)، وهذا على جهة المثل، يعني لم يعملوا بما سمعوا ولم يعتبروا بما أبصروا فصاروا كالعمي والصمي. ثم قال: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بقتلهم الأنبياء وتكذيبهم الرسل، يعني عليم بمجازاتهم. قوله تعالى:

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وذلك أن نصارى أهل نجران يزعمون أنهم مؤمنون بعيسى فأخبر الله تعالى أنهم كافرون بعيسى، وأنهم كاذبون في مقالتهم وأخبر أن المسيح دعاهم إلى توحيد الله، وأنهم كاذبون على المسيح وهو قوله ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني وحدوا الله وأطيعوه ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ يعني خالقي وخالقكم ورازقي ورازقكم. ثم قال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ يعني ويموت على شريكه ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ أن يدخلها ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ يعني مصيره إلى النار ﴿وما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يعني ليس للمشركين من مانع يمنعهم من العذاب. ثم أخبر أن الفريق الآخر من النصارى هم كفار أيضاً فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ فيه مضمر معناه: ثالث ثلاثة آلهة. ويقال: ثلث من ثلاثة آلهة يعني أباً وأماً وروحاً قدساً. يعني الله ومريم وعيسى. قال الله تعالى رداً عليهم: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يعني هم كاذبون في مقالتهم، ثم أوعدهم الوعيد إن لم يتوبوا فقال: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ يعني إن لم يتوبوا ولم يرجعوا عن مقالتهم ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ فهذا لام القسم فكأنه أقسم بأنه ليصيبهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني إن أقاموا على كفرهم. ثم دعاهم إلى التوبة فقال: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ من النصرانية ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ عن مقالتهم الشرك فإن فعلوا فإن ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿رحيم﴾ بقبول التوبة. ويقال: قوله: (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه) لفظه لفظ الاستفهام والمراد به الأمر فكأنه قال: توبوا إلى الله وكذلك كل ما يشبه هذا في القرآن، مثل قوله: (أتصبرون) يعني اصبروا. ثم بين الله تعالى أن المسيح عبده ورسوله، وبين الحجة في ذلك فقال:

مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ يعني هو رسول كسائر الرسل ﴿قد خلت من قبله الرسل﴾، وهو من جماعة الرسل ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ شبه النبيين، وذلك حين صدقت جبريل حين قال لها: (إنما أنا رسول ربك). والصديق في اللغة هو المبالغ في التصديق. وقال في آية أخرى: (وصدقت بكلمات ربها). ثم قال: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ يعني المسيح وأمه كانا يأكلان ويشربان ومن أكل وشرب تكون حياته بالحيلة والرب: لا يأكل ولا يشرب. ويقال: (كانا يأكلان الطعام)، كناية عن قضاء الحاجة لأن الذي يأكل الطعام فله قضاء الحاجة، ومن كان هكذا لا يصلح أن يكون رباً ثم قال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ﴾ يعني العلامات في عيسى ومريم، إنهما لو كانا إلهين ما أكلا الطعام ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾. يقول: من أين يكذبون بإنكارهم بأني واحد. وقال القتبي: (أني يؤفكون) يعني أنى يصرفون عن الحق ويعدلون عنه يقال: أفك الرجل عن كذا إذا عدل عنه. ثم أخبر الله تعالى عن جهلهم وقلة عقلهم فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني عيسى ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ﴾ يقول ما لا يقدر لكم ﴿ضَرًّا﴾ في الدنيا ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ في الآخرة، وتركتم عبادة الله ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم ﴿الْعَلِيمُ﴾. بعقوبتكم. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ يقول: لا تجاوزا الحد، والغلو: هو الإفراط والاعتداء ويقال: لا تتعمقوا، ثم قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾ وهم الرؤساء من أهل الكتاب يعني لا تتبعوا شهواتهم، لأنهم آثروا الشهوات على البيان والبرهان ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ وهم رؤساء النصارى ضلوا عن الهدى ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيراً﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾. يعني أخطأوا عن قصد الطريق. وقال مقاتل: نزلت في برصيصا العابد فجاءه الشيطان فقال له: قد فضلك الله على أهل زمانك، لكي تحل لهم الحرام، وتحرم عليهم الحلال وتسن لهم سنة ففعل فاتبعه الناس بذلك ثم ندم على فعله فعمد إلى سلسلة فجعلها في ترقوته فعلق نفسه، فجاءه ملك فقال له: أنت تتوب، فكيف لك من تابعك؟ فذلك قوله: (قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وقوله تعالى:

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾

﴿لُعِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيْلَ﴾ يعني اليهود ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ﴾ وذلك أن الله تعالى مسخهم قردة، حيث اصطادوا السمك يوم السبت، ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ يعني وعلى لسان عيسى ابن مريم حيث دعا عليهم

فمسخهم الله تعالى خنازير، ويقال: لعن الذين كفروا، أي أُبْعِدوا من رحمة الله على لسان داود وعيسى ابن مريم. وقال الزجاج: يحتمل معنيين: أحدهما أنهم مسخوا بلعنتهما فجعلوا قردة وخنازير، وجائز أن يكون داود وعيسى لعنا من كفر بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعني، لعن الكفار الذين على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. يعني الذين أصابهم من اللعنة بما عصوا يعني بعصيانهم، وكانوا يعتدون في دينهم. ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ يعني لم يمتنعوا عن قبيح من الأفعال، ورضوا به، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. حين لم ينهوا عن المنكر. ثم قال ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ قال مقاتل[1]: يعني اليهود ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مشركي العرب. وقال الكلبي: (ترى كثيراً) من المنافقين[2]، (يتولون الذين كفروا) يعني اليهود. ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾. معناه لبئس الفعل الذي كانوا يستوجبون به السخط من الله تعالى ويوجب لهم العقوبة (والعذاب) ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ يعني دائمون. ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ (يعني المنافقين لو كانوا يصدقون بتوحيد الله ونبوة محمد حقيقة) وما أنزل إليه من القرآن ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (يعني لو كان إيمان المنافقين حقيقة ما اتخذوا اليهود أولياء) في العون والنصرة ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ يعني ناقضين للعهد. ثم قال:

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ وهم يهود بني قريظة وبني النضير، ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني مشركي أهل مكة، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ قال بعضهم: إنما أراد الذين هم النصارى في ذلك الوقت لأنهم كانوا أقل مظاهرة على المؤمنين، وأسرع إجابة للإسلام. وقال أكثر المفسرين إن المراد به النصارى الذين أسلموا، وفي سياق الآية دليل عليه، وهو قوله: (فأثابهم الله بما قالوا) وروى أسباط عن السدي[3] قال: بعث النجاشي إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اثني عشر رجلاً من الحبشة، وسبعة قسيسين، وخمسة رهبان، ينظرون إليه ويسألونه، فلما لقوه، وقرأ عليهم ما أنزل الله عليه، بكوا وآمنوا به ورجعوا إلى النجاشي فهاجر النجاشي معهم

---

(١) انظر تفسيره ١/٣٣٤.

(٢) ونسبه القرطبي لمجاهد: ٦/١٦٤ وانظر تفسير ابن كثير ٣/١٥٦.

(٣) ذكره ابن كثير في التفسير ٣/١٥٧ وقال هذا من أفراد السدي فإن النجاشي مات وهو ملك الحبشة وصلى عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم مات وأخبر به أصحابه وأخبر أنه مات بأرض الحبشة.

فمات في الطريق، فصلى عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمون، واستغفروا له. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه سئل عن هذه الآية فقال: هم الوفد الذين قدموا مع جعفر الطيار من أرض الحبشة[١]. وعن الزهري، أنه سئل عن هذه الآية فقال: ما زلنا نسمع أنها نزلت في النجاشي وأصحابه[٢] ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً﴾ يعني المتعبدين وأصحاب الصوامع، [ويقال: قسيسين علماؤهم، ورهباناً يعني خائفين من الله تعالى][٣]، وقال بعض أهل اللغة: القس، والقسيس: رؤساء النصارى، والقَس، بفتح القاف النميمة ثم قال ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يعني لا يتعظمون على الإيمان بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن. ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ يعني تسيل من الدمع، ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ يقول: مما عرفوا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ نعته وصفته ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بالقرآن بأنه من الله ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ يعني المهاجرين والأنصار. وروى عكرمة عن ابن عباس قال[٤]: (مع الشاهدين) هم أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشهدون له بالبلاغ، ويشهدون للرسل أنهم قد بلغوا الرسالة. ثم قال: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ وذلك أنهم لما رجعوا إلى قومهم قال لهم كفار قومهم: تركتم ملة عيسى، ويقال: إن كفار مكة عاتبوهم على إيمانهم، وقالوا: لم تركتم دينكم القديم وأخذتم الدين الحديث؟ فقالوا: (وما لنا لا نؤمن بالله) ومعناه: وما لنا لا نصدق بالله، أن محمداً رسوله، والقرآن من عنده ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني وبما جاءنا من الحق، ﴿وَنَطْمَعُ﴾ يقول: نرجو ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ يعني مع المؤمنين الموحدين في الجنة. فمدحهم الله تعالى، وحكى عن مقالتهم، وأخبر عن ثوابهم في الآخرة فقال: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ من التوحيد ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني ثواب الموحدين المطيعين، وقد احتج بعض الناس بهذه الآية أن الإيمان هو مجرد القول، لأنه قال: فأثابهم الله بما قالوا، ولكن لا حجة لهم فيها لأن قولهم كان مع التصديق، والقول بغير التصديق لا يكون إيماناً. ثم بين عقوبة من ثبت على كفره ولم يؤمن فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني مات على ذلك، ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ والجحيم هو النار الشديدة الوقود، يقال جحم فلان النار إذا شدد وقودها. ويقال لعيْن الأسد جحمة، لشدة توقدها. قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ نزلت في جماعة من

---

(١) انظر تفسير مجاهد ١/٢٠٢، وانظر تفسير ابن كثير ٣/١٥٧.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٠٧ وعزاه لابن جرير الطبري.

(٣) في (أ) (والبرهان عبادهم ويقال: القسيسين الصديقين والرهبان الخائفين من الله تعالى).

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٩، والطبري ١٠/٥١٠.

أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنهم سمعوا من النبي ـ عليه السلام ـ وصف القيامة يوماً، وخوف النار والحساب فاجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، فتواثقوا بأن يخصوا أنفسهم ويترهبوا، فنهاهم الله عن ذلك، فنزلت هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾.

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، قال: حدثنا أبو القاسم أحمد بن محمد قال: حدثنا محمد بن فضيل، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك[1] عن مدرك بن قزعة عن سعيد بن المسيب قال: جاء عثمان بن مظعون إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: يا رسول الله، غلبني حديث النفس، ولا أحب أن أحدث شيئاً حتى أذكر لك، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما تحدثك نفسك يا عثمان؟ قال: تحدثني أن أخصي نفسي، قال مهلاً يا عثمان، فإن إخصاء أمتي الصيام، قال: يا رسول الله، إن نفسي تحدثني أن أترهب في رؤوس الجبال، فقال: مهلاً يا عثمان، فإن ترهيب أمتي الجلوس في المساجد لانتظار الصلوات، قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثني أن أسيح في الأرض؟ قال: مهلاً يا عثمان: فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله، والحج والعمرة، قال: فإن نفسي تحدثني أن أخرج من مالي كله؟ قال مهلاً يا عثمان، فإن صدقتك يوماً بيوم، وتكف نفسك وعيالك، وترحم المساكين واليتيم أفضل من ذلك، فقال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني أن أطلق خَوْلة، فقال مهلاً يا عثمان، فإن الهجرة في أمتي مَنْ هجر ما حرم الله، أو هاجر إليّ في حياتي، أو زار قبري بعد وفاتي، أو مات وله امرأة، أو امرأتان أو ثلاث أو أربع، قال، يا رسول الله: فإن نهيتني أن أطلقها، فإن نفسي تحدثني بأن لا أغشاها قال، مهلاً يا عثمان، فإن الرجل المسلم إذا غشي أهله أو ما ملكت يمينه فلم يكن من وقعته تلك ولد، كان له وصيفاً في الجنة، وإن كان من وقعته تلك ولد فمات قبله كان فرطاً وشفيعاً يوم القيامة، فإن مات بعده كان له نوراً يوم القيامة، فقال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني بأن لا آكل اللحم، قال: مهلاً يا عثمان، فإني أحب اللحم وآكله إذا وجدته، ولو سألت ربي أن يطعمنيه في كل يوم لأطعمنيه، قال يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن لا أمس الطيب، قال مهلاً يا عثمان فإن جبريل أمرني بالطيب غباغباً، وقال: لا تتركه يا عثمان، لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي، ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة، ونزلت هذه الآية (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ يقول: يعني لا تحرموا حلاله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ﴾ ويقال: إن مُحَرِّم ما أحل الله، كمُحِلِّ ما حرم الله[2]. ثم قال: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّباً﴾ من الطعام والشراب﴿واتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تحرموا ما أحل الله لكم ﴿الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ يعني إن كنتم مصدقين به، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه. ثم أمرهم الله تعالى بأن يكفروا أَيْمَانهم، لأنه لما حرموا الحلال على أنفسهم كان ذلك يميناً منهم، ولهذا قال أصحابنا: إذا قال الرجل لشيء حلال، هذا الشيء علي حرام يكون ذلك يميناً، فأمرهم الله تعالى بأن يأكلو ويحنثوا في أيمانهم وفي الآية دليل: أن الرجل إذا حلف على شيء، والحنث خير له، ينبغي أن يحنث ويكفر بيمينه. وفيها دليل: أن الكفارة بعد الحنث، لأنه أمرهم بالحنث بقوله: (فكلوا) ثم أمرهم بالكفارة. وهو قوله تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ قال ابن عباس:[3] اللغو أن يحلف الرجل على شيء بالله، وهو يرى أنه صادق، وهو فيه كاذب، وهكذا روي عن أبي هريرة أنه كان يقول: لغو اليمين: أن يحلف الرجل على

---

(١) روي عن أبيه ومحمد بن عمر وبن علقمة وخلق قال النسائي ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات انظر التهذيب ٩/٦١.

(٢) بنحو هذه الآثار انظر أسباب النزول للواحدي ١٥٢، وتفسير ابن عباس ٧٩.

(٣) انظر تفسير الطبري ٤/٤٣٢.

شيء يظن أنه الذي حلف عليه ـ هو صادق ـ فإذا هو غير ذلك[١]. وقال الحسن: هو الرجل يحلف على الشيء، يرى أنه كذلك وليس هو كذلك[٢]. وقال سعيد بن جبير: الرجل يحلف باليمين الذي لا ينبغي أن يحلف بها، يحرم شيئاً هو حلال، فلا يؤاخذه الله بتركه لكن يؤاخذه الله إن فعل[٣]. وقال زيد بن أسلم: هو قول الرجل، أعمى الله بصري إن لم أفعل كذا، وأخرجني الله من مالي وولدي[٤]، وقالت عائشة: اللغو: هو قول الرجل، لا والله، وبلى والله، على شيء لم يعقده قلبه[٥]. ثم قال: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدتُمُ الأَيْمَانَ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم في رواية حفص[٦] (عقّدتم) بالتشديد، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: (عَقَدتم) بالتخفيف وقرأ ابن عامر: (بما عقدتم) فمن قرأ: (عاقدتم) فهو من المعاقدة والمعاقدة تجري بين الاثنين، وهو أن يحلف الرجل لصاحبه بشيء، ومن قرأ بالتشديد، فهو للتأكيد، ومن قرأ بالتخفيف، لأن اليمين تكون مرة واحدة، والتشديد تجري في التكرار والإعادة. وروى عبد الرزاق، عن بكار بن عبد الله، قال: سئل وهب بن منبه عن قوله: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ قال: الأَيْمَانُ ثلاثة لغو، وعقد، وصبر فأما اللغو: فلا والله، وبلى والله، لا يعقد عليه القلب، وأما العقد: أن يحلف الرجل، لا يفعله فيفعله فعليه الكفارة، وأما الصبر: بأن يحلف على مال ليقتطعه بيمينه، فلا كفارة له. وروى حسين بن عبد الرحمن[٧]، عن أبي مالك الغفاري قال:[٨] الأيمان ثلاثة، يمين تكفر، ويمين لا تكفر، ويمين لا يؤاخذ الله بها، وذكر إلى آخره. ثم بين كفارة اليمين فقال تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُه اطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِيْنَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيْكُم﴾. روي عن علي بن أبي طالب[٩] ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: الغداء والعشاء، وسئل شريح[١٠] عن الكفارة فقال: الخبز والزيت، والخل والطيب، فقال السائل: أرأيت إن أطعمت الخبز واللحم؟ قال ذلك أرفع طعام أهلك، وطعام الناس. وروي عن ابن الخطاب[١١]، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ أنهما قالا، لكل مسكين، نصف صاع من حنطة، يعني، إذا أراد أن يدفع إليهم، وإن أراد أن يطعمهم فالغداء والعشاء. ثم قال: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال مجاهد: [١٢] أدناه ثوب، وأعلاه ما شئت. وقال إبراهيم النخعي:[١٣] لكل مسكين ثوب. وقال الحسن: [١٤] ثوبان أبيضان ثم قال:﴿أَوْ تَحْرِير رَقَبَة﴾ يعني يعتق رقبة، ولم يشترط ها هنا المؤمنة، فيجوز الكفارة بالكافرة والمؤمنة، فالرجل بالخيار بين هذه الأشياء الثلاثة، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الطعام ولا الكسوة ولا الرقبة فعليه ﴿فَصِيَامُ﴾ يعني صيام ﴿ثَلاثَةِ أَيَّام﴾ وروى سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال: سئل طاووس عن صيام الكفارة قال: يفرق: قال له مجاهد كان عبد الله يقرأ: متتابعات. قال: طاووس[١٥] فهو أيضاً متتابعات. وروى مالك عن حميد، عن مجاهد[١٦]، قال: كان أبي يقرأ، فصيام ثلاثة أيام متتابعات في الكفارة اليمين. ثم قال (ذلك) يعني الذي ذكر ﴿كفارة إيمانكم﴾ عن الطعام والكسوة والعتق والصوم ثم قال ﴿إِذَا حَلَفْتُم، واحْفَظُوا أَيْمَانَكُم﴾ يعني ليعلم الرجل ما حلف عليه، فليكفر يمينه، إذا حنث ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

(١) انظر تفسير الطبري ٤/٤٣٢. (٢) انظر تفسير الطبري ١٠/٥٢٦.
(٣) انظر تفسير الطبري ٤/٤٤٠. (٤) انظر تفسير الطبري ٤/٤٤٥. (٥) أنظر تفسير الطبري ٤/٤٢٩.
(٦) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٣٣٤، سراج القارىء ٢٠١، شرح شعلة ٣٥٣.
(٧) حصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي انظر التهذيب ٢/٣٨١، الخلاصة ١/٢٧٤.
(٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٣١٢ وعزاه لعبد بن حميد.
(٩) انظر تفسير الطبري ١٠/٥٣٣. (١٠) انظر المصدر السابق ١٠/٥٣٣. (١١) انظر المصدر السابق ١٠/٥٣٤.
(١٢) انظر المصدر السابق ١٠/٥٤٥. (١٣) انظر المصدر السابق ١٠/٥٤٩. (١٤) بنحوه انظر المصدر السابق ١٠/٥٤٨.
(١٥) انظر تفسير الطبري ١٠/٥٦٠. (١٦) انظر تفسير الطبري ١٠/٥٦٠.

﴿اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ يعني أمره ونهيه **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** أي لكي تشكروا رب هذه النعمة، إذ جعل لكم مخرجاً من أيمانكم بالكفارة، والكفارة في اللغة: هو التغطية، يعني يغطي إثمه. قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ نزلت هذه الآية في شأن سعد بن أبي وقاص لأنهم كانوا يشربونها وكانت لهم حلالاً، فجرى بين سعد وبين رجل من الأنصار افتخار في الأنساب، فاقتتلا فشج رأس سعد، فدعا عمر بن الخطاب فقال: اللهم أرنا رأيك في الخمر، فإنها متلفة للمال، مذهبة للعقل، فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر) فقال عمر: اللّهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية. (إنما الخمر والميسر **﴿وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾** يعني حرام، وهو من تزيين الشيطان، **﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** يعني فاتركوا شربها، ولم يقل، فاجتنبوها لأنه انصرف إلى المعنى ومعناه: اجتنبوا ما ذكرنا ونهيناكم عن ذلك قوله (كلوا من ثمره إذا أثمر) ولم يقل: من ثمرها. ثم قال: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُم الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾** يعني عن طاعة الله **﴿وَعَنِ الصَّلاَةِ﴾** لأنهم مُنِعوا عن الصلاة إذا كانوا سكارى، ولأنه إذا سكر لا يعقل الطاعة وأداء الصلاة، ثم قال: **﴿فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُونَ﴾** يعني انتهوا عن شربها، فقال عمر: قد انتهينا يا رب[1]. وعن عطاء بن يسار أن رجلاً قال لكعب الأحبار، أحُرِّمت الخمرة في التوراة؟ قال: نعم، هذه الآية (إنما الخمر والميسر) مكتوب في التوراة إنا أنزلنا الحق لنذهب به الباطل، وتبطل به اللعب والدفف والمزامير، والخمر مرة لشاربها، أقسم الله تعالى بعزه وجلاله أن من انتهكها في الدنيا، أعطشته في الآخرة يوم القيامة، ومن تركها بعدما حرمتها لأسقيتها إياه في حظيرة القدس، قيل: وما حظيرة القدس؟ قال: الله هو القدس، وحظيرته الجنة[2]. ثم قال تعالى: **﴿وأَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾** يعني في تحريم الخمر **﴿واحْذَرُواْ﴾** عن شربها **﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُم﴾** يقول: أعرضتم عن طاعة الله وطاعة الرسول **﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِين﴾** فهذا تهديد لمن شرب الخمر بعد التحريم. فلما نزلت هذه الآية قال حُيَيُّ بن أخطب، فما حال من مات منهم، وهم يشربونها، فعير بذلك أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه عن ذلك، فنزلت[3] هذه الآية: **﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾** يعني شربوا قبل تحريمها، ولم يعرفوا تحريمها، ويقال: إن بعض الصحابة كانوا في سَفْرَة، فشربوا منها بعد التحريم ولم يعرفوا تحريمها فلما رجعوا

(١) أخرجه أبو داود ٣/٣٢٥ في الأشربة باب تحريم الخمر (٣٦٧٠)، أخرجه الترمذي ٥/٢٣٦ في التفسير (٣٠٤٩)، والنسائي ٨/٢٥٢ في الأشربة باب تحريم الخمر.

(٢) ذكره السيوطي عن عبد الله بن عمر وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في سننه انظر الدر المنثور ٢/٣١٧.

(٣) انظر أسباب النزول ١٥٦.

سألوا عن ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزل: (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) يعني شربوا قبل تحريمها ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا﴾ الشرك ﴿وَآمَنُوا﴾ يعني صدقوا بوحدانية الله تعالى والقرآن ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ثُمَّ اتَّقَوا﴾ المعاصي (وآمنوا) يعني صدقوا بعد تحريمها (ثم اتقوا وأحسنوا) ﴿والله يحب المحسنين﴾ في أفعالهم ويقال: معناه، ليس عليهم جناح فيما طعموا قبل تحريمها، إذا اجتنبوا شربها بعد تحريمها. وروى عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: شرب نفر من أهل الشام الخمر، وعليهم يومئذ معاوية بن أبي سفيان، وقالوا هي لنا حلال، وتأولوا قوله ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن ابعثهم إلي قبل أن يفسدوا مَنْ قِبَلك، فلما قدموا على عمر، جمع أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لهم ما ترون؟ فقالوا: إنهم قد افتروا على الله كذباً وشرعوا في دينه ما لم يأذن به، فاضرب أعناقهم، وعلي ساكت، فقال: يا علي ما ترى؟ قال: أرى أن تستتبيهم فإن تابوا فاضربهم ثمانين جلدة، وإن لم يتوبوا فاضرب أعناقهم فاستتابهم فتابوا فضربهم ثمانين جلدة وأرسلهم[1].

قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ يعني: ليختبرنكم الله، والاختبار من الله هو إظهار ما علم منهم، بشيء من الصيد يعني ببعض الصيد، فتبعيضه يحتمل أن يكون معناه، ما داموا في الإحرام، فيكون ذلك بعض الصيد، ويحتمل أن يكون على معنى التخصيص يحمل ذلك على وجه تبيين جنس من الأجناس كما قال: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) ويحتمل بعض الصيد، يعني صيد البر دون صيد البحر. ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾ يعني تأخذونه بأيديكم بغير سلاح، مثل البيض والفراخ ﴿وَرِمَاحُكُم﴾ يعني تأخذونه بسلاحكم، وهو الكبار من الصيد ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ يعني يميز الله من يخاف من الذين لا يخافون، وبين فضل الخائفين: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ يعني من أخذ الصيد بعد النهي ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني وجيع يعني الكفارة والتعذيب في الدنيا والآخرة، والعذاب إن مات بغير توبة، ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ يعني وأنتم محرمون، ويقال: وأنتم محرمون أو في الحرم. ثم بين الكفارة فقال: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ يعني عليه الفداء مثل ما قتل. قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي[2] فجزاء مثل بتنوين الهمزة وبضم اللام وقرأ الباقون: بالضم بغير تنوين، وبكسر اللام، فأما من قرأ بالتنوين فمعناه فعليه جزاء، ثم صار المثل نعتا للجزاء، وأما من قرأ بغير تنوين فعلى معنى الإضافة إلى الجزاء، يعني عليه جزاء ما قتل من النعم، يشتري بقيمته من النعم ويذبحه، يعني إذا كان المقتول يوجد بقيمة النعم. ثم قال: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ يعني

(١) انظر تفسير الطبري ٦/١٩٣. (٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٣٥، سراج القارىء ٢٠٢، شرح شعلة ٣٥٤.

رجلان مسلمان عدلان ينظران إلى قيمة المقتول، ثم يشتري بقيمته ﴿هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ يعني يبلغ بالهدي مكة ويذبحه هناك، ويتصدق بلحمه على الفقراء ﴿أَوْ كَفَّارة طعام مَسَاكِيْنَ﴾ يعني إن شاء يشتري بقيمته طعاماً ويتصدق به على كل مسكين نصف صاع من حنطة ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً﴾ يعني يصوم مكان كل نصف صاع من حنطة يوماً، قال ابن عباس إنما يقوّم لكي يعرف مقدار الصيام من الطعام فهو بالخيار بين هذه الأشياء الثلاثة إن شاء أطعم وإن شاء أهدى، وإن شاء صام(١). قرأ نافع وابن عامر(٢): (أو كفارة طعام مساكين) بغير تنوين على معنى الإضافة، وقرأ الباقون (كفارة) بالتنوين، والطعام نعتاً لها، ثم قال: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ يعني عقوبة ذنبه لكي يمتنع عن قتل الصيد، ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ يعني عما مضى قبل التحريم، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد التحريم ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ يعني يعاقبه الله تعالى، ومع ذلك يجب عليه الكفارة، وقال بعضهم: لا يجب عليه الكفارة إذا قتل مرة أخرى، وروى عكرمة عن ابن عباس:(٣) أنه سئل عن المحرم يصيب الصيد فيحكم عليه، ثم يصيبه أيضاً، قال: لا يحكم عليه، وتلا هذه الآية (ومن عاد فينتقم الله منه) فذلك إلى الله، إن شاء عفا، وإن شاء عاقبه. وعن شريح:(٤) أن رجلاً أتاه فسأله أن يحكم عليه، فقال له شريح: هل أصبت صيداً قبله؟ قال: لا، قال: لو كنت أصبته قبل ذلك لم أحكم عليك. وقال بعضهم: سواء قتل قبل ذلك أو لم يقتل فهو سواء، لأنه قاتل في المرة الثانية كما هو قاتل في المرة الأولى. وروي عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم:(٥) أنهم حكموا ولم يسألوه، أنك أصبت قبل ذلك أم لا، وروى ابن جريج عن عطاء(٦) أنه سئل عن قوله: (عفا الله عما سلف) قال: يعني ما كان في الجاهلية، ومن عاد في الإسلام فينتقم الله منه ومع ذلك عليه الكفارة. وروى سعيد بن جبير(٧) مثله. وقد قال بعض الناس: إنه إذا قتل خطأ فلا تجب عليه الكفارة وهذا القول ذكر عن طاووس اليماني(٨)، وقال غيره: تجب عليه الكفارة [وروى](٩) ابن جريج عن عطاء، قال سألت عن قوله: (ومن قتله منكم متعمداً) فلو قتله خطأ، أيغرم قال: نعم، يعظم بذلك حرمات الله، ومضت به السنن(١٠). وعن الحسن قال: يحكم عليه في الخطأ والعمد. وعن إبراهيم النخعي، وعن مجاهد مثله(١١). وبهذا القول نأخذ، ونقول: بأن العمد والخطأ سواء، والمرة الأولى والثانية سواء. ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيْزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ من أهل المعصية أخذ الصيد بعد التحريم. ويقال: ومن عاد مستحلاً أو مستخفاً بأمر الله تعالى فينتقم الله منه يعني يعذبه الله تعالى، والله عزيز ذو انتقام يعذب من عصاه قوله تعالى:

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ يعني في الإحرام وغير الإحرام ﴿وَطَعَامُهُ مُتَاعاً لَكُمْ ولِلسَّيَّارَةِ﴾ يعني للمقيمين والمسافرين، وهي السمكة المالحة، ويقال: (وطعامه) ما نضب

(١) بنحوه انظر تفسير الطبري ١١/١٥.
(٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٣٧، سراج القارىء ٢٠٢، شرح شعلة ٣٥٤.
(٣)انظر تفسير الطبري ١١/٥١.
(٤) انظر المصدر السابق ١١/٥١.
(٥) انظر المصدر السابق ١١/٢٨.
(٦) انظر المصدر السابق ١١/٤٨.
(٧) انظر المصدر السابق ١١/٤٩.
(٨) انظر تفسير الطبري ١١/١١.
(٩) في ظ [قال].
(١٠) انظر المصدر السابق ١١/١٥.
(١١) انظر قول النخعي ومجاهد في تفسير الطبري ١١/٤٩.

الماء عنه فأخذ بغير صيد ميتاً. ويقال: كل ما سقاه الماء، فأنبت من الأرض فهو طعام البحر. قال الفقيه: حدثنا الفضل بن أبي حفص قال حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: حدثنا محمد بن خزيمة[١]، قال: حدثنا حجاج بن المنهال[٢] قال: حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه، عن أبي هريرة قال: كنت في البحرين، فسألني أهل البحرين عما يقذف البحر من السمك، فقلت كلوه، فلما رجعت إلى المدينة سألت عن ذلك عمر بن الخطاب، فقال: ما أمرتهم به، فقلت أمرتهم بأكله، فقال: لو أمرتهم بغير ذلك لضربتك بالدرة، ثم قرأ عمر: (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم) فصيده ما صيد وطعامه: ما رمي به[٣]. ثم قال: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾ يعني ما دمتم محرمين فلا تأخذوا الصيود ﴿واتَّقُواْ اللَّهَ﴾ فلا تأخذوه في إحرامكم ﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجزيكم بأعمالكم. قوله تعالى:

جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ يعني لجأ إلى الحرم آمنا للناس كان الرجل إذا أصاب ذنباً أو قتل قتيلاً ثم لجأ إلى الحرم آمنا بذلك، ويقال: قياماً للناس يعني قواماً لمعايشهم قرأ ابن عامر[٤]: (قيماً) على جهة المصدر، وقرأ الباقون: (قياماً) على جهة الاسم والمصدر. وإنما سميت الكعبة كعبة لارتفاعها ولهذا سمي الكعبان، ويقال للجارية: إذا نهدت ثدياها، قد كعبت ثدياها وهي كاعب كما قال: (وكواعب أتراباً). ثم قال: ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ والْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ يعني جعل الشهر الحرام والهدى والقلائد آمناً للناس وقواماً لمعايشهم لأنهم كانوا إذا توجهوا إلى مكة وقلدوا الهدي أمنوا ويقال: جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس، يعني معالم للناس. وقال مقاتل[٥] ابن حيان: يعني علماً لقبلتهم يصلون إليها. وقال سعيد بن جبير[٦]: صلاحاً لدينهم وحرم عليهم الغارة في الشهر الحرام وأخذ الهدي والقلائد في الشهر الحرام ﴿ذَلِكَ﴾ الذي جعل الله من الأمن ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ يعني لتعلموا أن الله يعلم صلاح ما في السموات وما في الأرض، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. يقول: عليم بكل شيء من صلاح الخلق. ويقال: هو مردود إلى ما أنبأ الله تعالى على لسان نبيه في هذه السورة من أخبار المنافقين، وإظهار أسرارهم فقال: (ذلك الذي ذكر الله تعالى: لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) وأن الله بكل شيء عليم من السر والعلانية.

ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا

(١) أبو عبد الله الفلاسي البلخي المتوفي سنة ٣١٤ هـ انظر الجواهر المضية ٣/١٥٢، اللباب ٣/١٤.

(٢) حجاج بن المنهال الأفاطي أبو محمد السلمي وقيل البرساني مولاهم البصري، روى عن جرير بن حازم والحمادين وشعبة وخلقه. انظر التهذيب ٢/٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير ١١/٦١.

(٤) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٦، سراج القارىء ٢٠٢.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٣٤ لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وفي تفسير مقاتل (أمثالهم وحياة لهم في الجاهلية. انظر التفسير ١/٤٤٤.

(٦) انظر تفسير الطبري ١١/٩١.

تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ﴾ يعني إذا عاقب فعقوبته شديدة لمن عصاه، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيْمٌ﴾ لمن أطاعه. قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾. يعني أن الرسول ليس عليه طلب سرائرهم، وإنما عليه بتبليغ الرسالة والله تعالى هو الذي يعلم سرائرهم. قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيْثُ وَالطَّيِّبُ﴾ يعني لا يستوي الحلال والحرام. قال في رواية الكلبي: نزلت في شأن حَجَّاج اليمامة شريح بن ضبيعة حين أراد المسلمون أخذ ماله فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأخبرهم أن أخذ ماله حرام، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيْثِ﴾ يعني كثره مال شريح بن ضبيعة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ لا تستحلوا ما حرم الله عليكم ﴿يَآ أُولِي الأَلْبَابِ﴾ يا ذوي العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. يعني تأمنون من عذابه. وروى أسباط عن السدي[١] أنه قال: الخبيث هم المشركون، والطيب هم المؤمنون. وقال الضحاك: (لا يستوي الخبيث والطيب) يعني صدقة من حرام لا تصعد إلى الله تعالى لا توضع في خزائنه، وصدقة من حلال تقع في يد الرحمن يعني يقبلها (ولو أعجبك كثرة) يعني مثقال حبة من صدقة الحلال أرجح عند الله من جبال الدنيا من الحرام. وقوله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس وغيرهما أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قرأ: (ولله على الناس حج البيت) وقال: (يا أيها الناس كتب عليكم الحج) فقام رجل فقال: في كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه ثم عاد، فقال: والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجب، ولو وجب ما استطعتموه ولو تركتموه لكفرتم، ثم قال: إنما هي حجة واحدة أو قال: مرة واحدة ونزل:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم﴾[٢]. (وعن أبي عوانة أنه قال: سألت عكرمة عن قوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾. قال: ذلك يوم قام فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسألوه فأكثروا عليه فغضب، وقال لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم فقام رجل فكره المسلمون يومئذ مقامه فقال: يا رسول الله، من أبي؟ فقال: حذافة، يعني رجلاً غير أبيه فقال: عمر بن الخطاب يا رسول الله، رضينا بالله رباً وبك نبياً فنزلت هذه الآية[٣]. (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم). وروي في خبر آخر أن رجلاً سأله فقال: أين أبي؟ فقال في النار[٤]. وروي عن نافع[٥] أنه سئل عن هذه الآية فقال: لم تنزل منذ قط كثرة السؤال تكره. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِيْنَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾ يعني وقت الذي ينزل جبريل ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ يعني

(١) انظر تفسير الطبري ١١/٩٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٣٤ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن السدي.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ١١/١٠٥ وانظر تفسير ابن كثير ٣/٢٠٠.

(٣) أخرجه مسلم ٤/١٨٣٢ في كتاب الفضائل (١٣٦ / ٢٣٥٩).

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير ١١/١٠٣، وانظر تفسير ابن كثير ٣/١٩٩.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٣٦ وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

تظهر لكم. ويقال: فيها تقديم يعني، وإن تسألوا عنها تبد لكم حين نزول القرآن ثم قال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ يعني عن تلك الأشياء حين لم ينزل فيها القرآن ولم يوجبها عليكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ ذو التجاوز ﴿حَلِيمٌ﴾ حيث لم يعجل عليكم بالعقوبة. ثم قال: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ يعني عن هذه الأشياء ﴿من قبلكم﴾، حيث سألوا المائدة من عيسى، وغيرهم سألوا أنبيائهم أشياء ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾. يعني صاروا كافرين، قوله تعالى:

مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ يعني ما جعل الله حراماً من بحيرة، لقولهم: إن الله أمرهم بتحريمها ونزلت في مشركي العرب فكانت الناقة إذا ولدت البطن الخامس فإن كان الخامس ذكراً ذبحوه للآلهة وكان لحمه للرجال دون النساء، وإن مات أكله الرجال والنساء وإن كان الولد الخامس أنثى شَقُّوا أذنها وهي البحيرة ثم لا يُجَزّ لها وبر ولا يُذكر عليه اسم الله، وألبانها للرجال دون النساء فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء. ﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾ وأما السائبة: فهي الأنثى من الأنعام كلها إذا قدم الرجل من سفره، أو برأ من مرضه أو بنى بناء سيب شيئاً من الأنعام للآلهة وخرجها من ملكه ويسلمها إلى سدنة البيت لآلهتهم ولا يركبونها وكان صوفها وأولادها للرجال دون النساء. ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ وأما الوصيلة: فهي من الغنم إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان الولد السابع جدياً ذبحوه لآلهتهم وكان لحمه للرجال دون النساء، وإن كانت عناقاً كانوا يستعملونها بمنزلة سائر الغنم، وإن كان جدياً وعناقاً قالوا: إن الأخت قد وصلت بأخيها، فحرمتا جميعاً. وكانت المنفعة للرجال دون النساء وإن ماتا تشارك الرجال والنساء. ﴿وَلَا حَامٍ﴾ وأما الحام: فهو الفحل من الإبل إذا ركب ولده قالوا: قد حمى ظهره، فيهمل ولا يحمل ولا يركب ولا يمنع من المياه ولا عن المراعي، فإذا مات أكله الرجال والنساء، وكانوا يقولون هذه الأشياء كلها من أحكام الله تعالى، قال الله تعالى: ما حرم الله هذه الأشياء، ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾. وروى عبد الرازق عن معمر عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إني لأعرف أول من سَيَّب السوائب، وأول من غيّر عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: عمرو بن لحي[1] أخو بني كعب، لقد رأيته يجر قصبه في النار، يؤذي ريحه أهل النار، وإني لأعرف من بحر البحائر، قالوا: من هو، يا رسول الله؟ قال: رجل من بني مَدْلِج كانت له ناقتان، فجدع آذانهما، وحرم ألبانهما، ثم شرب ألبانهما بعد ذلك، فلقد رأيته في النار، وهو وهما يعضانه بأفواههما، ويخبطانه بأخفافهما[2]. ثم قال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يعني ليس لهم عقل يعقلون أن الله هو المحلل والمحرم، وليس لغيره أن يحل ويحرم. ثم أخبر عن جهلهم فقال:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ

---

(١) عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي من قحطان أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان انظر الأعلام ٥/٨٤، البداية والنهاية ٢/١٨٧ ـ ١٨٩.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ١١/١٢٠، وانظر تفسير ابن كثير ٣/٢٠٤.

إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ من تحليل ما حرمتم على أنفسكم، وما بين رسوله ويقال: تعالوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله، ﴿قَالُوا: حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الدين والسنة. قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾. يعني أيتبعون آباءهم، وإن كان آباؤهم جهالاً، فنهاهم الله عن التقليد، وأمرهم بالتمسك بالحق وبالحجة. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ معناه الزموا أنفسكم كما تقول: عليك زيداً، معناه الزم زيداً، معناه: إلزموا أمر أنفسكم لا يؤاخذكم بذنوب غيركم، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ وأصل اللغة: لا يضرركم فأدغم أحد الراءين في الثاني وضمت الثانية لالتقاء الساكنين وهذا جواب الشرط وموضعه الجزم. وروي عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه سئل عن هذه الآية فقال: إذا رأيتم شُحًّا مطاعاً وهوىً متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليكم بخويصة أنفسكم. وروي عمر بن جارية اللخمي[1] عن أبي أمية قال: سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية فقال: لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا أبا ثعلبة ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت دنيا مؤثرة وشحاً مطاعاً وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك نفسك فإن من بعدكَم أيام الصبر المتمسك يومئذ بمثل الذي أنتم عليه له كأجر خمسين عاملاً قالوا: يا رسول الله كأجر خمسين عاملاً منهم، قال: لا، بل كأجر خمسين عاملاً منكم[2]. وروي عن أبي بكر الصديق أنه قال: (يا أيها الناس إنكم تتلون هذه الآية على غير تأويلها إنه كان رجال طعموا بالإسلام وذاقوا حلاوته وكانت لهم قرابة من المشركين فأرادوا أن يذيقوهم حلاوة الإسلام وأن يدخلوهم في الإسلام فنزل (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) والذي نفس أبي بكر بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم الله بعقاب من عنده[3]. وروي عن أبي العالية أنه قال: كانوا عند عبد الله بن مسعود فوقع بين رجلين ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال بعضهم: ألا أقوم فآمرهما بالمعروف فقال بعضهم: عليك نفسك إن الله تعالى يقول: (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) يقول: لا يضركم ضلالة من ضل (إِذَا اهْتَدَيْتُم) فقال ابن مسعود: مه لم يجيء تأويل هذه الآية بعد فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة، ولم تلبسوا شيعاً فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإذا اختلفت القلوب والأهواء فعند ذلك جاء تأويلها[4]. وقوله تعالى: (لا يضركم ﴿مَنْ ضَلَّ﴾ يقول: لا يضركم ضلالة من ضل ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، إذا ثبتم على الحق ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُم جَمِيعًا﴾ يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا. وقال في رواية الكلبي نزلت في «منذر بن عمرو» بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أهل هجر ليدعوهم إلى الإسلام فأبوا الإسلام فوضع عليهم الجزية، فقال: (لا يضركم من ضل). من

---

(١) عمرو بن جارية اللخمي، يقال أنه عم عتبة بن أبي حكيم، روى عن أبي أمية الشعباني وعروة بن محمد بن عمار بن ياسر، ذكره ابن حبان في الثقات انظر التهذيب ٨/١١، ١٢.

(٢) أخرجه أبو داود ١٢٣/٤ في كتاب الملاحم (٤٣٤١)، أخرجه الترمذي ٢٤٠/٥ في كتاب التفسير (٣٠٥٨) وابن ماجه ١٣٣٠/٢ - ١٣٣١ في الفتن (٤٠١٤).

(٣) أخرجه أبو داود ١٢٢/٤ في الملاحم (٤٣٣٨)، وأخرجه الترمذي ٢٣٩/٥ في التفسير (٣٠٥٧)، والنسائي في الكبرى في التفسير وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٥).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١٤٣/١١ وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ٣٣٩/١ لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ.

أهل هجر وأقر بالجزية (إذا اهتديتم) إلى الله يعني آمنتم بالله. قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ (شهادة): رفع بالابتداء وخبره (إثنان) ومعناه شهادتكم فيما بينكم اثنان مسلمان عدلان ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ فأراد أن يشهد على وصيته وكان مقيماً، ولم يكن مسافراً فَلْيُشْهِدْ على وصيته اثنين مسلمين ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَاعَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُم فِي الْأَرْضِ﴾ يعني إذا كنتم في السفر ولم تقدروا على مسلمين فأشهدوا رجلين من غيركم، يعني من غير أهل دينكم. وروى مغيرة عن إبراهيم قال إذا كان الرجل في سفر فلم يجد المسلمَيْن يشهدهما على وصيته فيشهد غير أهل دينه فإن اتهما حبسا من بعد الصلاة فيغلظ عليهما في اليمين وإن شهد رجلان من الورثة أنهما خانا وكذبا صدقا بما قالا، وأخذ من الآخرين يعني من الشاهـدين ما ادعى عليهما. وروي عن مجاهد[1] أنه قال: إذا مات المؤمن في السفر لا يحضره إلا كافران أشهدهما على ذلك فإن رضي ورثته مما حلفا عليه من تركته فذلك، ويحلف الشاهدان أنهما لصادقان، فإن ظهر أنهما خانا حلف اثنان من الورثة وأبطلا أيمان الشاهدين. وروي عن شريح أنه قال: لا تجوز شهادة اليهودي والنصراني إلا في السفر ولا تجوز في السفر إلا على الوصية[2]. وهكذا قال إبراهيم النخعي[3] وبه قال ابن أبي ليلى واحتجوا بظاهر هذه الآية. وقال علماؤنا: لا يجوز شهادة الذمي على المسلم في الوصية ولا في غيره[4].

وروي عن عكرمة[5] أنه قال: (أو آخران من غيركم) قال من غير عشيرتكم، وكذلك قال الحسن (أو آخران من غيركم) يعني من غير قبيلتكم كلهم من أهل العدالة، قال: ألا ترى إلى قوله (تحبسونهما من بعد الصلاة)[6]. وقال زيد بن أسلم: كان ذلك في رجل توفي وليس عنده أحد من أهل الإسلام وذلك كان في أول الإسلام، والأرض أرض الحرب والناس كفار إلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه بالمدينة[7]. وروى أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم، قال: أو آخران من غيركم قال: هي منسوخة[8]. وقال الضحاك: نسخت هذه الآية بقوله

(١) انظر تفسيره ١/٢٠٩. (٢) انظر تفسير الطبري ١١/١٦٣. (٣) انظر المصدر السابق ١١/١٦٣.

(٤) انظر قرة عيون الأخيار ٧/١١٢ ـ ١١٣، إيثار الإنصاف ٣٤٢.

(٥) انظر تفسير الطبري ١١/١٦٧، وانظر الدر المنثور ٢/٣٤٣.

(٦) انظر المصدر السابق. (٧) انظر تفسير الطبري ١١/١٦٦. (٨) انظر تفسير القرطبي ٦/٢٢٦.

تعالى: (وأشهدوا ذوي عدل منكم) ورفع اليمين عن الشهود وأبطل شهادة أهل الذمة إلا بعضهم على بعض. ويقال: لنزول هذه الآية قصة وذلك أن ثلاثة نفر خرجوا إلى السفر تميم الدّاري وعدي بن زيد، وبديل بن ورقاء مولى العاص بن وائل السهمي أبي عمرو بن العاص فحضر بديل بن ورقاء الوفاة وكان مسلماً وأوصى إلى تميم الدّاري وإلى عدي بن زيد وكانا نصرانيين وأمرهما أن يسلّما أمتعته إلى أهله، وكتب أسماء الأمتعة وأدرجه في ثيابه فلما قدما المدينة وسلما المتاع إلى أهله فوجد أهله الكتاب وفيه أسماء الأمتعة، وفيه جام فضة لم يسلماه إليهم فخاصمهما المطلب بن أبي وداعة وعمرو بن العاص إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزلت الآية: (إن أنتم ضربتم في الأرض، ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ بموت بديل بن ورقاء، ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ يعني صلاة العصر. وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقضي بين الناس بعد صلاة العصر فحلَّف الشاهدَيْن فحلفا أنهما لم يكتما شيئاً فذلك قوله تعالى: (إن أنتم ضربتم في الأرض) يعني سافرتم في الأرض فأصابتكم في السفر مصيبة الموت يعني موت بديل بن ورقاء تحبسونهما، يعني تقيمونهما من بعد الصلاة، يعني صلاة العصر، عند منبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ يعني ظننتم بالشاهدين ريبة، أو شككتم في أمرهما ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ يعني باليمين يعني أن الشاهدين يحلفان بالله أنهما لم يشتريا بأيمانهما ثمناً قليلاً من عرض الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ يعني ذا قرابة معنا في الرحم لأن الميت كان بينه وبينهما قرابة ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ إن سألنا عن ذلك، فإن كتمناها يعني الشهادة: ﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ يعني الفاجرين ثم وجد الجام، أي الكأس بعد ذلك في أيديهما يبيعانه في السوق وقالا: إنا كنا اشتريناه منه، فاختصموا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزل ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ يعني خانا وكتما شيئاً من المال ﴿فَآخَرَانِ﴾ من أولياء الميت ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ يعني مقام النصرانيين ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ يعني يحلف أولياء الميت أن المتاع متاع صاحبنا ﴿لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾ يعني يمين المسلمين وشهادتهما أحق، يعني أولى من شهادة الكافرين ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ في الشهادة والدعوى ﴿إِنَّا إِذًا﴾ اعتدينا فحينئذ ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾. قرأ عاصم في رواية حفص[1]: (استحق) بنصب التاء، وقرأ الباقون: بضم التاء فمن قرأ بالنصب جعل الذين نعتاً للمدعين (ومعناه فآخران من المستحقين يقومان مقامهما، ومن قرأ بالضم: جعل الذين نعتاً للمدعى عليهم) وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر[2] (الأولين) وقرأ الباقون: (الأوليان) فمن قرأ الأولين يجعله خفضاً لأنه بدل من الذين فكأنه يقول: من الأولين اللذين استحق عليهم. ومن قرأ: (الأوليان) صار رفعاً على البدل مما في يقومان المعنى فليقم الأوليان بالميت. قال القتبي: (الذين استحق عليهم الأوليان) وهما الوليان يقال: هذا الأولى بفلان ثم يحذف من الكلام بفلان فيقال: هذا الأولى وهذان الأوليان، كما يقال: هذا الأكبر، وهذان الأكبران، و(عليهم) هاهنا يعني منهم يعني استحق منهم كما قال الله تعالى: (إذا اكتالوا على الناس يستوفون) يعني من الناس يستوفون. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ﴾ يعني ذلك أحرى وأجدر أن يأتوا بالشهادة يعني يقيموا الشهادة ﴿عَلَى وَجْهِهَا﴾ كما كانت، يعني يقيموا شهادة المدعي مقام شهادة المدعى عليه إذا ظهرت الخيانة، لكي لا يخونا في الشهادة ويأتيا بالشهادة على

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٣٨، سراج القارىء ٢٠٢.

(٢) انظر المصدرين السابقين واختلف أهل العربية في السبب الذي من أجله رفع (الأوليان) فقال الزجاج: رفعهما على البدل من الألف في (يقومان) المعنى: فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين. فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما. وقال آخرون: بدل من قوله: (فآخران) فهذا بدل المعرفة من النكرة وقالوا: يجوز أن يكون (الأوليان) خبر الابتداء الذي هو (فآخران) ويجوز أن يكون (الأوليان) مبتدأ و (آخران) خبراً مقدماً، التقدير: فالأوليان آخران يقومان مقامهما. انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٣٩.

وجهها. ثم قال: ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني إذا خافا أن ترد اليمين إلى غيرهما امتنعا عن الكذب، وقد احتج بعض الناس بهذه الآية بأن اليمين ترد إلى المدعي ولا حجة له فيه لأن رد اليمين حادثة أخرى وهو ظهور الخيانة منهما لأن دعوى الثاني دعوى الشرى ودعوى الأول دعوى الكتمان ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تخونوا ﴿واسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به ﴿واللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِيْن﴾. يعني الخائنين. قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١٠٩﴾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ (يوم) صار نصباً لأن معناه اتقوا يوم يجمع الله الرسل ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُم﴾ يقول ماذا أجابكم قومكم في التوحيد. ﴿قَالُوا: لَا عِلْمَ لَنَا﴾ من هول ذلك اليوم ومن شدة المسألة وهي في بعض مواطن يوم القيامة، قالوا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ما كان وما لم يكن.

وروى أسباط عن السدي قال: نزلوا منزلاً ذهبت فيه العقول فلما سئلوا؟ قالوا: لا علم لنا ثم نزلوا منزلاً آخر فشهدوا على قومهم. ويقال: هذا عند زفرة جهنم فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل عند ذلك إلا قال: نفسي نفسي فعند ذلك قالوا: لا علم لنا. ويقال: كان ذلك عند أول البعث ثم يشهدون بعد ذلك بتبليغ الرسالة. قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١١٠﴾

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَم اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ بالنبوة، وهذا في الآخرة ﴿وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾. ثم بين النعمة التي أنعم الله عليه في الدنيا قال: ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ يعني أعنتك بجبريل - عليه السلام - و ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلَا﴾ يعني بعد ثلاثين سنة حين أوحى الله إليه. قال الكلبي: فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله. ويقال: أوحي إليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في الرسالة ثلاث سنين ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. قال: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَة﴾ يعني الخط بالقلم، والحكمة يعني الفقه والفهم ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيْلَ، وَإِذْ تَخْلُقُ مِن الطِّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيْهَا﴾ وقال في موضع آخر: (فَأَنْفُخ فيه) بلفظ التذكير لأنه انصرف إلى الطير وقال هاهنا (فتنفخ فيها) بلفظ التأنيث لأنه انصرف إلى الهيئة المتخذة. ويقال: فيها يعني في الطين ﴿فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾. قرأ نافع: (طائراً) بالألف وقرأ الباقون: طيراً ﴿وتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ بِإِذْنِي. وإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ يعني تحيي الموتي بإذني يعني أحييته بدعائك. وروي عن وهب بن منبه أنه قال: التقى عيسى ابن مريم عليه السلام وإبليس على عقبة من عقبات بيت المقدس فقال له إبليس أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلم الناس في المهد صبياً وأنك أحييت الموتى وتبرىء الأكمه والأبرص فقال عيسى عليه السلام: بل العظيم الذي بإذنه أحييت الموتى وهو الذي أنطقني فقال إبليس: أنت إله الأرض فقال عيسى - عليه السلام -:

بل إله الأرض والسماء واحد فكان في ذلك حتى جاءه جبريل وضربه بجناحه وألقاه في لجج البحار. ثم قال: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ إذ هموا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني بالعلامات والعجائب ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. يعني سحر ظاهر. قرأ حمزة والكسائي[١]: (ساحر) بالألف وقرأ الباقون: (سحر) بغير ألف فمن قرأ بالألف يعني هذا رجل ساحر، ومن قرأ بغير ألف يعني هذا الفعل سحر، والاختلاف في أربع مواضع: هاهنا، وفي سورة يونس، وفي سورة هود، وفي سورة الصف، قرأ حمزة والكسائي في هذا كله بالألف وقرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر في هذا كله بغير ألف وقرأ عاصم وابن كثير: بغير ألف إلا في سورة يونس. وقوله تعالى:

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ يعني ألهمتهم وألقيت في قلوبهم ويقال: أوحيت إلى عيسى ليبلغ الحواريين: ﴿أَنْ آمِنُوا بِي﴾ يعني صدقوا بتوحيدي ﴿وَبِرَسُولِي﴾ فلما أبلغهم الرسالة ﴿قَالُوا: آمَنَّا﴾ يقول: صدقنا بهما ﴿وَاشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾. أي مقرون ويقال: هذا معطوف على أول الكلام إذ قال الله يا عيسى وقال له أيضاً: وإذا أوحيت إلى الحواريين يعني ألهمتهم. وقال مقاتل[٢]: يقوم عيسى خطيباً يوم القيامة بهذه الآيات ويقوم إبليس خطيباً لأهل النار بقوله: (إن الله وعدكم وعد الحق.. الآية). قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾. قرأ الكسائي[٣] بالتاء (هل تستطيع ربَّك) وبنصب الباء وقرأ الباقون بالياء وبضم الباء فمن قرأ: بالتاء (هل تستطيع ربك) معناه هل تستطيع أن تدعو ربك، ومن قرأ بالياء، معناه: هل يجيبك ربك؟. ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ وذلك أن عيسى لما خرج اتبعه خمسة آلاف أو أقل أو أكثر، بعضهم كانوا أصحابه، وبعضه كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم لمرض كان بهم أو علة أو كانوا زمنى أو عمياناً وبعضهم كانوا ينظرون ويستهزئون، وبعضهم نظارة فخرج إلى موضع فوقعوا في مفازة ولم يكن معهم نفقة فجاعوا فقالوا للحواريين: قولوا لعيسى حتى يدعو الله تعالى بأن ينزل علينا مائدة من السماء فجاءه شمعون فأخبره أن الناس يطلبون بأن تدعو الله أن ينزل عليهم مائدة من السماء فـ ﴿قَالَ﴾ عيسى: قل لهم ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ويقال: هذا القول للحواريين: قل لهم اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، فلا تسألوا لأنفسكم البلاء فأخبر شمعون بذلك القوم فـ ﴿قَالُوا﴾ لشمعون قل له: ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ يعن المائدة ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ يعني تسكن قلوبنا إلى ما دعوتنا إليه ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ بأنك نبي ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾. لمن غاب عنا ولمن بعدنا فقام عيسى وصلى ركعتين ثم

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٣٩، سراج القارىء ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) انظر تفسيره ١/٣٥٢.

(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٤٠، سراج القارىء ٢٠٥، شرح شعلة ٣٥٦.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ، تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ وكان يوم الأحد فصار ذلك اليوم عيداً لهم ويقال: (عيداً لنا) يعني حجة لنا، (وآخرنا) يعني حجة لمن بعدنا ﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾ يعني نزولها علامة منك لنبوتك ﴿وارْزُقْنَا﴾ يعني وأعطنا المائدة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ﴾ من غيرك. فأوحى الله تعالى إلى عيسى بقوله: ﴿قَالَ اللَّهُ: إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُم﴾ ما سألتم من المائدة ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ يعني بعد نزول المائدة ﴿مِنْكُمْ﴾ ويكفر بعيسى بعد أكله من المائدة ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُه أَحَداً مِن الْعَالَمِيْنَ﴾. يعني أحداً من الخلق. وقال بعضهم: هذه كلمة تهديد ولم ينزل عليهم المائدة. وروي في بعض التفاسير أنهم قالوا لعيسى: رضينا بما في هذه الآية فقال عيسى لشمعون وكان أكبر الحواريين: هل معك شيء من الزاد؟ قال: نعم فجاءه بخمسة أرغفة وسمكتين صغيرتين فقطعهما قطعاً صغاراً ثم قال: اجلسوا رفقاء فقعدوا عشرة عشرة فألقى عيسى - عليه السلام - بين كل رفقة قدر ما يحمله بإصبعيه فجعل الطعام يزيد حتى جاوز ركبتهم فشبعوا وفضل خمسة ثم عاد من الغد ففعل مثل ما فعل بالأمس. وروي أن الرغيف والسمكتين نزلت من السماء وهم ينظرون إليها وقيل: كانت مائدة [من در وقيل من بلور وقفت في الهواء فاجتمعوا يأكلون منها وروي أن المائدة كان عليها الفواكه وكل شيء إلا الخبز واللحم، وروي أن الجميع كانوا خمسة آلاف ونيفاً][1]، وروي اثنى عشر ألفاً والله أعلم بالصواب).

وقال عامة المفسرين[2]: إن المائدة قد أنزلت عليهم. وروي عن سلمان الفارسي أن عيسى - عليه السلام - قام ولبس جبة من شعر وقام ووضع يمينه على يساره وطأطأ رأسه خاشعاً لله تعالى وبكى حتى سالت الدموع على لحيته وصدره وهو يدعو ويتضرع فنزلت مائدة من السماء فوقها منديل والناس ينظرون إليه وعيسى - عليه السلام - ينظر ويبكي ويقول: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة حتى استقرت المائدة بين يدي عيسى والناس حوله. قال عيسى: بسم الله وكشف المنديل للناس فإذا فيه سمكة مشوية لا شوك فيها والوَدَكُ يسيل منها، والخل عند رأسها، والملح عند ذنبها، وعليها أربعة أرغفة وعليها ألوان البقول إلا الكراث فقال: كلوا من رزق ربكم، فأكل منها ألف رجل ويقال: خمسة آلاف رجل، ورجعت المائدة كما كانت[3]. وقال بعضهم: نزلت يوماً واحداً ولم تنزل أكثر من ذلك وقال بعضهم ثلاثة أيام، وقال بعضهم سبعة أيام، وقال بعضهم أكثر من ذلك فلما رجعوا عن ذلك الموضع شكوا فيه وكفروا فمسخهم الله خنازير، وروي عن ابن عمر[4] أنه قال: أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون. وروي عن أبي عبد الرحمن السُّلمي[5] قال: نزلت المائدة خبزاً وسمكة وعن عطية العوفي[6] قال: كانت سمكة فيها طعم كل شيء. قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا

(١) ما بين المعقوفين من أ.
(٢) انظر تفسير الطبري ١١/٢٢٧.
(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٢٣.
(٤) انظر تفسير الطبري ١١/٣٣٣.
(٥) انظر تفسير الطبري ١١/٢٢٧.
(٦) انظر المصدر السابق.

أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾

﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿أَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾ روى أسباط عن السدي قال: لما رفع عيسى، وقالت النصارى ما قالت وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك سأله عن قولهم[1]. وقال الضحاك:[2] يدعى بعيسى يوم القيامة ويدعى بالنصارى فيقفهم ويسأله ليفضحهم على رؤوس الناس، وقال الزجاج: هو سؤال التوبيخ للذين اعتدوا عليهم لأنهم مجمعون أنه صادق وأنه لا يكذبهم الصادق عنده وذلك أوكد في الحجة عليهم وأبلغ في التوبيخ، والتوبيخ ضرب من العقوبة. ويقال: إن الله تعالى لما قال لعيسى: (أأنت قلت للناس اتخذوني ﴿وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أخذته الرِّعدة من هيبة ذلك القول حتى سمع صوت عظامه في نفسه ﴿قَالَ: سُبۡحَٰنَكَ﴾ فنزه الرب عن ذلك أن يكون أمرهم بذلك (فقال: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾ يقول ما ينبغي وما يجوز لي أن أقول ما ليس لي بحق يعني ليس بعدل أن يعبدوا غيرك ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ﴾ يعني إن قلت لهم ذلك القول ﴿فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ﴾ فإنك ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ يعني ما كان مني في الدنيا ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ يعني ولا أطلع على غيبك وما كان منك وقال أهل اللغة: نفس الشيء: جملة الشيء وحقيقته وذاته، فمعناه تعلم ما في ضميري ولا أعلم ما في حقيقتك وغيبك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ ما كان وما يكون وقيل: تعلم ما في نفسي التي نسبت إلي وامرتني بالتسليم إليك ولا أعلم ما في نفسك التي سلمت إليك فأنت مالكها بجميع ما كان وما يكون منها وأنت علام الغيوب قبل كونها وكون فعلها. قرأ حمزة:[3] (الغيوب) بكسر الغين ومعناهما واحد وقرأ نافع وعاصم وابن عامر[4] (إني منزِّلها) بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف وهما لغتان نَزَل، وأنْزَلَ بمعنى واحد. ثم قال: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ يعني في الدنيا بالتوحيد ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ يعني وحّدوا الله وأطيعوه ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ يعني على بني إسرائيل أي بلغتهم الرسالة. ويقال شهيداً يعني حفيظاً بما أمرتهم ﴿مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ﴾ يعني ما دمت مقيماً في الدنيا بين أظهرهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾ يعني رفعتني إلى السماء ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعني الحفيظ والشاهد عليهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ من مقالتي ومقالتهم وما أدري ما أحدثوا بعدي. ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ، وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ قرأ ابن مسعود: (فإنك أنت الغفور الرحيم)[5] وقرأ غيره: (العزيز الحكيم) فإن قيل وكيف سأل المغفرة للكفار قيل له: لأن عيسى علم أن بعضهم قد تاب ورجع عن ذلك فقال: (إن تعذبهم) يعني الذين ماتوا على الكفر فإنهم عبادك وأنت القادر عليهم (وإن تغفر لهم) يعني الذين أسلموا ورجعوا عن ذلك. وقال: بعضهم: احتمل أنه لم يكن في كتابه، أن الله لا يغفر أن يشرك به فلهذا المعنى دعا لهم ولكن التأويل الأول أحسن، ويقال: إن تغفر لهم يعني لكذبهم الذي قالوا عليّ خاصة لا لشركهم وهذا التأويل ليس بسديد. والأول أحسن. وروي عن أبي ذر الغفاري عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قرأ هذه الآية ذات ليلة فرددها حتى أصبح: إن تعذبهم فإنهم

---

(١) انظر تفسير الطبري ١١/٢٣٤. (٢) انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٢٧.

(٣) انظر سراج القارىء ٢١٣، شرح شعلة ٣٥٥.

(٤) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٤٢. (٥) انظر البحر المحيط ٤/٦١ وما بعدها.

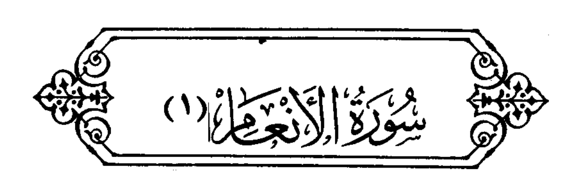
عبادك وإن تغفر لهم الآية[١]. وقال بعضهم: [في الآية تقديم وتأخير ومعناه: إن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم وأن تغفر لهم][٢] فإنهم عبادك. قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ (١٢٠)﴾

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِيْنَ صِدْقُهُم﴾ قرأ نافع:[٣] (هذا يومَ) بالنصب، وقرأ الباقون: بالرفع فمن قرأ بالنصب فعلى الظرف أي قال الله تعالى هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم، ومن قرأ بالرفع فعلى معنى خبر هذا يعني هذا يوم ينفع الموحدين توحيدهم. ويقال: ينفع النبيين صدقهم بتبليغ الرسالة. ويقال: ينفع المؤمنين إيمانهم **﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾** يعني ثوابهم جنات تجري من تحتها الأنهار **﴿خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم﴾** بالطاعة **﴿وَرَضُواْ عنْهُ﴾** بالثواب **﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** يعني المؤمنين فازوا بالجنة. قوله تعالى: **﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾** يعني خزائن السموات والأرض. **﴿وَمَا فِيْهِنَّ﴾** من الخلق كلهم عبيده وإماؤه. **﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾** يعني من خلق عيسى من غير بشر. والله أعلم بالصواب.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/١٤٩. (٢) ما بين المعقوفين من ب. (٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٤٢.



سورة الأنعام(١)

وهي مائة وخمس وستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال مقاتل: سورة الأنعام كلها مكية غير قوله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره. . . الآية) وقال ابن عباس(٢) في

(١) سميت سورة الأنعام لما تكرر فيها من ذكر لفظ الأنعام ست مرات من قوله: ﴿**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا** ـ إلى قوله ـ **إذ وصاكم الله بهذا**﴾ وهي مكية بالاتفاق فعن ابن عباس: أنها نزلت بمكة ليلاً جملة واحدة كما رواه عنه عطاء وعكرمة والعوفي وهو الموافق لحديث ابن عمر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المتقدم آنفاً، وروي أن قوله تعالى: ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**﴾ الآية نزل في مدة حياة أبي طالب أي قبل سنة عشر من البعثة فإذا صح كان ضابطاً لسنة نزول هذه السورة وروى الكلبي عن ابن عباس أن ست آيات منها نزلت بالمدينة ثلاثاً من قوله ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ إلى منتهى ثلاث آيات وثلاثاً من قوله ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ـ إلى قوله ـ **ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون**﴾ وعن أبي جحيفة أن آية ﴿**ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة**﴾ مدنية.

وقيل نزلت آية ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي**﴾ الآية بالمدينة بناء على ما ذكر من سبب نزولها الآتي وقيل نزلت آية ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه**﴾ الآية وآية ﴿**فالذين آتيناهم الكتاب يعرفونه**﴾ الآية وآية ﴿**فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به**﴾ الآية كلتاهما بالمدينة بناء على ما ذكر من أسباب نزولهما كما سيأتي وقال ابن العربي في أحكام القرآن عند قوله تعالى: ﴿**قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً. . .**﴾ الآية أنها في قول الأكثر نزلت يوم نزول قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ الآية أي سنة عشر فتكون هذه الآيات مستثناة من مكية السورة ألحقت بها. وقال ابن عطية في تفسير قوله تعالى ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ الآية من هذه السورة إن «النقّاش» حكى أن سورة الأنعام كلها مدنية، ولكن قال ابن الحصار: لا يصح نقل في شيء نزل من الأنعام في المدينة وهذا هو الأظهر وهو الذي رواه أبو عبيد والبيهقي وابن مردويه والطبراني عن ابن عباس وأبو الشيخ عن أبي بن كعب.

وعن ابن عباس أنها نزلت بمكة جملة واحدة ودعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكتّاب فكتبوها من ليلتهم.

وروى سفيان الثوري وشريك عن أسماء بنت يزيد الأنصارية: نزلت سورة الأنعام على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جملة وهو في مسير وأنا آخذة بزمام ناقته إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة ولم يعينوا هذا المسير ولا زمنه غير أن أسماء هذه لا يعرف لها مجيء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل هجرته ولا هي معدودة فيمن بايع في العقبة الثانية حتى يقال إنها لقيته قبل الهجرة، وإنما المعدودة أسماء بنت عمرو بن عدي فحال هذا الحديث غير بين. ولعله التبس فيه قراءة السورة في ذلك السفر بأنها نزلت حينئذ.

قالوا: ولم تنزل من السور الطوال سورة جملة واحدة غيرها. وقد وقع مثل ذلك في رواية شريك عن أسماء بنت يزيد كما علمته آنفاً، فلعل حكمة إنزالها جملة واحدة قطع تعلل المشركين في قولهم ﴿**لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة**﴾. توهماً منهم أن تنجيم نزوله يناقض كونه كتاباً فأنزل الله سورة الأنعام وهي في مقدار كتاب من كتبهم التي يعرفونها كالإنجيل والزبور ليعلموا أن الله قادر على ذلك، إلاّ أن حكمة تنجيم النزول أولى بالمراعاة، وأيضاً ليحصل الإعجاز بمختلف أساليب الكلام من قصر وطول وتوسط، فإن طول الكلام قد يقتضيه المقام كما قال «قيس بن خارجة» يفخر بما عنده من الفضائل وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب إلخ. . .

=

(٢) انظر تفسير القرطبي ٢٤٦/٦ قال قال الثعلبي سورة الأنعام مكية إلا ست آيات نزلت بالمدينة.

رواية أبي صالح: سورة الأنعام كلها مكية غير ست آيات (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم.. إلى آخر الثلاث) وقوله: (وما قدروا الله حق... وقوله: ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً). وقيل: نزلت جملة واحدة[1] وشيعها

= وقال أبو داؤد بن جرير الأيادي يمدح خطباء إياد:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحْي المَلاَحِظِ خيفةَ الرُّقباء

واعلم أن نزول هذه السورة جملة واحدة على الصحيح لا يناقض ما يذكر لبعض آياتها من أسباب نزولها لأن أسباب نزول تلك الآيات إن كان لحوادث قبل الهجرة فقد تتجمع أسباب كثيرة في مدة قصيرة قبل نزول هذه السورة فيكون نزول تلك الآيات مسبباً على تلك الحوادث وإن كان بعد الهجرة جاز أن تكون تلك الآيات مدنية ألحقت بسورة الأنعام لمناسبات. على أن أسباب النزول لا يلزم أن تكون مقارنة لنزول آيات أحكامها فقد يقع السبب ويتأخر تشريع حكمه.

وعلى القول الأصح أنها مكية فقد عدت هذه السورة الخامسة والخمسين في عد نزول السور. نزلت بعد سورة الحجر وقبل سورة الصافات.

وعدد آياتها مائة وسبع وستون في العدد المدني والمكي، ومائة وخمس وستون في العدد الكوفي، ومائة وأربع وستون في الشامي والبصري.

ابتدأت بإشعار الناس بأن حق الحمد ليس إلا لله لأنه مبدع العوالم جواهرَ وأعراضاً فعلم أنه المتفرد بالإلهية وإبطال تأثير الشركات من الأصنام والجن بإثبات أنه المتفرد بخلق العالم جواهره وأعراضه وخلق الإنسان ونظام حياته وموته بحكمته تعالى وعلمه ولا تملك آلهتهم تصرفاً ولا علماً.

وتنزيه الله عن الولد والصاحبة قال أبو إسحاق الإسفرائيني: في سورة الأنعام كل قواعد التوحيد.

وموعظة المعرضين عن آيات القرآن والمكذبين بالدين الحق، وتهديدهم بأن يحل بهم ما حل بالقرون المكذبين من قبلهم والكافرين بنعم الله تعالى وأنهم ما يضرون بالإنكار إلا أنفسهم.

ووعيدهم بما سيلقون عند نزع أرواحهم ثم عند البعث، وتسفيه المشركين فيما اقترحوه على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من طلب إظهار الخوارق تهكماً. وإبطال اعتقادهم أن الله لقنهم على عقيدة الإشراك قصداً منهم لإفحام الرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وبيان حقيقة مشيئة الله.

وإثبات صدق القرآن بأن أهل الكتاب يعرفون أنه الحق. والإنحاء على المشركين تكذيبهم بالبعث وتحقيق أنه واقع وأنهم يشهدون بعده العذاب وتتبرأ منهم آلهتهم التي عبدوها وسيندمون على ذلك كما أنها لا تغني عنهم شيئاً في الحياة الدنيا فإنهم لا يدعون إلا الله عند النوائب. وتثبيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه لا يؤخذ بإعراض قومه وأمره بالإعراض عنهم.

وبيان حكمة إرسال الله الرسل وأنها الإنذار والتبشير وليست وظيفة الرسل إخبار الناس بما يتطلبون علمه من المغيبات. وأن تفاضل الناس بالتقوى والإنتساب إلى دين الله. وإبطال ما شرعه أهل الشرك من شرائع الضلال. وبيان أن التقوى الحق ليست مجرد حرمان النفس من الطيبات بل هي حرمان النفس من الشهوات التي تحول بين النفس وبين الكمال والتزكية.

وضرب المثل للنبي مع قومه بمثل إبراهيم مع أبيه وقومه وكأن الأنبياء والرسل على ذلك المثل من تقدم منهم ومن تأخر.

والمنة على الأمة بما أنزل الله من القرآن هدى لهم كما أنزل الكتاب على موسى وبأن جعلها الله خاتمة الأمم الصالحة.

وبيان فضيلة القرآن ودين الإسلام وما منح الله لأهله من مضاعفة الحسنات. وتخللت ذلك قوارع للمشركين وتنويه بالمؤمنين، وامتنان بما اشتملت عليها مخلوقات الله وذكر مفاتح الغيب. انظر التنوير والتحرير ٧/١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٣ ـ ١٢٤.

(١) قال فخر الدين: قال الأصوليون (أي علماء أصول الدين) السبب في إنزالها دفعة واحدة أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوءة والمعاد، وإبطال مذاهب المعطلين والملحدين، فإنزال ما يدل على الأحكام قد تكون المصلحة أن ينزل الله على قدر حاجاتهم وبحسب الحوادث، وأما ما يدل على علم الأصول فقد أنزله الله جملة واحدة.

وهي أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية وأشدها مقارعة جدال لهم واحتجاج على سفاهة أحوالهم من قوله **﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً﴾** وفيما حرموه على أنفسهم مما رزقهم الله. انظر التحرير ٧/١٢٥

سبعون ألف ملك[١]. قال شهر بن حوشب:[٢] نزلت الأنعام جملة واحدة وهي مكية غير آيتين: (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم...) وقال: بعضهم: كلها مكية. وقال كعب الأحبار:[٣] مفتاح التوراة قوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ وخاتمها خاتمة سورة هود: (ولله غيب السموات والأرض) وقوله تعالى: (الحمد لله) حمد الرب نفسه ودل بصنعه على توحيده (الذي خلق السموات والأرض) يعني خلق السموات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم وخلق الأرض وما فيها. ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنّورَ﴾ يعني خلق الليل والنهار ويقال: الكفر والإسلام[٤]. وقال الضحاك: هذه الآية نزلت في شأن المجوس قالوا: الله خالق النور، والشيطان خالق الظلمة، فأنزل الله تعالى إكذاباً لقولهم ورداً عليهم فقال: (وجعل الظلمات والنور). يعني أن الله واحد لا شريك له وهو الذي خلق السموات والأرض وهو الذي خلق الظلمات والنور ﴿ثُمَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا﴾ يعني المجوس ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يعني يشركون[٥]. ويقال (ثم الذين كفروا بربهم يعدلوا) يعني مشركي مكة بربهم يعدلون يعني يعبدون الأصنام. ثم قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِيْنٍ﴾ يعني آدم وأنتم من ذريته ومن نسله ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾ يعني أجل ابن آدم منذ يوم ولد إلى يوم يموت ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يعني البرزخ منذ يموت إلى يوم البعث فهو مكتوب في اللوح المحفوظ. فهذا قول مقاتل والحسن وقال عكرمة: (أجلاً) يعني أجل الدنيا (وأجل مسمى) يعني أجل الآخرة وهكذا قال سعيد بن جبير:[٦] ويقال (أجلاً) يعني أجل كل واحد (وأجل مسمى) يعني يوم القيامة ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ يعني تشكون في البعث بعد الموت وفي الأجل المسمى. ثم قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ يعني هو المتفرد بالتدبير في السموات وفي الأرض. وهذا كقوله: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) يعني وهو خالق السموات والأرض. ويقال: هو الذي يوحد ويقر بوحدانيته أهل السموات والأرض ويقال: عالم بما في السموات وبما في الأرض. ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾ يعني يعلم سر أعمالكم ﴿وَجَهْرَكُمْ﴾ يعني علانيتكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ من الخير والشر فيجازيكم بذلك. ثم أخبر عن أمر المشركين فقال.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ

---

(١) انظر الآثار الواردة في ذلك في الدر المنثور ٣/٣.

(٢) ذكره السيوطي رحمه الله في الدر المنثور ٣/٣ وعزاه للفريابي وإسحاق بن راهويه مسنده وعبد بن حميد والمصنف رحمه الله لم يذكر الآية الثانية وهي التي بعدها كما في الدر.

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير ٢٥٢/١١ وزاد نسبته السيوطي في الدر ٣/٣ لابن الضريس في فضائل القرآن وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٤) قال ابن عطية: وهذا خروج عن الظاهر انظر تفسير القرطبي ٢٤٩/٦ وقال القرطبي معقباً على ذلك واللفظ يعمه.

(٥) وذكره مثله السيوطي في الدر المنثور عن مجاهد وعزاه لأبي الشيخ انظر الدر المنثور ٤/٣.

(٦) انظر تفسير الطبري ٢٥٧/١١.

يَأْتِيهِمْ أَنبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ من آيةٍ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ولم يتفكروا فيها ليعتبروا في توحيد الله تعالى. وذلك أن مشركي مكة سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يريهم علامة.وقالوا: إنا نريد أن تدعو لينشق القمر نصفين، لنؤمن بك وبربك ونصدقك فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانشق القمر شقتين. وذهب أحد النصفين إلى جانب حراء والآخر إلى جانب آخر وهم ينظرون إليه. وقال ابن مسعود: أنا رأيت حراء بين فلقتي القمر. فأعرضوا عنه فلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين فنزلت[1] (اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا) ونزلت هذه الآية: (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) يعني انشقاق القمر (إلا كانوا عنها معرضين)، يقول الله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يعني بالقرآن حين جاءهم به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستهزؤوا بالقرآن. بأنه ليس من الله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾ يعني سيعلمون جزاء تكذيبهم واستهزائهم بالقرآن بأنه ليس من الله تعالى. ويقال: يأتيهم أخبار﴿مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾من العذاب حين رأوها معاينة. فهذا وعيد لهم أنه يصل إليهم العذاب إما في الدنيا وإما في الآخرة. ثم وعظهم ليخافوا ويرجعوا فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ يعني من قبل كفار مكة ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ يعني مكناهم وأعطيناهم من المال والولد ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً﴾ يعني المطر متتابعاً كلما احتاجوا إليه ﴿وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم﴾ يعني عذبناهم ﴿بِذُنُوبِهِم﴾ وبتكذيبهم رسلهم ﴿وأَنْشأنا مِنْ بَعْدِهِم﴾ يعني وجعلنا من بعد هلاكهم ﴿قَرْناً آخَرِين﴾ قال الزجاج: القرن أهل كل [مدة][2] فيها نبي، أو فيها طبقة من أهل العلم كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: خير القرون أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. ثم قال:

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ﴾ ذلك أن النضر بن الحارث وعبد الله بن أمية وغيرهما، قالوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً من السماء، قال الله تعالى: (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس) يقول: مكتوباً في صحيفة ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ يقول عاينوه وأخذوه بأيديهم ما يصدقونه ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني يقول الذين كفروا: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ولا يؤمنون به. ﴿وَقَالُوا: لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ من

(١) وحديث إنشقاق القمر أخرجه ٦/٦٣١ في المناقب (٣٦٣٦) وفي ٨/٦١٧ (٤٨٦٣)، ومسلم ٤/٢١٥٨ في صفة القيامة (٤٣ ـ ٢٨٠٠/٤٥).

(٢) في أ [مدينة].

السماء فيكون معه نذيراً فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً﴾ من السماء ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ يعني لهلكوا إذا عاينوا الملك ولم يؤمنوا ولم يصدقوا لنزل العذاب بهم ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ يعني لا ينتظر بهم حتى يعذبوا. ويقال: لو نزل الملك لنزل بإهلاكهم. ويقال: لو أنزلنا ملكاً لا يستطيعون النظر إليه فيموتوا. ثم قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً﴾ يعني لو أنزلنا ملكاً بالنبوة ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ يعني لأنزلناه على شبه رجل على صورة آدمي ألا ترى أنهم حين جاءوا إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ جاءوا على صورة الضيفان، وعلى داود ـ عليه السلام ـ مثل خصمين وكان جبريل ـ عليه السلام ـ ينزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صورة دحية الكلبي. ثم قال: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ يعني لو نزل الملك على أشباه الآدميين لا يزول عنهم الاشتباه والتلبس. وروى بعضهم عن ابن عامر أنه قرأ:[1] (ما يلبسون) بنصب الباء يعني جعلنا عليه من الثياب ما يلبسونه على أنفسهم ظنوا أنه آدمي والقراءة المعروفة: بالكسر يقال: لبس يلبس إذا لبس الثوب ولبس يلبس: إذا خلط الأمر. وقال القتبي: (وللبسنا) يعني أضللناهم بما ضلوا به من قبل أن يبعث الملك. ثم قال: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا محمد كما استهزأ بك قومك في أمر العذاب ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ﴾ يقول: وجب ونزل بالذين ﴿سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ بالرسل ويقال: فحاق أي رجع. وقال أهل اللغة: الحيق، ما يشتمل على الإنسان من مكروه فَعَلَتْه نفسه كقوله: (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله). وقال الضحاك: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالساً في المسجد الحرام مع المستضعفين من المؤمنين بلال بن رباح، وصهيب بن سنان، وعمار بن ياسر وغيرهم. فمر بهم أبو جهل بن هشام في ملأ من قريش وقال: يزعم محمد أن هؤلاء ملوك أهل الجنة فأنزل الله تعالى على رسوله هذه الآية ليثبت بها فؤاده ويصبره على أذاهم[2] فقال: (ولقد استهزىء برسل من قبلك) يعني إن سخر أهل مكة من أصحابك فقد فعل ذلك الجهلة برسلهم فجعل الله تعالى دائرة السوء على أهل ذلك الاستهزاء. ثم أمر المشركين بأن يعتبروا بمن قبلهم وينظروا إلى آثارهم في الأرض فقال:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿قُلْ سِيْرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني قل لأهل مكة سافروا في الأرض ﴿ثُمَ انْظُرُوا﴾ يعني اعتبروا ﴿كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ﴾ يعني آخر أمر ﴿الْمُكَذِّبِيْن﴾ بالرسل والكتب. وقال الحسن: (سِيْرُوا في الأرض) يعني اقرأوا القرآن فانظروا كيف كان عاقبة المتقدمين في العذاب. فقال أهل مكة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن فعلت هذا الفعل لطلب المال فاترك هذا الفعل إنا نجمع لك مالاً تصير به أغنى أهل مكة فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُلْ للَّه﴾ يعني ما في السموات وما في الأرض يعطي منها من يشاء. ثم قال: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِه الرَّحْمَةَ﴾ فلا يعذبكم في الدنيا. وروى عطاء عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: إن الله مائة رحمة أنزل منها واحدة فقسمها بين الخلائق فيها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على أولادها

(١) وقرأ ابن محيصن (ولبسنا) بلام واحدة، والزهري (وللبّسنا) بتشديد الباء انظر البحر المحيط ٤/٧٩.

(٢) بنحوه انظر الدر المنثور ٣/٥.

وادّخر لنفسه تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة[١]. ويقال: كتب الرحمة حيث أمهلهم ولم يهلكهم ليرجعوا ويتوبوا. ثم قال: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يعني ليجمعنكم يوم القيامة وهذا كما يقال: جمعت هؤلاء إلى هؤلاء أي ضممت بينهم في الجمع ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعني في البعث أنه كائن. ثم نعتهم فقال: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال بعضهم: هذا ابتداء وخبره لايؤمنون وقال بعضهم: هذا بدل من قوله: ليجمعنكم. ثم عظم نفسه فقال:

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ﴾ يعني ما استقر ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ من الدواب والطير في البر والبحر فمنها ما يستقر في الليل وينتشر بالنهار ومنها ما يستقر بالنهار وينتشر الليل. ثم قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يعني السميع لمقالتهم، العليم بعقوبتهم. ثم قال: ﴿قُلْ: أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ وذلك أن المشركين قالوا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إن آباءك كانوا على مذهبنا وإنما تركت مذهبهم للحاجة فارجع إلى مذهب آبائك حتى نغنيك بالمال فنزلت (قل أغير الله أتخذ ولياً) يعني أعبد رباً. ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني خالق السموات والأرض ويقال: مبتدئهما. ومنه قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (كل مولود يولد على الفطرة)[٢] أي على ابتداء الخلقة وهو الإقرار بالله حين أخذ عليهم العهد في أصلاب آباءهم، وإنما صار (فاطر) كسراً لأنه من صفة الله تعالى يعني أغير الله فاطر السموات والأرض. وقال الزجاج: يجوز الضم على معنى هو فاطر السموات والأرض، ويجوز النصب على معنى: اذكروا فاطر السموات، إلا أن الاختيار الكسر. ثم قال: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ يعني يرزق ويقال: وهو يرزق ولا يعان على رزق الخلق. وقرأ بعضهم: (وهو يُطْعِمُ ولا يَطْعَم) بنصب الياء يعني يرزق ولا يأكل. ثم قال: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ من أهل مكة. يعني أول من أسلم من أهل مكة واستقام على التوحيد ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يعني وقال لي ربي: لا تكونن من المشركين بقولهم: ارجع إلى دين آبائك. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ يعني إني أعلم إن عصيت ربي فرجعت إلى آبائي وعبدت غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني عذاباً شديداً في يوم القيامة. ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ سوء العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ يعني غفر له وعصمه. [قرأ ابن كثير[٣] ونافع وأبو عامر وعاصم في رواية حفص (من يصرف عنه)][٤] بضم الياء ونصب الراء على معنى فعل ما لم يسم فاعله وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر[٥]: (من يصرف) بنصب الياء ومعناه، من يصرف الله عنه

---

(١) أخرجه البخاري ١٠/٤٣١ في الأدب جعل الله الرحمة (٦٠٠٠)ومسلم ٤/٢١٠٨ في التوبة باب سعة رحمة الله (١٩/٢٧٥٢).

(٢) أخرجه البخاري ٣/٣١٩ في الجنائز (١٣٥٨، ١٣٥٩)، وفي ٨/٥١٢ في التفسير (٤٧٧٥)، وفي ١١/٤٩٣ في القدر (٦٥٩٩)، ومسلم ٤/٢٠٤٧ في القدر (٢٢/٢٦٥٨).

(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٤٢ ـ ٢٤٣، سراج القارىء ٢٠٦، شرح شعلة ٣٥٨.

(٤) سقط في أ.

(٥) انظر المصدرين السابقين.

ولأنه سبق ذكر قوله: (ربي) فانصرف إليه. ثم قال: ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِيْن﴾ يعني صرف العذاب: هـو النجاة الوافرة. وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: سدِّدوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أنه لا ينجو أحد بعمله قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته[1]. يعني أن الخلق كلهم ينجون برحمة الله تعالى. ثم خوّفه ليتمسك بدينه فقال:

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ يعني إن يصبك الله بشدة أو بلاء ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ يعني لا يقدر أحد من الألهة التي يدعونها ولا غيرها كشف الضر إلا الله تعالى. ﴿وإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ يقول: وإن يصبك بسعة أو صحة الجسم فإنه لا يقدر أحد على دفع ذلك ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الغنى والفقر والعافية. ثم قال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ الغالب والعالي عليهم. ويقال: القادر والمالك عليهم ﴿وَهُوَ الْحَكِيْمُ﴾ في أمره ﴿الْخَبِيْرُ﴾ بأفعال الخلق. ثم قال ﴿قُلْ: أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يا محمد ألا وجد الله رسولاً غيرك وما نرى أحداً من أهل الكتاب يصدقك بما تقول، فأرنا من يشهد لك أنك رسوله. فقال الله تعالى (قل): لأهل مكة (أي شيء أكبر شهادة) يعني حجة وبرهاناً. ويقال: من أكبر شهادة؟ فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُل: اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بأني رسول الله. والشهيد في اللغة:[2] هو المبين وإنما سمى الشاهد شاهداً لأنه يبين دعوى المدعي بأمر الله نبيه ـ عليه السلام ـ بأن يحتج عليهم بالله الواحد القهار، الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور وخلقهم أطواراً. ثم قال: ﴿وأُوحِيَ إِلَي هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ يعني لأخوفكم بالقرآن يا أهل مكة ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ يعني ومن بلغه القرآن سواكم فأنا نذير وبشير من بلغه القرآن من الجن والإنس. قال قتادة[3]، قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (بلغوا عني ولو آية) من كتاب الله تعالى فمن بلغه فكأنما عاين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلمه. وقال محمد بن كعب[4] القرظي: من بلغه القرآن فكأنما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قرأ: (لأنذركم به ومن بلغ). وقال مجاهد[5]: (لأنذركم به) يعني أصحاب محمد ـ صلى

---

(١) أخرجه البخاري ١١/٣٠٠ في الرقاق ٦٤٦٣، وأخرجه مسلم ٤/٢١٧٠ في المنافقين (٢٨١٦/٧٦)، وأخرجه من رواية جابر ٤/٢١٧١ في صفات المنافقين (٢٨١٧/٧٧).

(٢) الشهيد فعيل بمعنى مفعول، سمي به لأنه مشهود له بالجنة بالنص، أو لأن الملائكة يشهدون موته إكراماً له، أو بمعنى فاعل لأنه حي عند الله تعالى حاضر. والشهيد بمعنى المستشهد المقتول انظر المغرب ١/٤٥٩ وليس هو المقصود هنا بل المقصود ما ذكر المصنف رحمه الله.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير ١١/٢٩٠ وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ٣/٧ لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ١١/٢٩٠ وذكره السيوطي في الدر المنثور وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وابن الضريس وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) انظر تفسيره ١/٢١٣.

الله عليه وسلم ـ (ومن بلغ) يعني من العجم وغيرهم. ثم قال: ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُوْنَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ من الأصنام فإن قالوا: نعم (قُلْ: لاَ أَشْهَدُ) بما شهدتم ولكن ﴿قُلْ﴾ أشهد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من الأصنام والأوثان. قوله تعالى

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾

﴿الَّذِيْنَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة والإنجيل ﴿يَعْرِفُونَه﴾ يعني محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنعته وصفته ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾. وقال عبد الله بن سلام: أنا أعرف بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من إبني لأني أشهد أنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا أشهد لابني لأني لا أدري ما أحدثت النساء بعدي[١]. ثم قال: ﴿الَّذِيْنَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونْ﴾ يعني كعب بن الأشرف ومن تابعه ممن طلبوا الرئاسة آثروا الدنيا على الآخرة. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ يعني ممن اختلق على الله كذباً باتخاذ الآلهة، وقوله الشرك ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ يعني بالقرآن أنه ليس من عند الله، ﴿إِنَّه لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني أنه لا يأمن الكافرون من عذابه. قال في اللغة: (إنه): مرة تكون الإشارة مثل قوله: (إنه هو الغفور الرحيم) ومرة تكون للعماد مثل قوله تعالى: (إنه لا يفلح الكافرون) (وإنه لا يفلح الظالمون) وقوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِيْنَ أَشْرَكُوا: أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِيْنَ كُنْتُمْ تَزْعُوْن﴾ يعني أين آلهتكم التي تزعمون يعني تعبدون من دون الله. ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ وأصل الفتنة في اللغة: هو الإختبار ويقال: فتنت الذهب في النار إذا أدخلته لتعلم جودته، وإنما سمي جوابهم فتنة لأنهم حين سئلوا اختبروا بما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب من ذلك الإختبار فتنة إلا هذا القول. ويقال: ثم لم تكن معذرتهم وجوابهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالواْ: وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِيْن﴾. [قال مجاهد][٢] إن المشركين لما رأوا يوم القيامة: أن الله لا يغفر ذنوبهم يقول بعضهم لبعض: يا ويلكم جئتم بما لا يغفر الله لكم هلموا الآن فلنكْذِبْ على أنفسنا ونحلف على ذلك فحلفوا فحينئذ ختم على أفواههم فتشهد أيديهم وأرجلهم عليهم. قرأ ابن عامر وابن كثير وعاصم في رواية حفص[٣]: (ثم لم تكن فتنتهم) بالتاء لأن الفتنة مؤنث (فتنتهم) بضم التاء لأنه اسم تكن. وقرأ حمزة والكسائي: (ثم لم يكن) بالياء لأن الفتنة وإن كانت مؤنثة إلا أن تأنيثه ليس بحقيقي ولأن الفتنة بمعنى الافتان فانصرف إلى المعنى (فتنتهم) بالنصب فجعلاه خبر تكن والإسم ما بعده وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم في رواية أبي بكر: (ثم لم تكن) بالتاء والنصب وقرأ حمزة والكسائي: (والله ربَّنا) بنصب الباء ومعناه يا ربنا وقرأ الباقون[٤]: (والله ربِّنا) بكسر الباء على معنى النعت. قال الله تعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (انظر كيف كذبوا على أنفسهم أي كيف صار وبال تكذيبهم على أنفسهم. ويقال: يقول الله تعالى للملائكة

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٢٩٦/١١.
(٢) في أ [يعني وانظر تفسيره ٢١٣/١].
(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٣٤٣، شرح شعلة ٣٥٨.
(٤) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٤٤، شرح شعلة ٣٥٨.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿انْظُر كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾، يعني انظر إليهم كيف يكذبون على أنفسهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ يعني ذهب عنهم. ويقال: اشتغل عنهم الآلهة بأنفسها ﴿مَا كَانُواْ يَفْتَرُون﴾ على الله من الكذب في الدنيا. قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني إلى حديثك وقراءتك يعني يستمعون ولا ينفعهم ذلك ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوه﴾ يعني غطاء مجازاً لكفرهم ﴿وَفِي آذانِـهِم وَقْراً﴾ يعني صمماً وثقلاً لا يفقهون حديثك. وقال قتادة[١]: يسمعونه بآذانهم ولا يعون منه شيئاً، كمثل البهيمة التي تسمع القول ولا تدري ما هو. ثم قال: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ يعني انشقاق القمر، وغيره ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤكَ يُجَادِلُونَك﴾ يعني مخاصمونك بالباطل وينكرون أن القرآن من الله تعالى ﴿يَقُولُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيْرُ الأَوَّلِيْن﴾ وذلك أن النضر بن الحارث كان يخبر أهل مكة بسير المتقدمين وبأخبامهم، فقالوا له: ما ترى فيما يقول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: لا أفهم مما يقول شيئاً، لا أدري أنه من أساطير الأولين الذي أخبركم به مثل حديث رستم واسفنديار، وقال القتبي: واحدها أسطورة واسطارة ومعناها التُّرهات والأباطيل البسابس، وهي شيء لا نظام له وليس بشيء وفي هذا دلالة نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنهم كانوا يتكلمون فيما بينهم بالسر فيُظهِر الله أسرارهم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ يعني أهل مكة ينهون الناس عن محمد أن يتبعوه ويتباعدون عنه، أي يتنافرون. ويقال: نزل في شأن أبي طالب كان يقول للنبي ـ عليه السلام ـ أن قريشاً لن يصلوا إليك حتى أوسد في التراب فامض يا إبن أخي فما عليك غضاضة يعني ذلاًّ وكان لا يسلم لأجل المقالة. فنزل (وهم ينهون عنه) يعني أبا طالب ينهى قريشاً عن إيذائه وينأى عنه ويتباعد عن دينه. وهذا قول الكلبي، والضحاك ومقاتل. والقول الأول أيضاً قول الكلبي. ثم قال: ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني وما يهلكون إلا أنفسهم ﴿وَمَا يَشْعُرُون﴾ بذلك. قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّار﴾. قال الكلبي: يعني حبسوا على النار[٢] وقال مقاتل[٣] يعني عرضوا على النار وقال الضحاك[٤]: يعني جمعوا على أبوابها ويقال: وقفوا على متن جهنم والنار تحتهم. وروي في الخبر: أن الناس كلهم وقفوا على متن جهنم، كأنها متن الأهالة ثم نادى مناد، خذي أصحابك ودعي أصحابي. ثم قال: ﴿فَقالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ولم يذكر في الآية الجواب لأن في الكلام ما دل عليه فكأنه يقول: ولو ترى يا محمد

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١١/٣٠٧.
(٢) تفسير القرطبي ٦/٣٦٣.
(٣) انظر التفسير ١/٣٧٠.
(٤) انظر تفسير القرطبي ٦/٢٦٣.

كفار قريش حين وقفوا على النار لعجبت من ذلك فقالوا: يا ليتنا نرد إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤمِنِينَ﴾ قرأ حمزة وابن عامر وعاصم في رواية حفص[١]: (ولا نكذب [بالنصب (ونكون) بالنصب. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم في رواية أبي بكر: (ولا نكذب)[٢]] ونكون) كلاهما بالضم على معنى الخبر. ومن قرأ بالنصب فلأنه جواب التمني وجواب التمني إذا كان بالواو والفاء يكون بالنصب كقولك: ليتك تصير إلينا ونكرمك[٣]. وقرأ بعضهم: (ولا نكذبُ) بالضم و(نكونَ) بالنصب في رواية هشام بن عمار عن ابن عامر. وقرأ عبد الله بن مسعود: (فلا نكذب) بالفاء. قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ﴾ يعني ظهر لهم ﴿مَا كَانُوا يُخفُون مِنْ قَبْلُ﴾ بألسنتهم لأن الجوارح تشهد عليهم بالشرك، فحينئذ يتمنون الرجعة ﴿وَلَوْرُدُّوا﴾ إلى الدنيا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ يعني رجعوا إلى كفرهم ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُون﴾ في قولهم: (ولا نكذب بآيات ربنا) لأنهم قد علموا في الدنيا وعاينوه وقد عاين إبليس وشاهد، ومع ذلك كفر وكذلك هاهنا لو رجعوا لكفروا كما كفروا من قبل: لأنك ترى في الدنيا إنساناً أصابه مرض أو حبس في السجن أخلص بالتوبة لله تعالى أن لا يرجع إلى الفسق فإذا برأ من مرضه أو أطلق من الحبس رجع إلى الحال الأول. قوله تعالى:

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَقَالُواْ: إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يعني ما هي إلا آجالنا تنقضي في الدنيا، فيموت الآباء ويجيء الأبناء ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِين﴾ بعد الموت فيبين الله تعالى حالهم يومئذ فقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا﴾ يعني عرضوا وسيقوا وحبسوا ﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يعني عند ربهم وعند عذاب ربهم ﴿قَالَ: أَلَيْسَ هَذَا﴾ يعني العذاب والبعث ﴿بِالْحَقِّ قَالُواْ: بَلَى وَرَبِّنَا﴾ أقروا في وقت لا ينفعهم الإقرار ﴿قَال: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرون﴾ به وتجحدونه. قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ يعني غبن الذين جحدوا بالله وبالبعث حين اختاروا العقوبة على الثواب ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ يعني فجأة ومعناه أنهم جحدوا وثبتوا على جحودهم حتى إذا جاءتهم القيامة ﴿قَالُواْ: يَا حَسْرَتَنَا﴾ يعني يا ندامتنا وخزينا والعرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن أمر عظيم تقع فيه جعلته نداء كقوله: (يا حسرتنا) و(يا ويلتنا) و(يا ندامتنا) ﴿عَلَى مَا فَرَّطْنَا﴾ يعني ضيعنا وتركنا العمل ﴿فِيهَا﴾ يعني في الدنيا من عمل الآخرة ﴿وَهُمْ يَحْمِلُون أَوْزَارَهم﴾ يعني آثامهم ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ يعني إنهم يحملون آثامهم. وروى

---

(١) والمعنى: ليت مصيرك يقع. وإكرامنا ويكون المعنى ليت ردنا وقع ولا تكذب أي رددنا لم تكذب.
(٢) ما بين المعقوفين سقط من ب.
(٣) وقال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتيَ مثله عارٌ عليك إذا فعلْتَ عظِيمُ

أسباط عن السدي(١) قال: ليس من رجل ظالم يدخل قبره إلا آتاه ملك قبيح الوجه، أسود اللون. منتن الريح عليه ثياب دنسة فإذا رآه قال: ما أقبح وجهك فيقول: كذلك كان عملك قبيحاً فيقول: ما أنتن ريحك فيقول كذلك كان عملك منتناً فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك. فيكون معه في قبره فإذا بعث يوم القيامة قال له إني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات فأنت اليوم تحملني فيركب على ظهره حتى يدخله النار قال: وذلك قوله: (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) وذلك على سبيل المجاز يعني يحملون وبال ذلك [على ظهورهم](٢) وعقوبته ويقال: وقرت ظهورهم من الآثام ثقلت وحملت وأصل الوزر في اللغة: هو الثقل. ثم قال: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ يعني يحملون. قوله تعالى:

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَعِب وَلَهْوٌ﴾ يعني لعب كلعب الصبيان يبنون بنياناً ثم يهدمونه ويلعبون ويلهون ويبنون ما لا يسكنون [كذلك أهل الدنيا يجمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون](٣) ويأملون ما لا يدركون. ثم قال: ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ﴾ يعني الجنة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِيْنَ يَتَّقُون﴾ الشرك والفواحش ﴿أَفَلَا تَعْقِلُون﴾ أي أن الآخرة أفضل من الدنيا، قرأ ابن عامر: (٤) (وَلَدَارُ الآخِرَة) بلام واحدة بالتخفيف وبكسر الآخرة على معنى الإضافة [وقرأ الباقون: (وللدار الآخرة) بلامين والآخرة بالضم على معنى النعت](٥) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص: (أفلا تعقلون) بالتاء على معنى المخاطبة. والباقون بالياء على معنى المغايبة. قوله تعالى:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّه لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُون﴾ روى سفيان عن أبي إسحق عن ناجية بن كعب(٦) قال: قال أبو جهل للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما نتهمك ولكن نتهم الذي جئت به فنزلت هذه الآية(٧). وروى أبو معاوية عن

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١١/٣٢٨، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور ٣/٩ لابن أبي حاتم.

(٢) سقط في أ. (٣) سقط في أ.

(٤) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٤٦، سراج القارىء ٢٠٧، شرح شعلة ٣٥٩.

(٥) سقط في أ.

(٦) الأسدي الكوفي روى عن ابن مسعود وعلي وعمار وعنه خلق، وثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات انظر التهذيب ١٠/٣٩٩ - ٤٠١.

(٧) أخرجه الترمذي ٥/٢٤٣ في التفسير (٣٠٦٤)، وأخرجه ابن جرير في التفسير ١١/٣٣٤ (١٣١٩٥)، والحاكم في المستدرك ٢/٣١٥ وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والضياء في المختارة.

إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قال: جاء جبريل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو حزين، فقال: ما يحزنك؟ قال: كذّبني هؤلاء فقال: إنهم لا يكذبونك، يعلمون أنك صادق فنزلت هذه الآية:[١] (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون) من تكذيبهم إياك في العلانية ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السر ويعلمون أنك صادق وكانوا يسمونه أميناً قبل أن يوحي إليه فلما أوحي إليه كذبوه، فقال ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِين بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُون﴾ وهم يعلمون أنك صادق. والجحد يكون ممن علم الشيء ثم جحده كقوله تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) قرأ نافع والكسائي:[٢] (فإنهم لا يكذبونك) بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد فمن قرأ بالتخفيف فمعناه أنهم لا يجحدونك كاذباً، ومن قرأ بالتشديد فمعناه: أنهم لا ينسبونك إلى الكذب ولا يكذبونك في السر، وقرأ نافع:[٣] (يحزنك) برفع الياء وكسر الزاي وقرأ الباقون (ليحزنك) بنصب الياء وضم الزاي ومعناهما واحد. ثم عزاه ليصبر على أذاهم فقال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني أن قومهم كذبوهم كما كذبك قريش ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وأُوذُوا﴾ يعني صبروا على تكذيبهم وأذاهم ﴿حَتَّى أَتَاهُم نَصْرُنَا﴾ يعني عذابنا لهلالكهم ﴿وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ يعني لا مغير لوعد الله فهذا وعد من الله تعالى للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالنصرة، كما نصر النبيين من قبله. ثم قال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبأى الْمُرْسَلِيْنَ﴾ يعني من خبر المرسلين كيف أنجيت المرسلين وكيف أهلكت قومهم. فلما وعد الله تعالى بالنصرة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعجل أصحابه لذلك، وأرادوا أن يعجل بهلاك الكفار، فنزل: ﴿وإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ خاطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأراد به قومه، فقال: إن عظم عليك إعراضهم عن الإيمان، ولا تصبر على تكذيبهم إياك ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْض﴾ يعني إن قدرت أن تطلب سِرْباً في الأرض والنافقاء، إحدى جحري اليربوع ﴿أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ﴾ يعني مصعداً إلى السماء ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بآية﴾ فافعل ذلك على وجه الإضمار وهذا كما قال في آية أخرى (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء) الآية. وروى محمد بن المنكدر: أن جبريل قال للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن الله أمر السماء أن تطيعك، وأمر الأرض أن تطيعك، وأمر الجبال أن تطيعك، فإن أحببت أن ينزل عذاباً عليهم. قال: يا جبريل أؤخر عن أمتي، لعل الله أن يتوب عليهم. ثم قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ يعني لهداهم إلى الإيمان. ويقال: ولو شاء لاضطرهم إلى الهدى، كما قال في آية أخرى: ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ (ومعناه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قهراً وجبراً، ولكن ما فعل، وكلفهم وتركهم فاختيارهم). ثم قال: ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِن الْجَاهِلِيْن﴾ يعني بأنه لو شاء لهداهم. وقال الضحاك: يعني القدر خيره وشره من الله تعالى، فلا تجعل معرفة ذلك بعد البيان. ثم قال:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِيْنَ يَسْمَعُون﴾ يعني يطيعك ويصدقك الذين يسمعون منك كلام الهدى والمواعظ. قال

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١١/٣٣٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٠.

(٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٣٤٧، سراج القارىء ٢٠٧.

(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٤٦.

الزجاج: يعني يسمع سماع قابل، فالذي لا يقبل كأنه أصم كما قال القائل: أصم عما ساءه سميع. ويقال: فلا تكونن من الجاهلين، بأنه يؤمن بك بعضهم، ولن يؤمن بك البعض، وإنما يؤمن بك الذي وفقه الله للهدى، وهو أهل لذلك وقال: (إنما يستجيب الذين يسمعون) يعني يعقلون الموعظة. ثم قال: ﴿**وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ**﴾ أي كفار مكة سماهم الله موتى لأنه لا منفعة لهم في حياتهم (يبعثهم الله) يعني يحييهم بعد الموت ﴿**ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ يعني الكفار في الآخرة فينبئهم، فهذا تهديد لهم. وقوله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّه**﴾ يعني الكفار قالوا: هلا نزل عليه آية من ربه، يعني علامة لنبوته. ﴿**قُلْ: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آية**﴾ كما سألوك ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُم لَا يَعْلَمُونَ**﴾ بأن الله قادر على أن ينزلها. ويقال: لا يعلمون بما في نزول الآية، لأنه لو نزلت الآية عليهم فلم يؤمنون به، استوجبوا العذاب. قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْض وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ**﴾ فذكر الجناحين للتأكيد، لأنه يقال: طار في الأمر، إذا أسرع فيه، فإذا ذكر الجناحين صار تأكيداً له. وقرأ بعضهم (ولا طائرٌ) بالضم، لأن معناه، وما دابةٌ في الأرض ولا طائرٌ لأن (من) زيادة فيكون الطائر عطفاً ورفعاً، وهي قراءة شاذة، ثم قال: ﴿**إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾ في الخلق والموت والبعث، تعرف بأسمائهم ﴿**مَا فَرَّطْنَا**﴾ يقول: ما تركنا ﴿**فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ يعني في اللوح المحفوظ مما يحتاج إليه الخلق، إلا قد بيناه، ويقال: في القرآن. قد بين كل شيء يحتاج إليه ﴿**ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم يُحْشَرُونَ**﴾ يعني الدواب والطير يحشرون ثم يصيرون تراباً. وروى جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: يَحْشُرُ الله تعالى الخلق كلهم يوم القيامة، والبهائم والدواب والطيور وكل شيء فيبلغ من عدله أن يأخذ للجَمَّاء من القَرْنَاء ثم يقول: كوني تراباً[1]. وعن أبي ذر قال: انتطحت شاتان عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا أبا ذر، هل تدري فيما انتطحنا؟ قلت: لا، قال: لكن الله تعالى يدري فسيقضي بينهما[2] وقال: بعضهم هذا على وجه المثل، لأنه لا يجري عليهم القلم فلا يجوز أن يؤاخذوا به. ثم قال:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٣٩ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ۝٤١ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٤٣﴾

﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾ يعني محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن ﴿**صُمٌّ**﴾ عن الخبر، فلا يسمعون الهدى ﴿**وَبُكْمٌ**﴾ يعني خرساً فلا يتكلمون بخير ﴿**فِي الظُّلُمَاتِ**﴾ يعني في الضلالات ﴿**مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ**﴾ يعني يخذله فيموت على الكفر ﴿**وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم**﴾ يعني يستنقذه من الكفر فيوفقه للإسلام. ثم قال: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ**﴾[3] الكاف زيادة في بيان الخطاب ﴿**إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ**﴾ في الدنيا ﴿**أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ**﴾ يعني

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري ٣٤٧/١١، والحاكم في المستدرك ٣١٦/٢ وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ لعبد الرزاق وأبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦٢/٥، وابن جرير الطبري في التفسير ٣٤٨/١١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١١/٣.

(٣) قرأ نافع: (قل أرأيتكم) و (أرايتم) بالألف من غير همز وحجته في ذلك أنه كره أن يجمع بين همزتين ألا ترى أنه قرأ (وإذا رايت)=

القيامة. ثم رجع إلى عذاب الدنيا فقال: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ ليدفع عنكم العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾ بأن مع الله آلهة أخرى قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ قال أهل اللغة:[١] بل للاستدراك والإيجاب بعد النفي، وإنما تستعمل في موضعين: أحدهما لتدارك الغلط، والثاني: لترك شيء وأخذ شيء آخر فها هنا بين أنهم لا يدعون غير الله تعالى، وإنما يدعون الله ليكشف عنهم العذاب ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ وإنما قرن بالاستثناء وبالمشيئة، لأن كشف العذاب فضل الله تعالى، وفضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، ثم قال: ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ يعني تتركون دعاء الآلهة عند نزول الشدة. ثم ذكر حال الأمم الماضية لكي يعتبروا فقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فكذبوهم على وجه الإضمار ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾ يعني بالخوف والشدة ﴿والضَّرَّاءِ﴾ يعني الزمانة والفقر وسوء الحال والجوع. وقال الزجاج: البأساء: الجوع، والضراء: النقص في الأموال والأنفس. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يعني لكي يرجعوا إليه، ويؤمنوا به قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ يقول: فهلا إذا جاءهم عذاباً ﴿تَضَرَّعُواْ﴾ إلى الله ويؤمنون به، حتى يرفع عنهم العذاب يعني أنهم لو آمنوا لدفع عنهم العذاب، ولكن أصروا على ذلك فذاك قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني جفت ويبست قلوبهم ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من عبادتهم الأصنام. ثم قال.

فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني: الأمم الخالية حين لم يعتبروا بالشدة، ولم يرجعوا: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النعم والخصب. ويقال: إن الله تعالى يبتلي العوام بالشدة فإذا أنعم عليهم يكون استدراجاً، وأما الخواص فيبتليهم بالنعمة والرخاء، فيعرفون ويعدون ذلك بلاء، كما روي في الخبر:[٢] إن الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران (إذا رأيت الفقر مقبلاً إليك فقل: مرحبا بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلاً إليك، فقل: ذنب عجلت عقوبته). فهؤلاء الذين أرسل إليهم، ابتلاهم الله تعالى بالشدة فلم يعتبروا، ولم يرجعوا، فتح عليهم أبواب كل خير، عقوبة لهم لكي يعتبروا فيها. قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد[٣]

= بالهمز لأنه لم يتقدمه همزة الإستفهام فيترك الثانية.

وقرأ الكسائي: (أريتكم) بغير همزة ولا ألف. وحجته إجماع العرب على ترك الهمزة في المستقبل في قولهم: (ترى ونرى) فبنى الماضي على المستقبل مع زيادة الهمزة في أولها فإذا لم تكن في أولها همزة الإستفهام لم يترك الهمزة مثل: (رأيت) لأن من شرطه إذا تقدمها همزة الإستفهام فحينئذ يستثقل الجمع بينهما، وأخرى وهي أنها كتبت في المصاحف بغير ألف.

وقرأ الباقون: (أرأيتكم) و(أرأيتم) بالهمزة وحجتهم أنهم لم يختلفوا فيما كان من غير استفهام فكذلك إذا دخل حرف الاستفهام فالحرف على أصله ألا ترى أنهم لم يختلفوا في قوله (رأيت المنافقين) و (رأيت الناس). انظر ابن زنجلة ٢٥٠.

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢/١٨٥، مغني اللبيب ١/١١٢ ـ ١١٣.

(٢) قال الحافظ العراقي في تخريجه على الإحياء ٤/١٩٦ أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبي الدرداء ولم يسمع منه ورواه أبو نعيم من قول كعب الأحبار غير مرفوع بإسناد ضعيف.

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الرحمن البغدادي روى عن خلق وروى عنه خلق انظر التهذيب ٥/١٤١ ـ ١٤٣.

قال: حدثنا أبو عتبة[١]، قال: حدثنا محمد بن حمير[٢]، عن شهاب بن خراش[٣] عن حرملة،[٤] عن عقبة بن مسلم[٥]، عن عقبة بن عامر[٦]، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا رأيت الله تعالى يعطي عبداً من الدنيا على معصية مما يحب، فإنما ذلك منه استدراج ثم قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (فلما نسوا ما ذكروا به، فتحنا عليهم أبواب كل شيء. . . . الآية). وقال الحسن: والله ما أحد من الناس بسط الله له في الدنيا، فلم يخف أن يكون قد مكر له فيها، إلا كان قد نقص عمله وعجز رأيه وما أمسكها الله تعالى عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها، إلا كان قد نقص عمله، وعجز رأيه (فلما نسوا ما ذكروا به) يعني تركوا ما وعظوا به (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) يعني أرسلنا عليهم كل خير ويقال: فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الرزق. قرأ ابن عامر:[٧] (فتَّحنا) بالتشديد على معنى المبالغة، والباقون: بالتخفيف ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُوا﴾ من أنواع الخير، فأعجبهم ما هم فيه ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ يعني أصبناهم بالعذاب فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ يعني آيسين من كل خير. وقال مجاهد:[٨] الإبلاس الفضيحة. وقال الفراء: المبلس: المنقطع بالحجة. وقال الزجاج: المبلس: الشديد الحسرة والآيس الحزين. وقال بعضهم في الآية تقديم وتأخير، ومعناه، فلما فتحنا عليهم أبواب كل شيء ونسوا ما ذكروا به أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. ثم قال عز وجل: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني قُطع أصلهم فلم يبق منهم أحد ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على هلاك أعدائه واستئصالهم. ويقال: الحمد لله الذي ينتقم من أعدائه ولا ينتقم منه أحد، ويقال: هذا تعليم ليحمدوه سبحانه على إهلاك الظالمين. قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَيَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ

(١) أحمد بن الفرج بن سليمان الكندي أبو عتبة الحمصي المعروف بالحجازي المؤذن بجامع حمص قال مسلمة بن قاسم ثقة مشهور قال ابن حبان في الثقات يخطي انظر التهذيب ١/٦٧ ـ ٦٩.

(٢) محمد بن حمير بن أنيس القضاعي ثم السليمي أبو عبد الحميد ويقال أبو عبد الله الحمصي روى عن خلق انظر التهذيب ٩/١٣٤ ـ ١٣٥.

(٣) شهاب بن ضراس بن حوشب بن يزيد بن الحارث الشيباني الحوشي أبو الصلت الواسطي ابن أخي العوام انظر التهذيب ٤/٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(٤) حرملة بن عمران بن قراد التجيبي أبو حفص المصري وثقه أحمد وابن معين توفي سنة ١٦٠ هـ انظر التهذيب ٢/٢٢٩.

(٥) عقبة بن مسلم التجيبي أبو محمد المصري القاص إمام المسجد العتيق بمصر وثقه العجلي وذكره ابن حبان في الثقات له توفي قريباً من سنة عشرين ومائة انظر التهذيب ٧/٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٤٥، وابن جرير في التفسير ١١/٣٦١ وزاد السيوطي في الدر المنثور ٣/١٢ نسبته إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه وابن المنذر والطبراني في الكبير وذكره الهيثمي في المجمع ٧ ـ ٢٠، ١٠/٢٤٥ ـ والبيهقي في الشعب وأخرجه الدولابي التفسير ٣/٣٥١ وهي في المشكاة ([٥٢٠١) وفي الكنز (٣٠٧٤٣).

(٧) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٥٠.

(٨) لم أجده عن مجاهد بل الذي في تفسير الطبري عن مجاهد: الإبلاس الاكتئاب انظر تفسير الطبري ١١/٣٦١.

ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي قل لأهل مكة أرأيتم ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ فلم تسمعوا شيئاً ﴿وَأَبْصَارَكُمْ﴾ فلم تبصروا شيئاً ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فلم تعقدوا شيئاً ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يعني هل أحد يرده عليكم ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ يعني يخلقها لكم. ثمَّ قال: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ أي كيف تبين لهم العلامات فيما ذكر من تخويفهم ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يعني يُعرضون ولا يعتبرون. قرأ نافع: (أرأيتم: بعد الألف بغير همز، وقرأ الكسائي بغير مد ولا همز. وقرأ الباقون: بالهمز. فهي كلها لغات العرب. ثم قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ: إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ يعني فجأة أو علانية ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ . يعني لا يهلك إلا القوم الكافرون. ثم قال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ يعني ليس لهم أن يقترحوا من أنفسهم وإنما أرسلهم بتبليغ الرسالة مبشرين بالجنة لمن أطاعه، ومنذرين بالنار لمن عصاه ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ يعني صدق بالرسل ﴿وَأَصْلَحَ﴾ يعني سلك طريقهم، وأصلح العمل، ويقال: أخلص العمل بعد الإيمان ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني لا خوف عليهم من أهوال القيامة، ولا هم يحزنون عند الصراط. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ يعني يصيبهم العذاب بكفرهم، ولا يعذب أحداً بغير ذنب. ثم قال:

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ يعني مفاتيح الرزق ﴿وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ يعني متى ينزل العذاب بكم، هذا جواب لقولهم: (لولا أنزل عليه ملك)، (ولولا نزل عليه آية من ربه) ﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مَلَكٌ﴾ من السماء، إنما أنا بشر مثلكم ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ يعني ما أتبع ﴿إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ من القرآن ﴿قُلْ: هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ يعني الكافر والمؤمن ﴿أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في أمثال القرآن ومواعظه. قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ يعني خوّف بالقرآن ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ يعني يعلمون ﴿أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة. وإنما خص بالإنذار الذين يعلمون، وإن كان منذراً لجميع الخلق لأن الحجة عليهم وجبت لاعترافهم بالمعاندة، وهم أهل الكتاب، كانوا يقرون بالبعث ويقال: هم المسلمون، يعلمون أنهم يبعثون يوم القيامة، ويؤمنون به ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني يعلمون أنه ليس لهم من دون الله يعني من عذاب الله ﴿وَلِيٌّ﴾ في الدنيا ﴿وَلاَ شَفِيعٌ﴾ في الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يعني أنذرهم لعلهم يتقون المعاصي. ويقال: (لعلهم يتقون) لكي يتقوا ويثبتوا على الإسلام. فإنهم إن لم يثبتوا ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع. قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ روي عن سعد بن أبي وقاص[1]

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٤٥/٤٦/٢٤١٣)، وأخرجه ابن جرير في التفسير ١١/٣٧٨، وأخرجه ابن ماجه ٤/١٣٨٣ في=

أنه قال: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - منهم عبد الله بن مسعود، قالت قريش: تدني هؤلاء السفلة، هم الذين يلونك، أي يصرونك، فوقع في قلبه أن يطردهم فنزل: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي). وروى أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس قال: كان رجال يستبقون إلى مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - فيهم بلال، وصهيب فيجيء أشراف من قومه وسادتهم فيجلسون ناحية، فقالوا له: إنا سادات قومك وأشرافهم، فلو أدنيتنا؟ فهم أن يفعل فنزل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية. ويقال: إن أبا جهل وأصحابه احتالوا ليطرد النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه عن نفسه فقالوا أن محمداً يتبعه الموالي والأراذل فلو طردهم لاتبعناه فاستعانوا بعمر - رضي الله عنه - فأخبر عمر بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن يفعل ذلك، فنزل[1]: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) يعني يعبدون ربهم، (بالغداة والعشي) يعني يصلون لله تعالى في أول النهار وآخره ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يعني يريدون بصلواتهم وجه الله تعالى ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني ما عليك من عملهم من شيء. ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني الإثم. ويقال: معناه فما عليك إن لم يسلموا فليس عليك من أوزارهم شيء. ويقال: يعني به الضعفة من المسلمين فلا تطردهم، لأنه ليس عليك من حسابهم من شيء (أي فليس عليك من أرزاقهم شيء لكن أرزاقهم على الله) ثم قال: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني لو طردتهم من مجلسك فتكون من الضارين بنفسك. قرأ ابن عامر[2]: (بالغدوة) وقرأ الباقون: (بالغداة) وهما لغتان ثم قال:

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾ يقول: هكذا ابتلينا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ يعني الشريف بالوضيع والعربي بالمولى والغني بالفقير ﴿لِيَقُولُواْ أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ فلم يكن الاختيار لأجل أن يقولوا ذلك ولكن كان الاختبار سبباً لقولهم. وهكذا قوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً). فلم يأخذوه لأجل ذلك ولكن كان أخذهم سبباً لذلك فكأنهم أخذوه لأجل ذلك هاهنا. ما كان الاختبار لأجل أن يقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا لأنهم كانوا يقولون: لو كان خيراً ما سبقونا إليه ومعناه: ليظهر الذين يقولون: هؤلاء من الله عليهم من بيننا. قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾. يعني بالموحدين منكم من غيرهم. قال الكلبي: فلما نزلت هذه الآية جاء عمر - رضي الله عنه - فاعتذر فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ يعني عمر ﴿فَقُلْ: سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ يعني قبلتُ توبتكم. ويقال: قبل الله عذركم ويقال: المعنى (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) يعني الضعفة من المسلمين فابتدىء بالسلام وقل: سلام عليكم ﴿كَتَبَ

= كتاب الزهد (٤١٢٨)، وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب المناقب، وعبد بن حميد كما في المنتخب (١٣١) وأبو يعلى (٨٢٦)، والحاكم في المستدرك ٣/٣١٩ وصححه وأقره الذهبي، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول ١٦١ وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ٣/١٣ للفريابي وأحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل.

(١) انظر أسباب النزول للواحدي ١٦٣.

(٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٥١، سراج القارىء ٢٠٨.

رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ يعني أوجب الرحمة وقبول التوبة ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ﴾ يعني من ركب معصية وهو جاهل بركوبها وإن كان يعلم أنها معصية ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد السوء ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيْمٌ﴾ (غفور) يعني متجاوز للذنوب (رحيم) حين قبل التوبة. ويقال: معناه من عمل منكم سوءاً ثم تاب يغفر له، فكيف من كان قصده الخير فهو أولى بالرحمة. وروي سفيان عن مجمع[1] عن ماهان الحنفي[2] قال: جاء قوم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أصابوا ذنوباً عظاماً فأعرض عنهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنزل: (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فَقُلْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبكُم على نفسه الرحمة)[3]. قرأ عاصم وابن عامر[4] (أنه من عمل): بنصب الألف فإنه غفور بالنصب على معنى البناء، ومعناه: كتب أنه. وقرأ نافع: (أنه) بالنصب على معنى البناء (فإنه) بالكسر على معنى الابتداء. وقرأ الباقون: كلاهما بالكسر على معنى الابتداء. ثم قال:

وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾. قل القتبي: يعني نأتي بها متفرقة شيئاً بعد شيء ولا ننزلها جملة متصلة. ويقال: (نفصل الآيات) يعني نبين الآيات بالقرآن. ﴿وَلِتَسْتَبِيْنَ سَبِيْلُ الْمُجْرِمِيْنَ﴾ يعني طريق المشركين لماذا لا يؤمنون لأنهم إذا رأوا الضعفاء يسلمون قبلهم امتنعوا. ويقال: (ولتستبين سبيل المجرمين) يعني تفرقهم. قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية حفص)[5]: (ولتستبين سبيل) بالتاء و(سبيلُ) بالضم لأن السبيل مؤنث كقوله (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله). ومعناه ليظهر لكم طريق المشركين. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: (وليستبين) بالياء (سبيل المجرمين) بالضم لأن السبيل هو الطريق، والطريق يذكر ويؤنث. وقرأ نافع: (ولتستبين) بالتاء (سبيل) بالنصب يعني لتعرف يا محمد طريق المشركين. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِيْنَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الأصنام. ويقال معناه قل إني نهيت عن طرد الضعفاء عن مجلسي كما نهيت عن عبادة الأصنام. ثم قال: ﴿قُلْ: لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ يعني لا أذهب مذهبكم. ويقال: لا أتبع هواكم يعني لا أرجع إلى دينكم في بغض الفقراء ومجانبتهم ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً﴾ يعني إن فعلت ذلك فقد ضللت إذاً. قرأ بعضهم: (ضَلِلْت) بالكسر وهو شاذ[6] يعني ضللت سبيل الهدى ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِيْنَ﴾ يعني لم أكن على الحق. ثم قال:

---

(١) مجمع التيمي وهو ابن سمعان الحائل أبو حمزة كوفي وثقه يحيى بن معين انظر الجرح والتعديل ٨/٢٩٥ - ٢٩٦.

(٢) أبو سالم الكوفي الأعور العابد روى عن خلق وروى عنه خلق ذكره ابن حبان في الثقات قتل سنة ثلاث وثمانين انظر التهذيب ١٠/٢٥ - ٢٦.

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير ١١/٣٩١.

(٤) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٥٢، سراج القارىء ٢٠٨.

(٥) انظر سراج القارىء ٢٠٩، وحجة القراءات ٢٥٣.

(٦) وقرىء (ضَلِلت) بفتح اللام وكسرها وهما لغتان. قال أبو عمرو بن العلاء: ضلِلت بكسر اللام لغة تميم وهي قراءة يحيى بن وَثَّاب وطلحة بن مصرف والأولى هي أوضح والأفصح لأنها لغة أهل الحجاز وهي قراءة الجمهور وقال الجوهري: والضلال والضلالة ضد الرشاد وقد ضللت أضل قال الله تعالى: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ [سبأ: ٥] فهذه لغة نجد وهي الفصيحة وأهل العالية يقولون: ضللت بالكسر أضل. انظر القرطبي ٦/٢٨٢.

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾

﴿قُلْ: إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ يعني على أمر بين. ويقال: على دين من ربي ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ يعني بالقرآن ويقال: بالعذاب. وذلك أن النضر بن الحارث قال: إن كان ما تقوله حقاً فأتنا بعذاب الله فنزل: ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ يعني العذاب ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ يعني ما القضاء في ذلك إلا لله في نزول العذاب ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ بنزول العذاب. وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم[1]: (يقص الحق) بالصاد يعني يبين الحق ويقال: يأمر بالحق وقرأ الباقون: (يقض الحق) بالضاد ولكن لا يكتب بالياء لأن الياء سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين ويقوم الكسر مقام الياء كقوله تعالى: (سندع الزبانية) فحذفت الواو. وتفسيره يقضي قضاء الحق. وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: (يقضي بالحق) ثم قال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِيْنَ﴾ يعني الحاكمين القاضين. ثم قال: ﴿قُلْ: لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ يعني العذاب ﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِيْنَ﴾ يعني بعقوبة الظالمين هو أعلم متى ينزل بهم العذاب. قوله تعالى:

وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ يعني خزائن الأرض والرزق ونزول العذاب. ويقال: عنده الوصلة إلى علم الغيب ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يعني يعلم ما يهلك في البر والبحر ويقال: يعلم ما في البر من النبات والحب والنوى، وما في البحر من الدواب وقوت ما فيها ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ من الشجر ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ يعلم من وقت سقوطه وموضع مسقطه. وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ليس أحد من خلق الله تعالى أكثر من الملائكة وليس من شجرة تخرج إلا وملك موكل بها[2] ويقال: إن الإنسان كالشجرة وأعضاءه كالأغصان، والحركات منه كالأوراق فهو يعلم حركة بني آدم. ثم قال تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ﴾ يعني تحت الصخرة التي هي أسفل الأرضين السابعة. ويقال: الحبة التي تحت الأرض التي يخرج منها النبات ثم قال ﴿وَلَا رَطْبٍ﴾ يعني الماء ﴿وَلَا يابِسٍ﴾ يعني الحجر. ويقال: ولا رطب: يعني العمران والأمصار والقرى (ولا يابس) يعني الخراب والبادية. ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِيْنٍ﴾ يعني في اللوح المحفوظ. ويقال: ولا رطب ولا يابس يعني لا قليل ولا كثير (إلا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ. ويقال: القرآن قد بين فيه كل شيء بعضه مفسر، وبعضه يعرف بالاستدلال والاستنباط. وقرأ بعضهم: (ولا حبة) (ولا رطب ولا يابس)[3] كل ذلك بالضم على معنى

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٥٤، سراج القارىء ٢٠٩.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٥ وعزاه لمسدد في مسنده وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) قرأ الحسن وابن أبي إسحاق وابن السميقع بالرفع فيهما والأولى أن يكونا معطوفين على موضع من ورقة ويحتمل الرفع على الابتداء وخبره إلَّا في كتاب مبين. انظر البحر المحيط ١٤٦/٤.

الابتداء. وهي قراءة شاذة. والقراءة المعروفة بالكسر لأجل: (من). قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتوفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ يعني يقبض أرواحكم في منامكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ﴾ يعني ما كسبتم من خير أو شر ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ يعني من النوم في النهار، ويرد إليكم أرواحكم ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ يعني ليتم أجلكم وتأكلون رزقكم إلى آخر العمر. قال بعضهم: إذا نام الإنسان تخرج منه روحه كما روي في الخبر «الأرواح جنود مُجَنَّدَة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[1] يعني الأرواح إذا تعارفت وقعت الألفة بين الأبدان وإذا لم تتعارف الأرواح تناكرت الأبدان. وقال: إن الروح إذا خرجت في المنام من البدن يبقى فيه الحياة فلهذا تكون فيه الحركة والنفس، وإذا انقضى عمره خرجت روحه وتنقطع حياته وصار ميتاً لا يتحرك ولا يتنفس. فإن قيل: لو خرجت روحه فكيف لا يتوجع لخروجه إذا نام. قيل: لأنه يخرج بطيبة نفسه ويعلم أنه يعود، وأما إذا انقطع عمره خرج بالكره، فتوجع له، وقال بعضهم: لا تخرج منه الروح ولكن يخرج منه الذهن وهو الذي يسمى بالفارسية: (روان). وقال بعضهم: إنما هو ثقل يدخل في نفسه وهو سبب لراحة البدن وغذائه، كقوله: (وجعلنا نومكم سباتاً) أي راحة ويقال: هذا أمر لا يعرف حقيقته إلا الله تعالى. وهذا أصح الأقاويل. وقوله تعالى ﴿ثم إليه مَرْجِعُكُمْ﴾ يعني مصيركم في الآخرة ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. من خير أو شر فيجازيكم بذلك. وقوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه﴾ يعني القادر الغالب عليهم ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ والحفظة جمع الحافظ مثل الكتبة والكاتب يعني به الملائكة موكلين ببني آدم ملكين بالليل وملكين بالنهار ويكتب أحدهما الخير والآخر الشر فإذا مشى يكون أحدهما بين يديه والآخر خلفه، فإذا جلس يكون أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله. كقوله: (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد). ويقال: لكل إنسان خمسة من الملائكة: اثنان بالليل واثنان بالنهار والخامس لا يفارقه لا ليلاً ولا نهاراً وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ يعني حضر أحدكم الوفاة عند انقضاء أجله ﴿تَوَفَّتْه رُسُلُنَا﴾ يعني ملك الموت وأعوانه ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ يعني لا يؤخرون طرفة عين. قرأ حمزة[2] (توفيه) بلفظ التذكير بالإمالة. وقرأ الباقون: (توفته) بلفظ التأنيث لأن فعل الجماعة إذا تقدم على الإسم جاز أن يذكر ويؤنث. ويقال: معه سبعون من ملائكة الرحمة وسبعون من ملائكة العذاب فإذا قبض نفساً مؤمنة دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب ويصعدون بها إلى السماء، وإذا قبض نفساً كافرة

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً من رواية عائشة رضي الله عنها ٣٦٩/٦ في كتاب الأنبياء ٣٣٣٦ وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله وصله المصنف في الأدب المفرد عن عبد الله بن صالح عن الليث وأخرجه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه مسلم ٢٠٣١/٤ في البر ١٥٩/ ٢٦٣٨.

(٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٥٤. سراج القارىء ٢٠٩.

دفعها إلى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب ويفزعونها ثم يصعدون بها إلى السماء ثم ترد إلى سجّين، وروح المؤمن إلى عليين. ﴿ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ يعني يرد أمورهم إلى الله تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ ألا: كلمة التنبيه، ومعناه إعلموا أن الحكم لله تعالى في خلقه ما يشاء ويقضي بينهم يوم القيامة ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِيْنَ﴾ يعني إذا حاسب فحسابه سريع. ويقال: وهو أحكم الحاكمين وأعدل القاضين. وقوله تعالى:

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيْكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يعني من أهواله وشدائده، والظلمات كناية عن الأهوال والشدائد ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعَاً وَخُفيَةً﴾ وقال الكلبي: سراً وعلانية[1]. وقال مقاتل[2]: يعني في خفض وسكون. قرأ عاصم في رواية أبي بكر[3]: (خِفْيَةً) بكسر الخاء. والباقون: بالضم: وهما لغتان وكلاهما واحد. ﴿لَئِنْ أَنْجانا مِنْ هَذِهِ﴾ يعني من غم هذه الأهوال والشدائد ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ﴾ يعني من الموحدين. ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيْكُمْ مِنْهَا﴾ يعني من أهوال البر والبحر ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ يعني ينجيكم من كل كرب يعني من كل غم وشدة. ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ يعني ترجعون إلى الشرك. [وقرأ بعضهم[4]: (ينجيكم) بالتخفيف، والقراءة المعروفة بالتشديد][5]. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: (لئن أنجانا) بالألف يعني أنجانا الله تعالى. وقرأ الباقون: (لأن أنجيتنا) على معنى المخاطبة وقرأ عاصم وحمزة والكسائي[6]: (قل الله ينجيكم منها) بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف ومعناهما واحد. ويقال: أَنْجى، يُنْجِي ونَجّى يُنَجِّي. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ يعني الحصب بالحجارة، كما فعل بقوم لوط، والغرق كما أرسل على قوم نوح، يعني إن استكبرتم وأصررتم وكذبتم رسلي مثل ما فعل قوم نوح أو فعلتم الفعلة التي فعل قوم لوط. ثم قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني يخسف بكم كما خسف بقارون ومن معه، إن استكبرتم واغتررتم بالدنيا كما فعل قارون. ثم قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعَاً﴾ يعني الأهوال المختلفة كما ألبس بني إسرائيل إن تركتم أمر رسولي واتبعتم هواكم كما فعل بنو إسرائيل ﴿وَيُذِيْقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يعني يقتل بعضكم بعضاً بالسيف كما فعل بالأمم الخالية إن فعلتم مثل ما فعلوا. فلما نزلت هذه الآية قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يا جبريل: ما بقاء أمتي على ذلك؟ قال له جبريل: إنما أنا عبد مثلك، فادع ربك وسله لأمتك. فقام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتوضأ وأسبغ الوضوء، فأحسن الصلاة ثم دعا فنزل جبريل فقال: إن الله تعالى سمع مقالتك وأجارهم من خصلتين وهو العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم. فقال: يا جبريل ما بقاء أمتي إذا كان فيهم أهواء مختلفة ويذيق بعضهم بأس بعض فنزل جبريل بهذه الآية: (آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا: آمنا . . . الآية)[7]. وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: آفترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة

---

(١) انظر تفسير البغوي ٢/١٠٣. (٢) انظر تفسيره ١/٣٧٨. (٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٥٥ سراج القارىء ٢٠٩.
(٤) انظر حجة القراءات ٢٥٥، وسراج القارىء ٢٠٩. (٥) سقط في ب. (٦) المصدران السابقان.
(٧) أخرجه الطبري مطولاً عن الحسن ١١/٤٢٨ / ١٣٣٧٥.

وتفترق أمتي اثنان وسبعون فرقة، كلهم في النار إلا واحدة قالوا: يا رسول الله ما هذه الواحدة؟ قال أهل السنة والجماعة[1] الذي أنا عليه وأصحابي. وفي خبر آخر: السواد الأعظم. وروى عمر بن دينار عن جابر بن عبد الله[2] أنه قال: لما نزلت هذه الآية: (قل: هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أعوذ بوجه الله فلما نزلت: (أو يلبسكم شيعاً، ويذيق بعضكم بأس بعض) قال: هاتان أهون. ويقال: عذاباً من فوقكم يعني سلطاناً جائراً، أو من تحت أرجلكم: من سفهائكم يقلبون عليكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض يعني الفتنة بين المحلّتين أو القريتين. ثم قال: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ**﴾ يعني نبين الآيات من البلاء والعذاب في القرآن ﴿**لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾ يعني يعقلون ما هم عليه. ثم قال:

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ**﴾ يعني بالقرآن ﴿**وَهُوَ الْحَقُّ**﴾ يعني القرآن ﴿**قُلْ: لَسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ**﴾ يعني بحفيظ ومسلط وهذا قبل الأمر بالقتال. ﴿**لِكُلِّ نبإٍ مُسْتَقَرٌّ**﴾ المستقر: هو غاية ينتهى إليها. يقال: لكل قول وفعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه وما كان منه في الآخرة فسوف تبدو لكم وستعلمون ذلك في الدنيا وفي الآخرة. ويقال: معناه سوف أُؤمر بقتالكم إذا جاء وقته ﴿**وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ في ذلك الوقت. قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا**﴾ يعني يستهزئون بالقرآن ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾ يعني قم من عندهم، واترك مجالستهم ﴿**حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ أي حتى يكون خوضهم واستهزاؤهم في غير القرآن ﴿**وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ**﴾ يقول: إن أنساك الشيطان وصية الله تعالى فتجلس معهم ﴿**فلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ**﴾ يقول: قم إذا ذكرت

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/٣٣٢ أخرجه أبو داود ٤/١٩٧ في كتاب السنة ٤٥٩٦ وأخرجه ابن ماجه ٢/١٣٢١ في كتاب ٣٩٩٣ وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات وأخرجه ابن عاصم في السنة ١/٣٢ ، ٣٤ وذكره الهيثمي في المجمع ٧/٢٥٩ وأخرجه الطبراني في الكبير ١٨/٧٠ وابن عدي في الكامل ٧/٢٤٨٣ وهو في كنز العمال ٣٠٨٣٤، ٣٠٨٣٨ وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/٢٠٨ وذكره الذهبي في الميزان ٤١٥٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢/٦٠.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٧ وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد والبخاري والترمذي والنسائي ونعيم بن حماد في الفتن وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات قلت: والحديث عند البخاري في الصحيح ٤٦٢٨ في التفسير وفي التوحيد ٧٤٠٦ وعند النسائي في الكبرى كتاب النعوت وعند الترمذي ٣٠٦٥ وعند أحمد ٣/٣٠٩ وعند الحميدي رقم ١٢٥٩ وأبو يعلى ١٨٢٩، ١٩٦٧، ١٩٨٢، ١٩٨٣ وابن خزيمة في التوحيد ١١ وابن حبان في الصحيح ٩/١٧٤ (٧١٧٦).

ودع القوم الظالمين يعني المشركين. قرأ ابن عامر[١]: (وإما يُنَسِّينك الشيطان) بنصب النون وتشديد السين. وقرأ الباقون: بالتخفيف والجزم وهما لغتان: نسيته وأنسيته. ثم قال: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يعني الشرك والاستهزاء ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ يعني من آثامهم ﴿مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى﴾ يعني ذكروهم بالقرآن إذا فعلوا ذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يعني لكي يتقوا الإستهزاء. قال الكلبي[٢]: وذلك أن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا: يا رسول الله: لئن قلنا كلما استهزؤا بالقرآن قمنا من عندهم، لا نستطيع أن نجلس في المسجد الحرام فنزل (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء. . . الآية). قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِيْنَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً. ﴾ قال الضحاك: يعني كفار قريش، نصبوا أصنامهم في المسجد الحرام إلى أنصاب الحرم وقرطوها بالمقراط، وعلقوا بيض النعامة في أعناقها فنزل: (وذر الذين آتخذوا دينهم لعباً ولهواً). وقال الكلبي: إن الله تعالى جعل لكل قوم عيداً يعظمونه ويصلون فيه لله تعالى وكل قوم آتخذوا دينهم يعني عيدهم لعباً ولهواً إلا هذه الأمة فإنهم آتخذوا عيدهم صلاة لله وحصناً للصدقة وهي الجمعة والفطر والأضحى[٣]. قال مقاتل[٤]: آتخذوا دينهم الإسلام لعباً يعني باطلاً ولهواً عنه ثم قال: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ﴾ يعني عِظْ وَخَوِّفْ بالقرآن ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ يعني لكي لا تهلك نفس ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعني بما عملت. ويقال: تبسل نفس يعني تسلم نفس بذنوبها إلى النار وهذا قول الضحاك[٥]. وقال الأخفش: أن ترهن نفس بما عملت. ويقال: تحبس وقال القتبي: أي تسلم للهلكة. ويقال: تخذل ولا تنصر ثم قال: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾ يعني إذا وقع في العذاب لم يكن لها مانع يمنعها من العذاب. ﴿وَلاَ شَفِيعٌ﴾ يشفع لها ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [يقول: لو جاءت بعدل نفسها رجلاً مكانها أو يفتدي بما في الأرض جميعاً لا يؤخذ][٦] يعني لا يقبل منها ﴿أُولَئِكَ الَّذِيْنَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾ يعني أهلكوا. ويقال أسلموا بذنوبهم إلى النار ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيْمٍ﴾ يعني ماء حار قد انتهى حره ﴿وَعَذَابٌ أَلِيْمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ في الدنيا. قوله تعالى:

قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾

﴿قُلْ: أَنَدْعُواْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾. قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة عذبوا نفراً من المسلمين وراودوهم على الكفر قال الله تعالى للمسلمين: قولوا لهم: (أندعوا من دون الله) يعني الأوثان (مالا ينفعنا) في الآخرة (ولا يضرنا) في الدنيا ﴿وَنُرَدّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ نعود ونرجع إلى الشرك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَالذي اسْتَهْوَتْه الشَّيَاطِيْنُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ يعني كمثل رجل كان مع قوم فضل الطريق فحيره الشياطين و﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ يعني إلى الطريق أن ﴿ائتِنَا﴾ فإنا على الطريق فأبى أن يأتيهم فذلك مثلنا، إن تركنا دين محمد ـ عليه السلام ـ. وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار، يقول: الكافر حيران يدعوه المسلم إلى

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٥٦، وسراج القارىء ٢٠٩ وشرح شعلة ٣٦٤.
(٢) انظر تفسير البغوي ٢/١٠٥.
(٣) انظر تفسير القرطبي ٧/١٣ تفسير البغوي ٢/١٠٦.
(٤) انظر تفسيره ١/٣٨١.
(٥) انظر معالم التنزيل للبغوي ٢/١٠٦.
(٦) سقط في أ.

الهدى فلا يجيب الكافر[١] وقال ابن عباس في رواية أبي صالح نزلت الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فأبى أن يأتيهما وهو يدعوهما إلى الشرك فضرب الله تعالى له المثل بالذي استهوته الشياطين يعني أضلته[٢] ﴿قُلْ: إِنَّ هُدَى اللَّهِ هو الْهُدَى﴾ يعني دين الله هو الإسلام ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾ يعني لنخلص بالعبادة والتوحيد بالله تعالى. قرأ حمزة[٣] (استهواه) [بلفظ التذكير بالإمالة][٤]. وقرأ الباقون (استهوته) بلفظ التأنيث لأن فعل الجماعة مقدم فيجوز أن يذكر ويؤنث كقوله: (توفته رسلنا) قوله تعالى:

وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

﴿وَأَنْ أَقِيْمُوا الصَّلاَةَ﴾ يعني وأمرنا بالهدى وبالعمل يعني أقيموا الصلاة ﴿واتَّقُوهُ﴾ يعني وحدوه ويقال: أطيعوه، ويقال: هذا عطف على قوله: و (له أصحاب يدعونه إلى الهدى) وإلى إقامة الصلاة ويقال: معناه أمرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة واتقوه يعني وحدوه وقيل: أطيعوه. ثم خوفهم فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرضَ بِالْحَقِّ﴾ يعني للحق والعبرة. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ:﴾ اليوم صار نصباً لأن معناه واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً. ويقال: معناه واذكروا يوم يقول: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ يعني يوم البعث يقول: إنتشروا فانتشروا كلهم كقوله تعالى: [(يخرجون من الأجداث) يعني القبور][٥] (كأنهم جراد منتشر). ثم قال: ﴿قَوْلُه الْحَقّ﴾ قوله رفع بالابتداء وخبره الحق يعني قوله الصدق أنه كائن [قرأ ابن[٦] عامر (فيكون) بالنصب على معنى الخير وكذا في كل القرآن إلا في موضعين هاهنا وفي آل عمران وقرأ الباقون بالرفع[٧] على معنى الخبر] ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يوم صار نصباً لنزع الخافض ومعناه: وله الملك في يوم ينفخ في الصور وهذا كقوله عز وجل: (لمن الملك اليوم.) وكقوله: (مالك يوم الدين) ويقال: هذا مبين لقوله الأول ومعناه يوم يقول له: كن فيكون يوم ينفخ في الصور. وروي عن أبي عبيدة أنه قال: معناه يوم يُنْفُخ الأرواح في الصور يعني في الأجسام وهذا خلاف أقاويل جميع المفسرين لأنهم كلهم قالوا: هو نفخ إسرافيل في الصور[٨]. وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه[٩]. وفي خبر آخر: وصاحب الصور قد التقمه ينتظر متى يؤمر فينفخ فيه[١٠] ثم قال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾ الغيب: ما غاب عن العباد، والشهادة: ما علم العباد به. ويقال: السر والعلانية. ويقال: عالم بما يكون وبما قد كان. ويقال: عالم بأمر الآخرة وبأمر الدنيا. ﴿وَهُوَ الْحَكِيْمُ الْخَبِيْرُ﴾ يعني الحكيم في أمره الخبير بأفعال الخلق وبأمر البعث. قوله تعالى:

---

(١) انظر تفسير الطبري ١١/٤٥٣.
(٢) انظر تفسير ابن عباس ٨٩.
(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٥٦، سراج القارىء ٢٠٩.
(٤) في ب [على لفظ الواحدان بالإمالة].
(٥) ما بين المعقوفين سقط من أ.
(٦) ما بين المعقوفين سقط من ظ.
(٧) انظر تفسير القرطبي ٧/١٥.
(٨) انظر تفسير الطبري ١١/٤٦٣.
(٩) أخرجه الترمذي ٤/٥٣٦ في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصور ٢٤٣٠ وأخرجه أبو داود ٤/٢٣٦ في كتاب السنة باب في ذكر البعث والصور ٤٧٤٢ وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير وأخرجه أحمد في المسند ٣/٧٣.
(١٠) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٢٦ وأخرجه الترمذي في الموضع السابق ٢٤٣١.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيْه آزَرَ﴾ وكان إسم أبيه تارح بن ناخور بلغة قومه وبلغة غيرهم كان آزر. وقال السدي كان اسم أبيه آزر[١]. وهكذا قال الكلبي[٢]. وقال بعضهم: لم يكن آزر إسم أبيه ولكن كان إسم كبير أصنامهم فقال أبوه لإبراهيم: ربي آزر فقال إبراهيم على وجه التعجب آزر ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً﴾. وقال مجاهد[٣]: آزر ليس اسم أبيه وإنما هو اسم صنم وقال الضحاك: عن ابن عباس: إن في هذه الآية تقديماً فكأنه قال: أتتخذ آزر أصناماً آلهة يعني أتتخذ الصنم إلهاً[٤]. ويقال: آزر بلغتهم: المخطىء الضال، ومعناه وإذ قال إبراهيم لأبيه يا آزر (المخطىء، أتتخذ أصناماً آلهة.). وقرأ الحسن ويعقوب الحضرمي[٥]: (آزر) بالضم ويكون معناه: وإذ قال إبراهيم لأبيه يا آزر والقراءة المعروفة بالنصب لأنه على ميزان أفعل فلا ينصرف فصار نصباً وهو بموضع الخفض، ولأنه اسم أعجمي، فلا ينصرف. ثم قال: ﴿إِنّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِيْنٍ.﴾ يعني في خطأ وجهل بَيِّنٍ بعبادتكم الأصنام. ثم قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيْمَ مَلَكُوتَ﴾ والملكوت والملك بمعنى واحد إلا أن الملكوت أبلغ مثل: رَهَبُوت، وَرَحَمُوت كما يقال في المثل: (رَهَبُوت خير من رَحَمُوت) يعني لأن ترهب خير من أن ترحم، يعني لما أن إبراهيم برىء من دين أبيه أراه الله ملكوت ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يعني عجائب السموات والأرض ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِيْنَ﴾ يعني لكي يكون من الموقنين والواو زيادة كقوله: (ولنحمل خطاياكم) يعني لكي تحمل وكذلك هاهنا ليكون من الموقنين يعني حتى يثبت على اليقين. قال بعضهم: صارت فرجة في السماء حتى رأى إلى سبع سماوات وصارت فرجة في الأرض حتى رأى إلى تحت الصخرة. ويقال: حين عرج به إلى السماء فنظر إلى عجائب السموات. وروي عن عطاء أنه قال: لما رفع إبراهيم في ملكوت السماوات أشرف على عبد يزني فدعا عليه فهلك، ثم أشرف على آخر يزني فدعا عليه فهلك، ثم رأى آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له ربه: - عز وجل -: على رِسْلِك يا إبراهيم فإنك مستجاب لك، وإني من عبدي على إحدى ثلاث خلال: إما أن يتوب فأتوب عليه وإما أن أُخْرِج منه ذرية طيبة، وإما أن يتمادى فيما هو فيه فأنا من ورائه[٦]. أي أنا قادر عليه. وروي عن سلمان الفارسي[٧] أنه قال: لما رأى إبراهيم ملكوت السموات رأى عَبْداً على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة فدعا عليه قال الله تعالى أَنْزِلوا عبدي كي لا يهلك عبادي. ويقال: إنه كان يقول: أنا أرحم الخلق فلما رأى المعصية فدعا عليهم قال الله تعالى: أنا أرحم بعبادي منك اهْبط لعلهم يرجعون[٨]. ويقال: إن نمرود بن كنعان قالت له كهنتُه: يولد في هذه السنة غلام ينازعك في ملكك، فأمر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة. ويقال: رأى في المنام أن كبشاً دخل عليه فنطح سريره بقرنه فسأل المعبِّرين، فأخبروه أنه يولد غلام ينازعك في ملكك فأمر بذبح كل غلام يولد، فحملت أم إبراهيم بإبراهيم ولم يتبين حملها ولم يعرف أحد أنها حامل حتى أخذها الطَّلْق فخرَّت إلى جبل من الجبال ودخلت في غار فولدت إبراهيم وخرجت

---

(١) أخرجه ابن جبر الطبري في التفسير ١١/٤٦٦. (٢) انظر معالم التنزيل للبغوي ٢/١٠٨.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير ١١/٤٦٦ وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٣. لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٧/١٦. (٥) انظر تفسير القرطبي ٧/١٧ البحر المحيط ٤/١٦٤.

(٦) أخرجه ابن جرير ١١/٤٧٤ (١٣٤٥٣). (٧) المصدر السابق ١٣٤٥٢. (٨) انظر المصدر السابق (عن أسامة) (١٣٤٥٤).

ووضعت صخرة على باب الغار فجاءه جبريل ـ عليه السلام ـ ووضع إبهامه في فمه وكان يمصه ويخرج منه اللبن وكان يجعل سبّابته في فمه فيمصها ويخرج منها العسل حتى كبر وأدرك في أيام قليلة[1]. ويقال: إن أمه كانت تختلف إليه وترضعه حتى أرضعته سنتين وتحمل إليه الطعام حتى أدرك في المدة التي يدرك فيها الصبيان، فخرج من الغار فنظر إلى السماء وإلى الأرض وإلى الجبال فتفكر في نفسه ثم قال: إن لهذه الأشياء خالقاً خلقها، والذي خلق هذه الأشياء هو الذي خلقني فذلك قوله: (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين). وكان في ذلك التفكير إذا نظر إلى نجم يضيء وهو المشتري فرآه أَضْوَءَ الكواكب وقد علم أن الله تعالى أعلا الأشياء ولا يشبهه شيء من خلقه ورأى الكواكب أعلا الأشياء وكان أحسنها:

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً، قَالَ هَذَاْ رَبِّي﴾ وقال: هذا بغير فكرة، فكان ذلك منه زلة، ويقال إنما قال ذلك على سبيل الاستفهام أهذا ربي؟ ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ يعني غاب الكوكب ﴿قَاْلَ: لَا أُحِبُّ الآفِلِيْنَ﴾ يعني لا أحب ربنا يتغير عن حاله ويزول. ﴿فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغَاً﴾ يعني طالعاً، ويقال: إن ذلك كان في وقت السحر وكان ذلك في آخر الشهر فرأى كوكباً يعني الزهرة حين طلعت وكان من أضوء الكواكب فلما ارتفع وطلع الفجر نقص ضوؤه قال لا أحب الآفلين، يعني لا أحب ربنا يتغير، فلما رأى القمر فرأى ضوءه أكثر ﴿قَاْلَ: هَذَا رَبِّي﴾ على سبيل الاستفهام ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ يعني نقص ضوؤه حين أسفر الصبح ﴿قَاْلَ: لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِن الْقَوْمِ الضَّالِّيْنَ﴾ يعني لئن لم يحفظ ربي قلبي لقد كنت اتخذت إلهاً ما لم يكن إلهاً. ﴿فَلَمَّا رأى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ يعني طالعة قد ملأت كل شيء ضوءاً ف﴿قَاْلَ: هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرْ﴾ يعني أعظم، وأكثر نوراً ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ يعني غربت علم أنه ليس بإله فجاءته أمه فقال لها: من ربي؟ قالت: أنا قال: ومن ربك؟ قالت أبوك: قال: ومن رب أبي؟ قالت: نمرود بن كنعان قال: ومن ربه؟ قالت له: اسكت فقال لها كيف هو؟ هل يأكل ويشرب وينام؟ قالت: نعم قال: هذا لا يصلح أن يكون رَبًّا وإلهاً، فرجعت الأم إلى أب إبراهيم فأخبرته بالقصة فخرج إليه فسأله مثل ذلك ثم قال له في آخره: تعال حتى تعبد الذي خلقني وخلقك وخلق نمرود فغضب أبوه فرجع عنه ثم دخلت عليه رأفة الوالد لولده فرجع إليه وقال له: أدخل المِصْر لتكون معنا فدخل فرأى القوم يعبدون الأصنام فدَعَوْه إلى عبادة الأصنام ف﴿قَاْلَ﴾ لهم حينئذ: ﴿يَاْ قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ ممَّا تُشْرِكُونَ﴾ فقيل له: من تَعْبُد أنت يا إبراهيم؟ فقال: أعبد الله الذي خلقني وخلق السموات والأرض فذلك قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي﴾ يعني أخلصت ديني وعملي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ﴾ يعني خلق السموات ﴿وَالْأَرْضَ حَنِيْفَاً﴾ يقول: إني وجهت وجهي مخلصاً مستقيماً ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾ على دينكم. ويقال: أن قوله: (هذا ربي) قال ذلك لقومه على جهة الاستهزاء بهم. كما قال: (بل فعلهم كبيرهم هذا). ويقال: أراد بهذا أن يستدرجهم فيظهر قبيح فعلهم وخطأ مذهبهم وجهلهم لأنهم كانوا يعبدون النجوم والشمس

(١) انظر المصدر السابق ١٣٤٥٩، ١٤٣٦٤.

والقمر فلما رأى الكوكب قال لهم: هذا ربي، وأظهر لهم أنه يعبد ما يعبدون فلما غاب الكوكب قال لهم: لا أحب الآفلين. فأخبرهم بأن الآفل لا يصلح أن يكون إلهاً. ثم قال في الشمس والقمر هكذا. كما روي عن عيسى ـ عليه السلام ـ أنه بعث رسولاً إلى ملك أرض فلما انتهى إليهم جعل يسجد ويصلي عند الصنم ويريهم أنه يعبد الصنم وهو يريد عبادة الله تعالى. ثم إن الملك ظهر له عدو، فقالوا لهذا الرسول: أشر علينا بشيء في هذا الأمر، فقال: نتشفع إلى هذا الذي نعبده، فجعلوا يسجدون له ويتشفعون إليه فلا يسمعون منه جواباً، فقالوا: إنه لا ينفعنا شيئاً. قال لهم: لم تعبدون من لا يدفع عنا ضراً؟ ارجعوا حتى نعبد من ينفعنا فقالوا: لمن نعبد؟ قال: لرب السماء فجعل يدعو ويدعون حتى فرّج الله عنهم فآمن به بعضهم. وكذلك هاهنا أراد إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن يريهم قبح ما يعبدون من دون الله لعلهم يرجعون فلما لم يرجعوا قال (يا قوم إني بريء مما تشركون). قرأ حمزة والكسائي[1]: (رأى كوكباً) بكسر الراء والألف وهي لغة لبعض العرب والنصب أفصح. قوله تعالى:

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَحَاجَّه قَوْمُهُ﴾ معناه وحاجه قومه في دين الله، يعني خاصموه، فـ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾ يعني أتخاصموني في دين الله ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾ الله لدينه. قرأ نافع وإبن عامر في رواية ابن ذكوان[2]: (أتحاجّوني) بتشديد الجيم وتخفيف النون. وقرأ الباقون: بتشديد النون لأن أصله (أتحاجونني) بنونين فأدغم أحدهما في الآخر، فقال (أتحاجوني) يعني أتجادلوني في دين الله (وقد هداني) يعني بيّن لي الطريق، وكانت خصومتهم أنهم حين سمعوه عاب آلهتهم فقالوا له: أما تخاف تخبلك فتهلك؟ فقال: إني لا أخاف ما لا يسمع ولا يبصر. وقال الكلبي ومقاتل[3]: لما خوّفوه بذلك قال لهم: إنما تخافون أنتم إذ سوّيتم بين الذكر والأنثى والصغير والكبير، أما تخافون من الكبير إذ سويتموه بالصغير؟ وهذا قوله ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾. قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ فيضلني فأخاف منهم. ويقال: (إلا أن يشاء ربي شيئاً) يعني ملأ علم ربي كل شيء علماً يعني يعلم السر والعلانية ثم قال: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يعني أفلا تتعظون فتؤمنون به؟ قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ يعني من الأصنام ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ يقول: كتاباً وعذراً وحجة لكم فيه ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ من العذاب؟ الموحّد أم المشرك ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك. ثم قال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾. قال بعضهم: هذا قول الله تعالى لما حكى قول إبراهيم للنبي ـ صلى

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٥٦ ـ ٢٥٧ سراج القارىء ٢١٠.
(٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٥٧ سراج القارىء ٢١١.
(٣) انظر تفسير مقاتل ١/ ٣٨٥.

الله عليه وسلم ـ قال على أثر ذلك (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) يعني لم يخالطوا تصديقهم بالشرك ولم يعبدوا غيره[١]. ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ من الضلالة وقال بعضهم: هذا كله قول إبراهيم لقومه. وروي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: من ابْتُلِي فصبر وأُعْطِي فشكر وظَلَم فاستغفر وظُلِمَ فغفر. قيل له: ما لهم يا رسول الله قال: (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)[٢]. قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا الماسرجي قال: حدثنا أبو كريب[٣] قال: حدثنا ابن إدريس[٤] عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا: يا رسول الله: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ألا ترون إلى قول لقمان لابنه (إن الشرك لظلم عظيم)[٥]. يعني إن الظلم أراد به الشرك. ثم قال ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ يعني أعطيناها إبراهيم على قومه يعني وفقناه للحجة يخاصم بها قومه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ يعني فضائل من نشاء في الدنيا بالحجة وفي الآخرة بالدرجات ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في أمره ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه من يصلح للنبوة. قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي[٦] (درجات) بالتنوين. وقرأ الباقون: (درجات) على معنى الإضافة. ثم قال:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير عن ابن جريج ١١/٤٩٣.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/١٠٤ باب في تعديد نعم الله عز وجل وشكرها ٤٤٣١ وذكره السيوطي في جامعه الصغير ٢٢/٦ (فيفي) وزاد نسبته للطبراني الكبير وقال المناوي في إسناد حديثه ضعف، والحديث ذكره السيوطي أيضاً في الدر ٢٧/٣ وفي كنز العمال ٥٦١٦.

(٣) محمد بن العلاء بن كريب الهمذاني أبو كريب الكوفي الحافظ روى عن خلق وروى عنه خلق، قال النسائي: لا بأس به، وقال مرة: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين ومائتين. انظر التهذيب ٩/٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(٤) عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن بن الأسود الأودي ـ الزغافري أبو محمد الكوفي روى عن أبيه وخلق وروى عنه خلق، قال أبو حاتم هو حجة يحتج به، وهو إمام من أئمة المسلمين ثقة انظر التهذيب ٥/١٤٤ ـ ١٤٦.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ٣٢ في أحاديث الأنبياء :٢٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩، ٤٧٧٦، ٦٩١٨، ٦٩٣٧ ومسلم في الإيمان ١٢٤ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨ والترمذي في التفسير ٣٠٦٧.

(٦) وحجتهم في ذلك أن الله قد بين معنى هذا الكلام في غير موضع من القرآن فجعل المرفوع هو الإنسان وبين فضل من أحب أن يفضله بأن يرفعه فقال: (يرفع الله الذين آمنوا منكم) وقال: (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً).

فجعلهم هم المرفوعين دون الدرجات وفي الآية تقديم وتأخير المعنى (نرفع من نشاء درجات) و (من) في موضع النصب ونجعل (درجات) مفعولاً ثانياً أو حالاً.

وقرأ الباقون: (نرفع درجات) بغير تنوين وحجتهم ذكرها اليزيدي فقال (كقولك (نرفع أعمال من تشاء) فجعل اليزيدي الرفع للأعمال دون الإنسان والذي يدل على هذا أن الآثار قد جاءت في الدعاء مضافة كقولهم للميت: (اللهم شرف بنيانه وارفع درجته) ولا يقال: (ارفعه) وقد روى في التفسير في قوله: (نرفع درجات من نشاء) أي في العلم. انظر ابن زنجلة ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ يعني لإبراهيم ﴿إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾ قال الضحاك: ولدت سارة إسحق ولها تسعة وتسعون سنة ولإبراهيم مائة وعشرون سنة ثم ولد لإسحق يعقوب ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ يعني إسحٰق ويعقوب هديناهما بالنبوة والإسلام ﴿وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يعين هديناه للنبوة والإسلام من قبل إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾. قال الكلبي: يعني من ذرية نوح[1]. وقال الضحاك: يعني من ذرية إبراهيم[2] ﴿دَاوُودَ﴾ النبي ـ عليه االسلام ـ ﴿وَسُلَيْمَانَ﴾ وهو ابن داود ﴿وَأَيُّوبَ﴾ وهو من ولد عيصو بن إسحق ﴿وَيُوسُفَ﴾ وهو ابن يعقوب ﴿ وَمُوْسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ﴾ يعني نعطيهم أفضل الثواب. ﴿وَزَكَرِيَّا﴾ يعني من ذرية إبراهيم زكريا ﴿وَيَحْيَى وعِيْسَى وَإِلْيَاسَ﴾ قال الضحاك: كان إلياس من ولد إسماعيل[3] وذكر عن القتبي: أنه كان من سبط يوشع بن نون. ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾ يعني من المرسلين. ﴿واسْمَاعِيْلَ﴾ وهو من صلب إبراهيم ـ علية السلام ـ ﴿والْيَسَعَ﴾ قرأ حمزة والكسائي[4]: (والليسع) مشدداً وقرأ الباقون: واليسع بالتخفيف فمن قرأ بالتشديد فالاسم منه: (ليسع) ثم أدخلت الألف واللام للتعريف فصار الليسع ومن قرأ بالتخفيف فالإسم منه (يسع) ثم أدخلت الألف واللام للتعريف فصار اليسع وكذا هذا الاختلاف في سورة (ص). وكان اليسع تلميذ إلياس وكان خليفته من بعده ﴿وَيُونُسَ﴾ ابن متى ﴿وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِيْنَ﴾ بالرسالة والنبوة في ذلك الزمان ثم ذكر آباءهم فقال: ﴿وَمِنْ ءَابَائِهِم وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ يعني وقد (اصطفيناهم بالنبوة يعني آدم ونوحاً وإدريس وهوداً وصالحاً ـ عليهم السلام ـ ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو دين الإسلام. ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ يعني دين الله ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني يكرم بدينه من يشاء من عباده ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ﴾ يعني هؤلاء النبيين ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ.﴾ في الدنيا يعني إنما فضلهم الله بالطاعة. ثم قال: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ يعني العلم والفهم والفقه ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي الأنبياء ﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعني أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ يعني ألزمنا بها ﴿قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِيْنَ﴾. قال سعيد بن جبير: هم الأنصار[5]. ويقال: (فإن يكفر بها) يعني بآياتنا (فقد وكلنا بها) يعني بالإيمان بها (قوماً ليسوا بها بكافرين) يعني الأنبياء الذين سبق ذكرهم ويقال: الملائكة. وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (فإن يكفر بها هؤلاء) يعني أمة محمد ـ عليه السلام ـ فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها كافرين يعني النبيين الذين قص الله عنهم[6]. ثم قال: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ هَدَى اللَّهُ﴾ يعني الأنبياء ﴿فَبِهُدَاهُمُ﴾ يعني بسنتهم وتوحيدهم ﴿اقْتَدِهْ﴾ على دينهم استقم واعمل به. وفي هذه الآية دليل: أن شرائع المتقدمين واجبة علينا ما لم يظهر نسخها إذا ثبت ذلك في الكتاب أو على لسان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن الله تعالى أمرنا بأن نقتدي بهداهم، واسم الهدى يقع على التوحيد والشرائع مثل قوله: (ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين.) والكتاب يشتمل على الشرائع

---

(١) انظر تفسير الطبري ٥٠٧/١١.
(٢) وهو قول ابن عباس انظر تفسير الطبري ٢٢/٧.
(٣) انظر تفسير القرطبي ٢٣/٧.
(٤) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٥٩ سراج القارى ٢١٢.
(٥) أخرجه ابن جرير الطبري من طريقة ابن عباس ٥١٥/١١.
(٦) انظر تفسير الطبري ٥١٧/١١.

وغيرها. قرأ حمزة والكسائي[١]: (فبهداهم اقتده) بالهاء في الوقف والوصل جميعاً. وقرأ الباقون[٢]: بالهاء في الوصل والوقف جميعاً لأنها هاء الوقف مثل قوله: (كتابيهْ) و (حسابيهْ) ثم قال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ يعني قل للمشركين لا أسألكم على الإيمان والقرآن جَعْلاً ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني ما هو وهو القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني موعظة للعالمين الإنس والجن. قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يعني ما عظَّموا الله حق عظمته وما عرفوه حق معرفته، نزلت في مالك بن الضيف خاصمه عمر في النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه مكتوب في التوراة فغضب وقال: (ما أنزل الله على بشر من شيء) وكان رئيس اليهود فعزلته اليهود عن الرئاسة بهذه الكلمة. قال مقاتل[٣]: نزلت هذه الآية بالمدينة وسائر السور بمكة ويقال: إن هذه السورة كلها مكية وكان مالك بن الضيف خرج مع نفر إلى مكة معاندين ليسألوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أشياء وقد كان اشتغل بالنعم وترك العبادة وسمن، فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم بمكة فقال له رسول الله: أنشدك الله أتجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ قال: نعم قال: فأنت الحبر السمين فقد سمنت من مأكلتك فضحك به القوم فخجل مالك بن الضيف وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء فبلغ ذلك اليهود فأنكروا عليه فقال: إنه قد أغضبني فقالوا: كلما غضبت قلت بغير حق وتركت دينك؟ فأخذوا الرياسة منه وجعلوها إلى كعب بن الأشرف فنزلت هذه الآية: (وما قدروا الله حق قدره) حيث جحدوا تنزيله ﴿إِذْ قَالُواْ: مَآ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني على رسول من كتاب ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ وهو التوراة ﴿نُوراً﴾ يعني ضياء ﴿وَهُدَىً﴾ يعني بياناً ﴿لِلنَّاسِ﴾ من الضلالة ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ يقول: تكتبونه في الصحف ﴿تُبْدُونَهَا﴾ يقول: تظهرونها في الصحف ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ يعني تكتمون ما فيه صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونعته وآية الرجم وتحريم الخمر ﴿وَعُلِّمْتُم مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُم وَلَا ءَابَاؤُكُمْ﴾ يعني علمتم أنتم وآباؤكم في التوراة ما لم تعلموا. ويقال: علمتم على لسان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُلْ: اللَّهُ﴾ أنزله على موسى ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ إن لم يصدقوك ﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾ يعني في باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ يعني يلهون ويفترون. قرأ ابن كثير وأبو عمرو[٤]: (يجعلونه قراطيس يبدونها

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٦٠ سراج القارى ٢١٢.

(٢) وقرأ ابن عامر (اقتدهى) بالإشباع جعلها اسماً قال بعض أهل البصرة: جعل ابن عامر الهاء فيه ضميراً لمصدر وهو الاقتداء كأن الأصل فيه (فبهداهم اقتد اقتداء) ثم أضمر (الاقتداء) فقال (فبهداهم اقتدهى) انظر حجة القراءات ٢٦٠.

(٣) انظر التفسير ١/٣٨٧.

(٤) انظر حجة القراءات ٢٦١ سراج القارى ٢١٢.

ويخفون كثيراً) كل ذلك بالياء على لفظ المغايبة. وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة لأن إبتداء الكلام على المخاطبة. ثم قال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني القرآن أنزلناه على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿مُبَارَكٌ﴾ لمن عمل به لأن فيه مغفرة للذنوب. وقال الضحاك: (مبارك) يعني القرآن لا يتلى على ذي عاهة إلا برىء ولا يتلى في بيت إلا وخرج منه الشيطان. ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني هو مصدق الذي بين يديه من الكتب ﴿وَلِيُنْذِرَ﴾ قرأ عاصم[١] في رواية أبي بكر: (ولينذر) بالياء يعني الكتاب يعني أنزلناه للإنذار والبركة. وقرأ الباقون بالتاء يعني لتنذر به يا محمد ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ يعني أهل مكة [وهي أصل القرى][٢] وإنما سميت أم القرى لأن الأرض كلها دُحِيَتْ من تحت الكعبة. ويقال: لأنها مثلث قبلة للناس جميعاً أي يؤمونها. ويقال: سميت أم القرى لأنها أعظم القرى شأناً ومنزلة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يعني قرى الأرض كلها. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ يعني بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي بالقرآن ومن هم في علم الله أنه سيؤمن ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ بوضوئها وركوعها وسجودها ومواقيتها.

وقوله تعالى:

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً، أَوْ قَالَ: أُوحِيَ إِلَيَّ، وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾. نزلت في مسيلمة الكذاب زعم أن الله تعالى أوحى[٣] إليه وهو قوله ﴿وَمَنْ قَالَ: سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني عبد الله بن أبي سرح كان كاتب الوحي فكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أملى عليه: (سميعاً عليماً) يكتب: عليماً حكيماً، وإذا أملى عليه: عليماً حكيماً كتب هو سميعاً بصيراً وشك وقال: إن كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوحى إليه فقد أوحي إلي وإن كان ينزل إليه فقد أُنزِلَ إليّ مثل ما أُنزل إليه فلحق بالمشركين وكفر. وقال الضحاك: هو مسيلمة الكذاب كان يقول: بعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جسيم الأمور وبعثت إلى محقرات الأمور. ويقال: هذا جواب لقولهم: (لو نشاء لقلنا مثل هذا). ثم قال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ يعني ولو تعلم إذ الكافرون ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي في نزعات الموت وسكراته فحذف الجواب لأن في الكلام دليلاً عليه ومعناه لو رأيتهم لرأيتهم في عذاب شديد. ثم قال: ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ بالضرب ويقولون: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني أرواحكم الخبيثة قال الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا أبو القاسم أحمد بن حسين قال: حدثنا محمد بن سلمة قال: حدثنا أبو أيوب

---

(١) وحجته قوله: (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) أي لينذر الكتاب أهل مكة وحجة من قرأ بالتاء قوله تعالى (إنما أنت منذر) انظر حجة القراءات ٢٦١.

(٢) سقط في ظ.

(٣) انظر تفسير الطبري ١١/٥٣٣.

عن القاسم بن الفضل الحداني[1] عن قتادة عن أسامة بن زهير[2] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إن المؤمن إذا حضره الموت أتته الملائكة بحريرة فيها مسك ومن ضباير الريحان وتسل روحه كما تُسَلُّ الشَّعْرة من العجين، ويقال لها: يا أيتها النفس الطيبة اخرجي راضية مرضية ومرضيًّا عنك إلى روح الله وكرامته، فإذا خرجت روحه وُضِعَت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها إلى عليين وإن الكافر إذا حضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه آنتزاعاً شديداً ويقال لها: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطة إلى هوان الله وعذابه فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وإن لها نشيجاً ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين[3]. ثم قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يعني إذا بعثوا يوم القيامة. ويقال لهم: اليوم تجزون ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ يعني الهوان أي: الشديد ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بأن معه شريكاً ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ يعني عن الإيمان بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالقرآن ولم تقروا به. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ يعني في الآخرة فرادى لا ولد لكم ولا مال. الفرادى جمع فرد، يعني ليس معكم من دنياكم شيء ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني أعطيناكم من المال والولد ﴿وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ يعني آلهتكم ﴿الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَنَّهُمْ فِيْكُمْ شُرَكَاءُ﴾ يعني قلتم: لي شريك ولكم شفعاء عند الله ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾. قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية حفص[4]: (بينَكُم) بالنصب وقرأ الباقون: (بَيْنُكم) بالضم فمن قرأ بالضم جعل البَيْن اسماً يعني تقطع وصْلُكم ومودتكم، ومن قرأ بالنصب فمعناه لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم، فيصير نصباً بالظرف. كما نقول: (أصبحت بينكم) أي فيما بينكم ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ يعني إشتغل عنكم ما كنتم تعبدون وتزعمون أنها شفعاؤكم. وقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يعني يشق الحبة اليابسة فيخرج منها ورقاً خضراً، ويقال: فالق الحب مثل البر والشعير والذرة والحبوب كلها، والنوى كل ثمرة فيها نوى، مثل الخوخ والمشمش والغبيرا والأجاص ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ وقد ذكرنا تأويله ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ يعني هذا الذي يفعل بكم هو الله تعالى ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ يعني كيف تكفرون ومن أين تكذبون فذكر عيب آلهتهم. ثم دل على وحدانيته بصنعته ثم قال: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ يعني خالق الإصباح، والإصباح والصبح واحد، ويقال: الإصباح مصدر أصبح يصبح إصباحاً. والصبح: إسم، وقال: فالق الإصباح: يعني خالق النهار ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً﴾ قرأ أهل الكوفة حمزة والكسائي وعاصم[5]: (وجعل الليل) على معنى الخبر، وقرأ الباقون: (جاعل الليل سكناً) على معنى الإضافة

---

(١) القاسم بن الفضل بن معدان بن قريط الحداني الأزدي أبو المغيرة البصري قال ابن معين مات سنة سبع وستين ومائة. انظر التهذيب ٨/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٢) أسامة الفارس أبو ميمونة روى عن أبي هريرة روى عنه ابنه هلال بن أبي ميمونة ويحيى بن أبي كثير وقتادة. انظر الجرح والتعديل ٢/ ٢٨٤.

(٣) بنحوه أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٨٧.

(٤) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٦١ وسراج القاري ٢١٣.

(٥) انظر حجة القراءات ٢٦٢ سراج القارى ٢١٣.

يعني يسكن فيه الخلق. ثم قال: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً﴾ يعني وجعل الشمس والقمر حسباً، يعني: منازلها بالحساب لا يجاوزانه، إذا انتهيا إلى أقصى منازلهما رجعا[(١)]، وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل[(٢)]: (حسباناً) يعني يُعرف بها عدد السنين والحساب. وقال القتبي: (حسباناً) أي حساباً يقال: خذ كل شيء بحُسْبانه أي بحسابه. وقال الكلبي: ويقال: للشيء المعلق حسباناً. ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيْمِ﴾ يقول هذا فعل العزيز في ملكه، العليم بخلقه، لا فعل لأصنامكم فيه. ثم قال:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ يعني: لتعرفوا الطريق ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِ وَالْبَحْرِ﴾ يعني لتهتدوا بالكواكب في الليالي وتعرفوا بها قبلتكم ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ﴾ يعني: بيَّنا العلامات لوحدانية الله تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وإنما أضاف إلى أهل العلم لأنهم هم الذين ينتفعون به فكأنه بين لهم. ويقال: لقوم يعلمون يعني يصدقون أنه من الله تعالى. ثم قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُم﴾ يعني خلقكم ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وهو آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ يعني في الرحم ومستودع في الصلب ويقال: مستقر في الصلب ومستودع في الرحم، ويقال: مستقر في الدنيا ومستودع في القبر. قرأ ابن كثير وأبو عمرو[(٣)]: (فَمُسْتَقِرٌّ) بكسر القاف. وقرأ الباقون: بالنصب فمن قرأ بالنصب فمعناه فلكم مستقر ولكم مستودع يعني موضع قرار وموضع إيداع. ومن قرأ بالكسر فعلى معنى الفاعل. يقال: قرّ الشيء واستقر بمعنى واحد يعني كنتم مستقرين. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ يعني بينا الآيات لمن له عقل وذهن. قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني ماء المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ يعني بالمطر ﴿نَبَات كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني معاشاً للخلق من الثمار والحبوب وغير ذلك. ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً﴾ خضِر واخْضرّ بمعنى واحد، الأخضر: يعني النبات الأخضر وهو أول ما يخرج، ثم قال: ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً﴾ يعني السنبلة قد ركب بعضها بعضاً ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا﴾ يعني أخرجنا بالماء من النخل من طلعها يعني من عذوقها وثمرها ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ يعني عُذوقاً متدانية قريبة ينالها القائم والقاعد ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ يعني يخرج بالماء، قرأ الأعمش[(٤)]: (وجناتٌ) بالضم عطفها على قوله: (قنوان دانية) وقرأ العامة: بالكسر ومعناه وأخرجنا من أعناب ﴿وَالزَّيْتُونَ﴾ يعني أخرجنا منه شجر الزيتون. ﴿وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً﴾ في المنظر ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ في الطعم. يعني بعضها حلو وبعضها حامض (انْظُرُواْ

---

(١) أخرجه في معالم التنزيل للبغوي ٢/ ١١٧.
(٢) انظر التفسير ١/ ٣٩٢.
(٣) انظر حجة القراءات ٢٦٢ ـ ٢٦٣ سراج القاري ٢١٣.
(٤) وفي حجة القراءات لابن زنجلة قرأ الأعشى عن أبي بكر انظر الحجة ٢٦٤.

إلى ثَمَرِهِ) قرأ حمزة والكسائي[١]: ﴿انظروا إلى ثُمُره﴾ بضم الثاء والميم، وقرأ الباقون بالنصب وكذلك ما بعده. فمن قرأ بالنصب فهو اسم الثمرة وإنما أراد به الجنس. ومن قرأ بالضم فهو جمع الثمار. ﴿إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ يعني ونضجه يعني انظروا إلى نضجه واعتبروا به. واعلموا أن له خالقاً فهو قادر على أن يحييكم بعد الموت كما أخرج من الأرض اليابسة النبات الأخضر ومن الشجرة الثمار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ﴾ يعني في اختلاف ألوانه لعلامات ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني يصدقون ويرغبون في الحق. قوله تعالى:

وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ يعني وضعوا لله شركاء وقال مقاتل: وذلك أن بني جهينة قالوا: إن صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن بنات الرحمن، وذلك قوله: (وجعلوا لله شركاء الجن). وقال الكلبي: وجعلوا الجن شركاء الله نزلت هذه الآية في الزنادقة قالوا: إن الله تعالى وإبليس ـ لعنه الله ولعنهم ـ أخوان، قالوا: إن الله تعالى خالق الناس والدواب، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب. كقوله: (وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسباً) «سورة الصافات/ ١٥٨» قال الزجاج: معناه: أطاعوا الجن فيما سوّلت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء الله، وهذا قريب مما قاله الكلبي. ثم قال: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ يعني جعلوا لله الذي خلقهم شركاء. ويقال: وخلقهم يعني خلق الجن. ويقال: وخلقهم يعني الذين تكلموا به ﴿وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِيْنَ وَبَنَاتٍ﴾ يعني وصفوا له بنين وبنات ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعني بلا علم يعلمونه. ويقال بلا حجة وبيان. وروى عبد الله بن موسى[٢] عن جويرية[٣]، قال: سمعت رجلاً سأل الحسن[٤] عن قوله: (وخرقوا له): قال: كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل إذا كذب كذبة في نادي القوم يقول بعض القوم خرقها. ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ يعني تنزيهاً له: ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يعني هو أعلا وأجل مما يصف الكفار بأن له ولداً. قرأ نافع[٥]: (وخرَّقوا) بالتشديد على معنى المبالغة. قوله تعالى: ﴿بَدِيْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني خالق السموات والأرض يعني مبدعهما وهو أن يبتدىء شيئاً لم يكن، يعني ابتدعهما ولم يكونا شيئاً ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ.﴾ قال القتبي: (أنَّى) على وجهين: يكون بمعنى كيف كقوله: (فأتوا حرثكم أنى شئتم) «سورة البقرة: ٢٢٣» وكقوله: (أنى يحيي هذه الله بعد موتها) سورة البقرة: ٢٥٩»، ويكون بمعنى من أين كقوله: (قاتلهم الله أنى يؤفكون) «سورة التوبة/ ٣٨» وكقوله: (أنى يكون له ولد) ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ يعني

---

(١) انظر المصدر السابق وشرح شعلة ٣٧٢.

(٢) عبد الله موسى بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله النبي الطلحي أبو محمد الحجازي وقال الحافظ في التقريب صدوق كثير الخطأ. انظر التهذيب ٦/ ٤٤ ـ ٤٥، التقريب ١/ ٤٥٤.

(٣) جويرية بن قدامة ويقال جارية بن قدامة. انظر التهذيب ٢/ ١٢٥.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٣٧ وقال أخرجه أبو الشيخ عن الحسن.

(٥) انظر حجة القراءات ٢٦٤ سراج القاري ٢١٣ شرح شعلة ٣٧١.

زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يعني الملائكة وعيسى وغيرهم. وهم خلقه وعبيده ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مما خلق ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ يعني الذي فعل هذا فهو ربكم ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني لا خالق غيره ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ يعني وحّدوه وأطيعوه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يعني كفيل بأرزاقهم. ويقال: وكيل يعني حفيظ. ثم عظّم نفسه فقال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾. قال مقاتل: يعني لا يراه الخلق في الدنيا. وروى الشعبي عن مسروق قال: قلت لعائشة، هل رأى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه؟ فقالت: لقد اقْشَعَرَّ قلبي مما قلت أين أنت من ثلاثة من حدثك بهن فقد كذب، من حدثك أن النبي ﷺ رأى ربه فقد كذب. ثم قرأت: لا تدركه الأبصار: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ومن حدثك أنه قد علم ما في غد فقد كذب ثم قرأت: (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) «سورة لقمان/ ٣٤» ومن حدثك أنه كتم شيئاً من الوحي فقد كذب ثم قرأت: (يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك). ثم قال: (وهو يدرك الأبصار) يعني لا يخفى عليه شيء ولا يفوته قال الزجاج: في هذه الآية دليل: أن الخلق لا يدركون الأبصار أي لا يعرفون كيف حقيقة البصر وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه فاعلم أنهم لا يحيطون بعلمه فكيف به. ثم قال: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ بخلقه وبأعمالهم. وقال أبو العالية: لا تدركه الأبصار في الدنيا، وتدركه أبصار المؤمنين في الآخرة[1]. قوله تعالى:

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥)﴾

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني بياناً من ربكم وهو القرآن الذي فيه البيان ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ يقول: من صدق بالقرآن وآمن به فثوابه لنفسه ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ يعني من لم يصدق بالقرآن ولم يؤمن بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعليها جزاء العذاب ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ يعني بمسلط وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ يعني نبين لهم الآيات في القرآن في كل وجه ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾. قرأ ابن كثير وأبو عمرو[2]: (دَارَسْتَ) يعني ذاكرت أهل الكتاب، وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي: (وليقولوا: درست) يعني قرأت الكتب ويقال: تعلمت من جبر ويسار، وكانا غلامين بمكة عبرانيين. فقال أهل مكة: أنما يتعلم منهما. وقرأ ابن عامر: (دَرَسَت) بنصب الراء والسين يعني هذا شيء قديم قد خلقت. وقرأ بعضهم: (درست) أي قرئت، وروى عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ: (ليقولوا) بغير واو (درس) بغير تاء يعني لكي يقولوا: دَرَسَ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وكان نزول هذه الآيات سبباً لقولهم هذا فأضاف قولهم إلى الآيات. ثم قال ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يعني أصحاب محمد عليه السلام ثم قال

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ

(١) انظر في هذا الدر المنثور ٢/ ٣٧.

(٢) انظر حجة القراءات ٢٦٤ سراج القاري ٢١٣ شرح شعلة ٢٧٢.

ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني إعمل بما أنزل إليك من ربك من أمره ونهيه حين دعى إلى ملة آبائه. ثم قال ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَ﴾ يعني اتركهم على ضلالتهم. ثم قال ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ يقول: ولو شاء الله لجعلهم مؤمنين. ويقال: لو شاء لأنزل عليهم آية يؤمنوا بها. لو شاء لاستأصلهم فقطع سبب شركهم. ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظاً﴾ يعني أن لم يوحّدوا ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيْلٍ﴾ يعني بمسلط. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِيْنَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه كان يذكرون الأصنام بسوء ويذكرون عيبهم فقال المشركون: لتنتهين عن شتم آلهتنا أو لنسبنّ ربك فنهى الله تعالى المؤمنين عن شتم آلهتهم عندهم لأنهم جهلة ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً﴾ يعني اعتداء ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [يعني بلا علم منهم][(1)] ويقال: (عَدْواً) يعني ظلماً، صار نصباً بالمصدر. وفي الآية دليل: أن الإنسان إذا أراد أن يأمر بالمعروف فيقع المأمور به في أمر هو شر مما هو فيه من الضرب أو الشتم أو القتل ينبغي أن لا يأمره ويتركه على ما هو فيه. ثم قال: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا﴾ يقول: هكذا زينا ﴿لكل أمة﴾ يعني لكل أهل دين عملهم يعني ضلالتهم في الدنيا عقوبة ومجازاة لهم. ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.﴾ يعني فيجازيهم بذلك. قوله تعالى:

وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ وكان أهل الجاهلية يحلفون بآبائهم وبالأصنام وبغير ذلك وكانوا يحلفون بالله تعالى وكانوا يسمونه جهد اليمين إذا كانت اليمين بالله، ولما نزل قوله تعالى: (إن نشأ ننزل عليهم من السماء.. الآية.) قالوا: أنْزِلها فوالله لنؤمنن بك وقال المسلمون: أنْزِلها لكي يؤمنوا: فنزل: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يقول حلفوا بالله ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ إن شاء أنزلها وإن شاء لم ينزلها. ثم قال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا﴾ يقول: وما يدريكم أنها ﴿إِذَا جَاءَتْ﴾ يعني الآية ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقال مقاتل: (وما يشعركم) يا أهل مكة أنها إذا جاءتكم لا تؤمنون، وقال الكلبي: (وما يشعركم) أيها المؤمنون أنها إذا جاءت لا يؤمنون[(2)]. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي [بكر][(3)]: (إنها) بالكسر على معنى الابتداء وإنما يتم الكلام عند قوله: (وما يشعركم) ثم ابتدأ فقال: (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) ويشهد لهذا قراءة عبد الله بن مسعود: (وما يشعركم إنها إذا جاءت لا يؤمنون) وقرأ الباقون: (أنها) بالنصب على معنى البناء ويشهد لها قراءة أبي: وما يشعركم لعلها إذا جاءت. وقرأ ابن عامر وحمزة: (لاتؤمنون)[(4)] بالتاء على معنى المخاطبة، وهذه القراءة توافق لقول مقاتل. ثم قال:

(١) سقط في أ. (٢) انظر تفسير القرطبي ٧/٤٣. (٣) سقط في أ.

(٤) ونزيد ذلك تفصيلاً فنقول قال ابن زنجلة قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر (وما يشعركم أنها إذا جاءت) بكسر الألف. قال اليزيدي: الخبر متناه عند قوله: (وما يشعركم) أي ما يدريكم؟ ثم ابتدأ الخبر عنهم: (إنهم لا يؤمنون إذا جاءتهم) وكسروا الألف على الاستئناف. قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله (وما يشعركم إنها إذا جاءت) ما منعها أن تكون كقولك: (وما يدريك أنه لا يفعل؟) =

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُم﴾ يعني نترك قلوبهم وأبصارهم مغلقة كما هي، ولا أوفقهم **﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** قبل نزول الآيات. ويقال: عند انشقاق القمر لما لم يعتبروا به ولم يؤمنوا فعاقبهم الله تعالى وختم على قلوبهم فثبتوا على كفرهم **﴿وَنَـذَرُهُمْ﴾** يقول: ونـدعهم **﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾** يعني في ضـلالتهم **﴿يَعْمَهُونَ﴾** يعني يترددون ويتحيرون فيه. ويقال: (كما لم يؤمنوا به أول مرة) يعني كما لم يؤمن به أوائلهم من الأمم الخالية لما سألوا الآية من أنبيائهم. قوله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ﴾** [هذا جواب لقولهم: لولا أنزل إليه ملك، فيكون[1] معه نذير قال الله تعالى: ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة] كما سألوا حتى يشهدوا بأنك رسول الله **﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾** بأنك رسول الله **﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾** قرأ نافع وإبن عامر[2]: (قِبَلًا) بكسر القاف ونصب الباء. وقرأ الباقون: بالضم فمن قرأ بالضم فمعناه جماعة القبيل والقبيل: الكفيل، ويقال: قبلا أي أصنافاً من الآدميين ومن الملائكة ومن الوحش. ومن قرأ: (قِبَلا) بالكسر معناه وحشرنا عليهم كل شيء معاينة فعاينوه. **﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنـوا﴾** وهذا إعلام للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنهم لا يؤمنون كما أعلم نوحاً ـ عليه السلام ـ (أنه لن يؤمن من قومك إلا

= فقال: (لا يحسن ذلك في هذا الموضع إنما قال: (وما يشعركم) ثم ابتدأ فأوجب فقال: إنها إذا جاءت لا يؤمنون) لو قال: (وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون) كان عذراً لهم) وحجتهم قوله بعدها: (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) إلى قوله (ما كانوا ليؤمنوا) فأوجب لهم الكفر وقال: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) أي أن الآية إن جاءتهم لم يؤمنوا (كما لم يؤمنوا) أول مرة.

وقرأ الباقون: (أنها إذا جاءت بالفتح. قال الخليل: إن معناها: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون قال: وهذا كقولهم (إيت السوق إنك تشتري لنا شيئاً) أي لعلك. أنشد أبو عبيدة:

أريـنـي جـواداً مـاتَ هَـزْلاً لأنـنـي ... أرى مـا تَـريـن أو بَـخِـيـلاً مُـخَـلَّدَا

يريد لعلني أرى ما ترين.

يُروى في التفسير أنهم اقترحوا الآيات وقالوا: (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) إلى قوله (حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه) فينزل الله: **﴿قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾** أي لعلها إذا جاءت لا يؤمنون على رجاء المؤمنين.

وقال آخرون: بل المعنى: (وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون) فتكون (لا) مؤكدة للجحد كما قال: (وحرام على قـرية... أهلكناها أنهم لا يرجعون) بمعنى: (وحرام عليهم أن يرجعوا). قال الفـراء (سأل الكفار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يأتيهم بالآية. التي نزلت في الشعراء: **﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾** وقال المؤمنون: (بل يا رسول الله سل ربك أن ينزلها حتى يؤمنوا) فأنزل الله: **﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾** أي (إذا جاءت يؤمنون) (ولا) صلة كقوله: **﴿وما معنك ألا تسجد إذ أمرتك﴾** أي أن تسجد.

قرأ حمزة وابن عامر: (إذا جاءت لا تؤمنون) بالتاء وحجتهما فوله :(وما يشعركم) (قال مجاهد: قوله (وما يشعركم) خطاب للمشركين الذين أقسموا فقال جل وعز: وما يدريكم أنكم تؤمنون /.

وقرأ: الباقون: بالياء إخباراً عنهم وحجتهم قوله: (نقلب أفئدتهم وأبصارهم) ولم يقل (أفئدتكم). انظر حجة القراءات ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧.

(١) ما بين المعقوفين من ب.

(٢) انظر حجة القراءات ٢٦٧ سراج القارىء ٢١٤.

من قد آمن). ثم قال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعني إلا من هو أهل لذلك فيوفقه الله تعالى ويقال: إلا أن يشاء الله **يقول: قد شاء الله** أن لا يؤمنوا حيث خذلهم ولم يوفقهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ عن ذلك. ويقال: أكثرهم **يجهلون** الحق أنه من الله تعالى. ويقال: يجهلون ما في العلامة من وجوب هلاكهم بعد العلامة أن لم يؤمنوا. **قوله تعالى:**

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ يعني أعداء ومعنى ذلك كما جعلنا لك ولأمتك أعداء مثل أبي جهل وأصحابه كذلك جعلنا لكل نبي عدواً ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ قال مقاتل: وذلك أن إبليس وكل شياطين الإنس وشياطين الجن يضلونهم فإذا التقى شيطان الجن مع شيطان الإنس قال أحدهما للآخر: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا فأَضْلِلْ أنت صاحبك بكذا وكذا فذلك قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني يكلم بعضهم بعضاً بالإضلال. وقال عكرمة للجن شياطين مثل شياطين الإنس[1]. وروي عن الزبير بن العوام أن جنياً شكا إليه ما لقي من الشيطان فعلمه دعاء ليخلص منه فدعا به. ووجه آخر شياطين الإنس والجن يعني الشياطين من الإنس والشياطين من الجن لأن كل عات متمرد فهو شيطان. وروي عن أبي ذر الغفاري أنه قال: دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في المسجد فأمرني أن أصلي ركعتين فصليت ثم جلست عنده قال: يا أبا ذر تَعَوَّذ بالله من شياطين الإنس وشياطين الجن، فقلت: يا رسول الله أَوَ من الإنس شياطين؟ فقال النبي: - صلى الله عليه وسلم - أو ما تقرأ قوله: (شياطين الإنس والجن)[2] وكذلك هذان القولان من قوله تعالى: (في صدور الناس من الجنة الناس). ثم قال: (يوحي بعضهم إلى بعض) يعني يوسوس بعضهم بعضاً ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ يعني ما زين منه، وحسن وموه، يعني يزين القول باطلاً يغرهم بذلك، وأصل الزخرف: الذهب وسمى الزينة زخرفاً لأن أصل الزينة من الذهب يعني يزين لبعض الأعمال. ثم قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ يعني لو شاء ربك لمنعهم من الوسوسة ولكن الله يمتحن بما يعلم أنه أبلغ في الحكمة وأجزل في الثواب ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ يعني خل عنهم وما يكذبون من القول والغرور. ثم قال ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ يقول: ولتميل إلى ذلك الزخرف والغرور ﴿أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ إلى هذه الزينة والغرور ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ يقول: لكي يقبلوا من الشياطين الزينة والغرور ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ يعني ليكسبوا ما هم مكتسبون من المعاصي وليعملوا ما هم عاملون. وقرأ بعضهم: (وليرضوه وليقترفوا) بجزم اللام على معنى الأمر والمراد به التهديد كقوله: (اعملوا ما شئتم) والقراءة المعروفة: بكسر اللام والمراد به التهديد، ومعناه اتركهم ليعلموا ما هم عاملون. وقوله تعالى:

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٢/٥٢ (١٣٧٦٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/١٧٨. وأخرجه الطبري ١٢/٥٣.

مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً﴾ يعني أَعْبُدُ غير الله؟ ويقال: أأطلب القضاء من غير الله؟ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾ يعني مبيناً فيه أمره ونهيه بلغة يعرفونها. ويقال: مفرقاً سورة سورة وآية آية. ﴿وَالَّذِيْنَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ يعني القرآن منزل من الله بالعدل. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص[1]: (منزّل) بتشديد الزاء. وقرأ الباقون: بالتخفيف ثم قال: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ﴾ يعني الشاكين في أنه الحق. وأنه من الله تعالى خاطبه بذلك وأراد به غيره من المؤمنين لكي لا يشكوا فيه. قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ يقول: وجب قول ربك بأنه ناصر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن عاقبة الأمر له ﴿صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ يعني صدقاً فيما وعد الله له من النصرة (وعدلًا) فيما حكم به ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ يقول: لا مغير لوعده كقوله: (لننصر رسلنا) ويقال: (لا مبدل لكلماته) يعني لا ينقض بعضها بعضاً ولا يشبه كلام البشر. وروى أنس بن مالك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلًا) قال: هو قول لا إله إلا الله ﴿وَهُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ﴾ «السميع» بما سألوا «العليم» بهم. ثم قال: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني أهل أرض مكة فيما يدعونه إلى ملة آبائه. ويقال: وإن تطع أكثر من في الأرض يعني الكفار لأن أكثر من في الأرض كانوا الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ﴾ يعني يصرفوك عن دين [الإسلام][2]. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يعني أن أكثرهم يتبعون أكابرهم بالظن ويتبعونهم فيما لا يعلمون أنهم على الحق. فإن قيل: كيف يعذبون وهم ظانون على غير يقين؟ قيل لهم: لأنهم اقتصروا على الظن والجهل لأنهم اتبعوا أهواءهم ولم يتفكروا في طلب الحق. ويقال: (إن يتبعون إلا الظن) يعني في أكل الميتة واستحلالها ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يعني ما هم إلا كاذبون باستحلالهم الميتة لأنهم كانوا يقولون: ما قتل الله فهو أولى بالحل وبأكله مما نذبحه بأيدينا. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيْلِهِ﴾ يعني: عن دينه وعن شرائع الإسلام ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيْنَ﴾ لدينه. قرأ أهل الكوفة: عاصم وحمزة والكسائي: (وتمت كلمة ربك) وقرأ الباقون: (كلمات) بلفظ الجماعة. قوله تعالى:

فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِيْنَ﴾ يعني مصدقين. فقد بين الله تعالى أنه لايجوز أكل الميتة وإنما يحل أكله إذا ذُبح وذُكر اسْمُ الله عليه. ثم قال: ﴿وَمَا لَكُم أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ مما ذبح وذكر اسم الله عليه ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم﴾ يعني بين لكم تحريمه في سورة المائدة وغيره من ﴿مَا حَرَّمَ عَلَيْكُم﴾ [يعني الميتة وغيرها][3] ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ يقول: ما اجتهدتم إلى أكل الميتة عند الجوع. قرأ ابن

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٦٨ سراج القارىء ٢١٥.
(٢) في أ [الإسلام].
(٣) سقط في ظ.

كثير وابن عامر[١]، وأبو عمرو (فصل لكم) بضم الفاء، (ما حرم عليكم) بضم الحاء على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: (وقد فصل) بالنصب (وما حرم) بالضم. وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص كلاهما بالنصب يعني بين الله لكم ما حرم عليكم. ثم قال: ﴿وَأَنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يقول: يدعون إلى أكل الميتة بغير علم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ من الحلال إلى الحرام. قوله تعالى:

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وبَاطِنَهُ﴾ يعني زنا السر والعلانية لأن أهل الجاهلية كانوا يحرمون الزنا في العلانية ولا يرون به بأساً في السر فأخبر الله تعالى: أن الزنا حرام في السر والعلانية ويقال: ظاهر الإثم: وهو الزنا، وباطنه القُبْلة واللَّمس والنظر. وقال الضحاك: (ظاهر الإثم) الزنا (وباطنه): نكاح الأمهات والأخوات وقال قتادة: (ظاهر الإثم وباطنه) يعني قليله وكثيره[٢]. ويقال: ظاهره: إرتكاب المعاصي، وباطنه: ترك الفرائض. ويقال: باطنه: الرياء في الأعمال ويقال الكفر. ويقال جميع المعاصي. ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ﴾ يقول: يعملون الفواحش ويتكلمون بها ﴿سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ سيعاقبون بما كانوا يكسبون من الإثم. قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي[٣]: وإن كثيراً لَيُضلون بأهوائهم بضم الياء، يعني يضلون الناس. وقرأ الباقون: (لَيَضِلُّون) بنصب الياء، يعني يَضلون بأنفسهم. قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ يعني ما لم يُذَكَّ ولم يذبح، أو ذبح بغير اسم الله ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ يعني أكله معصية واستحلاله كفر ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ يعني يوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ يقول: ليخاصموكم في أكل الميتة وهو قولهم: ما قتله الله فهو أولى أن يؤكل. وروي عن عبد الله بن الزبير أنه قيل له: إن المختار[٤] يقول: يوحى إلي فقال: صَدَق، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم[٥]. قال الفقيه، قال: حدثنا أبو الفضل بن أبي [حفص][٦]، قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال المشركون للمسلمين: ما قتل ربكم ومات فلا تأكلوه وما قتلتم أنتم وذبحتم فتأكلوه فأوحى الله تعالى إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه[٧]. . . إلى قوله ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ يعني في أكل الميتة واستحلاله ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ مثلهم ففي الآية دليل: أن من استحل شيئاً مما حرم الله تعالى صار مشركاً. ثم قال:

---

(١) انظر حجة القراءات ٢٦٨ ـ ٢٦٩ سراج القاري ٢١٥.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٧٢/١٢. (٣) انظر حجة القراءات ٢٦٩ سراج القاري ٢١٥.

(٤) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي أبو إسحاق من زعماء الثائرين على بني أمية، ادعى النبوة ونزول الوحي توفي سنة ٦٧ هـ انظر الإعلام ١٩٢/٧ الفرق بين الفرق ٣١ ـ ٣٧.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٣/٣ وقال أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٧٩/١٢ (١٣٨٠٩).

(٧) أخرجه ابن جرير الطبري عن عكرمة انظر التفسير ٩٠/١٢.

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ يعني من كان ضالاً كافراً فهديناه إلى الإسلام والتوحيد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يعني أكرمناه بالمعرفة. ويقال: جعلنا له إيماناً يهتدي به سبيل الخيرات والنجاة يمشي به في الناس، يعني مع المؤمنين ويقال: أعطيناه نوراً يوم القيامة يمشي به على الصراط مع المؤمنين، لا يكن حاله ﴿كَمَنْ مَثَلُه فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يعني كمن قدر عليه الكفر ونزل في الكفر مخذولاً ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ يعني ليس براجع منها يعني ليسا بسواء. قال الكلبي: نزلت في عمار بن ياسر يعني ليس حاله بحال الكفار[1]. وقال مقاتل:[2] يعني به النبي - صلى الله عليه وسلم ـ ليس مثل أبي جهل بن هشام الذي بقي في الكفر. ويقال: يعني جميع المؤمنين ليس حالهم كحال الكفار. قرأ نافع: (أومن كان مَيِّتاً) بالتشديد، وقرأ الباقون: بالتخفيف ومعناهما واحد. ثم قال: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِيْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعني هكذا نعاقب من اختار الكفر على الإيمان فنختم على قلبه مجازاة لكفره. ثم قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيْهَا﴾ يعني جعلنا مجرميها أكابرها وجبابرتها كماجعلنا في أهل مكة وهذا معطوف على ما قبله، أي مثل ذلك جعلنا في كل قرية، كما زين للكافرين ﴿لِيَمْكُرُوا فِيْهَا﴾ يعني ليتكبروا فيها ويكذبوا رسلهم ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ﴾ يعني وما يصنعون ذلك ﴿إِلاَّ بِأَنْفُسِهِم﴾ يعني إلا على أنفسهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أن ذلك على أنفسهم. قوله تعالى:

وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

﴿وإذا جَاءَتْهُم ءَايَةٌ﴾ يعني الأكابر الذين سبق ذكرهم. ويقال: كفار مكة إذا جاءتهم علامة مثل انشقاق القمر وغيره ﴿قَالُواْ: لَنْ نُؤْمِنَ﴾ يعني لن نصدقك ولن نؤمن بالآية ﴿حَتَّى نُؤْتى مِثْلَ مَاْ أُوتِيَ﴾ أي مثل ما أعطى ﴿رُسُلُ اللَّهِ﴾ يعني محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الآيات والعلامات. ويقال: لم نصدقك حتى يوحى إلينا كما أوحي إلى الرسل وذلك أن الوليد بن المغيرة وأبا مسعود الثقفي قالا: لو أراد الله تعالى أن ينزل الوحي لأنزل علينا[3] قال بعضهم: أرادوا به محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وقال بعضهم: أرادوا به جميع الرسل. فقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه﴾ ومن يصلح للنبوة ومن لا يصلح فخص بها محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿سَيُصِيْبُ الَّذِيْنَ أَجْرَمُوا﴾ يعني أشركوا ﴿صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني مَذَلَّة وهوان عند الله أي من عند الله العذاب بالمستهزئين ﴿وَعَذَابٌ شَدِيْدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ يعني يكذبون بالرسل. قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص[4]: «حيث

---

(١) انظر التفسير ١/٣٩٧. (٢) انظر حجة القراءات ٢٧٠. (٣) انظر تفسير القرطبي ٧/٥٣.

(٤) انظر حجة القراءات ٢٧٠ سراج القاري ٢١٥.

يجعل رسالته» بلفظ الوحدان، وقرأ الباقون: «رسالاته» بلفظ الجماعة. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ يعني من يرد الله أن يوفقه للإسلام ويهديه لدينه ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ﴾ يقول: يوسع قلبه ويلينه لقبول الإسلام ويدخل فيه نور الإسلام وحلاوته. وقال القتبي: يشرح صدره يعني يفتحه. قال الفقيه قال: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا الديبلي، قال: حدثنا أبو عبيد الله، عن سفيان، عن خالد بن أبي كريمة[1] عن عبد الله بن المسور[2]: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: لما نزلت هذه الآية (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) قالوا: يا رسول الله فكيف ذلك؟ قال: إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح قالوا: وهل لذلك من علامة يعرف به؟ قال: نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت[3].

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ عن الإسلام فلا يقبله ويتركه بغير نور ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً﴾ عن الإسلام يعني غير موسع ﴿حَرَجاً﴾ يعني شاكاً. وقال ابن عباس[4]: كالشجرة الملتفة بعضها في بعض لا يجد النور منفذاً ومجازاً، قرأ ابن كثير[5] (ضيقاً) بتخفيف الياء وجزمها وقرأ الباقون بالتشديد. وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر[6]: (حَرِجاً) بكسر الراء، وقرأ الباقون: بالنصب. فمن قرأ بالنصب فهو المصدر، ومن قرأ بالكسر فهو النعت.

ثم قال: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ يعني مثله كمثل الذي يتكلف الصعود إلى السماء وهو لا يستطيع فكذلك قلب الكافر لا يستطيع قبول الإسلام. قرأ ابن كثير[7] (يَصْعَد) بجزم الصاد ونصب العين بغير تشديد، من صَعَد يَصْعَد، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: (يَصَّاعد) بالألف مع تشديد الصاد وتخفيف العين لأن أصله يتصاعد فأدغم التاء في الصاد. وقرأ الباقون: (يَصَّعَّد) بتشديد الصاد والعين بغير ألف لأن أصله يتصعد فأدغم التاء في الصاد. ثم قال: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ يعني العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بترك حلاوة الإيمان على الذين لا يرغبون في الإيمان. ويقال: الرجس في اللغة: هو اللعنة والعذاب. قوله تعالى:

﴿وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً﴾ يعني هذا التوحيد دين ربك، مستقيماً يعني قائماً برضاه ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ﴾ يعني قد بينا العلامات وبينا الآيات في أمر القلوب والهدى والضلالة ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يعني يتعظون ويتفكرون في

(١) أبو عبد الرحمن روى عن أبي جعفر ومعاوية بن قرة وروى عنه الثوري. انظر الجرح والتعديل ٣/٣٤٩.

(٢) عبد الله بن المسور بن عبد الله بن عون بن جعفر بن أبي طالب أبو جعفر القرشي الهاشمي المدائني روى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرسل وضاع. انظر الجرح والتعديل ٥/١٦٩ ـ ١٧٠.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري ١٢/١٠١ (١٣٨٥٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٤٥ وزاد نسبته إلى ابن المبارك والفريابي.

(٤) انظر تفسيره ١٩٤.

(٥) انظر حجة القراءات ٢٧١ سراج القاري ٢١٥.

(٦) انظر حجة القراءات ٢٧١ سراج القاري ٢١٥.

(٧) انظر حجة القراءات ٢٧١ سراج القاري ٢١٥.

توحيد الله تعالى. ويقال: معناه لا عذر لأحد في التخلف عن الإيمان لأن الله تعالى قد بين طريق الهدى، وقد بين العلامات في ذلك لمن كان له عقل وتمييز. ثم ذكر ما أعد الله للمؤمنين في الآخرة فقال: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وهي الجنة وهي دار السلام من الأمراض والآفات، والخوف والهرم وغير ذلك. ويقال: (لهم دار السلام): فالله السلام والجنة داره يعني دار رب العزة التي أعد لأوليائه بالثواب ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ أي الله تعالى حافظهم وناصرهم في الدنيا. ويقال: هو وليهم في الآخرة بالثواب، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا. قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يقول: وآذكر يوم يجمعهم الله ﴿جَمِيعًا﴾ يعني الجن الإنس. قرأ عاصم في رواية حفص[١] (يحشرهم) بالياء يعني أن الله يحشرهم. وقرأ الباقون: (نحشرهم) بالنون ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ يقول لهم: يا معشر الجن ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ يعني قد أضللتم كثيراً من الإنس. ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ الذين أضلوهم ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ يعني انتفع بعضنا ببعض وكان استمتاع الإنس بالجن في الدنيا أن أهل الجاهلية كانوا إذا سافر واحد منهم فأدركه المساء بأرض قفر وخاف بالليل فقال: أعوذ بسيد أهل هذا الوادي من سفهاء قومه، فأمن ولبث في جوارهم حتى يصبح، وكان استمتاع الجن بالإنس أن قالوا: لقد سوّدنا الإنس والجن فيزيدون شرفاً في قومهم يعني فيما بين الجن والإنس ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعني الموت الذي جعلته أجلنا في هذه الدنيا. وهذا قول الكلبي[٢]. وقال الضحاك: (ربنا استمتع بعضنا ببعض) يعني خدع بعضنا بعضاً عن دينك يعني أن الجن قد خدعنا وأضلّنا[٣] (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعني ما كتبت علينا من الشقاوة. ﴿قَالَ: النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ يعني منزلكم وهم الجن والإنس ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في النار ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ قال الكلبي: مشيئة الله من كل شيء. ويقال: إلا ما شاء الله البرزخ والقيامة. قد شاء الله لهم الخلود فيها. ويقال: (إلا ما شاء الله) يخرج منها من أهل التوحيد. ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.﴾. ثم قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي﴾ يعني نسلط ﴿بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ يعني كفار الجن على كفار الإنس. ويقال: نسلط بعض الظالمين بعضاً فيهلكه ويذله. وهذا كلام لتهديد الظالم لكي يمتنع عن ظلمه، لأنه لو لم يمتنع يسلط الله عليه ظالماً آخر ويدخل في الآية جميع من يظلم، ومن ظلم في رعيته أو التاجر يظلم الناس في تجارته، أو السارق وغيرهم. وقال فضيل بن عياض[٤]: إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم، فقف وانظر فيه متعجباً[٥]. وقال ابن عباس: إذا رضي الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم، وإذا سخط الله على قوم، ولى أمرهم شرارهم[٦] بما كانوا يكسبون ثم تلا قوله «وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً» وعن مالك بن دينار[٧] قال: قرأت في بعض الكتب المنزلة أن الله تعالى يقول: إني أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، ونواصيها بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا إلي أجعلهم عليكم رحمة. ثم قال: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعني يسلط بعضهم على بعض بأعمالهم الخبيثة.

ثم يقول لهم:

---

(١) انظر سراج القاري،٢١٦ شرح شعلة ٣٧٨.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور عن ابن جريج وقال أخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ وانظر تفسير القرطبي ٥٦/٧.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٥٥/٧.

(٤) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض البحصمي السبتي توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة انظر أزهار الرياض ١٧/٣ ووفيات الأعيان ١١٧/٢.

(٥) انظر تفسير القرطبي ٥٦/٧.

(٦) انظر المصدر السابق.

(٧) بنحوه ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٦/٣ وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ والْإِنسِ﴾ يعني يقول لهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾. قال مقاتل[١]: بعث الله تعالى رسولاً من الجن إلى الجن ومن الإنس إلى الإنس ويقال: رسل الجن [السبعة][٢]، الذين سمعوا القرآن من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورجعوا إلى قومهم منذرين وقالوا: يا قومنا أجيبوا داعي الله. ويقال: ألم يأتكم رسل منكم، يعني من الإنس خاصة. وقال ابن عباس[٣]: كانت الرسل تبعث إلى الإنس وأن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث إلى الجن والإنس. ثم قال: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ﴾ يقول: يقرأون ويعرضون (عليكم ﴿ءَايَاتِي﴾ يعني القرآن ﴿وَيُنْذِرُونَكُمْ﴾ يعني يخوفونكم ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا، قَالُوا: شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ يعني يقولون: بلى أقررنا أنهم قد بلغوا وكفرنا بهم. ثم قالت الرسل، وذلك بعدما شهد عليهم سمعهم وأبصارهم، يقول الله تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يعني ما في الحياة الدنيا من زهرتها، وزينتها ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِيْنَ﴾ في الدينا، ويقول الله تعالى: (النار مثواكم خالدين فيها) على وجه التقديم والتأخير. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ يعني ذلك السؤال والشهادة. ويقال: (ذلك) يعني إرسال الرسل إلى الجن والإنس، ليعلم أن لم يكن الله مهلك القرى، يعني معذب أهل القرى بغير ذنب في الدنيا ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ عن الرسل. ويقال: غافلون عن العذاب لأنه قد بين لهم وأخذ عليهم الحجة. ثم قال:

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾

﴿وَلِكُلٍ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُواْ﴾ يعني ولكل واحد من المؤمنين فضائل في الجنة بعضهم أرفع درجة من بعض، وللكافرين درجات بعضهم أشد عذاباً من بعض ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ يعني لمن ينسى الطاعة من المطيعين ولا المعصية من العاصين ويجازي كل نفس بما عملت. قرأ ابن عامر[٤]: (عما تعملون) على معنى المخاطبة وقرأ الباقون: (يعملون) بالياء على معنى المغايبة. قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ يعني غني عن عبادة خلقه ذو الرحمة بتأخير العذاب عنهم. ويقال: (ذو الرحمة) يعني ذو التجاوز عمن تاب ورجع إليه بالتوبة ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يعني يهلككم ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ خلقاً بعدكم من بعد إهلاككم (ما يشاء): إن

---

(١) انظر التفسير ١/٤٠٠.
(٢) في أ [التسعة].
(٣) ذكر هذا الأثر القرطبي ٧/٥٧ نقلاً عن المصنف رحمه الله.
(٤) انظر حجة القراءات ٢٧٢ سراج القاري ٢١٦.

يشأ مثلكم وإن يشأ أطوع منكم ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ﴾ يقول: كما خلقكم ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِيْنَ﴾ قرناً من بعد قرن ولكنه لم يهلككم رحمة منه لترجعوا وتتوبوا ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لآتٍ﴾ يعني الوعيد الذي أوعد في الآخرة من العذاب لآت، يقول: لكائن لا خلف فيه ﴿وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِيْنَ﴾ يعني بسابقين الله بأعمالكم الخبيثة [التي][1] يجازيكم بها، هذا قول مقاتل[2]: وقال الكلبي: بمعجزين أي، بفائتين[3] أن يدرككم، ويقال في اللغة[4]: أعجزني الشيء أي فاتني وسبقني. ثم قال: ﴿قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُم﴾ أي على موضعكم، يقال: مكان، ومكانة، مثل منزل ومنزلة، ومعناه اعملوا على ما أنتم عليه. ويقال: معناه: اجتهدوا في إهلاكي ما استطعتم ويقال: اعملوا في منازلكم من الخير والشر فإنكم تجزون بهما لا محالة ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ بما أوحى الله إلي. ويقال: اعملوا بمكاني، وأنا عامل بمكانكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ فهذا وعيد من الله تعالى يقول: نبين لكم من تكون له عاقبة الأمر في الدنيا ومن تكون له الجنة في الآخرة. ثم قال: ﴿إِنَّه لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ مخاطباً لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي في الآخرة ولا يأمن المشركون قرأ عاصم في رواية أبي بكر[5]: (اعملوا على مكاناتكم) في جميع القرآن بلفظ الجماعة وقرأ الباقون: مكانتكم. وقرأ حمزة والكسائي: (من يكون) بالياء لأنه انصرف إلى المعنى وهو الثواب. والباقون: قرأوا بالتاء لأن لفظ العاقبة لفظ مؤنث. قوله تعالى:

وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿وَجَعَلُواْ للَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ﴾ وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد[6] قال: كانوا يسمون لله جزءاً من الحرث ولأوثانهم جزءاً فما ذهبت به الريح من جزء أوثانهم إلى جزء الله أخذوه وما ذهبت به الريح من الجزء

---

(١) في أ [حتى].

(٢) انظر التفسير ١/٤٠١.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٩٥.

(٤) انظر ترتيب القاموس ٢/١٦١ لسان العرب ٤/٢٨١٧.

(٥) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٧٢ سراج القاري ٢١٦.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١٢/١٣٢ (١١٠٩٢).

الذي سموه لله إلى جزء الأصنام تركوه، وقالوا: إن الله غني عن هذا. وقال السدي: ما خرج من نصيب الأصنام: أنفقوه عليها، وما خرج من نصيب الله تصدقوا به فإذا هلك الذي لشركائهم وكثر الذي لله قالوا: ليس لآلهتنا بد من النفقة فأخذوا الذي لله وأنفقوه على الأصنام، وإذا هلك الذي لله وكثر الذي للأصنام قالوا: لو شاء الله لأزكى ماله فلا يزيدون عليه شيئاً[1]، فذلك قوله تعالى: (وجعلوا لله مما ذرأ) يعني مما خلق من الحرث والأنعام ﴿نَصِيبًا﴾ يعني جعلوا لله نصيباً ولشركائهم نصيباً فاقتصر على المذكور لأن في الكلام دليلاً على المسكوت عنه ﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ يقول: بقولهم ولم يأمرهم الله بذلك ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ يعني للأصنام ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ﴾ يعني لأصنامهم ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: فلا يضعون شيئاً في نصيب الله ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ﴾ يقول: يوضع في نصيبهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ يعني لو كان معه شريك كما يقولون ما عدلوا في القسمة، ويقال ساء ما يحكمون حيث وصفوا لله شريكاً. قرأ الكسائي[2]: (بزُعمهم) بضم الزاي وقرأ الباقون بالنصب وهما لغتان ومعناهما واحد. ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ يعني زين لهم شركاؤهم وهم الشياطين قتل أولادهم لأنهم يقتلون أولادهم مخافة الفقر والحمية، ويدفنون بناتهم أحياء فزين لهم الشيطان ذلك، كما زين لهم تحريم الحرث والأنعام. ويقال: كان واحد منهم ينذر: أنه إذا ولد كذا وكذا ولد يذبح واحداً منهم كما فعل عبد المطلب، فزين لهم الشيطان قتل أولادهم فذلك قوله: (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم). قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام[3]: (وكذلك زُين) بضم الزاي (قتلُ) بضم اللام (أولادَهم) بفتح الدال (شركائهم) بالخفض وإنما قرىء (زُيِّنَ) بالضم على فعل ما لم يسم فاعله، ومعناه قتل شركائهم على معنى التقديم، وهم أولادهم لأن أولادهم شركاؤهم في أموالهم فصار شركاؤهم نعتاً للأولاد، وصار الأولاد نصباً على وجه التفسير. وقرأ الباقون (زَيَّن) بالنصب لأنه فعل ماض (شركاؤهم) بالضم لأنه جعل الشركاء على وجه الفاعل ثم قال: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ يعني ليهلكوهم بذلك ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ يعني ليخلطوا وليشبهوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ يعني دين إبراهيم وإسماعيل. ثم قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ يعني لو شاءَ الله لمنعهم من ذلك منع اضطرار وقهر وأهلكهم ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ يعني دعهم وما يكذبون بأن الله أمرهم بذلك، ومعناه أن الله مع قدرته عليهم قد تركهم إلى وقت قدرهم فاتركهم أنت أيضاً إلى الوقت الذي تؤمر بقتالهم. ويقال: معناه دعهم فإن لهم موعداً بين يدي الله فيحاسبهم ويجازيهم بها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا: هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ﴾ وهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحرث وهو نوع من الزرع حرموها على النساء ﴿حِجْرٌ﴾ يعني حرام والحجر يكون عبارة عن العقل كقوله تعالى: (هل في ذلك قسم لذي حجر) أي لذي لب وعقل ويكون عبارة عن الحرام كقوله: (حجراً محجوراً) يعني حراماً محرماً، وكقوله: (هذه أنعام وحرث حجر) يعني حراماً ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ من الرجال دون النساء، وهو مالك بن عوف كان يفتيهم بالحل والحرمة وكان يقول هذا يجوز وهذا لا يجوز لأشياء كانوا حرموها برأيهم ثم قال: (وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ وهي الحام من الإبل كانوا يتركونها ولا يركبونها ﴿وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ يعني عند [الذبيحة][4]، ويقال: عند الركوب وهي البحيرة ﴿افْتِرَاءً عليه﴾ يعني اختلافاً وكذباً على الله بأنه أمرهم بذلك ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ يعني سيعاقبهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْتَرُون﴾ يعني يكذبون على الله بأنه أمرهم. ﴿وَقَالُوا: مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ قال الكلبي: يعني البحيرة والوصيلة حلال لذكورنا ما دامت في الأحياء

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري ١٢/١٣٢ (٦ . ١٣٩).
(٢) انظر حجة القراءات ٣٧٣ سراج القاري ٢١٦.
(٣) انظر حجة القراءات ٢٧٣ وسراج القاري ٢١٦ ـ ٢١٧.
(٤) في أ [الذبح].

وليس للنساء فيه شركة ولا نصيب، فذلك قوله: ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً﴾ يعني من هذه الأنعام ﴿فَهُمْ فِيْهِ شُرَكَاءُ﴾ يعني الرجال والنساء في أكلها[1]. وقال الضحاك: كانت الناقة إذا ولدت فصيلاً ذكراً حرموا لحم الفصيل ولبن الناقة على النساء دون الرجال وإن وضعت فصيلاً ميتاً اشتركت الرجال والنساء في لحم الفصيل، ولبن الناقة[2]، ذكر في أول الكلام (خالصة) لفظ التأنيث لأنه انصرف إلى المعنى ومعناه حمله ما في بطون هذه الأنعام ثم قال: (ومحرم على أزواجنا) ذكر بلفظ التذكير لأنه انصرف إلى قوله: (ما في بطون). قرأ عاصم في رواية أبي بكر[3]: (وإن تكن) بالتاء على معنى التأنيث (ميتة) بالنصب يعني وإن تكن الجماعة ميتة صارت الميتة خبر كان. وقرأ ابن عامر: (وإن يكن ميتة) بالضم يعني وإن كانت ميتة جعلها اسم كان رفعاً. وقرأ ابن كثير: (وإن يكن.) بالياء (ميتة) بالضم يعني وإن كان ما فيه ميتة بلفظ التذكير وجعل الميتة اسم كان. وقرأ الباقون: (وإن يكن ميتة) جعلوا الميتة خبر كان بلفظ التذكير ثم قال: ﴿سَيَجْزِيْهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ صار نصباً لنزع الخافض يعني سيعاقبهم بكذبهم. ﴿إِنَّهُ حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ﴾ (حكيم) عليهم بالعذاب (عليم) بهم. وفي الآية دليل أن العالم ينبغي أن يتعلم قول من خالفه، وإن لم يأخذ به حتى يعلم فساد قوله ويعلم كيف يرد عليه لأن الله تعالى أعلم النبي ـ عليه السلام ـ وأصحابه قول من خالفهم في زمانهم ليعرفوا فساد قولهم. قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِيْنَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ يعنوا دفنوا بناتهم أحياء وقتلوهن ﴿سَفَهاً﴾ صار نصباً لنزع الخافض يعني جهلاً منهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعني [بغير] حجة منهم في قتلهن وهم ربيعة ومضر كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحمية. وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن رجلاً من أصحابه كان لا يزال مغتماً بين يديه، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «مالك تكن محزوناً»؟ فقال: يا رسول الله إني قد أذنبت في الجاهلية ذنباً فأخاف أن لا يغفر لي وإني أسلمت، فقال له «أخبرني عن ذنبك» فقال: يا رسول الله إني كنت من الذين يقتلون بناتهم فولدت لي بنت، فتشفعت إليَّ امرأتي بأن أتركها فتركتها حتى كبرت وأدركت فصارت من أجمل النساء، فخطبوها فدخلت عليَّ الحمية ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج فقلت للمرأة إني أريد أن أذهب بها إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي فسرت بذلك وزينتها بالثياب والحلي وأخذت عليَّ المواثيق بأن لا أخونها فذهبت بها إلى رأس بئر فنظرت إلى البئر ففطنت الجارية أني أريد أن ألقيها في البئر فالتزمت بي وجعلت تبكي وتقول: يا أبت أي شيء تريد أن تفعل بي فرحمتها ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبت لا تضيع أمانة أمي فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها وأرحمها حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة وهي تنادي في البئر: يا أبت قتلتني، فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت. فبكى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه وقال: لو أُمِرْتُ أن أعاقب أحداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتك بما فعلت[4]. ثم قال: ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ يعني ما أعطاهم ﴿افْتِرَاءً﴾ يعني كذباً

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري عن مجاهد ٢/١٤٨. (٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس.

(٣) انظر حجة القراءات ٢٧٤ سراج القاري ٢١٩.

المعنى وإن تكن تلك الحمول التي في البطون ميتة، ويجوز أن ترد على (الأنعام) أو على معنى (ما) ولك أن ترجع عن لفظ (ما) و(من) إلى معناهما ومن معناهما إلى لفظهما لأن لفظهما واحد ـ ومعناهما الجمع والتأنيث. وقد جاء في التنزيل حرف قد حمله على اللفظ ثم رجع إلى المعنى ثم حمله ثانياً على اللفظ وهو قوله: (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات) فوحد ـ وحمله على اللفظ، ثم قال: (خالدين فيها أبدا) فجمع على المعنى ثم قال: (قد أحسن الله له رزقاً) فرجع بعد الجمع إلى التوحيد وحمله أيضاً على التوحيد وكذلك قوله (هنا): ـ(وقالواما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا) على معنى (ما) (ومحرم) مذكر بعد مؤنث على لفظ (ما) فهو حرف ثان، وهو حسن. انظر حجة القراءات ٢٧٤.

(٤) الحديث ذكره القرطبي في التفسير ٧/٦٤ ولم يذكر له إسناد.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بأنه قد حرم ذلك عليهم ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾ عن الهدى ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِيْنَ.﴾ يعني وما هم بمهتدين. ويقال: وما كانوا مهتدين من قبل، فخذلهم الله بذلك. قرأ ابن كثير وابن عامر[١]: (قُتّلوا) بالتشديد لتكثير الفعل، والباقون بالتخفيف. قوله تعالى:

وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

﴿وَهُوَ الَّذي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾ يعني خلق البساتين يعني الكروم وما يعرش، وهو الذي يبسط مثل القرع ونحو ذلك ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ يعني كل شجرة قائمة على أصولها ﴿وَالنَّخْلَ والزَّرْعَ﴾ يعني خلق النخل والزرع ﴿مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾ يعني طعمه مثل الحامض والحلو والمر ﴿وَالزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً﴾ يعني المنظر ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾يعني في الطعم ﴿كُلُواْ مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ وإنما ذكر ثمره بلفظ التذكير لأنه انصرف إلى المعنى يعني ثمره الذي ذكرها، ﴿وءاتوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ يعني أعطوا زكاته يوم كيله ورفعه. قرأ أبو عمرو، وعاصم وابن عامر[٢]: (حصاده) بنصب الحاء وروى الحكم[٣] عن مقسم[٤] عن ابن عباس: قال: (وآتوا حقه يوم حصاده) قال: العُشْر ونصف العشر[٥]. وروى سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: (وآتوا حقه يوم حصاده) قال: عند الزرع أي يعطي القبض وهو بأطراف الأصابع ويعطي عند الصرام القبض ويدعهم يتتبعون آثار الصرام[٦]. وعن الربيع بن

---

(١) انظر حجة القراءات ٢٧٥.

(٢) وقرأ الباقون بالكسر وهما لغتان مثل الصرام والصرام قال الفراء بالكسر حجازية وأهل نجد وتميم بالفتح انظر حجة القراءات ٢٧٥.

(٣) الحكم بن عيينة الكندي مولاهم أبو محمد ويقال: أبو عبد الله ويقال: أبو عمر الكوفي توفي سنة ١١٣ وقيل ١١٤ هـ انظر التهذيب ٢/٤٣٢ ـ ٤٣٤.

(٤) مقسم بن مجرة ويقال: ابن نجدة أبو القاسم ويقال أبو العباس مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ويقال مولى ابن عباس للزومه له انظر التهذيب ١٠/٢٨٨.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري ١٢/١٦١. (١٣٩٧٥) وزاد نسبته السيوطي في الدر ٣/٤٩ لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم واالنحاس والبيهقي في السنن.

(٦) أخرجه الطبري في التفسير ٢/١٦٨ (١٤٠١٩).

انس: «وآتوا حقه يوم حصاده» قال: لقاط السنبل[١]. وقال الحسن[٢]: نسختها آية الزكاة. وقال إبراهيم: نسختها العشر ونصف العشر[٣]. وقال الضحاك: نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن[٤]. وهكذا قال عكرمة[٥]، وقال سفيان سألت السدي عن قوله تعالى: وآتوا حقه يوم حصاده، قال هذه السورة مكية نسختها العشر ونصف العشر قلت عمن؟ قال عن العلماء.[٦]

قال الفقيه: الذي قال أنه صار منسوخاً (يعني أداؤه يوم الحصاد بغير تقدير صار منسوخاً، ولكن أصل الوجوب لم يصر منسوخاً) وبين النبي - عليه السلام - التقدير وهو العشر أو نصف العشر ثم قال: ﴿وَلَا تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لَا يُحِبّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - عمد ثابت بن قيس إلى خمسمائة نخلة فصرمها وقسمها في يوم واحد فأمسى ولم يكن لأهله شيء فنزل: (ولا تسرفوا) يعني ولا تتصدقوا بكله، ودعوا لعيالكم شيئاً وروى عبد الرزاق، عن ابن جريج قال: جد لمعاذ بن جبل نخله، فلم يزل يتصدق حتى لم يبق منه شيء فنزل: (ولا تسرفوا)[٧]. ويقال: (ولا تسرفوا) يعني ولا تنفقوا في المعصية قال مجاهد: لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهباً في طاعة الله تعالى ما يكون إسرافاً، ولو أنفقت درهماً في طاعة الشيطان، كان إسرافاً[٨]. وروي عن معاوية بن أبي سفيان أنه سئل عن قوله تعالى: (ولا تسرفوا) قال: الإسراف ما قصرت عن حق الله تعالى. ويقال: (ولا تسرفوا) يقول: لا تشركوا الآلهة في الحرث والأنعام وقد ذكر قوله: (كلوا من ثمره) بلفظ التذكير، لأنه انصرف إلى المعنى يعني من ثمر ما ذكرنا، ثم قال: (إنه لا يحب المسرفين) يعني المشركين الذين يشركون الآلهة في الحرث والأنعام. ثم قال: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾ يعني أنشأ لكم، وخلق لكم من الأنعام حمولة وفرشاً أي مما يحمله عليه من الإبل والبقر، وفرشاً مثل الغنم وصغار الإبل، وقال القتبي: الفرش ما لا يطيق الحمل عليه وهي ما دون الحفاف التي لا تصلح للركوب، ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي من الحرث والأنعام حلالاً طيباً، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يعني لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِيْنٌ﴾ ظاهر العداوة غير ناصح لكم. ثم قال:

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ يعني ثمانية أفراد لكم، يقال لكل فرد معه آخر زوج، يقول: خلقت لكم ثمانية أصناف. ويقال: كلوا مما رزقكم الله ثمانية أزواج نزلت الآية في مالك بن عوف وأصحابه، حيث قالوا: ما في بطون هذه الأنعام، خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا[٩]. ففي هذه الآية دليل إثبات المناظرة في العلم لأن الله تعالى أمر النبي - عليه السلام - بأن يناظرهم، ويبين فساد قولهم، وفيها إثبات القول بالنظر والقياس، وفيها دليل أن القياس إذا ورد عليه النص بطل القول به ويروى إذا ورد عليه النقض لأن الله تعالى أمرهم بالمقايسة الصحيحة وأمرهم بطرد علتهم، وأمرهم بأن يثبتوا وجه الحرمة إن سبب الحرمة الأنوثة والذكورة أو إشتمال الرحم. فإن كان سبب الحرمة الأنوثة ينبغي أن يكون كل أنثى حراماً لوجود العلة وإن كان سبب الحرمة الذكورة ينبغي أن يكون كل ذكر حراماً لوجود العلة، وإن كان محرماً لاشتمال الرحم، وقد حرم الأولاد كلها ووجهت حرمتها لوجود العلة فيها، ، فبين انتقاض علتهم، وفساد قولهم وذلك قوله: (ثمانية أزواج) يعني ثمانية أصناف. ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ يعني قولهم

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٢/١٦٧. (١٤٠١٢).
(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ١٢/١٦٩ (١٤٠٢٨) وانظر الدر المنثور ٣/٤٩.
(٣) المصدر السابق ١٢/١٦٩ (١٤٠٣١).
(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٤٩. وعزاه لابن أبي شيبة وأبو عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٥) انظر المصدر السابق.
(٦) انظر المصدر السابق.
(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٤٩ وعزاه لابن أبي حاتم.
(٨) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١٢/١٧٤ (١٤٠٤٠).
(٩) انظر تفسير الطبري ١٢/١٨٦.

وذلك قوله: ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ يعني الذكر والأُنثى، ﴿قُلْ: آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ يعني قل لهم من أين جاء هذا التحريم من قبل الذكرين حُرِّمَ أم من قبل الأُنثيين ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ يعني، أم من قبل اشتمال الرحم فإنها لا تشتمل إلا على الذكر والأُنثى ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ يعني أخبروني بسبب التحريم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.﴾ أن الله حرم ما تقولون ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ يعني من أين جاء هذا التحريم، ثم قال: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ يعني إذا لم تقدروا على إثبات تحريم ذلك بالعقل، فهل لكم كتاب يشهد على تحريم هذا، فذلك قوله أم كنتم شهداء، ﴿إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ يعني أمركم الله بهذا التحريم فسكت «مالك بن عوف» وتحير فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مالك لا تتكلم؟ فقال: بل تكلم أنت فأسمع، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ بغير حجة وبيان ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعني ليصرف الناس عن حكم الله تعالى بالجهل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ﴾ يعني لا يرشدهم إلى الحجة، ويقال: لا يوفقهم إلى الهدى مجازاةً لكفرهم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر[1]: (ومن المعز) بنصب العين وقرأ الباقون: بالجزم، ومعناهما واحد[2] ثم بين لهم ما حرم عليهم فقال:

قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً﴾ يعني، لا أجد فيما أنزل علي من القرآن شيئاً محرماً ﴿عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ يعني على آكل ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾، قرأ ابن عامر[3]: (إلا أن تكون ميتةٌ) بالتاء على لفظ التأنيث (لأن الميتة مؤنث)، وقرأ (ميتة) بالضم لأنه إسم كان وقرأ حمزة وابن كثير: (إلا أن تكون) بالتاء بلفظ التأنيث) (ميتة) بالنصب فجعل الميتة خبراً لكان والاسم فيه مضمر وقرأ الباقون (إلا أن يكون) بلفظ التذكير (الميتة) بالنصب وإن

---

(١) انظر حجة القراءات ٢٧٥ سراج القارىء ٢١٩.

(٢) والأصل تسكين العين لأنه جمع (ماعز) مثل (تاجر وتَجْر، وصاحب وصَحْب) وحجتهم إجماع الجميع على تسكين الهمزة في (الضأن) وهو جمع (ضائن) كماعز والهمزة والعين من حروف الحلق فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، واعلم أنه إنما جاز فيهما الفتح ـ وإن كان الأصل الإسكان ـ لأن فيها حرفاً من حروف الحلق (والعرب تفتح إذا كان فيها حرف من حروف الحلق) وذلك نحو (النهر والنهر والزهر والزهر والظعن والظعن) وإنما جاز فتحها لأن الحركات ثلاث: ضمة وفتحة وكسرة فالفتحة من الألف فهي من حيز حروف الحلق هذا قول سيبويه. فإن قال قائل: هلا فتحت الهمزة من (الضأن) إذ كانت من حروف الحلق كما فتحت العين من (المعز)؟ الجواب: أن الهمزة أثقل من ـ العين لأنها تخرج من أقصى الحلق وتحريكها أثقل من تحريك العين وكذلك فرق بينهما. انظر حجة القراءات ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٣) انظر حجة القراءات ٢٧٦ سراج القاري ٢١٩.

جعلوه مذكراً لأنه انصرف إلى المعنى ومعناه إلا أن يكون المأكول ميتة ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ يعني سائلاً جارياً ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ أي حرام ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ يعني معصية ﴿أُهِلَّ﴾ يعني ذبح ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ يعني لغير اسم الله. وقال بعضهم: في الآية تقديم ومعناه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير أو فسقاً أهل لغير الله به فإنه رجس، أي حرام يعني جميع ما ذكر في الآية هو رجس. ويقال: الرجس هو نعت للحم الخنزير خاصة. وروى عمر بن دينار عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء فبعث الله نبيه وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو وتلا هذه الآية (قل لا أجد فيما اوحي إلي... الآية[١]) يعني مالم يبين تحريمه فهو مباح بظاهر هذه الآية. وروى أبو بكر الهذلي[٢] عن الحسن أنه قال: والله لولا حديث سلمة بن المحبق ما لبسنا خفافكم ولا نعالكم ولا فراكم، حتى نعلم ما هي قال أبو بكر: فذكرت ذلك للزهري فقال: صدق الحسن ذلك عندي أوسع من هذا. حدثني عبيد الله بن عبد الله عن عبد الله بن عباس أنه قرأ: (قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً). الآية قال: إنما حرم من الميتة أكلها وما يؤكل منها وهو اللحم أما الجلد والعظم والشّعر والصوف فحلال[٣]. قال: وقد احتج بعض الناس بهذه الآية على أن ما سوى هذه الأشياء التي ذكر في الآية مباح ولكن نحن نقول قد حرم أشياء سوى ما ذكر في الآية. وقد بين على لسان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ذلك: كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير[٤]. وقد قال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا). ثم قال: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقد ذكرنا تأويل هذه الآية. ثم قال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا﴾ يعني أن هذه الأشياء التي ذكرنا في الآية كانت حراماً في الأصل وقد حرم الله أشياء كانت حلالاً في الأصل على اليهود بمعصيتهم ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ يعني الإبل والنعامة والبط، والأوز، وكل شيء له خف. وقال القتبي: كل ذي ظفر، يعني كل ذي مخلب من الطيور، وكل ذي حافر من الدواب وسمى ظفراً على الاستعارة. وقال الكلبي: كل ذي ظفر يعني ليس بمنشق ولا مجتر فهو حرام عليهم[٥] ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ يعني شحوم البطون، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا.﴾ وقال الضحاك: إلا ما كان على اللحوم من الشحوم[٦]. وقال الكلبي: يعني ما تعلق بالظهر من الشحم من الكليتين[٧]. ويقال: حرم عليهم الثروب وأحل ما سواها وواحد الثروب ثرب، وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش، ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ وهو المباعر واحدتها حاوية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ مثل الإلية. وروى جويبر عن الضحاك قال: ما التزق بالعظم[٨]. ويقال: هو المخ ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ يعني ذلك التحريم عاقبناهم بشركهم، وظلمهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أن هذه الأشياء كانت حلالاً في الأصل وحرمناها على

---

(١) انظر الدر المنثور ٣/٥٠.

(٢) سلمى بن عبد الله بن سلمى وقيل: اسمه روح وهو ابن بنت حميد بن عبد الرحمن الحميري قال الحافظ في التقريب متروك انظر التهذيب ١٢/٤٥ انظر التقريب ٢/٤٠١.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٥١ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن عباس ٣/١٥٣٤ في الصيد والذبائح باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع ١٦/١٩٣٤ ومن حديث أبي هريرة عند مسلم ٣/٥٣٤ (١٥/١٩٣٣) ومن حديث جابر عند الترمذي ٤/٧٣ في الأطعمة ١٤٧٨ وقال حسن غريب.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ٩٧.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٥٣ وعزاه لابن أبي حاتم عن أبي صالح.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٩٧.

(٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٥٣ وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

اليهود بمعصيتهم لأن اليهود كانوا يقولون إن هذه الأشياء كانت حراماً في الأصل. ثم قال: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ يعني فيما تقول من التحريم والتحليل ﴿فَقُلْ: رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ يعني رحمته وسعت كل شيء لا يعجل عليهم بالعقوبة ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ يعني عذابه ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾. قوله تعالى:

سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۢ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍۢ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مع الله ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا، وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾ يعني ولا أشرك آباؤنا [ولكن شاء لنا ذلك وأمرنا به](١) ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ أي من هذه الأشياء ويقال: مذهبهم مذهب الجبرية(٢). قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني الأمم الخالية كذبوا رسلهم كما كذبك قومك، وإنما كذبهم الله لأنهم قالوا ذلك على وجه السخرية لا على وجه التحقيق. كما قال المنافقون: (نشهد أنك لرسول الله.) فكذبهم الله في مقالتهم لأنهم قالوا على وجه السخرية. ثم قال: ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ يعني الأمم الخالية أتاهم عذابنا فهذا تهديد لهم ليعتبروا، ثم قال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم قل ﴿هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني بيان من الله ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ فبينوه لنا بتحريم هذه الأشياء التي كانوا يحرمونها، ثم بين الله أنهم قالوا ذلك بغير حجة وبيان فقال: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يعني ما تقولون إلا بالظن من غير يقين وعلم ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ يعني قل لهم ما أنتم إلا تكذبون على الله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ: فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ يعني الحجة الوثيقة وهو محمد ـ عليه السلام ـ والقرآن فبين لهم ما أحل لهم وما حرم عليهم ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني لو شاء لوفقكم لدينه وأكرمكم بالهدى لو كنتم أهلاً للإسلام، ولكن لم يوفقهم لأنهم لم يجاهدوا في الله حق جهاده. ﴿قُلْ: هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ عليكم ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ على تحريمه ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فأخبر الله أنهم لو شهدوا كانت شهادتهم باطلة، ولا يجوز قبول شهادتهم لأنهم يقولون بأهوائهم ثم قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني بمحمد ـ صلى الله عليه

---

(١) ما بين المعقوفين من ظ.

(٢) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف:

فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل وسمى ذلك كسباً فليس بجبري.

والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثراً في الإبداع والإحداث استقلالاً: جبرياً ويلزمهم أن يسموا من قال من أصحابهم بأن المتولدات أفعال لا فاعل لها جبرياً إذا لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها أثراً والمصنفون في المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية وكذلك جماعة الكلابية من الصفاتية. والأشعرية سموهم تارة حشوية وتارة جبرية ونحن سمعنا إقرارهم على أصحابهم من النجارية فعددناهم من الجبرية ولم نسمع إقرارهم على غيرهم فعددناهم من الصفاتية. كذا صاحب الملل والنحل ١/ ٨٥ ـ ٨٦.

وسلم ـ وبالقرآن ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ يعني البعث ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يعني يشركون بالله ثم قال تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿قُلْ: تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ يعني قل لمالك بن عوف وأصحابه الذين يحرمون الأشياء على أنفسهم وقالوا ما قالوا أبين لكم ما حرم الله عليكم وما أمركم به ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً.﴾ يقال: معناه أتل ما حرم ربكم عليكم فقد تم الكلام ثم قال: وأمركم ألا تشركوا به شيئاً ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ يقول نهاكم عن عقوق الوالدين وأمركم ببرهم. ويقال: معناه حرم عليكم ألا تشركوا به شيئاً، ويقال: عناه حرم عليكم الشرك (وبالوالدين إحساناً) يعني أمركم بالإحسان إلى الوالدين ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ يعني من خشية الفقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ زنى السر والعلانية ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يعني إلا بالقصاص أو بالرجم أو بترك الإسلام فإن القتل بهذه الأشياء من الحقوق ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ يقول: أمركم به في القرآن ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.﴾ أمر الله بما حرمه في هذه الآيات. وروي عن عبد الله بن قيس[1] عن ابن عباس قال: هذه الآيات المحكمات: (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم:.. إلى ثلاث آيات)[2]. وقال الربيع بن خثيم لرجل: هل لك في صحيفة عليها خاتم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ ثم قرأ هذه الآيات: (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم...)[3] ويقال: هذه الآيات هن أم الكتاب وهن إمام في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ولا يجوز أن يرد عليها النسخ. ثم قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ﴾ يقول: لا تأكلوا مال اليتيم، ولا تباشروه ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني إلا بالقيام عليه لإصلاح ماله ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يعني احفظوا ماله حتى يبلغ رشده. قال مقاتل[4]: يعني ثماني عشرة سنة. وقال الكلبي: الأَشُدُّ: ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة. ويقال: حتى

---

(١) عبد الله بن قيس عن ابن عباس في قوله (آيات محكمات) روى عنه أبو إسحاق ـ السبيعي ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه. انظر التهذيب ٥/٣٦٥.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٢/٢٢٦.

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣/٥٤ وعزاه لعبد بن حميد وأبي عبيد وابن المنذر.

(٤) انظر التفسير ١/٧٠٤.

يبلغ مبلغ الرجال. ويقال: بلوغ الأشد ما بين ثماني عشرة إلى أربعين سنة[١]. ثم قال: ﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيْزَانَ﴾ يعني أتموا الكيل والميزان عند البيع والشراء ﴿بِالْقِسْطِ﴾ يعني بالعدل ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ يعني إلا جهدها في العدل يعني إذا اجتهد الإنسان في الكيل والوزن فلو وقعت فيه زيادة قليلة أو نقصان فإنه لا يؤاخذ به إذا اجتهد جهده ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ يعني اصدقوا وقولوا الحق ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ يعني وإن كان الحق على ذي قرابة فقولوا الحق، ولا تمنعوا الحق ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ يقول: أتموا العهود التي بينكم وبين الله، والعهد الذي بينكم وبين الناس ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ يقول: أمركم به في الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.﴾ يعني تتعظون فتمتنعون عما حرم الله عليكم. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص[٢]: (تذكرون) بتخفيف الذال وقرأ الباقون بالتشديد لأن أصله تتذكرون، فأدغم احدى التاءين في الذال. قوله تعالى: ﴿وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيْماً﴾. قرأ حمزة والكسائي[٣]: (وإن هذا) بكسر الألف على معنى الابتداء، وقرأ الباقون بالنصب على معنى البناء. وقرأ ابن عامر: (وأَنْ هذا) بجزم النون لأن أن إذا خففت منعت عملها ومعنى الآية: إن هذا الإسلام ديني الذي ارتضيته طريقاً مستقيماً ﴿فاتَّبِعُوه وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ يعني لا تتبعوا اليهودية والنصرانية. ويقال: هذا صراطي مستقيماً: يعني طريق السنة والجماعة: (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل.) يعني الأهواء المختلفة. وروي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - عليه السلام - خطَّ بالأرض خطاً مستقيماً، ثم خط بجنبيه خطوطاً ثم قال: هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل. يعني الطريق الذي بجنبي الخط يعني به الأهواء المختلفة، ثم قال: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيْلِهِ﴾ يعني فيضلكم عن دينه ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.﴾ يعني يجتنبون الأهواء المختلفة. قوله تعالى:

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ

(١) اختلف العلماء في أشد اليتيم: فقال ابن زيد:) بلوغه وقال أهل المدينة بلوغه وإيناس رشده، وعند أبي حنيفة خمس وعشرون سنة. قال ابن العربي: وعجباً من أبي حنيفة فإنه يرى أن المقدرات لا تثبت قياساً ولا نظراً وإنما تثبت نقلاً، وهو يثبتها بالأحاديث الضعيفة ولكنه سكن دار الضرب فكثر - عنده المدلس ولو سكن المدن كما قيض الله لمالك لما صدر عنه إلا إبراز الدين، وقد قيل: إن انتهاء الكهولة فيها مجتمع الأشد كما قال سُحَيْم بن وثيل:

أخو خمسين مجتمع أشدى ونجدني مداورة الشؤون

يروى (نجدني) بالدال والذال، والأشد واحد لا جمع له بمنزلة الآنك وهو الرصاص وقد قيل: واحد شد كفلس وأفلس وأصلح من شد النهار أي - ارتفع يقال: أتيته شد النهار ومد النهار وكان محمد بن الضبي ينشد بيت عنترة:

عهدي به شد النهار كأنما خضب اللبان ورأسه بالعظلم

وقال آخر:

تطيف به شد النهار ظعينة طويلة أنقاء اليدين سحوق

وكان سيبويه يقول: واحده شدة. قال الجوهري: وهو حسن في المعنى: لأنه يقال: بلغ الغلام شدته ولكن لا تجمع فعله على أفعل وأما أنعم فإنما هو جمع نعم من قولهم: يوم بؤس ويوم نعم. وأما قول من قال: واحده شَدّ مثل كلب وأكلب وشِدّ مثل ذئب وأذؤب فإنما هو قياس. كما يقولون في واحد الأبابيل: إبول قياساً على عجول وليس هو شيئاً سمع من العرب قال أبو زيد: أصابتني شدي على فعلي أي شدة وأشد الرجل إذا كانت معه دابة شديدة. انظر القرطبي ٨٨/٧، ٨٩.

(٢) انظر سراج القاري ٢١٩ شرح شعلة ٣٨٤. (٣) انظر حجة القراءات ٢٧٧. شرح شعلة ٣٨٤.

تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة، ويقال، الألواح التي كتبت عليها حين انطلق إلى الجبل. ويقال: معناه: ثم أتـل عليكم كما قال الله تعالى: (ثم آتينا موسى الكتاب) ويقال: ثم بمعنى الواو، يعني وآتينا موسى الكتاب. ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ قال القتبي: أي تماماً على المحسنين كما يقول: ثلث مالي لمن غـزا، أي للغزاة، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون، وعلى بمعنى اللام كما نقول في الكلام أتم الله عليه النعمة، بمعنى أتم له، قال: ومعنى الآية والله أعلم وآتينا موسى الكتاب تماماً على أحسن من العلم والحكمة أي مع ما كان له من العلم وكتب المتقدمين أعطيناه زيادة على ذلك، ويكون «الذي» بمعني «ما» قال: ومعنى آخر: آتينا موسى الكتاب تتميماً منا للمحسنين يعني الأنبياء والمؤمنين ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ منا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني بياناً لكل شيء. (قال: ويجوز معنى آخر، وآتينا موسى الكتاب إتماماً منا للإحسان على من أحسن تفصيلاً لكـل شيء يعني بيانـاً لكل شيء ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ يعني ونعمـة ورحمة من العـذاب ﴿لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني لكي يصدقوا بالبعث. ثم قال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ يعني القرآن فيه بركة لمن آمن به وفيه مغفرة للذنـوب ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ يعني اقتدوا به ويقال إعملوا بما فيه من الأمر والنهي ﴿وَاتَّقُوا﴾ يعني وآجتنبوا ولا تتخذوا إماماً غير القرآن ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يعني لكي تُرحموا ولا تُعذَّبوا. قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ يعني أنزلنا هذا القرآن لكي لا تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يعني اليهود والنصارى، ويقال أن تقولوا يعني لكراهة (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) وذلك أن كفار مكة قالوا: قاتل الله اليهود، كيف كذبوا أنبياءهم، والله لو جاءنا نذير وكتاب لكنا أهدى منهم فأنزل الله القرآن حجة عليهم ثم قال: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ يعني عن قراءتهم الكتاب لغافلين عما فيه. ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ يعني لكي لا تقولوا: ﴿لو أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ يعني أصوب ديناً منهم ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني حجة من ربكم وهو محمد ـ عليه السلام ـ والقرآن وإنما قال (جاءكم) ولم يقل (جاءتكم) لأنه انصرف إلى المعنى يعني البيان ولأن الفعل مقدم ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ بمعنى هدى من الضلالة ورحمة من العذاب. ويقال: قد جاءكم ما فيه من البيان وقطع الشبهات عنكم. ثم قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني لا أحد أظلم وأشد في كفره ممن كذب بآيات الله تعالى ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ يعني أعرض عن الإيمان بها ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾ يعني يعرضون ﴿عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ أي شدة العذاب بما كانوا يعرضون عن الآيات. قوله تعالى:

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ معناه أقمت عليهم الحجة وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا فماذا ينتظرون فهل ينتظرون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ يعني يأتي أمر ربك بما وعد لهم كقوله: (فأتاهم الله

من حيث لم يحتسبوا.) ويقال: أن تأتي عقوبة ربك وعذابه، وقد ذكر المضاف إليه، ويراد به المضاف كقوله تعالى: (واسأل القرية) يعني أهل القرية وكقوله: (وأشربوا في قلوبهم العجل) يعني حب العجل كذلك هاهنا يأتي أمر ربك يعني عقوبة ربك وعذاب ربك، ويقال: هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله. ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ﴾ يعني طلوع الشمس من مغربها ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ، لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيْمَانُهَا﴾ حين طلعت الشمس من مغربها ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أن الكافر إذا آمن في ذلك الوقت لا يقبل إيمانه لأنها قد ارتفعت المحنة حين عاينوها وإنما الإيمان بالغيب، ثم قال: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرَاً﴾ يعني المسلم الذي يعمل في إيمانه خيراً كأن لم يقبل عمله قبل ذلك فإنه لا يقبل منه بعد ذلك ومن كان قبل من قبل ذلك فإنه يقبل منه بعد ذلك أيضاً أو كانت النفس مؤمنة ولم تكن كسبت خيراً قبل ذلك الوقت لا ينفعها الخير بعد. قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد بإسناده عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال المرادي قال: بينما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سفر إذ جاء أعرابي فسأله عن أشياء حتى ذكر التوبة فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للتوبة باب في المغرب مسيرة سبعين عاماً أو أربعين عاماً فلا يزال حتى يأتي بعض آيات ربك[(١)]

قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا السراج قال: حدثنا زياد بن أيوب[(٢)] عن يزيد بن هارون، عن سفيان بن الحسين[(٣)] عن الحكم عن إبراهيم التيمي[(٤)] عن أبيه[(٥)]، عن أبي ذر قال: كنت رديف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على حمار وعليه بردعة أو قطيفة، فنظر إلى الشمس حين غابت فقال: يا أبا ذر، هل تدري أين تغيب هذه؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنها تغرب في عين حمئة فتنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش فإذا دنا خروجها أذن لها فخرجت فإن أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها فتقول: يا رب إن مسيري بعيد فيقول الله تعالى: اطلعي من حيث جئت فذلك قوله: (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها)[(٦)]. وروي عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: لا يقبل الله من كافر عملاً ولا توبة إذا أسلم حين يراها إلا من كان صغيراً يومئذ فإنه لو أسلم بعد ذلك قُبِلَ ذلك منه ومتى كان مؤمناً مذنباً فتاب من الذنب قبلت منه[(٧)]. وروي عن عمران بن حصين أنه قال: إنما لم يقبل وقت الطلوع حتى تكون صيحة فيهلك كثير من الناس فمن أسلم أو تاب في ذلك الوقت وهلك لم يقبل منه، ومن تاب بعد ذلك قبلت منه[(٨)]. ثم قال: ﴿قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ.﴾ يعني انتظروا بالعذاب فإنا منتظرون بكم، حتى نظر أينا أسعد حالاً. قرأ حمزة والكسائي[(٩)]: (إلا أن يأتيهم الملائكة) بالياء بلفظ التذكير. والباقون: (إلا أن تأتيهم) بلفظ التأنيث لأن الفعل مقدم فيجوز أن يذكر ويؤنث. قوله تعالى:

(١) أخرجه ابن جرير الطبري ١٢/٢٥٥ (١٤٢١٦) والطبراني في الكبير ٨/٦٥ والخرائطي في مكارم الأخلاق ٤١ والحديث في كنز العمال (١٠١٩٥).

(٢) زياد بن أيوب البغدادي أبو هاشم المعروف بدلويه طوسي الأصل، وثقه الدارقطني مات سنة ١٥٢ هـ انظر التهذيب ٣/٣٥٥.

(٣) سفيان بن حسين بن الحسن أبو محمد ويقال: أبو الحسن الواسطي انظر التهذيب ٤/١٠٧ ـ ١٠٩.

(٤) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي الكوفي، كان من العباد. انظر التهذيب ١/١٧٦ ـ ١٧٧.

(٥) يزيد بن شريك بن طارق التيمي الكوفي انظر التهذيب ١١/٣٣٧.

(٦) أخرجه البخاري ٨/٤٠٢ في كتاب التفسير (٤٨٠٢) وأخرجه مسلم ١/١٣٨ في كتاب الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (٢٥٠/ ١٥٩).

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٩٨.

(٨) ذكره القرطبي في التفسير ٧/٩٦. وعزاه للمصنف رحمه الله.

(٩) انظر حجة القراءات ٢٧٧ وسراج القاري ٢٢٠.

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي[1]: (فارقوا دينهم) بالألف يعني تركوا دينهم الإسلام ودخلوا في اليهودية والنصرانية. وقرأ الباقون: (فرقوا دينهم) يعني آمنوا ببعض الرسل ولم يؤمنوا ببعض ﴿وَكَانُوا شِيَعاً﴾ يعني صاروا فرقاً مختلفة. وروي عن أسباط عن السدي أنه قال: هؤلاء اليهود والنصارى تركوا دينهم وصاروا [2] فرقاً ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي لم تؤمر بقتالهم. ثم نسخ وأمر بقتالهم في سورة براءة. وروى أبو أمامة الباهلي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) إنهم الخوارج[3]. وفي هذه الآية حث للمؤمنين على أن كلمة المؤمنين ينبغي أن تكون واحدة وأن لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع ما استطاعوا ثم قال: (لست منهم في شيء) يقول: إنما عليك الرسالة وليس عليك القتال ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يعني الحكم إلى الله ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُون.﴾ أي في الدنيا. ويقال: ليس بيدك توبتهم ولا عذابهم، إنما أمرهم إلى الله تعالى (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون). قوله تعالى:

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ يعني ما جاء بالإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله فله بكل عمل عمله في الدنيا من الخير عشرة أمثاله من الثواب ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ يعني بالشرك ﴿فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ وهو الخلود في النار لأن الشرك أعظم الذنوب والنار أعظم العقوبة فذلك قوله: (جزاءً وفاقاً) يعني جزاءً وافق العمل. ويقرأ: (فله عشر) بالتنوين (أمثالُها) بضم اللام فتكون الأمثال صفة للعشر وهي قراءة شاذة قرأها الحسن البصري [4]ويعقوب الحضرمي[5] والقراءة المعروفة: (عشر أمثالها) على معنى الإضافة. وتكلموا في المثل: قال بعضهم: إذا عمل عملاً يعطى في الآخرة ثواب عشرة ويقال: وأنه يكتب للواحدة عشرة. وروى أبو أمامة الباهلي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: إن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال وإذا عمل العبد حسنة كتب له عشرة أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسكها فيمسك ست ساعات أو سبع ساعات فإن استغفر لم يكتب عليه شيء وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة[6]. ويقال: إن الله تعالى قد وعد للواحدة عشراً فهو أعرف بكيفيته فإن قيل ذكر هاهنا للواحدة عشر وذكر في آية أُخرى سبعمائة وفي آية أُخرى أضعافاً مضاعفة. قيل له: قد تكلم أهل العلم في ذلك: قال بعضهم يكون للعوام عشرة والخواص سبعمائة وأكثر إلى ما لا يحصى. وقال بعضهم: العشرة اشترط لسائر الحسنات والسبعمائة للتفقه في سبيل الله فالخاص والعام فيه سواء وقد جاء في الأثر ما يؤكد القولين. فقد روى عطية عن ابن عمر قال: نزلت هذه الآية في الأعراب: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) قال رجل: ما للمهاجرين يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هو أفضل من ذلك، (إن الله لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) «سورة النساء: ٤٠» وإذا قال الله لشيء عظيماً فهو

---

(١) انظر حجة القراءات ٢٧٨ وسراج القاري ٢٢٠.
(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٢/٢٦٩ (١٤٢٦٠).
(٣) ذكره ابن كثير في التفسير ٣/٣٧٢ وقال لا يصح مرفوعاً.
(٤) انظر الطبري ١٢/٢٨١.
(٥) وابن جبير وعيسى بن عمر والأعمش والقزاز عن عبد الوارث انظر البحر المحيط ٤/٢٦١.
(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور، ٦/١٠٤ وعزاه للطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

عظيم[١]. وروى همام عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها يكتب له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها يكتب له بمثلها، حتى يلقى[٢] الله بلا ذنب. وروى ابن فاتك[٣] قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأعمال ستة فموجبتان، ومثل بمثل، وحسنة بحسنة، وحسنة بعشر، وحسنة بسبعمائة. فأما الموجبتان: فمن مات ولم يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله دخل النار، وأما مثل بمثل فمن عمل سيئة فجزاء سيئة مثلها ومن هم بحسنة حتى تشتهي بها نفسه ويعلمها الله من قلبه كتب له حسنة وأما حسنة بعشر فمن عمل حسنة فله عشر أمثالها وأما حسنة بسبعمائة فالنفقة في سبيل الله ثم قال: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يعني لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً ولا يزادون على سيئاتهم شيئاً. قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي﴾ وذلك أن أهل مكة قالوا له: من أين لك هذه الفضيلة، وأنت بشر مثلنا، فإن فعلت لطلب المال فاترك هذا القول حتى نعطيك من المال ما شئت فنزل (قل إنني هداني ربي)﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني وفقني الله وهداني إلى دين الإسلام، وهو دين لا عوج فيه ﴿دِيْنَاً قِيَماً﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو[٤]: (ديناً قَيِّماً) بنصب القاف وكسر الياء مشدودة وقرأ الباقون (قيماً) بكسر القاف ونصب الياء على معنى المصدر ومن قرأ بالنصب على معنى النعت (ديناً قيماً) يعني دينا عدلاً مستقيماً ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيْفَاً﴾ يعني مستقيماً مخلصاً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾ على دينهم ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ وأصل النسك ما يتقرب به، يعني قل: إن صلاتي المفروضة وقرباني وديني ﴿وَمَحْيَايَ﴾[٥] في الدنيا ﴿وَمَمَاتِي﴾ بعد الحياة. ويقال: ونسكي يعني أضحيتي وحجتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.﴾. ﴿لَا شَرِيْكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ في الكتاب ﴿وأَنَـا أَوَّلُ الْمُسْلِمِيْنَ﴾ من أهل مكـة. ويقال: أول المسلمين يوم الميثاق ويقال: صلاتي يعني صلاة العيد، ونسكي يعني الأضحية. وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال لعائشة ـ رضي الله عنها ـ قومي إلى أضحيتك واذبحي وقولي (إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) ويقال: إن أول المخلصين بالثبات على الأسلام. قوله تعالى:

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٥)﴾

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّاً﴾ يعني يقول: أعبد وأطلب رباً غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من خلقه في السموات

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير ٢/ ٢٨٠ (١٤٢٩٤).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٦٥ وعزاه لابن مردويه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٤٥ وذكره ابن كثير في التفسير ٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(٤) انظر حجة القراءات ٢٧٨ وسراج القـاري ٢٢٠.

(٥) قرأ نافع (محيايْ) ساكنة الياء (ومماتيَ لله) بفتح الياء. وقرأ الباقون (ومحيايَ) بفتح الياء (ومماتي) ساكنة الياء. انظر حجة القراءات ٢٧٩.

والأرض، لأنهم كانوا يقولون له: نحن كفلاء لك بما يصيبك ومن تابعك فنزلت ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ يعني [إلا][1] لها أو عليها، إن كان خيراً فلها وإن كان شراً فعليها ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ يعني لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ أي مصيركم في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين ويبين لكم الحق من الباطل بالمعاينة، ثم قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ يعني سكان الأرض من بعد إهلاك الأمم الخالية لأن النبي ـ عليه السلام ـ خاتم النبيين، وأمته قد خلفوا جميع الأمم. ويقال: خلائف يعني يخلف بعضكم بعضاً ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أي فضل بعضكم على بعض في المال والرزق ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ يعني ليبتلي الموسر بالغِنَى ويطلب منه الشكر ويبتلي المُعْسِر بالفاقة ويطلب منه الصبر، ويقال: ليبلوكم، يعني بعضكم ببعض كما قال الله تعالى: (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) ثم خوفه فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ كأنه جاء لأن «ما هو آت فهو قريب»، كما قال: (وما الساعة إلا كلمح البصر) ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني لمن أطاعه في فاقة أو غنى. ويقال: سريع العقاب لمن لم يشكر نعمته وكان مصراً على ذلك (وإنه لغفور رحيم) لمن رجع وتاب، رحيم بعد التوبة. ويقال: (سريع العقاب) لمن لم يحفظ نفسه فيما أعطاه من فضل الله وترك حق الله في ذلك وإنه (لغفور) لمن تاب، (رحيم) بعد التوبة. قال الفقيه: قال: حدثنا أبو الحسن[2] بن حمدان، بإسناده عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتحميد[3]. قال وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: من قرأ سورة الأنعام، صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية في سورة الأنعام يوماً وليلة[4].

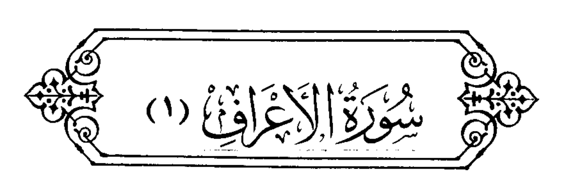
---

(١) سقط في أ.

(٢) في أ [الحسن].

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٣ وعزاه لأبي الشيخ.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٣ وعزاه لابن مردويه عن ابن مسعود.



سورة الأعراف (١)

وهي مائتان وست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى:

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾

﴿الٓمٓصٓ﴾ قال ابن عباس يعني أنا الله أعلم وأفصل[٢]، معناه أعلم بأمور الخلق وأفصل الأحكام والأمور والمقادير، وليس لي شريك في تدبير الخلق:

ويقال: معناه أنا الله المصور

ويقال: أنا الله الناصر، ويقال أنا الله الصادق.

وروى معمر بن قتادة[٣] قال: إنه إسم من أسماء القرآن. ويقال هو قسم. ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني أن هذا الكتاب أُنزل إليك يا محمد ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي فلا يقعن في قلبك شك منه، من القرآن. أنه من الله عز وجل فالخطاب للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمراد به غيره. كقوله (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِيْنَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) ويقال فلا يكن في صدرك حرج منه أي[٤] فلا يضيقن صدرك بتكذيبهم إياك كقوله عز وجل (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) والحرج في اللغة[٥] هو الضيق. ثم قال ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ﴾ على معنى التقديم يعني كتاب أنزلناه إليك لتنذر به، أي لتخوف بالقرآن أهل مكة ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي وعظة للمؤمنين الذين يتبعونك ثم قال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَبِّكُمْ﴾ أي صدقوا وآعملوا بما أنـزل على نبيكم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن ويقرؤه عليكم. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي ولا تتخذوا من دون الله

---

(١) انظر التحرير ٩/٥، ٦، ٧، ٨، ٩.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ١٤٣١٠، ١٤٣١١، ١٢/٢٩٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم كذا في الدر المنثور ١/٢٢.

(٤) سقط في ظ. (٥) انظر لسان العرب ٢/٨٢١، ترتيب القاموس ١/٦١٣.

أرباباً ولا تعبدوا غيره. ثم أخبر عنهم فقال ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ «ما» صلة في الكلام، ومعناه قليلاً تتعظون يعني إنهم لا يتعظون به شيئاً. قرأ ابن عامر[١] يَتَذَكَّرُونَ على لفظ المغايبة بالياء وقرأ ابن كثير ونافع وأبـو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر تَذَّكَّرُون بالتاء على معنى المخاطبة بتشديد الذال والكاف لأن أصله تتذكرون، فأدغم إحدى التائين في الذال. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص تَذَكَّرون بتخفيف الذال فأسقط التشديد للتخفيف. ثم خوفهم فقال ﴿وَكَم مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ معناه وكم من أهل قرية وعظناهم فلم يتعظوا فأهلكناهم ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ أي جاءها عذابنا بعد التكذيب ﴿بَيَاتًا﴾ أي ليلاً، سمى الليل بياتاً لأنه يبات فيه ﴿أَوْهُمْ قَائِلُونَ﴾ عند القيلولة فإن لم تتعظوا أنتم يأتيكم العذاب ليلاً أو نهاراً كما أتاهم. ثم أخبر عن حال من أتاهم العذاب فقال ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي لم يكن قولهم حين جاءهم العذاب ولم تكن لهم حيلة إلا أنهم تضرعوا قالوا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي ظلمنا أنفسنا بترك طاعة ربنا من التوحيد. يعني إن قولهم بعدما جاءهم العذاب. يعني الهلاك لم ينفعهم. فاعتبروا بهم فإنكم إذا جاءكم العذاب لا ينفعكم التضرع. ثم أخبر عن حال يوم القيامة فقال ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني الأمم لنسألنهم هل بلغكم الرسل ما أرسلوا به إليكم وماذا أجبتم الـرسل ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِيْنَ﴾ عن تبليغ الرسالة وهذا كقولـه عز وجـل (لِيَسْأَلَ الصَّادِقِيْنَ عَنْ صِدْقِهِمْ) ثم قـال تعالى ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ﴾ أي فلنخبرنهم بما عملوا في الدنيا ببيان وعلم منا ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عمّا بلغت الرسل وعما ردَّ عليهم قومهم، ومعناه وما كنا نسألهم لنعلم ذلك ولكن نسألهم حجةً عليهم. قوله

وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ أي وزن الأعمال يومئذ بالعدل ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الناجون. وتكلموا في وزن الأعمال. قال بعضهم: توزن الصحائف التي كتبها الحفظة في الدنيا. وقال بعضهم يجعل للأعمال صورة وتوضع في الميزان. وقال بعضهم: هذا على وجه المثل وهو كناية عن التعديل. وهو قول المعتزلة. وقال بعضهم قد ذكر الله تعالى الوزن فنؤمن به ولا نعرف كيفيته[٢]. وروى بلال الحبشي عن حذيفة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: إنّ جبريل صاحب الميزان يوم القيامة، يقول له ربه زن بينهم فرد بعضهم على بعض ولا درهم يومئذ ولا فضة ولا دينار، فيرد الظالم على المظلوم ما وجد له من حسنة[٣] فإن لم توجد له حسنة أخذ من سيئات المظلوم فترد على الظالم، فيرجع الظالم وعليه سيئات مثل الجبل. وروي عن ابن عباس[٤] أنه قال توزن الحسنات والسئات في ميزان له لسان وكفتان، فأما المؤمن فيؤتى

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٧٩، سراج القـاري ٢٢١، شرح شعلة ٣٨٦.

(٢) اختلف السلف في وجود مخلوق يبين مقدار الجزاء من العمل يسمى بالميزان توزن فيه الأعمال حقيقة، فأثبت ذلك الجمهور ونفاه جماعة منهم الضحاك ومجاهد والأعمش وقالوا: هو القضاء السوي. وقد تبع اختلافهم المتأخرون: فذهب جمهور الأشاعرة وبعض المعتزلة إلى تفسير الجمهور، وذهب بعض الأشاعرة المتأخرين وجمهور المعتزلة إلى ما ذهب إليه مجاهد والضحاك والأعمش، والأمر هين، والاستدلال ليس ببين، والمقصود المعنى، وليس المقصود آلته، انظر التحرير ٨/٣٠.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٦٩ وعزاه لابن أبي الدنيا وابن جرير الطبري واللالكائي.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٦٩ وعزاه لأبي الشيخ وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٣/١٧١.

بعمله في أحسن صورة وتثقل حسناته على سيئاته، وأما الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورة وتثقل سيئاته على حسناته. وقال بعضهم لا يوزن عمل الكافر وإنما توزن الأعمال التي بإزائها الحسنات. ثم قال تعالى ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: رجحت سيئاته على حسناته ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خسرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: غبنوا حظ أنفسهم ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنا يَظْلِمُونَ﴾، بما كانوا بآياتنا يجحدون بأنه ليس من الله تعالى، وقد ذكر الموازين بلفظ بالجمع. قال بعضهم: لأن المراد بها جميع الموزون. وقال بعضهم: أراد به الميزان، لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين والخيوط وقد ذكر باسم الجماعة. قال تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أي: مكناكم في الأرض وعمرناكم، فذكر لهم التهديد ثم ذكر لهم النعم ليستحيوا من ربهم ولا يعصوه ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ يعني الرزق، وهو ما يخرج من الأرض من الكروم والثمار والحبوب. وروى خارجة[١] عن نافع أنه قرأ معائش بالهمز، لأنه على ميزان فعائل مثل الكبائر والصغائر. وقرأ الباقون بغير همز لأن الياء أصلية، وكان على ميزان مفاعل. ثم قال: ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يعني إنكم لا تشكرون هذه النعمة. قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: خلقنا آدم وأنتم من ذريته، ثم صورناكم(يعني ذريته ويقال خلقناكم يعني آدم خلقه من تراب ثم صورناكم)[٢] يعني آدم صوره بعد ما خلقه من طين. ويقال خلقناكم نطفاً في أصلاب الآباء ثم صورناكم في أرحام الأمهات. ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ﴾ على وجه التقديم، أي وقلنا للملائكة ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، «ثُمَّ» بمعنى الواو، ويقال معناه خلقناكم وصورناكم وقلنا للملائكة اسجدوا لآدم. وهي سجدة التحية لا سجدة الطاعة. فالعبادة لله تعالى والتحية لآدم عليه السلام. ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ أي لم يسجد مع الملائكة. لآدم عليه السلام ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ يعني أن تسجد، ولا زيادة، ومعناه ما منعك عن السجود إذ أمرتك بالسجود لآدم. ﴿قَالَ﴾ إبليس عليه اللعنة إنما لم أسجد لأني ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ أي: هذا الذي منعني عن السجود. فاشتغل اللعين بالقياس، والقياس[٣] (في موضع النص)

---

(١) خارجة بن مصعب بن خارجة الضبعي بن الحجاج الخراساني السرخسي توفي سنة ١٦٨ هـ انظر التهذيب ٣/٧٦ ـ ٧٨.
(٢) سقط في ظ.
(٣) القياس في اللغة: التسوية والتقدير.

وفي الشرع: حَمْلُ معلوم على معلوم ـ أي إلحاقه به في حكمه ـ لمساواة بينهما في علة الحكم. أو هو: حمل مجهول الحكم على معلومه لمساواة بينهما في علة الحكم.

انظر تعريفات القياس في: القاموس ٢/٢٤٤، أصول الشاشي ص ٣٢٥، المعتمد ٢/٦٩٧، ١٠٣١، العدة ١/١٧٤، البرهان ٤

باطل، لأنه لما أقر بأنه هو الذي خلقه فقد أقر بأن عليه واجب، وعليه أن يأتمر بأمره. ومع ذلك لو كان القياس جائزاً (في موضع النص)[١] فإن قياسه فاسداً، لأن الطين أفضل من النار لأنّ عامة الثمار والفواكه والحبوب تخرج من الطين، ولأن العمارة من الطين والنار للخراب. ثم قال له عز وجل﴿ **فَاهْبِطْ مِنْهَا**﴾ قال مقاتل أي اهبط من الجنة[٢] ﴿**فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا**﴾ أي في الجنة. وقال الكلبي: فاهبط منها، أي اخرج من الأرض والحق بجزائر البحور ولا تدخل الأرض إلا كهيئة السارق[٣]، وعليه ذل الخوف وهو يروغ فيها فما يكون لك أن تتكبر فيها (لا)[٤] ينبغي لك أن تتكبر في هذه الأرض على بني آدم ﴿**فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ يعني من المهانين المذلين ﴿**قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ يعني أجلني إلى يوم البعث، اليوم الذي يخرج الناس من قبورهم. قال ابن عباس[٥]: أراد الخبيث ألا يذوق الموت فأبى الله تعالى أن يعطيه ذلك فـ﴿**قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ**﴾ إلى النفخة الأولى، فحينئذ يذوق الموت وتصيبه المرارة بعدد الأولين والآخرين. قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي**﴾. قال الكلبي: أي فكما أضللتني[٦]. وقال مقاتل: يعني أما إذا أضللتني وقال بعضهم: **فبما** أغويتني يعني فبما دعوتني إلى شيء غويت به. ﴿**لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ يعني لأقعدن لهم على طريقك المستقيم، وهو دين الإسلام فأصد الناس عن ذلك. ﴿**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ**﴾ روى أسباط عن السدي قال: من بين أيديهم الدنيا أدعوهم إليها ﴿**ومن خلفهم**﴾ الآخرة أشككهم فيها ﴿**وعن أيمانهم**﴾ قال الحق أشككهم فيه ﴿**وعن شمائلهم**﴾ قال الباطل أخففه عليهم وأرغبهم فيه[٧]. وقال في رواية الكلبي: ثم لآتينهم من بين أيديهم من أمر الآخرة، فأزين لهم التكذيب بالبعث بأنه لا جنة ولا نار[٨]، ومن خلفهم من أمر الدنيا فأزينها في أعينهم وأرغبهم فيها فلا يعطون حقاً، عن أيمانهم أي: من قبل دينهم فإن كانوا على الضلالة زينتها لهم وإن كانوا على الهدى شبهته عليهم حتى يشكوا فيه، وعن شمائلهم من قبل اللذات والشهوات. ويقال: معناه لآتينهم بالإضلال من جميع جهاتهم، ويقال: عن أيمانهم فيما أمروا به. وعن شمائلهم فيما نهوا عنه. ويقال وعن أيمانهم وعن شمائلهم أي **فيما** يعملون لأنه يقال عملت بذلك ﴿**وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾ يعني ذرية آدم لا يكونون شاكرين لنعمتك، ويقال شاكرين مؤمنين. وقال في آية أخرى (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) قوله ﴿**قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَدْحُوراً**﴾ قال الكلبي ومقاتل: يعني اخرج من الجنة مذؤوماً أي معيباً مدحوراً أي مطروداً. وقال الزجاج: مذؤوماً أي مذموماً. يقال: دأمت الرجل وذممته إذا عبته. مدحوراً أي مبعداً من رحمة الله تعالى ﴿**لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ**﴾ أي «مَنْ» أطاعك فيما دعوته إليه، و«اللام» زيادة للتأكيد ﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ أي ممن أطاعك منهم، من الجن والإنس. ويكون هذا اللفظ بمعنى القسم والتأكيد وأنه يفعل ذلك لا محالة. قوله تعالى:

= ٧٤٥/٢، أصول السرخسي ١٤٣/٢. المستصفى ٢/٥ المحصول ١٨/٢/٢ الإحكام للآمدي ٢٦١/٣. المنتهى لابن الحاجب ص ١٢٢ الإبهاج ٥/٣، شرح التنقيح ٣٨٣، تيسير التحرير ٢٦٣/٣، فواتح الرحموت ٢٤٦/٢. نبراس العقول ص ٩، ١٣.

(١) سقط من أ. (٢) انظر معالم التنزيل للبغوي ١٥١/٢.

(٣) انظر معالم التنزيل للبغوي ١٥١/٢، وتفسير القرطبي ١١٢/٧.

(٤) سقط من أ.

(٥) انظر معالم التنزيل للبغوي ١٥١/٢، وتفسير القرطبي ١١٢/٧.

(٦) انظر معالم التنزيل ١٥١/٢، وتفسير القرطبي ١١٣/٧، وأخرجه ابن جرير في التفسير ١٤٣٦١: ٣٣٢/١٢.

(٧) أخرجه الطبري من طريقة ابن عباس في التفسير ١٤٣٦٩ ٣٣٨/١٢. وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٣٩٠/٣ والبغوي في التفسير ١٥٢/٢.

(٨) أخرجه ابن جرير مثله عن قتادة انظر التفسير ١٤٣٧٢: ٣٣٩/١٢.

وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾

﴿وياآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ يعني وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة **﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾** أي من حيث أحببتما موسعاً عليكما **﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾** يعني لا تأكلا من هـذه الشجرة **﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** فتصيرا مـن الضارين بأنفسكما. قوله تعالى: **﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾** أي زين لهما الشيطان **﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وورِي عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾** يعني أراد إبليس لعنه الله بالوسوسة ليظهر ما سترا من عوراتهما. والسوأة كناية عن العورة. وذلك أن إبليس لما رأى محسوده في الجنة ورأى نفسه طريداً لم يصبر، واحتال لإخراجهما فأتاهما **﴿وَقَالَ مَانَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾** يعني أنكما لو أكلتما تصيران كالملكين تموتان أبداً. أو تكونا كالملائكة وتعلمان الخير والشر **﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾** يعني إن لم تكونا مَلَكَيْنِ فتكونا من الخالدين لا تموتان. وقرأ بعضهم[١] مَلِكَيْنِ بالكسر كما قال في آية أخرى (وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى) وهي قراءة يحيى بن كثير وهي قراءة شاذة[٢]. قوله **﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾** أي: حلف لهما **﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾** بأنها شجرة الخلد، من أكل منها لم يمت، وكان آدم لم يعلم أن أحداً يحلف بالله كاذباً. **﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾** أي غرهما بباطل، ويقال زَيَّنَ لهما. وأصله في اللغة من التقريب يعني قربهما إلى الشجرة **﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾** يقول فلما أكلا من الشجرة ووصل إلى بطونهما تهافت لباسهما عنهما **﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾** أي ظهرت عوراتهما، وإنما سميت العورة سوأة لأن كشف العورة قبيح. قال الفقيه: حدثنا أبو جعفر[٣] قال حدثنا أبو القاسم أحمد بن[٤]حم. قد ذكر بإسناده عن أُبَيْ بـن كعب عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن آدم كان رجلاً طويلاً كأنه نخلة سحوق، كثير شعر الرأس، فلما وقع في الخطيئة بدت له سوأته وكان لا يراها قبل ذلك، فانطلق هارباً في الجنة فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فناداه ربه يا آدم. أتفر مني؟ قال يا رب إني أستحي[٥]. وفيه دليل أن ستر العورة كان واجباً من وقت آدم. لأنه لما كشف عنهما سترا

---

(١) وهي قراءة ابن عباس ويحيى بن أبي كثير، والزهري، والضحاك، وابن حكم، وأنكر أبو عمرو بن العلاء كسر اللام وقال لم يكن قبل آدم ملك فيصير ملكين، وقال النحاس ويجوز على هذه إسكان اللام. انظر تفسير القرطبي ١١٥/٧ والبحر المحيط. ٢٧٩/٤.

(٢) سقط في أ.

(٣) محمد بن عبد الله بن عمر الهندوائي البلخلي. انظر الفوائد البهية ١٧٩.

(٤) أحمد بن عصمة الصغار انظر. الفوائد البهية ٣٦.

(٥) أخرجه الطبري في التفسير ٣٥٢/١٢ وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه انظر التفسير ٢٩٤/٣.

عوراتهما بالأوراق فذلك قوله ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي أقبلا وعمدا يلصقان عليهما من ورق الجنة يعني من ورق التين يطبقان على أبدانهما ورقة ورقة منه. يقال خصف نعله، وهو إطباق طاق على طاق وأصل الخصف[1] الضم والجمع والخصف إنما هو إلصاق الشيء بالشيء ولهذا قيل خصاف. وقرأ بعضهم[2] وطفقا بالنصب وهما لغتان طَفِقَ يَطْفَقُ وطَفَقَ يَطْفِقُ. ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ أي قال لهما ربهما ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ أي عن أكل تلك الشجرة ﴿وَأَقُلْ لَكُمَا﴾ يعني ألم أقل لكما ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة. قوله عز وجل ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ بأكلنا الشجرة فاغفر لنا وتجاوز عن معصيتنا ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾ يعني إن لم تتجاوز عن ذنوبنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بالعقوبة. فهذه لام القسم، كأنهما قالا والله لنكونن من الخاسرين إن لم تغفر لنا وترحمنا. وقد ذكر الله تعالى قبول توبتهما في سورة البقرة وهو قوله تعالى (فَتَابَ عَلَيْهِ) أي قبل توبته. وفي الآية دليل أنّ الله تعالى يعذب عباده إذا أصروا على الذنوب ويتجاوز عنهم إذا تابوا، لأن إبليس لم يتب وسأل النظرة فجعل مأواه جهنم، وتاب آدم ورجع عن ذنبه فقبل توبته قوله ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾ يعني آدم وحواء عليهما السلام وإبليس لعنه الله ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يعني إبليس عدو لآدم وحواء ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: منزل وموضع القرار ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ أي: معاش إلى وقت الموت قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أي في الأرض تعيشون ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ من الأرض، من قبوركم يوم القيامة. قرأ الكسائي وابن عامر[3] يَخْرُجُون بنصب الياء وضم الراء. وقرأ الباقون بضم الياء ونصب الراء على معنى فعل ما لم يسم فاعله. قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٢٨) قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ (٣٠)﴾

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً﴾ يقول خلقنا لكم الثياب ﴿يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ يعني يستر عوراتكم، ويقال معناه أنزلنا عليكم المطر ينبت لكم القطن والكتّان لباساً لكم ﴿وَرِيشاً﴾ قرأ الحسن البصري[4] ورياشاً بالألف.

---

(١) الخصف: النعل ذات المطراق وقصت الورق على بدنه الزقها وأطبقها عليه ورقة ورقة ترتيب القاموس ٢/٦٥.

(٢) وهي قراءة أبو السماك انظر البحر المحيط ٢٨٠.

(٣) انظر حجة القراءات ٢٨٠. سراج القاري ٢٢١، شرح شعلة ٣٨٧.

(٤) قرأ نافع وابن عامر والكسائي: «وريشاً ولباس التقوى» بالنصب عطفوا على الريش. المعنى: وأنزلنا عليكم لباس التقوى. وقرأ الباقون بالرفع. قال الزجاج: ورفعه على ضربين: أحدهما: أن يكون مبتدأ ويكون (ذلك) من صفته ويكون (خير) خبر

وقرأ غيره وريشاً بغير ألف. وقال القتبي: الريش والرياش ما ظهر من اللباس، وريش الطائر ما ستره الله به، ويقال الرياش المال[١] والمعاش.

قال الفقيه حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبي أمامة عن عوف بن أبي جميلة عن معبد الجهني[٢] في قوله ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً﴾ قال هو ماتلبسون. ورياشاً قال المعاش ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ هو الحياء ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: لباس التقوى، وهو الحياء خير من الثياب، لأن الفاجر إنْ كان حسن الثياب فإنه بادي العورة ألا ترى إلى قول الشاعر[٣] حيث يقول:

إني كأني أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط القوم عريانا

وقال القتبي: لباس التقوى أي ما ظهر عليه من السكينة والوقار. والعمل الصالح.

كما قال (لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ) أي ما ظهر عليهم من سوء آثارهم وتغير حالهم. ويقال لباس التقوى الإيمان ويقال العفة. قرأ نافع والكسائي وابن عامر لِبَاسَ التقوى بالنصب يعني أنزل لباس التقوى ومعناه ستر العورة وقرأ الباقون بالضم (لِبَاسُ) على معنى الابتداء، ويقال فيه مضموم يعني هو لباسُ التقوى. ومعناه ستر العورة، أي: لباسُ المتقين. وقرأ عبد الله بن مسعود ولباس التقوى خير. وقال مجاهد كان أناس من العرب يطوفون حول البيت[٤] عراة فنزل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً﴾ يعني من المال ويقال معنى قوله ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ يعني اللباس خير من تركه، لأنهم كانوا يطوفون عراة قوله ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: من نعم الله على الناس، ويقال من عجائب الله ودلائله ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: يتعظون. قوله عز وجل: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ يقول لا يضلنكم الشيطان عن طاعتي فيمنعكم من الجنة ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ حين تركا طاعتي وعصيا أمري ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ يعني لا يفتننكم الشيطان عن دينكم في أمر الثياب فينزعها عنكم فتبدو عوراتكم كما فعل بأبويكم، نزع عنهما لباسهما وأظهر عورتهما. وقال بعض الحكماء: إن المعصية شؤم تضر بصاحبها فتجعله عرياناً كما فعلت بآدم. ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ يعني كونوابالحذارمنه، فإنه يراكم، هو أي: إبليس وجنوده من الشياطين من حيث لا ترونهم، يعني كونوا على حذر لأنه يجري من بني آدم مجرى الدم، وذكر أن إبليس لما لعن قال رب إنّك باعث إلى بني آدم رسلاً وكتباً. فما رسلي؟ قال الكهنة. قال فما كتابي؟ قال الوشم قال فما قراءتي؟ قال الشعر. قال فما مسجدي؟ قال السوق قال فما مؤذني؟ قال المزامير. قال فما بيتي؟ قال الحمام. قال فما مصائدي؟ قال النساء. قال فما طعامي؟ قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه ـ قال فما شرابي؟ قال كل سكر[٥]. قوله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾

= الابتداء المعنى: (ولباس التقوى المشار إليه خير). ويجوز أن يكون (ولباس التقوى) مرفوعاً بإضمار (هو) المعنى: وهو لباس التقوى أي وستر العورة لباس المتقين، وحجتهم كما جاء في التفسير قيل: ولباس التقوى أفضل من الأثاث والكسوة. وجاء أيضاً: ولباس التقوى الحياء. انظر حجة القراءات ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(١) ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم. انظر الدر المنثور ٣/٧٦، وانظر تفسير الطبري ١٤٤٢٨، ١٢/٣٦٤ ـ ٣٦٥.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لأبي عبيد وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) وهو سوار بن المضرب انظر النوادر في اللغة ٢٣٢.

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي ٢/١٥٥.

(٥) ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان.

(يعني قرناء)[١] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ أي: لا يصدقون بالآخرة ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ «يعني المشركين حرموا على أنفسهم أشياء قد أحل الله لهم، وكانوا يطوفون بالبيت عراة وقالوا لا نطوف في ثياب قد أذنبنا فيها، وكان رجالهم يطوفون بالنهار ونساؤهم بالليل. وإذا طافت المرأة بالنهار اتخذت إزاراً من سير، وكان تبدو عورتها إذا مشت. وكانت تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله[٢]

وإذا قيل لهم لم فعلتم هكذا ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ يعني بتحريم هذه الأشياء وبالطواف عراة. قال الله تعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: المعاصي ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أتكذبون على الله وتقولون بغير علم. ثم بين لهم ما أمرهم الله تعالى به فقال عز وجل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل والصواب وكلمة التوحيد. وهي شهادة ألّا إله إلّا الله ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي: قل أمر ربي بالقسط وقل أقيموا وجوهكم ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: حولوا وجوهكم إلى الكعبة عند كل صلاة. وقال الكلبي: يعني إذا حضرت الصلاة وأنتم في مسجد فصلوا فيه، فلا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي، وإذا لم يكن في مسجد فليأت أي مسجد شاء، قال مقاتل: يعني حولوا ولوا وجوهكم إلى القبلة في أي مسجد كنتم ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يقول وحدوه واعبدوه بالإخلاص. ويقال إنّ أهل الجاهلية كانوا يشركون في تلبيتهم ويقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. فأمرهم الله أن يوحدوه في التلبية مخلصين له الدين ثم قال ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي ليس كما تشركون فاحتج عليهم بالبعث متصلاً بقوله ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ كما بدأكم تعودون أي: ليس بعثكم بأشد من ابتدائكم. وقال الحسن: كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً، فأحياكم كذلك يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة ويقال: كما بدأكم يوم الميثاق من التصديق والتكذيب تعودون إلى ذلك، حيث قال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي. ويقال. كما بدأكم فخلقكم من التراب تعودون تراباً بعد الموت.

وقال ابن عباس[٣] كما بدأكم مؤمناً وكافراً وشقياً وسعيداً. كذلك تموتون عليه وتبعثون عليه. ثم قال ﴿فَرِيقاً هَدَى﴾ وهم المؤمنون فعلم الله تعالى منهم الطاعة ويكرمهم بالمعرفة ﴿وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ أي: وجب عليهم الضلالة فخذلهم ولم يكرمهم بالتوحيد حيث علم منهم المعصية والكفر ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ﴾ يعني لأنهم اتخذوا الشياطين ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني اتخذوهم أولياء وأطاعوهم بالمعصية ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: يظنون أنهم على الهدى. قال الزجاج: فيه دليل أن من لا يعلم أنه كافر وهو كافر يكون كافراً. لأن بعضهم قال لا يكون كافراً وهو لا يعلم. وذلك القول باطل لأن الله تعالى قال (ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) وقال ويحسبون أنهم مهتدون قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ

---

(١) سقط في ظ.
(٢) أخرجه عن ابن عباس مسلم في التفسير (٣٠٢٨/٢٥) والنسائي في المجتبى (٢٩٥٦) وانظر تفسير الطبري ٣٧٧/١٢.
(٣) قال السيوطي في الدر ٧٧/٣ أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم انظر الطبري ٣٨٤/١٢ (١٤٤٧٨).

ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾

﴿يَا بَنِي آدَمَ: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: البسوا ثيابكم واستروا عوراتكم عند كل صلاة. قال السدي(١): كان هؤلاء والذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون الودك فقال الله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في التحريم. ويقال الإسراف أن يأكل ما لا يحل أكله، أو يأكل مما يحل له أكله فوق القصد ومقدار الحاجة. وقيل لبعض الأطباء: هل وجدت الطب في كتاب الله تعالى؟ قال نعم قد جمع الله الطب كله(٢) في هذه الآية (وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) ثم قال: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أي لا تحرموا ما أحل الله لكم فإن المحرم ما أحل الله كالمحل ما حرم الله تعالى، قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ وهو أنه لما نزل قوله خذوا زينتكم لبسوا الثياب وطافوا بالبيت مع الثياب فعيرهم المشركون فنزل (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ) يعني لبس الثياب التي أخرج لعباده أي: خلقها لهم لعباده أي أوجد وقيل أظهر وقيل على حقيقته، كان في السماء أو في الأرض فأخرجه ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ يعني الحلال وهو اللحم والشحم والدسم. ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال مقاتل: في الآية تقديم، ومعناه قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق في الحياة الدنيا ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قرأ نافع خالصة «بضم التاء»(٣)، وقرأ الباقون بالنصب (خَالِصَةً) فمن قرأ بالضم فهو خبر بعد خبر يعني هي ثابتة لهم خالصة. أي ثابتة معناه قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشترك فيها المؤمن والكافر، وهي خالصة للمؤمنين يوم القيامة. وقال القتبي: هذا من الاختصار ومعناه قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة وفي الآخرة خالصة. ثم قال ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ يعني العلامات ويقال نبين الآيات من أمره ونهيه وما يكون في الدنيا والآخرة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يفهمون أمر الله تعالى، ثم أخبرهم بما حرم عليهم فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ﴾ يعني المعاصي ويقال الإثم يعني الخمر كما قال القائل(٤):

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم(٥) يذهب بالعقول

﴿وَالْبَغْيَ﴾ يعني حرم الاستطالة وظلم الناس ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ يقول وحرم أن تشركوا بالله ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً﴾ يقول ما لم ينزل به كتاباً فيه عذركم وحجة لكم ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ (أي وحرم عليكم أن تقولوا على الله (٦) ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنه حرم عليكم. ثم خوفهم فقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ يعني لكل أهل دين مُهلة للعذاب. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ بعد الأجل ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ساعة قبل الأجل. ثم قال:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/٤٠٢.

(٢) ذكره البغوي في التفسير ٢/١٥٧ عن علي بن الحسين بن واقد: قد جمع الله الطب كله في نصف آية فقال (كلوا واشربوا) وانظر تفسير القرطبي ٧/١٢٣.

(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٢٨١، شرح شعلة ٣٨٨.

(٤) والبيت دون نسبة في تهذيب اللغة ١٥/١٦١.

(٥) والصحاح للجوهري ٥/١٨٥٨، لسان العرب ١/٢٩ الغريبين للهروي ١/١٨.

(٦) سقط في ظ.

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾

﴿**يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ**﴾ وأصله إنْ ما، ومعناه متى ما يأتيكم ﴿**رُسُلٌ مِنْكُمْ**﴾ أي: من جنسكم ﴿**يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي**﴾ أي: يقرءون عليكم ويعرضون عليكم كتابي ﴿**فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ**﴾ أي اتقى الشرك[1] وأطاع الرسول وأصلح العمل يعني: فمن اتقى عما نهى الله عنه وأصلح. أي: عمل بما أمر الله تعالى به ﴿**فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ يعني لا خوف عليهم من العذاب، ولا هم يحزنون من فوات الثواب، ويقال فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا من الدنيا، ويقال معناه إمَّا يأتينَّكم رسل منكم وأيقنتم، فلا خوف عليكم فيما يستقبلكم، فذكر الله ثواب من اتقى وأصلح ثم بين عقوبة من لم يتق فقال عز وجلّ: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا**﴾ أي: تعظموا عن الإيمان فلم يؤمنوا بالرسل وتكبروا عن الإيمان ﴿**أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ أي: دائمون. قوله تعالى ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ**﴾ قال الكلبي: فمن أكفر. وقال بعضهم هذا التفسير خطأ، لأنه لا يصح أن يقال: هذا أكفر من هذا، ولكن معناه، ومن أشد في كفره، ويقال فلا أحد أظلم، ويقال أي ظلم أشنع وأقبح ﴿**مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾، يعني من اختلق على الله كذباً. أي شركاً ﴿**أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ**﴾ جحد بالقرآن ﴿**أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ**﴾ أي: حظهم من العذاب، ويقال نصيبهم حظهم مما أوعدهم اللّه في الكتاب، الإهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة. وقال ابن عباس[2]: هو ما ذكر في موضع آخر ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ**﴾ ويقال نصيبهم أي ما قضي وقدر عليهم في اللوح المحفوظ من السعادة والشقاوة، ويقال نصيبهم رزقهم وأجلهم في الدنيا ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ**﴾ يعني أمهلهم حتى يأتيهم ملك الموت وأعوانه عند قبض أرواحهم. ويقال يقول لهم خزنة جهنم قبل دخولها ﴿**قَالُوا أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ**﴾ يعني أن الملائكة يقولون ذلك عند قبض أرواحهم ﴿ **مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ يمنعونكم من النار ﴿**قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا**﴾ أي اشتغلوا عنا بأنفسهم ﴿**وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**﴾ في الدنيا. وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم، ثم قال ﴿**قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾ أي: قالت لهم خزنة النار ادخلوا النار مع أمم قد مضت على مذهبكم ﴿**مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ**﴾ يعني النار ﴿**أُمَّةٌ**﴾ جماعة ﴿**لَعَنَتْ أُخْتَهَا**﴾ أي: على الأمة التي دخلت قبلها في النار. قال مقاتل: يعني: لعنوا أهل ملتهم، يلعن المشركون المشركين والنصارى النصارى وقال

---

(١) سقط في ظ.

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي ١٥٩/٣.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٥٩/٣.

الكلبي[١]: تدعو على الأمم التي قبلهم في النار، يبدأ بالأمم الأولى فالأولى، ويبدأ أولاً بقابيل وولده، ويقال يبدأ بالأكابر فالأكابر مثل فرعون، كما قال في آية آخى (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً) ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً﴾ يعني اجتمعوا في النار، وأصله تداركوا فيها، يعني اجتمع القادة والأتباع في النار، وقرأ بعضهم: حَتَّى إِذَا أَدْرَكُوا فيه أي: دخلوا في إدراكها، كما يقال أشتى الرجل إذا دخل في الشتاء وهي قراءة شاذة. ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ﴾ أي: قال أواخر الأمم لأولهم، ويقال قالت الأتباع للقادة والرؤساء ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ عن الهدى ﴿فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ﴾ أي: أعظم زيادة من العذاب. ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: على القادة زيادة من العذاب ولكن لا تعلمون ما عليهم. قرأ عاصم[٢] في رواية أبي بكر ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالياء، أي لا يعلم فريق منهم عذاب فريق آخر. ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ﴾ أي: أولهم دخولاً لآخرهم دخولاً، ويقال القادة للأتباع ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ في شيء كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم سواء في الكفر، ضللتم كما ضللنا. قال الله تعالى ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ويقال، الخزنة فذوقوا العذاب، ويقال هذا قول بعضهم لبعض فذوقوا العذاب ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: تكفرون في الدنيا وبترككم الإيمان.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

قوله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ يعني استكبروا عن قبولها، ويقال عن النظر فيها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لأعمال الكفار أي ليس لهم عمل صالح يفتح لهم أبواب السماء، ويقال: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء إذا ماتوا. وقال بعضهم: أبواب السماء أي: أبواب الجنة. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي: لا يدخلون الجنة أبداً كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة وروي عن ابن[٣] مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة، وقال الضحاك الجمل الذي له أربع قوائم. وقال بعض الناس: الجمل هو أشتر بالفارسية. وقال الحسن هو ولد الناقة. وروي عن ابن عباس[٤] رضي الله عنهما أنه قرأ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّل بضم الجيم وتشديد الميم وهو حبل السفينة

---

(١) أخرجه الطبري عن السدي ١٢/٤١٦.

(٢) انظر حجة القراءات ٢٨٢، شرح شعلة ٣٨٨.

(٣) ذكره السيوطي في الدر ٣/٨٤ وعزاه لسعيد بن منصور والفريابي وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ والطبراني في الكبير.

(٤) ذكره السيوطي في الدر ٣/٨٤ وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وأبي عبيد وابن جرير وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف وأبي الشيخ من طرق.

الغليظ، وسئل عكرمة[١] عن قوله حتى يلج الجمل. قيل وما الجمل؟ قال الحبل الذي يصعد به النخل. قال سعيد بن جبير: هو حبل السفينة الغليظ[٢]. قرأ أبو عمرو [٣] لا تُفْتَحْ بالياء بلفظ التذكير بالتخفيف وقرأ الباقون بالتاء المشددة. فمن قرأ بالتأنيث فلأنها من جماعة الأبواب، ومن قرأ بالتذكير فلأن الفعل مقدم، ومن قرأ بالتشديد أراد به تكثير الفتح ومن قرأ بالتخفيف فتفتح مرة واحدة. وقرأ بعضهم[٤] في سُمِّ بضم السين وهي قراءة شاذة وهما لغتان. قال أبو عبيدة: كل ثقب فهو سم. ثم قال عز وجل ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: هكذا نعاقب المشركين. ثم ذكر ما أوعدهم في النار فقال عز وجل ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ أي: فراش من النار ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أي: مُغشاهم النار من فوق رؤسهم، ومعناه أن من تحتهم ناراً ومن فوقهم ناراً. كقوله (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) ويقال لهم من جهنم مهاد أي: حظهم من جهنم كالمهاد، فأخبر عن ضيق مكانهم في النار ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ نعاقب الكافرين. قوله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وذلك أن الله تعالى لما أخبر عن حال الذين كذبوا بآياته واستكبروا عن قبولها أخبر عن حال الذين آمنوا بـآياتـه فقال «وَالَّـذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أي: صدقوا وعملوا الصالحات أي: الطاعات والأعمال الصالحة ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: لا نكلف نفساً بعد الإيمان من العمل إلا بقدر طاقتها ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني دائمون، ثم قال عز وجل ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ قال بعضهم أي: في الدنيا أخرج الله تعالى الغل والحسد من قلوبهم وألف بين قلوبهم كما قال الله تعالى (وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) ويقال هذا في الجنة يخرج الغل والحسد من قلوبهم. قال ابن عباس[٥] رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعليّ ونحوهم من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. ومن تابعهم على سنتهم ومناهجهم إلى يوم القيامة. وقال عليّ بن أبي طالب لعمران بن طلحة بن عبيد الله: أرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله تعالى فيهم[٦]: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ». فأنكر عليه بعضهم. فقال عليّ إن لم نكن نحن فمن هم؟ يعني إن الذين كانوا على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن في قلوبهم من الغل حتى ينـزع عنهم. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت غرفهم وقصورهم وأشجارهم الأنهار ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ أي: أكرمنا بهذه الكرامة، ويقال إن الذي وفقنا للأمر الذي أوجب لنا هذا الثواب وهو الإسلام، ويقال هدانا لهاتين العينين، وذلك أن أهل الجنة لما انتهوا إلى باب الجنة فإذا هم بشجرة تنبع من ساقها عينان فيعمدون إلى إحداهما فيشربون منها فيخرج الله تعالى ماكان في أجوافهم من غل وقذر، فذلك قوله تعالى (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً) ثم يعمدون إلى الأخرى فيغتسلون فيها فيطيب الله تعالى أجسادهم من كل درن وحسد. وجرت عليهم نضرة ولا تشعث رؤوسهم ولا تغبر وجوههم ولا تشحب أجسادهم أبداً، تتلقاهم خزنة الجنة فينادون في التقديم أي قبل أن يدخلوها أَنْ تِلْكُمُ

---

(١) ذكره السيوطي في الدر ٨٤/٣ وعزاه لابي الشيخ.
(٢) انظر تفسير القرطبي ١٣٣/٧ انظر تفسير ابن كثير ٤١٠/٣ وفيه النسبة لسعيد رضي الله عنه وانظر تفسير ابن عباس بهامش الدر ٩٥/٢.
(٣) انظر حجة القراءات ٢٨٢، شرح شعلة ٣٨٨.
(٤) قرأ بها ابن سرين انظر تفسير القرطبي ١٣٣/٧. وقال أبو حيان في البحر ٢٩٧/٤ وقرأ عبد الله وقتادة وأبو رزين وابن مصرف وطلحة بضم السين سم وقرأ أبو عمران الحرفي وأبو نهيل والأصمعي عن نافع بكسر السين.
(٥) انظر تفسير الطبري ٤٣٨/١٢.
(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٤٣٨/١٢ (١٤٦٦٢).

الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، فقالوا بعد ما اغتسلوا من العينين الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا أي: وفقنا حتى اغتسلنا من هاتين العينين. ويقال لما دخلوا الجنة ونظروا إلى كراماتها (قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا) يعني لهذا الثواب. ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ أي: ما كنا لولا أن وفقنا الله، ذلك أنهم علموا أن الله تعالى له عليهم المن والفضل فيما أعطاهم. قرأ إبن عامر مَاكُنَّا لِنَهْتَدِي بغير واو على الاستئناف وقرأ الباقون والواو وعلى معنى العطف. ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ يعني جاءت رسل ربنا بالحق فصدقناهم ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾ قال بعضهم: قبل أن يدخلوها قال لهم حزنة الجنة تلكم الجنة(التي وعدتم ويقال بعد ما دخلوا بها يقال لهم تلك الجنة أي هذه الجنة التي)[١]﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ يعني أنزلتموها بإيمانكم واقتبستموها ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في دار الدنيا، وهذا كما روي في الخبر: إنه يقال لهم يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم[٢]. قوله تعالى:

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ أي ما وعدنا يعني في الدنيا من الثواب وجدناه صدقاً ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا﴾ أي صدقاً ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ فاعترفوا على أنفسهم في وقت لا ينفعهم الإعتراف، قرأ الكسائي[٣] قالوا نَعِمْ بكسر العين في جميع القرآن، وقرأ الباقون بالنصب. وروي عن عمر أنه سمع رجلاً يقول نَعَمْ بالنصب فقال له عمر النَّعَم المال، وقل نَعِمْ يعني بكسر العين. وروى الكسائي عن شيخ من ولد الزبير قال: ما كانت أشياخ قريش إلا يقولون نَعِمْ فماتت. يعني اللغة ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وذلك أنه ينادي منادٍ بين الجنة والنار تسمعه الخلائق كلهم إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ المحسنين ولعنة الله على الظالمين أي كرامة الله وفضله وإحسانه على المؤمنين وعذاب الله مع عقابه على الكافرين ثم قال ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي الناس عن دين الله وهو الإسلام، وهم الرؤساء منهم، منعوا أتباعهم عن الإيمان ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ يقول: يريدون بملة الإسلام غيراً وزيفاً ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ يعني أنهم كانوا جاحدون بالبعث. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي[٤] أَنَّ لَعْنَةَ الله بالتشديد ونصب الهاء. وقرأ الباقون أَنْ لَعْنَةُ بتخفيف أَنْ وضم الهاء. قوله ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ إي: بين أهل الجنة وأهل النار سور ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ وروى مجاهد عن ابن عباس[٥] قال: الأعراف سور كعرف الديك. وقال القتبي: الأعراف سور بين الجنة والنار. وسمي بذلك لارتفاعه، وكل مرتفع عند العرب أعراف. وقال السدي إنما سمي الأعراف لأن أصحابه يعرفون الناس، روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: هم قوم قتلوا في سبيل

---

(١) سقط في ظ.
(٢) انظر زاد المسير في التفسير لابن الجوزي ٣/٢٠٠.
(٣) انظر حجة القراءات ٢٨٢ ـ ٢٨٣، شرح شعلة ٣٨٩.
(٤) انظر حجة القراءات ٢٨٣، سراج القاري ٢٢٣.
(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٨٦ وعزاه للفريابي وهناد وعبد بن حميد وابن جرير ١٢/٤٥٠ وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

الله في معصية آبائهم، فمنعهم من النار قتلهم في سبيل الله ومنعهم من الجنة معصيتهم آباؤهم[١]. وعن حذيفة[٢] بن اليمان أنه قال: قوم إستوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم يكن لهم حسنات فاضلة يدخلون بها الجنة، ولا سيئات فاضلة يدخلون بها النار. وهذا القول أيضاً روي عن ابن[٣] عباس مثل هذا وروي عن ابن[٤] عباس أيضاً أنه قال: هم أولاد الزنا. وروي عن أبي[٥] مجلز[٦] أنه قال هم الملائكة. فبلغ ذلك مجاهداً فقال كذب أبو مجلز. يقول الله تعالى وعلى الأعراف رجال. فقال أبو مجلز لأن الملائكة ليسوا بإناث، ولكنهم عباد الرحمن. قال الله (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إناثاً) ﴿يَعْرِفُونَ كلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ يعني أن أصحاب الأعراف يعرفون أهل الجنة إذا مروا بهم ببياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بسواد وجوههم. والسيما هي العلامة ﴿وَنَادَوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ يعني[٧] فإذا مر بهم زمرة من أهل الجنة قالوا أنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يعني إنّ أهل الأعراف يسلمون على أهل الجنة ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ يعني إنّ أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون أنْ يدخلوها. وقال الحسن[٨]: والله ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدهم بها. ويقال: لم يدخلوها يعني أهل الجنة لم يدخلوها حتى يسلم عليهم أهل الأعراف. وهم يطمعون في دخولها. ويقال: أهل النار لم يدخلوها أبداً. وهم يطمعون. وطمعهم أن أفيضوا علينا من الماء. قوله تعالى:

وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٢/٤٥٦ وإسناده ضعيف.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٨٧ وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وهناد بن السري وعبد بن حميد وابن جرير ١٢/٤٥٣ (١٤٦٨٦) وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في البعث.

(٣) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم انظر الدر المنثور ٣/٨٨.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٣/١٣٦ وقال ذكره القشيري عن ابن عباس وتفسير ابن كثير ٣/٤١٦.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٨٨ وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في الأضداد وأبي الشيخ والبيهقي في البعث.

(٦) لاحق بن حميد السدوس أبو مِجْلَز بكسر أوله وإسكان الجيم آخره زاي البصري، وثقه أبو زرعة والعجلي وابن سعد مات سنة ١٠٦ هـ انظر الخلاصة ٣/١٤١.

(٧) سقط في ظ.

(٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٨٩ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ قال من سرعة ما انصرفوا كأنهم صرفوا، تلقاء أصحاب النار يعني أنهم إذا نظروا قِبَلَ أصحاب النار أي تلقاء أصحاب النار ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي مع الكافرين في النار ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالاً﴾ يعني في النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي ما أغنى عنكم ما كنتم تستكبرون عن الإيمان. وقرأ بعضهم[1] وما كنتم تستكثرون. يعني تجمعون المال الكثير. وهي قراءة شاذة. ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ يعني إنّ أهل الأعراف يقولون يا وليد ويا أبا جهل: أهؤلاء؟ يعني صهيباً وبلالاً والضعفة من المسلمين الذين كنتم تحلفون لا ينالهم الله برحمة. يعني إنَّهم لا يدخلون الجنة ثم يقول الله تعالى لأصحاب الأعراف ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وعن أبي مجلز أنه قال: وعلى الأعراف رجال من الملائكة، نادوا أصحاب الجنة قبل أن يدخلوها سلام عليكم لم يدخلوها. وهم يطمعون دخولها يعني في الجنة. وإذا نظروا إلى أصحاب النار حين مروا بهم «قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَ نَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا» من المشركين «يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ» يعني لأهل الجنة. قال مقاتل: فأقسم أهل النار أن أصحاب الأعراف داخلون النار معهم. فقالت الملائكة لأهل النار أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة. ثم تقول الملائكة لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة. ويقال إن أهل النار يقولون لأهل الأعراف ما أغنى عنكم جمعكم وعملكم وأنتم والله تكونون معنا في النار ولا تدخلون الجنة. فيقول الملائكة لأهل النار أهؤلاء الذين أقسمتم يعني أصحاب الأعراف لا ينالهم الله برحمة[2]. ثم يقال لأصحاب الأعراف ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ. قوله عز وجل ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي اسقونا من الماء أو شيئاً من الفواكه وثمار الجنة فإنّ فينا من معارفكم. فعلم الله تعالى أن ابن آدم غير مستغن عن الطعام والشراب وإن كان في العذاب. فأجابهم أهل الجنة ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يعني الماء والثمار. وروي في الخبر[3] أنَّ أبا جهل بن هشام بعث إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستهزىء به. أطعمني من عنب جنتك أو شيئاً من الفواكه. فقال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه قل له إن الله حرمهما على الكافرين، ثم وصفهم عز وجل فقال ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً﴾ أي اتخذوا الإسلام باطلاً ودخلوا في غير دين الإسلام. ويقال اتخذوا عبداً لهواً وفرحاً ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي غرهم ما أصابهم من زينة الدنيا ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ﴾ أي نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾أي كما تركوا العمل ليومهم هذا. ويقال كما تركوا الإيمان ليومهم هذا يعني أنكروا البعث ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ يعني بجحدهم بآياتنا بأنها ليست من عند الله تعالى ـ قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ﴾ أي أكرمناهم بالقرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ

---

(١) انظر البحر المحيط ٣٠٣/٤.

(٢) انظر تفسير ذلك في معالم التنزيل للبغوي ١٦٣/٢ وتفسير ابن كثير ٢١٨/٣ وتفسير القرطبي ١٣٧/٧.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٠/٣ بلفظ لما مرض أبو طالب قالوا له لو أرسلت إلى ابن أخيك فيرسل إليك بعنقود من جنته لعله يشفيك فجاء الرسول وأبو بكر عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال أبو بكر: إن الله حرمهما على الكافرين، وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن أبي صالح.

﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ يعني بينا فيه الآيات، الحلال والحرام «على علم» أي بعلم منا **﴿هُدًى﴾** يعني بياناً من الضلالة ويقال جعلناه هادياً **﴿وَرَحْمَةً﴾** أي نعمة ونجاة من العذاب **﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** يعني لمن آمن وصدق به. يعني: أكرمناهم بهذا الكتاب فلم يؤمنوا ولم يصدقوا. وإنما أضاف إلى المؤمنين لأنهم هم الذين يهتدون به ويستوجبون به الرحمة. ثم قال **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾** أي ما ينتظرون إلا عاقبة ما وعدهم الله تعالى في القرآن من العذاب **﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾** عاقبة ما وعدهم الله. وهو يوم القيامة **﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾** يقول الذين تركوا العمل والإيمان **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** يعني في الدنيا **﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾** وذلك أنهم حين عاينوا العذاب وذكروا قول الرسل وندموا على تكذيبهم إياهم. يقولون قد جاءت رسل ربنا بالحق. أي بأمر البعث فكذبناهم **﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾** لأنهم يرون الشفعاء يشفعون للمؤمنين، فيقال لهم ليس لكم شفيع. فيقولون **﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾** أي هل نرد إلى الدنيا فنصدق الرسل ونعمل غير الشرك «فَنَعْمَلَ» صار نصباً لأنه جواب الاستفهام، وجواب الاستفهام إذا كان بالفاء فهو نصب. وكذلك جواب الأمر والنهي. يقول الله تعالى **﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾** أي قد غبنوا حظ أنفسهم **﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾** أي يكذبون بأن الآلهة شفعاؤهم عند الله قوله:

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ وذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما عير المشركين بعبادة آلهتهم ونزل قوله «لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له» وقوله (كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً) سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا من ربك الذي تدعونا إليه؟ وأرادوا أن يجحدوا في اسمه طعناً أو في شيء من أفعاله فنزلت هذه الآية. فتحيروا وعجزوا عن الجواب. فقال إن ربكم الله (أي خالقكم ورازقكم)[١] الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام. قال ابن عباس[٢] أي من أيام الآخرة. طول كل يوم ألف سنة. وقال الحسن البصري من أيام الدنيا[٣]. ويقال يعني في ست ساعات من ستة أيام من أطول أيام الدنيا ولو شاء أن يخلقها في ساعة واحدة لخلقها ولكن علَّم عباده التأني والرفق والتدبير في الأمور **﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾** قال بعضهم هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله. وذكر عن يزيد بن هارون[٤] أنه سئل عن تأويله فقال تأويله الإيمان به وذكر أن رجلاً دخل على مالك بن أنس فسأله عن قوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) فقال: الاستواء غير مجهول والكيفية غير معقولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالاً. فأخرجوه. وذكر عن محمد بن جعفر نحو هذا[٥]. وقد تأوله بعضهم وقال «ثم» بمعنى الواو فيكون على معنى الجمع والعطف لا على معنى التراخي والترتيب. ومعنى قوله

---

(١) سقط في ظ.

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي ١٦٤/٢ وانظر تفسير القرطبي ١٤٠/٧.

(٣) انظر المصدرين السابقين، وقال مجاهد وغيره: أولها الأحد وآخرها الجمعة.

(٤) السلمي أبو خالد الواسطي، أحد الأعلام الحفاظ المشاهير، وثقه العجلي، وقال أبو حاتم؛ إمام لا يسأل عن مثله مات سنة ٢٠٦ هـ انظر الخلاصة ١٧٨/٣.

(٥) انظر الدر المنثور ٩١/٣.

استوى أي استولى، كما يقال فلان استوى على بلد كذا يعني استولى عليه فكذلك هذا[١]. معناه خالق السموات والأرض، ومالك العرش. ويقال ثم صعد أمره إلى العرش. وهذا معنى قول ابن عباس. قال صعد على العرش. يعني أمره، ويقال قال له كن فكان، ويقال (ثم استوى على العرش) أي[٢] كان فوق العرش قبل أن يخلق السموات والأرض ويكون على بمعنى العلو والارتفاع، ويقال استوى يعني استولى. وذكر أن أول شيء خلقه الله تعالى القلم ثم اللوح. فأمر القلم بأن يكتب في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة. ثم خلق ما شاء. ثم خلق العرش ثم حملة العرش ثم خلق السموات والأرض. وإنما خلق العرش لا لحاجة نفسه ولكن لأجل عباده ليعلموا أين يتوجهون في دعائهم لكي لا يتحيروا في دعائهم، كما خلق الكعبة علماً لعبادتهم ليعلموا إلى أين يتوجهون في العبادة. فكذلك خلق العرش علماً لدعائهم ليعلموا إلى أين يتوجهوا بدعائهم ثم قال تعالى: ﴿يُغْشي اللَّيلَ النَّهارَ﴾ يعني إن الليل يأتي على النهار فيغطيه ولم يقل يغشي النهار الليل لأن في الكلام دليلاً عليه. وقد بين في آية أخرى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) فكذلك ههنا، معنا يغشي النهار الليل ويغشي الليل النهار. يعني إذا جاء النهار يذهب بظلمة الليل وإذا جاء الليل يذهب بنور النهار.

قرأ حمزة والكسائي وعاصم[٣] في رواية أبي بكر يُغَشّي بتشديد الشين ونصب الغين. وقرأ الباقون بجزم الغين مع التخفيف، وهما لغتان غَشَّى ويُغَشِّي وأَغْشَى يُغْشِي بقوله ﴿يَطْلُبُه حَثِيثاً﴾ أي: سريعاً في طلبه أبداً ما دامت الدنيا باقية ثم قال ﴿والشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مسخَّراتٍ بأمْرِهِ﴾ أي: جاريات مذللات لبني آدم بأمره.

قرأ ابن عامر[٤] والشَّمسُ والقمرُ والنجومُ كلها بالضم على معنى الابتداء وقرأ الباقون بالنصب. ومعناه خلق الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره. ثم قال: ﴿ألاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ ألا كلمة التنبيه، يعني اعلموا أن الخلق لله تعالى وهو الذي خلق الأشياء كلها وأمره نافذ في خلقه. قال سفيان بن عيينة[٥]: الخلق هو الخلق والأمر هو القرآن وهو كلام الله وليس بمخلوق ولا هو بائن منه وتصديقه قوله ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ ويقال الأمر هو القضاء، ثم قال ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس[٦] رضي الله عنهما يعني تعالى الله عما يقول الظالمون، ويقال تبارك الله تفاعل من البركة أي: ذو البركة يعني أن البركة كلها من الله تعالى والبركة فيما يذكر عليه اسم الله رب العالمين. أي: سيد الخلق أجمعين فلما وصف وبالغ في ذلك وأعجزهم فأمرهم بأن يدعوه فقال:

ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ

---

(١) وهذا خروج عن معنى النص الذي يجب اعتقاده وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والنووي والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل المبرأ من المشبه وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله فإن الله لا يشبه شيء من خلقه، و(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) قال: نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله تعالى ما وردت الآيات والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى. اللهم أمِتْنَا على ذلك.

(٢) سقط في ظ.

(٣) انظر حجة القراءات ٢٨٤، سراج القاري ٢٢٣.

(٤) انظر حجة القراءات ٢٨٤، سراج القاري ٢٢٣.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٢/٣ وعزاه لابن أبي حاتم البيهقي في الأسماء والصفات.

(٦) انظر معالم التنزيل للبغوي ١٦٥/٢.

إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ قال الكلبي: يعني في الأحوال كلها. يعني ادعوا الذي خلق هذه الأشياء في الأحوال كلها. ويقال خفية يعني اعتقدوا عبادته في أنفسكم لأن الدعاء معناه العبادة ثم قال ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ يعني أن يدعوا بما لا يحل أو يدعوا على أحد باللعن والخزي أو تدعوا عليه بالشر. ثم قال ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ وذلك أن الله تعالى إذا بعث نبياً فأطاعوه صلحت الأرض وصلح أهلها وفي المعصية فساد الأرض وفساد أهلها، ويقال لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها أي لا تجوروا في الأرض فتخرب الأرض[1] لأن الأرض قامت بالعدل، ويقال لا تخربوا المساجد فتتركوا الجماعات ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ يعني اعبدوه خوفاً وطمعاً أي: خوفاً من عذابه وطمعاً في رحمته: ويقال ادعوه في حال الخوف والضيق، ويقال خوفاً عن قطيعته ورجاء إلى الغاية. ثم قال ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولم يقل قريبة قال بعضهم لأن القريب والبعيد يصلحان للواحد والجمع والمذكر والمؤنث. كما قال (لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً) وقال (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) وقال بعضهم تفسير الرحمة ههنا المطر فذكر بلفظ المذكر، وقال بعضهم إن رحمة الله قريب. يعني الغفران والعفو فانصرف إلى المعنى. ومعناه المحسنون قريب من الجنة وهم المؤمنون ثم قال ﴿وهو الذي يرسل الرياح بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي قدام المطر.

قرأ حمزة والكسائي[2] الريح بلفظ الوحدان. وقرأ الباقون الرياح بلفظ الجماعة. واختار أبو عبيد أن كل ما ذكر في القرآن من ذكر الرحمة فهو رياح وكل ما كان فيه ذكر العذاب فهو ريح واحتج بما روي عن النبي عليه السلام أنه كان يقول: إذا هبت الريح يقول اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً[3].

وقرأ ابن عامر[4] نُشْراً بضم النون وجزم الشين.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع نُشُراً بضمتين.

وقرأ حمزة والكسائي نشراً بنصب النون وجزم الشين.

وقرأ عاصم بشراً بالباء ويكون من البشارة كما قال في آية أخرى (يُرْسِلُ الرِّيَاحَ مُبَشِّراتٍ).

ومن قرأ نَشْراً بالنون والنصب فيكون معناه يرسل الرياح تَنْشُر السحاب نَشْراً، ومن قرأ بالضمتين يكون جمع نشور، يقال ريح نشور، أي تنشر السحاب ورياح نُشُر، ومن قرأ بضمة واحدة لأنه لما اجتمعت الضمتان حذفت إحداهما للتخفيف ثم قال ﴿حَتَّى إذا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً﴾ من الماء، والسحاب جمع السحابة يعني الريح حملت سحاباً ثقالاً ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ يعني السحاب تمر بأمر الله تعالى إلى أرض ليس فيها نبات ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾

---

(١) سقط في أ.

(٢) وممن قرأ الرياح جميعاً ابن عباس والسلمي وابن أبي عبلة وانظر تفصيل ذلك في البحر المحيط ٣١٦.

(٣) أخرجه الشافعي في المسند ١/١٧٥ (٥٠٢) وأبو يعلى في المسند ٣٤١/٤ في مسند ابن عباس ١٢٩/ ٢٤٥٦ والطبراني في الكبير ٢١٣/١١ ١١٥٣٣ وعزاه الحافظ في المطالب ٢٣٨/٣ (٣١٧١).

(٤) انظر حجة القراءات ٢٨٥، سراج القاري ٢٢٣.

يعني بالمكان. ويقال بالسحاب ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي نخرج بالماء من الأرض الثمرات ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ أي يقول: هكذا نحيي الموتى بالمطر كما أحييت الأرض الميتة بالمطر. وذكر في الخبر[١] أنه إذا كان قبل النفخة الأخيرة أمطرت السماء أربعين يوماً مثل مَني الرجال فتشرب الأرض فتنبت الأجساد بذلك الماء ثم ينفخ في الصور فإذا هم قيام ينظرون. وفي هذه الآية إثبات القياس وهو رد المختلف إلى المتفق[٢]، لأنهم كانوا متفقين أن الله تعالى هو الذي ينزل المطر ويخرج النبات من الأرض. فاحتج عليهم لإحيائهم بعد الموت بإحياء الأرض بعد موتها. ثم قال ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لكي تتعظوا وتعتبروا في البعث أنه كائن. ثم ضرب مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال:

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ يعني المكان العذب الزكي اللين من الأرض اللينة يخرج نباته إذا أمطرت فينتفع به، كذلك المؤمن يسمع الموعظة فتدخل في قلبه فينتفع بها وينفعه القرآن كما ينفع المطر الأرض الطيبة ﴿وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً﴾ يعني الأرض السبخة لا يخرج نباتها إلا من كد وعناء، فكذلك الكافر لا يسمع الموعظة ولا ينتفع بها[٣] ولا يتكلم بالإيمان ولا يعمل بالطاعة إلا كرهاً لغير وجه الله، ثم قال ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ أي هكذا نبين الآيات والعلامات والأمثال لمن آمن وشكر رب هذه النعم ووحده. قوله عز وجل ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ يعني بعثنا نوحاً إلى قومه بالرسالة فأتاهم، ويقال معناه جعلنا نوحاً رسولاً إلى قومه. ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي وحدوا الله، ﴿مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ أي ليس لكم رب سواه.

قرأ الكسائي[٤] إلهٍ غَيْرِه بكسر الراء.

وقرأ الباقون غَيْرُهُ بالضم. فمن قرأ بكسر الراء فلأجل مِنْ وجعله كله كلمة واحدة والغير تابعاً له. ومن قرأ بالضم فمعناه مالكم إله غيره ودخلت من مؤكدة.

ثم قال ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو الغرق فـ ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم الرؤساء والأجلة

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٤٢٦/٣ وذكره البغوي موقوفاً عن ابن عباس وأبي هريرة انظر معالم التنزيل ١٦٧/٢.
(٢) وهذا تعريف بالرسم لا بالحد وتقدم تعريف القياس والكلام عليه فارجع إليه إن شئت.
(٣) سقط في ظ.
(٤) انظر حجة القراءات ٢٨٦، سراج القاري ٢٢٤.

والأشراف، سموا بذلك لأنهم ملئوا بما يحتاج إليه منهم، ويقال لأنهم ملأوا الناظر هيبة إذا اجتمعوا في موضع قالوا ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يعني في خطأ بَيِّنٍ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وفي الآية بيان أدب الخلق في حسن الجواب والمخاطبة. لأنه رد جهلهم بأحسن الجواب وهذا كما قال الله تعالى (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً) يعني السداد من القول ثم قال ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ أي أمنعكم من الفساد وأدعوكم إلى التوحيد وأحذركم من العذاب. وقال أهل اللغة: أنصح لكم وأنصحكم لغتان بمعنى واحد كما يقال شكرت لك وشكرتك ثم قال ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أعلم أنكم إن لم تتوبوا يأتيكم العذاب وأنتم لا تعلمون ذلك، وذلك أن سائر الأنبياء عليهم السلام خوفوا أمتهم بعذاب الأمم السابقة كما قال شعيب لقومه (أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) وأما قوم نوح فلم يكن بلغهم هلاك أمة قبلهم. فقال لهم نوح وأعلم من الله ما لا تعلمون من العذاب الذي ينزل بكم. فقالت الكبراء للضعفاء لا تتبعوه. فإن هذا بشر مثلكم فأجابهم نوح فقال ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ يعني ينزل الكتاب والرسالة على رجل منكم تعرفون حسبه ونسبه «لينذركم» بالنار ولتتقوا الشرك. قال بعضهم: «هذه الواو صلة وهو زيادة في الكلام. ومعناه لينذركم لكي تتقوا. وقال بعضهم هذه واو العطف أي: جاءكم رسول لكي ينذركم ﴿وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يعني لكي تنجوا من العذاب. قرأ أبو عمرو[1] أبلغكم بجزم الباء والتخفيف. وقرأ الباقون أُبَلِّغكم بالتشديد فيكون فيه معنى المبالغة قوله ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي نوحاً ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ يعني الذين اتبعوه من المؤمنين في السفينة، والفلك اسم للواحد والجماعة ـ يعني أنجينا المؤمنين من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ﴾ عن نزول العذاب ويقال عمين عن الحق يعني جعلوا أمره باطلاً. وقد بين الله قصته في سورة هود قوله عز وجل:

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

---

(١) انظر حجة القراءات ٢٨٦ ـ ٢٨٧، وسراج القاري ٢٢٤.

وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾ (يعني أرسلنا إلى عاد نبيهم هوداً عطفاً على قوله لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم)[١] لم يكن هود أخاهم في الدين ولكن كان من نسبهم. قال السدي: كانت عاد قوماً من أهل اليمن[٢] فأتاهم هود فدعاهم إلى الإيمان وذكرهم ووعظهم فكذبوه. ويقال عاد اسم ملك ينسب القوم كلهم إليه. ويقال اسم القرية ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي وحدوه ﴿مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وقد ذكرناه ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عن الشرك و ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾وقد ذكرناه﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ أي جهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ بأنك رسول الله ﴿قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ جهالة ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليكم ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ يعني كنت فيكم قبل اليوم أميناً فكيف تتهموني اليوم ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يعني الرسالة والبيان ﴿على رجل منكم﴾ تعرفون نسبه ﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي جعلكم خلفاء في الأرض بعد هلاك قوم نوح ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ أي: فضيلة في الطول على غيركم. والخلفاء والخلائف جمع الخليفة.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بسْطة بالسين.

وقرأ حمزة بإشمام الزاي.

وقرأ الباقون بالصاد قال ابن عباس[٣] رضي الله عنهما كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً. وروى إبراهيم بن يوسف عن المسيب[٤] عن الكلبي قال كان طول قوم عاد أطولهم مائة وعشرين ذراعاً وأقصرهم ثمانون ذراعاً ـ وقال مقاتل [٥] عن قتادة كان طول كل رجل منهم اثني عشر ذراعاً فذلك قوله (لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ) ويقال كان بين نوح وبين آدم عشرة آباء كلهم على الإسلام. وكان إدريس جد أبي نوح ولم يكن بين آدم ونوح نبي مرسل، وكان إدريس نبياً ولم يؤمر بدعوة الخلق، ويقال أنزل عليه عشرون صحيفة، وقد آمن به كثير من الناس، وكان بين نوح وإبراهيم ألف سنة ويقال ألفان وأربعون سنة وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وكان بين موسى وعيسى ألف سنة وبين عيسى ومحمد عليه السلام خمسمائة سنة. وكان هود بين نوح وإبراهيم فلما دعا قومه فكذبوه أنذرهم بالعذاب وقال إن الله تعالى يرسل عليكم الريح فيهلككم بها فاستهزؤوا به وقالوا أي ريح يقدر علينا، فأمر الله تعالى خازن الريح أن يخرج من الريح العقيم التي هي تحت الأرض مقدار ما يخرج من حلقة الخاتم كما قال في آية أخرى (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) فجاءتهم وحملت الرجال والدواب كالأوراق في الهواء فأهلكتهم كلهم فلم يبق منهم أحد. كما قال ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ وذلك بعد ما أنذرهم وأخذ عليهم الحجة وذكرهم نعم الله تعالى، قال لهم ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ أي: اشكروا نعمة الله قال بعضهم: الآلاء إيصال النعم، والنعماء دفع البلية. وقال بعضهم على ضد هذا، وقال أكثر المفسرين الآلاء والنعماء بمعنى واحد ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يعني لكي تنجوا من البلايا ومن عذابه.

---

(١) سقط في ظ.
(٢) انظر تفسير الطبري ١٢/٥٠٧، وتفسير ابن كثير ٣/٤٣١.
(٣) وفي تفسير البغوي عن ابن عباس: ثمانون ذراعاً انظر ٢/١٧٠ وفي القرطبي ما يوافق نقل المصنف رحمه الله عن ابن عباس. انظر ٧/١٥١.
(٤) انظر الخازن ٢/٢٤٨.
(٥) انظر معالم التنزيل للبغوي ٢/١٧٠ ومثله عن قتادة أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٣/٩٦.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ قالوا له يا هود أتأمرنا أن نعبد رباً واحداً ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ أي نترك عبادة آلهتنا التي كان يعبدها آباؤنا قال لهم هود عليه السلام إن لم تفعلوا ما آمركم يأتيكم العذاب قالوا﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب أي: بما تخوفنا ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أنك لرسول الله ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ أي: وجب عليكم عذاب وغضب من ربكم ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ أي: تجعلون قول أنفسكم وقول آبائكم حجة من غير أن يثبت لكم من الله حجة وقد اتخذتم الأصنام بأيديكم وسميتموها آلهة ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ يقول ليس لكم علة وعذر وحجة بعبادة الأصنام ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ الهلاك ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ يعني لنزول العذاب بكم لأنهم أرادوا إهلاكه قبل أن يهلكوه قال الله تعالى ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ يعني بنعمة منا عليهم ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: قطع أصلهم واستأصلهم ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يعني أن الذين أهلكهم الله تعالى كلهم كانوا كافرين. قوله تعالى:

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ يعني أرسلنا إلى ثمود نبيهم صالحاً. قال بعضهم ثمود اسم القرية وقال بعضهم ثمود اسم القبيلة وأصله في اللغة الماء القليل. ويقال كانت بئراً بين الشام والحجاز ويقال هي عين يخرج منها ماء قليل في تلك الأرض ويقال لها أرض الحجر كما قال في آية أخرى (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ) وقال بعضهم كان في تلك القرية أهل تسعمائة بيت وقال بعضهم ألف وخمسمائة فأتاهم صالح ودعاهم إلى الله سنين كثيرة فكذبوه وأرادوا قتله فخرجوا إلى عبد لهم فأتاهم صالح ودعاهم إلى الله تعالى، فقالوا له إن كنت نبياً فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عَشَرَاءَ[1] حتى نؤمن بك ونصدقك فقام صالح وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فتحركت الصخرة وانصدعت عن ناقة عشراء ذات زغب[2] فلم يؤمنوا به فولدت الناقة ولداً، وقال بعضهم خرج

(١) وهي التي مضى على حملها عشرة أشهر وقيل ثمانية.
(٢) والزغْب شعيرات صفر والمراد هنا من لها وَبَرٌ ناعم.

ولدها خلفها من الصخرة. فصارت الناقة بلية ومحنة عليهم، وكانت من أعظم الأشياء فتأتي مراعيهم فتنفر منها دوابهم وتأتي العين وتشرب جميع ما فيها من الماء فجعل صالح الماء قسمة بينهم يوماً للناقة ويوماً لأهل القرية. فإذا كان اليوم الذي تشرب الناقة لا يحضر أحد العين وكانوا يحلبونها في ذلك اليوم مقدار ما يكفيهم وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون فاجتمعوا لقتل الناقة فقال لهم صالح لا تفعلوا فإنكم إذا قتلتموها يأتيكم العذاب فجاءوا ووقفوا على طريق الناقة فلما مرت بهم الناقة متوجهة إلى العين رماها واحد منهم يقال له مصدع بن وهر فأصابت السهم رجل الناقة. فلما رجعت الناقة من العين خرج قدار بن سالف وهو أشقى القوم كما قال الله تعالى (إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا) فضربها بالسيف ضربة فقتلها وقسموا لحمها على أهل القرية. وروي عن الحسن البصري[1] رحمة الله عليه أنه قال لما عقرت ثمود الناقة ذهب فصيلها حتى صعد جبلاً وقال ثلاث مرات أين أمي أين أمي أين أمي؟ فأخبر بذلك صالح فقال يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فقالوا وما العلامة في ذلك؟ فقال أن تصبحوا في اليوم الأول وجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني وجوهكم محمرة، وفي اليوم الثالث وجوهكم مسودة، ثم خرج صالح من بين أظهرهم مع من آمن منهم فأصبحوا في اليوم الأول وجعل يقول بعضهم لبعض قد إصفر وجهك وفي اليوم الثاني يقول بعضهم لبعض قد احمر وجهك وفي اليوم الثالث يقول بعضهم لبعض قد آسود وجهك. فأيقنوا جميعاً الهلاك. فجاء جبريل عليه السلام وصاح بهم صيحة واحدة فماتوا كلهم. ويقال قد أتتهم النار فأحرقتهم فذلك قوله تعالى ﴿**قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ**﴾ أي: وحدوا الله ﴿**مالكم من إله غيره**﴾ قد ذكرناه ﴿**قَدْ جَاءَتكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ يقول قد أتيتكم بعلامة نبوتي وهي الناقة كما قال الله تعالى ﴿**هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً**﴾ أي: علامة لنبوتي لكي تعتبروا وتوحدوا الله ربكم ﴿**فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ**﴾يقول دعوها ترتع في أرض الحجر ﴿**وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ**﴾ يقول لا تعقروها ﴿**فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ وهو ما عذبوا به. قوله عز وجل ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ**﴾ أي: بعد هلاك عاد ﴿**وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ يعني أنزلكم في أرض الحجر ﴿**تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً**﴾ وذلك أنه كانت لهم قصور يسكنون فيها أيام الصيف وقد اتخذوا بيوتاً في الجبل لأيام الشتاء فذكرهم نعمة الله تعالى، فقال اذكروا هذه النعم حيث وفقكم الله حتى اتخذتم القصور في سهل الأرض واتخذتم البيوت في الجبال ﴿**فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ**﴾ أي: نعم الله عليكم ﴿**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ أي: لا تعملوا في الأرض بالمعاصي. قوله عز وجل ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا**﴾. قرأ ابن عامر[2] وَقَالَ الْمَلَأُ بالواو. وقرأ الباقون بغير واو. أي: قال الملأ الذين تكبروا عن الإيمان من قومه وهم القادة للذين استضعفوا ﴿**لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ**﴾ بصالح ﴿**أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ**﴾ يعني أتصدقون صالحاً بأنه مرسل من ربه إليكم ﴿**قَالُوا**﴾ يعني المؤمنين ﴿**إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾ أي: مصدقون به ﴿**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾ أي: من رسالة صالح ﴿**فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ**﴾ أي: عصوا وتركوا أمر ربهم وأبوا عن طاعته، ثم التوحيد. ويقال فيه تقديم ومعناه عتوا عن أمر ربهم وعقروا الناقة. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إنهم عقروا الناقة ليلة الأربعاء في عشية الثلاثاء فأهلكهم الله في يوم السبت، ﴿**وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا**﴾ أي: بما تخوفنا به من العذاب ﴿**إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ يعني إن كنت رسول رب العالمين ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**﴾أي: الزلزلة ويقال صيحة جبريل كما قال في آية أخرى (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ) ويقال أخذتهم الزلزلة ثم أخذتهم الصيحة، ويقال النار ﴿**فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾ أي: صاروا في

---

(١) انظر تفسير الطبري ٥٣٦/١٢، وتفسير ابن كثير ٤٣٨/٣.

(٢) انظر حجة القراءات ٢٨٧.

مدينتهم ومنازلهم ميتين لا يتحركون وأصله من الجثوم[١] ويقال أصابهم العذاب بكرةً يوم الأحد ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ فيه تقديم وتأخير أي: حين كذبوه خرج من بين أظهرهم ﴿وَقَالَ يَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أي: دعوتكم إلى التوبة وحذرتكم العذاب ﴿وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّٰصِحِينَ﴾ أي: لا تطيعون الداعين ويقال إنما قال ذلك بعد إهلاكهم قال على وجه الحزن إني قد أبلغتكم الرسالة. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن الله تعالى لم يهلك قوماً ما دام الرسول فيهم. فإذا خرج من بين ظهرانيهم أتاهم ما أوعد لهم. وقال في رواية الكلبي لما هلك قوم صالح رجع صالح ومن معه سن المؤمنين فسكنوا ديارهم وقال في رواية الضحاك خرج صالح إلى مكة فكان هناك حتى قبضه الله تعالى. قوله عز وجل

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ يعني وأرسلنا لوطاً إلى قومه، ويقال معناه واذكروا لوطاً إذ قال لقومه ﴿أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ﴾ يعني اللواطة ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾ يعني لم يعمل بمثل عملكم ﴿مِنْ أَحدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ قبلكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ أي تجامعون الرجال من دون النساء. يعني إن إتيان الرجال أشهى إليكم من إتيان النساء. وقرأ أبو عمرو [٢] آينَّكُمْ بالمد بغير همز. وقرأ ابن كثير ونافع إِنَّكُمْ بهمزة واحدة بغير مد. وقرأ الباقون بهمزتين بغير مد. ومعنى ذلك كله واحد. وهو الاستفهام. ثم قال ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ أي: متعدون من الحلال إلى الحرام. ﴿وَمَاكَان جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ وإنما صار «جواب» نصباً لأنه خبر كان. والاسم هو ما بعده (إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴿أَخرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يعني يتقذرون منا ويتنزهون عن فعلنا ﴿فَأَنْجَيْنَٰهُ وأَهْلَهُ﴾ يعني ابنتيه زعوراء وريثا ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ وهي واعلة ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ يعني من الباقين في الهلاك فيمن أهلكوا ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً﴾ يعني الحجارة ويقال أمطَر بالعذاب ومطر بالرحمة، ويقال أمطر ومطر بمعنى واحد ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كيف كان آخر أمرهم. وقد بين قصته في سورة هود. وقال مجاهد[٣] لو أن الذي يعمل عمل قوم لوط اغتسل بكل قطرة في السماء وبكل قطرة في الأرض ما زال نجساً إلى يوم القيامة وقد اختلف الناس في حَدِّه. قال بعضهم هو كالزاني، فإن كان محصناً يرجم وإن كان غير محصن يجلد. وروي عن الشعبي أنه قال يرجم في الأحوال كلها محصناً كان أو غير محصن. وروي عن علي بن[٤] أبي طالب رضي الله عنه أنه أتي برجل قد عمل بذلك العمل فأمر بأن يلقى من أشرف البناء منكوساً ثم يتبع بالحجارة لأن الله تعالى ذكر

---

(١) جثم: لصق بالأرض يجثم الطائر وأصل الجثوم للأرنب انظر لسان العرب ٥٤٥/١.

(٢) انظر حجة القراءات ٢٨٧، سراج القارىء ٢٢٤.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠١/٣، وعزاه لابن أبي الدنيا والبيهقي.

(٤) ذكره السيوطي في الدر ١٠١/٣، وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا والبيهقي.

قتلهم بالحجارة وهو قوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً﴾ أي حجارة، وقال بعضهم يعزر ويحبس حتى تظهر توبته ولا يحد. وهو قول أبي حنيفة رحمه[1] الله. ثم قال تعالى

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ يعني أرسلنا إلى مدين نبيهم شعيباً، ومدين هو آل مدين. وكان مدين إبن

(١) قال سبط ابن الجوزي في إيثار الإنصاف ٢٠٩ اللواط لا يوجب الحد عند أبي حنيفة رحمه الله ولكنه يوجب التعزير والحبس إلى أن يتوب أو يموت. وقالا: يوجب الحد فإن كانا محصنين رُجِمَا، وإن كانا بكرين جُلِدَا، وهو أحد قولي الشافعي وأحمد.

وقال الشافعي في القول الآخر: يقتلان على كل حال محصنين كانا أو غير محصنين له: قوله تعالى: **﴿الزانية والزاني﴾** وهذا ليس بزنى لأنه يصح نفي الزنى عنه يقال: لاط ولا يقال: زنى والدليل عليه: اختلاط الصحابة فإن بعضهم أوجب الحد وبعضهم لم يوجبه، وقول البعض لا يكون إجماعاً.

احتجوا: بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اقتلوا الفاعل والمفعول به في عمل قوم لوط والواقع على البهيمة ومن وقع على ذات محرم فاقتلوه) أخرجه أحمد ١/٣٠٠. ولأن الصحابة أجمعوا على القتل وإن اختلفوا في كيفيته فمن قائل: يقتل صبرا، ومن قائل: يُحَدّ حَدَّ الزنى وقال أبو بكر رضي الله عنه: يحرق بالنار. وقال ابن عباس: ينكسان من شاهق ويرجمان بالحجارة، وعلي ـ رضي الله عنه ـ رجم لوطياً، فحصل الاتفاق منهم على أصل القتل فقلنا به ورجحنا قول البعض على البعض فيما اختلفوا فيه. انظر إيثار الإنصاف ٢٠٩ ـ ٢١٠.

إبراهيم خليل الرحمن تزوج ريثاء ابنة لوط فولدت آل مدين فتوالدوا وكثروا ثم صار هو اسماً للمدينة فسميت المدينة مدين وسمي أولئك القوم مدين فكفروا بالله تعالى ونقصوا المكيال والميزان في البيع وأظهروا الخيانة فبعث الله تعالى إليهم شعيباً. وقال الضحاك: كان شعيب أفضلهم نسباً وأصدقهم حديثاً وأحسنهم وجهاً، ويقال إنه بكى من خشية الله تعالى حتى ذهب بصره فصار أعمى فدعا قومه إلى الله تعالى و ﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحدوه وأطيعوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال بعضهم مجيء شعيب النبي عليه السلام إليهم آية ولم يكن لشعيب علامة سوى مجيئه وإخباره أن الله تعالى واحد وقال بعضهم كانت له علامة لأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا وقد جعل له علامة ليظهر تصديق مقالته إلا أن الله تعالى لم يبين لنا علامته، وقد بين علامة بعض الأنبياء ولم يبين علامة الجميع ثم قال ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: اتموا الكيل والميزان بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ يقول ولا تنقصوا الناس حقوقهم في البيع والشراء ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ يعني لا تعملوا في الأرض المعاصي بعد ما بين الله تعالى طريق الحق وأمركم بالطاعة ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني وفاء الكيل وترك الفساد في الأرض خير لكم من النقصان والفساد في الأرض إن كنتم مصدقين بما حرم الله تعالى عليكم قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ أي: لا ترصدوا بكل طريق، توعدون أهل الإيمان بالقتل ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: تمنعون الناس عن دين الإسلام ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ يقول تريدون بملة الإسلام زيغاً وغيراً. وروي عن ابن أبي نجيح[٢] عن مجاهد[٣] في قوله «بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ» قال بكل سبيل، حتى تصدوا أهلها عنها وتبغونها عوجاً. قال وتلتمسون بها الزيغ. ويقال معناه لا تقعدوا على كل طريق تخوفون الناس، وتخوفون أهل الإيمان بشعيب عليه السلام. ثم قال ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾ أي: كنتم قليلاً في العدد فكثَّر عددكم. ويقال كنتم فقراء فأغناكم وكثر أموالكم. ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: كيف صار آخر أمر المكذبين بالرسل. يعني الذين قبلهم، قوم نوح وقوم عاد وقوم هود وقوم صالح. ثم قال ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ يعني إن كان جماعة منكم صدقوا بي ﴿وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ بي أي: لم يصدقوا ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ يعني حتى تنظروا عاقبة المؤمنين أفضل أم عاقبة الكافرين فذلك قوله حتى يحكم الله بيننا. يعني حتى يقضي الله بين المؤمنين وبين الكافرين ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَـٰكِمِينَ﴾ أي: أعدل العادلين ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ يعني الأشراف والرؤساء الذين تعظموا عن الإيمان من قومه ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أي: لتدخلن في ديننا الذي نحن عليه. ويقال هذا الخطاب لقومه الذين آمنوا. لترجعن إلى ديننا كما كنتم. ﴿قَالَ﴾ لهم شعيب ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ يعني أتجبروننا على ذلك؟ قالوا نعم قال لهم شعيب ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ يقول قد اختلقنا على الله كذباً إن دخلنا في دينكم ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّـٰنَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ (يقول إن الله تعالى أكرمنا بالإسلام وأنقذنا من ملتكم)[٤] يقال معناه كنا كاذبين مثلكم لو دخلنا في دينكم بعد إذ نجانا الله منها. ويقال: أكرمنا الله تعالى بالإسلام ولم يجعلنا من أهل الكفر فأنقذنا وأبعدنا من ملتكم ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله﴾ يعني: ما ينبغي لنا وما يجوز لنا أن ندخل في ملتكم إلا أن يشاء الله ﴿ربنا﴾ دخولنا فيها وأن ينزع المعرفة من قلوبنا ويقال (معناه وما يكون لنا أن

---

(١) سقط في ظ.

(٢) عبد الله بن أبي نجيح الثقفي، مولاهم، أبو يسار المكي، وثَّقه أحمد، مات سنة ١٣١ هـ وانظر الخلاصة ١٠٥/٢.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٢/٣، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) سقط في ظ.

نعود فيها) إلا أن يكون في علم الله ومشيئته أنا نعود فيها ويقال معناه: إلا أن يشاء الله. يعني لا يشاء الله الكفر مثل قولك لا أكلمك حتى يبيض القار وحتى يشيب الغراب وهذا طريق المعتزلة ثم قال ﴿**وسع ربنا كل شيء علماً**﴾ يعني: علم ما يكون منا ومن الخلق ﴿**على الله توكلنا**﴾ أي: فوضنا أمرنا إلى الله. لقولهم لنخرجنك يا شعيب ﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**﴾ أي: اقض بيننا وبين قومنا بالعدل. وروى قتادة عن ابن عباس[1] قال: ما كنت أدري ما معنى قوله «ربنا افتح بيننا» حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لعلي بن أبي طالب تعال أفاتحك يعني: أخاصمك وقال القتبي الفتح أن تفتح شيئاً مغلقاً كقوله (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها) وسمي القضاء فتحاً لأن القضاء فصل للأمور وفتح لما أشكل منها ﴿**وأنت خير الفاتحين**﴾ يعني: خير الفاصلين قوله تعالى: ﴿**وقال الملأ الذين كفروا من قومه لأن اتبعتم شعيباً**﴾ أي: لأن أطعتم شعيباً في دينه ﴿**إنكم إذاً لخاسرون**﴾ يعني: جاهلون فلما وعظهم شعيب ولم يتعظوا أخبرهم أن العذاب نازل بهم فلم يصدقوه فخرج شعيب ومن آمن معه من بين أظهرهم فأصابهم يعني أهل القرية حر شديد فخرجوا من القرية ودخلوا غيضة كانت عند قريتهم وهي الأيكة كما قال الله تعالى في آية أخرى (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) فارسل الله تعالى ناراً فأحرقت الأشجار ومن فيها من الناس ويقال أصابتهم زلزلة فخرجوا فأتتهم نار فأحرقتهم وذلك قوله تعالى ﴿**فأخذتهم الرجفة**﴾ يعني الزلزلة والحر الشديد فهلكوا واحترقوا ﴿**فأصبحوا في دارهم جاثمين**﴾ يعني صاروا ميتين قوله تعالى: ﴿**الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها**﴾ يعني كأن لم يكونوا فيها قط وقال قتادة[2] كأن لم يغنوا فيها يعني كأن لم يتنعموا فيها ويقال معناه من كان رآهم بعد إهلاكنا إياهم ظن أنه لم يكن هناك أحد يعني لم يعيشوا ويقال: كأن لم يعمروا ثم قال ﴿**الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين**﴾ يعني المغبونين في. عقوبة يعني إنهم كانوا يقولون لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون فصار الذين كذبوا هم الخاسرون لا الذين آمنوا منهم قوله تعالى ﴿**فتولى عنهم**﴾ يعني أعرض عنهم حين خرج من بين أظهرهم ﴿**وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي**﴾ في نزول العذاب ﴿**ونصحت لكم**﴾ وقد ذكرناه ﴿**فكيف آسى على قوم كافرين**﴾ أي: كيف أحزن بعد النصيحة على قوم إن عذبوا. قوله تعالى:

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

﴿**وما أرسلنا في قرية من نبي**﴾ ﴿**إلا أخذنا أهلها**﴾ ففي الآية مضمر ومعناه وما أرسلنا في قرية من نبي فكذبوه

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٠٣ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في الوقف والابتداء والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٠٣ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

إلا أخذنا أهلها[(١)] ﴿بالبأساء والضراء﴾ يعني عاقبنا أهلها بالخوف والبلاء والقحط والفقر. ويقال البأساء ما يصيبهم من الشدة في أموالهم، والضراء ما يصيبهم في أنفسهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ يعني لكي يتضرعوا، فأدغمت التاء في الضاد وأقيم التشديد مقامه، ومعناه لكي يدعوا ربهم ويؤمنوا بالرسل ويعرفوا ضعف معبودهم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ يعني: حولنا مكان الشدة الرخاء ومكان الجدوبة الخصب ﴿حَتَّى عَفَواْ﴾ أي: كثروا واستغنوا وكثرت أموالهم فلم يشكروا الله تعالى، ويقال حتى عفوا أي: حتى سروا به ﴿وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّراءُ والسَّراءُ﴾ أي: مثل ما أصابنا، مرة يكون الرخاء ومرة يكون الشدة ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ أي: فجأة ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ يعني أتاهم العذاب من حيث لم يعلموا به، ويقال إن الشدة للعامة تكون تنبيهاً وزجراً، والنعمة تكون استدراجاً، وأما النعمة للخاصة فهي تنبيه لأنه يعد ذلك عقوبة كما روي أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام إذا رأيت الفقر مقبلاً إليك فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً إليك فقل ذنب عجلت عقوبته قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ﴾ يعني وحدوا الله تعالى واتقوا الشرك ﴿لَفَتَحْنَا[(٢)] عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ يعني أنزلنا عليهم من السماء المطر والرزق والنبات من الأرض ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُواْ﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَاهُم﴾ أي: عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الشرك. ففي الآية دليل على أن الكفاية والسعة في الرزق من السعادة إذا كان المرء شاكراً وتكون عقوبة له إذا لم يكن شاكراً، لأنه قال في آية أخرى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة) يعني الغنى يكون وبالاً لمن لا يشكر الله تعالى وعقوبة له ثم قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً﴾ أي: ينزل عليهم عذابنا ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ فتحت الواو لأنها واو العطف أدخلت عليها ألف الاستفهام، وكذلك أفأمن لأنها فاء العطف دخلت عليها ألف الاستفهام. قرأ نافع وابن كثير[(٣)] أو أمن بجزم الواو لأن أصله أو وأمن، وأو حرف من حروف الشك، فأدغم في حرف النسق ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً﴾ يعني يأتيهم عذابنا نهاراً ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يعني لاهون عنه ثم قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ﴾ يعني عذاب الله ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ﴾ يعني عذاب الله ﴿إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَسِرُونَ﴾ أي: المغبونون بالعقوبة قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ۖ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ

---

(١) سقط في ظ.

(٢) قرأ ابن عامر (لفتّحنا) بالتشديد أي مرة بعد مرة. وحجته قوله: بركات من السماء ولم يقل بركة، وقرأ الباقون بالتخفيف أرادوا الواحد. انظر حجة القراءات ٢٨٨.

(٣) انظر حجة القراءات ٢٨٩، سراج القاري ٢٢٥.

جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ﴾ يعني أو لم يبين. قال القتبي: أصل الهدى الإرشاد كقوله **﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي﴾** يعني يرشدني، ثم يصير الإرشاد لمعان منها إرشاد بيان مثل قوله: **﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ﴾** يعني أو لم يبين لهم ومنها إرشادٌ بمعنى بالدعاء كقوله **﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾** يعني: نبياً يدعوهم وقوله: **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾** أي: يدعون الخلق. وقرأ بعضهم أو لم نهد بالنون يعني أو لم نبين لهم الطريق ومن قرأ بالياء معناه أولم يبين الله للذين يرثون الأرض من بعد أهلها يعني: ينزلون الأرض **﴿من بعد﴾** هلاك **﴿أهلها﴾** ويقول: أو نبين لأهل مكة هلاك الأمم الخالية كيف أهلكناهم ولم يقدر معبودهم على نصرتهم **﴿أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾** يعني أهلكناهم بذنوبهم كما أهلكنا من كان قبلهم عند التكذيب ثم قال **﴿ونطبع على قلوبهم﴾** يعني: نختم على قلوبهم بأعمالهم الخبيثة عقوبة لهم **﴿فهم لا يسمعون﴾** الحق ولا يقبلون المواعظ ثم قال عز وجل **﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها﴾** أي: تلك القرى التي أهلكنا أهلها نخبرك في القرآن من حديثها **﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾** يعني بالعلامات الواضحة والبراهين القاطعة التي لو اعتبروا بها لاهتدوا **﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾** يعني: إن أهل مكة لم يصدقوا بما كذب به الأمم الخالية. وقال مجاهد[١] فما كانوا ليؤمنوا بعد العذاب بما كذبوا من قبل، وهذا مثل قوله تعالى: (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وقال السدي[٢] فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل أي: يوم الميثاق فما كانوا ليؤمنوا في دار الدنيا بما كذبوا من قبل يوم الميثاق وأقروا به وهو قوله: (ألست بربكم قالوا بلى) ثم في الدنيا ما وجدناهم على ذلك الإقرار[٣] ويقال: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما كذبوا من قبل مجيء الرسل معناه: أن مجيء الرسل لم ينفعهم **﴿كذلك يطبع الله﴾** يعني: هكذا يختم الله تعالى **﴿على قلوب الكفرين﴾** مجازاة لكفرهم قوله تعالى: **﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾** «مِنْ» زيادة للصلة يعني: ما وجدنا لأكثرهم وفاء فيما أمروا به. يعني الذين كذبوا من الأمم الخالية ويقال ما وجدنا لأكثرهم من عهد لأنهم أقروا يوم الميثاق ثم نقضوا العهد حيث كفروا. ويقال: ما وجدنا لأكثرهم من عهد أي: قبول العهد الذي عاهدوا على لسان الرسل ثم قال **﴿وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾** يعني وقد وجدنا أكثرهم لناقضين العهد تاركين لما أمروا به. قوله تعالى: **﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾** يعني أرسلنا من بعد الرسل الذين ذكرهم في هذه السورة ويقال ثم بعثنا من

(١) ومثله عن الربيع أخرجه ابن جرير وأبي الشيخ انظر الدر المنثور ٣/١٠٤.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٠٤ وعزاه لابن جرير وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) زيادة من أ.

بعد هلاكهم موسى وهو موسى بن عمران ﴿بِآيَاتِنَا﴾ يعني: اليد البيضاء والعصا ﴿إلى فرعون﴾ وهو ملك مصر واسمه الوليد بن مصعب وروي عن وهب بن منبه أنه قال كان فرعون في وقت يوسف فعاش إلى وقت موسى عليهما السلام فبعث الله تعالى إليه موسى ليأخذ عليه الحجة وأنكر عليه ذلك عامة المفسرين وقالوا هو كان غيره وكان جباراً ظهر بمصر واستولى عليها وأرسل الله تعالى إليه موسى فذلك قوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون﴾ ﴿وَمَلَإِيْه﴾ يعني جنوده وأتباعه ﴿فظلموا بها﴾ يعني فجحدوا بالآيات ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعني كيف صار آخر أمر المشركين وقال ابن عباس رضي الله عنهما أول الآيات العصا فضرب بها موسى باب فرعون ففزع منها فرعون فشاب رأسه فاستحيا فخضب بالسواد، فأول من خضب بالسواد فرعون، قال ابن عباس كان طول العصا عشرة أذرع على طول موسى وكانت من آس الجنة يضرب بها الأرض فتخرج النبات فلما دخل عليه مع هارون ﴿وَقَالَ﴾ له ﴿مُوسَى يا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ إليك قال له فرعون كذبت قال موسى ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الحَقَّ﴾ قرأ نافع[1] حقيق علي بالتشديد. وقرأ الباقون بتخفيف على. فمن قرأ بالتخفيف فمعناه واجب على أن لا أقول أي: واجب أن أترك القول على الله إلا الحق. ومن قرأ بالتشديد معناه واجب علي ترك القول على الله إلا الحق أي: لا أقول على الله إلا الحق فلما كذبوه قال إني لا أقول بغير حجة وبرهان ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِن ربكُمْ﴾ يعني قد جئتكم بعلامة لنبوتي ﴿فَأَرْسِلْ مَعِي بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ولا تستعبدهم لأن فرعون كان قد استعبد بني إسرائيل واتخذهم في الأعمال سخرة فـ ﴿قَالَ﴾ له فرعون ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ أي: بعلامة لنبوتك ﴿فَأْتِ بِهَا إن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ بأنك رسول الله ﴿فَأَلْقَىٰ﴾ موسى ﴿عَصَاهُ﴾ يعني ألقى موسى عصاه من يده ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ وهي أعظم الحيات، ويقال الثعبان الحية الذكر الصفراء الشقراء ويقال صارت حية من أعظم الحيات رأسها مع شرف قصر فرعون ففتحت فاها نحو فرعون وكان فرعون على سريره فوثب فرعون عن سريره وهرب منها وهرب الناس وصاحوا إلى موسى ونادى فرعون يا موسى خـذها عني فأخذها فإذا هي عصا بيضاء بيده كما كانت وجعل الناس يضحكون مما يصنع موسى ومعنى قوله ثعبان مبين يعني: أنها حية تسعى لا لبس فيها فقال له فرعون، هل معك غير هذا؟ فقال: نعم ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ يعني: أخرج يده، أخرجها من جيبه كما قال في آية أخرى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ يعني: من غير برص ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ يعني لها شعاع غلب على نور الشمس، ومعنى قوله للناظرين يعني يتعجب ويتحير منها الناظرون. ويقال إن البياض من غير برص لأن الناس يكرهون النظر إلى الأبرص فأخبر أن[2] ذلك بياض ينظرون إليه من غير سوء ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها فصارت كما كانت ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ يعني: الأشراف والرؤساء قال مقاتل إن فرعون قال بهذه المقالة فصدقه قومه كما قال في سورة الشعراء (قال للملأ حوله أن هذا لساحر عليم) يعني حاذق بالسحر ثم قال لقومه ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ تصديقاً لقوله ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ بسحره يعني من أرض مصر فقال لهم فرعون ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ يعني: أي فماذا تشيرون في أمره؟ ويقال إن بعضهم قال لبعض فماذا تأمرون؟ أي: ماذا ترون في أمره ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ يعني احبسهما ولا تقتلهما، وأصله في اللغة التأخير أي: أخر أمرهما حتى تجتمع السحرة فيغلبوهما فإنك إن قتلتهما قبل أن يظهر حالهما يظن الناس أنهما صادقان فإذا تبين كذبهما عند الناس فاقتلهما حينئذ. فذلك قوله (أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ) أي ابعث ﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يعني الشرط يحشرون الناس إليك أي ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ أي حاذق بالسحر قرأ ابن كثير[3]

---

(١) انظر حجة القراءات ٢٨٩، سراج القاري ٢٢٥.
(٢) سقط في ظ.
(٣) انظر حجة القراءات ٢٨٩ ـ ٢٩٠، ٢٩١.

أرجئهوا بالهمزة والواو بعد الهاء. وقرأ الكسائي أرجهي إلا أنه يكسر الهاء ولا يتبع الياء. وقرأ أبو عمر وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر في إحدى الروايتين أرجئه بالهمزة بغير مد والضمة وهذه اللغات كلها مروية عن العرب وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر والكسائي بكل سَحَّار[1] عليم على وجه المبالغة في السحر وقرأ الباقون بكل ساحر وهكذا في يونس واتفقوا في الشعراء. قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً﴾ يعني قالوا لفرعون أتعطينا جعلاً ومالاً ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِيْنَ﴾ لموسى ﴿قَالَ﴾ لهم فرعون ﴿نَعَمْ﴾ لكم الجعل ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ﴾ يعني لكم المنزلة به سوى العطية، يعني إنكم تكونون أول من يدخل علي بالسلام. قرأ[2] أبو عمرو آينَّ لَنَا لأجْراً بمد الألف. وقرأ عاصم في رواية حفص إن بهمزة واحدة بغير ياء وقرأ الباقون بهمزتين[3] وقرأ ابن كثير ونافع إنَّ لَنَا بهمزة واحدة بغير ياء وقرأ عاصم وحمزة والكسائي أئِن لنا بهمزتين فلما اجتمع السحرة وغدوا للخروج يوماً، وأعلن الناس بخروجهم ليجتمعوا عند سحرهم كما قال في آية أخرى ﴿قَالَ مَوْعِدُكُم يَوْمُ الزِّينة﴾ أي: يوم عيد كان لهم ويقال يوم النيروز فلما اجتمعت السحرة ﴿قَالُواْ يَا مُوْسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ يعني إما أن تطرح عصاك على الأرض وإما أن نكون نحن الملقين قبلك ﴿قَالَ﴾ لهم موسى ﴿أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ يعني السحرة ألقوا الحبال والعصى ﴿سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ أي أخذوا أعينهم بالسحر ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ يعني طلبوا رهبتهم حتى رهبهم الناس. قال الكلبي: كانت السحرة سبعين فألقوا سبعين عصا وسبعين حبلاً ـ وقال بعضهم كانوا اثنين وسبعين حبلاً. وروى أسباط عن السدي[4] قال قال ابن عباس[5] كانوا بضعاً وثلاثين ألفاً. وقال محمد بن إسحاق[6] كانوا ألف رجل وخمسمائة رجل ومع كل واحد منهم عصا. وقد كانوا خاطوا الحبال[7] وجعلوها مموهة بالرصاص وحشوها بالزئبق حتى إذا ألقوها تحركت كأنها حيات لأن الزئبق لا يستقر في مكان واحد. فلما طلعت عليه الشمس صارت شبيهاً بالحيات فنظر موسى، فإذا الوادي قد امتلأ بالحيات. فدخل فيه الخوف ونظر الناس إلى ذلك فخافوا من كثرة الحيات فذلك قوله «واسترهبوهم» يعني أفزعوهم وأخافوهم ﴿وَجَاؤُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ يعني بسحر تام ويقال وجاءوا بسحر عظيم يعني بقول عظيم حيث قالوا (بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ) ويقال وجاءوا بكذب عظيم حيث قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون. قال الله تعالى:

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا

(١) انظر سراج القاري ٢٢٥، حجة القراءات ٢٩١. (٢) حجة القراءات ٢٩٢. (٣) سقط من أ.

(٤) ذكره السيوطي في الدر ١٠٦/٣ وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس قال: كانت السحرة سبعين رجلاً أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء. انظر الدر المنثور ١٠٦/٣.

(٦) أخرج الطبري عن محمد بن إسحاق خمسة عشر ألف ساحر انظر تفسير الطبري ٢٨/١٣ ومثله في تفسير القرطبي ١٦٥/٧.

(٧) في أ [الثياب].

رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ يعني اطرح عصاك إلى الأرض. فألقى عصاه من يده فصارت حية أعظم من جميع حياتهم ﴿فَـإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ يعني تلتقم وتأكل جميع ما جاءوا به من الكذب والسحر. قرأ عاصم[١] في رواية حفص «تَلْقَفْ» بجزم اللام والتخفيف وقرأ الباقون[٢] بنصب اللام وتشديد القاف، ومعناهما واحد. ثم إن الحية قصدت إلى فرعون فنادى موسى. فأخذها فإذا هي عصا على حالها، فنظرت السحرة فإذا حبالهم وعصيهم قد ذهبت ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ أي: استبان الحق وظهر أنه ليس بسحر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر، أي: ذهب وهلك واضمحل ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ﴾ أي: وغَلَب موسى السحرة عند ذلك ﴿وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ يعني: رجعوا ذليلين. قالوا لو كان هذا سحراً فأين صارت حبالنا وعصينا؟ ولو كانت سحراً لبقيت حبالنا وعصينا، وهذا من الله تعالى وليس بسحر فآمنوا بموسى، قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ يعني خروا ساجدين لله تعالى قال الأخفش من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا ويقال وفقهم الله تعالى للسجود ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقال لهم فرعون إياي تعنون؟ فأراد أن يلبس على قومه فقالوا ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ فقدم فرعون لما سألهم لأن بعض الناس كانوا يظنون عند مقالتهم رب العالمين أنهم أرادوا به فرعون، فلما سألهم فرعون وقالوا برب موسى وهارون ظهر عند جميع الناس أنهم لم يريدوا به فرعون، وإنما أرادوا به الإيمان بموسى وبرب العالمين ﴿قَالَ فِرْعَوْن آمَنْتُمْ بِهِ﴾ يعني: صدقتم بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ يعني قبل أن آمركم بالإيمان بموسى. قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر[٣] آمنتم بالمد وقرأ الباقون بغير مد بهمزتين ومعناهما واحد ويكون استفهاماً. إلا عاصم في رواية حفص[٤] قرأ آمنتم بهمزة واحدة بغير مد على وجه الخبر ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني صنعاً صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في المدينة ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ يعني إنكم أردتم أن تخرجوا الناس من مصر بسحركم، ثم قال لهم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: تعلمون ماذا أفعل بكم. ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ﴾ يعني اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ على شاطىء نهر مصر ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي لا نبالي من عقوبتك وفعلك فإن مرجعنا إلى الله تعالى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾ يعني وما تعيب علينا وما تنكر منا إلا إيماننا بالله تعالى. ويقال وما نقمتك علينا ولم يكن منا ذنب ﴿إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ يعني لما ظهر عندنا أنه حق. ثم سألوا الله تعالى الصبر على ما يصيبهم لكي لا يرجعوا عن دينهم فقالوا ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾ يعني أنزل علينا صبراً عند القطع والصلب ومعناه ارزقنا الصبر وثبت قلوبنا حتى لا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ على دين موسى. وروي عن عبيد الله[٥] بن

---

(١) انظر حجة القراءات ٢٩٢.

(٢) وقرأ البزي (فإذا هي تلقف) بتشديد التاء أراد (تتلقف) فأدغم التاء في التاء وكذلك في سورة طه (وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر حجة القراءات ٢٩٣. (٤) سقط في ظ.

(٥) تقدم مثله من كلام ابن عباس رضي الله عنه وأخرج مثله أيضاً من كلام قتادة رضي الله عنه وابن جرير الطبري وعن ابن حميد كذا في الدر المنثور ٣/١٠٧ وانظر البحر المحيط ٤/٣٦٤ وأثر عبيد بن عمير انظره ١٣/٣٦ وفي تفسير ابن كثير ٣/٤٥٥.

عمير أنه قال كانت السحرة أول النهار كفاراً فجرة وآخر النهار شهداء بررة. وقال بعض الحكماء إن سحرة فرعون كانوا كفروا خمسين سنة فغفر لهم بإقرار واحد وبسجدة واحدة فكيف بالذي أقر وسجد خمسين سنة كيف لا يرجو رحمته ومغفرته. قوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ يعني إن السحرة قد آمنوا به فلو تركتهما يؤمن بهما جميع أهل مصر فيفسدوا في الأرض يعني موسى وقومه ويغيروا عليك دينك في أرض مصر ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾وذلك أن فرعون كان قد جعل لقومه أصناماً يعبدونها، وكان يقول لهم هؤلاء أربابكم الصغار وأنا ربكم الأعلى. فذلك قوله تعالى (وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) يعني يدعك ويدع أصنامك التي أمرت بعبادتها.

وروي عن عمرو بن دينار عن ابن عباس[١] أنه كان يقرأ «ويذرك وإلا هتك» يعني عبادتك وتعبدك. قال ابن عباس كان فرعون يُعْبد ولا يَعْبُد ويقال معنى قوله «أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ» يعني يغلبوا عليكم ويقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم كما فعلتم بهم، كما قال في آية أخرى ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ فقال لهم فرعون ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ لأنهم قد كانوا تركوا قتل الأبناء فأمرهم أن يرجعوا إلى ذلك الفعل. قرأ ابن كثير ونافع[٢] سَنَقْتُلُ أبناءهم بجزم القاف والتخفيف. وقرأ الباقون بالتشديد على معنى التكثير والمبالغة في القتل. ثم قال ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ أي مسلطون. فشكت بنو إسـرائيل إلى موسى:

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ يعني سلوا الله التوفيق ﴿وَاصْبِرُوا﴾ يعني اصبروا على أذاهم حتى يأتيكم الفرج ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني أرض مصر ينزلها من يشاء مـن عباده ويقال الجنة.

قرأ عاصم في رواية حفص يُوَرِّثها بالتشديد.

وقرأ الباقون بالتخفيف وهما لغتان ورّث وأوْرث بمعنى واحد. ثم قال ﴿وَالْعَـاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الـذين يعملون في طاعة الله تعالى على نور من الله، مخافة عقاب الله ورجاء ثواب الله تعالى، أي: آخر الأمر لهم. وروي في الخبر أن مسيلمة الكذاب كتب إلى النبي عليه السـلام كتاباً: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله صلى

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٠٧ وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وأبي عبيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وأبي الشيخ من طرق. وأخرج أيضاً ابن الأنباري عن الضحاك مثله.

(٢) انظر حجة القراءات ٢٩٤، سراج القـاري ٢٢٦.

الله عليه وسلم: أما بعد فإن الأرض بيني وبينك نصفان إلا أن العرب قوم يظلمون الناس فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: أما بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين[١]. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ يعني إن قوم موسى قالوا لموسى إنهم قد عذبوا قبل أن تأتينا بالرسالة ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ لأن قوم فرعون كانوا يكلفون بني إسرائيل من العمل ما لا يطيقون وكان آل فرعون لا يعرفون شيئاً من الأعمال. وكان بنو إسرائيل حذاقاً في الأشياء والأعمال. فكانوا يأمرونهم بالعمل ولا يعطونهم الأجر، ﴿فَقَالَ﴾ لهم موسى ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ يعني فرعون وقومه ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أي: يجعلكم سكاناً في أرض مصر. من بعد هلاكهم. يعني من بعد هلاك فرعون وقومه ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ يعني يبتليكم بالنعمة كما ابتلاكم بالشدة فيظهر عملكم في حال اليسر والشدة لأنه قد وعد لهم بقوله تعالى: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) ويقال فينظر كيف تعملون من بعده. يعني من بعد انطلاق موسى إلى الجبل، فعبدوا العجل. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ أي: بالجوع والقحط ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: يتعظون ويؤمنون فلم يتعظوا. قال الله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ يعني الخير والخصب والرخاء ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ يعني: نحن أهل لهذه الحسنة وأحق بها ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني القحط والبلاء والشدة ﴿يَطَّيَّرُوا بموسى وَمَنْ مَعَهُ﴾ وأصله يتطيروا فأدغمت التاء في الطاء، كقوله يَذَّكَّرونَ أي: يتشاءمون بموسى ومن معه على دينه قال الله تعالى ﴿أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني إن الذي أصابهم من عند الله وبفعلهم، ويقال: إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أنه من الله تعالى ولا يعلمون ما عليهم في الآخرة. قوله تعالى:

وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ يقول متى ما تأتنا، ويقال كلما تأتينا، وروي عن الخليل[٢] أنه قال مهما تأتنا

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التاريخ ٣/١٤٦ كتاب مسيلمة الكذاب إلى ـ سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والجواب عنه. وذكره ابن هشام في السيرة ٢/٣٤٢.

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن ٤٠٥.

أصلها الشرطية أدخلت معها ما الزائدة كقوله متى ما تأتني آتك، وما زائدة، فكأنه قال ما تأتنا به. فأبدلوا الهاء من الألف وهكذا قال الزجاج ﴿بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ يعني بشيء من آية ﴿لِتَسْحَرَنا بِهَا﴾ يعني لتأخذ أعيننا بها ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يعني بمصدقين بأنك مبعوث رسول الله، فغضب موسى عند ذلك فدعا عليهم قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو المطر الدائم من السبت إلى السبت حتى خربت بنيانهم وانقطعت السبل، وكادت أن تصير مصر بحراً واحداً. فخافوا الغرق فاستغاثوا بموسى فأرسلوا إليه. اكشف عنا العذاب نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربه فكشف عنهم المطر، وأرسل الله عليهم الريح فجففت الأرض فخرج من النبات شيء لم يروا مثله بمصر قط، قالوا هذا الذي جزعنا منه خير لنا ولكنا لم نشعر به فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل فنقضوا العهد وعصوا ربهم. فمكثوا شهراً فدعا عليهم موسى فأرسل الله تعالى عليهم الجراد مثل الليل فكانوا لا يرون الأرض ولا السماء من كثرتها فأكل كل شيء أنبتته الأرض فاستغاثوا بموسى ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يعني يا أيها العالم سل لنا ربك ليكشف عنا العذاب ونؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربه فأرسل الله تعالى ريحاً فاحتملت الجراد وألقته في البحر. فلم يبق في أرض مصر جرادة واحدة، فقال لهم فرعون انظروا هل بقي شيء فنظروا فإذا هو قد بقي لهم بقية من كلئهم وزرعهم ما يكفيهم عامهم ذلك، قالوا قد بقي لنا ما فيه بلغتنا هذه السنة. فقالوا يا موسى لا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل، فمكثوا شهراً ثم دعا عليهم فأرسل الله تعالى عليهم القُمَّلَ. قال قتادة[١]: القمل أولاد الجرادة التي لا تطير، وهكذا قال السدي، وذكر عن أبي عبيدة أنه قال: القمل عند العرب «الحمنان» وهو[٢] ضرب من القردان، فلم يبق من الأرض عود أخضر إلا أكلته. فأتاهم منه مثل السيل على وجه الأرض فأكل كل شيء في أرض مصر من نبات الأرض أو ثمر. فصاحوا إلى موسى واستغاثوا به وقالوا ادع لنا ربك هذه المرة يكشف عنا العذاب ونحن نطيعك ونعطيك عهداً وموثقاً لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربه فأرسل الله تعالى ريحاً حارة فأحرقته فلم يبق منه شيء وحملته الريح فألقته في البحر. فقال لهم موسى أرسلوا معي بني إسرائيل. فقالوا له قد ذهبت الأنزال كلها فأيش تفعل بعد هذا؟ فعلى أي شيء نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل. اذهب فما استطعت أن تضر بنا فافعل. فمكثوا شهراً فدعا الله تعالى عليهم موسى فأرسل الله تعالى عليهم آية وهي الضفادع فخرجوا من البحر مثل الليل الدامس فغشوا أهل مصر ودخلوا البيوت ووقفوا على ثيابهم وسررهم وفرشهم، وكان الرجل منهم يستيقظ بالليل فيجد فراشه وقد امتلأ من الضفادع (فكان الرجل يكلم صاحبه في الطريق يجعل فمه في أذنه ليسمع كلامه من كثرة نعيق الضفادع) فضاق الأمر عليهم فصاحوا إلى موسى فقالوا يا موسى لئن رفعت عنا هذه الضفادع لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني إسرائيل فدعا لهم موسى ربه فأذهب الله تعالى عنهم الضفادع. فقال لهم موسى أرسلوا معي بني إسرائيل فقالوا نعم أخرج بهم ولا تخرج معهم بشيء[٣] من مواشيهم وأموالهم. فقال لهم موسى: إن الله أمرني أن أخرج بهم ولا أخلف من أموالهم ومواشيهم شيئاً. فقالوا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل. فمكثوا شهراً فدعا عليهم. فأرسل الله تعالى عليهم الدم فجرت أنهارهم دماء فلم يكونوا يقدرون على الماء العذب ولا غيره، وبنو إسرائيل في الماء العذب وكلما دخل رجل من آل فرعون ليستقي من أنهار بني إسرائيل قلما دخل فيه

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور عن أبي صخر وعزاه لابن أبي حاتم انظر الدر المنثور ٣/١١٠ وانظر تفسير الطبري ١٣/٥٤، ٥٥ وابن كثير ٣/٤٦١.

(٢) وواحدتها (حمنانة وانظر قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/٢٢٦، وانظر تفسير الطبري ١٣/٥٦ ولسان العرب (قمل).

(٣) سقط في ظ.

صار الماء دماً من بين يديه ومن خلفه. فركب فرعون وأشراف أصحابه حتى أتوا أنهار بني إسرائيل فإذا هي عذبة صافية فجعل فرعون يدخل الرجل منهم فإذا دخل واغترف صار الماء في يده دماً فمكثوا كذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم فمات كثير منهم في ذلك فاستغاثوا بموسى فقال فرعون أقسم بإلهك يا موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه فأذهب الله تعالى عنهم الدم وعذب ماؤهم وصفي. فعادوا إلى كفرهم فذلك قوله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ يعني متتابعات. قال الحسن وسعيد بن جبير وغيرهما قالوا مما كانوا يعافون بين كل آيتين شهراً، فإذا جاءت الآية قامت عليهم سبعاً من السبت إلى السبت[1]. وروي عن مجاهد[2] أنه قال: الطوفان المطر الكثير. وقوله آيات صارت نصباً للحال. وقوله تعالى ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ يعني تعظموا عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ يعني أقاموا على كفرهم. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ يعني وجب عليهم العذاب وحل بهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يعني سل لنا ربك ﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أي بما أمرك ربك أن تدعو الله[3] ويقال بالعهد الذي سأل ربك ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ أي: رفعت عنا العذاب ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ يعني لنصدقنك ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ﴾ يعني العذاب ﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾ يعني إلى وقت الغرق، ويقال إلى بقية آجالهم ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ يعني ينقضون العهد الذي عاهدوا عليه مع موسى. قال الله تعالى ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُم فِي الْيَمِّ﴾ يعني في البحر. بلسان العبرانية وذلك أن الله تعالى أمر موسى بأن يخرج بني إسرائيل من أرض مصر ليلاً. فاستعارت نسوة بني إسرائيل من نساء آل فرعون حليهن وثيابهن وقلن إن لنا خروجاً، فخرج موسى ببني إسرائيل في أول الليل وهم ستمائة ألف من رجل وامرأة وصبي، فذكر ذلك لفرعون فتهيأ للخروج إليهم. فلما كان وقت الصبح ركب فرعون ومعه ألف ألف رجل ومئتا ألف رجل فأدركهم حين طلعت الشمس، وانتهى موسى إلى البحر، فضرب البحر فانفلق له اثنا عشر طريقاً، وكانت بنو إسرائيل اثني عشر سبطاً فعبر كل سبط في طريق، وأقبل فرعون ومن معه حتى انتهوا إلى حيث عبر موسى. فدخلوا تلك الطريق في طلبهم، فلما دخل آخرهم وهم أولهم أن يخرج أمر الله تعالى أن ينطبق عليهم فغرقهم فذلك قوله تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني الآيات التسع وهي اليد والعصا والسنون ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ يعني معرضين فلم يتفكروا ولم يعتبروا بها. حتى رجع موسى ببني إسرائيل فسكنوا أرض مصر فذلك قوله ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ﴾ يعني بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ﴾ أي الأرض المقدسة ﴿وَمَغَارِبَهَا﴾ يعني الأردن وفلسطين. ويقال مشارق الأرض يعني الشام. ومغاربها ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني بالبركة، الماء والثمار الكثيرة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ يقول وجبت نصرة ربك بالإحسان ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال مجاهد[4] هو ظهور قوم موسى على فرعون وتمكين الله لهم في الأرض. وقال مقاتل: يعني بالكلمة التي ذكرها في سورة القصص ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ وقال الكلبي: وتمت كلمة ربك يعني نعمة ربك الحسنى يعني أنهم يجزون

---

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي ٢/١٩١، والدر المنثور ٣/١١١.

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي ٢/١٩١.

(٣) سقط من أ.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير عن ابن أبي نجيح ١٣/٧٨ وعنده وغيره عن مجاهد (تمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا) وهي قوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. . .) انظر تفسير الطبري ١٣/٧٦ ـ ٧٧ وتفسير ابن كثير ٣/٤٦٤.

الحسنى الجنة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ ولم يدخلوا في دين فرعون. ويقال وتمت كلمة ربك. أي: ما وعدهم الله من إهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض ثم قال ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ يعني أهلكنا ما كان يعمل فرعون وأبطلنا كيده ومكره ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يعني أهلكنا ما كانوا يبنون من البيوت والكروم.

وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي[1] بكر يَعْرُشُونَ بضم الراء.

وقرء الباقون بالكسر ومعناهما واحد. قوله تعالى:

وَجَاوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ يقول مروا[2] على قوم يعني يعبدون الأصنام ويقومون على عبادتها، وكل من يلازم شيئاً ويواظب عليه يقال عكفه، ولهذا سمي الملازم للمسجد معتكفاً. ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً﴾ قال الجهال من بني إسرائيل لموسى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ يعبدونها. ﴿قَالَ﴾ لهم موسى ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ يعني تكلمتم بغير علم وعقل وجهلتم الأمر قوله تعالى ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾ يعني مهلك مفسد ما هم فيه من عبادة الأصنام ﴿وَبَاطِلٌ﴾ يعني ضلال ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ والتبار الهلاك. كقوله تعالى (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً) أي هلاكاً. ثم ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً﴾ يعني أسوى الله آمركم أن تعبدوا وتتخذوا إلهاً ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يعني: على عالمي زمانكم يعني أنه قد أحسن إليكم فلا تعرفون إحسانه وتطلبون عبادة غيره، وهم الذين كانوا أجابوا السامري حين دعاهم إلى عبادة العجل بعد انطلاق موسى إلى الجبل. ثم ذكر النعم فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ (من آل فرعون يعني اذكروا حين أنجاكم الله من آل فرعون وقرأ الباقون وإذ أنجيناكم)[3]. قرأ ابن عامر[4] وإِذْ أَنْجَاكُمْ يعني اذكروا حين أنجاكم الله ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وقرأ الباقون وإذ أنْجيناكُم. ومعناه مثل ذلك ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يعني: يعذبونكم بأشد العذاب. ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يعني: يستخدمون نساءكم ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أي: الإنجاء نعمة من ربكم عظيمة ويقال في قتل الأبناء واستخدام النساء بلية من ربكم عظيمة.

قرأ نافع[5] يَقْتُلُونَ أبناءكم بنصب الياء مع التخفيف.

وقرأ الباقون بضم الياء وكسر التاء مع التشديد (يُقَتِّلونَ) على معنى التكثير.

(١) انظر حجة القراءات ٣٩٤، سراج القاري ٢٢٦.

(٢) قرأ حمزة والكسائي (يعكِفون) بكسر الكاف. وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان: تقول عكف يعكف ويعكف وكذلك عرش يعرش ويعرش. انظر حجة القراءات ٢٩٤.

(٣) سقط في ظ. (٤) انظر حجة القراءات ٢٩٤، سراج القاري ٢٢٦. (٥) انظر المصدرين السابقين.

وقرأ حمزة والكسائي[(١)] «يَعْكِفُونَ» بكسر الكاف.

وقرأ الباقون بالضم (يَعْكُفُونَ). قوله تعالى:

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً**﴾ قرأ أبو عمرو ووَعَدْنَا بغير ألف. والباقون بالألف. ومعناهما واحد ﴿**وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ**﴾ يعني: ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة. ويقال ثلاثين من ذي الحجة وعشر من المحرم، والمناجاة في يوم عاشوراء، وكانت المواعدة ثلاثين يوماً وأمر بأن يصوم ثلاثين يوماً، فلما صام ثلاثين يوماً أنكر خلوف فمه فاستاك عود خرنوب وقيل بورقة موز. فقالت له الملائكة كنا نجد من فيك ريح المسك فأفسدته بالسواك، فأمر بأن يصوم عشراً أخر فصارت الجملة أربعين يوماً كما قال في آية أخرى (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) يعني صارت في الجملة أربعين ولكن مرة ثلاثين يوماً ومرة عشرة ﴿**فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**﴾ يعني ميعاد ربه أربعين ليلة يعني ميعاد ربه ﴿**وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي**﴾ يعني: قال له قبل انطلاقه إلى الجبل اخلفني ﴿**فِي قَوْمِي**﴾ أي: كن خليفتي على قومي ﴿**وَأَصْلِحْ**﴾ يعني: مرهم بالصلاح. ويقال وأصلح بينهم ويقال ارفق لهم ﴿**وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ أي؛ ولا تتبع سبيل أي: طريق العاصين ولا ترضى به واتبع سبيل المطيعين. وقال بعض الحكماء من ههنا ترك قومه عبادة الله وعبدوا العجل لأنه سلمهم إلى هارون ولم يسلمهم إلى ربهم، ولهذا لم يستخلف النبي بعده وسلم أمر أمته إلى الله تعالى فاختار الله لأمته أفضل الناس بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فأصلح بينهم. قوله تعالى ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا**﴾ يعني: لميعادنا لتمام أربعين يوماً، ويقال ليمقاتنا أي: للوقت الذي وقتنا له ﴿**وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**﴾ فسمع موسى كلام الله تعالى بغير وحي فاشتاق إلى رؤيته ﴿**قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ**﴾ انظر صار جزماً لأنه جواب الأمر ﴿**قَالَ**﴾ له ربه ﴿**لَنْ تَرَانِي**﴾ يعني إنك لن تراني في الدنيا ﴿**وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ**﴾ يعني انظر إلى أعظم جبل بمدين ﴿**فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾ يعني سوف تقدر أن تراني إن استقر الجبل مكانه معناه: كما أن الجبل لا يستقر لرؤيتي فإنك لن تطيق رؤيتي ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ**﴾ قال الضحاك. ألقى عليه من نوره فاضطرب الجبل من هيبته. يعني من رهبة الله تعالى. وقال القتبي تجلى ربه للجبل. أي ظهر وأظهر من أمره ما شاء. يقال جلوت المرآة والسيف إذا أبرزته من الصدأ وكشف عنه، وجلوت العروس إذا أبرزتها. فلما تجلى ربه للجبل أي: جبل زبير ﴿**جَعَلَهُ دَكًّا**﴾. قرأ حمزة والكسائي[(٢)] جعله دكاء بالهمز يعني جعله أرضاً دكاء. وقرأ الباقون دَكًّا بالتنوين. يعني دَكَّه دكاً قال

---

(١) تقدم في الحاشية.

(٢) انظر حجة القراءات ٢٩٥، سراج القاري ٢٢٦.

بعضهم صار الجبل قطعاً فصار على ثمان قطع فوقع ثلاث بمكة وثلاث بالمدينة واثنان بالشام. ويقال صار ستة فرق، ويقال صار أربع فرق، ويقال صار كله رملاً عالجاً، أي ليناً. وروى عكرمة عن ابن[1] عباس أنه قال جعله دكاً أي تراباً وقال القتبي جعله دكاً أي ألصقه بالأرض ويقال ناقة دكاء إذا لم يكن لها سنام [2] أي تراباً. وروي عن وهب بن منبه[3] أنه قال: لما سأل موسى النظر إلى ربه أمر الله الضباب والصواعق والظلمات والرعد والبرق فهبطن حتى أحطن بالجبل، وأمر الله تعالى ملائكة السموات فهبطوا وارتعدت فرائص[4] موسى وتغير لونه. فقال له جبريل: اصبر لما سألت ربك فإنما رأيت قليلاً من كثير، فلما غشي الجبل النور خمد كل شيء وانقطعت أصوات الملائكة وأنهار الجبل من خشية الله تعالى حتى صار دكاً قوله تعالى ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ قال مقاتل يعني ميتاً. كقوله عز وجل: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمواتِ﴾ يعني مات، ويقال وخر موسى صعقاً أي: مغشياً عليه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ من غشيانه، قال مقاتل رد الله حياته إليه ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أي تنزيهاً لك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من قولي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ روى الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: قد كان قبله من المؤمنين. ولكن يقول أول من آمن بأنّه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة[5]. وقال مقاتل أول المؤمنين بأنك لا تُرى في الدنيا. وقال القتبي أراد به في زمانه كقوله (وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) ويقال معناه ثبت إليك بأن لا أسألك بعد هذا سؤالاً محالاً فاعترف أنه طلب شيئاً في غير حينه وأوانه ووقته.

وقال الزجاج: قد قال موسى أرني أنظر إليك يعني أرني أمراً عظيماً لا يرى مثله في الدنيا مما لا تحتمل عليه نفسي. (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) أي أمر ربه، قال وهذا خطأ ولكن لما سمع كلامه قال يا رب إنِّي سمعت كلامك وأحب أن أراك. قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي﴾ يعني بنبوتي. قرأ ابن كثير ونافع بِرِسَالَتِي[6].

وقرأ الباقون برسَالَاتي بلفظ الجماعة ومعناهما واحد. أي: اختصصتك بالنبوة ﴿وَبِكَلَامِي﴾ أي: بتكلمي معك من غير وحي ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أي: اعمل بما أعطيتك ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لما أعطيتك. وقال القتبي قوله وأنا أول المؤمنين أراد به في زمانه كقوله (وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) قوله تعالى:

وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١١٩ وعزاه لابن جرير ١٣/٩٧ (٥٠٧٨) وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في الروية. وانظر معالم التنزيل للبغوي ٢/١٩٧.

(٢) سقط في ظ. (٣) انظر الخازن ٢/٢٨٣.

(٤) الفريصة المضغة التي بين الثدي ومرجع الكتف من الرجل والدابة انظر لسان العرب ٥/٣٣٨٦.

(٥) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/١٠٣، وانظر تفسير ابن كثير ٣/٤٦٩.

(٦) انظر حجة القراءات ٢٩٥، سراج القاري ٢٢٧.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَـٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧﴾

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ روي عن سعيد بن جبير[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أعطى الله تعالى موسى التوراة في سبعة ألواح من زبرجد فيها تبيان لكل شيء وموعظة. قال التوراة مكتوبة، ويقال طول الألواح عشرة أذرع ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾ من الجهل ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني تبياناً لكل شيء من الحلال والحرام.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا الفقيه أبو جعفر قال حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القاري قال حدثنا أبو بكر بن أبي العوام قال حدثنا أبي قال حدثنا يحيى بن سابق عن خيثمة بن خليفة عن ربيعة عن أبي جعفر عن جابر[٢] بن عبد الله أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان فيما أعطى الله موسى في الألواح عشرة أبواب: يا موسى لا تشرك بي شيئاً فقد حق القول مني لتلفحن وجوه المشركين النار. واشكر لي ولوالديك أقك) المتالف وانسيء لك في عمرك وأحييك حياة طيبة وأقلبك إلى خير منها. ولا تقتل النفس التي حرمتها إلا بالحق فتضيق عليك الأرض برحبها والسماء بأقطارها وتبوء بسخطي ونار. ولا تحلف باسمي كاذباً فإني لا أطهر ولا أذكي من لم ينزهني ولم يعظم أسمائي. ولا تحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله فإن الحاسد عدو لنعمتي راد لقضائي ساخط لقسمتي التي أقسم بين عبادي. ولا تشهد بما لم يقع بسمعك ويحفظ قلبك فإني لواقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة ثم أسألهم عنها سؤالاً حثيثاً. ولا تزن ولا تسرق فأحجب عنك وجهي وأغلق عنك أبواب السماء. وأحبب للناس ما تحب لنفسك. ولا تذك لغيري فأني لا أقبل من القربان إلا ما ذكر عليه اسمي وكان خالصاً لوجهي وتفرغ لي يوم السبت وجميع أهل بيتك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى جعل يوم السبت لموسى عيداً واختار لنا يوم الجمعة فجعلها لنا عيداً.

قوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ يعني اعمل بما أمرك الله بجد ومواظبة عليها ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي يعملون بما فيها من الحلال والحرام. ويقال أمرهم بالخير وانههم عن الشر. يعني اعملوا بالخير وامتنعوا عن الشر ويقال اعملوا بأحسن الوجوه. وهو أنه لو يكافىء ظالمه وينتقم منه جاز، ولو تجاوز كان أحسن. وقال الكلبي[٣]: كان موسى عليه السلام أشد عبادةً من قومه فأمر بما لم يؤمروا به يعني أمر بأن يعمل بالمواظبة وأمر قومه بأن يأخذوا بأحسن الفعل ثم قال ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ قاتل مقاتل: يعني سنة أهل مصر[٤]. يعني هلاكهم حين قذفهم البحر فأراهم سنة الفاسقين في التقديم ويقال جهنم هي دارُ الكافرين،ويقال إذا سافروا أراهم منازل عاد وثمود،[٥] وقال مجاهد مصيرهم في الآخر إلى النار قوله تعالى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ يعني أصرف قلوب الذين يتكبرون عن الإيمان حتى لا يؤمنوا فأخذ لهم بكفرهم ولا أو فقهم. بتكذيبهم الأنبياء مجازاة لهم. ويقال أمنع قلوبهم من التفكر في أمر الدين وفي خلق والسموات والأرض الذين يتكبرون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يعني يتعظمون عن الإيمان لكي لا يتفكروا في السماء ولا يعقلون فيها ولا يذكرونها. ويقال سأصرف عن النعماء التي أعطيتها المؤمنين يوم القيامة، أصرف عنهم تلك النعمة، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ امتنعوا منها كي ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٢١. وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٢٢ وعزاه لابن مردويه وأبي نعيم في الحلية وابن لال في مكارم الأخلاق وانظر حلية الأولياء ٣/٢٦٥ ـ ٢٦٦ وقال غريب من حديث أبي جعفر وحديث ربيعة ولم تكتبه إلا بهذا الإسناد من هذا الوجه.

(٣) انظر تفسير البغوي ٢/٢٠٠. (٤) انظر تفسير البغوي ٢/٢٠٠.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٢٦ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وبن أبي حاتم وأبي الشيخ.

يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ يعني طريق الحق، الإسلام ﴿**لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**﴾ يعني لا يتخذوه ديناً ﴿**وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ**﴾ يعني طريق الضلالة والكفر ﴿**يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**﴾ أي: ديناً ويتبعونه ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾ قال مقاتل أي: بآياتنا التسع. وقال الكلبي يعني بمحمد والقرآن ﴿**وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾ يعني: تاركين لها.

قرأ حمزة والكسائي سبيل الرَّشَدِ[1] بنصب الراء والشين.

وقرأ الباقون الرُّشْدِ بضم الراء وإسكان الشين. وهما لغتان ومعناهما واحد.

ثم قال عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾ أي: بمحمد والقرآن ﴿**وَلِقَاءِ الآخِرَةِ**﴾ يعني: كذبوا بالبعث بعد الموت ﴿**حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾ يعني: بطلت حسناتهم ﴿**هَلْ يُجْزَوْنَ**﴾ أي: هل يثابون ﴿**إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ يعني: في الدنيا. قوله تعالى:

وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾

﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ**﴾ يعني من بعد انطلاقه إلى الجبل. وذلك أن موسى عليه السلام لما وعد لقومه ثلاثين يوماً فتأخر عن ذلك، قال السامري لقوم موسى إنكم أخذتم الحلي من آل فرعون فعاقبكم الله تعالى بتلك الخيانة ومنع الله عنا موسى. فاجمعوا الحلي الذي أخذتم من آل فرعون حتى نحرقها فلعل الله تعالى يرد علينا موسى، فجمعوا الحلي، وكان السامري صائغاً فجعل الحلي في النار واتخذ ﴿**مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ**﴾ وقد كان رأى جبريل على فرس الحياة. فكلما وضع الفرس حافره (ظهر النبات في موضع حافره) فأخذ كفاً من أثر حافره من التراب وألقى ذلك التراب في العجل فصار العجل من حليهم عجلاً جسداً. قال الزجاج: الجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز. إنّما معنى الجسد معنى الجثة فقط وروي عن ابن عباس قال: صار عجلاً له لحم ودم وله خوار يعني صوت مثل صوت العجل ولم يسمع منه إلا صوت واحد. وقال بعضهم سمع منه صوت ولم يسمع منه[2] إلا مثل صوت العجل. وقال بعضهم جعله مشتبكاً فدخل فيه الريح فسمع منه صوت مثل صوت العجل، فقال لقومه هذا إلهكم وإله موسى فاغتر به الجهال من بني إسرائيل وعبدوه قال الله تعالى ﴿**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ**﴾ يعني لا يقدر على أن يكلمهم ﴿**وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً**﴾ يعني لا يرشدهم طريقاً ﴿**اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ**﴾ يعني: كافرين بعبادتهم إياه.

---

(١) انظر حجة القراءات ٢٩٥، سراج القاري ٢٢٧.

(٢) سقط من أ.

وقرأ حمزة والكسائي[1] من حِلِيِّهم بكسر الحاء. وقرأ الباقون من حُلِيِّهم بضم الحاء. فمن قرأ بالكسر فهو اسم لما يحسن به من الذهب والفضة.

ومن قرأ بالضم فهو جمع الحَلْي، ويقال كلاهما جمع الحَلْي وأصله الضم إلا أن من كسر فلاتباع الكسرة بالكسرة. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: ندموا على ما صنعوا، يقال: سقط في يده إذا ندم وأصله أن الإنسان إذا ندم جعل يده على رأسه ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ أي: علموا أنهم قد ضلوا عن الهدى ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾.

قرأ حمزة والكسائي[2] لئن لم تَرْحَمْنَا بالتاء على معنى المخاطبة رَبَّنَا بالنصب يعني يا ربنا.

وقرأ الباقون لئن لم يرحمنا رَبُّنا بالياء وضم الباء على معنى الخبر ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بعد التوبة. عطف على قوله لئن لم يرحمنا ربنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يعني من المغبونين. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾ يعني: من الجبل ﴿غَضْبَانَ أَسِفاً﴾ يعني حزيناً. ويقال الأسف في اللغة شدة الغضب ومنه قوله تعالى: (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) ويقال أشد الحزن كقوله (يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ) ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ يعني بعبادة العجل. يعني بئسما فعلتم في غيبتي ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ يعني استعجلتم ميعاد ربكم، ويقال أعصيتم أمر ربكم، ويقال: معناه أعجلتم بالفعل الذي استوجبتم به عقوبة ربكم ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ من يده. قال الكلبي: انكسرت الألواح وصعد عامة الكلام الذي كان فيها من كلام الله تعالى إلى السماء. وقال بعضهم هذا الكلام في ظاهره غير سديد. لأن الكلام صفة والصفة لا تفارق الموصوف، فلا يجوز أن يقال الكلام يصعد ويذهب. ولكن تأويله أن الألواح لما انكسرت ذهب أثر المكتوب منها. وهذا إذا كان من غير الأحكام، وأما الأحكام أيضاً فلا يجوز أن تذهب عنه، وإنما أراد بذلك حجة عليهم. وروي في الخبر أن الله تعالى أخبر موسى أن قومه عبدوا العجل. قال موسى يا رب من اتخذ لهم العجل؟ قال السامري. قال ومن جعل فيه الروح؟ قال أنا. قال فأنت فتنت قومي. قال له ربه تركتهم لمرادهم. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الخبر كالمعاينة[3] لما أخبر الله تعالى بأن قومه قد عبدوا العجل لم يلق الألواح، فلما عاين ألقى الألواح ثم قال ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ يعني أخذ بشعر رأسه ولحيته ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ (يعني قال له هارون: يا ابن أمي لا تأخذ بلحيتي)[4] قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص[5] يا ابنَ أمَّ بنصب الميم. وقرأ الباقون بالكسر. وهكذا في سورة طه. فمن قرأ بالنصب جعله كاسم واحد، كأنه يقول يا ابن أماه. كما يقال يا ويلتاه ويا حسرتاه ومن قرأ بالكسر فهو على معنى الإضافة إلى نفسه وكان موسى أخاه لأبيه وأمه ولكن ذكر الأم ليرفعه عليه ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾ يعني قهروني واستذلوني ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ يعني: هموا بقتلي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ يعني: لا تفرح على أعدائي. يعني الشياطين ويقال أصحاب العجل ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني لا تظنن أني رضيت بما فعلوا قال موسى ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ بما فعلت بأخي هارون، ويقال: لإلقاء الألواح ﴿وَ﴾ اغفر ﴿لِأَخِي﴾ ما كان منه من التقصير في

---

(١) انظر حجة القراءات ٢٩٦، سراج القاري ٢٢٧.
(٢) انظر حجة القراءات ٢٩٦ ـ ٢٩٧، سراج القاري ٢٢٨.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢٧١/١، وابن حبان أورده الهيثمي في الموارد (٢٠٨٧)، والخطيب في التاريخ ٣٦٠/٣، ٥٦/٦، ١٢/٨، ٢٨ وابن عبد البر في التمهيد ٣٣٤/٤ والاستذكار ٤٩/١ وأخرجه ابن عدي في الكامل ٢٠٣/١، ١٥٨٠/٤، ٢٤٩٣/٧ ونسبه العجلوني في كشف الخفاء فضلاً عن هؤلاء لابن منيع والطبراني والعسكري والبغوي والدارقطني في الأفراد.
(٤) سقط في ظ.
(٥) انظر حجة القراءات ٢٩٧، سراج القاري ٢٢٨.

تركهم على عبادة العجل ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ يعني جنتك ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ يعني: أنت أرحم بنا منا بأنفسنا. وقال الحسن: يعني أنت أرحم بنا من الأبوين قوله تعالى:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ يعني: اتخذوا العجل إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني: يصيبهم عذاب من ربهم ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهو ما أمروا بقتل أنفسهم، ويقال: هذا قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم يعني يصيب أولادهم ذلة في الحياة الدنيا وهي الجزية ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ يعني: هكذا نعاقب المكذبين. ثم قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾ يعني: رجعوا عن الشرك بالله وعن السيئة ﴿وَآمَنُوا﴾ يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ ومن بعد التوبة ويقال: من بعد السيئات ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بعني «لغفور» لذنوبهم «رحيم» بهم بعد التوبة. ثم رجع إلى قصة موسى عليه السلام وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ أخذ الألواح يعني: لما سكت عن موسى الغضب ويقال: ولما سكت موسى عن الغضب ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ يعني في بقيتها، فنسخت له الألواح وأعيدت له في اللوحتين مكان التي انكسرت ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ يعني: فيما بقي منها بياناً من الضلالة ورحمة من العذاب ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يعني: يخافون الله ويعملون له بالغيب. ويقال وفي نسختها يعني في كتابتها هدى من الضلالة ورحمةٌ من العذاب للذين يخشون ربهم قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَه﴾ أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾ يعني للميقات الذي وقتنا له ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ يعني الزلزلة تزلزل الجبل بهم فماتوا ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْل﴾ يعني من قبل أن يصحبوني ﴿وإِيَّايَ﴾ بقتل القبطي ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ قال الكلبي ظن موسى أنه إنما أهلكهم باتخاذ بني إسرائيل العجل[١].

وروي عن عليّ بن أبي طالب أنه قال: انطلق موسى وهارون ومعهما شَبَّر وَشَبِّير وهما ابنا هارون حتى انتهوا إلى جبل وفيه سرير فنام عليه هارون فقبض. فرجع موسى إلى قومه فقالوا له أنت قتلته حسداً على خلقه ولينه. قال كيف أقتله ومعي ابناه؟ فاختاروا من شئتم فاختاروا سبعين فانتهوا إليه فقالوا له من قتلك يا هارون قال ما قتلني أحد ولكن توفاني الله تعالى: فأخذتهم الرجفة فماتوا كلهم فقال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي[٢].

---

(١) انظر معالم التنزيل ٢/٢٠٤.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٢٨ وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وابن جرير ١٣/١٤٢ وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وعزاه صاحب البحر المحيط لابن أبي شيبه. انظر البحر ٤/٣٩٩.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما انطلق موسى إلى الجبل أمر بأن يختار سبعين رجلاً من قومه، فاختار من كل سبط ستة رجال فبلغوا اثنين وسبعين، فقال موسى إني أمرت بسبعين فليرجع اثنان ولهما أجر من حضر. فرجع يوشع بن نون وكالوب بن يوقنا. فذهب موسى مع السبعين إلى الجبل. فلما رجع إليهم موسى من المناجاة قالوا له إنك قد لقيت ربك فأرنا الله جهرة حتى نراه كما رأيته، فجاءتهم نار فأحرقتهم فماتوا. فقال موسى: حين أماتهم الله تعالى «رب لو شئت أهلكتهم من قبل» هذا اليوم وإياي معهم أتهلكنا بما فعل السفهاء منا[١] يعني أتوقعني في ملامة بني إسرائيل وتعييرهم بفعل هؤلاء السفهاء، ثم أحياهم الله تعالى.

وروى أسباط عن السدي قال إن موسى انطلق بسبعين من بني إسرائيل يعتذرون إلى ربهم عن عبادة العجل. وذكر نحو حديث عبد الله بن عباس. ثم قال ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ يعني بليتك وعذابك. ويقال يعني عبادة العجل بليتك حيث جعلت الروح فيه ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ أي: بالفتنة ﴿مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ من الفتنة ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ أي: حافظنا وناصرنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ يعني ذنوبنا ﴿وَارْحَمْنَا﴾ يعني ولا تعذبنا. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ يعني: المتجاوزين عن الذنوب. قوله تعالى:

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يعني: اقضي لنا وأعطنا في الدنيا العلم والعبادة والنصرة والرزق الحسن الحلال ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ يعني وأعطنا في الآخرة حسنة. وهي الجنة ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني: تبنا إليك وأقبلنا إليك. هكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وقتادة[٢]. وأصله في اللغة الرجوع من الشيء إلى الشيء ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ يعني هذا عذابي أخص به من أشاء من العباد من كان أهلاً لذلك ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ إنْ رحمتهم ويقال: إن الزلزلة والرجفة كانتا عذابي وأنا أنزلتها وأنا أصيب بالعذاب من أشاء، وما سألت من الغفران فمن رحمتي، ورحمتي وسعت كل شيء من كان أهلاً لها ويقال لكل شيء حظ من رحمتي. وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري[٣] عن قتادة والحسن قالا: ورحمتي التي وسعت كل شيء يعني: وسعت في الدنيا البر والفاجر، وفي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة. ويقال لما نزلت هذه الآية ورحمتي وسعت كل شيء تطاول إبليس وقال أنا من تلك الأشياء، فأكذبه الله تعالى وآيسه فأنزل قوله ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يعني فسأقضيها

---

(١) انظر البحر المحيط ٤/٣٩٩، وذكره السيوطي في الدر ٣/١٢٨ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) انظر تفسير القرطبي ٧/١٨٨.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٣٠ وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم أبي الشيخ، وانظر تفسير الطبري ١٣/١٥٩.

وسأوجهها للذين يتقون الشرك[1] ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ فقالت اليهود والنصارى نحن آمنا بالآيات وهي التوراة والإنجيل ونعطي الزكاة فهذه الرحمة لنا. فأكذبهم الله تعالى وأنزل ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ الآية. ويقال ورحمتي وسعت كل شيء يعني: طمع كل قوم برحمتي وأنا أوجبتها للمؤمنين. وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يتقون الشرك ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون. يعني: يصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم الذي لا يكتب ولا يقرأ الكتب. قال الزجاج: الأُمِّيُّ الذي هو على خِلْقَةِ أمه لم يتعلم الكتابة وهو على جبلته، ويقال إنما سمي محمد صلى الله عليه وسلم أمياً لأنه كان من أم القرى وهي مكة ثم قال ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مكتوباً عندهم﴾ يعني يجدون نعته وصفته ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعني شرائع الإسلام بالتوحيد ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: عن الشرك وما لا يعرف في الشريعة ولا في السنة ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: يرخص لهم الحلالات من الشحوم واللحوم وأشباهها ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ يعني: ويبين لهم الحرام، الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ يعني: ثقلهم من العهود.

قرأ ابن عامر[2] آصَارَهُمْ على معنى الجماعة. وأصل الإصر الثقل فسمي العهد إِصْراً لأن حفظ العهد يكون ثقيلاً، ويقال: يعني: الأمور التي كانت عليهم في الشرائع، ويقال هو ما عهد عليهم من تحريم الطيبات، ثم قال ﴿وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ وهي كناية عن أمور شديدة. لأن في الشريعة الأولى كان الواحد منهم إذا أصابه البول في ثوبه وجب قطعه. وكان عليهم ألا يعملوا في السبت وغير ذلك من الأعمال الشديدة فوضع عنهم ذلك ثم قال ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ يعني صدقوه وأقروا بنبوته ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ يعني عظموه وشرفوه. ويقال أعانوه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ بالسيف ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ﴾ يعني القرآن ﴿الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ﴾ يعني أهل هذه الصفة ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: والناجون في الآخرة وهم في الرحمة التي قال الله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قوله:

قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ

---

(١) سقط في ظ.

(٢) انظر حجة القراءات ٢٩٨، سراج القاري ٢٢٨.

سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني يا أهل مكة ويقال: هو لجميع الناس ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ ويقال: إنه أول نداء نادى به في مكة بهذه الآية، وكان من قبل يدعو واحداً واحداً. فلما نزلت هذه الآية أظهر ونادى في الناس يا أيها الناس إنِّي رسول الله إليكم جميعاً من ذلك الرب ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ يعني: لا خالق ولا رازق في السماء ولا في الأرض إلا هو ﴿يُحْيِـي وَيُمِيتُ﴾ يعني: يحيي الأموات للبعث ويميت الأحياء في الدنيا ويحيي للبعث ثانياً. ويقال يحيي يعني: يخلق الخلق من النطفة ويميتهم عند انقضاء آجالهم. ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ يعني يصدق بالله ﴿وَكَلِمَاتِهِ﴾ يعني: القرآن. قال السدي[1]: وكَلِمَتُهُ يعني صدق بأن عيسى صار مخلوقاً بكلمة الله ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ من الضلالة. قوله ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يعني جماعة يدعون إلى الحق ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يعني وبالحق يعملون. وقال بعضهم يعني به مؤمني أهل الكتاب. وهم عبد الله بن سلام وأصحابه. وهذا كما قال في آية أخرى (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُون آيَاتِ اللَّهِ) الآية وقال بعضهم هم قوم من وراء الصين « من أمة موسى » ما وراء رمل عالج.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة أسري به إلى البيت المقدس ومعه جبريل. فرفعه إليهم وكلمهم وكلموه فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا لا. قال فإن هذا محمد النبي الأمي. قالوا يا جبريل وقد بعثه الله تعالى؟ قال: نعم. فآمنوا به وصدقوه وقالوا يا رسول الله إن موسى بن عمران أوصى إلينا أن من أدرك ذلك النبي منكم فليقرأ عليه السلام مني ومنكم ورد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على موسى ورد عليهم السلام. ثم قال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما لي أرى بيوتكم مستوية؟ قالوا لأنا قوم لا يبغي بعضنا على بعض، قال فمالي لا أرى عليها أبواباً؟ قالوا إنا لا يضر بعضنا بعضاً. قال فمالي لا أراكم تضحكون؟ قالوا ما ضحكنا قط لأن الله تعالى أخبرنا في كتابه أن جنهم عرضها ما بين الخافقين. وقعرها الأرض السفلى. وقد أقسم الله تعالى ليملأنها من الجنة والناس أجمعين. قال فهل تبكون على الميت؟ قالوا يا رسول الله كيف نبكي على الميت وكلنا ميتون. وهو سبيل لا بد منه. والله أعطانا والله أخذ منا. قال فهل تمرضون؟ قالوا:[2] يا رسول الله إنما يمرض أهل الذنوب والخطايا فأما نحن فمعصومون بدعاء نبي الله موسى عليه السلام. قال فكيف تموتون إذا لم تمرضوا؟ قالوا إذا استوفى أحدنا رزقه جاءه ملك الموت فقبض روحه فندفنه حيث يموت قال فهل تحزنون إذا ولد لأحدكم جارية قالوا يا رسول الله لا ولكنا نصوم لله تعالى شهراً شكراً فإذا ولد لأحدنا غلام نصوم لله شهرين شكراً لله تعالى. قال فهل فيكم حيات وعقارب؟ قالوا نعم قال كيف تصنعون[3] بهن قالوا: يا رسول الله نمشي عليهن ويمشين علينا ولا نؤذيهن ولا تؤذينا آمنات منا ونحن آمنون منهن. قال فهل لكم ماشية؟ قالوا نعم نجز أصوافها فنتخذ منه الأفنية والأكسية ونأكل من لحومهن الكفاف وكل أهل القرية فيها شرع أي سواء ليس أحد أحق به منا. قال فهل تَزِنُون أو يوزن عليكم؟ قالوا لا نزن ولا يوزن علينا ولا نكيل ولا يكال علينا ولا نشتري ولا نبيع. قال فمن أين تأكلون؟ قالوا يا رسول الله نخرج فنزرع ويرسل الله تعالى السماء علينا فينبته ثم

---

(١) انظر البحر المحيط ٤/٤٠٦.
(٢) سقط من أ.
(٣) سقط في ظ.

نخرج إليه فنحصده ونضعه في أماكن من القرية، فيأخذ أهل القرية منها الكفاف ويدعون ما سواه. قال فهل تجامعون النساء؟ قالوا نعم يا رسول الله لنا بيوت مظلمة وثياب معلومة فإذا أردنا المجامعة لبسنا ثيابنا تلك ودخلنا تلك البيوت لا يرى الرجل عورة امرأته ولا المرأة عورة زوجها. قال فهل فيكم زنا؟ قالوا يا رسول الله لا فإن فعل ذلك أحد منا لظننا أن الله تعالى يبعث عليه ناراً فيحرقه أو يخسف به الأرض. ولكن إذا كان للرجل منا ابنة طلبها منه رجل فيزوجه إياها إرادة الأجر والعفة. قال فهل تكنزون الذهب والفضة؟ قالوا لا يا رسول الله إنما يكنز الذهب والفضة من لا يثق بالله ومن يرى أن الله تعالى لم يتكفل له برزقه، فأما نحن فلا نكنز الذهب والفضة. فأقرأهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سور من القرآن أنزلت بمكة، ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة فعلمهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن وأمرهم بالصلاة والزكاة ورجع من ليلته[1] وقال قتادة: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله (وِمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال قد أعطيتم مثلها (وِمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ). يعني في هذه الأمة ثم قال ﴿وَقَطَّعْنَاهم﴾ يعني: بني إسرائيل فرقناهم ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً﴾ يعني جماعة، والأسباط جَمْعٌ. والسبط في بني إسرائيل مثل القبيلة عند العرب. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ يعني في التيه ﴿إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ إلى قوله ﴿رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ كل ذلك مذكور في سورة البقرة. قرأ أبو عمرو[2] نَغْفِر لكم بالنون خَطَايَاكُمْ وقرأ ابن عامر تُغْفَرُ لكم بالتاء والضم خطِيئَتُكُمْ بالرفع وبلفظ الواحد. وقرأ نافع تُغْفَرَ لكم بالتاء والضم. خَطِيئَاتُكُمْ بلفظ الجماعة. وقرأ الباقون نَغْفِر لكم بالنون خطيئاتِكُمْ بلفظ الجماعة. قوله تعالى:

وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا

---

(١) ذكره القرطبي مختصراً انظر ١٩٢/٧.

(٢) انظر حجة القراءات ٢٩٨ ـ ٢٩٩، سراج القاري ٢٢٨.

تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ واسمها أيلة. وذلك أن اليهود قالوا نحن من أبناء إبراهيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يعذبنا الله تعالى إلا مقدار عبادة العجل. فقال الله تعالى واسألهم عن القرية يعني أهل القرية[١] التي كانت حاضرة البحر كيف عذبهم الله تعالى بذنوبهم. ثم أخبر عن ذنوبهم فقال تعالى: **﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾** يعني أنهم استحلوا الصيد في يوم السبت، ويقال: يعتدون في يوم السبت، وأصل الاعتداء هو الظلم، يقال عدوت على فلان إذا ظلمته واعتديت عليه. ثم قال: **﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾** يعني يوم استراحتهم شوارع في الماء. وهو جمع الشارع **﴿وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ﴾** يعني إذا لم يكن يوم السبت ويوم الراحة لا تأتيهم وإنما تم الكلام عند قوله تأتيهم ثم ابتدأ فقال **﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾** يعني: هكذا نختبرهم. وقال بعضهم إنَّمَا يتم الكلام عند قوله: ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك يعني لا تأتيهم كما تأتيهم يوم السبت لأن في يوم السبت تأتيهم الحيتان شارعات من أسفل الماء إلى أعلاه وفي سائر الأيام يأتيهم القليل ولا يأتيهم كما يأتيهم في يوم السبت ثم ابتداء الكلام فقال **﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** يعني نختبرهم بما كانوا يعصون الله تعالى ثم قال عز وجل:[٢] **﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾** أي: عصبة وجماعة منهم. وهي الظلمة، للأمة الواعظة **﴿لَم تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾** لأن الواعظة نهوهم عن أخذ الحيتان وخوفوهم. فرد عليهم الظلمة لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ **﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾**. قرأ عاصم[٣] في إحدى الروايتين[٤] مَعْذِرةً بالنصب. يعني: نعتذر إلى ربكم معذرة. وقرأ الباقون مَعْذِرَةٌ بالضم يعني هي معذرة، يعني لا ندع الأمر بالمعروف حتى نكون معذورين عند الله تعالى **﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** يعني لعلهم ينتهون **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّروا بِهِ﴾** يعني تركوا ما وعظوا به **﴿أَنْجَيْنَا﴾** من العذاب **﴿الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** يعني عذبنا الذين تركوا أمر الله **﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾** يعني شديد **﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** يعني يعصون ويتركون أمر الله تعالى. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان القوم ثلاثة فرق. فرقة كانوا يصطادون وفرقة كانوا ينهون وفرقة لم ينهوا ولم يستحلوا وقالوا للواعظة: لم تعظون قوماً الله مهلكهم[٥]. وروى أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال: أتيت ابن[٦] عباس وهو يقرأ في المصحف ويبكي فدنوت منه حتى أخذت بلوحي المصحف وقلت ما يبكيك؟ قال تبكيني هذه السورة وهو يقرأ سورة الأعراف. وقال هل تعرف أيلة؟ قلت نعم. قال إن الله تعالى أسكنها حياً من اليهود وابتلاهم بحيتان حرمها عليهم يوم السبت وأحلها لهم في سائر الأيام، فإذا كان يوم السبت خرجت إليهم الحيتان، فإذا ذهب السبت غابت في البحر حتى يغوص لها الطالبون، وإن القوم اجتمعوا واختلفوا فيها، فقال فريق منهم: إنما حرمت عليكم يوم السبت أن تأكلوها، فصيدوها يوم السبت وكلوها في سائر الأيام. وقال الآخرون بل حرم عليكم أن تصيدوها أو تنفروها أو تؤذوها، وكانوا ثلاث فرق، فرقة على أيْمانهم وفرقة على شمائلهم وفرقة على وسطهم، فقالت الفرقة اليمنى فجعلت تنهاهم في يوم السبت وجعلت تقول الله يحذركم بأس الله، وأما الفرقة اليسرى فأمسكت أيديها وكفت ألسنتها، وأما الوسطى فوثبت على السمك تأخذه، وجعلت الفرقة الأخرى التي كفت أيديها وألسنتها ولم تتكلم تقول: لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً. فقال الذين ينهون معذرة إلى ربكم ولعلكم تتقون فدخل الذين أصابوا السمك

---

(١) سقط في ظ. (٢) سقط في أ. (٣) انظر حجة القراءات ٣٠٠، سراج القاري ٢٣٠.
(٤) في رواية حفص. (٥) انظر تفسير ابن كثير ٤٩٣/٣.
(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣٧/٣ وعزاه لعبد الرزاق ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في السنن.

إلى المدينة وأبى الآخرون أن يدخلوا معهم، فغدا هؤلاء الذين أبوا أن يدخلوا المدينة فجعلوا ينادون من فيها فلم يجبهم أحد فقالوا لعل الله خسف بهم أو رموا من السماء بحجارة. فارفعوا رجلاً ينظر، فجعلوا رجلاً على سلم فأشرف عليهم فإذا هم قردة تتعادى ولها أذناب قد غير الله تعالى صورهم بصنيعهم فصاح إلى القوم فإذا هم قد صاروا قردة، فكسروا الباب ودخلوا منازلهم فجعلوا لا يعرفون أنسابهم ويقولون لهم ألم ننهكم عن معصية الله تعالى ونوصيكم؟ فيشيرون برؤوسهم بلى. ودموعهم تسيل على خدودهم فأخبر الله تعالى (أنه أنجى الذين ينهون عن السوء وأخذ الذين ظلموا)[١] قوله «أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس». ولا يدري ما صنع بالذين لم ينهوا ولم يأخذوا. وقال عكرمة: بل أهلكهم الله لأنه أنجى الذين ينهون عن السوء وأهلك الفريقين الآخرين فوهب له ابن عباس بردة بهذا الكلام. وروي في رواية أخرى أنهم كانوا يأخذون الحظائر والحياض بجنب البحر ويسيلون الماء فيها يوم السبت من البحر حتى يدخل فيها السمك (ويأخذونه في يوم الأحد فقالوا: إنا نأخذه في يوم الأحد فلما لم يعذبوا استحلوا الأخذ في يوم السبت)[٢] من البحر، وقالوا إنما حرم الله على ابنائنا ولم يحرم علينا، فنهاهم الصلحاء فلم يمتنعوا فضربوا حائطاً بينهم وصارت الواعظة في ناحية والذين استحلوا في ناحية والحائط بين الفريقين، فأصبحوا في يوم من الأيام ولم يفتح الباب الذي بينهما فارتقى واحد منهم الحائط فإذا القوم قد مسخوا إلى قردة، وقال بعضهم كان القوم أربعة أصناف، صنف يأخذون وصنف يرضون وصنف ينهون وصنف يسكتون. فنجا صنفان وهلك صنفان، قال بعضهم كانوا صنفين: صنف يأخذون وصنف ينهون. وروى قتادة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال كانوا ثلاث فرق فهلك الثاني ونجا الثالث والله أعلم ما فعل بالفرقة الثالثة. قرأ نافع[٣] بعذاب بِيْس بكسر الباء وسكون الياء بلا همز وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بعذاب بَيْأس بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة. وقرأ الباقون بعذاب بئيس بنصب الباء وكسر الياء والهمزة وسكون الياء وهي اللغة المعروفة. والأولى لغة لبعض العرب. ثم قال: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ يعني تركوا ما وعظوا به ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يعني صاغرين مبعدين عن رحمة الله. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ يعني: أعلم ربك ويقال: قال ربكم، وكل شيء في القرآن تأذن فهو إعلام، ومعناه قال ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ أي ليسلطن ﴿عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: على بني إسرائيل والذين لا يؤمنون بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يعني يعذبهم بالجزية والقتل ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ إذا عاقب من أصر على كفره ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لمن تاب من الشرك ﴿رَحِيمٌ﴾ بعد ذلك، ثم قال ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ أي: فرقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ أي: فِرَقاً ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ أي المؤمنون وهم مؤمنو أهل الكتاب. ويقال هم الذين وراء رمل عالج ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ وهم الكفار منهم ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ يعني اختبرناهم بالخصب والجدوبة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ من الكفر إلى الإيمان ثم قال ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ يعني بعد بني إسرائيل خلف السوء ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ يقول: يستحلون أخذ الحرام من هذه الدنيا وهو الرشوة في الحكم ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ قال مجاهد[٤] يعني: يأخذون ما يجدون حلالاً أو حراماً ويتمنون المغفرة ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ أي: وإن يجدوا مثله من العرض يأخذوه ويقال: معناه: إنهم يصرون على الذنوب وأكل الحرام فإذا أخذوا أول النهار يعودون إليه في آخر النهار ولا يتوبون عنه ويقال[٥] يطلبون بعلمها الدنيا ويقال يأخذون عرض هذا

---

(١) سقط في ظ.
(٢) سقط في ظ والمثبت في أ.
(٣) انظر حجة القراءات ٣٠٠، سراج القاري ٢٣٠.
(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٢١٢/١٣.
(٥) سقط في ظ.

الأدنى ويقولون سيغفر لنا هذه المرة وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه. ويقولن مثل ذلك: أي سيغفر لنا لأنا لا نشرك بالله شيئاً. وقال سعيد بن[1] جبير: يأخذون عرض هذا الأدنى. يقول يعملون بالذنوب ويقولون سيغفر لنا. ما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل. وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه يعني الذنوب. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ يعني ألم يؤخذ عليهم ميثاقهم في التوراة ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ أي إلا الصدق ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ أي قرءوا ما فيه: ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: يتقون الشرك ويحلون حلاله ويحرمون حرامه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن الآخرة خير من الدنيا ويقال أفلا يعقلون ما يدرسون من الكتاب ويقال: أفلا يعقلون أن الإصرار على الذنوب ليس من علامة المغفورين. قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية[2] حفص أَفَلَا تَعْقِلُونَ بالتاء على وجه المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء على وجه المغايبة. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ يعني يعملون بالتوراة ولا يغيرونها عن مواضعها ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني أتموا الصلاة المفروضة ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ يعني: عمل الموحدين وهم الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة. قرأ عاصم في رواية أبي بكر[3] يُمسكون بالتخفيف. وقرأ الباقون يُمَسِّكُون بالتشديد على معنى المبالغة ثم قال تعالى:

وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ يقول قلعنا ورفعنا الجبل فوقهم ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ أي: كهيئة الغمام ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أي: أنه يعني أيقنوا الجبل واقع بهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أي: قيل لهم اعملوا بما أعطيناكم من التوراة بقوة أي :بجد ومواظبة ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي :اعملوا ما فيه من الحلال والحرام والأمر والنهي[4] ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي وذلك حين أبوا أن يقبلوا التوراة. فرفع الجبل فوقهم فقبلوا وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: اذكر يا محمد إذ أخذ ربك ويقال معناه وقد أخذ ربك من بني آدم، من ظهور بني آدم ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ يعني: أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم وقال بعضهم يعني الذرية التي تخرج وقتاً بعد وقت إلى يوم القيامة ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ فقال لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾ يعني إنّ كل بالغ تشهد له خلقته بأن الله تعالى واحد ﴿شَهِدْنَا﴾ يعني قال الله تعالى شهدنا ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي لكيلا تقولوا، ويقال هذا كراهة أن يقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. وروي عن أبي صالح عن ابن[5] عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن الله مسح على ظهر

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٣٩ وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في الشعب وانظر تفسير الطبري ١٣/٢١٢.

(٢) انظر حجة القراءات ٣٠١.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) سقط في ظ.

(٥) ذكره السيوطي في الدر وعزاه لابن عبد البر في التمهيد.

آدم فأخرج ذريته من صلبه كهيئة الذر، من هو مولود إلى يوم القيامة فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى، شهدنا بأنك ربنا، قال بعضهم هذا التفسير لا يصح. وطعنوا فيه من وجوه. أحدها أن الرواية لم تصح لأنها رواية أبي صالح. وأبو صالح ليس ممن يعتمد على روايته[1] لأنه روي عن الشعبي أنه كان يمر بأبي صالح ويفرك أذنه ويقول له إنك لم تحسن أن تقرأ القرآن فكيف تفسره بالرأي، قالوا ولأن هذا غير محتمل في اللغة لأنه قال من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم، قالوا ولأنه لا يجوز من الحكيم أن يخاطب الذر وإنما يجوز خطاب من هو عاقل، ومن كان مثل الذر كيف يجوز خطابه، قالوا ولأنه لا يجوز أن تكون حجة الله بشيء لم يذكر وإنما تكون الحجة بشيء يكون الإنسان ذاكراً له، قالوا ولأن الله تعالى قال: رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ولم يقل أحييتنا ثلاث مرات. ولكن الجواب أن يقال إن الرواية صحيحة لأنّ الآثار قد جاءت عن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما لا يجوز دفعه، فمن ذلك ما حدثنا الخليل بن أحمد. قال حدثنا الماسرخسي قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم وهو ابن علية عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس[2] رضي الله عنهما... في قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم. قال مسح الله تعالى ظهر آدم فأخرج كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فأخذ ميثاقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى. قال حدثنا الشيخ الرئيس أبو طاهر محمد بن داود قال حدثنا محمد بن أحمد باستراباذ قال حدثنا أحمد بن زكريا قال حدثنا عبد السلام بن صالح عن جعفر بن سليمان عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد[3] الخدري قال حججنا مع عمر في أول خلافته فوقف على الحَجَر ثم قال: أما إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبَّلك ما قبلتك. فقال له عليٌّ رضي الله عنه لا تقلِ هذا يا أمير المؤمنين فإنه يضر وينفع بإذن الله. ولو أنك قرأت القرآن وعلمت ما فيه ما أنكرت على ما قلت. قال الله تعالى: **﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَى﴾** فلما أقروا بالعبودية على أنفسهم كتب إقرارهم في رق ثم دعا هذا الحِجر، فقال له افتح قال فألقمه. ذلك الرق، فهو أمين الله في هذا المكان يشهد لمن استلمه ووافاه يوم القيامة. فقال له عمر رضي الله عنه لقد جعل الله بين ظهرانيكم من العلم غير قليل. وروى ربيع بن أنس. عن أبن العالية عن أبي بن[4] كعب في قوله تعالى: **﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾** الآية قال جمعهم جميعاً فجعلهم أرواحاً ثم صورهم ثم استنطقهم ثم قال ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا بأنك ربنا. قال فإني أرسل إليكم رسلي وأنزل عليكم كتبي فلا تكذبوا رسلي وصدقوا وعدي وأخذ عهدهم وميثاقهم فنظر إليهم آدم فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال آدم رب لو شئت سويت بين عبادك فقال إني أحببت أن أشكر قال والأنبياء يومئذ مثل السرج. فأخذ عليهم ميثاق الرسالة أن يبلغوها فهو قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ..﴾** الآية. قال الفقيه أخبرني الثقة بإسناده عن مالك بن أنس عن زيد بن أبي أنيسه عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار أن عمر بن الخطاب[5]

---

(١) انظر ميزان الاعتدال ٤/ ٥٣٩.

(٢) ذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٤١ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) ذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٤٤ وعزاه للجندي في فضائل مكة وأبو الحسن القطان في الطولات والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان وضعّفه.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ١٤٢ وعزاه لعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد بن حنبل في فوائد المسند وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن منده في كتاب الرد على الجهمية واللالكائي وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وابن عساكر في تاريخه.

(٥) ذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٤٢ وعزاه للحاكم وأبي الشيخ وابن مردويه واللالكائي والبيهقي في الأسماء والصفات.

رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سئل عن هذه الآية فقال إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون. فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار. وبهذا احتج الجبرية أن ما عمل عبد عملاً من خير أو شر إلا ما قدره الله تعالى يوم الميثاق. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما خلق الله تعالى آدم أخرج ذريته من ظهره مثل الذر، فقال لأصحاب اليمين هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقال للآخرين هؤلاء في النار ولا أبالي(١). وروي أسباط عن السدي في قول الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ الآية. قال لما أخرج الله تعالى آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمين فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر. فقال ادخلوا الجنة برحمتي. ومسح صفحة ظهره اليسرى أخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال. ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى. فأجابه طائفة طائعين وطائفة كارهين فقال هو والملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين(٢). فلما رويت فيه من الأخبار من طرق شتى لا يجوز رده، ويرجع الطعن إلى أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورضي الله تعالى عنهم ويجب للطاعن أن يطعن في فهم نفسه لا في الصحابة. وهذا كقوله ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أما الجواب عن قولهم إنه قال من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم فالمعنى في ذلك والله أعلم أنه قد أخرج ذرية آدم الذين هم ولده من صلبه ثم أخرج من ظهورهم ذريتهم ثم أخرج من بعدهم حتى أخرج جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة فأخرج من ظهورهم كل نسمة تخرج من ظهره. فذكر الأخذ من ظهور ذريته ولم يذكر ظهر آدم لأن في الكلام دليلاً عليه كما قال الله تعالى (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ) ولم يذكر فرعون لأن في الكلام دليلاً عليه. وأما الجواب عن قولهم إنه لا يجوز خطاب الذر فعن هذا القول جوابان. أحدهما: أنه يجوز أن يكونوا كالذر في الصغر ويرزقهم الله تعالى: من العقل ما يكونوا به من أهل الخطاب، ألا ترى أن نملة سليمان بن داود عليهما السلام قد تكلمت بكلام العقلاء وفهم ذلك عنها سليمان وسبّح الطير والجبال مع داود. فكذلك هذا. والجواب الثاني: أنهم كانوا كالذر في الإزدحام والكثرة. لا في الخلقة والجثة. ولكنهم في الخلقة مثل خلقتهم اليوم (لأن الذر إذا كثرت وازدحمت لا يعرف عددها. فكذلك ذرية آدم كانوا في الكثرة والازدحام مثل الذر ولكنهم في الخلقة مثل خلقتهم اليوم)(٣). والجواب عن قولهم أنّه لا تكون الحجة بشيء لم يذكر: أن يقال أن الله تعالى قد أرسل الرسل وأخبرهم بذلك الميثاق. وإذا أخبرهم الرسل بذلك صار حجة عليهم، فإن قيل إن الرسل وإن أخبروهم فإذا لم يذكروا ذلك فكيف يصير حجة عليهم؟ قيل لهم وإن لم يذكروا صار قول الثقات حجة عليهم. ألا ترى أن رجلاً لو طلق امرأته وقد نسي فشهد عليه شاهدان عدلان بأنه قد طلقها قبل غيبته عنها. يجب عليه أن يقبل قولهما، وكذلك لو صلى فشهد عليه عدلان أنه ترك ركعة من صلاته وجب عليه أن يأخذ بقولهما وإن كان لا يذكر فكذلك ههنا. والجواب عن قولهم إنه لم يقل أحييتنا ثلاث مرات لأن الإحياء المعروف مرتان فذكر الإحياء الذي

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٨٦/٤ والحاكم في المستدرك ٣١/١.

(٢) انظر السيوطي في الدر المنثور ١٤١/٣، وانظر تفسير الطبري ٢٤٢/١.

(٣) سقط من أ.

كان معروفاً عنده وقوله تعالى: (شَهِدْنَا) قال بعضهم هذا حكاية عن قول الذرية قالوا بلى شهدنا وتم الكلام. ثم في الآية مضمر ومعناه أخذنا عليهم الميثاق لكي لا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (وقال بعضهم إنما تم الكلام عند قوله بلى ثم إنه قال تعالى شهدنا يعني شهدنا عليكم وأخذنا عليكم الميثاق لكيلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا الميثاق غافلين)[1] ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ أي: لكيلا تقولوا ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ ونقضوا العهد ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ لم نعلم به ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ يعني آباؤنا المشركون. فإن قيل هل كان إقرارهم إيماناً منهم؟ قيل له أما المؤمنون كان إقرارهم إيماناً وأما الكافرون فلم يكن إقرارهم إيماناً لأن إقرارهم كان تقية ولم يكن حقيقة قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو[2] ذرياتهم بلفظ الجماعة. وقرأ الباقون ذريتهم بلفظ واحد ـ لأن الذرية قد أضافها إلى الجماعة فاستغنى عن لفظ الجمع. وقرأ أبو عمرو أن يقولوا بالياء، وكذلك في قوله أو يقولوا. وقرأ الباقون كليهما بالتاء على معنى الخطاب. قوله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ يعني: هكذا نبين الآيات في أمر الميثاق ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى اقرارهم وإلى التوبة. فالواو الأولى للعطف وهو قوله وكذلك والواو الثانية زيادة للوصل وهي قوله ولعلهم يرجعون ومعناه: وكذلك نفصل الآيات لعلهم يرجعون. أي لكي يرجعوا. قوله تعالى:

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إن لم يرجعوا بذكر الميثاق ولم يتوبوا ولم يتعظوا فاتل عليهم ﴿نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ﴾ أي: خبر الذي أعطيناه ﴿آيَاتِنَا﴾ يعني أكرمناه باسم الله الأعظم، ويقال: آتيناه آياتنا يعني الكتب وهي علم التوراة وغيره ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ يعني: خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها، ويقال تهاون بها ولم يعرف حقها ولا حرمتها وخرج منها ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ يقول غره الشيطان ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ أي: فصار من الظالمين وفي الضالين. قال بعضهم[3] هو بلعم بن باعوراء، كان عابداً من عباد بني إسرائيل وكان مستجاب الدعوة فنزع الله تعالى الإيمان عنه بدعاء موسى عليه السلام. وذلك أن موسى عليه السلام قاتل فرعوناً من الفراعنة، فجمع ذلك الفرعون الكهنة والسحرة فقال لهم أعينوني على هؤلاء. يعني قوم موسى، فقالوا لن تستطيعهم ولكن بجوارك رجل منهم فلو بعثت إليه واستعنت به، فبعث الملك إلى بلعم فلم يجبه فبعث الملك إلى امرأة بلعم الهدايا وطلب منها بأن تأمره بأن يجيب الملك، فجاءته «امرأته» وقالت نحن في جوار هذا الملك فلا بد لك من إجابته، فأجابهم إلى ذلك وركب أتاناً له وخرج إليهم فسار حتى إذا كان في بعض الطريق وقفت أتانه فضربها، فلما ألح عليها كلمته الأتان وقالت أنظر إلى ما بين يديك فنظر فإذا هو جبريل. قال له خرجت مخرجاً ما كان ينبغي لك أن تخرج، فإذا خرجت فقل حقاً. قال فلما قدم عليه أمر له بالذهب والفضة والخدم والفرش فقبل. فقال له قد دعوتك لتدعو لي على هذا

---

(١) زيادة في أ. (٢) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٣٠١، سراج القاري ٢٣١. (٣) انظر أسباب النزول ١٦٩.

العسكر دعوة قال غداً، فلما تلاقى القوم، قال بلعم: إن بني إسرائيل أمة موسى ملعون من لعنهم ومبارك من بارك عليهم. فقالوا له ما زدتنا إلا خبالاً. قال بلعم ما استطعت غير ما رأيت. ولكني أدلك على أمر إن فعلته فوقعوا به خُذلوا ونصرت عليهم، تعمد إلى نساء حسان فتجعل عليهن الحلي والثياب والعطر ثم ترسلهن في عسكرهم، فإن وقعوا بهن خذلوا، ففعل ذلك فما تعرض لهن منهم إلا سفهاؤهم فخذلوا. فأخبر بذلك موسى فدعا عليه فنزع الله منه الإيمان. وقال[1] بعضهم إنما هو أمية بـن أبي الصلت. قرأ الكتب ورغب عن عبادة الأوثان وكان يخبر أنَّ نبينا يبعث وكان قد أظل زمانه، وكان يرى أن الوحي ينزل عليه لكثرة علمه، فلما سمع بخروج النبي - صلى الله عليه وسلم - وقصته كفر حسداً له. وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا سمع شعره قال آمن لسانه وكفر قلبه. فذلك قوله آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ثم قال ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَهُ بِهَا﴾ يعني بالآيات، ويقال: رفعناه في الآخرة بما علمناه من آياتنا ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾ يعني أمية بن أبي الصلت أو بلعم بن باعوراء، مال إلى الدنيا ورضي بها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي: هوى نفسه ويقال عمل بهوى المرأة وترك رضى الله، ويقال: أخذ مسافل الأمور وترك معاليها ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ يقول مثل بلعم كمثل الكلب ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ يقول إن طردته فهو يلهث ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ يعني: وإن تركته فهو يلهث. قال القتبي: كل شيء يلهث من إعياء أو عطش ما خلا الكلب فإنه يلهث في حال الراحة والصحة والمرض، فضرب الله تعالى به مثلاً، يعني كما أن الكلب إن طردته أو تركته يلهث فكذلك بلعم أو أمية بن أبي الصلت إن وعظته لم يتعظ وإن تركته لم يفعل. وقال مجاهد[2]: يعني الكفار إن قرىء عليهم الكتاب لم يقبلوا وإن لم يقرأ عليهم لم يعملوا[3] هم أهل مكة ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَتِنَا﴾ يعني ذلك صفة الذين جحدوا نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - والقرآن ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ أي: اقرأ عليهم القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: لكي يتعظوا بأمثال القرآن ويؤمنوا به قوله تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلاً﴾ يعني: بئس مثل ﴿الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَتِنَا﴾ يعني بئس مثل من كان مثل الكلب. وإنما ضرب المثل بالكلب تقبيحاً لمذهبهم. ويقال بئس مثل القوم الذين كذبوا وكانت صفتهم مثل صفة بلعم وهم أهل مكة كذبوا بآياتنا فلم يؤمنوا بها مثل بلعم ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ يعني: يضرون بـأنفسهم. ثم قال تعـالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ يعني: من يهده الله لدينه فهو المهتدي من الضلالة ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ﴾ يعني ومن يضله عن دينه ويخذله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ بالعقوبة، قوله تعالى:

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً﴾ يعني خلقنا لجهنم كثيراً ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ فإن قيل قد قال في آية أخرى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فأخبر أنه خلق الجن والإنس لعبادته، وههنا يقول خلقهم لجهنم. قيل له قد خلقهم للأمرين جميعاً، منهم من يصلح لجهنم فخلقه لها، ومنهم من يصلح للعبادة فخلقه لها. ولأن من لا يصلح لشيء لا يخلقه لذلك الشيء. ويقال معنى قوله إلا ليعبدون يعني إلا للأمر والنهي، ويقال إلا ليعبدون يعني

(١) انظر أسباب النزول ١٧٠.
(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/٢٧٢.
(٣) سقط في ظ.

إلا لكي يمكنهم أن يعبدوا وقد بينت لهم الطريق، ويقال في هذه الآية تقديم وتأخير ومعناه: ولقد ذرأنا جهنم لكثير من الجن والأنس ثم وصفهم فقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ يعني لا يعقلون بها الحق كما قال في آية أخرى ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ثم قال: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ يعني الهدى ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ يعني: الهدى ثم ضرب لهم مثلاً آخر فقال: ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ﴾ فشبههم بالأنعام لقلة رغبتهم وتغافلهم عن الحق، يعني إنهم كالأنعام في ذهنهم لا في صورهم لأنه ليس للأنعام إلا الأكل والشرب، فهي تسمع ولا تعقل كذلك الكافر هو غافل عن الأمر والنهي والوعد والوعيد ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ سبيلاً يعني الكفار أخطأ طريقاً من الأنعام، لأن الأنعام إذا عرفت أنها تركت الطريق رجعت إلى الطريق، والكفار لا يرجعون إلى الطريق، ولأن الأنعام تعرف ربها والكفار لا يعرفون ربهم. ويقال لما نزلت هذه الآية أولئك كالأنعام. تضرعت الأنعام إلى ربها فقالت: يا ربنا شبهت الكفار بنا ونحن لا ننكر وحدانيتك. فأعذر الله تعالى الأنعام فقال: «بَلْ هُمْ أَضَلُّ» من الأنعام لأن الأنعام مطيعة لله تعالى والكفار غير مطيعين لله تعالى ثم قال: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ يعني عن أمر الله تعالى وعما ينفعهم. قال الفقيه أبو الليث حدثنا الفقيه أبو جعفر. قال حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن عبد الله القاري. قال حدثنا حازم بن يحيى الحلواني قال حدثنا الحسين بن الأسود. قال حدثنا أبو أسامة عن يزيد بن سنان عن أبي منيب الحمصي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي الدرداء[1] قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خلق الله الجن ثلاثة أصناف: صنفاً حيات وعقارب وخشاش الأرض، وصنفاً كالريح في الهواء، وصنفاً عليهم الثواب والعقاب، وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف. صنفاً كالبهائم وهم الكفار قال: قال الله تعالى لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا إلى قوله أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ». وصنفاً آخر أجسادهم كأجساد بني آدم وأرواحهم كأرواح الشياطين، وصنفا في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله». قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وذلك أن رجلاً دعا الله في صلاته ودعا الرحمن. فقال أبو جهل أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو ربين اثنين. فأنزل الله تعالى: «وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا» الرحمن الرحيم الملك القدوس ونحوه. فدعا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرجل فقال ادع الله أو ادع الرحمن رغماً لأنف المشركين. ويقال ولله الأسماء الحسنى يعني الصفات العلى «فادعوه بها». وروى أبو هريرة[2] رضي الله عنه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة. ومن أسمائه عز وجل الرحمن الرحيم وقد ذكرنا تفسيرها. ومن أسمائه الأحد وأصله الوحد بمعنى الواحد وهو الذي ليس كمثله شيء، ومنها الصمد وهو السيد الذي صمد إليه كل شيء أي قصده، ومنها القيوم وهو البالغ في القيام بكل ما خلق، ومنها الولي يعني المتولي أمور المؤمنين، ومنها اللطيف وهو الذي يلطف بالخلق من حيث لا يعلمون ولا يقدرون، ومنها الودود المحب الشديد المحبة ومنها الظاهر والباطن الذي يعلم ما ظهر وما بطن، ومنها البديع الذي ابتدع الخلق على غير مثال، ومنها القدوس أي ذو البركة ويقال الطاهر، ومنها الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء، ومنها الحنان أي ذو الرحمة والعطف، ومنها المنان الكثير المن على عباده، ومنها الفتاح يعني الحاكم، ومنها الديان يعني المجازي، ومنها الرقيب يعني الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، ومنها ذو القوة المتين يعني الشديد القوة على أمره، ومنها الوكيل الذي يتوكل بالقيام بجميع ما خلق، ومنها السبوح الذي تنزه عن كل سوء، ومنها السلام يعني: الذي سَلِم

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٤٧ وعزاه للحكيم الترمذي وابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وأبي يعلي وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢) أخرجه البخاري ١٣/٣٧٧ في التوحيد باب إن لله مائة إسم إلا (٧٣٩٢) ومسلم ٤/٢٠٦٣ في كتاب الذكر (٦/٢٦٧٧).

الخلق من ظلمه، ومنها المؤمن الذي أمن الخلق من ظلمه، ومنها العزيز أي: المنيع الذي لا يغلبه شيء، ومنها المهيمن يعني: الشهيد، ومنها الجبار الذي جبر الخلق على ما أراد ومنها المتكبر الذي تكبر عن ظلم العباد ومنها الباري يعني الخالق، وساير الأسماء التي ثبتت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن الصحابة رضي الله عنهم. وقال الزجاج: لا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يصف به نفسه ولم يسم به نفسه فيقول يا جواد. ولا ينبغي له أن يقول يا سخي. لأنه لم يسم به نفسه، وكذلك يقول يا قوي. ولا يقول يا جلد. ثم قال: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قرأ حمزة يلحدون[1] بنصب الياء والحاء وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء (يُلْحِدُونَ) فمن قرأ بالنصب فمعناه وذروا الذين يميلون في أسمائه يعني يُحَوِّرون ويمارون في أسمائه ويعدلون. فسموا اللات والعزى. ومن قرأ بالضم فمعناه وذورا الذين يجادلون ويمارون في أسمائه، ويقال إن الله تعالى قد احتج على الكفار بأربعة أشياء، بالخلق وهو قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً ولو اجتمعوا له﴾ والثاني في الملك وهو قوله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ وقال في الأوثان ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً﴾ والثالث في القوة وهو قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيب ذو القوة المتين وقال في الأوثان ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ فوصفهم بالعجز. والرابع بالأسماء فقال ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وقال في الأوثان ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ويقال إن الكفار أرادوا أن يسموا آلهتهم الله فجرى على لسانهم اللات وقال أهل اللغة[2] إنما سمى اللات لأنه كان عنده رجل كان يلت السويق، وأرادوا أن يسموا العزيز فجرى على لسانهم العزى وأرادوا أن يسموا منان فجرى على لسانهم مناة، وبقيت تلك الأسماء للأصنام وأصل الإلحاد هو الميل ولهذا سمي اللحد لحداً لأنه في ناحية ثم قال ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعني وسيهانون[3] ويعاقبون بما كانوا يعملون من الشرك والإلحاد في الأسماء.

وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِ﴾ يعني جماعة وهم أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يهدون بالحق يعني يدعون إلى الحق ويأمرون بالحق ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يعني بالحق يعملون وذلك أنه لما نزل قوله تعالى ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ﴾ قال أناس من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا رسول الله قد ذكر الله تعالى هؤلاء الرهط بالخير الجسيم من بني إسرائيل إن آمنوا بك وجعل لهم أجرين ولنا أجراً واحداً وقد

---

(١) انظر حجة القراءات ص ٣٠٣: قال الكسائي: هما لغتان يقال (لحد وألحد) وقال غيره: (يلحدون أي يطعنون في أسمائه ويلحدون: يعرضون). وكان ابن جريج يقول: (يلحدون) قال: اشتقوا أسماء آلهتهم من أسماء الله، اشتقوا (العزى) من العزيز، (اللات) من الله. وقال أبو عبيد: (يلحدون: يجورون ولا يستقيمون، وإنما سمي (اللحد) لأنه في ناحية ولو كان مستقيماً كان ضريحاً) وحجة الرفع قوله: (ومن يرد فيه بإلحاد) أي ـ باعتراض. حجة القراءات ٣٠٣.

(٢) سقط في ظ.

(٣) سقط في ظ.

صدقناك والرسل والكتب فنزل «وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ» يعني من أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يهدون بالحق وبه يعدلون. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني بمحمد والقرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ يعني سنأخذهم بالعذاب ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني من حيث لا يشعرون وقال الكلبي: يعني نزين لهم فنهلكهم من حيث لا يعلمون. يقول سنأتيهم بالعذاب وهم المستهزءون فيقتل كل رجل منهم بغير قتلة صاحبه. وقال القتبي الاستدراج أن يذيقهم من بأسه قليلاً قليلاً، ويقال استدرج فلان فلاناً يعني يعرف ما عنده وأصل هذا من الدرجة لأن الراقي يرقى درجة درجة فاستعير من هذا كقوله تعالى (والْمُرسَلَاتِ عُرْفاً) يعني الملائكة يتابعون بعضهم بعضاً كعرف الفرس وكقوله تعالى ﴿وَيَقْبِضُون أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: يمسكون عن العطية وقال السدي[1] سنستدرجهم يعني كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها ثم نأخذهم من حيث لا يعلمون. فذلك الاستدراج ثم قال ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ يعني: وأمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِيْن﴾ يعني: أن عقوبتي شديدة ويقال إن صنيعي محكم، ويقال إن أخذي شديد ثم قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّروا﴾ يعني: أهل مكة فيما يأمرهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعبدوا خالقهم ورازقهم وكاشف الضرعنهم ولا يعبدوا من لا يقدر على شيء منه، أمثل هذا يكون مجنوناً ويقال معناه أولم يتفكروا في دلائل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعجزاته ليستدلوا بأنه نبي. وقد تم الكلام. ثم استأنف فقال ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ ويقال هذا على وجه البناء ومعناه أولم يتفكروا ليعلموا ما بصحابهم من جنة يعني: جنوناً. ويقال إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صعد ذات ليلة الصفا فدعا قريشاً إلى عبادة الله تعالى بأسمائهم فرداً فرداً[2] فقال بعضهم إن صاحبكم لمجنون فوعظهم الله تعالى فقال أولم يتفكروا. يقول أو لم يجالسوه ويكلموه هل به من جنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أي: رسولاً بيناً وهذا كقوله تعالى (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرادَى ثُمَّ تَتَفَكَّروا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ) ووعظهم ليعتبروا في صنعه فيوحدوه فقال ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في خلق السموات والأرض ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ في السماء من الشمس والقمر والنجوم وما خلق الله في الأرض من الجبال والبحار وغير ذلك فيعتبروا ويؤمنوا بأن الذي خلق الذي ترون هو ربٌ واحد لا شريك له ﴿وَأَنْ عَسَى﴾ يعني وينظروا في أن عسى ﴿أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ يعني قد دنا هلاكهم ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني إن لم يؤمنوا بالقرآن فبأي حديث يؤمنوا بعد القرآن لأن هذا آخر الكتب نزولاً وليس بعده كتاب ينزل ثم قال تعالى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ أي: من يخذله الله عن دين الإسلام فلا هادي له إلى الهدى ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: يتركهم في ضلالتهم يترددون. قرأ أبو عمرو وَيَذَرُهُمْ[3] بالياء وضم الراء على معنى الخبر وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وَنَذَرُهُمْ بالنون وضم الراء وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص وَيَذَرْهُمْ بالياء وجزم الراء وجعلوه جواب الشرط. ومعناه من يضلل الله يذره.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا

(١) ذكره السيوطي ٣/١٤٩ وعزاه لابن أبي حاتم أبي الشيخ.
(٢) انظر البحر المحيط ٤/٤٣١.
(٣) انظر حجة القراءات ٣٠٣، سراج القاري ٢٣١.

مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾أي: قيام الساعة ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أي: متى حينها وقيامها. ويقال هذا الكلام على الاختصار، ومعناه أي أوان قيامها ثم قال ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أي: علم قيام الساعة عند ربي وما لي بها من علم ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يكشفها لحينها إلا الله، ويقال لا يقدر أحد على إظهارها إلا هو. يعني: إلا الله، ويقال لا يعلم أحد قيامها إلا هو ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ثقل علم قيام الساعة على أهل السموات وأهل الأرض، ويقال ثقلت أي: خفي علمها، وإذا خفي الشيء ثقل علمه، ويقال معناه ثقل حمل ذكرها لفظاعة شأنها وأمرها. ثم قال ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ يعني فجأة ثم قال ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ قال مقاتل كأنك استحفيت عنها السؤال حتى علمتها[1]. وقال القتبي: أي كأنك حفي تطلب علمها، ومنه يقال تحفى فلان بالقوم إذا بالغ في البر، ويقال كأنك حفي عنها أي كأنك جاهل بها، ويقال في الآية تقديم: ومعناه يسألونك كأنك حفي عنها يعني كأنك عالم بها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وروى إبراهيم بن يوسف بإسناده أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سأله رجل. فقال: متى الساعة؟ فقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن أشراط الساعة عشرة. يقرب فيها الماحل ويطرف فيها الفاجر ويعجز فيها المنصف وتكون الصلاة مناً والزكاة مغرماً والأمانة مغنماً واستطالة القراء، فعند ذلك تكون إمارة الصبيان وسلطان النساء ومشورة الإماء. ثم قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني علم قيامها عند الله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها كائنة ولا يصدقون بها. قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَراً﴾ قال مقاتل يعني: لا أقدر لنفسي أن أسوق إليها خيراً أو أدفع عنها ضراً حين ينزل بي فكيف أملك علم الساعة ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيصيبني ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ أي: غيب النفع والضر إذ جاء ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ يعني لاستكثرت من النفع وما أصابني الضر. وقال الكلبي: [2] إنّ أهل مكة قالوا له ألا يخبرك ربك بالبيع الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه فتربح فيه فنزل قل لهم ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير للجدوبة والقحط، ويقال لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح. وقال الضحاك: قال لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً يعني الغني والفقر إلا ما شاء الله إن شاء أغنى عبده وإن شاء أفقره، ولو كنت أعلم الغيب أي: مواضع الكنوز لاستخرجتها. وما مسني السوء يعني الفقر ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: مخوف بالنار ﴿وَبَشِيرٌ﴾ يعني مبشراً بالجنة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني يصدقون بالبعث.

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ

---

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور مثله عن مجاهد ٣/١٥١ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) انظر تفسير الخازن ٢/٢٦٥ وزاد المسير ٣/٢٩٩.

إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني من نفس آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني خلق من نفس آدم، من ضلع من أضلاعه اليسرى زوجته حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ يعني ليطمئن إليها ويجامعها، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ أي: سكن إليها وجامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً﴾ يعني: خفيف الماء ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أي: استمرت بالحمل، يقول قامت بالحمل وقعدت ولا تدري أهي حبلى أم لا ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ يعني ثقل الولد في بطنها ﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ وذلك أن إبليس أتاها فقال يا حواء ما هذا الذي في بطنك؟ قالت ما أدري. قال أخاف إنها بهيمة وإني من الله بمنزلة، فإن دعوت الله فولدت إنساناً صالحاً أتسميه باسمي؟ قالت نعم. وما اسمك. قال: عبد الحارث فكذب فدعت حواء وآدم فذلك قوله دعوا الله ربهما ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً﴾ يعني أعطيتنا ولداً سوياً صحيح الجوارح ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ وهذا قول سعيد[1] بن جبير رواه عن ابن عباس. وروى معمر عن قتادة أنه قال: كان آدم لا يولد له ولد إلا مات فجاء الشيطان وقال إن سرك أن يعيش ولدك فسمه عبد الحارث ففعل، فأشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة. وروي عن السدي[2] أنه قال: اسم إبليس هو الحارث يوم لعن، فأراد أن ينسب إليه فأمرها فسمته عبد الحارث فعاش بعد ذلك أياماً ثم مات. فذلك قوله ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ يعني أعطاهما ﴿صَالِحاً﴾ خلقاً آدمياً سوياً ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر[3] جَعَلَا لَهُ شِرْكاً بكسر الشين وجزم الراء. وقرأ الباقون شُرَكَاء بالضم ونصب الراء. فمن قرأ بالكسر فهو على معنى التسمية وهو اسم يقوم مقام المصدر. ومن قرأ بالضم فمعناه جعلا له شركاء يعني الشريك في الاسم. وإنما ذكر الشركاء وأراد به الشريك يعني الشيطان. فإن قيل من قرأ بالكسر كان من حق الكلام أن يقول جعلا لغيره شركاً لأنهما لا ينكران أن الأصل لله تعالى وإنَّما جعلا لغيره شركاً أي: نصيباً، قيل له معناه جعلا له شركاء يعني ذا شرك. فذكر الشرك والمراد به شركه كقوله تعالى: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَة) أي: أهل القرية . فضرب الله تعالى بهذا مثلاً للكفار يعني كما أن آدم وحواء. أعطاهما ورزقهما فاشركوا في عبادته. ثم نزه نفسه عن الشرك فقال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: هو أعلا وأجل من أن يوصف بالشرك ثم رجع إلى قصة الكفار فقال الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً﴾ يعني أيشركون الآلهة مع الله تعالى: وهم كفار مكة ما لا يخلق شيئاً وهي الآلهة ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: ينحتون ويصنعونها بأيديهم ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً﴾ يعني: لا يستطيعون نصراً لمن يعبدهم ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ يعني: لا يستطيعون أن يمتنعوا مما نزل بهم من العذاب ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ قال الكلبي يعني الآلهة. وإن يدع المشركون آلهتهم إلى أمر ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ يعني لا يتبعهم آلهتهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ لا تعقل

---

(١) ذكره السيوطي في الدر ٣/١٥٢ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.
(٢) انظر تفسير الطبري ١٣/٣١١.
(٣) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٣٠٤، سراج القاري ٢٣٢.

شيئاً لأنه ليس فيها روح. وقال مقاتل وإن تدعوهم إلى الهدى يعني كفار مكة «لا يتبعوكم» لايتبعوكم يعني النبي عليه السلام «سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون» فلا يؤمنون. قرأ نافع[1] لا يَتْبَعُوكُمْ بجزم التاء وقرأ الباقون بالنصب والتشديد لا يَتَّبِعُوكُم، وهما لغتان تبعه وأتبعه معناهما واحد. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ يعني تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الأصنام ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ يعني مخلوقين مملوكين أشباهكم وليسوا بآلهة ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنها آلهة. ثم قال عز وجل: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ يعني في حوائجكم ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ يعني يعطون بها ويمنعون عنكم الضر ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ يعني عبادتكم ﴿أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ يعني دعاءكم. وقد احتجت المشبهة بهذه الآية أن من لا يكون له يد ولا رجل ولا بصر لا يصلح أن يكون إلهاً. ولكن لا حجة لهم في ذلك. لأن الله تعالى بين ضعف معبودهم وعجزهم وبين أنهم اشتغلوا بشيء لا فائدة فيه ولا منفعه لهم في ذلك. ثم قال ﴿قُلِ﴾ يا محمد يعني لكفار مكة ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُم﴾ يعني آلهتكم ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ يعني اعملوا بي ما شئتم ﴿فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ يعني: لا تمهلون ولا تؤجلون، لأنهم خوفوه بآلهتهم. قرأ أبو عمرو ثم كِيدُوني بالياء في حال الوصل. وقرأ الباقون بغير الياء. ثم قال عز وجل:

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ يعني حافظي وناصري الله الذي نزل الكتاب. يعني: القرآن، ويقال إن الذي يمنعني منكم الله الذي أنزل جبريل بالكتاب ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ يعني: المؤمنين فيحفظهم ولا يكلهم إلى غيره ثم قال ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني تعبدون من دون الله ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ أي: لا يقدرون منعكم ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ أي يمنعون ممن أذاها، لأن الكفار كانوا يلطخون العسل في فم الأصنام، وكان الذباب يجتمع عليه فلا تقدر دفع الذباب عن نفسها. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ قال الكلبي يعني إن دعا المشركون آلهتهم لا يسمعون أي يجيبونهم[2]: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ يعني الأصنام تراهم مفتحة أعينهم وهم لا يبصرون شيئاً. قال مقاتل: وإن تدعوهم إلى الهدى يعني كفار مكة لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون الهدى. قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما[3]: يعني خذ ما أعطوك من الصدقة يعني ما فضل من الأكل والعيال. ثم نسخ بآية الزكاة، وهذا كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ يعني الفضل وأمر بالمعروف يعني: ادعهم إلى التوحيد ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أي من جهل عليك مثل أبي جهل وأصحابه، وكان ذلك قبل

---

(١) انظر حجة القراءات ٣٠٥، وسراج القاري ٢٣٢.
(٢) انظر تفسير الطبري ١٣/٣٢٨.
(٣) انظر الطبري ١٣/٣٢٨، زاد المسير ٣/٣٠٨.

أن يؤمر بالقتال، ويقال خُذِ الْعَفْوَ وَأْمرْ بالْعُرْفِ يعني: اعف عمن ظلمك وأعط من حرمك وصل من قطعك. قال الفقيه أبو الليث حدثنا عن الشعبي الخليل بن أحمد قال حدثنا الدبيلي قال حدثنا أبو عبيد الله وحدثنا سفيان عن أبي هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لما نزلت هذه الآية خُذِ الْعَفْوَ وَ أمُرْ بِالْعُرْفِ وأعرض عن الجاهلين سأل عنها جبريل. فقال جبريل حتى أسأل العالم. فذهب ثم أتاه فقال يا محمد إن الله تعالى يأمرك أن تَصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك[١]. وقال القتبي في قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوتيت جوامع الكلم[٢] فإن شئت أن تعرف ذلك فتدبر في هذه الآية كيف جمع له في هذا كل خلق عظيم، لأن في أخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الأرحام وغض البصر، وفي الإعراض عن الجاهلين الحلم وتنزيه النفس عن ممارات السفيه وعن منازعة اللجوج وإنما سمي المعروف معروفاً لأن كل نفس تعرفه وكل قلب يطمئن إليه قوله تعالى[٣]: ﴿ وإمَّا يَنْزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ قال مقاتل يعني: ولا يفتننكم فتنة في أمر أبي جهل ﴿فاستعذ بالله﴾ قال الكلبي: أي وإما يصيبنك من الشيطان وسوسة فاستعذ بالله. وقال الزجاج النزع أدنى حركة، ومعناه إن أتاك من الشيطان أدنى وسوسة فاستعذ بالله ﴿إنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعني سميع لدعائك عليم بوسوسة الشيطان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني آتقوا الشرك والفواحش ﴿إذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ يعني ذنب ﴿تَذَكَّرُوا﴾ يعني عرف المتقون أنها معصية ﴿فإذا هم مبصرون﴾ يعني إذا هم على بصيرة[٤] منتهون عن المعصية وقال الزجاج: تذكروا ما أوضح الله لهم من الحجة فإذا هم مبصرون. قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي[٥] طيف بغير ألف. وقرأ الباقون بالألف (طائف) وروي عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ إذا مسهم طيف والطيف الغضب. وعن مجاهد[٦] في قوله طائف قال الغضب. ثم ذكر حال الكفار فقال عز وجل ﴿وإخوانهم يمدونهم في الغي﴾ يعني إخوان الشياطين يمدونهم أي: يدعونهم إلى المعصية ويقال يلجونهم في الشرك والضلالة ﴿ثم لا يقصرون﴾ عنها كما أقصر المسلمون عنها حين أبصروها. قرأ نافع يمدونهم[٧] بضم الياء وكسر الميم من أَمَدَّ يُمِدّ. وقرأ

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٣/٣ عن الشعبي وعزاه لابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم أبي الشيخ.

(٢) أخرجه مسلم ٣٧١/١ في المساجد (٥٢٣/٥) وبلفظ بعثت بجوامع الكلم أخرجه البخاري ١٢٨/٦ في الجهاد (٢٩٧٧، ٧٢٧٣) ومسلم ٣٧١/١ (٥٢٣/٦).

(٣) سقط في ظ.

(٤) مثبت في أ.

(٥) انظر حجة القراءات ٣٠٥، وسراج القـاري ٢٣٢.

(٦) ذكره السيوطي في الدر ١٥٥/٣ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ وانظر تفسير الطبري ٣٣٦/١٣.

(٧) انظر حجة القراءات ٣٠٦، سراج القاري ٢٣٢.

الباقون يمدونهم بالنصب من مَدَّ يَمُدُّ. قال بعضهم هذا عطف على قوله وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وإخوانهم يمدونهم في الغي. وقال الزجاج معناه التقديم والمعنى لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي. يعني الشياطين. والغي الجهل والوقوع في الهلكة قوله تعالى: ﴿**وإذا لم تأتهم بآية**﴾ وذلك حين أبطأ عليه جبريل حين سألوه شيئاً ﴿**قالوا لولا آجتبيتها**﴾ أي: هلا أتاهم من تلقاء نفسه، وهذا كقوله (ائت بقرآن غير هذا) ﴿**قل إنما أتبع ما يوحى إليّ من ربي**﴾ أي قل إذا أمرت بأمر فعلت ولا أبتدع ما لم أومر ﴿**هذا بصائر من ربكم**﴾ يعني القرآن بيان من ربكم. وقال بعض أهل اللغة البصائر في اللغة طرائق الأمر واحدتها بصيرة، ويقال طريقة الدين. معناه ظهور الشيء وبيانه، ﴿**وهدى ورحمة**﴾ أي القرآن هدى من الضلالة ويقال كرامة ورحمة من العذاب ونعمة لمن آمن به ﴿**لقوم يؤمنون**﴾ يعني: يصدقون

وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

قوله تعالى: ﴿**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**﴾ وذلك أن المسلمين كانوا يتكلمون في الصلاة قبل نزول هذه الآية فنهوا[١] عن ذلك وأمروا بالسكوت. وروى عبد الوهاب عن مجاهد عن أبي العالية الرياحي قال كان النبي ـ عليه السلام ـ إذا صلى فقرأ وقرأ أصحابه خلفه حتى نزل وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا فسكت القوم وقرأ النبي ـ عليه السلام ـ[٢] وروى قتادة عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة[٣] وروى مغيرة عن إبراهيم مثله. وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له، هذا لكل قاريء؟ قال لا ولكن هذا في الصلاة المفروضة[٤]. وقال أبو هريرة[٥] رضي الله عنه مثله. وقال مجاهد[٦]: وجب الإنصات في موضعين في الصلاة والإمام يقرأ وفي الجمعة والإمام يخطب. وعن مجاهد أنه قال: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم. وقال عطاء والحسن إن هذا في الصلاة والخطبة. ويقال فاستمعوا له وأنصتوا أي: اعملوا بما في كتاب الله تعالى ولا تجاوزوا عنه إلى غيره. ثم قال ﴿**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ لكي ترحموا فلا تعذبوا. قوله تعالى: ﴿**وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً**﴾ يقول إقرأ يا محمد إذا كنت إماماً بنفسك تضرعاً. يعني: مستكيناً ﴿**وَخِيْفَةً**﴾ يعني وخوفاً من عذابه وهذا قول مقاتل. وقال الكلبي واذكر ربك في نفسك يعني سراً ﴿**وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْل بالغُدُوِّ والآصَال**﴾ يعني العلانية حتى يسمع من خلفك. وقال الضحاك معناه اجهر بالقراءة في صلاة الغداة والمغرب والعشاء ﴿**وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ يعني لا تغفل عن القراءة

---

(١) انظر تفسير الخازن ٢/٢٧٢.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٥٦ وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير ١٣/٣٤٧.

(٤) ذكره السيوطي في الدر ٣/١٥٥ وعزاه لابن المنذر وابن جرير.

(٥) انظر الدر المنثور ٣/١٥٥.

(٦) ذكره السيوطي في الدر ٣/١٥٧ وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

في الظهر والعصر، فإنك تخفي القراءة فيهما. وروي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال «اذكروا الله ذكراً كثيراً خاملاً، قيل وما الذكر الخامل؟ قال الذكر الخفي». قوله تعالى: «بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ» يعني غدوة وعشية. وروى يحيى بن إيوب عن خالد بن زيد عن سعيد بن أبي هلال عن من سمع عقبة بن عامر قال: المسر بالقراءة كالمسر بالصدقة والمعلن بالقراءة كالمعلن بالصدقة ثم قال ولا تكن من الغافلين يعني عن القراءة في الصلاة. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا: وَمَا الرَّحْمَنُ أنسجد لِمَا تَأْمُرُنَا واستكبروا عن السجود. فنزل إن الذين عند ربك يعني الملائكة لا يستكبرون عن عبادته يعني لا يتعظمون ولا يستنكفون عن طاعته ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ يقول ويذكرونه ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ يعني يصلون. وقال أهل اللغة. الآصال جمع الأُصُل، والأُصُل جمع الأَصِيل والآصال جمع الجمع يعني العشيات والله أعلم بالصواب

فهرس المحتويات

تفسير سورة الفاتحة

تفسير سورة البقرة

تفسير سورة آل عمران

تفسير سورة النساء

تفسير سورة المائدة

تفسير سورة الأنعام

تفسير سورة الأعراف